ذخائر العرب

٦٥

شرح ديوان أبي الطيب المتنبي

لأبي العلاء المعري

(٣٦٣ - ٤٤٩)

« معجز أحمد »

الجزء الثالث

تحقيق ودراسة

الدكتور عبد المجيد دياب

دار المعارف

شرح ديوان أبي الطيب المتنبي

لأبي العلاء المعري

(٣٦٣ - ٤٤٩)

«معجز أحمد»

الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية : سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م

ذخائر العرب

٦٥

شرح ديوان أبى الطيب المتنبى

لأبى العلاء المعرى

(٣٦٣ - ٤٤٩)

«معجز أحمد»

الجزء الثالث

تحقيق ودراسة

الدكتور عبد المجيد دياب

عضو مركز تحقيق التراث

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطبعة الثانية

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

قصائد ومقطّعات (الجزء الثالث)
كما رتبت فى شرح أبى العلاء (معجز أحمد)

رقم القصيدة	رقم الصفحة	مطلع القصيدة	عدد أبياتها	موضوع القصيدة
١٧٣	١١٥	أيدرى الربع أىّ دمٍ أراقا وأىّ قلوب هذا الركب شاقا ؟	٤٠	يمدحه وقد أنفذ إليه جارية وفرسا .
١٧٤	١٢٧	ماسَدِكَت علة بمورود أكرم من تغلبَ بن داود	٢٧	يمدحه ويرثى أبا وائل تغلب بن داود
١٧٥	١٣٥	لاعدم المشيعَ المشيعُ ليت الرياح صنع ماتصنع	٦	يمدحه وقد ركب يشيع أبا شجاع عياك عبده لما أنفذه فى المقدمه إلى الرقة .
١٧٦	١٣٧	لعينى كل يوم منك حظ تحير منه فى أمر عجاب	٢	يمدحه وهو يسايره إلى الرقة وقد نزل المطر .
١٧٧	١٣٨	تجف الأرض من هذا الرباب ويخلق ماكساها من ثِياب	٤	وزاد المطر فقال .
١٧٨	١٣٩	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه تأتى الندى ويذاع عنك فتكره	٢	وأجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فى طريق آمد فقال .
١٧٩	١٤٠	رب نجيع بسيف الدولة انسفكا ورب قافية غاظت به ملكا	٣	وزاد سيف الدولة فى وصفه فقال .
١٨٠	١٤٢	يؤمم ذا السيف آماله فلا يفعل السيفُ أفعالَه	٤	يخاطب سيف الدولة وقد سار يريد آمد وتوسط جبالا .
١٨١	١٤٣	لقد نسبوا الخيام إلى علاء أبيت قبوله كلّ الاباء	٤	ذكر سيف الدولة أن قوما عابوا عليه بيتا من شعره فقال .
١٨٢	١٤٤	أغلب الحيزين ماكنتَ فيه وولى النماء من تنميه	٢	وذكر سيف الدولة لأبى العشائر جده وأباه فقال .
١٨٣	١٤٥	ألا أذّن فما أذكرت ناسى ولالينت قلبا وهو قاسى	٢	يذكر تحرج سيف الدولة عن الشراب وقت الأذان .
١٨٤	١٤٦	فديناك أهدى الناس سهما إلى قلبى وأقتلهم للدارعين بلا حرْب	٤	يجيز بيتا أنشده سيف الدولة .
١٨٥	١٤٩	إذا كان مدحٌ فالنسيب المقدّم أكل فصيح قال شعرا متيم	٤٢	يمدحه وقد أمر الجيش والغلمان بالركوب بالتجافيف والسلاح .
١٨٦	١٦٢	أينفع فى الخيمة العذل وتشمل من دهرها يشمل	٣٠	يمدحه ويذكر خيمة ضربت له فأسقطها الريح وتكلم الناس فى ذلك .
١٨٧	١٧١	لهذا اليوم بعد غد أريجُ ونارٌ فى العدو لها أجيجُ	١٢	يمدحه وقد ركب سيف الدولة من أحد المنازل فى بلاد الروم .

رقم القصيدة	رقم الصفحة	مطلع القصيدة	عدد أبياتها	موضوع القصيدة
٢١٧	٣٦٣	المجد عوفى إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم	٨	قال وقد عوفى سيف الدولة من الدمل .
٢١٨	٣٦٥	الصوم والفطر والأعياد والعصر منيرة بك حتى الشمس والقمر	٥	يمدحه ويهنئه بعيد الفطر .
٢١٩	٣٦٧	حجب ذا البحر بحار دونه يذمها الناس ويحمدونه	٣	يذكر مدّ النهر وإحاطته بدار الأمير ويمدحه .
٢٢٠	٣٧٢	لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الضرب فى العدا	٤٢	يهنئه بعيد الأضحى ويذكر أسره لابن الدمستق ويفتخر بنفسه وبشعره .
٢٢١	٣٨٦	إن كنت عن خير الأنام سائلاً فخيرهم أكثرهم فضائلا	٦	يفضل العرب على الأكراد وقد سأله سيف الدولة رأيه .
٢٢٢	٣٨٧	ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر	٩	يصف ازدحامًا على باب سيف الدولة منعه من الدخول عليه ورسول ملك الروم عنده .
٢٢٣	٣٩٠	دروع لملك الروم هذى الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل	٤٣	يصف دخول رسول ملك الروم عليه ويمدح الأمير وفيها يفخر بنفسه .
٢٢٤	٤٠٣	لنا ملك ما يطعم النوم همه ممات لحىّ أو حياة لميت	٣	يمدحه وقد بعث إليه بإجازة بيت .
٢٢٥	٤٠٥	بغيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارما ثلم الضراب	٤٢	يسترضيه عن بنى كلاب لما ظفر بهم ويمدحه ويصف ما أصابهم منه .
٢٢٦	٤١٩	على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم	٤٦	يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث ومنازلة أصناف جيش الروم .
٢٢٧	٤٣٦	أراع كذا كل الأنام همام وسح له رسل الملوك غمام ؟	٣١	يمدحه وقد ورد عليه فرسان طرسوس والمصيصة ومعهم رسول الروم للهدنة .
٢٢٨	٤٤٥	تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق	٤٧	يمدحه ويذكر إيقاعه بقبائل العرب .
٢٢٩	٤٦٤	طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك فى ندى ووغى بحار	٦٦	يصف الواقعة السابقة ويسترضيه على قبائل العرب .
٢٣٠	٤٨٥	أيا راميا يصمى فؤاد مرامه تربى عداه ريشها لسهامه	٧	يمدحه ويذكر إقطاعًا أقطعه إياه .
٢٣١	٤٨٨	إن يكن صبر ذى الرزية فضلاً تكن الأفضل الأعز الأجلا	٤٢	يعزيه عن أخته الصغرى ويسليه ببقاء أخته الكبرى .
٢٣٢	٥٠٠	ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلالا	٤٥	يمدحه ويذكر فك الحصار عن قلعة الحدث وانهزام الروم بين يديه .

رقم القصيدة	رقم الصفحة	مطلع القصيدة	عدد الأبيات	موضوع القصيدة
٢٣٣	٥١٤	رأيتك توسع الشعراء نيلا حديثهم المولد والقديما	٤	يثنى عليه لما استشهد بقول النابغة « ولا عيب فيهم » وذلك عقب موقعة .
٢٣٤	٥١٦	ذكر الصبا ومرابع الآرام جلبت حمامى قبل وقت حمامى	٣٣	يمدحه وقد أوقع ببنى أسد وبنى ضبة ورياح من بنى تميم سنة ٣٢١ (قبل اتصاله بالأمير) .
٢٣٥	٥٢٧	الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أوّل وهى المحلّ الثانى	٤٩	يمدحه عند منصرفه من بلاد الروم وعبوره نهر أرسناس .
٢٣٦	٥٤٣	عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيد فى إقدامك القسم	٥٤	يصف وقيعته بجيش الروم وقد أقسم البطريق عند ملك الروم أن يحارب سيف الدولة .
٢٣٧	٥٦١	فارقتكم فإذا ما كان عندكم قبل الفراق أذى بعد الفراق يد	٢	يحن إلى سيف الدولة وهو بمصر .
٢٣٨	٥٦٢	يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب	٤٤	يرثى أخت سيف الدولة ويعزيه وهو فى العراق .
٢٣٩	٥٧٩	مالنا كلنا جوى يا رسول ! أنا أهوى وقلبك المتبول	٤٢	يمدحه ويشكره على هداياه بعد خروجه من مصر إلى العراق .
٢٤٠	٥٩١	فهمت الكتابَ أبرَّ الكتب فسمعا لأمر أمير العرب	٤٤	يمدحه لما وصل كتابه إليه وهو بالعراق يستدعيه إليه .
٢٤١	٦٠٥	سيف الصدود على أعلى مقلده وموضع العز منه فوق مقعده	٨	قال يمدح سيف الدولة .
٢٤٢	٦٠٩	يا سيف دولة ذى الجلال ومن له خير الخلائق والعباد سمى	٣	وقال فيه أيضًا .

السَّيفيَّات

(١٦٠)

وقال أبو الطيب يمدح سيف الدولة : أبا الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان ابن حمدون بن الحارث العدويّ . عند نزوله أنطاكية ومنصَرَفه من الظَّفَر بحصن بَرْزُويَه[١] ، في جمادى الآخر سنة ٣٣٧[٢] وكان جالساً تحت شراع ديباج[٣] :

١ – وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

خاطب صاحبيه ، وقد لاماه على البكاء على الربع فقال : وفاؤكما بإسعادى

---

(١) حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق . يضرب به المثل فى بلاد الفرنج بالحصانة . انظر ياقوت : « برزويه » .

(٢) هذا اللقاء الذى كان سنة ٣٣٧ بين سيف الدولة وأبى الطيب لم يكن أول لقاء ولم يكن أول تعارف بينهما ، فقد تلاقيا وتعارفا . قبل ذلك . سنة ٣٢١ حين تحابا ، ومدحه المتنبى بعد مخرجه من الكوفه متوجهًا إلى الشام ، وكان لقاؤهما برأس عين من أرض الموصل الذى كان يدين لبنى حمدان بالطاعة آنذاك . وكان سنهما لا يتجاوز الثامنة عشرة ، فمدحه بقصيدته التى أولها :

ذكـــر الصِّـــبـــا وَمَـــراتـــع الآرام ... جلبت حِـمَامِى قَبْل يوم حمامى .

وتتفق نسخ الديوان وشارحيه على أنه نظم القصيدة السابقة سنة ٣٢١ راجع فى ذلك المتنبى ٩٤ ، ١٩٣ للأستاذ شاكر ، مع المتنبى ١٦٨ ، ذكرى أبى الطيب ٨٩ .

ويقال : لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر ! وقد ولد سيف الدولة فى ميا فارقين : « بديار بكر » ونشأ شجاعًا مهذبًا عالى الهمة . وملك و سطا وما حولها ومال إلى الشام فامتلك دمشق . وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣ وتوفى فيها ودفن فى ميا فارقين – أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة مشهورة ذكرها أكثر المؤرخين . وكان كثير العطايا مقربا لأهل الأدب . يقول الشعر الجيد الرقيق ، ولكن قد ينسب إليه ما ليس له . وهو أول من ملك حلب من بنى حمدان وله أخبار كثيرة مع الشعراء خصوصا المتنبى والسرى الرفاء والنامى والوأواء والببغاء .

(٣) ا ، ع : « وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الكوفى يمدح أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان عند نزوله أنطاكية ومنصرفه من الظفر بحصين بزويه ، وكان جالسا تحت شراع من ديباج سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة » . الواحدى ٣٧٣ : « وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن على بن عبد الله =

كالربع أشجاه دارسه . والطاسم والطامس[1] بمعنى الدارس . وأشجاه : أشده شجوا ، والشجو : الحزن . أى : لا أبكى الرّبع وصرت أبكى وفاءكما معه !

وقال الشيخ أبو الفتح ابن جنى : وهذا لفظه أملاه إملاءً . وطسم يطسم طسما فهو طاسم[2] : إذا درس وانمحت آثاره ، وكذلك طمس يطمس طموسا فهو طامس ، وسجم الدمع فهو ساجم : إذا سال . وقوله : «وفاؤكما» خطاب للاثنين ، وإنما كثر ذلك فى كلام العرب لأن أقل رفقه عندهم ثلاثة ، فلهذا قالوا الواحد شيطان والاثنان شيطانان ، والثلاثة رفقه . وربما يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة : تفخيماً له[3] . أو إذا أراد تكرير الخطاب وتفصيل ما حكاه ابن جنى عن المتنبى فى معناه : أن صاحبيه واعداه بالمساعدة[4] فى البكاء على ربع حبيبه ، والوقوف معه على أطلاله ، ثم لم يفيا بما واعداه ، فقال : وفاؤكما بالمساعدة دارس كهذا الربع الدارس . وقوله : «أشجاه طاسمه» أى كل ما كان منه طامسًا كان أشجى بقلبى ، كذلك وفاؤكما كلما رأيته دارساً زاد فى شجوى وحزنى .

وذكر صاحب الجليل ؟ فى تلخيص[5] هذا المعنى . ما هو فى العموم مثل كلام أبى الطيب فقال معناه : يا خليلىّ[6] وفاؤكما بأن تسعدانى ، كهذا الربع كلما أبصرته أشجانى ، وفى قوله : «والدمع أشفاه ساجمه» إشارة إلى أن صاحبيه غدرا

=ابن حمدان عند نزوله أنطاكية ومنصرفه من الظفر........» إلخ . التبيان ٣/ ٣٢٥ «وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن على بن عبد الله العدوى وهى أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة عند نزوله أنطاكية ومنصرفه من ظفره بحصن برزويه ، وكان جالسًا تحت شراع ديباج فأنشده» الديوان ٢٤٢ : «وقال يمدح الأمير أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان سيف الدولة» العرف الطيب ٢٦١ .

(١) عبارة ا ، ع : «والطمس والطسم بمعنى يقال طسم» .

(٢) فى النسخ : «وطسم الطسم طسما فهو طاسم» .

(٣) ق بياض مكان : «تفخيا له» .

(٤) ب ، ق : «على المساعدة» .

(٥) فى جميع النسخ : «وذكر صاحب الجليل فى التلخيص» ؟

(٦) ب ، ق : «فقال ياخليل» .

معه فى البكاء . فقال : إنما يشفى الدمع من الصبابة إذا كان ساجما ، وكلما كان أجرى كان الشوق أشفى[1] ، والباء فى قوله : «بأن تسعدا» متعلقة بمحذوف [١٧٢ – ب] ولا يجوز تعلقها بقوله : «وفاؤكما»[2] لأنك حينئذٍ فرقت بين الموصول والصلة ، لأنك إذا قدرت البيت على قوله[3] : «وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه» كانت الباء وما بعدها صلة وفاؤكما ، وقد فرق بينهما بقوله : «كالربع» فيجب أن يضمر بعد المصدر[4] . وهو قوله : «وفاؤكما» [ما][5] يتعلق بهِ ويجعل «بأن تسعدا» تفسيرًا له . وتقديره : وفاؤكما بأن تسعدا ، ثم يحذف هذا ، ويجعل الثانى تفسيرًا له ومثل هذا كثير فى صناعة الإعراب .

٢ – وَمَا أَنَا إِلاَّ عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لاَئِمُهُ

الصَّفِيَّيْن : الذى يصفِّى لك المودَّة من الغشّ ، فيكون بمعنى المصفّى . فقيل بمعنى (مفعل) .

يقول : أنا عاشق . فقال : كل عاشق أعقُّ خليلَيْه الصفِّيين : من يلومه ، فمن لامنى منكما كأنه قد عقّنى ، وروى : «وما أنا إلا عاشقٌ كلَّ» بنصب اللام . ومعناه : أنا عاشق كلَّ عاشق ، بعد لوم خليليه له عقوقا منهما إليه وهذا أبلغ من الأول ، ومثل هذا :

وَإِنِّى لَأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولِى وَكُلَّ امْرِئٍ نَاحِلِ[6]

وقد سئل أبو الطيب عن هذا فقال : إن الخليل الصفىّ لا يكون عاقًّا ، وأفعل لا يضاف إلاّ إلى ما هو بعضه .

(١) فى ا : إشارة تدل على النقص فى هذا المكان ويشير فى هامش النسخة إليه فيقول : «فلم أر البكاء بكما دمعا جاريا نلت عدم شفائى . وإنما غدرتما فى الصحبة» .

(٢) وعند ابن جنى أنها تتعلق بـ : «وفاؤكما» انظر التبيان .

(٣) ب ، ق : «إذا قدرت البيت على قوله» بياض .

(٤) ا ، ب : «فإن يضم بعض المصدر» . (٥) زيادة يقتضيها النص .

(٦) البيت للمتنبى فى ديوانه ٢٥٨ ، التبيان ٢٢/٣ ، والوساطة ١٤١ ، والرواية فيه توافق رواية ب : «وكل فتى ناحل» . ا : وكل امرئ عاشق ناحل» .

وقيل : معناه : إذا لام لم يكن خليلا مصافيًا عند العاشق ؛ لأنه قصد إساءته[١] فكأنه قال [وكل][٢] عاشق إذا لامه خليله ، كان أعقّ له من عدوه .

٣ - وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ وَيَسْتَصْحِبُ الإِنْسَانُ مَنْ لاَ يُلاَئِمُهْ

يتزيّا : يتكلّف (يتفعّل) من الزيّ ، وهو الهيئة ، أى يجعل الهوى زيًّا له .

يقول : ربما يُظهر الإنسان من نفسه أنه عاشق ، وليس هو بعاشق حقيقة ، كما أن الإنسان قد يصحب من لا يوافقه .

يعنى : أنا عاشق على الحقيقة ولست فى دعواى متكلفًا .

٤ - بَلِيتُ بِلَى الأَطْلاَلِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِى التُّرْبِ خَاتِمُهْ

يدعو على نفسه بالهلاك إن لم يطُل الوقوفَ على أطلال دار المحبوبة .

وقد عيب عليه هذا البيت[٣] . وقيل : هذا يدل على تحمله مع دناءة همته ، وعظم خطر الخاتم فى عينه[٤] .

وإلى كم يكون وقوف الشحيح على خاتمه ولو كان ألأم الناس ، حتى يجعل ذلك غاية الوقوف على أطلال دار الحبيب ؟ .

وأحسن ما يمكن[٥] أن يقال إنما أراد : أنا أقف بها وقوفًا زائداً على عادة من وقف قبلى على أطلال حبيبة ، كما أن وقوف الشحيح إذا ضاع خاتمه يكون زائداً على وقوف غيره ، وطلبه له أشد .

---

(١) ا ، ع : « قصد إلى إساءته » .

(٢) زيادة يقتضيها النص .

(٣) فقيل : ليس فى وقوف الشحيح على طلب خاتمه مبالغة يضرب بها المثل . عن ابن جنى . التبيان .

(٤) ا : « هذا يدل على تحمله مرضاة همته وعظم خطره بخاتم فى عينه » .

(٥) ا ، ع : « أحسن ما يوجد » .

قيل : إنما خص الخاتم لأنه ربما كان فضة كثيرة القيمة[١] جليل الخطر وهذه صفته[٢] . فالوقوف على طلبه يدوم ، والبحث عنه يطول من كل واحد ، وهو من الشحيح أكثر ، ومنه أطول .

٥ – كَئِيبًا تَوَقَّانِى الْعَوَاذِلُ فى الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الْخَيْلِ حَازِمُهْ

نصب «كئيبًا» على الحال . والكئيب : هو الحزين[٣] . والريض : الصعب الذى لم يُرَضْ . والحازم : الذى يشد الحزام . والهاء فيه تعود إلى الريض .

يقول : إن لم أقف وأنا كئيب والعواذل يريدون[٤] عذلى ويحذرون منى كما يحذر الرجل من الفرس الصعب ، إذا أراد شد الحزام عليه ، فهو يداريه حذراً أن يرمحه ، فكذلك العواذل يحذرون صولته [١٧٣–ا] .

٦ – قِفِى تَغْرَمِ الأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِى
بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّىْءَ غَارِمُهْ

«الأولى» فى موضع الرفع لأنها فاعلة «تغرم» .

يقول : إنَّكِ لحظتنى لحظة فأتلفْتِ بها نفسى ، فاغرميها بلحظة ثانية «تحْيِينى بها[٥] ، كما أتلفتِ مهجتى بلحظتِكِ الأولى ؛ فإن من أتلف شيئًا غرمه .

٧ – سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا
عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ

الهاء : للنوْر ، والنَّوْر : الأبيض من الزهر . والكمائم : جمع كمامة وهو وعاء

(١) ا ، ع : «إنما خص فص الخاتم بذلك لأنه ربما كان فصه كثيرة القيمة» .

(٢) وقال الواحدى نقلا عن العروضى : «قد يكون حلقًا يحبس به ويطلق ويقتل . وربما كان خاتما لخزائن الأموال» .

(٣) ا ، ع : «أى إن لم أقف كئيبا بها وهو الحزين» .

(٤) ا : «يردن» ب ، ق : «يردون» .

(٥) ا ، ع : «أى قفى علىّ والحظينى لحظة ثانية» .

الزهر[١] قبل أن يتفتح .

شبه النساء بالنَّوْر ، والهوادج بالكمائم[٢] ، ولما جعلها نَوْرًا دعا لها بالسقيا ، وجعله تحية لها ، كما يحيِّى الصديقُ صديقه بالوَرْد والرَّيْحان .

ومعناه : رزقنا الله وصلك والتلذذ بطيبك . ومثل آخر هذا البيت قول الآخر وهو :

وَلَمْ أَرَ كَالأَظْعَانِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ وَأَحْدَاجُهِمْ تَحْكِي الْكَمَائِمَ فِي الْوَرْدِ

وقريب من بيت أبى الطيب قول السرىّ بن أحمد الرفّاء[٣] .

حَيَّا بِهِ اللهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رَيْحَانَةً لِمَنْ عَشِقَا[٤]

٨ – وَمَا حَاجَةُ الأَظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى
إلى قَمَرٍ؟ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ

الأظعان : الراحلون ، والهاء فى «عادمه» للقمر .

يقول : الراحلون معك فى ظلمة الليل ، لا يحتاجون إلى ضوء القمر ؛ لأن من وجدك فقد وجد القمر .

٩ – إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكِ الْعُيُونُ بِنَظْرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهْ

ثاب وأثاب : بمعنًى . أى أرجع . والمعيي : الرازم ، وجمعهما لاختلاف اللفظتين . وقيل الرازم : الذى قد قام من الإعياء .

---

(١) ب ق : «وهو الزهر» . (٢) ا ، ع : «بالأكمام» .

(٣) شاعر أديب من أهل الموصل كان فى صباه يرفو ويطرز فى دكان بها فعرف بـ : «الرفاء» ولما جاد شعره ومهر فى الأدب ، قصد سيف الدولة فدحه وأقام عنده مدة ثم انتقل إلى بغداد ومات سنة ٣٣٦ . وفيات الأعيان ١/ ١ .

(٤) لم أعثر عليه فى ديوانه وقد نسب إليه فى يتيمة الدهر ٢/ ١٢٠ وروايته .

حيـا بك الله عاشقيك فقد أصبحت ريحانة لمن عشقا

وهو فى الواحدى ٣٧٩ ، التبيان ٣/ ٣٣٠ ، وشرح البرقوقى ٤/ ٦٢ ، كرواية الشارح وفى دلائل الإعجاز ٣٣٠ نسب للعباس بن الأحنف وليس فى ديوانه .

يقول : إن الإبل المعيَّةَ إذا نظرت إليكِ عادت إليها نفسها ، فكيف نحن مع شدة شوقنا إليك ! فهو أولى بنا[١] .

١٠–حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَآثَرَهُ أَوْجَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ

روى « فى الحكْم » و« فى الحسْن » والهاء فى « يحبه » للحبيب ، وكذلك فى «آثره» وفى «قاسمه» للحسن .

يقول : كان الحسن يحب هذا الحبيب ، فآثره على غيره وخصّه بزيادة الحسن وبدائعه ، أو جار من قسّم الحسن فى قسْمته ، فأعطى هذا الحبيب أكثر مما أعطى غيره .

١١–تَحُولُ رِمَاحُ الْخطِّ دُونَ سِبَائِهِ
وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ

الهاء فى «كرائمه» تعود إلى «حيّ» وهو جمع كريمة .

يقول : إن الرماح تحول بين هذا الحبيب وبين من أراد سِبَاءهُ ، لعزة قومه وتسبى الرماح له من كل حيٍّ كرائمه[٢] .

١٢–وَيُضْحِى غُبَارُ الْخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمُلاَزِمُهْ

الكباء : العود والبخور ، والنشر : الرائحة الطيبة ، والهاء فى « ستوره » للحبيب وفى « آخرها » للستور وفى « ملازمه » « لآخرها » .

يقول : عليه ستور كثيره ، فأدناها إلينا غبار الخيل التى تركض حوله ، وآخرها داخلها يلازمه ريح العود ودخانه .

١٣–وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِى فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلاَ عَلَّمَتْنِى غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهْ

يعنى : ليس هذا بأول فراق رأيته فأستغربه ، بل رأيت مثله كثيراً ، والهاء

(١) ب ، ق : « فهو أولى بنا » ساقطة .

(٢) ا ، ع : « لعزة قومها ويسبون له من كل حى كرائمه » .

فى «عالمه» راجعة إلى «ما» . [١٧٣ – ب] .

١٤– فَلاَ يَتَّهِمْنِى الْكَاشِحُونَ فَإِنَّنِى
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِى عَلاَقِمُهْ

العلقم : شجر مر ، وأراد به هاهنا الشدائد .

يقول : لا يتهمنى الأعداء على الردى ، أنى أضعف عن احتماله[1] ، فإنى قد تعودته وقاسيت أمثاله ، حتى حلا فى فمى كلّ مُرّ ، وهان علىّ كل صعب .

١٥– مُشِبُّ الَّذِى يَبْكِى الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهْ ؟!

المُشِبّ : الذى يشبّ ويأتى بالشّباب . والمُشيب : الذى يأتى بالمَشِيب[2] ، والضمائر كلها تعود إلى «الذى» ويجوز أن يكون فى «مشيبه» يعود إليه فقط ، وفى «توقيه» و «بانيه» و «هادمه» يعود إلى الشباب .

يقول : إن الذى يبكى الشباب لا ينفعه ، فإن الشيب الذى صيّره شابا ، هو الذى أفضى به إلى المشيب ، وهو الحياة ، فإنها تنقله من حال إلى حال ، فكيف تقدر على الاحتراز منه ؟! وهو الشىء الذى به بَقاؤه وبه فناؤه . وقيل : هو الله تعالى الذى يأتى بالشباب والشيب . وقيل أراد به : الدهر على ما جرت عادته فى نسبة الحوادث إليه .

١٦– وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصِّبَا وعقيبُه وغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ

له معنيان :

أحدهما : أن كمال العيش إنما هو فى الصبا وفيما يعقب الصبا ، فأما أيام الشيب فلا تعد من العيش ؛ لأنها مشوبة بالأحزان والأسقام .

وقوله : «وغائب لون العارضين وقادمه» يعنى أن هذا تكملة العيش ،

---

(١) ا : «لا يتهمنى الأعداء على هذا الفراق ، أنى ضعيف عن احتماله»

(٢) ا ، ع : «المشيب : الآتى بالشيب» .

وأراد به حال نقاء العارض[١] من الشعر ، ثم غاب ذلك وقدم عليه بياض الشيب والشَّعر[٢] . وهذا أحسن .

والثانى : أن المراد به أن جميع العمر ما ذكر من هذا البيت وهو : أيام الصبى ، ثم عقبية الشباب ، وبعده بياض الشعر بعد سواده ، وهو أيام الشيب . والهاء فى «قادمه» تعود إلى اللون .

قال ابن جنى : سألته وقت القراءة عليه : أيقال تكملة العيش لجميعه ؟ قال : هو جائز لأنه بالجميع يكمل .

١٧–وَمَا خَضَّبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لأَنَّهُ ... قَبِيحٌ ، وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ

الفاحم : الشديد السواد . يقول : إن الناس لا يخضّبون البياض لأنه قبيح ، بل هو حسن ، ولكن الشَّعر الأسود أحسن فى مرأى العين ؛ لدلالته على فتى السن ، والبياض يدل على الهرم .

١٨–وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّهِ ... حَيَا بَارِقٍ فِى فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ

الحيا : المطر ، والبارق : السحاب الذى فيه برق . والفازة : الخيمة . وشِمْتُ البرق : إذا نظرت مخايله[٣] . والهاء فى «شائمه» تعود إلى الحيا .

يقول : مطرُ سحابةٍ فى خيمةٍ ، وأنا أنظر إليه ، أحسن من ماء الشباب ؛ لأنى أنال به من السرور واللذَّات ، ما لا أناله بالشباب[٤] .

١٩–عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحُكْهَا سَحَابَةٌ ... وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمَائِمُهْ

عليها : أى على الفازة . شبّه النقوش التى عليها بالرياض المنوّرة ، وقوله : «لم تَحُكْها» أى ليست هذه الرياض من صنعة الغيث والسحاب ، ولكنها من صنعة

(١) ا : «العارضين» . (٢) : «وقدم عليه الشعر» . ب : «الشعر والشيب» .
(٣) ب من : «والبارق ... مخايله» ساقط .
(٤) كان سيف الدولة فى خيمة من ديباج سيصفها المتنبى فى هذه القصيدة .

البشر ، وعليها صور أغصان أشجار عليها حمائم ، لكنها صامتة لا تتغنى ولا تتغرد .
والهاء فى «حمائمه» للدوح .

٢٠–وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ
مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ

الهاء فى «ناظمه» للسمط .

يقول : على حواشي كل ثوب ذى وجهين عقد منظوم من الدرّ ، غير أن ناظمه[١٧٤–ا] لم يثقبه ؛ لأنه ليس بدرّ على الحقيقة ، بل نقش على صورة خلقة الدرّ[١] .

٢١–تَرَى حَيَوانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهْ

يعنى : عليها تصاوير الحيوان من كل جنس . كالسباع والوحوش والفرسان ، فمرة يصالح الضِّد ضدَّه ، ومرة يحاربه ، لأنه ربما يتصل تارة وينفصل أخرى عند ضرب الريح إياها .

وقيل : أراد أن عليها صور سباع تفترس وحوشا ، فهى فى صور[٢] المحارب ولكنها مسالمة ، لا يقدر بعضها على بعض ، فهى محاربة ومسالمة فى وقت واحد .

٢٢–إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَرَاغِمُهْ

تدأى : أى تَخْتِلُ ، وقيل : تسرع . والهاء فى «ضربته» وفيما بعده : تعود إلى قوله : «كل ثوبٍ مُوجه» وقيل : تعود إلى الحيوان .

يقول : إن الريح إذا ضربت هذا الثوب ماج : أى اضطرب ، فحسبته خيلا تجول ، وسباعًا تصول ، وهو المراد بقوله : «تدأى ضراغمه» أى الأسود المصورة عليه .

---

(١) ب ، ق : «خلقة الدر» مهملة .

(٢) ب ، ق : «وصورة» .

٢٣—وَفِى صُورَةِ الرُّومىِّ ذِى التَّاجِ ذِلَّةٌ
لأَبْلَجَ لاَتِيجَانَ إلاَّ عَمَائِمُهْ

أراد بالرومىّ : ملك الروم ، وكان على الفازة صورته .

يقول : فى صورة ملك الروم صاحب التاج ذِلّة : أى خضوع للملك الأبلج ، وهو سيف الدولة . والأبلج : المتقطع ما بين الحاجبين[١] . ثم قال : لا تيجان للعرب إلا العمائم[٢] والتاج لملوك العجم[٣] .

٢٤—تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ

البراجم : المفاصل التى تحت الأنامل ، والواحد بُرْجُمة ، وهى عبارة عن اليد.

يعنى : أن الملوك إذا رأته قبَّلت بساطَه ؛ لأنها لم تكن أهلا لتقبيل يده ولا كُمّه[٤] .

٢٥—قِيَامًا لِمَنْ يَشْفِى مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَىْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ

قيامًا : نصب بإضمار فعل . أى : تراهم قياما . وقيل : نصب على الحال . وقوله : «يشفى من الداء كيّه» مَثَلٌ . و «مَنْ» ؛ بمعنى الذى[٥] . المتقدم . والهاءِ فى «كيّه» تعود إلى «مَنْ» الأولى ، وفى «مواسمه» إلى «مَنْ» الثانية . والقَرْم : الرئيس .

يقول : إنّه يشْفِى من الداء كيه[٦] ويروّض كل صعب . وكل قَرْم لقيه ولّى عنه فآثار سيفه فى قفاه[٧] وبين أذنيه . تلوح كالسِّمة .

---

(١) وهذه من صفات السيادة .

(٢) فى كلامهم القديم : العمائم تيجان العرب ، والسيوف أرديتها ، والحبا جدرانها .

(٣) ا ، ع : «والتاج من عادة ملوك العجم» .

(٤) ا ، ع : «ولم تكن أهلا لتقبيل يده وكمه» .

(٥) ب : «ومن يعنى الذى» .

(٦) ا ، ع : مكان هذا المثل بياض . (٧) ب : «فى قفاه» ساقطة .

وقيل : معناه : إنه يقهر كل قرْم ويسِمُه سِمَةَ ذلّ وعجز . والمواسم : جمع مِيسَم وموسم[(١)] .

٢٦–قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهْ

قبيعة السيف : الفضة التى على قائمة مثل الكرة . والهاء فى «قبائعها» للملوك وفى «عزائمه» للممدوح .

يقول : إنهم قيام بين يديه ، وسيوفهم تحت مرافقهم وهم متّكئون عليها ، ثم قال : عزائم سيف الدولة فى الأمور أنفذ من السيوف التى فى الجفون .

٢٧–لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى
بِهَا عَسْكَرًا لَمْ تَبْقَ إِلاَّ جَمَاجِمُهْ

الوجه أن يقال : إذا رمى بها ، ردًّا للضمير إلى أحد العسكرين[(٢)] .

معناه : له عسكر من الخيل ، فإذا قصد إلى عسكر عدوّه ، قتلته الخيل وأكلته الطير ، فلم يبق إلا عظام الرءوس[(٣)] . والهاء فى «جماجمه» تعود إلى قوله «عسكرا» [١٧٤ – ب] .

٢٨–أَجِلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلاَغِمُهْ

الملاغم : ما حول الفم . واحدها مَلْغَمٌ .

يقول : جِلالُ خيله : ثياب كل طاغ قتله ، ومَوْطِئها : ملاغم كل باغ . والتأنيث : للخيل : والتذكير : للطاغى والباغى .

٢٩–فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُهُ وَمَلَّ سَوَادَ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ

---

(١) وهو الآلة التى يوسم بها . الواحدى .

(٢) ق ، ب : «ردا للضمير إلى العسكر إلى أحد المعنيين» .

(٣) ا ، ع : «إلا عظام ورءوس» .

التاء فى «تغيره» و «تزاحمه» للخيل . وأراد : مما تغبر فيه ، فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل إليه .

يقول : إن الصبح قد ملّ من كثرة إغارة الممدوح فيه ، وسواد الليل قد ملّ من كثرة سيره فيه ، ومزاحمته إياه .

٣٠–وَمَلَّ القنا مِمَّا تدقُّ صُدُورَه وَمَلّ حَديدُ الْهِنْدِ مما تَلَاطِمُهْ

تدق صدوره : أى تكسره . وتلاطمه : أى تضاربه .

يقول : إن الرماح والسيوف قد ملّت[1] ، من كثرة ما تطعن بالرماح وتكسرها ، وتضرب بالسيوف .

٣١–سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا
سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ

السحاب : يذكّر على اللفظ ، ويؤنّث على معنى الجمع ، فأنث السحاب الأوّل على المعنى ، وذكّر الثانى على اللفظ وإقامة القافية .

شبه الجيش ، والعقبان فوقه ، بسحاب يسير تحت سحاب آخر ، ثم جعل الأسفل يسق الأعلى ، فجعل الغمام مستسقيًا ، مع أنه يكون ساقيًا .

٣٢–سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ

مؤيدات : محكمات[2]، لما جعل «عزمه» مركوبًا ، جعل له ظهراً وقوائما .

يقول : ركبت عزمى وسلكتُ إليه المؤيدات ، مفاوز شديدة ، كأنها صروف الدهر . يعنى : أنى قوّيت عزمى على قصده ، فتكلفت الأسفار حتى لقيته .

٣٣–مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذِّئْبَ نَفْسُهُ
وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهْ

---

(١) ا ، ع : «ملتا» .

(٢) فى الواحدى والتبيان : مؤيدات : القويّات . من آيده إذا قوّاه .

مهالكَ[١] : بدل من صروف الدهر . والقوادم : ريش الجناح المقدَّمة ، وفاعل تصحب : نفسه ، ومفعوله : الذئب . وفاعل حملت : قوادمه ، والغراب : مفعوله . والضمير : يعنى ... الغراب[٢] .

يعنى : أن هذه المفاوز مهالك موحشة لا يقدر الذئب على قطعها ، ولا الغراب[٣] على سلوكها ؛ لشدتها . ومثله قول الآخر :

مَهَامَهَ لاَ يَسْرِى بِهَا النَّجْمُ وَحْدَهُ ... وَلاَ الطَّيْفُ إلاَّ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

٣٤- فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لاَ يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ... وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لاَ يَرَى الْعِبْرَ عَائِمُهْ

عِبْر الوادى : شطّه .

يقول : لما وصلت إليه رأيت بدرًا لا يرى البدر الحقيقى مثله ، وخاطبت بحراً ليس له عِبْر ولا نهاية[٤]

٣٥- غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ ... بِلاَ وَاصِفٍ والشِّعْرُ تَهْذِى طَمَاطِمُهْ

الطماطم : جمع طِمْطِمة ، وهى ما لا يفهم من الكلام .

يقول : لما رأيت صفاته بلا واصف يصفها بحقائقها ، غضبت لهذا الممدوح ، فبصَّرْت ببدائع شعرى ، وصار شعر غيرى كالهذيان الذى لا معنى له .

٣٦- فَكُنْتُ[٥] إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً ... سَرَيْتُ فَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهْ

الهاء فى «كاتمه» للسرّ .

---

(١) يقول صاحب التبيان : نصب : (مهالك) لفعل دل عليه الكلام ، تقديره قطعت مهالك . وقد قال قوم : هى بدل من صروف ولا يجوز ذلك لأنها ليست من صروف الدهر فى شىء .

(٢) ا ، ع : « والضمير يعود على الغراب فى الأول وعلى الذئب » .

(٣) وخص الغراب والذئب لأنهما يألفان الأمكنة البعيدة عن الناس . وإذا كانا عاجزين عن قطع هذه المهالك ، فغيرهما أعجز عن قطعها .

(٤) ا : « ليس له غور » . ب : « ليس يرى عائمه » .

(٥) فى الواحدى والتبيان والديوان : « وكنت » .

يقول : كنت أسير ليلاً مخفيًا سيرى ، فكنت كأنّى سرٌّ فى ضمير الليل ، وهو يكتمنى عن كل أحد .

وهذا البيت من بدائع هذه القصيدة وسيدها ، وواسطة قلادتها .

٣٧–لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا
فَلاَ الْمَجْدُ مُخْفِيهِ ولاَ الضَّرْبُ ثَالِمُهْ

يقول : هو سيفٌ سلّه المجدُ ، ليضرب به رقاب البخل ، فالمجد لا يخفيه والضرب لا يثلم حدَّه .

٣٨–عَلَى عَاتِقِ الْمَلْكِ[1] الأَغَرِّ نِجَادُهُ وَفِى يَدِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ قَائِمُهْ

أى على عاتق الخليفة ، لأنه من جملة أوليائه وأنصار دعوته . وقوله : «وفى يد جبَّار السماوات قائمه» أى أنه سيف الله يضرب به رءوس من كفر به وعَبَد إِلٰهًا غيره[2] .

٣٩–تُحَارِبُهُ الأَعْدَاءُ وَهِىَ عِبَادُهُ[3] وَتَدَّخِرُ الأَمْوَالَ وَهْىَ غَنَائِمُهْ !

يقول : إن أعداءه يحاربونه ، وهم عباده ، يعلمون أنه يأسرهم ويستعبدهم ويجمعون الأموال وهم يعلمون أنه يغنمها !

٤٠–وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهْ

يقول : إن الناس يستكبرون أمر الدهر فى تصرفه ، وهو أكبر منه قوة ! ويستعظمون الموت وهو خادمه ! يهلك من يأمره بقتله[4] .

---

(١) قال ابو العلاء : من رواها : «الملك» بضم الميم جعل الملك متقلداً لسيف الدولة يعنى ملك بنى العباس . وإن فتحت الميم فالمراد الخليفة . تفسير أبيات المعانى .

(٢) ا ، ع : «وكفر به وبرسوله وعبد إله غيره . وأراد به أن ينصره على أعدائه» .

(٣) ع : «وهى عبيده» . أكثر الروايات : «عباده» وعبيد : وهو جمع غزير . وقد جاء فى جمعه : «أعبد» و : «عباد» «عبدان» بالضم «وعبدان» بالكسر .

(٤) ا ، ع : «ويهلك كل من يأمر بقتله» .

٤١–وَإِنَّ الَّذِى سمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ وَإِنَّ الَّذِى سَمَّاهُ سَيْفًا لَظَالِمُهْ

يقول : من سماه عليًّا فقد أنصفه ؛ لأنه عليُّ المنزلة ، رفيع المحل ، ومن سماه سيفا فقد ظلمه ؛ لأنه أمضى من السيف وأعظم تأثيراً منه .

٤٢–وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ وَتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهْ

لزْبات : أصله تحريك الزاى ، ولكنه خففه وسكنه ضرورة : وهى الشدائد . يقول : من سماه سيفًا إنما ظلمه ؛ لأن السيف عمله القطع فقط ، وربما ينبو فلا يقطع رقاب الأعداء ، والممدوح يكشف شدائِد الزمان بمكارمه وبجوده فتسميته بالسيف ظلم ؛ لأنه أعم منه نفعًا .

(١٦١)

وقال أيضاً يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية[١] :

١ – أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَذا الْهُمَامُ ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وَأَنْتَ الْغَمَامُ

الربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض .

يقول : أىّ موضع عزمت أن ترحل إليه أيها السيد العظيم الهمة ؟ فنحن محتاجون إلى مقامك احتياج نبت الربا إلى مطر الغمام ، وخص نبت الربا ؛ لأنه أحوج إلى سقيا الغمام ، ولأن الروضة إذا كانت على ربوة كانت أحسن وأنضر وأخضر .

٢ – نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيـ ـكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ

---

(١) ا ، ع : « وقال أيضا وقد عزم سيف الدولة على الرحيل من أنطاكية » . الواحدى ٣٨٣ : « وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية » . التبيان ٣/ ٣٤٣ : « وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية » . الديوان ٢٤٩ : « وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية » العرف الطيب ٢٦٧ .

حكى ابن جنى عنه قال : أردت أن أقول : ضايقة الزمان ، فزدت اللام فقلت : « ضايق الزمان له » . قال ابن جنى : ومثله [قوله تعالى] : (عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ)[1] أى ردفكم ، و «خان» : تعدى إلى مفعولين : أحدهما الهاء فى «خانته» والثانى «قربك» وفاعله : الأيام . والهاء فى «له» و «خانته» راجعة إلى «مَنْ» .

يقول : إن الزمان ضايقنا فيك ، وحسدنا على قربك ، فخانتنا الأيام فى قربك ، وفرقت بيننا وبينك .

٣ – فِي سَبِيلِ الْعُلاَ قِتَالُكَ والسِّلْـ ـمُ وَهَذَا الْمُقَامُ وَالإِجْذَامُ

الإجذام : سرعة السير ، وأصله قطع الأرض بالأسفار .

يقول : كل ما تفعله من قتال وسلم[2] ، وإقامة وترحال ، يشيد[3] مجدك ويرفع قدرك ، فتنال معالٍ مع معاليك[4] [١٧٥ – ب] .

٤ – لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

الخيمة فى الأصل : بيت يتخذ فى الصيف من الخشب ، وأغصان الشجر ، ثم استعمل فى المضارب وبيوت الشَّعْر مجازًا[5] .

يقول : ليتنا كنا خيلك عند ارتحالك ، وخيامك عند نزولك ، حتى لا نفارقك . وقيل : أراد ليتنا نقيك الأذى من فوق : من الحر والبرد ، ومن أسفل[6] : من الخشونة والتعب .

٥ – كُلُّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ

(١) سورة النمل ٢٧/ ٧٢ .
(٢) ا : «وصلح» .
(٣) ب ، ق : «يسد» .
(٤) ا ، ع : «فتنال معالٍ مع معاليك» ساقطه .
(٥) انظر لسان العرب : «خيم» . (٦) ا : «ومن تحت» .

الاحتمال : الرحيل .

يقول : كل يوم تسافر ، فالمسير لك مقام المجد والعز . يعني : أنك دائم السعي فيما فيه مجدك .

٦ – وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

أراد بالنفوس : الأرواح والهمم .

يقول : إذا كان الإنسان كبير النفس عالي الهمة طلبت همته الأمورَ العالية ، فأتعبت أجسامها في مرادها .

٧ – وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلَقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ

يقول : كل رفيع القدر عالي الهمة ، لا تدعه همّته أن يستقر ، كما أن البدر يطلع ولا يفتر عن المسير ، وكذلك البحار العظام ، لا يسكن موجها[1] وعباؤها .

٨ – وَلَنَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـ ـرِ لَوَأَنَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ

نسام : أي نكلّف .

يقول : من عادتنا الصبر الجميل على جور الزمان ، ولكنا لا نقدر أن نصبر على فراقك والبعد عنك

٩ – كُلُّ عَيْشٍ مَالَمْ تُطِبْهُ حِمَامٌ كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلاَمُ

يقول : إذا لم يطب العيش بقربك ، فهو من جملة الموت ، وكل شمس سواك فهي ظلام ، فطيب عيشنا بقربك ، ونور أبصارنا برؤيتك .

١٠ – أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ[2] الْخَمِيسُ اللُّهَامُ

الوحشة : انزعاج النفس من الوحدة . والخميس : العسكر الكثير . واللهام :

(١) ا ، ع : «كما أن البدر يطلع ولا يفتر عن مسيره . وبحار العظام لا يسكن موجه» تحريف .

(٢) ب ، ق : «أنس»

العظيم الذى يلْهم كل شىء فيبتلعه ويهلكه .

يقول : أزل عنا الوحشة التى نجدها لفراقك[١] ، بالمقام علينا . يا من يأنس به الخميس العظيم ويجتمع عليه ، وإذا غاب وجد[٢] على نفسه .

١١ – وَالَّذِى يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْـ ـبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ

الوغى : الحرب . والهاء فى «فيها»[٣] ضمير لقوله : «الوغى» لأنه فى معنى الحرب وهى مؤنثة .

يقول : أزل عنا الوحشة ياأيها الرجل الذى يحضر الحرب ، وهو ساكن القلب ، حتى كأن القتال – الذى يكون فى الحرب – عهدٌ وأمان .

١٢ – وَالَّذِى يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى تَتَلاقَى الْفِهَاقُ وَالأَقْدَامُ

الفهاق : جمع فَهْقة ، وهى موصل الرأس فى العنق ، وقيل : هى عظم عند حالق الرأس ، مشرف على اللهاة .

يقول : إنك تقطع رقاب الفرسان حتى تقع رءوسهم على أقدامهم . وقيل : إنه يقطع الأعضاء حتى يصير الأسفل أعلى والأعلى أسفل . حتى يلتقى[٤] طرفا الجسم على ما بَعُد بينهما .

١٣ – وَإِذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ

[١٧٦ – ا] الهاء فى «أذاه» تعود إلى المكان .

يقول : إذا نزلت بمكان فلا يؤذى الزمان ذلك المكان ، فكأن أذاه[٥] على الزمان حرام .

(١) ا : «بفراقك» .

(٢) ا : «واجد» . ق : «وحد» تحريفات .

(٣) ب ، ق : «والتاء ضمير لقوله فيها» . ا ، ع : «والهاء ضمير لقوله فيها» .

(٤) ب ، ق : «يلتقى» ساقطة

(٥) ا ، ع : «إيذاه» .

١٤–وَالَّذِى تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ وَالَّذى يَمْطُرُ السَّحابُ ، مُدَامُ

يقول : إن الممدوح إذا حلّ بمكان ، فالذى تنبته أرضها إنما هو السرور ، والذى يمطر سَحابُها إنما هو الخمر . يعنى : أنه إذا نزل بمكان أحسن إلى أهله ، وبسط العدل فيهم ، فاتصل[1] سرورهم ، وأمِنَت نفوسهم .

ولما جعل نبات أرضهم سروراً ، جعل مطر سحابهم مدامًا ؛ لأن المدام تولّد السرور ، كما أن الغيث يولد العشب ، « والذى » مبتدأ و « سرور » خبره و « تنبت » صلته ، وفاعله : البلاد . وكذلك الكلام فى المصراع الثانى .

١٥–كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَمًا مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ

يقول : كرمه لا نهاية له ، فكلما قيل إنه قد بلغ الغاية فى الكرم ابتدع كرماً ثانياً ، لا يهتدى الكرام إليه ، ولا يبلغ خاطرهم إلى بعضه

١٦–وَكِفَاحًا تَكِعُّ عَنْهُ الأَعَادِى وَارْتِيَاحًا يَحَارُ فِيهِ الأَنَامُ

الكفاح : مباشرة الحرب . يقال لقيته كفاحاً : أى مواجهة . تكِعّ : أى تَجْبُن وتتأخر . وكفاحًا : نصب عطفًا على قوله : « أرانا » أى أرانا كرما وكفاحًا وارتياحًا .

يقول : أرانا شجاعة تعجز عنها أعداؤه ، وجوداً يتحير الخلق فيه .

١٧–إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّلِ سَيْفِ الدَّوْ لَةِ الْمَلْكِ فِى الْقُلُوبِ ، حُسَامُ

يقول : يهابونه وليس هو سيفا ! بل هيبته فى القلوب سيف قاطع ، حتى لا أحد يعدل عنْ طاعته .

١٨–فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّى وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ

يقول : إن هيبته قد همت الناس ، والشجاع الفاتِك إذا تحرز منه ، فذاك غاية

(١) ا ، ق : « فاتصلت » .

الشجاعة . والخطيب المصقع يستكثر أن يسلم عليه ، فضلاً عن أن يبسط فى الكلام[١] معه . ومثله للفرزدق[٢] :

يُغْضِى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

(١٦٢)

وقال أيضًا عند مسيره عنها[٣] [وقد نزل المطر فى ذلك اليوم] .

١ — رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ ... تَـأَيَّ وَعُـدَّهُ مِـمَّـا تُنِيـلُ

رويدك : أى أمهل ، وهو اسم للفعل ، ولا موضع للكاف .

الإعراب : « تأَيَّ » أى توقف وهو بدل من « رويدك » وإن شئت جعلته توكيدًا ، كأنه قال : رويدك رويدك فكرر المعنى ، وخالف بين اللفظين ، وروى : « تأنّ »[٤] أى توقف وتثبتّ . والهاء فى « عُدَّه » ضمير[٥] للمصدر ، ودل عليه قوله : «تأى» .

(١) ب ، ق : « فضلا من بسط الكلام معه » .

(٢) قال أبو هلال العسكرى فى المعانى ١/ ١٤٣ : « من قديم الشعر ما ينسب للفرزدق وهو لغيره فى على بن الحسين » ثم أنشد البيت الذى معنا » . وانظر الأغانى ساسى ١٤/٧٥ . وما فيه من خلاف حول نسبة هذا البيت . وقد نسب إلى الفرزدق فى الحماسة رقم٧٠٨ والمحاسن والمساوئ١/١٦٦ ، أمالى المرتضى ١/٤٨ ، زهر الآداب ١/ ٦٠ ، التبيان ١/ ١١٣ ، تأهيل الغريب ٢٥٧ ، لباب الآداب ١٠٨ ونسب إلى الحزين الدؤلى فى الوساطة ٢٩٦ . وقد سكت الجاحظ عن نسبته فى الحيوان ٣/ ١٣٣ . والبيان والتبيين ١/٣٧٠ ولم أعثر عليه فى ديوان الفرزدق .

(٣) ا ، ع : « وقال عند مسيره من أنطاكية » .

الواحدى ٣٨٦ : « وقال عند مسير سيف الدولة من أنطاكية وقد كثر المطر » .

التبيان ٣/ ٣ : « وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية » . الديوان ٢٥١ : « وقال عند مسيره، منها، وقد كان جاء المطر فى مسيره يوم السبت » العرف الطيب ٢٦٩ .

(٤) ق ، ب : « أتاك » ا : « تاك » مكان « تأن » .

(٥) ق ، ب : « ضمير » ساقطة .

يقول : أمهل أيها الملك الجليل ، وتوقف وعدّ وقوفك علينا من بعض صلاتك ونعمك[١] .

٢ – وَجُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ

وجودَك : نصب على تقدير : جُدْ جودَك ، فهو مصدر فى موضع الأمر كقوله تعالى : (فَضَرْبَ الرِّقَابِ)[٢] وكذلك «قليلا» أى ولو فعلته وجدْته[٣] ، فهو صفة لموصوف محذوف . ويجوز [١٧٦ – ب] نصبه على الحال . ويجوز أن يكون صفة لظرف محذوف . أى ولو زمانًا قليلا .

يقول : جد علينا بالمقام ولو زمانًا قليلا ، ثم احترز وقال : كل ما تجود به ليس بقليل ؛ لأن لنا فيه نفعًا كثيرًا .

٣– لِأَكْبِتَ حَاسِدًا وَأُرِى عَدُوًّا كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ والرَّحِيلُ

الكبت : القهر ، والإذلال . وأرِى : من الْوَرْى ، وهو داء الجوف . وقيل : معناه أضرب رِئته من قولهم : وَرَيْتُه أريه . كما تقول : رأيته[٤] .

يقول : جد علينا بالمقام ؛ لأكبتَ بذلك حاسدى ، وأمرض عدوى ؛[٥] لأنهما بغيضان[٦] عندى ، مثل وداعك وارتحالك .

٤ – وَيَهْدَأَ ذَا السَّحابُ فَقَدْ شَكَكْنَا أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَبِيلُ ؟

---

(١) ا : « ونعمك علينا » .

(٢) سورة محمد ٤٧/ ٤ .

(٣) ب : « أى لو فعلته أو وجدته » .

(٤) ق : « رأيته رأيته » مكرر . (٥) ا ، ق : « حاسداى وأمرض عدواى » .

(٦) ق ، ب : « يغيظان » تحريف .

« ويهدأ » عطف على ما تقدم : أى يسكن . و« تغلب »[١] رفع بالابتداء ، و« قبيل »[٢] خبره . وقيل « تغلب » خبر ابتداء محذوف .

يقول : أقم علينا حتى يسكن مطر هذا السحاب ، فإنا قد تشككنا فى أمر هذا المطر ، فلا ندرى أنه مطر ، أم قبيلك ؟ التى هى بنو تغلب . يعنى : أن جود هذا المطر يشبه جود بنى تغلب ، أى كثرة هذا المطر يشبه كثرتهم . والحيا : مقصور ، المطر العام .

٥- وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلاً فى سَمَاحٍ
فَهَا أَنَا فِى السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ

« له » قيل : تعود الهاء إلى المطر . ومعناه : أنى كنت أعيب كل من يعذل على السماح ، فلما كثر هذا المطر صرت أعذله على كثرة سماحه . وقيل : إن الهاء تعود إلى سيف الدولة يعنى : أنى أعذل سيف الدولة على كثرة سخائه بعد ما كنت أعيب من يعذل[٣] السخى على سخائه .

٦- وَمَا أَخْشَى نُبُوَّكَ عَنْ طَرِيقٍ
وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِى الصَّقِيلُ

« سيف الدولة » مبتدأ . و « الماضى » خبره . وهذه الجملة فى موضع نصب على الحال . والكاف فى قوله « نُبُوَّكَ » قيل : خطاب لسيف الدولة .

ومعناه : لم أقل لك أَقِمْ ، حتى يهدأ هذا السحاب ، لأنه يعوقك عن طريقك ، لأنى لا أخشى نُبوّك : أى كلالك[٤] وتقاعدك عن طريق تريد أن تسير فيه ، وأنت سيف الدولة ، وسيف الدولة لايكون إلا ماضيًا صقيلاً ، لاينبو عن شىء .

(١) تغلب : قبيلة الممدوح ، وهى تغلب بن وائل .

(٢) القبيل : العشيرة ، وهم من ولد أب واحد .

(٣) ا : « من عزل » . (٤) ق ، ب : « أى كلامك » تحريف .

وقيل : إنه خطاب للسحاب . ومعناه : لا أخشى انقطاعك عنا أيها السحاب وفقْدنا إياك فى طريق نسلكه ، إذا كان سيف الدولة ماضيًا صقيلاً ؛ لأنه ينوب عنك ويزيد [١] عليك .

٧– وَكُلُّ شَوَاةِ غِطْرِيفٍ تَمَنَّى
لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ

الشّواة : جلدة الرأس . والغِطريف : السيد . ومفرق الرأس : حيث يتفرق الشعر . وتمنى : الأصل فيه تَتَمنَّى ، فحذف إحدى التاءين .

يقول : إذا ارتحلت فكل سيّد يتمنى رأسه : أى مفرقه ، طريقًا لك ليشرف [٢] بك وينال بسببك رفعة .

٨– وَمِثْلِ الْعَمْقِ مَمْلوءًا دِمَاءً
مَشَتْ بِكَ فِى مَجَارِيهِ الْخُيُولُ

العَمق : الفجّ ، وهو الطريق الواسع فى الجبل . وقيل : موضع بالشام [٣] أوقع سيف الدولة فيها بالأعداء وقعة عظيمة . ويقال : هو موضع كثير الوحل . مَمْلوءًا : قيل نصب على التمييز ، وقيل : على [١٧٧ – ا] الحال . وروى بالرفع فيكون خبرًا عن « مِثْل » وروى بالجر فيكون بدلا من « العَمْق » .

يقول : كم من مواضع فى الحرب قد امتلأت بالدم فخاضت بك خيلك ، ومشت بك فى مجاريه ، فكيف بالوحل والمطر ؟ ! والهاء فى « مَجَارِيه » للعمق .

٩– إذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا
فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ

فأهون : مبتدأ . وما يمر به : صلة [٤] و« ما » بمعنى الذى . ويجوز أن تكون

(١) ا : « ويربك » .   (٢) ب ، ف : « ليتشرف » .
(٣) قال ياقوت : العمق : كورة بنواحى حلب بالشام .
(٤) ا : « صلته » .

نكرة موصوفة . يعني : فأهون شيء يمر به ، وفاعل « يمرّ » ضميره . و« الْوحول » خبر « أهْون » .

يقول : من تعوَّد خوض المنايا والحروب ، فخوض الوحل أهون شيء عليه .

١٠–وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ
أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ

الحزون ، والحزونة : جمع حَزْن ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع . وقيل : إن الحزونة مصدر مثل السهولة .

يقول : من رام[1] القلاع الحصينة والحصون المنيعة فلم يصعب عليه فتحها وأخذها حتى كأنها مأمورة له ، فكيف يصعب عليه السير فى حزن الأرض وسهلها ؟ !

١١–أَتَخْفُرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَالِى
وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ ؟ !

خفَرتُ الرجل خفَارة : إذا أجْرتَه وحفظته ، وأراد « من رمته الليالى » و« من دفنته الخُمول » فحذف الضمير . وتنشر : أى تُحيِى ، والخمول : خفاء الذكر والألف فى « أتخفر » للاستفهام ، والمراد به التقرير .

يقول : كل من رمتْه الليالى بشدائِدها فإنك تحفظه ، وكل من كان خامل الذكر فإنك ترفعه .

١٢–وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ
يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ ؟!

يقول : كيف يجوز أن ندعوك الحسام وأنت أعظم منه فعلا ؟! وليس حسام

---

(١) ا . « من أمره » .

يعيش به القتيل بعد الموت ! وأنت تحيى من قتله الفقر ، وترفع من خفضه الخمول [١] .

١٣–وَمَا لِلسَّيْفِ إلاَّ الْقَطْعَ فِعْلٌ
وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ

إلا القطع : نصب لأنه استثناء مقدم . أى ليس للسّيف فعل ، وأنت تقطع رقاب الأعداء ، وتبرُّ قصَّادك وتصل أولياءك وعشيرتك[٢] .

١٤–وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَّالُ : « صَبْرًا »
وَقَدْ فَنِىَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ

أى أنك تقول : صبرًا صبرًا ونصب « صبرا » [٣] على الحكاية ، فحكى ذلك اللفظ على إعرابه . وقيل : نصب بقوّال .

يقول : أنت الفارس الذى يصبّر أصحابه إذا اشتدت الحرب ، ولم يقدر الشجاع على الكلام ، ولا الفرس على الصهيل ، من التعب والخوف .

١٥–يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ
وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ

يقول : هيبتك ملأت قلوب الناس ، فمن بارزك تخذله يده وأقدامُه ، فيحيد الرمح عنك ويقصر ، فلا يصل إليك ، وإن كان طويلا . وقوله : « وفيه قصد » « وفيه طول » فى موضع نصب على الحال .

١٦–فَلَوْ قَدرَ السِّنَانُ عَلَى لسَانٍ [٤]
لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ

(١) ا ، ع : « ستره الخمول » . (٢) ا ، ع : « وعشيرتك » مهملة .
(٣) ق ، ب : « ونصب صبرا » ساقطة .
(٤) ا : « ولو قدر السنان على مقال » .

يقول : إن ما أقوله لو علمه من لا ينطق [١] لقال لك مثل ما أقول ، وأثنى عليك مثل ثنائى .

١٧– وَلَوْ جَازَ الْخُلودُ خَلَدْتَ فَرْدًا
وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ

[١٧٧ – ب] يقول : لو جاز أن يخلد أحد دائمًا فى هذه الدنيا ، لخلدت أنت وحدك ؛ إذ لا نظير لك ، ولكن الدنيا ليست بخليل تدوم .

(١٦٣)

وقال يرثى والدة سيف الدولة ، وقد ورد خبرها إلى أنطاكية فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٧هـ [٢] :

١ – نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والْعَوَالِى
وتَقْتُلُنَا المَنُونُ بِلاَ قِتَالِ

نعدّ : أى نجعل عدة . والمنون : الموت ، وأنثه ذهابًا به إلى المنية .

يقول : نحن نعد للمنون السيوف والرماح للقتال ، والموت يقتلنا قبل القتال ، فليس فيما نعده فائدة عند دنو الآجال كأنه من قوله تعالى : ﴿ أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [٣] .

---

(١) ا ، ع : « من ينطق » . والمشهور أن « من » للعاقل و « ما » لغير العاقل وقد يتبادلان :

(٢) فى ا ، خ ، ب ، ق . « فى جماد الأول سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة » . والتصويب من الواحدى ٣٨٨ : « وقال يرثى والدة سيف الدولة ويعزيه عنها فى سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة » . التبيان ٣/٨ : « وقال يرثى والدة سيف الدولة ، وقد توفيت بميا فارقين ، وجاء الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، وأنشده إياه فى جمادى الآخرة من السنة » . الديوان ٢٥٣ « وقال يرثى والدة سيف الدولة وقد ورد خبرها إلى أنطاكية فى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ويعزيه بها » العرف الطيب ٢٧١ .

(٣) سورة النساء ٤/٧٨ .

٢– وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ
وَمَا يُنْجِين مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي

نرتبط : أى نشد . والسوابق : الخيل . ومقْربات : أى مُدَنّيات من البيوت [1] والخبب : السير السريع .

يقول : نحن ترتبط السوابق لنهرب عليها ، إن جاءنا [2] حادث ، ولكن لا تنجينا من سير الليالى ، فإنها تدركنا لا محالة .

٣– وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا
وَلَكِنْ لاَ سَبِيلَ إِلَى وِصَالِ

يقول : إن الإنسان يعشق الدنيا [3] من قديم الدهر . يعنى : أن كل أحد يعشق الدنيا ويحب البقاء فيها [4] والخلوص من شوائبها [5] ، ولكن لا سبيل إلى ما يحب .

٤ – نَصِيبُكَ فِى حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ
نَصِيبُكَ فِى مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

« نصيبك » : الأول مبتدأ ، و[نَصِيبُكَ] الثانى خبره .

يقول : إن ما تناله من اللّذة والسرّور بقرب حبيبك لا حقيقه له ، وإنه لزائل ، كما لا حقيقة لماتراه فى المنام من خيالِ الحبيب ، فنصيبك منه عِيَانًا كنصيبك من خياله الذى ليس هو بشىء حقيقة .

٥ – رَمَانِى الدَّهْرُ بِالأَرْزَاءِ حَتَّى
فُؤَادِى فِى غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ

---

(١) وذلك إما لفرط الحاجة إليها ، وإما للضن بها لا ترسل إلى الرعى بل يأتون بالرعى إليها .
(٢) ا : « إذا جاءنا » . (٤) ا : « يعشق الدنيا والبقاء فيها » .
(٣) ا : « ولم يعشق الدنيا » تحريف . (٥) ا : « من سوآتها » .

يقول : إن الدهر رمانى بسهام مصيبة[1] ، حتى عمَتْ فؤادى وصار قلبى كأنه فى غطاء أو غشاء من سهام[2] .

٦- فَصِرْتُ إذَا أصابَتْنِى سِهَامٌ
تَكَسَّرَتْ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

يقول : إن سهام الدهر لم تدع فى قلبى موضعًا إلا وفيه سهم ، حتى كأنه إذا رمانى بسهامه وقع سهم على سهم آخر ، ولم يجد فى فؤادى مكانًا خاليًا ، فتكسرت السهام على السهام .

٧- وَهَانَ فَمَا أبَالى بِالرَّزَايَا
لأنِّى مَا انْتَفَعْتُ بِأنْ أبَالِى

معناه : وهان علىّ الدهر وحوادِثه . وقيل : هان علىّ ما ألقاه ، فأضمر الفاعل . وهان : أى خفّ .

يقول : خفّ علىّ أمور المصائب ، فلا أبالى بها ولا أجزع عند نزولها . أى لأنى ما انتفعت بما بليت قبل ذلك ، فكذلك لا أنتفع بالمبالاة فى المستقبل أيضا .

٨- وَهَذَا أوَّل النَّاعِين طُرًّا
لأوَّلِ مَيْتَةٍ فى ذَا الْجَلاَلِ

الناعى : المخبر بالموت . وطرًّا : نصب على المصدر ، وهو توكيد . ومَيْتَة : تخفيف مِيتَةٍ ، وروى مِيتة[3] . والجلال كالجلة . وذا : بمعنى هذا . والجلال : هو

---

(١) ا : « صائبة » .

(٢) ا ، ع : « قلبى كأنه فى غطاء لسهام من مصائبه » .

(٣) قال ابن فورجه : الرواية الصحيحة : « ميتة » بكسر الميم ، لأن : « المَيْتَة » بفتح الميم . كثر استعمالها فى الجيفة كقوله تعالى : (حرِّمتْ عليكُمُ المَيْتَةُ) ولا يخاطب أبا الطيب سيف الدولة بمثل هذا فى أمه ، وإنما يريد الحالة التى ماتت عليها . التبيان . وقال الواحدى لا وجه لما قال ابن فورجه لأن أبا الطيب أراد أول الأموات ، ولم يرد أول الأحوال .

مُلْك سيف الدولة .

يقول : هذا أول مخبر [١٧٨ - ا] خبّر بأول مصيبة فى هذه الدولة[١] ! يعنى : أنه لم ير فى ملكه [٢] شيئًا يكرَهه قبل هذه . وقيل معناه : لأول مِيتَةٍ فى هذا الجلال والعظمة .

٩- كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ
وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلوقٍ بِبَالِ

تقديره : لم يفجع أحدًا بنفس ، فحذف المفعول .

يقول : كأن هذه المصيبة لعظمها ، أنسَتْ كلَّ مصيبة كانت قبلها ، حتى كأن الموت لم يفجع أحدًا بموت أحد ، ولم يخطر على قلب أحد ، لعظم هذه المصيبة ، أو لأنه لم يمت له أحد قبلها . ومثله قول الآخر :

كأنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلمْ يَقُمْ
عَلَى أَحَدٍ إلاَّ عَلَيْكَ النَّوائِحُ[٣]

١٠-صَلاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ
عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجمَالِ

يقول داعيًا لها : إن صلاة الله عليك [٤] حتى تقوم مقام الحنوط للميت . وخص الوجه المكفن بالجمال : تشريفًا للوجه [٥] وهو عبارة عن جميع الشخص .

---

(١) زاد ا ، ع : « أى دولة سيف الدولة » .

(٢) الضمير يعود إلى سيف الدولة وإن كان غير مذكور .

(٣) تسب إلى أشجع السلمى فى الحماسة رقم ٢٨٠ تأهيل الغريب ٣١٠ ، زهر الآداب ٢٠٩/٣ ، والرواية فيه :

كَأنْ لمْ يمتْ ميتٌ سواه ولم تقم عَلَى أحدٍ إلاَّ عليه النَّوائحُ

(٤) ا ، ع : « إن صلاة الله أى ورحمته عليك » .

(٥) قال ابن وكيع : ووصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار . التبيان .

١١– عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّربِ صَوْنًا
وَقَبْلَ اللَّحْدِ فى كَرَمِ الْخِلاَلِ

على المدفون : بدل من قوله : « على الوجه » . ونصب صونًا : على التمييز .
يقول : إن رحمة الله على الميت الذى كان مدفونًا فى الصيانة والعفة [١] قبل أن يدفن فى التراب ، كذلك مدفونًا فى الخصال [٢] الكريمة قبل الدفن فى اللحد .
وروى : « قَبْلَ الْمَوتِ » بدل التُرْب .

١٢– فَإِنَّ لَه بِبَطْنِ الأَرْضِ شَخْصًا
جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِى

أى للمدفون « وذِكرُنَاه » أى ذكرنا له . وجديدًا : نصب صفة لشخص .
يقول : إن هذا الشخص ذِكْرُنَا له جديد ، وإن بلى فى التراب ومضى .

١٣– أَطَابَ النَّفسَ أَنَّكِ مِتِّ مَوتًا
تَمَنَّتْهُ الْبَوَاقِى وَالْخَوَالِى

فاعل أطاب : « أنك » ، وهو فى موضع رفع .
يقول : طيَّبَ نفسى ، ونفوس أوليائك ، موتُك فى العز والإكرام . ومثل هذا الموت ، فى مثل [٣] هذا العزّ مما يتمناه كل أحد من الأموات والأحياء [٤] .

١٤– وَزُلتِ وَلَمْ تَرَىْ يَوْمًا كَرِيهًا
تُسَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوالَ

يقول : طيّب نفسى أنك زُلت ومُتِّ من الدنيا مسرورة ولم تر فيها يوما مكروهًا يُتمنَّى فيه الموت .

(١) ، ع : « مدفونًا فى السَّتر والصيانة والعفة » .
(٢) ق ، ب : « فى الخلال » .
(٣) : « مثل » ساقطة .
(٤) ب ، ق : « أن يموتوا كذلك » زيادة ومكانها فى ا ، ع : « وبين ذلك فيما بعد » .

١٥- رِوَاقُ الْعِزِّ فَوقَكِ مُسْبَطِرٌّ
وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِي كَمَالِ

مسْبَطِرٌّ . أى ممتدّ طويل ، وروى « مستطيل »(١) .

يقول : لم تموتى حتى رأيتِ رواق عزّ ابنك ممتدًّا (٢) وملكه كاملاً .

وذكر ابن جنى وكثير ممن فسروا هذا الديوان : أن قوله : « مسبطرٌّ »(٣) لفظه مستقبحة خصوصًا فى النساء ، ولعلهم قالوا ذلك لما وقفوا على بيت لأبى الشمقمق(٤) وهو قوله :

مَرَرْتُ بِإِيرِ بَغْلٍ مُسْبَطِرٍّ فُوَيْقَ الْبَاعِ كَالْوَتَرِ الْمَطُوقِ(٥)

وليس كذلك ، لأن هذه اللفظة قد تستعمل فى غير هذا المعنى . فقد وصف أمر(٦) السَّيْر بها وقال : ومن سيْرها العَنَق(٧) المسبطرة(٨) وذكرها ذو الرمة فى الكواكب فقال[١٧٨ - ب] :

. . . . مِنَ(٩) اللَّيْلِ جَوْزٌ واسْبَطَرَّتْ كَواكِبُه(١٠)

---

(١) ب ، ق : « وروى مستطيل » ساقطة . (٢) ا ، خ : « رواق علىٍّ ابنك ممتدا » .

(٣) قال ابن عباد فى الكشف عن مساوئ المتنبى : « لعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق » الإبانة ٢٥٢ .

(٤) ا ، ب ، ق ، ع : « لابن الشهقهق » تحريف . وهو مروان بن محمد ، هجا كثيرًا من شعراء زمانه . وأبو الشمقمق : لقب غلب عليه ، والشمقمق : الطويل . ولقد هجا بشارًا وأبا العتاهية وبكر بن النطاح وأبا نواس وانظر القصة بينه وبين أبى نواس فى معاهد التنصيص ١/ ٩٢ ، وانظر ترجمته فى طبقات ابن المعتز ١٢٦ ، معجم الشعراء ٣١٩ ، الورقة ١١٦ .

(٥) له فى طبقات ابن المعتز أول أبيات أربع ص ١٢٦ ، وفى معاهد التنصيص ١/ ٩٢

(٦) ق : « أمر » مكانها بياض . ب : « أمس » .

(٧) العنق : ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسبطر . اللسان .

(٨) اسبطرت فى سيرها : أسرعت . اللسان . (٩) فى النسخ : « مضى » .

(١٠) هذا عجز بيت لذى الرمة ديوانه ٢/ ٨٥١ ، وخصائص ابن جنى ٢/ ٢٩٨ ، ورواية البيت : =

١٦–سَقَى مَثْواكِ غَادٍ فِي الْغَوَادِي
نَظِيرُ نَوالِ كَفِّكَ فِي النَّوَالِ

[١٧٨ – ب] يقول : سقى القبرَ الذى ثويتِ فيه سحابٌ غاد أى : مطر مدْرَار (١) يشْبه نوال كفك فى كثرته وغزارته ، فكما أن نوال كفك أغر من نوال غيرك ، فكذلك هذا السحاب أغرّ من كل سحاب .

١٧–لِسَاحِيهِ (٢) عَلَى الأَجْدَاثِ حَفْشٌ
كَأَيْدِ الْخَيْلِ أَبْصَرتِ الْمَخَالِى

الساحى : القاشر . والهاء فى « لساحية » تعود على قوله « غاد » والحفش (٣) : الأثر . وقيل : هو مصدر حفش السيل حفشاً : إذا جمع الماء من كل جانب . وقوله : كأيدى الخيل : أى كحفش أيدى الخيل ، فحذف المضاف . والمخالى . جمع مخلاة ، وهى وعاء يجعل فيه العلف (٤) .

يصف شدة وقع المطر الذى دعا لقبرها بسقياه فيقول : سق قبرك غادٍ : مطر يقشر عنه ويترك على القبر أثرًا مثل آثار أيدى الخيل إذا أبصرت المخالى ومثله . قول حميد (٥) :

= تلوَّم يَهْيَاهٍ بياهٍ وقد مضى من الليل جوز واسبطرت كواكبه

وفى شرح الديوان : جوز أى نصف ، وجوز كل شىء وسطه ، واسبطرت كواكبه : أى انبسطت للمغيب .

(١) ب ، ق : « أى مطرا مدرارا » . ا ، ع : « أى مطرًا درارا » .

(٢) فى النسخ : « لساجية » والمذكور من الشراح والديوان . والساحية : المطرة الشديدة التى تقشر وجه الأرض . اللسان .

(٣) ب ، ق : « الخفش » بالخاء المعجمة .

(٤) ا ، ع : « يجعل فيه الخلا » رواية إذ أن الخلا معناه : الحشيش الذى يحتش .

(٥) هو : حميد بن ثور الهلالى . شاعر مخضرم شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم ووفد على النبى ﷺ ومات فى خلافة عثمان ، عده الجمحى فى الطبقة الرابعة من الإسلاميين . الأغانى ٤/ ٣٥٦ ، الجمحى ٤٩٥ .

فسقَى ديارَكِ غيْرَ مفْسدِها صوبُ الغَمام[١] ودِيمةٌ تَهْمى

وروى تنم [٢] . وقيل : هو من قولهم : حفش المطر الأرض : إذا أظهر نباتها . كأنه يقول : سقى قبرك غادٍ . مطر ينبت النبات . ثم شبهه بفعل أيدى الخيل فى حالة مخصوصة ، إشارة إلى معنى المبالغة فى إنبات مايدعو الناس إلى الإقامة بها والحلول فيها ؛ لأنه كلما كان أشد كان أحسن لنباته . وقال ابن الأعرابى : حفشت [٣] السماء . إذا جاءت بمطر قليل ، وهذا مما يزيد الطعن .

١٨–أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجدٍ
وَمَا عَهْدِى بِمَجْدٍ مِنْكِ خَالى

يقول : لما فقدتكِ جعلت أسائل عنك كلَّ مجد ؛ لأن المجد كان قرينك ، وما رأيت مجدًا خاليًا منك ، وكان هو الأولى بأن يسأل .

١٩–يَمُرُّ بِقَبْرِكِ الْعَافى فَيَبْكِى
وَيَشْغَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ

يقول : إذا مر بقبرك من كان يقصدك ، بكى أسفا لفقدك ، فا شتغل ببكائه عن أن يسألك ، كما كانت عادته فى حياتك .

٢٠–وَمَا أَهْدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْه !
لَوْ أَنَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالِ

الهاء فى « عليه » للعافى .

يقول : ما أرشدكِ إلى الإجداء عليه ، والإنعام لديه ! لو قدرت على الفعل ،

---

(١) لم أعثر عليه فى ديوانه ونسبه الجرجانى فى الوساطة ٣٩٨ إلى طرفه ، وهو فى ديوان طرفه ٦٢ والروايه فيها « صوب الربيع » بدل : « صوب الغمام » وهى توافق نسخة ا من الأصول .

(٢) ق ـ ب : « وروى تنم » ساقطة .

(٣) ا ـ ب : « خشفت » .

ولكنك لاتقدرين على ذلك ، لأنك ميته .

٢١–بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوتِ ؟ فَإِنَّ قَلْبِي
وَإِنْ جَانَبْتُ أرْضَكِ غَيْرُ سَالِى

بعيشكِ : قسم على المتوفاة .

يقول : بعيشك ، ألا أخبرتيني : هل سلوت عني وطابت نفسك بَعْدى ؟! فإني وإن كنتُ بعيدًا عن أرضك غير صابر عنك .

وهذا قد ذكره على لسان سيف الدولة ، ولو لم يرد هذا المعنى لكان سوء أدب ! ويحكى عن أبي الطيب أنه أنكر هذا البيت وقال : إنه زيد في القصيدة ليفسد به حالى عند سيف الدولة .

٢٢–نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ
بَعُدْتِ عَنِ النُّعَامَى والشَّمَالِ

النُّعامى : الجنوب ، وقيل : كلّ ريح ، وقوله « بَعُدتِ » : أى بُعُدتِ فيه فحذف للعلم بذلك .

يقول : إنك قد نزلت على كراهة منك . وقيل : على كره منّا ، في مكان منعتِ فيه عن اللذات ، وفقد الحياة ، وتنسم رياح الجنوب والشمال !

٢٣–تُحَجَّبُ عَنْكِ رائِحةُ الْخُزَامَى
وَتُمْنَعُ مِنْكِ أنْدَاءُ الطِّلَالِ

[١٧٩ – ا] الخزامى : نبت طيب الرائحة[١] . وروى : « الظلال والطلال » بالظاء والطاء . ومعناه : إنك فقدت لذّات الدنيا لفقدك الحياة[٢] .

(١) ا ، ع : « نبت طيب الرائحة » مكانها بياض .

(٢) يقول : روائح الأزهار محجوبة عنك ، وكذلك ندى الأمطار ؛ لأن المقبور ممنوع من هذه الأشياء التي ذكرها .

٢٤- بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ
طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُّ الْحِبَالِ

يقول : نزلت بدار كلّ ساكنها غريب ، لأنه لم يكن به أحد قط ، ولأنه منفرد لا يزوره أحد ، وكل ساكنها طويل الهجر ، لا يرجع إلى يوم الحشر ، وهو منقطع الأسباب ، إذ لا وصل بين الأحياء والأموات .

وقيل : أراد بقوله : « منبَتّ الحبال » انبتات المودة كما قال أبو نواس :

وجَاوَرْتُ قومًا لا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ ... وَلا وَصْلَ إلاَّ أَنْ يَكُونَ نُشُورُ[1]

٢٥- حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُزْنِ فِيهِ
كَتُومُ السِّرِّ صادِقَةُ الْمَقَالِ

حَصَانٌ بفتح الحاء : أي عفيفة . والهاء في « فيه » ترجع إلى المكان في قوله : « نزلت على الكراهةِ في مكان » . وقيل : ترجع إلى « المزن » يعني مثل ماء المزن في المزن قبل مفارقتها إياه .

يمدحها بالعفة والطهارة وكتمان السر وصدق القول . وشبهها في طهارة أخلاقها بالماء مادام في السحاب لا يلحقه دنس ولا كدر . وقيل في قوله : « صادقة المقال » لأنها لاتقارب ريبة فتحتاج إلى العذر .

٢٦- يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ الشَّكَايَا
وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ الْمَعَالِي

يعللها : أي يداويها . وعلَّلْتُ المريض : إذا أقمت عليه في علته . النطاسيّ : الطبيب الفطن . والشَّكايا : جمع شكية وهي ما يشكوه من مرض وغيره وأراد[2] بواحدها : سيف الدولة والهاء : للمتوفاة .

---

(١) ديوانه ٤٨٠ .

(٢) ق : « ولو أراد » .

يقول : إن طبيب الأمراض كان يداويها ، وكذلك واحدها : أى ابنها الذى هو طبيب المعالى . أى أنه إذا وقع الخلل فى المعالى سده برأيه [١] .

٢٧–إذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ
سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ

يقول : إنه طبيب المعالى ، فإذا وصف له داء بثغر من ثغور المسلمين ، سقاه الأسنة وداواه بها حتى يشفيه كما يشفى الطبيب من الأمراض بالعقاقير والأدوية ومثله لأبى تمام :

وَقَدْ نُكِسَ الثَّغْرُ فَابْعَثْ لَهُ صُدُور الْقَنَا لابتغاء الشِّفَاءِ [٢]

٢٨–وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ وَلاَ اللَّوَاتِى
تُعَدُّ لَهَا الْقُبورُ مِنَ الْحِجَالِ

يقول : ليست من النساء اللواتى تكون القبور [٣] سترا لهن ، ويُعدّ موتهن كرامة ، لأنها كانت كاملة الخصال ، شريفة الخلال ، ليس لها نقص النساء الذى يحتاج إلى الستر بالقبر . وهذا كأنه من الخبر ، وهو قوله : « دفن البنات من المكرمات » [٤] .

٢٩–وَلاَ مَنْ فى جَنَازَتِها تِجارٌ
يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضُ النِّعَالِ

يقول : ليست هى من نساء العامة التى يحضر جنازتها التجّار [٥] فإذا دفنوها

(١) ا . ع زادتا : « يعنى ابنها سيف الدولة » .

(٢) ديوانه ٤/ ٣٣ . الواحدى ٣٩٢ . التبيان ٣/ ١٦ وروايته : « فى ابتغاء الدواء » .

(٣) ا . ع : « التى يكون القبر » .

(٤) فى همع الهوامع ٢٠٩ : « دفن البنات من المكرمات » وسمع : « دفن البناه من المكرماه » فى لغة طيىء وفى النسخ : « دفن النساء من المكرمات » .

(٥) ا : « التى يحضرها التجار » .

ودّعوها نفضوا نعالهم وانصرفوا عنها .

٣٠-مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً
كَأَنَّ الْمَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّئَالِ

المَرْو : جمع مروة ، وهى حجر أبيض . والزِّفة : الريش تحت الجناح للطائر [١] وهو ألين ما يكون من الأشياء . والرئال : جمع الرأل وهو فرخ النعام [٢].

يقول : مشت الأمراء والملوك حول نعشها حفاة [١٧٩ – ب] فلم يشعروا بخشونة الأحجار على أقدامهم الناعمة حزنًا بها ، حتى كأن الحجارة كانت عندهم فى اللين كزِفّ أفراخ النعام .

وقيل : إنهم لكثرتهم وشدة وطئهم على الحجارة وقلة مبالاتهم بها ، صارت الأحجار مسحوقة لينة كريش النعام .

٣١-وَأَبْرَزَتِ الْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ
يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الْغَوَالِى

أبرزت : أى أظهرت . والخدور : الستور ، وهى الفاعلة . ومخبّآت : أى مخدَّرات ، وهى المفعولة ، والمراد بالنِّقْس [المداد ، وهو السواد] [٣] . والغالية : هى المسك والعنبر معجونان .

يقول : إن النساء المخبّآت فى الخدور برزن من خدورهن ووضعن المداد على خدودهن وشعورهن ، ومواضعَ كنّ يضعْن فيها الغوالى [٤] .

٣٢-أَتَتْهُنَّ الْمُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ
فَدَمْعُ الْحُزْنِ فِى دَمْعِ الدَّلَالِ

(١) ا : « تحت جناح الطير » .

(٢) ا ، ع : زادتا : « وزفه لين » .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة يقضيها النص عن الواحدى والتبيان .

(٤) ق ، ب زادتا : « وغيرها » .

وروى : المصائِب . يقول : إن هذه المصيبة أتت هؤلاء المخبآت(١) وهن غافلات فى السرور والدلال ، بحيث كانت عيونهنّ تدمع من السرور ، لحياة هذه المتوفاة [و] لوجوه أخَرَ من المسرات ، فأتتهن المصيبة فجأة فأخرجت من عيونهن دمع الحزن واختلط بدمع الفرح .

٣٣–وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

معناه ظاهر ، وكونها كانت أفضل من الرجال ، لما لها من زيادة العقل والرأى الكامل ، والخصال الفاضلة . وروى : « لَفَضَّلْتُ النِّساء » وذلك يلائم قوله : « فَقَدْنَا » فيكون كل واحد إخبار عن النفس . ويحكى عن سيد المؤيّد ؟ قدس الله روحه (٢) . قال : كنت أقرأ هذه القصيدة على المتنبى فقرأت « لفُضِّلت » على ما لم يسم فاعله فرد علىّ فقال : أما أنا فلم أقل إلا « فَضَّلْتُ » على أن يكون الفعل لى . وهذا يؤيد ماذكرناه من الرواية .

٣٤–وَمَا التَّأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلاَ التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ

يقول : لا اعتبار بالتذكير والتأنيث ، وإنما الاعتبار بالفضل والنقص ، فالهلال مذكرّ ، والشمس مؤنّث ، ومع ذلك الشمس أفضل من الهلال .

٣٥–وَأَفْجعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا
قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ

يقول : أعظم مِنْ فجائع المفقودين فجيعة مَنْ وجدناه قبل الموت وحيداً لا نظير له يخلفه .

(١) عباره ا ، ع : « أتت هذه المصيبة هؤلاء المخبآت » .

(٢) ا ، ع : « ويروى عن سيد المؤيد بالله ؟ قدس الله روحه » .

٣٦- يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعضًا وَيَمْشِي
أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الأَوَالِي

الأوالى : مقلوب من الأوائل ، فقدم اللام وأخر الهمز ، ثم أبدلها ياء ، فصارت كالقاضي .

يقول : الحي يدفن الميت ، والآخر يمشي على هام الأول .

٣٧- وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّواحِي
كَحِيلٍ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ

الجندل : الصخر . يقول : كم عين كانت مقبلة النواحي ، أضحت مكحَّلة (1) بالرمل والحجر تحت التراب .

٣٨- وَمُغْضٍ كَانَ لاَ يُغْضِي لِخَطْبٍ
وبالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي الْهُزَالِ

يقول : كم رجلٍ مغض : خاشع الطرف لأجل الموت . وقد كان لايغضي لخطب من خطوب الدهر ؛ لعزته ومنعته ، وكم رجلٍ قد بلي تحت [١٨٠ – ا] التراب وتمزقت أوصاله ، وقد كان يتفكر في هزال نفسه ، ويطلب صلاح جسمه .

٣٩- أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ
وَأَيْنَ (2) بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ ؟!

يقول : ياسيف الدولة ، استعن بصبرك الذي هو كالجبال الثوابت ، على هذه المصيبة العظيمة . ومن أين للجبال مثل صبرك ؟!

٤٠- وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّي
وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السِّجَالِ

(1) أ : « كانت مقبلة النواحي لكرامتها كحلت » ق : « أضحكت » مكانه : « أضحت » .

(2) في الديوان والواحدي والتبيان : « وكيف » .

الحرب السجال : مَرَّةً لهؤلاء ، ومَرَّةً لهؤلاء[١] مأخوذ من المساجلة : وهو المغالبة فى جذب الدّلو ، والسّجل : الدلو العظيم[٢] .

يقول : لانحتاج أن نعزيك على مصائبك ؛ لأنك تُعلِّم الناس التصبر وتعلمهم خوض المنايا فى الحروب العظيمة[٣] .

٤١–وَحَالاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى
وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِى كُلِّ حَالِ

ذكَّر الحال فى قوله : « وحالك واحد فى كل حال »[٤] لأنه يذكَّر ويؤنَّث.

يقول : أحوال الزمان عليك متفرقة ومختلفة ، ولا يزعجك منها شىء ، ولا يغيرك عن حالك من الصبر والثبات والحلم والوقار فى جميع الأوقات[٥] .

٤٢–فَلاَ غِيضَتْ بِحَارُكَ يَاجَمُومًا[٦]
عَلَى عَلَلِ الْغَرَائِبِ والدِّخَالِ

غيضت : أى نقصت . والجموم : الكثير . والعَلل : الشربة الثانية . والغرائب : جمع غريبة ، وهى الناقة تدخل فى الإبل وليست منها . والدّخال : جمع دخل ، وهو أن يدخل بعير قد شَرب بين بعيرين لم يشْرَبا يساعدهما على الشُرب .

يقول : لانقص الله من جمام بحارك ، على كثرة مايرد عليها من غرائب المصائب ، وتكرير الحوادث ، وهذا مثَل . والمراد : لانقص الله صبرك بكثرة ما يصيبك من حوادث الأيام . فشبه سيف الدولة بالبحر الكثير الماء ، وحوادث الأيام بإبل ترد عليه مرة بعد أخرى .

---

(١) ا : « لأولئك » . (٢) ا : « العظيمة » .
(٣) ب ، ق : « تعلم الناس الصبر وخوض المنايا فى الحرب العظيمة » .
(٤) ب ، ق : « وحالك واحد فى كل حال » مهملة .
(٥) ا ، ع : « فى جميع الأحوال والأوقات » . (٦) « ياجهوما »

وقيل معناه : لانقص جودك على كثرة من يرده ممن لا يستحقه ، كما أن الغرائب والدخال لايستحق ورود الحوض ، إذ الغرائب ليست من إبل هذا الحوض ، والدخال قد شربت مرة . وقيل معناه : أنك كثير العطاء لمن هو مقيم عندك وهو المراد بالدخال ، ولمن يرد عليك من مكانٍ آخر وهو المراد بالغرائب ، وهذا أبلغ من قول الكميت (١) :

أُنَاسٌ إِذَا وَرَدَتَ بَحْرَهُمُ صَوادِى الْغَرائِب لَمْ تَقْرب

٤٣–رأَيْتُكَ فِى الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا
كَـأَنَّكَ مُسْـتَـقِيـمٌ فِى مُـحَالِ

يقول : أراك بين الملوك كالمعنى المستقيم ، والكلام المستقيم ، والأمر المستقيم ، الظاهر إلى جنب المستحيل الفاسد ، أى أنك الملك على الحقيقة وغيرك من الملوك اسم بلا جسم .

٤٤–فَإِنْ تَفِقِ (٢) الأَنامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

المسك للظبى : بمنزلة الحيض للنساء . وقيل : لا يكون إلا فى إناثها(٣) . يقول : إن فضلت الأنام (٤) وعلوتهم وأنت من جملتهم (٥) فليس ذلك

(١) هو : الكميت بن زيد الأسدى ، كان فى أيام الدولة الأموية ولم يدرك العباسية وكان مشهورا بالتشيع لبنى هاشم ، وكان من أهل الكوفة ، وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع لشاعر فكان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وفارساً شجاعاً سخيًّا راميًا مات سنة ١٢٦ وأشهر شعره الهاشميات . الأغانى ١٦/١ ، الشعر والشعراء ٥٦٢ ، خزانة الأدب ١/ ٦٩ – ٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، الموشح ١٩١ – ١٩٨ ، معاهد التنصيص ٣/ ٩٣ .

(٢) ا : « وإن تفق » .

(٣) « إناث الظباء » .

(٤) ا : « النساء » .

(٥) ا : « وأنت من حملة الناس » .

بعجب فإن المسك دم ، ولكن يخالف سائر الدماء [١] ريحًا وطبعًا .

وهذا من اختراعات أبي الطيب وفرائده . وقوله « فإن تفق » شرط «وأنت منهم » حال . فإن المسك جواب الشرط .

(١٦٤)

وقال[٢] يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل : تغلب بن داود بن حمدان [٣] لما أسره الخارجيُّ الناجم من كلْب . ويصف قتل الخارجيّ [٤] .

وكان أبو وائل قد ضمن لهم ، وهو في الأسر خيلا طلبوا منها : العروس [٥] ومالا اشترطوه عليه وأقاموا ينتظرون وصول ذلك [٦] فصبحهم سيف الدولة بالجيش فأبادهم ، وقتل الخارجي في شهر شعبان [٧] سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة .

---

(١) ا : « ولكن مخالف للدماء » .

(٢) الواحدي ٣٦٥ : « وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود ، لما أسره الخارجيّ في كلب ، وقتل الخارجي في شعبان سنة سبع وثلاثين وثلث مئة » . التبيان ٣/ ٢١ : « وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود من الأسر » العرف الطيب ٢٧٦ . الديوان ٢٥٨ تتفق روايته ورواية ا وهناك الفروق .

(٣) ابن عمّ سيف الدولة . كان أبو وائل تغلب بن داود بن حمدان يتولى حمص لابن عمه سيف الدولة . نخب تاريخية ٢٢٠ التبيان ٣/٢٣ .

(٤) ا : والديوان : « ويصف قتل الخارجي » مهملة .

كان ظهر في العرب رجل يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه والتفت عليه القبائل وافتتح مدائن من أطراف الشام وأسر أبا وائل والزمه شراء نفسه بعددٍ من الخيل وجملة من المال ، فأسرى سيف الدولة ، من حلب يغذ السير حتّى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق وأوقع به فقتله ووضع السيف في أصحابه فلم ينج إلا من سبق به فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل بين يديه رأس الخارجي على رمح . نخب تاريخية ٢٢٣ .

(٥) الديوان : « العروس وابن العروس » .

(٦) ا : والديوان : « وصول الخيل والمال » . (٧) ب : « رمضان » تحريف سماع .

١ - إلامَ طَمَاعِيَةُ الْعَاذِلِ
وَلاَ رَأْيَ فِى الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ ؟

« إلى » من حروف الجر دخلت على « ما » الاستفهامية، ثم حذف منها الألف وجعلت مع « إلى » بمنزلة اسم . ومعناه : إلى أى شيء . وقيل إلى متى « والطماعية » مصدر كالطمع وهي مخففة إليه [1].

يقول : إلى متى يطمع العاذل فى رجوعى عن الهوى ، والعاقل إذا ابتلى فى الهوى فَقَدْ فَقَدَ رأيه [2] وزال عقله .

٢ - يُرادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسيَانُكُمْ
وَتأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ [3]

يقول : إنى مطبوع على حبكم ، ومجبول على هواكم ، والعاذل يريد منى أن أنساكم ، وهذا محال ، لأن الطبع لايقدر أحد أن ينقله إلى غيره ، ويغيره عما هو عليه . ومثله قول الآخر :

لاتَحْسَبُونِى عَنْكُمْ مُقَصِّرا إنِّى عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعُ [4]

٣ - وَإنِّى لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولِى وَكُلَّ امْرِئٍ نَاحِلِ

أعشَق : يجوز أن يكون فعلا مضارعًا ، من « عشِقْت » ويكون « كلَّ » منصوبا عطفًا على « نحولى » وهو فى موضع النصب .

ومعناه : أنى من فرط عشقى لكم أعشق نحولى ، وأعشق كلَّ عاشق مثلى ناحل؛

---

(١) ا ، ع زادتا من : « إلى من حروف الجر ... مخففة إليه » .

(٢) ا : « فقد » الأولى ساقطة ق : « رأيه ساقطة .

(٣) ب : سقط هذا البيت مع بقاء شرحه .

(٤) نسب إلى العباس بن الأحنف فى الوساطة ٣٢٢ . الواحدى ٣٦٥ . والتبيان ٣/ ٢٢ . والنهاية : « لا تحسبنى » البيت . وهو فى ديوان العباس ٩٨ ومحاضرات الأدباء ٢/ ٤٤ وصدره : « لا تحسبنى ماذقا فى الهوى » .

مثل نحولى ، للمشاكلة التى بيننا . ويجوز أن يكون « أَعْشَق »[١] أفعل تفضيل و « كلّ » يكون مجرورًا عطف على الياء فى « نحولى » . ومعناه : أنى أعشق لكم . أى أشد عشقا لكم من عشقكم نحولى ونحول كل فتى ناحل . يعنى : أنكم تعشقون نحولى ونحول كل عاشق ، وعشقى لكم أشدّ من عشقكم نحولى ونحول كل فتى هذه صفته .

٤ – وَلَوْ زِلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ
بَكَيْتُ عَلَى حُبِّىَ الزَّائِلِ

يقول : لو فارقتمونى – وفراقكم دال على زوالُ[٢] حبِّىَ ثم لم أبلك لفراقكم ، لبكيت على حبى الزائل ؛ لأنى أحبّ حبّى لكم ، فإذا زال ساءنى زواله فأبكى له ، وإن لم أبك لفراقكم ، ويجوز أن يكون « بكيت » دعاء على نفسه . أى : إن لم أبك لكم ، جعل الله حبكم زائلا عنى حتى أبكى عليه .

٥ – أَيُنْكِرُ خَدِّى دُمُوعِى وَقَدْ
جَرَتْ مِنْهُ فِى مَسْلَكٍ سَابِلِ ؟

قيل : سابل بمعنى مسبول : أى مسلوك للمارة . وقيل : سابل[٣] : أى عامر بالمارة والهاء فى « منه » للخدّ .

يقول : إن خدى لاينكر دموعى السابلة عليه ؛ لأنها لم تزل تسيل على الخد حتى صار فيه طريق سابل ، فهذا الذى يجرى الآن يجرى فى ذلك الطريق المسلوك .

وروى : « فى مسلك سائل » يقال : هذا المكان سائل الماء . أى يسيل عليه الماء .

(١) ا ، ع : « أعشق » مهملة .

(٢) ب ، ف : « دال على زوالى » .

(٣) ف ، ب : « قيل : سائل بمعنى مسئول ، وقيل سائل » .

٦- أأَوَّلُ دَمْــعٍ جَــرَى فَوقَــهُ ؟
وَأَوَّلُ حُــزْنٍ عَــلَى رَاحِــلِ ؟

يقول : ليس هذا بأول دمع جرى ، لأنى كثيرًا ما ابتليت بذلك ، وليس الحُزن الآن [1] بأول حزن على حبيب راحل ، لأنى قد تجرعت من غمومه غير [١٨١ – ا] مرة .

وقيل معناه : لست أول عاشق بكى من الفراق وحزن من ألم الشوق ، وقد كان قبلى عشّاق يبكون ويحزنون على فراق الأحبة .

٧- وَهَــبتُ السُّــلُوَّ لِــمَنْ لاَمَــنِى
وَبِتُّ مِنَ الشَّوقِ فى شَاغِلِ

يقول : تركت السلوّ على من لامنى ، ويأمرنى بالسلوّ ، ويعذلنى عليه ، واشتغلت بما أنا فيه من الوجد والشوق والمحبة [2] .

٨- كَـأَنَّ الْجُفُـونَ عَلَى مُقْلَتِى
ثِـيَـابٌ شُـقِقْـنَ عَـلَى ثَـاكِـلِ

يقول : كأن جفونى على مقلتى – لِتَبَاعُدِ ما بين الجفون من شدة السهر – ثياب شققن على ثاكل ؛ لأنها إذا شقت تباعد ما بين جانبى المشقّق .

٩- وَلو كُنْتُ فى أَسْرِ غيْر الْهَوَى
ضَـمِـنْتُ ضَـمَـانَ أَبِـى وَائِـل

يقول : لو كنت أسيرًا كسائر الأسارى . الذين يكونون فى أيدى الأعادى لضمنت لَهم [3] من المال ماضمنه أبو وائِل ، واستعنت بسيف الدولة ليخلصنى من

(١) ا ، ب : « وليس الحزن الذى الآن » .

(٢) ا ، ع : « والمحبة » مهملة .

(٣) فى النسخ : «لضمنت منهم » .

الأسر ، ولكنى أسير الهوى ، فلا أقدر على الخلاص منه ، ولا أقهره بشدة ولاقوة .

١٠-فَدَى نَفْسَهُ بِضَمانِ النُّضارِ
وَأعطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ

يقول : فدى نفسه أبو وائل من الخارجىّ بأن ضمن لهم الذهب ، وأعطاهم صدور القنا التى جاء بها سيف الدولة حين استنقذه من يديه[1] .

١١-وَمَنَّاهُمُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَ بِكلِّ فَتًى باسِلِ

مجنوبة : أى مقودة جنب الفارس[2] .

يقول : منّاهم أبو وائل الخيل مقودة ليفدى بها نفسه فجاءتهم الخيل بكل فارس شجاع يضرب رءوسهم ويهلكهم .

١٢-كأنَّ خَلاصَ أبى وَائِلٍ مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الآفِلِ

شبه أسره وخلاصه بالقمر إذا غاب ثم طلع . يعنى عاد كالقمر ، وهو فى نوره كما كان .

١٣-دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ
عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ

يقول لسيف الدولة : إن أبا وائِل دعاك لتخلصه ، فسمعت دعاءه ثم قال : « فكم ساكت » أى أنك تراعى أمر القريب[3] منك وأمر البعيد الذى لا يسألك[4] مراعاته ، فكأنه فى سكوته استجارك كالناطق ؛ لأن معونتك تعم الخاص والعام .

(١) ا : « من يده » .

(٢) ب ، ق : « جنب الفارس » مهملة وفى التبيان. مجنونة . أى ليس عليها فرسان وإنما تجنب للحاجة إليها فلا تركب إلا وقت الحرب لكرمها .

(٣) « الغريب » .

(٤) ب ، ق : « لايشتكك » .

١٤-فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فى[(١)] جَحْفَلٍ لَـهُ ضـامِنٍ وَبِـهِ كَـافِـلِ

ضامنٍ وكافلٍ : نعت لجحفلٍ .

يقول : لما دعاك لبيته بنفسك فى عسكر ضامنٍ لأبى وائِل ، وكافلٍ به ، فخلصته من يد الخارجىّ ، ولم يكن هناك دعاء ولا إجابة ، ولكنه جعل وقوعه فى يد الخارجى دعاء منه ، وخروج سيف الدولة إجابة منه إياه .

١٥-خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فى عَارِضٍ
وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فى وَابِلِ

خرجن : أى الخيل . والركض : الضرب بالرجْل جنبَ الدابة .

يقول : إن الخيل لما رُكِضت ، ثار الغبار مثل السحاب ، وسال عرقها مثل المطر الوابل .

١٦-فَـلَـمَّـا نَشِـفْـنَ لَـقِـيـنَ السِّـيـاطَ
بِـمِـثْـلِ صَـفَـا الْـبَـلَـدِ الْـمَـاحِـلِ

[١٨١ – ب] نشفن : أى جف العرق عنهن[(٢)] . والصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة البيضاء . والبلد الماحل : المجدب ، فحجره أصلب .

يقول : إنها لما عرقت الخيل علاها الغبار ، وتلبّد التراب عليها ، فلما جف عرقها أشبهت جلودها الصفاء ؛ لصلابتها ، فوقعت السياط على جلودٍ هذه صفتها ، وإنما خصّ البلد الماحل قيل : لأن أحجارها أصلب من غيرها . وقيل : هذا لا معنى له وأنها لا تتغير ، وإنما خصها لأنها أكثر غباراً من البلد الكثيرة الرّى ، فشبه تراكم الغبار على جلودها فى صلابتها بصفاء البلد الكثيرة التراب .

١٧-شَفَنَّ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبْـ ـنَ قَبْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ

---

(١) ب : « فكيته بكافى » .

(٢) ا : « أى جف عرقهن » .

شَفَنَّ : أى نظرن . والشفون : النظر .

يقول : إن الخيل سارت خمس ليال لم ينزل عنها فارس ، فنظرت هذه الخيل إلى من طلبته من العدو ، بعد خمس ليال ، قبل نظرها إلى نازل عن ظهرها ؛ وذلك لأن فرسانها واصلوا سيرها حتى أدركوا مقصودهم ولم ينزلوا عنها حتى لحقوا الخارجى .

١٨– فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الْبَرَى عَلَى ثِقَةٍ بالدَّمِ الْغَاسِلِ[1]

روى : البرى والثرى .

يقول : قاربت مرافقهن التراب وخالطته عند العدْو ، ووثقت أن دم العدُو يغسل هذه المرافق من التراب الذى عليها . ويجوز أن يكون «دانت» بمعنى أطاعت مرافقهن التراب ، لأنها وثقت أن الدم يغسلها .

١٩– وَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْمُسْتَغِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتَىِ الْبَائِلِ

الكاذة : لحم الفخذ .

يقول : إن الفرس التى تطلب الغارة قد اتسع ما بين فخذيه ، من شدة العدْو ، مثل ما بينهما إذا أراد أن يبول .

وقيل : أراد بالمستغير . الخارجى ؛ لأنه كالطالب لهذه الغارة من خيل سيف الدولة .

فيقول : الدم الذى يترشش بين لحمتى فخذ الخارجى أو فخذ فرسه كَانَ كالبول : أى يترشش على هذه المواضع عند البول .

٢٠– فَلُقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ

المصبوحة : التى سقيت اللبن وقت الصبح . «والشائل» : التى لا لبن لها ، «والشائلة» : التى حملت وقل لبنها[2] .

(١) ب ، ق : سقط هذا البيت وشرحه .

(٢) ب ، ق : «والشائل : التى لا لبن لها أو التى حملت وقل لبنها» .

قال ابن جنى : قلت للمتنبى : إن « الشائِل » هى التى لا لبن لها ، وأنت تريد ما لها لبن ، والتى لها لبن قليل يقول لها : « الشائِلة ». فقال أردت الهاء فحذفتها كقول الشاعر :

إِنَّا بَنُو عَمِّكُمْ لاَ أَنْ نُبَاعِدَكُمْ وَلاَ نُحَارِبَكُمْ إِلاَّ عَلَى نَاجِى

فإنه أراد : ناجية . فسألته عن غرضه . فى ذلك ، فقال : إن الناقة إذا قلّ لبنها ، ونجع فى شاربه[1] ، فلا يسقونها إلا كرام خيولهم .

فكأنه يقول : إن خيول سيف الدولة « لُقِّين » أى لقيت خيله فى جيش الخارجى كلّ رمح ردينىّ ، وكل فرس مصبوح لبنَ الشائِل . التى جف لبنها . وقيل أراد بالشائِل : التى لا لبن لها أصلاً . ومعناه : أنها لا تطعم فتلزم الطوى توفيراً لها على العدْو .

٢١–وَجَيْشِ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الإمَامَةِ فِى الْبَاطِلِ

أى : ولقِّين خيلُ سيف الدولة ، جيشَ إمام فى الباطل دون الحق . وكان الخارجى يدّعى الإمامة[2] .

٢٢–فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ

ينحزن : أى يجتمعن ، من قولك انحاز القوم إلى ناحية . إذا التجئوا إليها .

وقيل : يتفرقن يميناً [١٨٢ – ا] وشمالاً ، تذهب كل فرقة إلى حيزة .

وقيل : هو من نحزْت الناقة برجلى : إذا ركلتها . أى أنهنّ يركلْن بأرجلهنّ ، قدّامه : أى قدام الخارجىّ ، والعاسل الذى يخرج العسل .

يقول : إن خيل الخارجى[3] رأوا جماعات لها ضجيج ونفْر ، فشبههم بالنحل . وشبه الخارجى بالعاسِل . والنحل عند معالجة العاسِل[4] ، يكون لها

(١) ق ، ب : إن الناقة إذا شل لبنها وقد جف لبنها وتجمع فى شاربه » .

(٢) الإمامة : الرئاسة فى الدين والدنيا . تعريفات الجرجانى .

(٣) ق ، ب : « والعاسل . . . الخارجى » ساقط انتقال نظر .

(٤) ق ، ب : « الناحل لها » .

ضجيج ونفر فى وجه العاسل .

وقيل معناه : أقبلتْ خيلُ الخارجى – لما رأت جيشَ سيف الدولة – تتفرق عنه وتسلمه إلى سيف الدولة ، كما يسلم النحلُ العسلَ ويتفرق[1] عنه ، إذا دخل عليه العاسلُ .

فعلى هذا : «العاسل» : سيف الدولة ، والنحل : جيش الخارجى .

٢٣–فَلَمَّا بَدَوْتَ لأَصْحَابِهِ رَأَتْ أُسْدُهَا آكِلَ الآكِلِ

يقول لسيف الدولة : لما ظهرت لأصحاب الخارجىّ ، وكانوا كالأسود رأوْا منك أَسَدًا يأكل كلَّ أسدٍ آكلٍ لهم . فكل أسْدٍ آكلة لهم يأكلهم ويفنيهم .

٢٤–بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَائِرٍ لَهُ فِيهِمُ قِسْمَةُ العَادِلِ

«له» أى للضرب . والباء متعلق بقوله : «آكل الآكل» . أى يأكلهم «بضربٍ» . جعل الضرب مجاوزاً للحدّ ، خارجاً عن المعتاد . وقوله : «قسْمة العادل» . فيه وجوه :

أحدها : قيل معناه : أنه عدْل ، لأنه قرْبة إلى الله تعالى ، لأنهم خوارج على إمامهم .

والثانى : أنه كان عدلا لخصوصه بالشجعان .

والثالث : أنه مقسوم بينهم على سواء[2] ، له فى كل واحد منهم حصة مثل حصة الآخر ، ولم يفت منه أحد ، فهو عدْل من هذا الوجه .

والرابع : أنه كان عدلاً من حيث أنه جعل كل واحد منهم بنصفين على سواء ، فكانت صورة القسمة النَّصَفة .

٢٥–وَطَعْنٍ يُجَمِّعُ شُذَّانَهُمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الحَافِلِ

روى : «شذّاذَهم» بذالين ، «وشذّانهم» بذال ونون ، أى المتفرقون .

---

(١) ق ، ب : «وينفر» (٢) ا : «سؤاله» .

يقول : إن سيف الدولة كان يطعنهم طعناً يجتمع عليه المتفرقون ، ويتعجبون من سعتها ، كما يجتمع [الدَّرّ][١] في الضّرع الحافل ، ووجه التشبيه أنهم يجتمعون عليه واحداً واحداً وينضم واحد إلى آخر ، كما تجتمع الدِّرة شيئا فشيئًا . وقيل : أراد أن خيل الخارجي من شدة الطعن تجمّعوا ليتّقوا كما يجتمع الدرة في الضرع الحافل[٢] .

٢٦–إِذَا مَا نظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ

أي عن مذهب مثل الراجل .

يقول : إذا نظرت إلى فارس منهم خَذَلَتْه نفسه ، وبقى متحيراً لا يقدر على أن يسير مثل سير الراجل[٣] ، ولا أن يذهب مثل مذهبه .

٢٧–فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْهَا اللِّحَى فَتًى لاَ يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ

الناصل : المضروب بالنّصل ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، والهاء في « منها » للأسْد ، وهى خيل الخارجي . وفاعل « ظلّ » « فتى » وهو سيف الدولة .

يقول : إن سيف الدولة إذا ضرب منهم إنساناً ضَرْبةً قتله ، فلا يحتاج إلى أن يعيد الضرب مرة أخرى .

وقيل : الناصل . من نصل الخضاب يعني : إذا ضرب فخضّب المضروبَ بالدم ، فإن خضابه لا ينصل عنه حتى يحتاج إلى إعادته [١٨٢ – ب] .

٢٨–وَلاَ يَسْتَغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلاَ يَتَضَعْضَعُ مِنْ خَاذِلِ

تضعضع البناء : إذا انهدت أركانه . أي لا يتذلّل هذا الفتى ، ولا يستعين بناصر ينصره ، ولا يضعف إن خذله أصحابه ، لأنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى أحد .

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها النص .

(٢) ب ، ق : « كما يجتمع من الضرع الحافل » .

والحافل : أي الممتلئة .

(٣) في الأصول : « الزجل » والتصويب عن الخطيب التبريزي في التبيان .

٢٩–وَلاَ يَزَعُ الطِّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ وَلاَ يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ

يزعُ : أى يكف . ومُقْدَم : أى الإقدام .

يعنى : أنه لا يرد فرسه عن الإقدام ، ولا يرد طرْفه «أى عينه» عن أمر مخوف ومنظرٍ هائِل .

٣٠–إِذَا طَلَبَ النَّبْلَ لَمْ يَشْأَهُ وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَاطِلِ

النّبل : الحقد . يقول : إذا طلب ثأراً أدركه ، فلم يفته وإن كان ثأره عند من لا يدرَك لديه ثأر . فشبه هذا الثأر بدين على ماطل .

٣١–خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِى الْعَاجِلِ

يقول للخارجى وجماعته الذين كانوا ينتظرون الفداء هُزْءًا بهم : خذوا ما أتاكم به سيف الدولة من الفداء ، واعذروه فى هذه الغنيمة المعجلة ، فاغتنموا ذلك فإن الغنيمة فى العاجل .

٣٢–وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ فَعُودُوا إِلَى حِمْصَ فِى الْقَابِلِ

يقول : لئن كان أعجبكم ما ملكتم فى هذا العام من الخير ، فعودوا فى العام القابل إلى حمص ، حتى تروا ما يزيد على ذلك فترضوا بهِ .

٣٣–فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِى قُتِلْتُمْ بِهِ فِى يَدِ الْقَاتِلِ[1]

يقول : السيف المخضب بدمائكم فى يد القاتل ، وهو سيف الدولة ، فمتى شئتم فتعالوا إليه .

وقال ابن جنى : أراد بالسيف . سيف الدولة . والخضيب : هو الخاضب اللحى بالدماء . والقاتل : هو الخليفة الذى ينصر سيف الدولة ويقاتل عنه[2] .

(١) ب : أخر هذا البيت (٣٣) وشرحه عن البيت الذى يليه (٣٤) وشرحه .

(٢) ا : «عن دولته» .

٣٤- يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِى رُمْتُمُ فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ

أى يجود على السائل بمثل المال الذى رمتم ، «فلم تدركوه على السائل» : يعنى أنه يعطى سائله مثل ما طلبتموه ، وإنما لم يعطكم أنفةً ، من أن تأخذوه قهراً .

٣٥- أَمَامَ الكَتِيبَةِ تُزْهَى بِهِ مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ

أمام : نصب على الظرف . وتُزهى به : أى تفتخر به . والتاء : ضمير الكتيبة والهاء : ضمير سيف الدولة . وعامل الرمح : قدر ذراعين من أَعْلَى الرُّمح .

أى أن سيف الدولة يكون أبدًا أمام الكتيبة ، كما يتقدم السّنانُ على الرمح وأن الكتيبة تفتخر به ، إذ لا غناء لهم عنه كما لا غناء للرمح عن السّنان .

٣٦- وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالاً بِكُمٍّ عَلَى بَازِلِ[1]

البازل : البعير الذى دخل فى السنة التاسعة . وكان الخارجى حينئذٍ على ناقة يومئ بكمّه على أصحابه ؛ يحرضهم على قتال سيف الدولة .

يقول : إنى أعجب من ضعف رأى من يقاتل بكُمٍّ على ناقةٍ بازل .

٣٧- أَقَالَ لَهُ اللهُ : لاَ تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ ؟

الهاء فى « له » للخارجىّ وفى « لا تلقهم » لأصحاب سيف الدولة . « بماض » : أى بسيف ماض . والحائل : خلاف الحامل ، وخص الحائل لأنها تكون أشد [١٨٣ – ا] على العمل ، وأصبر على الشدّة ، وهم لا يركبون يوم القتال إلا الفرس الأنثى الحائل .

يقول : كأن الله تعالى قال له . لا تلق جيش سيف الدولة بسيف ماضٍ على فرس حائل ! فلهذا ركب الناقة وأشار بكمّه بدل السيف[2] !

---

(١) ب:سقط هذا البيت وبقى شرحه .

(٢) إنما قال هذا لأن الخارجى كان يدعى النبوة ويقول : لا آتى إلا ما أمرنى الله به ، فهل أمره الله تعالى بهذا ؟!؟ الواحدى والتبيان .

٣٨– إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِى الْكَاهِلِ

الكاهل : أعلى الكتف بين المنكب والعنق . والهاء فى «به» للسيف الماضى . أى كأنّ الله تعالى قال : لا تلقهم بسيف ماض ، إذا ضربْتَ به رأساً قطعه ووصل إلى العنق ، وهامة قطعها ، وسمعتَ له صليلا كالغناء .

وقيل : معناه : قال الله لهذا الخارجى . لا تحارب بسيف ماضٍ مثل سيفك الماضى يا سيف الدولة ، الذى إذا ضربت به رأساً تجاوزها وغنّى لك فى الكاهل .

٣٩– وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِى هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ

يقول : إن الخارجى ليس بأول من لم يدرك مراده ، وما دعته إليه همته ، وقد خرج قبله كثير من الخوارج وطلبوا مثل ما طلب فَقُتِلوا كما قُتِل .

٤٠– يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِى السَّاحِلِ

يقول : إن الخارجى كان يشمِّر عن ساقه ؛ ليخوض لجة البحر ، وقد علاه الموج فى ساحل هذه اللجة .

أى قد تأهب لجيش سيف الدولة الذى هو كالبحر العظيم ، والموج يغرقه فى الساحل ! أى أنه لقِى مقدم عسكر سيف الدولة فهزموه ، فكيف إذا لقِى معظم عسكره ؟ !

وقال ابن جنى : إنه يصف تمويه الخارجى على الأعراب وادعاءه النبوّة فيهم فكان يحسر عن ساقه عند الماء لِيُرِى الناس أنه بخوضه تمويها ومخرقة ، ومع ذلك قد غمره الموج وهو على الساحل .

٤١– أَمَا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ ؟ !

الفاصل : القاطع . يقول : هو أبداً على سيفِ الدولة . (هذا الخليفة) ، لأن بقاء هذه الخلافة وبقاء دولتها بسيف الدولة ، فهل أحد يشفق على هذا السيف القاطع ؛ لتبقى هذه الخلافة[1] .

---

(١) ث : « هذه الخليفة » .

٤٢-يَقُدُّ عِدَاهَا بِلاَ ضَارِبٍ وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ بِلاَ حَامِلِ

يقدُّ : أى يقطع . والهاء فى «عداها» للخلافة وفى «إليهم» لِلْعِدَا[1] .

يقول : هذا السيف بخلاف سيف الحديد ، فهو يقطع أعداء الخلافة بلا ضارب ، ويسير إلى الأعداء بلا حامل .

وقيل : أراد أنه يذب عن الخلافة وحده ، وليس من أوليائها معين ينصره .

٤٣-تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فِى النَّقَا[2] وَمَا يَتَحَصَّلْنَ لِلنَّاخِلِ

النقا : الكثيب من الرمل .

يقول : رضضت جماجمهم فيما بين الرمل[3] فصارت كالهباء ، واختلطت بالرمل ، فلو نخل الرملَ أحدٌ بمنخل لم يحصل له شىء .

وروى : «وما يتخلصن» أى ما يتميزن : أى أن جماجمهم[4] ، لا تتميز عن الرمل للناخل .

٤٤-وَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيعَ السِّبَاعِ فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ

يقول : طرحْتَ هؤلاء السباع حتى أكلت ، وأخصبت [١٨٣ - ب] كما تخصب السوائم فى الربيع ، فصارت لحومهم للسباع كالربيع ، فأثنت عليك السباع لذلك .

٤٥-وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَوْدِ الْحُلِىِّ إِلَى الْعَاطِلِ

العاطل : التى لاحلىّ عليها . يعنى : أن حلب عرِّيت عن زينتها لما فارقْتَها[5] ! فلما عدْتَ إليها ظافرا ، عادت زِينَتُهَا ، كالحلىّ إذا عاد للعاطل[6] .

---

(١) ق : «العدوى» . (٢) ق ، ب : «بالنقا» .
(٣) ا : «الرمال» . (٤) ا ، ب ، ق : «أى أن جماجمهم المجوفة» .
(٥) ا : «لما فارقت عنها» .
(٦) ا : «إلى العاطل» .

٤٦–وَمِثْلُ الَّذِى دُسْتَهُ حَافِيًا يُؤَثِّرُ فِى قَدَمِ النَّاعِلِ

يعنى : هذا الذى وصلت إليه من الفتح العظيم بالهوينى ، لا يدركه غيرك بمشقة وتعب ، أى وصلت إليه من غير آلة وعدّة .

٤٧–وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الْجَائِلِ

يقول : ذكْرك وخبر وقائعك مشهورة ، كشهرة الفرس الأبْلق فيما بين سائر الأفراس ؛ إذا كان الأبلق جائِلا من مكان إلى مكان كان أشهر وأظهر .

٤٨–وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى بَغِيضِ الْحُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ

وكم لك من يومٍ . وأيام العرب : حروبها . والواغل : الداخل فى القوم ؛ يشرب من غير دعوة . والهاء فى «بنيه» لليوم .

يقول : كم لك من يوم حرب سَقَيتَ فيه أعداءك[1] الموت ، حتى كأن الواغل يبغض حضوره ، وكان من عادته[2] ألاّ يبغض ذلك ؛ لأنه ليس بيوم شراب فى الحقيقة .

٤٩–تَفُكُّ الْعُنَاةَ وَتُغْنِى الْعُفَاةَ وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ

يقول : تُطْلق الأسرى ، وتغنى العفاة : أى السؤّال ، بما تعطيهم من الأموال ، ومَنْ أذنب إليك بجهلٍ عفوت عنه[3] .

٥٠–فَهَنَّأَكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِى الآجِلِ

فاعل «هنأك» «معطيكه» وفاعل «أرضاه» «سعيك» والهاء فيه ترجع إلى «المعطى» وهو الله تعالى والهاء فى «معطيكه» للنصر .

يقول : هنأك الله النّصْر الذى أعطاك ، وأرضى اللهَ سعيُك فى الآخرة ، فأما

---

(١) ق : «أعداءك» ساقطة . (٢) ا : «إن من عادته» .

(٣) ا : «ومن جهل بذنب عليك عفوت عنه» .

هذه الدنيا فليس لها قدْر يكون ثواباً لك ! وهذا دعاء له .

٥١- فَذِى الدَّارُ أَخْوَنُ مِنْ مُومِسٍ وَأَخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الْحَابِلِ

ذى الدار : إشارة إلى الدنيا . والمومس : الفاجرة . والكِفَّة : شَرَك الصائِد . والحابل : صاحب الحبالة .

يقول : هذه الدنيا خبيثة كالمرأة الفاجرة[1] ، غدَّارة لا تدوم لأحد ، فهى فى الغدر كشَرَك الصائِد الذى يظن الصيدُ فيه خيراً ، فإذا فيه هلاكه !

٥٢- تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

يقول : إن الرجال تفانوا جميعاً – بقتل بعضهم بعضًا – فى حب هذه الدار الغدّارة ، ثم يتركونها ولا يحصلون منها على فائدة وخير . والطائِل : هو الخير .

(١٦٥)

وقال عند مسيره نحو أخيه ناصر الدولة[2] [لنصرته] لما قصده معزُّ الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمى[3] إلى الموصل فى ذى القعدة سنة سبع

(١) ا ، ع « المومسة »

(٢) ناصر الدوله هو : الحسن بن عبد الله بن حمدان أمير الموصل ، وديار ربيعة .

وكان أول من تولى أمر الموصل من الحمدانيين أبو ناصر الدولة وسيف الدولة . وهو عبد الله المكنى بأبى الهيجاء وقد ولاَّه عليها المكتفى ، وقتل أبو الهيجاء هذا فى بغداد . وكان ابنه ناصر الدولة نائبًا عنه بالموصل . أبو الفداء ٢/ ٨٣ .

يقول صاحب التبيان : إن سبب قول أبى الطيب هذه القصيدة أن أحمد بن بويه قصدا الموصل . لقتال الحسن بن عبد الله بن حمدانى أخى سيف الدولة . فسار أخوه إليه إلى لموصل لنصرته ، فلما أحس الديلمى بإقبال سيف الدولة . صالح أخاه الحسن على أن يبعث إلى السلطان من خراج الموصل ما جرت به عادته فأجابه إلى ذلك ورحل عن الموصل من غير قتال ورجع إلى بغداد . التبيان ٣/ ٣٥

(٣) ب ، ق : « معين الدوله الديلمى » .

هو أحمد بن بويه بن فناخسرو من سلالة سابور . ومن ملوك بنى بويه فى العراق فارسى الأصل مستعرب . يقال : كان فى أول أمره يحمل الحطب على رأسه ! ثم ملك هو وأخواه : عماد الدولة

وثلاثين[1] وثلاث مئة .

١ – أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ   وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحَبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ

يقول : أشرف الممالك قدراً ، ما مُلِك عنوة ، وفتح بأطراف الأسنّة ، وكان الطعن عند من أحب [١٨٤ – ا] هذه الممالك ، أحلى من قُبَل الأحباب .

٢ – وَمَا تَقَرُّ سُيُوفٌ فِي مَمَالِكِهَا   حَتَّى تَقَلْقَلَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقُلَلِ

أي ما تستقر مملكة سيف الدولة ، ولا تستقر سيوفٌ فى مملكته ، حتى يقلقل أعداءه ، وتتحرك سيوفه دهرًا فى رءوس الأعداء . ومثله لأبى تمام :

سَأُجْهِدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنَّنِي   أَرَى الْعَفْوَ لاَ يَمْتَاحُ إِلاَّ مِنَ الْجَهْدِ[2]

٣ – مِثْلُ الأَمِيرِ بَغَى أَمْرًا فَقَرَّبَهُ   طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالإِبِلِ

معناه : مَنْ مثل الأمير ؟ وقيل معناه : لا تستقر المملكة حتى يفعل مثل ما فعله سيف الدولة . فإنه يطلب أمرًا بعيداً فيقرِّب هذا الأمر عليه : طول الرماح وخيله وإبله ، أى يقصد إليه برماحه وإبله .

٤ – وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ   مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ

= وركن الدولة . وكان أصغرهم سنا . ويقال له الأقطع . لأن يده اليسرى قطعت فى معركة مع الأكراد . امتلك بغداد سنة ٣٣٤ فى خلافة المستكفى ودام ملكه فى العراق ٢٢ سنة إلا شهرا وتوفى ببغداد سنة ٣٥٦ . انظر وفيات الأعيان ١/ ٥٦

(١) ا · « وقال أيضا عند مسيره.... إلخ .

فى سنة ٣٣٧ سار معز الدولة من بغداد إلى الموصل قاصدا لناصر الدولة . وكان أميرا على الموصل وتأخر فيما يؤديه ابن الأثير . الواحدى ٤٠٢ : « وقال عند مسيره إلى أخيه ناصر الدولة . لما قصده معز الدولة سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة . التبيان ٣/ ٣٤ : « وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه فقال أبو الطيب » . الديوان ٢٦٥ : « وقال فيه عند مسيره نحو أخيه ناصر الدولة لنصرته . لما قصده معز الدولة إلى الموصل فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة » العرف الطيب ٢٨١ .

(٢) ديوانه ٢/ ١١٢ التبيان ٣ ٣٥ .

زُحَل : مبتدأ . والمكان : خبره . والهاء فى «تحتها» : للهمة . وفى «بعثتها» للعزمة .

يقول : قرّب عليه مرامَه عزمة بعثتها همّة عالية ، بحيث زحل تحت هذه الهمة بمكان التراب من زحل ! أى أن ما بينها وبين زحل من البعد مثل ما بين زحل والتراب .

٥- عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ

الأعاصير : جمع إعصار[١] ، وهو غبار الحرب ، ورهج[٢] الخيل .

يقول : على الفرات غبار الخيل من كثرة الحروب والنزول عليها ، وفى حلب توحّش بمفارقتها سيف الدولة ، وهو ملقّى النصر ، ملقّاه حيث توجه . مقتَبَل : أى هو فى أول شبابه . وقيل : معناه أنه حَسَنٌ تُقَبِّله العيون ، وتحبّه القلوب .

٦- تَتْلُوا أَسِنَّتُهُ الْكُتْبَ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسْلِ

فيه وجهان :

أحدهما : أن أسنته تتلوا الكتب الواردة إليه من أخيه ناصر الدولة ، فجعل جواب كتبه خروجه إليه بنفسه ، وجعل خيله بدل رسله . وهذا مثل قوله : «فليته فى محفل» .

والثانى : أنه إذا كتب إلى الأعداء فأسنته تتبعها ، وإنما يكتب إلى أعدائه ليعرّفهم أنه متوجه إليهم ، حتى لا يكون خروجه اغتيالاً ؛ لأن هذا داخل فى الشجاعة من أن يقصدهم مفاجأة ، لأنه يدل على الجبن والاغتيال[٣] ، وهذه فائدة كتبه إلى أعدائه[٤] .

---

(١) الإعصار : الريح التى فيها غبار شديد . اللسان .

(٢) الرهج : الغبار الخفيف .

(٣) ا ، ع : «والاغتيال» ساقطة .

(٤) ا : «وهذا كتبه الكتب إليهم» .

٧ – يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلاَ يَلْقَى سِوَى جُزُرٍ وَمَا أَعَدُّوا فَلاَ يَلْقَى سِوَى نَفَلِ

جزر : بمعنى مجزور ، أى مقطوع . وقيل : هى جمع جَزُور . أى كأنهم جُزُر يساقون إليه لينحرهم .

يقول : إنه كلما لقى ملكاً فى حرب قتله وغنم أمواله ، فهى جُزُرٌ لسيوفه ، وماله غنيمة له ولعسكره(١) .

٨ – صَانَ الْخَلِيفَةُ بِالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ صِيَانَةَ الذَّكَرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ

الخلل : جمع الخِلّة ، وهى غاشية جفن السيف . وقيل : هى واحد ، وجمعه أَخِلّة . والذَّكَر الهندىّ : هو السيف . والهاء فى « مهجته » قيل لسيف الدولة ومعناه : أن الخليفة صان مهجة سيف الدولة بما ضم إليه من الجند والفرسان ، كما يصان السيف بالخِلَل .

لما كان للدولة سيفًا [١٨٤ – ب] جعل الخليفة والأبطال جفنًا ، وفيه إشارة إلى أن الاعتماد فى الحرب عليه والجند فضلة ، كما أن العمل للنصل دون الجفن .

وقيل : الهاء فى « مهجته »(٢) للخليفة أى أنه صان نفسه بالأبطال الذين مع سيف الدولة ، صيانة السيف بالخِلَل ؛ لأنهم يقاتلون عنه أعداءه مع سيف الدولة(٣) فيصونه عن الأعداء .

٩ – الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلِ

يقول : إنه يفعل أفعالاً تعجز الناس عنها فيتركونها ، أو أنهم لم يعرفوا ما يفعله من الأفعال ولم يهتدوا إليها ، ويقول أقوالا حاول البلغاء(٤) أن يقولوا

(١) ا : « ومالهم غنيمة له » فقط .

(٢) يقول صاحب التبيان : الضمير فى : « مهجته » لسيف الدولة ، لأن الضمير إذا عاد على الخليفة كان إزراء بالممدوح لأنه من جملته .

(٣) ب من : « مع سيف الدولة .... مع سيف الدولة » ساقط انتقال نظر .

(٤) ب : « ويقول أقوالا لم تعرف فلم تقل ولم تترك . حاول البلغاء » إلخ .

مثلها فلم يقدروا على ذلك ، ولم يأتوا بها على وجهها ولم يتركوها ؛ لأنهم تعرضوا لها ولم يستوفوا ما فيها[١] من أنواع الفصاحة ، فهى غير مقولة ولا متروكة . ومثله قوله من قصيدة أخرى :

« فأنطق وَاصِفِيه وَأَفْحَمَا »[٢]

وقيل معناه : أنه يقول أقوالا لم تُعرف فلم تُقَل ، ولم تترك لأنها إذا لم تعرف لا يمكن تركها ، لأن ما لا يعرف ، كما لا يفعل ، لا يترك .

١٠–وَالْبَاعِثِ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ
ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ

غالت : أى أهلكت . وفاعله « العجاجة » ومفعوله « ضوء النهار » والهاء فى « عجاجته » للجيش لفظًا ، والطفَلِ : آخر النهار .

يقول : هو الذى يبعث الجيش العظيم الذى يستر غباره الشمسَ حتى يصير وقت الظهر مثل آخر النهار : وقت المغرب .

١١–الْجَوُّ أَضْيَقُ مَالَاقَاهُ سَاطِعُهَا وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِ

« أضيق » قيل : فى معنى ضيِّق . أى أن الجوّ يضيق بِمَا لاقاه من الغبار . وقيل : هى على أصلها . أى أشد ضيقاً . والهاء فى « ساطعها » « للعجاجة » وفى « لاقاه » للجو وفى « فيه » لساطعها .

يقول : إن أضيق الأشياء – بما يسطع عن غبار هذا الجيش – هو الهواء[٣] : الذى هو أوسع الأشياء ، وإذا كان الهواء كذلك فما ظنك بغيره ؟ ! وهذا الغبار أيضاً يغطى نور الشمس وقرصها حتى صارت عين

---

(١) ق ، ب : « تعرضوا إليها وإن لم يستوفوا ما فيها » .

(٢) هذا عجز بيت للمتنبى صدره :

كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَا أَبِى الفضل التى بَهَرتْ فَأَنْطَقَ واصِفِيه وَأَفْحَمَا

ديوانه ٨ التبيان ٤/ ٢٩ .

(٣) ب ، ق : « الجيش » مهملة ، وفيها : « الهوى » مقصورة .

الشمس أحير العيون فى هذا الغبار ، فكيف أحوال سائر العيون ؟!

١٢–يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَاظِرَةٌ فَمَا تُقَابِلُهُ إِلاَّ عَلَى وَجَلِ

ينال : فعل السيف . والهاء فى «منها» : للشمس ، أو لمقلتها[1] .

يقول : إنه ينال ما هو أبعد منها . أى أبعد من الشمس[2] ، وهى ترى ذلك وتنظر إليه ، فما تقابل هذه الشمس سيف الدولة عند طلوعها وفى سائر الأوقات ، إلا وهى خائفة من أن يُغير عليها .

١٣–قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلاَتِ بِهِ وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغِيَلِ

قيل : أراد بالسيف نفسه ، والهاء فى «به» : ترجع إلى سيف الدولة .

يقول : جعل سيفه عارضا بينه وبين النوائب وقد لبس الحزْم مظاهرًا . حاجزًا بين نفسه وبين اغتيال عدوه ، فحزمه سلاح له كالسيف .

١٤–وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

الهاء فى «له» ترجع إلى سيف الدولة ، وقيل : إلى الظن .

يقول : وكّل ظنّه بضمائر الناس ، فظهرت له ضمائر أهل [١٨٥ – ا] السهل والجبل .

١٥–هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلِ

يقول : إنه يتجنّب من البخل ، كما يتجنب الشجاع من الجبْن ، ويتجنب من الجبن ، كما يتجنب الجواد من البخل ، فأجرى البخْل مجرى الجبْن . فشجاعته تريه أن البخل من جملة الجبن ؛ لأن البخيل يبخل بماله خوف الفقر ، فهو جبن .

---

(١) ا : «ولمقلتها» .

(٢) ا : «ما هو أبعد منا لا من الشمس» . ب : «ما هو أبعد فيها أى من الشمس» .

وجوده يريه أن الجبن بخل بالنفس[١] فشجاعته تمنعه من البخل ، وجوده يمنعه من الجبن .

١٦- يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلِ

أَغَذَّ إليه : أى أسرع إليه فى السَّير. والاحتفال : التأهب .

يقول : إنه يفتح البلاد ويعود ، ولا يفتخر بما فعل ولا يعتد به ؛ لأنه يستصغر ما يفعله ، ويسير إلى الأعداء مسرعاً غير مبالٍ بهم ولا مستعدٍّ لهم فيهزمهم[٢] .

١٧- وَلاَ يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُغْيَتَهُ وَلاَ يُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ الْبَطَلِ

البغية : الطلبة ، وهى المطلوب ، ولا يجير : أى لا يعيب .

يقول : إنه الدهر لا يمنعه مراده ، والدرع لا يحفظ منه مهجة الشجاع إذا أراد قتله .

١٨- إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِى أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ

أراد بالحلل : القصائد .

يقول : كسوته[٣] مدائح من شعرى ، لأجمله بحسن ذكره فى الآفاق ، فاكتسبتْ منه مدائحى جمالا ، ولبست من عرضه حللاً وكمالا ، فصار هو الذى ينشر شعرى . ومثل هذا قول كثيّر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا[٤]

١٩- بِذِى الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ

(١) ا ، ع : « لأنه بخل بالنفس » . (٢) ق : « فيهزمهم ويكسرهم » .

(٣) ب ، ق : « أكسوته » .

(٤) لعله من فائت الديوان فلم أعثر عليه . التبيان ٣/ ٢٦١ غير منسوب . وتحرير التحبير ٣١٩ غير منسوب وروايته : « وإذا الدر زان حسن نساءٍ » .

يقول : إن الجاهل عن إدراكه[1] وإدراك معناه ، لا يعيب فى شعرى ، بل هو على أبلغ وجوه الإحكام والجودة ، وكما أن الجعَل[2] إذا شم ريح الورد غشى عليه[3] وليس ذلك لنقص الورد ، بل هو لخبث نفس الجعل ولؤم طبعه . ووجه ضررها بالغبى أنها تهتك ستر جهله ، وتدل على بلادة فهمه ، كما يظهر الورد لؤم طبع الجُعل والهاء فى «إنشادها» للحلل[4] .

٢٠-لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا
وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّوَلِ

الهاء فى «مالئها» للعين . و «الخَيْرَةُ» وإن كانت أفعل التفضيل ، وهو لا يدخله الهاء ، فإنها إنما حذفت منها الألف لحقت بغيرها فيقال : زيدٌ خَيْرُ الناس وهندٌ خَيْرَةُ النساء .

يقول : كل عين نظرت إليك ملأها حسنك[5] وهيبتك ، ولما كنت سيفًا كان مجربه : الذى هو الدولة . خَيْرَةُ الدول .

٢١-فَمَا تكشِّفُكَ الأعْدَاءُ عَنْ مَلَلٍ
مِنَ الْحُرُوبِ وَلاَ الآرَاءُ عَنْ زَلَلِ

يقول : إن الأعداء جرَّبوك ، فوجدوك لا تملّ حروبهم ، وكذلك لا تكشّفك الآراء عن زلل ، لأن رأيك لا يكون خطأً أبداً .

٢٢-وَكَمْ رِجَالٍ بِلاَ أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضًا بِلاَ رَجُلِ

(١) ا ، ع : «من عدم إدراكه» .

(٢) الجعل : بفتح العين يسميه الناس : «أبا جعران» لأنه يجمع الجعر اليابس ويدخره فى بيته ، وهو دويبة معروفة أكبر من الخنفساء شديدة السواد يوجد فى مراح البقر والجواميس ومواضع الروث ، ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب ، فإذا أعيد إلى الروث عاش . انظر حياة الحيوان .

(٣) ا ، ق : «عليه» مهملة .

(٤) ب ، ق : «للحال» تحريف .

(٥) ا : «حسنها» .

يقول : كم رجال من الأعداء ضاقت الأرض بهم لكثرتهم ، فأفنيتهم ، حتى صارت ديارهم خالية [١٨٥ – ب] ليس فيها رجُل .

٢٣–مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِى فِى دِمَائِهِم
حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْىَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ

يقول : قد أجريت دماءهم[١] ، وأكثرت من قتلهم ، حتى كأن فرسك يتعثر فيهم ؛ لكثرة جيفهم ، ويتمايل بك كما يتمايل السكران الثّمل .

٢٤–يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ
فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِى الْجَذَلِ

الجذل : السرور .

يقول : إن الأرض كلها له ، فحيثما سار يرى سروراً[٢] ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ)[٣] .

٢٥–إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ

يقول : كلّ ما فعلته مقرون بالسعادة والتوفيق ، سواء ارتحلت[٤] أو أقمت .

وقيل : إنه دعاء له بالتوفيق على كل حال .

٢٦–أَجْرِ الْجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِى أَخْلاَقِكَ الأُوَلِ

عن ابن جنى قال : سألت المتنبى عن هذا فقال : كان سيف الدولة ترك الركوب مدّة لعلّةٍ أصابته ، فحركتُه بهذا ، فعلى هذا : البيت الأول بيت لهذا المعنى .

---

(١) فى الأصول : « دمائهم » .

(٢) ا ، ع زادتا : « ويجوز عليه كله » .

(٣) سورة الزخرف ٤٣/ ٧١

(٤) يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . التبيان .

يعنى أنك موفق [1] الرأى فيما تفعله ، ولكن الرأى أن ترجع إلى أمرك الأول من الغزو والقتال .

٢٧- يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَهَا قَرْعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ

الأحجّة : جمع الحِجَاج ، وهو العظم الذى فوق العين [2] ، وفاعل أدمى : قرْع الفوارس . ومفعوله : أحجّتها . وقرع : قيل مضاف إلى المفعول ، ومعناه : قرعك الفوارسَ . أى أن خيلك ينظرن من عيون قد أدماها قرعك الفوارس [بالعسالة] : بالرماح الليّنة الكثيرة الاضطراب ؛ لأنها إذا شرعت للطعن يكون مرّها على قرب الحِجَاج من الفَرَس . يعنى أنها معودة للقتال . وقيل : إنه مضاف إلى الفاعل . أى أن خيلك قد أدمى عيونها طعن الفرسان إياها ؛ لأنها تكون مقدمة لا تولّى ، فالطعن إنما يقع على وجهها .

٢٨- فَلاَ هَجَمْتَ بِهَا إِلاَّ عَلَى ظَفَرٍ وَلاَ وَصَلْتَ بِهَا إِلاَّ إِلَى أَمَلِ

دعاء له بالظفر . يقول : كلما ركبتَ خيلك وصلْتَ إلى ما ترجوه ، وظفرْتَ بما تطلبه والهاء فى «بها» للخيل .

(١٦٦)

وقال يمدحه [ويعتذر عن المسير معه] وقد سأله المسير معه فى الطريق ، لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولى سنة ٣٣٧ [3] :

١ - سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ

(١) ب ، ق : « موفور » .

(٢) وهو العظم الذى ينبت عليه الحاجب . ويقول صاحب التبيان : « إنه الغار الذى فيه العين » .

(٣) خ ا : « وقال يمدحه وقد سأله المسير معه فى الطريق فى سنة سبع وعشرين وثلاث مئة) انظر ابن الأثير ٦/ ٢٢٩ . ب : « وقال يمدحه سنة ٣٢٧ » . الواحدى ٤٠٦ : « وقال يمدحه وقد سأله المسير معه فى هذا الطريق » . التبيان ٢/ ٨٦ : « وقال يمدح سيف الدولة : أبا الحسن على بن حمدان سنة وسبع وثلاثين وثلاث مئة » . الديوان ٢٦٨ : « وله فيه وقد سأله المسير معه فى هذا الطريق » العرف الطيب ٢٨٤ .

النّور والنوّار واحد . ويجوز أن يكون النوّار : جمع نوْر . وحَلّ : قيل : دعاءٌ بلفظ الخبر ، ومعناه : سرْ ، حَلّ النوارُ حيث تحلّه .

والمقصود : سقاك الله الغيث حيث حللت حتى يحلّ هناك النوار .

وقيل : إنه خبر على الحقيقة ، ومعناه : أنه جعل سقيًا . فيقول له : أنت السحاب فإذا حللت ببلد يحصل منك السقى ، فيحصل بك النّور والزّهر .

وأما الصراع الثانى فأولى فيه حمله على الدعاء : معناه أن الأقدار ساعدتك على مرادك ، وأرادت كما تريد أنت .

ويجوز حمل المصراع الثانى على الخبر : أى أن الأقدار ، لا تريد إلا ما تريد أنت . وفاعل حلّ : النوارُ . وفاعل أراد : المقدار [١٨٦ – ا] .

٢ – وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ

توجهت : بمعنى اتجهت . والدِّيمة : مطر يدوم أيامًا فى سكون ريح ورعد . ومدرار : قيل متصل المطر . وشيعتك : دعاء ، ومعناه حيث قصدْتَ صاحبتْكَ السلامة ، وديمة غزيرة تسقى محلك ، وتخضب منزلك .

٣ – وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الأَبْصَارُ(١)

وهذا البيت أيضاً دعاء . وقوله : « مرفوعةً لقدومك الأبصار » : إشارة إلى ما يحصل من السرور ، لأن الأبصار إنما ترفع عند ذلك .

يقول : إذا رجعت من مقصدك رجعت غانماً قد شخصت الأبصار إليك وقوله : « أغنم » و « مرفوعةً » : نصب على الحال(٢) .

٤ – وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْعِدَا حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ

يقول داعياً له : أراك دهرك من أعدائك ما تريده منهم ، حتى تكون صروف

(١) هذا البيت مع شرحه مؤخر عن الذى يليه فى الواحدى والتبيان والديوان .
(٢) ق ، ب : « وقوله : أغنم على الحال » .

الدهر أنصاراً لك ، ومن جملة أوليائك .

٥ - أنت الذى بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ

بَجِحَ : أى افتخر . يقول : إن الزمان يفتخر بذكرك ؛ لأن له فضلاً على سائر الأزمنة المتقدمة .

وقيل : أراد بالزمان أهله ، والأسمار إذا تضمنت حديثك وحديث وقائعك تزيّنت ، إذ فيها من العجائب[1] أكثر مما فى الأحاديث الموضوعة .

٦ - وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الأَعْمَارُ[2]

٧ - وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبٌ دَرُّ الْمُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ

الدّر : أول ما ينزل من اللبن الكثير . والأغبار : جمع الغُبْر ، وهو البقيّة بعد الحلب . والهاء فى «لدرّها» للمواهب .

يقول : إن عطايا الملوك فى جنب إعطائك كالأغبار . يعنى أن أقل مواهبك أعظم من مواهب سائر الملوك .

وقيل معناه : أن عطايا الملوك هى بقايا عطاياه ، ومعناه أنه أفضل منهم وهم دونه ومحتاجون إليه ، وإن صِلاتهم من صِلاته[3] .

٨ - لله قَلْبُكَ ! مَا تَخَافُ مِنَ الرَّدَى
وَتَخَافُ أَنْ يَدْنُوا إِلَيْكَ الْعَارُ

لله قلبك : أى ما أعجب أمرك ! وأعظم أمر قلبك ! لما فيه[4] من القوة

(١) ب ، ق : « العجائب » ساقطة .

(٢) سقط هذا البيت من خ ووضع بدله عبارة تركية تفيد أن هذا الشرح نسب للمعرى . وفى ب ، ق : ترك بياض بمقدار سطرين بعد هذا البيت ، وفى ا ، ع لم يترك شىء وذكر هذا البيت الذى يليه مباشرة ولم يشرح هذا البيت .

(٣) م ، ا ، ع : « ويصلون من صلاته » .

(٤) ا ، ع : « يقول ما أعجب قلبك لما فيه » إلخ .

والشجاعة والهمة التي لا تخاف معها الهلاك ! ومع ذلك فأنت تخاف من أن يدنوا إليك العار .

وقيل : ألف الاستفهام محذوفة في الموضعين ومعناه : أما تخاف من الردى ؟! وأتخاف من العار ؟! وهو دون الردى في الصورة .

٩ – وَتَحِيدُ عَنْ طَبْعِ الْخَلاَئِقِ كُلِّهِ وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ

الطبْع : قيل هو الدَّرن[1] . والخلائِق [الأخلاق] ومعناه أنك تميل عن دنس الأخلاق ودنس الطباع .

وقيل الطبَع : الخُلق . والخلائِق : البَشَر . أي أنك تميل وتكره أخلاق جميع الناس . والجحفل : [١٨٦ – ب] العسكر . الجرار : الذي يجرُّ نفسه أي بعضه بعضًا ، وقيل : الذي يجرُّ الرماح .

يقول : إنك تتجنب أخلاق الناس ، أو دنيء الأخلاق ، مع أن العسكر العظيم إذا أتبعته مال عنك .

١٠ – يَامَنْ يَعِزُّ عَلَى الأَعِزَّةِ جَارُهُ وَيَذِلُّ فِي سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ

الأعزة : قيل هي أولاده[2] وسائر من يعز عليه . ومعناه أن جاره المستجير به يكون[3] أفضل في جواره من أعزته . وقيل أراد « بالأعزة » الملوك أي أن جاره عزيز ، له فضل على سائر الملوك ، والأعزة ، فلا يمكن لأحد من الملوك ضيمه ، ويذل الملك الجبار بسطوته . وعدوّه . ذليل لِفَضْل قوته .

١١ – كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللِّقَاءِ وَلاَ يَشِطُّ مَزَارُ

التنوفة : المفازة البعيدة الأطراف . وتحول : أي تمنع . ولا يشط : أي

(١) الدرن : الوسخ . اللسان .

(٢) ا : « قيل أراد به أولاده » .

(٣) ق : « يكون » مكانها بياض .

لا يبعد . والمزار : يجوز أن يكون كالزيارة ، ويجوز أن يكون اسمًا لمكان الزيارة .

يقول : كن فى أى موضع شئت فما يحول بينى وبين قصدك ، وبين من يقصدك لمعروفك مفازة بعيدة ، ولا يبعد على من يقصدك مستميحًا ومثله :

مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَ[1]

وله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا

١٢– وَبِدُونِ مَاأَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ   يُنْضَى الْمَطِىُّ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ

المستار : بمعنى المسير ، وهو مفتعل منه ، ويجوز أن يكون اسما لمكان السير .

يقول : ما أضمره لك من المودة والحرص على اللحاق بك – ومَنْ ودّ إنسانًا بعض ما أودك – فإنه يهز المطىَّ فى اللحوق بك ، ويقرب عليه المسير والمسافة البعيدة .

١٣– إِنَّ الَّذِى خَلَّفْتُ خَلْفِى ضَائِعٌ   مَا لِى عَلَى قَلَقِى إِلَيْهِ خِيَارُ

يقول : لولا أهلى الذين خلّفتهم ورائى ، لصحبْتك ، ولكنهم إن رغبت[2] عنهم ضاعوا ، فقلق إليهم شغَل قلبى بهم ، فمنعنى من اختيارى وإيثار صحبتك عليهم .

وقيل أراد بالقلق الاضطرار أى أنى مضطر إلى الرجوع إلى أهلى ومالى مع هذا اختيار[3] .

---

(١) هذا عجز بيت لأبى نواس صدره :

« قَالَت لقدأبعد المسرى فقلت لها » .

ديوان أبى نواس ١٧٣ الوساطة ٣١٥ وأورده صاحب الوساطة أيضا ٣١٥ فى شعر للعباس بن الأحنف وصدر البيت :

« يقرب الشوق دارًا وهى نازحة »

(٢) ب : « وإن غبت عنهم » .

(٣) ا ، ع : « هذا الاضطرار » .

١٤-وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ   لَوْلاَ الْعِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ

يقول : لولا العيال ، لما كان شيء عندى أطيب من مصاحبتك ؛ لأنى إذا صحبتك فكل ماء مَشْرَبٌ . أى طيب زلال ، وكل بلد يكون داراً لى ؛ لأن كل راحة معك وكل عيش يتهيأ بك وبصحبتك . ومثله قول الآخر :

وَمَا هِيَ إِلاَّ بَلْدَةٌ مِثْلُ بَلْدَةٍ   وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْناً عَلَى الزَّمَنِ[1]

١٥-إِذْنُ الأَمِيرِ بِأَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمُ   صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الأَشْعَارُ

يقول : إن أذن الأمير بالعودة إلى أهلى عَدَدْتُ ذلك صلة من صلاته ، أشكره عليها ، وأسيِّر الأشعار بذكرها . وفيه تنبيه على أن الوقت وقت الصلة وعلى التحقيق أن سيف الدولة قد رضى بالإذن من غير اقتران صلة[2] .

---

(١) أحد بيتين نسبا لأبى نواس فى محاضرات الأدباء ٢/ ٦١٣ ولم يردا فى ديوانه ، وهى :

إذا كنت فى أرض عزيزًا وإن نأت   فلا تكثر منها نزاعا إلى الوطن

فما هى إلا بلدة بعد بلدة   وخيرهما ما كان عونا على الزمن

(٢) بعد ذلك فى ق تم الجزء (المجلد) الأول من شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعروف بمعجز أحمد سنة ١٠٥٩ ومثلها فى نسخه ش . وفى ب بعد ذلك « والحمد لله وحده وصلى الله على من لانبى بعده وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأشياعه وأزواجه وأهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما . وكان الفراغ من تعليق هذا الجزء نهار الأربعاء ثالث عشر شعبان المبارك من شهور سنة ست وسبعين وألف على يد العبد الفقير يوسف بن سليمان الحنفى مذهبًا ، الشامى مسكنًا » وهذه الخاتمة من النساخ الذين قاموا بنسخه .

وهنا آخر المجلدة الأولى فى أغلب النسخ وهذا تقسيم النساخ إذ قسموا الشرح إلى قسمين متساوين – تقريبا – فى الكم .

(١٦٧)

وقال يرثى عبد الله بن سيف الدولة بحلب[١] وقد توفى بميَّافارقين سنة ٣٣٨ قال :

١ – بِنَا مِنْكَ ، فَوْقَ الرَّمْلِ ، مَابِكَ فى الرَّمْلِ
وَهَذَا[٢] الَّذِى يُضْنِى كَذَاكَ الَّذِى يُبْلِى

الرمل هاهنا : الأرض والتراب . والضَّنا : طول المرض ، والاضناء: الإمراض . وقوله « منك » أراد من الغم عليك ، فحذف المضاف .

يقول : تحت التراب تبلى ونحن فوقه نضنى ، فبنا من الغم عليك فوق الأرض من طول الضنا ، مثل مابك تحتها من طول البلى ، فهذا الحزن الذى بنا يضْنِينا ويهْزِلنا ، مثل الموت الذى يبلى جسدك ويفرق أوصالك ، فنحن أموات فى صورة الأحياء .

٢ – كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِى بِى وَخِفْتَهُ
إِذَا عِشْتَ فَاخْتَرْتَ الْحِمَامَ عَلَى الثُّكْلِ

الثُّكل : فقد المحبوب !

يخاطب الولدَ على لسان سيف الدولة فيقول : كأنك أبصرت قبل موتك ما بى الآن من الحزن عليك ، فرأيته أشد من الموت ! وخفت أنك إن عشت تبتلى بثكل ولد كما ابتليت أنا بثكلك[٣] ! ويصيبك من ألم الحزن مثل ما أصابنى ، فاخترت الموت على الثكل .

---

(١) ق : هذه المقدمة ساقطة بتمامها . ا : « وقال يرثى عبد الله بن سيف الدولة ، توفى بميافارقين فى صفر من سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وعمره أربع سنين » . أو غلى : « وقد توفى بميافارقين » ساقطة والمذكور عن ع ، شو ، الواحدى ٤٠٨ : « وقال يرثى ابن سيف الدولة وقد توفى بميافارقين سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة » التبيان ٣ / ٤٢ : « وقال يرثى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة » . الديوان ٢٦٩ : « وقال يرثى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة » بحلب وقد توفى بميافارقين سنة ثمان وثلاثين » العرف الطيب ٢٨٦ .

(٢) ع ، شو : « فهذا » . (٣) ق ، شو : « بثكل وكما ابتليت أنا بثكلك » .

٣ - تَرَكْتَ خُدودَ الْغَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُذِيبُ الْحُسْنَ فى الأَعْيُنِ النُّجْلِ

يقول : تركت النساء الغانيات يبكين عليك ، حتى قرحت أجفانهنّ وذهب حسْنُ عيونهن ، وإنما اختار لفظ « الإذابة » ، لأن حسن العيون لمّا كان كأنه يذهب بالبكاء على تدرّج الأيام ، ولم يذهب دفعةً واحدة كان لفظ « الإذابة » أبلغ من قوله « تزيل الحسن » أو « تذهب الحسْن » .

وقيل : إنما قال تذيب ؛ لأن الذوب فى معنى السيلان ، والدمع سائل ، فكما أن الحسن سال مع الكحل ، فيزول حسن الكُحْلِ ويبقى حسن الكَحَل . وكأن الحسن قد ذاب ونقص[١] .

٤ - تُبِلُّ الثَّرَى سُودًا مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ
وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعَرِ الجَثْلِ

تبل [أى] من الدموع . والشَّعر الجثل[٢] : الكثير المجتمع . والهاء فى « وحده » يرجع إلى المسك .

معناه : أن دموعهن كانت تقطر من أجفانهن حمرًا ؛ لامتزاجها بالدم ، فإذا سقطت على شعورهن الكثيرة المنتشرة ؛ لأجل المصيبة ، المسترسلة على خدودهن ، خالطها ما فى شعورهن من المسك ، فاسودّت ، فوصلت إلى الترب سوداء من المسك .

وقوله : « من المسك وحده » فيه وجوه .

قيل : معناه أن سواد دموعهن ليس لأجل الكحْل ، لأنهن مستغنيات عن التكحَل بالكحْل ، فليس ذلك السواد إلا لأجل المسك فقط .

---

(١) ق : « فكما أن الحسن سال مع الكحل فيزول بالدمع حسن الكحل ويبقى حسن ... وكأن الحسن قد ذاب ونقص » . أى « الكَحَل » بياض مكانها .

(٢) ع ، مو : « والجثل الكثير المجتمع » .

والثانى : أنهن يستعملن الكحل لأجل المصيبة ، فاسودت دموعهن بالمسك الذى استعملنه قبل المصيبة[1] وكان قد بقيت [١٨٧ ا] رائحتها وأجزاؤها على شعورهن .

والثالث : أنه إشارة إلى أنهن من بنات الملوك ، فلم يستعملن من الطيب إلا المسك الخالص ، دون ما يُخلَط به من أنواع الطيب .

٥- فَإِنْ تَكُ فى قَبْرٍ فَإِنَّكَ فى الْحَشَا
وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ

يقول : إن متَّ ، ودفنتَ فى القبر ، فقُلُوبنا معمورة بذكرك ، وأحشاؤنا مُحْتَرِقَةٌ بحزنك ! فكأنك حالٌّ فى قلوبنا ، وإن كنت طفلا ، فإن حزننا عظيم عليك !

٦ - وَمِثْلُكَ لا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْمَخِيلَةِ وَالأَصْلِ

المخيلة : الفِراسة ، وقيل : العلامة ، وأصله فى السحاب الذى يطمع منه المطر .

يقول : ليس نبكى عليك على مقدار سنّك ، ولكن على مقدار أصلك ، وكرم منصبك وعلى ما يتفرس منك من الخصال الحميدة ، وماكنا نتوقعه منك من المُلْك .

٧ - أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الأُلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ
نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاهُمُ مُهْجَةُ الْبُخْلِ ؟

ألست : استفهام ، ومعناه التقرير . والألى : بمعنى الذين . وروى : من القوم الذى . وردّه إلى لفظ القوم . وقيل : أراد الذين ، فحذف النون .

قيل : فى هذا البيت معنيان :

(١) مو : « فاسودت ... المصيبة » ساقط انتقال نظر .

أحدهما : ما قال ابن جنى ومعناه : ألست من القوم الذين يقتلون البخل بنداهم ؟ فكأن نداهم من جملة رماحهم ، يطعنون به فى مهجة البخل . وعلى هذا روى من رماحهم نداهم .

والثانى : أن سخاءهم ، لأنهم يُغِيرون برماحهم على أعدائِهم ، ويَغنمون أموالهم ويهبون منها المواهب . ثم استأنف معنى وقال : البخل من جملة قتلاهم . يعنى : أنهم يهبون المواهب العظيمة حتّى يكون البخلاء أسخياء ، فلا يكون فى الدنيا بخيل ولا بخيلة .

٨ - بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فى أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ

روى : منطق الفضْلِ ، والفصْل . بالضاد والصاد : وهو الكلام الفاصل بين الحق والباطل .

يقول : مولودهم لا يتكلم فى المهد ، كسائِر الأطفال ، ولكن دلائِل الفضل ناطقة من أعطافه ! ومخايل النجابة موجودة فى شمائِله ، فكأنها مقام النطق .

٩ - تُسَلِّيهِمُ عَلْياؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ

يقول : إذا أصابتهم مصيبة فإن علياءهم وسلامتها ، تسلّيهم عن المصيبة ، ويشغلهم اكتساب الثناء عن كلّ شغلٍ سواه .

١٠ - أَقَلُّ بِلاءً بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَا وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ

أقل بِلاءً : أى أقل مبالاة ، وأقدم : من قَدَم يقدُم إذا سبق ، وفى القرآن : (يَقْدُمُ قَوْمَهُ)[١] وإن كان من « أقدم » فعلى حذف الزوايد .

يقول : إنهم أقل[٢] مبالاة بالمصائِب من الرماح التى لا يتصور فيها

(١) سورة هود ٩٨/١١ .

(٢) مو : « وأقدم .... إنهم أقل» ساقط انتقال نظر .

المبالاة[١] ، ولا تخشى من الكسر ، وإنهم أشد تقدما بين الجيشين من السهام التي هي أسبق الأسلحة .

١١- عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ[٢]

عَزَاءك : نصب على الإغراء أى الزم عَزاءك ، والمقتدى به : نعت لسيف الدولة يعنى يا سيف الدولة [١٨٨ ب] الذى يقتدى به . وقيل : نعت للعزاء المقتدى به .

يقول : أنت قدوة لنا فى صبر أو جزع ، فالزم صبرك ، فإن سيف الدولة من شأنه ملاقاة الشدائد ، وقلّة المبالاة بالضرب والثلم ، وترك الجزع عند لقاء الكرائه .

١٢- مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ
كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوارِمِ فِى أَهْلِ

المقيم : ضد المسافر .

يقول : إنك مقيم فى حروب ، فى كل منزل ، فكل حرب كأنها منزلك ! وكأنها عشائرك وأهلك ، لأنك سيف والسيوف منازلها الحروب ، وعشائرها السيوف ، فأنت أبدًا فى دارك ، وبين قومك . وقيل : معناه أنك من قلة مبالاتك بالحروب كأنها منزلك ، وكأن السيوف[٣] أهلك ، حيث تسكن إليها سكون الرجل إلى أهله ؛ لأنها تحيد عنك ولا تعمل فيك بل تعمل فى أعدائك .

١٣- وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ

يقول : ما رأيت إنسانًا أصبر على المصايب منك ! وأعصى عند الحزن عَبرة[٤]

(١) وذلك لأنها جماد والجماد لا يعرف الرزايا .

(٢) ق ، ش : « كالنصل » .

(٣) فى الأصول : « السيف » .

(٤) العبرة : تردد البكاء فى الصدر ، وتردد الدموع فى العين ، وامرأة عابر بغيرها : إذا تهيأت للبكاء .

منك ، ولا أثبت عقلا عند شدة ، لأنه أبداً ثابت لا يعتريه الطيش والخفة .

١٤–تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ[١]

السليل : الولد .

يقول : إن المنية عاهدته على أن تنصره فى الحروب ، ثم تخون عهده فى ولده ، فكيف تجمع بين الإحسان والإساءة ؟ ! لولا تقلب أحواله ! !

١٥–وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ

الفرند : ماء السيف ، وجوهره .

يقول : إن الحوادث تظهر صبره ، وكرم أصله ، كما يظهر الصقل جوهر السيف ورونقه .

١٦–وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ
فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي

حرَّةٍ : صفة لنفس ، والتذكير : « لمن » والتأنيث : للنفس .

يقول : من كانت له نفس حرة مثل نفسك ، ففيه ما يغنى نفسه عن تعزية غيره عليه ، وعن كل شيء ، وفى نفسه ما يسليه عما يجده من الهموم والمصائب .

١٧–وَمَا الْمَوْتُ إِلا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ
يَصُولُ بِلا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ

يقول : لا عيب لك ، فالموت[٢] . كالسارق الذى دقّ شخصه دقّة ، ليس له

---

(١) الرَّجْل : جمع راجل ، يقال : رَجِل وراجل ورجلة ورَجَّالة ورجال ورُجّال ورجالى وأراجل وأراجيل . وقال تعالى : (فرجالا أو ركبانا) جمع راجل .

(٢) ق : « فى الموت » .

يد ولا رِجْل ، ولو كان أراد أن يجاهرك وظهر شخصه لم يقدر على غضبك ، وقيل : معناه أن السارق يستحق القطع ، والموت ليس له محل القطع من اليد والرِّجْل .

١٨- يَرُدّ أَبُو الشِّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ
وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلادَةِ لِلنَّمْلِ

أبو الشبل : الأسد ، والشبل ولده . ويقال : إن ولد الأسد يجتمع عليه النمل - مالم ينبت عليه الشَّعر[1] - فيقتله ، ولهذا لا تلد الأَسَدة إلا فى ثَجَّة[2] ، هربًا من ذلك .

فيقول : مثلك ومثل الموت ، كمثل الأسد والنمل ، فإنه يدفع الجيش عن ولده ، ولا يقْدر أن يمنعه من النمل ، وليس ذلك لعجز الأسد ، ولكن لقلّة قَدْر النّمل ودقة شخصه ، وكذلك أنت ، لو ظهر لك الموت لمنعته ، ولكنه يأتى من حيث لا يراه أحد ، ولا يدلّ ذلك على عدم شجاعتك .

١٩- بِنَفْسِى وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ
إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لاتُطَرِّقُ بِالحَمْلِ

طَرَّقتِ المرأةُ بالولد : إذا نَشِب فيها ، ثم يتّسع فيقال : [١٨٩ - ا] طرقت : أى ولدت .

---

(١) قال صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر : إن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون : إن اللبؤة لا تضع إلا جروًا واحدًا ، وتضعه بضعة لحم ، ليس فيها حس ولا حركة فتحرسه من غير حضانة ثلاثة أيام ، ثم يأتى أبوه بعد ذلك ، فينفخ فى تلك البضعة المرة بعد المرة ، حتى تتحرك وتتنفس وتنفرج الأعضاء ، وتتشكل الصورة ، ثم تأتيه أمه فترضعه ، ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعه أيام من تخليقه . انظر نهاية الأرب : ٩/ ٢٢٨ ، حياة الحيوان .

(٢) فى النسخ : « الأسد » بالتذكير ، اسدة : أنثى الأسد . انظر الحيوان ٧/ ٣٦ . وفى النسخ : « لجة » . والثجة : حفرة يحتفرها المطر ، اللسان .

يقول القزوينى : إذا ولدت اللبؤة يتعرض لأشبالها : « النمل » فعند الولادة تطلب أرضا ندية لدفع النمل . عجائب المخلوقات : ٢٣٠ المطبوع مع حياة الحيوان سنة ١٩٥٦ الحلبى

يقول : نفسى فداء لهذا المولود الذى انفصل عن بطن أمه إلى بطن أمٍّ[١] ليست كالأمهات فى الولادة ، أى أنها ليست بأمٍّ على الحقيقة . وقيل : معناه عاد إلى بطن أمٍّ لا تلد أبدا ، يعنى أنه لا يخرج منها ، فكأنه يقول : لقصر أيامه كأنه انتقل من بطن أمه إلى القبر .

٢٠–بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى
وَصَدٌّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ

« الرَّوَى » بالفتحة على المصدر من رَوِى يروى رَوًى ، وبالكسر هو الماء الكثير .

يقول : كانت مخايله تعدنا بجوده وأفضاله ، كما تعدنا السحابة بالغيث ، فمضى عنّا وخيّب آمالنا . شبهه بسحابة نشأت على بلد خرِب ثم أقلعت ! من غير شىء[٢] .

٢١–وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا
إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ

يقول : كانت الخيل تنتظر كبره ، لتتشرف بركوبه إياها ، وبتنقله رجله إلى الركاب .

٢٢–وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَامَشَى
وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِى

ريع : أفزع . وروى : جَاشُ العدوّ : أى قلبه ، وجيش العدو ، وجاش : أى هاج وارتفع . والضروس : الشديد .

يقول : إن أعداء أبيه خافوا منه وهو بعد فى المهد لم يمش ! وهاجت له

---

(١) المراد بـ : « أمٍّ » هنا : الأرض وقد روى التبيان : « إلى بطن أرض » .

(٢) مو : « من غير شىء » ساقطة .

الحروب الشديدة وارتفعت قبل غليانها ، وروى و« ما يقلي » من قليت بالقلة[١] أقلي بها ، وقلوت أقلو يعني أنهم خافوه قبل أن يبلغ إلى أن يقلي بالقلة .

٢٣- أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ البُلُوغِ إِلَى الأَكْلِ

التَّوْراب : لغة في التّراب . قال الأصمعي : التّراب والتّوْراب ، والتّيْرب والتّوْرب ، والتّرباء كل ذلك بمعنًى .

يقول : فطمه التّرابُ قبل أوان فطامه ! وأكله التّراب قبل وقت أكله ! يقول ذلك على معنى الإنكار والتأسّف .

٢٤- وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ
وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ العَذْلِ

« قبلَ » : مضاف إلى « يَرَى » . وإنما جاز إضافة الظّرف إلى الفعل لقلة تمكنها . وفي القرآن : (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ)[٢] ، (يَوْمَ لاتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ)[٣] . وقيل : إن فيه إضمار « أنْ » وتقديره : وقبل أنْ يرى . فيكون في معنى المصدر : أي وقبل رؤيته ، فتجرى الإضافة على بابها . فعلى هذا يجوز . في « يسمع » الرفع ، والنصب .

يقول : كيف جاءت قبل أن يرى من جوده ما رأيتَهُ من جودك ؟ ! مِنْ قصد العفاة ، وعذل العذال ، فيه مارأيت وسمعت .

٢٥- وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السِّلْمِ وَالوَغَى
وَيُمْسِي كَمَا تُمْسِي مَلِيكًا بِلا مِثْلِ

معناه : أكلَه التّراب قبل أن يلقى من الصلح والوغى مثل ما نلقى ، وكذلك قبل

(١) ق : « بالقلب » .
(٢) سورة المائدة ٥/ ١٠٩ .
(٣) سورة الانفطار ٨٢/ ١٩ .

أن يسمى مليكًا بلا مثل ، كما أنت تسمى كذلك الآن .

٢٦-تُوَلِّيهِ أَوْسَاطَ الْبِلادِ رِمَاحُهُ وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ

فاعل « توليه » : « رماحه » ، ومفعوله الأول « الهاء » من توليه ، والثانى « أوساط البلاد .

يقول : مات قبل أن توليه أطرافُ الرماح أوساطَ البلاد والممالك ، وتمنعه أطرافُ الرماح من العزل . طابقَ بين « أوساط البلاد » ، و « أطراف الرماح » ، وبين « الولاية » ، « والعزل » .

٢٧-نُبَكِّى لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ
تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ مَوْهِبٍ جَزْلِ

يقول : نبكى على من مات منا ، ولم يفته من هذه الدنيا [١٨٩ - ب] حظ له خطر يوجب الأسف على مفارقته .

٢٨-إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ
تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ

يقول : إذا تأمّلت أحوال الزمان ، رأيت أنه عدوٌّ للإنسان ، فلذا يحاربه[1] ، فإذا مات الإنسان فكأنّ الزمان قتله وظفر به .

وقيل : معناه أن الموت كلّه قتل ! وأسبابه مختلفة ، فلاختلاف الأسباب اختلفت تسميته ، فبعضه يسمى قتلاً ، وبعْضه موتًا : وهو ما كان على الفراش .

٢٩-هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إلاَّ تَعِلَّة
وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إلا أَذَى الْبَعْلِ ؟

---

(١) مو : « فأبدًا يحاربه » .

التعلة : ما يعلّل به الإنسان .

يقول : السرور بالولد ليس شيئًا يدوم ، وإنما هو شيء يعلِّلُ به المرءُ نفسَه ثم ينقطع ! فإن الخلوة بالمرأة الحسناء ليس إلا أذى البعل ، من حيث يؤدِّى إلى أذى شديد ؛ لأن غمّ [موت] الولد أكثر من السرور بهذه اللذة ، فسمى تلك الخلوة بأسرها أذى لما يؤدى إليها .

وقيل : معناه أن الأذى فيها أكثر من حيث المؤن والكلف والغيرة عليها ، والاشتغال بذلك يمنع من اكتساب المجد والأجر ، فإذا كان هاتان[١] اللذتان لاحقيقة لها ، فما سواهما أولى بذلك .

٣٠–وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصِّبَا
فَلَا تَحْسَبَنِّى قُلْتُ مَاقُلْتُ عَنْ جَهْلِ

الحلواء : الحلاوة .

يقول : قد وَلدتُ[٢] فى حداثة سِنِّى ، وجرّبت حلاوة الأولاد فلا تظنَّن أنّى قلت ذلك عن جهل .

٣١–وَمَاتَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِى بِأَمْرِهَا وَمَاتُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ مَاأُمْلِى

يقول : علمى بالدهر أكثر من أحواله ، فأزمانه لا تسع علمى بما أعلمه منه ، ولو أمليْتُ ما أعلم من أحوالها[٣] لم تحسن أن تكتبه .

٣٢–وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يُؤَمَّلَ عِنْدَهُ
حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ

يقول : الدهر ليس بأهل أن يؤمّل عنده حياة ؛ لقلة وفائه ! وليس بأهل أن يشتاق فيه إلى الولد .

(١) ق : « فإذًا هاتان » .
(٢) فى الأصول « وليت »
(٣) الضمير يعود إلى : « الأيام » .

(١٦٨)

وقال [يمدحه] ارتجالا ، وقد سُئِل عن وصف فرس يهديه إليه[١] .

١ – مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ وَلَوْ أنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ

الطفيف : اليسير الحقير .

يقول : الخيل عند جودك لا قدر لها ، ولو وهبْتَ منها ألوفا لاستقلَلْتَها ، ولم تعتدّ بها .

٢ – وَمِنَ اللفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـ ـفَ وَذَاكَ «الْمُطَهَّمُ» الْمَعْرُوفُ

الفرس المطهم : هو الحسَن التَّام الخلْق ، الذى كل عضو منه حسن على انفراده .

يقول : من الألفاظ لفظ يجمع جميع الأوصاف ، وهو « المطهم المعروف » . أى بوصفه على وجه الإجمال ، فجمع الوصف فى أقل الألفاظ[٢] وأوجزها ، ولم يذكر الوصف على سبيل التفصيل .

٣ – مَالَنَا فِى النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ كُلُّ مَايَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ

يقول : مالنا فى الندى اختيار[٣] : أى ليس الاختيار فى ذلك إلينا[٤] فأنت كريم ، وكل[٥] ما تمنحه شريف مثلك .

---

(١) الواحدى ٤١٤ : « وقال أيضًا ارتجالا وقد سأله عن وصف فرس ينفذه له » . التبيان ٢/ ٢٨٠ : « وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه له . الديوان : ٢٧٢ : « وقال وقد سأله عن صفة فرس ينفذه إليه فأجابه ارتجالا » العرف الطيب ٢٨٩ « وسأله سيف الدولة عن صفة فرس يرسله إليه فقال ارتجالا » .

(٢) ق : « فجميع الوصف فى أقل الأوصاف » .

(٣) مو : « فى الندى عليك اختيار » .

(٤) مو : « إلينا » ساقطة .

(٥) مو : « فكل » .

(١٦٩)

وقال [يمدحه] وقد خيّره بين فرسين : دهماء وكُمَيت[١] :

١ – اختَرتُ دَهْمَاء تَيْنِ يَامَطَرُ وَمَنْ لَهُ فى الْفَضَائِلِ الْخِيَرُ

دهماء : مضاف إلى « تين » أى : دهماء هاتين[٢] .

يقول : اخترت الدهماء من هاتين الفرسين ، وسمّاه [١٩٠ – ا] مطرا على المبالغة فى الجود . أى يامن له فى الفضائل الاختيار . والخِيَر : جمع خِيرَة[٣] .

٢ – وَرُبَّمَا فَالَتْ[٤] الْعُيونُ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ

فالت : أى أخطأت وضعفت[٥] ، والهاء فى « فيها » للدهماء المختار ، أو لجملة الخيل .

يقول : أنا اخترت منها هذه الدهماء ؛ لأنها أحسن فى عينى ، وربما لم تكن كذلك بل غيرها خير منها ؛ فإن العين ربما كذبت فى النظر ، وربما صدقت ، وقد قلت ما رأيت .

٣ – أَنْتَ الَّذِى لَوْ يُعَابُ فى مَلَإٍ مَاعِيبَ إِلاَّ بِأَنَّهُ بَشَرُ

الملأ : جماعة الأشراف ، والسادة .

يقول : لوعابك عائب فيما بين الملأ ، لم يجد لك عيبًا إلا كونك من البشر ، ومعناه لا عيب فيك ؛ لأن هذا ليس بعيب .

---

(١) الواحدى ٤١٥ : « وقال وقد خيره بين فرسين : دهماء وكميت » . التبيان ٢/ ٨٩ : « وخيره بين فرسين : دهماء وكميت » . الديوان ٢٧٣ : « وقال وقد خيره بين فرسين : دهماء وكميت » . العرف الطيب ٢٩٠ .

والدهماء : مؤنث أدهم الذى يضرب سواده إلى البياض . والكميت : ما كان لونه بين الأسود والأحمر .

(٢) وذلك كما تقول : اخترت فاضل هذين ، أى الفاضل منهما ، وأراد الدهماءُ منهما .

(٣) قال الواحدى : ويروى : « الخبر » يعنى له الاشتهار فى الفضائل .

(٤) مو : « نالت » . (٥) ب : فى اللسان : فال فيلا وفيولا : أخطأ وضعف .

٤ – وَأَنَّ إِعْطَاءَهُ الصَّوَارِمُ وَالْخَيْـ ـلُ وَسُمْرُ الرِّمَاحِ وَالْعَكَرُ

الْعَكَرُ : جمع عَكَرة : وهى ما بين الخمسين إلى المئة من الإبل .

يقول : لو عابك عائِب ما وجد فيك عيبا ! إلا كونك من البشر ، وأنك تعطى السيوف ، والخيل ، والرماح ، والإبل الكثيرة . وهذا ليس مِمّا يعاب . ومثله قول الآخر :

وَلَا عَيْبَ فى أَخْلَاقِهِ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِى مِنَ الْمَالِ بَاقِيا[1]

٥ – فَاضِحُ أَعْدَائِهِ[2] كَأَنَّهُمُ لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّمَا كَثُرُوا

يقول : يفضح أعداءه بالقهر ، وإظهار عجزهم ، وكلّما اجتمعوا عليه كان على كسرهم أقدر ، فكأنهم عند كثرتهم يقلّون له ، وكأنّ كثرتهم سبب قلّتهم .

وقيل : معناه أنهم كلما كثروا وازدادوا فضلاً ، إذا[3] قيسوا به صاروا إلى الإضافة إليه فى حد القلّة ، وصار فاضحًا لهم[4] .

٦ – أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ سِهَامِهِم وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ الْقَمَرُ[5]

---

(١) فى الحماسة ٣٧٤ نسب للنابغة الجعدى بهذه الرواية .

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

وقد جاء برواية الحماسة فى شرح البرقوقى ٣/ ٣٠٤ ، وفى النوابغ للسندوبى ٣٨٣ ملحق بديوان امرئ القيس .

(٢) ع : « فاضحٌ أعداءه » .

(٣) « فإذا » .

(٤) مو : شرح هذا البيت بتمامه سقط .

(٥) ق : بياض مكان : « القمر » ع : « القدر » . والمعنى : يدعو ألا يصيبه سهام الأعداء ، وقوله : « مخطئ .. إلخ » أى من أراد أن يرمى القمر ورماه أخطأه ، لأن القمر لا يصل إليه شىء لرفعته .

(١٧٠)

وقال [يشكره] وقد أمر سيف الدولة بإنفاد خِلَعٍ إليه[١] :

١ - فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّماءِ بِأَرْضِهِ   خِلَعُ الأَمِيرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ

الهاء فى « أرضه » للسماء ، ذكَّره لأنه أراد السقف ، وقيل : أراد به المطر. وقيل : إنه كناية[٢] الأمير ، فأضمره قبل الذكر ، كقوله تعالى : (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَار)[٣] .

يقول : إنَّ خِلَعَ الأمير قد زينتْنا وكستنا بأنواع الوَشْى[٤] ، كما يكسو المطرُ ، الأرْضَ ، ويزينها بأنواع الأنوار ، وألوان الأزهار ، ونحن لم نقض حقّ الأمير من الخدمة ، ولم أقدر على أن أمدحه بما يليق بأوصافه ، لقصور المدائح عن أوصافه[٥] .

٢ - فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ   وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ

شبّه صحة نسج هذه الخلع بصحة معانى الممدوح فى لفظه ، وشبّه نقاءها من الدَّنَس بعِرضه . والعِرض : يمدح به الرجل ، أو يذم .

٣ - وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ   فى الْجُودِ بَانَ مَذِيقُه مِنْ مَحْضِهِ

المذيق : المشوب . والمحض : الخالص .

---

(١) الواحدى ٤١٦ : « وأمر سيف الدولة بإنفاذ خلع إلى أبى الطيب فقال » : التبيان ٢/ ٢١٧ : « وأمر سيف الدولة بإنفاذ خلع إليه فقال » : الديوان ٢٧٤ كما هو مذكور فى الشرح ، العرف الطيب ٢٩٠ .

(٢) كناية : أى ضمير .

(٣) سورة الحج ٢٢/ ٤٦ .

(٤) أراد أن الخلع موشاة وفيها الرقوم لأن هذه الصورة موجودة فيما تنبت الأرض من فعل المطر من الأزهار والألوان . انظر الواحدى .

(٥) ق ، شو : « عنها » . مو : سقط شرح البيت بتمامه .

يقول : إذا جعلتَ إلى كريم رأيه ، وفوضته إليه ، فى الجود والكرم ، ظهر لك الخالص من المشوب ، والطبيعى من التكلّف[١] .

(١٧١)

وقال يمدح[٢] سيف الدولة :

١ - لا الْحُلْمُ جادَ بِهِ وَلا بِمِثَالِهِ   لَوْلا ادّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ

الزيال : المزايلة : وهى المفارقة . وقيل : هو الزوال . يقال : زَالَ زوالا وزيالاً . والكناية فى « به » و« مثاله »و« وداعه » و« زياله » للخيال . وقيل : إن الكنايات ترجع إلى الحبيب[٣] . والمثال : مثال الحبيب .

يقول : إن النوم لم يسمح لى برؤية هذا الحبيب ، ولا أهدى النومُ إلىَّ مثالَه : أى خياله ، لولا أنى أطلت الفكرة بذكر وَدَاعه ومفارقته ، فرأيت فى النوم ما كان هاجساً فى خاطرى ، من ذكره وذكر وداعه .

فإن كان الضمير للكناية ، فمعناه لولا تذكّرى لوداعهِ ليلاً ونهارًا ، لكان النوم لا يسمح لى بهذا الخيال ، لا مثال الخيال ! يشبه قول الطائى :

زَارَ الخَيالُ لَهَا بَلْ أَزَارَكَهُ   فِكْرٌ إذَا نَامَ فِكْرُ الْقَوْمِ[٤] لَمْ يَنَمِ[٥]

ومثله لآخر :

وَمَازَالَ حَتَّى سَهَّلَ الشَّوْقُ طَرْقَهُ   وَقَادَ إِلَيْهِ نَاظِرُ الْعَيْنَ مَرْكبَا

٢ - إنَّ الْمُعِيدَ لَنَا الْمَنَامُ خَيَالَهُ   كَانَتْ إعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ

---

(١) مو : سقط شرح هذا البيت والذى قبله .

(٢) ع : « وقال أيضا يمدحه » . مو : « وقال يمدحه » . الواحدى ٤١٦ : « وقال أيضا يمدحه » . التبيان ٣/ ٥٣ : « وقال يمدحه » . الديوان ٢٧٤ : « وقال يمدحه » العرف الطيب ٢٩١ .

(٣) وإن لم يجر له ذكر ، وذلك للعلم به عند السامع .

(٤) فى الديوان : « الخلق » مكان : « القوم » .

(٥) ديوان أبى تمام ٢/ ١٨٥ .

له معانٍ :

أحدها : أن ما أرانا المنامُ من خيال الحبيب – عودًا على بدء – ليس خياله ، بل كان خيال خياله ؛ لأن النوم أرانا أولا : خياله بعد الفراق ؛ فانْتَبهنا ، وفى نفوسنا طيب ذلك الخيال ، فلما أردنا النوم ثانيًا : كان خيال الخيال الذى أراناه قبل ذلك ، فالأول خيال الحبيب والثانى خيال ذلك الخيال .

والثانى : أنا كنا تذكرناه بعد فراقه ، وأدناه فى عيوننا ، فكأنه لم يغب عنا ، فما[1] رأيناه فى النوم خيال ذلك الخيال الذى كنا نراه بالفكر والوهم .

والثالث : أن لقاء الحبيب صار خيالا لبعد العهد ، وتطاول الأيام على هجره ، فلما رأيته فى المنام فكأنى رأيت خيال خياله ؛ لأن صورته كانت لنا كالخيال ؛ لزوال الانتفاع ، كما لا ينتفع بالخيال .

٣ – بِتْنَا يُنَاوِلُنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ   مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ

الهاء فى « نراهُ » و « بباله »[2] « لمن » وهو الخيال .

يقول : رأيت فى النوم كأنى أشرب المدام من كفّ حبيب ، ليس يخطر على باله أن نراه ؛ لبعده عنّى وقلة تفكره فىّ ، وخلوّ قلبه عن ذكرى ، فضلا من أن يسقينى المدام بكفّه .

٤ – نَجْنِى الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلائِدِ جِيدِهِ   ونَنَال عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ

أراد بالكواكب : الدر الذى فى العقود . وشبّهه بالكواكب فى الحسن[3] والصفاء ، وشبه الخلخال بعين الشمس ؛ لما عليه من الحمرة والاستدارة .

وقيل : أراد بذلك بعد التناول ، فكنت إذا أجلْتُ يدى بين قلائده فكأنى نلتُ الكواكب ! وإذا لمست موضع خلخاله فكأنى لمست عين الشمس ؛ لتعذر الوصول .

---

(١) ق : « فلما » .   (٢) ق : « فى نراه بباله » .

(٣) ق : « بالحسن » .

٥ – بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فيكُمُ وَسَكَنْتُمُ طَىَّ الْفُؤَادِ الْوَالِهِ

الهاء فى « الواله » أصلية ، وقد استعملها وصلا ، وهو جائز . وقد جاء مثله فى الشِّعر. الواله : المتحير الذاهب العقل .

يقول : بعدتم عن عينى القريحة بالبكاء عليكم ، ونزلتم وسط القلب [١٩١ – ا] المتحير لفراقكم ، فإن لم أركم بعينى رأيتكم بقلبى وخاطرى .

٦ – فَدَنَوْتُمُ وَدُنُوُّكُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَسَمَحْتُمُ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ

الهاء فى « عنده » و « ماله » للفؤاد ، كأنْ الدّنو من قلبى[1] ؛ لأنه هو الذى أدناكم منى ، وسمحتم علىّ بالوصال والزيارة ، وكأن هذا السماح من مالِ قلبى ؛ إذ لولا تفكره لما زرتمونى ، وذكَر المال لما ذكَر السَّماحة[2] .

٧ – إِنِّى لأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وِصَالِهِ

يهجرنا : فعل الطيف ، والهاء فى « وصاله » « لمن » وهو الحبيب .

يقول : إنى أبغض خيال حبيبى فى النوم ؛ لأنى إنما أرى خياله أيام هجر الحبيب ، فوصال الخيال إنما يكون عند بعد الحبيب ؛ لأن الإنسانٍ إنما يرى خيال المحبوب عند فراقه واشتغال قلبه بذكره .

٨ – مِثْلَ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالأَسَى فَارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تِرْحَالِهِ

يقول : إنى أبغض طيف الحبيب ؛ لأن رؤيته تكون بعد الفراق ، كما أبغض هذه الأشياء ؛ لأنها حدثت بعد فراقه ، فالطيف لما كانت رؤيته بعد فراق الحبيب

(١) ق : « كان من قلبى » .

(٢) وذلك لتجانس الصنعة ، وأجراه على طريق الاستعارة .

كانت هذه الأمور[١] . و[الصبابة][٢] : الشوق ، والكآبة : الحزن والاستكانة والأسى : الحزن أيضًا .

٩ - وَقَدْ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ
مِنْ عِفَّتِى مَاذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ

الهاء فى « بلباله » للهوى .

يقول : لما حيرنى وقتلنى شوقه أخذت القَوَدَ[٣] منه ؛ من حيث أنى لما ظفرت بمن أهواه ، عففت عنه ، فأذقت الهوى من مرارة الصبر عن الحبيب ، مثل ما أذاقنى من الشوق والحيرة .

١٠- وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ

تستجفل الضرغام[٤] : تهرّبه وتستعجله فى الهرب عن أشباله : أى أولاده .

يقول : خبأت لكل أرض ساعة[٥] صعبة من الحرب ، بحيث تزعج الأسد وتستعجله عن أولاده ، وتحوجه إلى الهرب خوفًا على نفسه ، ولا يبالى بولده ! .

١١- تَلْقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فى أَجْوَالِهِ

الأجوال : جمع الجَول ، وهو مصدر جال يجول جولا[٦] وجولانا . وقيل : أجواله : نواحيه . والهاء فى « بها » قيل : للساعة ، وقيل للأرض . وفى « بينها » للوجوه وفى « أجواله » للضرب .

---

(١) المراد : الصبابة والكآبة والأسى .

(٢) فى النسخ : « كانت هذه الأمور والشوق الرقة » .

(٣) قال المعرى : استقطت : استقدت من : « القود » وأصل ذلك أن الرجل يقتل الآخر فيقاد قاتله إلى أهله . تفسير أبيات المعانى .

(٤) الضرغام : من أسماء الأسد .

(٥) كنى بالساعة عن قصر المدة .

(٦) ق : « جولا » ساقطة .

يقول : ذخرت لكل أرض ساعة تلتقى فيها الفرسان ، ويضرب بعضهم وجوه بعض ضربًا ، يدور الموت فى نواحى هذا الضرب .

١٢–وَلَقَدْ خَبَأْتَ مِنَ الْكَلامِ سُلافَةً   وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ

السلافة والسلاف : أرق الخمر[١] وألطفها ، وهو ما يجرى من العصير قبل أن يعصر[٢] ، وهو يضرب إلى الصفرة ، والجريال : ماكان أحمر ، وهو دون الأصفر . وقيل : الجريال : نفس الخمرة . وقيل : لونها .

يقول : خبأت لسيف الدولة أحسن الكلام وأبدعه ، ومدحت غيره بما هو دونه[٣] ، الذى لم أتعب فيه فكرًا ، ولم أبدع فيه معنى .

١٣–وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ   بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ

الهاء فى قوله « بجباله » و « سهله » للكلام . وبرزتُ : [١٩١ – ب] أى سبقتُ .

يقول : إذا تعثر غيرى من الخطباء فى السهل من الكلام ، برّزت عليهم ، ولم أتعثر فى الصعب البعيد المرام . وجعل الكلام سهلا وجبلا[٤] مجازًا ، وقيل : وصف فى ذلك فروسيته . وشجاعته ، وأن غيره لا يقاومه .

١٤–وَحَكَمْتُ فى الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ   مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ

أى : تحكمت وصرت فيها كما اخترت والبلد العَراء : الخالى الذى لا نبت فيه . والناعج : الخالص البياض [من الإبل][٥] . وقيل : سريع السير ، ومعتاده ؛ أى قد تعود السير ، والهاء : عائد إلى البلد ، وكذلك فيما بعده ، « مجتابه » : أى

(١) ق : « أرق من الخمر » .

(٢) قال الواحدى : وهو الذى انعصر من العنب من غير وطء . وفى التبيان : هو أول مايجرى من ماء العنب من غير عصر .

(٣) مو : « بما دونه » .

(٤) ق : « وجبلا » ساقطة .

(٥) عن التبيان والواحدى .

قاطعه بسيره ، « مغتاله » : أى تغوله وتهلكه وتفنيه بسيره[1] .

١٥–يَمْشِى إِذَا عَدَتِ الْمَطِىُّ وَرَاءهُ وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَكَلالِهِ

يمشى : فعل الناعج [والهاء] فى « وراءه » و « كلاله » : للناعج[2] . وفى « جمامها » للمطى . والجمام[3] : الراحة . والكلال : الإعياء .

يقول : إذا مشى هذا الناعج كان مشيه مثل عدو المطىّ خلفه ، ويكون أزيد من ذلك أيضًا ، وذلك فى وقت راحة المطى وكلال هذا الناعج ، فكيف يكون سيره وقت الجمام ؟ ! !

١٦–وَتُرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ

وتراع : أى تخوّف المطىّ . متجفلا : أى سريعًا .

يقول : إن هذا الناعج إذا كان معقولا بعقاله[4] فإنه يسبق سائر المطى ، وهن غير معقولات .

وفائدة قوله : « وتراع » . قيل : إن هذا الناعج يفزعها ويثيرها وهو معقول ويسبقها .

وقيل : أراد أنها تفزع وتخوّف بقطع المفاوز ، ولا يفزع هذا الناعج بل يسبقها إلى حيث يريد صاحبه .

وقيل : معناه أنها تفزع[5] من شىء أفزعها ، وهى غير معقولة ، ويفرق هو معقولا ، فإنه يسبقها فى العدو .

---

(١) يقول : إنه قد اقتدر على القفر العراء ، بجمل معتاد السير فيه . والمغتال : المهلك ، يريد الذى أفناه بالسير . انظر التبيان .

(٢) ق ، شو : « الناعج يمشى فعل ضمير فى وراءه وكلاله للناعج » .

(٣) ق ، شو : « الجام » .

(٤) العقال : حبل يشد به يد الجمل إلى عضده .

(٥) مو : « تفرق » مكان : « تفزع » .

١٧-فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِى أَخْفَافِهِ وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِى إِرْقَالِهِ

الإرقال : ضرب من السير السريع . « وراح » فعل « النجاح » . والمِراح : النشاط[١] « وراح » ، الثانى فعل المِراح .

يقول : إن النجاح غدا وراح فى أخفاف هذا الناعج . أى أن مَنْ ركبه ظفر بما طلب وأدرك ما أراد[٢] ، وكذلك النشاط غدا وراح فى سيره : أى لا يلحقه كلال ! فهو أبدا مرح[٣] نشيط . أى أنه مبارك حيثما توجه أدرك ماحوله ، فنشط ومرح .

١٨-وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِى سَيْفِهَا وَشَقَقْتُ خِيسَ الْمُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ

الرئبال : الأسد . والخِيس : الأجمة . والهاء فى « سيفها » للدولة وفى « رئباله » للخيس أو للمُلْك .

يقول : صرت شريكًا مع دولة هاشم فى سيف الدولة : أى كان لى حظ فيه كما للدولة فيه حظ ، وشققتُ أجمة الملك حتى وصلتُ إلى أسده ، فجعله أسدًا والمُلْك خيسًا له .

١٩-عَنْ ذَا الَّذِى حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ
يُنْسِى الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ

« عن ذا الذى » [الذىَ] بدل عن المبدل[٤] . وينسى : يتعدى إلى مفعولين ، فنصب « الفريسة » على أنه مفعوله الأول و « خوفه » المفعول الثانى .

يقول : شققت أجمة الملك عن أسد منع اللّيوث كما له : [١٩٢ - ا] أى ليس لها كما له ، لأنه يفضلها بخلائق كثيرة ، وليس لليوث إلا الإقدام ، وهذا فيه

(١) ق : « والمراح والنشاط » .
(٢) ق ، شو : « اراد » بياض مكانها .
(٣) ق ، شو : « أبدًا مراح » .
(٤) ق : « عن الذى » بدل : « عن البدل » مو : « عن ذى الذى » بدل : « عن البدل » .

كل⁽¹⁾ خصلة جميلة ، ثم قال : إن هذا الأسد إذا افترس فريسة أنسى هذه الفريسة⁽²⁾ خوفه بجماله ! أى أنها إذا رأت جماله يشغلها جماله عما يلحقها من الخوف عن افتراسه ، والليوث تكون قبيحة المنظر .

٢٠-وَتَواضَعَ الأُمَرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ   وَتُرِى الْمَحَبَّةَ وَهْيَ مِنْ آكالِهِ

الآكال[3] : جمع أُكل ، وهو الذى يؤكل ، وهى ضمير الأمراء[4] .

يقول : إن الأمراء يتواضعون حول سرير سيف الدولة ويظهرون المودة[5] له ، وهم من قتلاه وفرائسه . يعنى أنهم يظهرون المودة خوفًا لا حبًّا . وقيل : « هى » ضمير المحبة . أى أن الأمراء يحبونه حبًّا مفرطًا ، فلفرط حبهم لا يلتمسون منه العطاء ويرون من جملة أرزاقه إياهم المحبة ؛ لأنهم يرون محبته فخرًا وذخرًا .

٢١-وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ ، وَيَبَشُّ قَبْ   لَ نَوَالِهِ ، وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

وروى : « ويعيش » فيكون قد طابق بين : يعيش ، ويميت . يعنى أنه يقتل أعداءه بالخوف قبل القتال ، ويظهر السرور بالعطاء ، ويعطى قبل السؤال .

٢٢-إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ   أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِعْجَالِهِ

عمدن : أى قصدن . والناظر : هو ناظر العين ، وقيل : اسم الفاعل من نظر والهاء[6] فى « أغناه » و « استعجاله » للناظر وفى « مقبلها » للرياح .

يقول : إنه لا يحتاج فى إعطائه إلى السؤال والاستعجال ، كما أن الرياح إذا

(١) ق ، شو : « كل » ساقطة .
(٢) ق ، شو : « الفريسة » ساقطة .
(٣) مو : « الأكلال » تحريف .
(٤) ق : « وهو ضمائر الأمراء وآكاله السيف الدولة » .
(٥) ق : « ويظهر فى المودة » .
(٦) ق : « وإنها » .

قصدت لناظر لا يحتاج[١] الناظر فى حال إقبالها إلى الاستعجال بل تصل إلى كل أحد وإن لم يستعجلها ، فكذلك هو يعطى قبل السؤال .

٢٣–أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فى إِفْضَالِهِ

يقول : نعمه قد عمّت الناس كلَّهم ، فأعطى العُفَاة من ماله ، وعفا عن الملوك ؛ بأن أسرهم ثم أطلقهم وعفا عنهم ، أو ترك قتلهم والتعرض لهم ، فكلهم تساوَوْا فى فضله .

٢٤–وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَزِّهِ وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا : وَالِهِ

وَالَى : أى تابع ، وواله : أمر منه . والهاء فى « منه » للعطاء .

يقول : إذا استغنى الناس بعطائه عن تحريكه وسؤاله ، تابع العطاء وأغنى فى المتابعة عن الاستمداد والسؤال .

٢٥–وَكَأَنَّمَا جَدْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلالِهِ

الهاء فى « إكثاره » للممدوح . وقيل : للجدوى[٢] . وذكّر على معنى النوال ، والعطاء ، وفى « إقلاله » للسائل . والإقلال : الفقر . جعل جدْواه حسدًا ، وجعل الممدوح حاسدًا ، والإقلال محسودًا عليه .

يقول : إذا رأى فقيرًا أكثر له العطاء ، فكأنه يحسده على إقلاله : أى فقره . فهو يحب إزالته ، كما يحب الحاسد زوال نعمة المحسود[٣] .

٢٦–غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ

---

(١) ق : « فى إعطائه .... لا يحتاج » ساقط انتقال نظر .

(٢) الجدوى : العطية .

(٣) قال ابن جنى : سألته عن معناه فقال : أردت إفراطه فى الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلا كسائله ، فهو يفرط فى إعطائه طلبا للإقلال ، فكأنه لكثرة إعطائه يحسده على الفقر والقلة ، حتى يصير فقيرًا اهـ . التبيان .

غرب[١] : أى غبن . والهموم : جمع الهم : الذى هو الهمّة .

وقيل : أراد « بهمومه » مقاصده .

يقول : إن همم الممدوح فوق الكواكب ، وهو قد نال ما هو أبعد منها ، فتغيب الكواكب دون همته ، وتطلع دون مناله ، فهو أعلى منالاً منها فى كل حال .

٢٧–وَاللهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِى آلِهِ

[٩٢ – ب] يقول : إن الله تعالى يخصه كل يوم بسعادة[٢] ، ويُظفره بأعدائه ، فينعم عليهم ويعفو عنهم ، فيعودون[٣] أولياءه بعد أن كانوا أعداءه ، وعلى هذا معناه : الخبر[٤] .

وقيل : إنه دعاء أن الله تعالى يوفقه للسعادة ويزيد الله من أعدائه فى أوليائه .

٢٨–لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِى عَلَى أَسْيَافِهِ مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ

الهاء فى « إقباله » لجدّه : أى على إقبال جدّه[٥] . وقيل : إنه راجع إلى الممدوح .

يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيوفه ، لقتلهم إقباله وسعادة جدّه ، وبلّغته الأقدار مراده .

٢٩ فَلِمِثْلِهِ[٦] جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ وَبِمِثْلِهِ انفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ[٧]

---

(١) مو : « غرن » .
(٢) مو : « لسعادته » .
(٣) ق : « ليعودون » .
(٤) مو : « الخير » . ق : « الحر » .
(٥) مو : « إقباله وحده » .
(٦) ق : « فبمثله » .
(٧) ق : « أقباله » .

العرمرم : الكثير . والأقْتال[١] : جمع القِتل[٢] ، وهو النظير فى الحرب . ويقال أيضا للعدو : قِتل[٣] .

يقول : لمثل هذا الممدوح بجمع الجيش الكثير : يعنى أن من كان مثله فى الإقدام يفنى[٤] الجيش العظيم ، ويفرّق جمعه ، ويقتل أبطاله .

وقيل : « جَمَعَ العرمرم نفسه » : معناه الفزع . يقال : جمع فلان نفسه : إذا فزع . يعنى[٥] : أن العسكر العظيم مَن مثْله يفزع ، وبمثله يُقْتل .

٣٠- لَمْ يَتْرُكُوا أَثَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى ... إلا دِمَاءهُمُ عَلَى سِرْبَالِهِ[٦]

يقول : إن أعداءه فى الحرب لم يقدروا له على شيء ، سوى أنهم خضبوا ثوبه بدمائهم ؛ من جرحه إياهم[٧] ، وانتضاح[٨] دمائهم إليه .

٣١- يَاأَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ ... لا تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ

يقول للقمر : لا تكذَبَنّ . أى لا تغترّ بما سولت نفسك من الكذب[٩] ، ولا تباهى ، ولا تفاخر وجْهَهُ فى الحسن والبهاء ، ولا تغترّ بما حدّثتك نفسك : بأنك مثله فى الحسن والعلاء ، فإنها[١٠] كذبتك فلست من[١١] أمثاله .

(١) ق : « الأقبال » .
(٢) ق : « جمع القبل » .
(٣) ق : « قبل » .
(٤) ق ، شو ، مو : « ينفى » .
(٥) مو : « جمع فلان وأفزع يعنى » .
(٦) هذا البيت مقدم على ماقبله ٢٩ فى الواحدى .
(٧) مو : « من كثرة جرحه إياهم » .
(٨) ق : « وافتضاح » .
(٩) مو : « بما سول لك من الكذب » .
(١٠) ع ، مو : « فإنما » .
(١١) ع : « فلست أنت » .

٣٢–وَإِذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ
دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ[١]

٣٣–وَهَبَ الَّذِى وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى
أَفْعَالَهُمْ لابْنٍ بِلا أَفْعَالِهِ

يقول : وهب[٢] ماورث عن آبائه من الأموال ، لأنه[٣] لم ير ما بنوه من المجد وشيدوه من الفخر فخرًا مالم يفعل هو لنفسه[٤] فوق ما ورِّث لنفسه ما هو فخر له .

كما قال بعضهم :

إنَّا وَإِنْ أحسابنَا كَرُمَتْ لَسْنَا عَلَى الأَحْسَاب نَتَّكِلُ
نَبْنِى كمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِى وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَافَعَلُوا[٥]

ومثله لابن الرومى[٦] .

وما الحسب الموروث لادر دره بمحتسب إلا بآخر مكتسب
إذا لم يكن وإن كان شعبه من المثمرات اعتدّه الناس من خطب[٧]

٣٤–حَتَّى إِذَا فَنِىَ التّرَاثُ سِوَى الْعُلا قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطِوَالِهِ

---

(١) ق : سقط هذا البيت .

(٢) مو : « وهبت » .

(٣) ق : « لأنه » ساقطة .

(٤) ق ، شو : « فخرًا مالم يفعله هو لنفسه » ساقط .

(٥) نسبا إلى المتوكل الليثى فى الوساطة ٣٧١ والحماسة ٨٠٦ وتأهيل الغريب ٣١٨ وفى الحيوان ٧/ ١٩٠ والأمالى ٣/ ١١٧ : « يومًا على الأحساب نتكل » لعبد الله بن معاوية والمستطرف ١/ ١٥٣ وكذلك فى زهر الآداب ١/ ٧٩ ، وهى نفس رواية الشاح والبيت فى تفسير أبيات المعانى برواية المعرى بمثل الرواية المذكورة .

(٦) هو : أبو الحسن على بن العباس ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب يغوص على المعانى النادرة ، فيستخرجها من مكانها فى أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية . ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى سنة ٢٨٣ هـ .

(٧) لم يذكر البيت الثانى إلا فى ع .

يقول : لما أفنى بِهِبَاته ما وَرِث من آبائِه ، فلم يبق منه شىء ، إلا معالى آبائِه ، فإنه شحيح بها ، قصد الأعداء وأغار عليهم ، فاحتوى على أموالهم ووهبها .

٣٥- وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمُ فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ

الأرعن[١] : الجيش العظيم ، والهاء فى « أذياله » للأرعن .

يقول : قصد الأعداء بجيش عظيم ، قد لبس الغبار فوق الدرع ، يعنى أن الغبار قد علا الفرسان ، حتى صار لها كالدرع السابغة « وجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ » يعنى به التجافيف ، وأنه يسحبها لطولها .

٣٦- فَكَأَنَّمَا قَذِىَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ[٢] أَوْغَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلاَلِهِ

[١٩٣ - ا] يقول : إن غبار الجيش قد غيّر ضوء النهار ، وكأن الشمس قد قذيت[٣] بهذا الغبار ، أو غض عينه ، من الإعظام للممدوح ، فالهاء : للممدوح ، وقيل للجيش ، وقيل للغبار .

٣٧- الجيشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُه فى قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وشِمَالِهِ

يقول : الجيش لك ، وأنت عليه أمير ؛ لأنك[٤] تحميه بنفسك وتذبّ عنه[٥] بسيفك ، فكأنك جيشُ الجيشِ . والكنايات للجيش .

٣٨- تَرِدُ الطِّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ وَتُنَازِلُ الأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ

هذا تفسير البيت الأول .

يقول : إنك تباشر الطعان الصّعب عن فرسان جيشك ، وتقاتل شجعان العدوّ عن شجعان جيشك .

---

(١) ق ، شو : « الأرعن العجاج الجيش العظيم » .

(٢) ق ، شو : « بعينه » بدل « بنقعه » .

(٣) القذى : مايدخل فى العين فيمنعها النظر .

(٤) مو : « لكنك » . (٥) ق ، شو : « عليه » .

٣٩–كُلٌّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَامَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ

يقول : كلّ الملوك إنما يريدون[١] الجنودَ لحياة نفوسهم ، حتى يدفعوا عنها الأعداء ، وهو يريد الحياة ؛ ليدفع عن جيشه ويصونهم .

٤٠–دُونَ الْحَلَاوَةِ فِى الزَّمَانِ مَرَارَةٌ لا تُخْتَطَى إِلاَّ عَلَى أَهْوَالِهِ

الهاء فى « أهواله » للزمان .

يقول : كل حلاوة الدنيا دونها مرارة ! فلا تنال حلاوة الزمان إلا بتجرع مرارته وأهواله ! يعنى أن معالى الأمور لا تدرك إلا باقتحام القتال والحروب ومباشرة الأمور العظام ، وتحمّل[٢] المؤن والمغارم .

٤١–فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلِىٌّ وَحْدَهُ وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إِلَى آمَالِهِ

يقول : فلهذا احتوى سيفُ الدولة على معالى الأمور دون غيره ، وأدرك بسيفه ما أمّل[٣] من المعالى ، مالا يأمّل غيره .

(١٧٢)

وقال أيضا يمدحه[٤] :

١ – أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنَ ارْتِيَاحِكَ فى غَمَامٍ دَائِمِ

الفضائل : جمع فضيلة ، وهى كلّ خُلُق شريف . والمكارم : جمع مكْرُمة ، وهى كل فعل كريم . والارتياح : السخاء ، والاهتزاز .

---

(١) ق ، شو : « إنما يريدوا » .

(٢) ق ، شو : « ويحمل » .

(٣) مو : « ما أمله » .

(٤) مو : « وقال فيه يمدحه » . الواحدى ٤٢٣ : « وقال أيضا يمدحه » . التبيان ٣/ ٣٤٩ : « وقال يمدحه » . الديوان ٢٧٨ : « وله أيضا » العرف الطيب ٢٩٦ .

يقول : حصلتُ أنا منك بين شرف أخلاقك ، وكرم أفعالك ، وحللتُ من جودك فى مطر دائم ، من غمام سخائك وغزارة عطائك .

٢ – وَمِنَ احْتِقَارِكَ كُلَّ مَاتَحْبُو بِهِ[١] فِيمَا أُلاحِظُهُ بِعَيْنَىْ حَالِمِ

يقول : أنت تعطى العطايا الجليلة وتحتقرها مع عظمها ! وإنى[٢] وأنا أتعجب من عظم هذا الشان ، فأقدر – فيما أشاهده من فعلك – أنى نائم وأن ما أراه حلم !

٣ – إنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلاَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ

بلاك : أى جرّبك . فكنت عين الصارم : أى حقيقته .

يقول : إن الخليفة لم يلقبك « بسيف الدولة » إلا بعد أن جربك ، فوجدك أمضى من السيف الصارم[٣] .

٤ – فإذَا[٤] تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ وَإذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتِمِ

يقول : أنت زينة ملكه ، وقوام دولته فوقعك من الخليفة موقع الدرّة من التاج ، إذ هى زينته ، والفصّ من الخاتم ؛ لأن قدر الخاتم بالفص .

٥ – وَإذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فى مَعْرَكٍ
هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ

[١٩٣ – ب] يقول : إذا جرّدك الخليفة[٥] على أعدائه أهلكتهم ، وملأ يَدَه قائمك . يعنى أنت أعظم منه قدرًا ، وأنفذ أمرًا ، وإن كنت له مطيعًا .

(١) مو : « كل ما أوليته » .
(٢) ق ، شو : « مع عظمها وإنى » ساقطة .
(٣) ق ، شو : « أمضى من الصارم » .
(٤) ق ، شو : « وإذا » .
(٥) مو : « الملك » .

٦ – أَبدًا(١) سَخَاؤُكَ عَجْز كُلِّ مُشَمِّرٍ فى وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ

الذّرع : القلب هاهنا .

يقول : من اجتهد فى وصف سخائِك ظهر عجزه عن بلوغ كنهه ، ومن أراد أن يكتمه ضاق صدره ؛ لأنه لا ينكتم .

(١٧٣)

وقال أيضا يمدحه بحلب وقد أمر له بفرس وجارية[٢] :

١ – أَيَدْرِى الرَّبْعُ أَىَّ دَمٍ أَرَاقَا وَأَىَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا ؟!

الألف : للاستفهام . ومعناه : النفى . أى لا يدرى الربع . وشاقه الحبيب : أى هيج شوقه إليه .

سأل أصحابَهُ وقوفهم ساعةً على ربْع حبيبه . هل يدرى الربع من قتلَ منا لوجوده ؟ ! وقلب من هيّجه لشوقه ؟ أراد به دم نفسه وقلبه ، تعظيمًا لها .

٢ – لَنَا وَلأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلاقَى فى جُسُومٍ مَاتَلاقَى

الهاء فى « لأهله » للربع . وتلاقى : أصله تتلاقى فى الموضعين . وما : للنفى .

يقول : لنا ولأهل الربع قلوب تتلاقى[٣] بالذكر ، وإن كانت الجسوم متباينة فى العين .

٣ – وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاًّ عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

---

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان : « أبدى » .

(٢) مو : « وقال يمدحه وقدأمر له بفرس وجارية » . والواحدى ٤٢٤ « وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية » . التبيان ٢/ ٢٩٤ : « وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس وجارية » . الديوان ٢٧٨ : « وقال يمدحه وقد أنفذ إليه جارية وفرسًا » العرف الطيب ٢٩٧ .

(٣) مو : « متلاقية » .

عفا المنزلُ ، وعفتها الرياح : يلزم ويتعدى .

يقول : إن الرياح لم تعف محلاًّ بهذا الربع ، فقد كانت تهب الرياح عليه ، وهم حلول به[١] ، فلا تمحو له رسمًا ، ولا تعفو له أثرًا ، فلما حدى بهم حادى الرحيل ، وساق إبلهم سائقُه ، عفت مناز له[٢] ودرست أطلاله ، فليس للرياح فيه صنع ، وإنما ذلك مِنْ صنيع مَنْ حدَى إبلهم[٣] وساقها .

٤ – فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كَانَ عَدْلاً فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا

يعنى أن الحب قد جار علىّ فحمّلنى فوق ما أطيقه من الشوق ، فليت الهوى كان بالتسوية والنَّصَفَة[٤] بين العشاق . فيكون حظّ كل عاشق منه قدر مايطيقه .

٥ – نَظَرْتُ إِلَيْهِمُ وَالْعَيْنُ سكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا

سكرى[٥] : أى مملوءة من الدمع . والمَاق : طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مصب الدمع .

يقول : نظرت للتوديع عند ارتحال الحبيب وعينى مملوءة من الدمع ، فلما رحلوا فاض الدمع[٦] من كل جانب ، فصارت الجوانب كلّها والمآق سواء فى انصباب الدمع منه .

٦ – وَقَد أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِى مِنَ السَّقَمِ الْمِحَاقَا

يقول : إن البدر فيما بين أهل هذا الربع ، قد أخذ التّمام والكمال ، وأعطانى من

(١) ق ، شو : « به » ساقطة .

(٢) ق : « مناره » تحريف .

(٣) مو : « وإنما صنع ذلك من حدى إبلهم وساقها » .

(٤) ق : « مانسوته والضفة » .

(٥) فى الواحدى والتبيان والديوان : « والعين شكرى » بالشين المعجمة . وسكرى : ملأى ، سكرته : ملأته . اللسان عن ابن الأعرابى : « سكر » .

(٦) مو : « عند الارتحال وعينى ممتلئة ... فاضت الدموع » .

السُّقم الذى فى المِحَاق . يعنى : أنا والحبيب بمنزله القمرين ، فاختص التمام به ، والمحاق بى .

٧ – وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا

النّور : قيل : أراد به جسمها ، وقيل : أراد به الوجه ، وفاعل « يقود » ضمير النور .

يقول : بين [١٩٤ – ا] أعلى هذه المرأة ، وبين قدميها جسم ، أو وجْه ، له نور . مضىء بحيث يقود الإبل بلا زمام[1] ، لأن الإبل – لحسنها – تنقاد لها ، والهاء فى « أزمتها » للنياق ، فهو مؤخر فى الرتبة[2] وإن كان مقدّما فى اللفظ .

٨ – وَطَرْفٌ إنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْسًا بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا

« وطرف » عطف على قوله : « نورٌ » يعنى لها طرف إذا سقى عشّاقة كأسًا من الهوى ناقصةً ، سقانيها مملوءة . أى حبّه لطرفها أكثر من حب كل عاشق له .

٩ – وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا

« وخصر » أيضا عطف على ما تقدم من البيت ، والكنايات للخصر يقول : إن خصرها إذا بدا نظرت إليه العيون من كل جانب ، وثبتَتْ[3] فيه شاخصة متحيّرة ، لا يمكن للناظر أن يصرف عينه ، فيصير طرف الناس بإحاطته به كالنطاق المحيط بالخصر ، وأخذ هذا المعنى بعضهم فقال[4] :

أَحَاطَتْ عُيُونُ الْعَالَمِينَ بِخَصْرِهِ فَهُنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ[5]

وقال ابن جنى : معناه أن الأبصار تؤثّر فيه لنعومته ، ورقة بشرته ! فيصير ذلك

(١) مو : « بلا أزمتها » . (٢) فى الأصول : « فى النية » .
(٣) ق ، شو : « وتقلبت » . (٤) ع ، مو : « ومثله لآخر أخذه عن أبى الطيب » .
(٥) البيت للسرى الرفاء فى ديوانه ١٨٧ ويتيمة الدهر ٢/ ١٢٥ ، والرواية فيهما : « أحاطت عيون العاشقين » وفى محاضرات الأدباء ٢/ ٣٠٥ : « عيون الناظرين » وحاشية البرقوقى ٣/ ٤٨ ونسب إلى أبى العتاهية ! .

الأثر الحاصل عن الأبصار حوالى خصره كالنطاق . والأوّل أولى .

١٠–سَلِي عَنْ سِيرَتي فَرَسِي وَرُمْحِي وَسَيْفِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا

الهملعة : الناقة الخفيفة . والدِّفاقا . بكسر الدال وفتحها : الكثيرة السير[١] فكأنها تتدفق كما يتدفق الماء[٢] ، إذا جرى بشدّة . والسيرة : الطريقة ، والعادة .

يقول لعاذلته : سلي عن شجاعتي : فرسي ورمحي ، وعن السير : ناقتي ، فإنها تخبرك بأفعالي ، فلا أصغو إلى عذلك .

١١–تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْدًا وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا

[نكّبنا][٣] : أي بعدنا ، وعدلنا عنه . والسماوة : مفازة بين الشام والعراق .

يقول : وتركنا نجداً وراء ظهورنا ، وعدلنا عن السماوة والعراق ، وقصدنا سيف الدولة ، بحلب .

١٢–فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ ائْتِلاقَا

الائتلاق : اللمعان .

يقول : مازالت العيس[٤] ترى لمعان غرّة سيف الدولة فى ظلمة الليل ، فتهتدى بضوء غرّته فى طريقها إليه .

وقيل : أراد أن مقصودنا لما كان سيف الدولة ، كان الليل لنا بمنزلة النهار عند قصدنا إياه ، من الفرح .

وقيل : أراد أنه قد بلغ من كرمه أن يوقد النار للضيوف فى كل موضع ، فترى العيس ذلك وتستأنس[٥] به . والأول هو الظاهر .

---

(١) ق ، شو : « السير » ساقطة .

(٢) ق ، شو : « تدفق كما تتدفق الماء » .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام .

(٤) العيس : الإبل البيض .

(٥) ق ، شو : « وتتأنس » .

١٣–أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا

الانتشاق : طلب الرائحة بالأنف ، والهاء فى « منه » للممدوح .

يقول : العيس كانت تستدل على مكانه بما تنتشق من رائحته ، فكانت رياح المسك أدلّة لها إليه إذا فتحت العيس[١] مناخرها للانتشاق ، فكأنه عبر عن كرمه بالمسك ، وعن صيته بالرياح .

١٤–أَبَاحَ الْوَحْشَ – يَاوَحْشُ – الأَعَادِى
فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا ؟

[١٩٤ – ب] تقدير البيت : يا وحش أباح سيف الدولة . الوحشَ الأعادى[٢] . فالوحش أحد المفعولين ، والأعادى المفعول الآخر . وروى : «أباحك أيها الوحش الأعادى» والرفاق : هم[٣] قوم يجتمعون فى السفرة . وكان الأسد افترس له ناقة فى قصد مسيره[٤] إلى سيف الدولة . فيقول للوحش : يا وحشُ أباح لك سيف الدولة الأعادى ؛ فإنه يقتلهم ويطرحهم لك ، فَلِم تتعرضين الرفاق[٥] القاصدين إليه ؟ لأنك مستغنية عن ذلك بما مكّنك[٦] من لحوم قتلاه .

١٥–وَلَوْ تَبَّعْتِ مَاطَرَحَتْ قَنَاهُ لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا

ماطرحت : فى موضع نصب ، لأنه مفعول «تَبَّعْتِ» أى لو تبَّعت مطروح قناته . والرذايا : جمع رذية ، وهى البعير الذى قام من الإعياء ، ولم يقدر على السير .

يقول للوحش : لو تبعت ما طرحت رماح سيف الدولة من القتلى لمنعك

(١) ق ، شو : «العيس» ساقطة .
(٢) ق : «ياوحش أباح سيف الدولة والوحش الثانية الأعادى» .
(٣) ق ، شو : «الأعادى وهم قوم» . (٤) مو : «سيره» .
(٥) مو : «الرقاب القاصدين إليك» . (٦) مو : «ملكك» .

عن أكل الإبل المعيبة[١] ، لأن لك بقتلاه مندوحة عن إبلنا .

١٦–وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فى طَرِيق مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا

يقول للوحش : كيف تعرضت لنا ونحن نقصده ؟ ! ولم تخاف صولته وهيبته ، فإنا لو سرنا فى طريق يلتهب نارًا ، وعلمت النّار أنا قاصدوه لم تضرنا ! ولم تقدر على إحراقنا[٢] ، يعنى أن كل شيء من الوحش والعاتين فى الأرض يخافه ، حتى لو تصور فى الجمادات أن تخافه لخافته .

١٧–إِمَامٌ للأَئمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا

الهآء فى « له » قيل[٣] : راجع إلى « إمام » ، ويجوز أن يكون راجعًا إلى ضمير « من » تقديره : إلى من يتقون شقاقه . فلمّا قدمه أدخل فيه اللام كقوله تعالى : (لِلرُّؤيَا تَعْبُرُونَ)[٤] والشقاق : العصيان والمخالفة .

يقول : هو إمام للأئمة[٥] من قريش : أى الخلفاء من ولد العباس . يعنى أن الأئمة إذا ساروا إلى عاصٍ عليهم ، خارج عن طاعتهم ، كان سيف الدولة إمامهم فى مقدمة جيوشهم ، فهو لهم إمام فى كل حرب يتبعون خطوه ، ويرجعون إلى رأيه ومثله للبحترى[٦] :

وَلَوْ جُمِعَ الأَئمَّةُ فى مَكَانٍ[٧] تكُونُ بِهِ لكُنْتَ لَهُمْ إِمَامَا[٨]

١٨–يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا

يقول تأكيدًا لما تقدم : إن الأئمة إذا غضبوا على مُخَالفٍ ، كان لهم سيفًا

---

(١) ق : « المعينة » . (٢) مو : « وعلى أحد منا » .
(٣) ق ، شو : « قيل » ساقطة . (٤) سورة يوسف : ١٢/ ٤٣ .
(٥) مو : « الأئمة » .
(٦) هو : الوليد بن عبيد بن يحيى ، ويكنى أبا عبادة ، شاعر فصيح فاضل ، حسن المشرب والمذهب له تصرف فى فنون الشعر سوى الهجاء ، فإن بضاعة فيه نزرة .
(٧) الديوان : « فى مقام » . (٨) ديوانه ٣/ ٢٠١٠ .

يقتلون به ، ويكون ساقًا للحرب حين تقوم الحرب ، فقوام الحرب به كما يقوم الإنسان على ساق .

١٩-فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ[١] لَهُ ابْتِسَامَا إِذَا فَهِقَ الْمَكَرُّ دَمًا وَضَاقَا

فهق : امتلأ .

يقول : لا تستعظم منه الابتسام ، وإشراق الوجه عندما امتلأ [مكان] الحرب بالدماء ، وصار كالسيول[٢] .

٢٠-فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعَوَالِى وَحَمَّلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

فاعل .. ضمنت : « العوالى » . ومفعوله : « المهجَ » .

يقول : إنما يبتسم فى حال شدة الحرب ؛ لأن الرماح قد ضمنت له نفوس الأعداء ، فوثق بها ، وحمَّل خيله[٣] العتاق همّته ، فكما أنه لا يولّى عن العدوّ ، كذلك [١٩٥ - ا] خيله ؛ لتحمّلها همّته .

٢١-إِذَا أُنْعِلْنَ فى آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعُدُوا ، جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا

الطِّراق : نعل[٤] يطرح تحت النعل يؤكَّد بها .

يقول : إذا أنعلت خيلُه لطلب قومٍ أدركتهم ، وجعلتهم نعلاً ثانية ، لأنها تطؤهم وتدوسهم ، وتجعلهم بين حوافرها ، فتلحق بهم وإن كانوا على مسافة بعيدة وعليها نعلها الأولى فيصيروا نعلا ثانية[٥] .

٢٢-وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مؤَلَّلَةً دِقَاقَا

---

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان : « فلا تستنكرن » .

(٢) ق : « وضاق كالسول » .

(٣) ع ، مو : « فيثق بخيله » زيادة .

(٤) أنعال الخيل : تصفيح أياديها بالحديد . والطراق : تضعيف جلد النعل .

(٥) ق ، شو : « بعيدة فصار نعلا ثانية » .

نَقَع : ارتفع . وروى : « وقع الصريخ » والصريخ ، والصراخ : الصوت . و « المؤَلَّلَة » : المدقَّقَة المحدَّدَة ، وهى الآذان هاهنا .

يعنى : أن خيله قد تعوّدت إجابة الصارخ ، واستغاثة المستغيث ، فإذا ارتفع صوت مستغيث من مكانٍ وَوَصَل اليها . نصبت له[١] آذانا محدّدة دقاقا ، لاعتيادها إجابة الصارخ .

٢٣- فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا دِرَاكًا وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوَاقَا

الفواق : الوقْت الذى بين الحلْبَتَيْن[٢] . ودراكا : أى متتابعة .

يقول: بين دعاء المستغيث ، وبين إجابة سيف الدولة ، لا يكون اللبث إلا قدر ما بين الحلبتين[٣] ، حتى يلحق به ، ويداركه الطعن[٤] فى عدوه : أى يتابع .

ويروى « بينهما جوابًا »[٥] أى يكون هناك الطعن[٤] بدل الكلام .

٢٤- مُلاقِيَةً نَوَاصِيهَا الْمَنَايَا مُعَاوِدَةً فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا

نصب « ملاقية » و « معاودة » على الحال[٦] أى لحقن الصريخ على هذا الحال .

يقول : إن الخيل تلاقى الموت بنواصيها ، وتعانق[٧] فرسانُها الأبطالَ[٨] :

٢٥- تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الْهَوَادِى وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا

الرُّواق : مقدّم البيت . وقيل : سقف البيت المقدم ، « والهاء فى « رماحه »

---

(١) ق : « فتنصب لهم » . (٢) يضرب به المثل فى السرعة .

(٣) ق ، شو : « لايكون إلا بقدر اللبث بين الحلبتين » .

(٤) ق : « الظفر » . (٥) وهى رواية الواحدى والتبيان والديوان .

(٦) والعامل فيها المصدر من قوله : « فكان الطعن » .

(٧) فى النسخ : « وعانقت » .

(٨) المراد : الأقران فى الحرب ، والحرب لها حالات : وأولها الملاقاة من بعيد ثم المراماة ، ثم المطاعنة ، ثم المجالدة ، ثم المعانقة .

للممدوح وفى « لها » للخيل و« الهوادى ».

يقول : تبيت رماح سيف الدولة فوق أعناق الخيل فى حال قد ضرب العجاج للخيل ، ولهواديها[1] ، رِوَاقا ؛ لكثرته وتكاثفه عليها .

٢٦–تَمِيلُ كَأَنَّ فى الأَبْطَالِ خَمْرًا عَلِلْنَ بِه اصْطِباحًا وَاغْتِبَاقَا

روى « يميل » و« تميل » يذكّر ويؤنث ، ولأنه أراد به اللّم .

يقول : تميل هذه الرّماح[2] عند طعنه بها فى أجسام الأعداء ، فكأنها قد اصطحبت واغتبقت[3] فى الأبطال من الخمرة فصارت من شربها سكَارَى[4] .

٢٧–تَعَجَّبَتِ الْمُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا

تعجبت الخمر حين شربها سيف الدولة ولم يسكر[5] ؛ لأنه شرب المسكِر لا الجود ! وقيل : يمدحه بالإسراف فى الجود والقوة على الشرب فهو سكران من الجود ، وصاحٍ من الشراب الذى شربه[6] .

٢٨–أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتِ الأَمْطَارَ فَاقَا

يقول : قام[7] شعرى ينتظر عطاياك ، حتى يكون على قدرها ، فلما فاقت[8] عطاياك الأمطار ، فاق شعرى الأشعار[9] .

(١) الهوادى : جمع هادية ، وهى أعناق الخيل . الوحدى .

(٢) ق ، شو : « الرياح » تحريف .

(٣) الاصطباح والاغتباق : مستعملان فى الشرب ، عند الصباح والعشى .

(٤) ق ، شو : « نشاوى » .

(٥) مو : «ومن السكر» .

(٦) ق : « وهو بشر به » .

(٧) مو : « أقام » .

(٨) مو : « أفاقت » .

(٩) يفسر الواحدى وصاحب التبيان فيقولان : فلما فاقت عطاياه الأمطار فى الكثرة ، فاق الشعر الأمطار أيضًا ، يعنى كثرت عطاياه وكثرت الأشعار فى مدحه .

٢٩-وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَّيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا

الهاء فى « منه » وفى « به » للشِّعر.

يقول : جازيتك على ما أعطيتنى بمدحى إياك ، فوزنت لك [١٩٥ – ب] ثمن الفرس ، ومَهْر الجارية .

وقيل : معناه أن عطاياك لما فاقت العطايا صار شعرى الذى يفوق سائر الأشعار وفاءً لها .

٣٠-وَحَاشَا لاِرْتِيَاحِكَ أَنْ يُبَارَى وَلِلكَرَمِ الَّذِى لَكَ أَنْ يُبَاقَى

المباراة : المعارضة بالفعل . أى يفعل مثْل فعله . ويُبَاقَى : يغالب فى البقاء .

واعتذر بهذا عن قوله : « وزنا قيمة الدَّهماء » وقيل : هو اعتذار من قوله : « فلما فاقت الأمطار فاقا » يعْنِى : حاشا لجودك وكرمك أن يعارَض بحمد ، فجودك[1] أكثر ، ومدى كرمك أطول .

٣١-وَلٰكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْمًا تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا

المداعبة : الممازحة ، والدعابة : المزاح . والقرم[2] ، الفحل الكريم [من الإبل] . والحقاق : جمع الحِقّ ، وهو الذى دخل فى السنة الرابعة[3] ، والأنثى حِقة .

يقول : جودك لا يقاومه شكر ، وإنما قلت هذا مزْحًا ، وأنت سيدٌ تفضل جميع السادة ، فكل سيدٍ قيس إليك وقوبل بك يعود ذليلا كالحِقّةِ إذا قيست إلى القرْم ، فكما أنه يفضلها كذلك أنت تفضل كل سيّدٍ كريم .

٣٢-فَتًى لا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الْوَثَاقَا

(١) فى النسخ : « فجدواك » :

(٢) القرم : الفحل الكريم من الإبل وبه سمى السيد : قرما . والحقاق : جمع حق وحِقة ، إذا استوفت ثلاث سنين وأمكن ركوبها أو الحمل عليها . اللسان « حق » .

(٣) فى النسخ : « السادسة » .

الوثاق : بالكسر والفتح ما يشد به الأسير .

يقول : هو لا يسلب قتيله أبدًا ويفك الغُلَّ من الأسارى بالعفو والإحسان[١] .

٣٣–وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْوًا وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ اسْتِرَاقَا

يقول : لم يكن إحسانك إليَّ عن غلط منك ، ولا عن خديعةٍ واستراقٍ منِّى له ، ولكنى نلته باستحقاق ، وأحسنت إليّ بعد الامتحان . والهاء فى « به » يعود إلى الجميل .

٣٤–فَأَبلغْ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّى كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِى لَحَاقَا

كبَا الفرس يكبُو : إذا عثر .

يقول : أبلغ من يحسدنى على محلّى عندك ، ويحاول لحاقَ غايتى فى مدحك : أن البرق إذا أراد اللحاق بى فإنه يكبو خلفى . فكيف يدركنى ؟ ! ويحاول إدراك محلِّى .

وقيل : هذا أمرٌ للممدوح ويقتضى أن يكون دون الأمر ، وذلك قبيح ، ولكنه لما قال : « حاسدِى عليك » أخرجه عن حد القبيح بأن بيَّن : أن الحسد كان لاختصاصه .

٣٥–وَهَلْ تُغْنِى الرَّسَائِلُ فِى عَدُوٍّ إِذَا مَالَمْ يَكُنَّ ظُبِى رِقَاقَا

رجع عن قول : حاسِدِيّ وقال : الرّسالة لا تشفينى منهم ، إلا أن يكون بدلها السيف ، فأقتلهم وأستريح منهم ، والكناية فى قوله : « إذا مالم يكن » للرسائل[٢] .

٣٦–إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ فَإِنِّى قَدْ أَكَلْتُهُم وَذَاقَا

تقديره : إذا ما الناس[٣] جربهم لبيبٌ وذاق ، فإنى قد أكلتهم .

---

(١) ق ، شو : « ويدك تسلب الغل من أسراه العفو والإحسان تحريف .

(٢) مو : « إذا لم يكن الرسائل » ق ، شو : « إذا لم يكن للرسائل » .

(٣) مو : « إذا الناس » .

يقول : إنى أعرَفَ بأحوال الناس من كل عاقل ، فأنا بمنزلة الآكل وغيرى كالذائق .

٣٧-فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إلاَّ خِدَاعًا وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إلا نِفَاقَا

يقول : جرّبت الناس فوجدت باطنهم بخلاف ظاهرهم فى الصداقة ، ووجدتهم منافقين فى دينهم !

قال علىّ بن عيسى الربعى[1] : إن أبا الطيب كان يردد مع نفسه[2] هذين البيتين كل يوم أكثر من خمسين مرة [١٩٦ - ا] .

٣٨-يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ وَعَمَّا لَمْ تُلْقِهِ مَا أَلَاقَا

أَلَاقَ يُلِيق إلاقة ، ولَاقَ يَلِيق : إذا أمسك وحبس .

يقول: كلّ بحر يقصّر عن جود يمينك ، وما أمسكه البحر من جواهره ، ومن بابه الذى هو فيه ، يقصر عما لم تمسكه[3] من العطاء ، فيكون ما من عطائك[4] أكثر من جواهر البحر ومائه .

٣٩-وَلَوْلاَ قُدْرَةُ الْخَلَّاقِ قُلْنَا أَعَمْدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا ؟

يقول : لولا علْمنا بقدرة الله عزّ وجلّ ، على ما يعجز عنه كل قادر ، ويخرج عن العادة ، لشككنا فى خَلْقك ! أوَ قع عن قصد واتفاق من غير مانع[5] ! ؟

(١) فى النسخ : « عيسى بن عيسى الرابعى » تحريف وعلى بن عيسى الربعى : صاحب أبى على السيرافى بغدادى المنزل شيرازى الأصل ولد سنة ٣٢٨ وتوفى سنة ٤٢٠ ممن روى عن المتنبى وأخذ عنه شعره وقرأ عليه ديوانه فى شيراز وكتب كتاب : « التنبيه » فى شعر المتنبى يرد فيه على ابن جنى . انظر الصبح المنبى ٢٦٨ ، والمتنبى و٢٨ إنباه الرواة ٢/ ٢٩٧ ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٨ - ٨٥ .

(٢) مو : « مع نفسه » ساقطة .

(٣) ق ، شو : « تمسك » .

(٤) ق ، شو : « فيكون ماتعجز من عطائك » .

(٥) وذلك لبعْد الوهم أن يكون مثلك خلق فى جودك وكرمك . الواحدى ، التبيان .

٤٠- فَلاَ حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرْجًا وَلاَ ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا

يقول : لا زالت خيلك مُسْرجَةً أبدًا فى الحرب ،[1] ولا ذاقت الدّنيا مرارة فراقك .

(١٧٤)

وقال يمدحه ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود ، فى جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة[2] :

١ - مَاسَدِكَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودِ أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ

ماسَدِكَتْ : أى ما علقت . يقال : سدِك به ، لصق به ، إذا لازمه ولم يفارقه . والمورود : المحموم[3] الذى تَرَدَّدُ [عليه][4] الحمى كلَّ يوم .

يقول : مادامت علة[3] على مريض ، أكرم من تغلب بن داود . يعنى أنه أكرم من كل مريض طال عليه مرضه .

٢ - يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ

المِيتَة : الميتة . الجِلسة .

يقول : كان يأنف من أن يموت على فراشه ؛ بشجاعته فى حال قد نزل به- وهو[5] - الموت الذى هو أصدق المواعيد .

---

(١) مو : « مروجة فى الحرب » .

(٢) مو ، ع : « وقال يمدحه ويرثى أبا وائل تغلب بن داود » . الواحدى ٤٣٠ : « وقال يمدحه ويرثى أبا وائل تغلب بن داود فى جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة » . التبيان ١/ ٢٦١ : « وقال يمدح سيف الدولة ويرثى ابن عمه تغلب أبا وائل » . الديوان ٢٨٣ : « وقال يمدحه ويرثى أبا تغلب بن داود » . العرف الطيب ٣٠١ . وقد سبقت الترجمة له .

(٣) ق ، شو : « المحموم » و « علة » ساقطتين .

(٤) فى الأصول : « الذى تردد الحمى » . (٥) مو : « وهو » ساقطة .

٣ - وَمِثْلُه أنكَرَ(١) الْمَمَاتَ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ

السَّابح : الفرس السهل ، الذى يمدّ ذراعيه فى عدوه ، كأنه يسبح . والقُود : جمع أقود ، وهو الطويل العنق .

يقول : من كان مثله فى الشجاعة أنكر هذه الموتة ، يعنى أنه لا يرضى الموت إلا على سروج الخيل السوابح الطوال الأعناق(٢) .

٤ - بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ وَضَرْبِهِ أَرْؤُسَ الصَّنَادِيدِ

العِثار : السقوط على الوجه ، وأراد هاهنا سقوط الرّماح عليه . واللَّبة : النحر . والصناديد : السادات ، وقيل : الشجعان .

يقول : إن مثله فى شجاعته(٣) ينكر موته على فراشه ، بعد مباشرته الحروب ، وكثرة وقع الرماح بصدره ، وضرب رءوس كثير من الشجعان الكرام .

٥ - وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذِّمْرِ فِيهَا فُؤَادُ رِعْدِيدِ

الغَمْر : الماء الكثير ، وجعل المهلكة غمرًا اتساعًا ، وأراد به معظمها ، وقيل : أراد وسطها ، والذِّمر : الشجاع ، والرِّعديد : الجبان ، الذى يرتعد من شدّة الخوف ، وقوله : للذمر إلى آخره . صفة للمهلكة .

يقول : إنه ينكر الموت على الفراش بعد خوض المهالك التى يصير قلب الشجاع فيها(٤) كقلب الجبان المرتعد من شدة الخوف ، ومن كان هذه حاله ، يستنكر موته على فراشه .

---

(١) ق : « ناكر » .

(٢) ق ، شو : « ينكرموته على فراشه بعد مباشرته الحروب وكثرة وقع الرماح بصدره وضرب رءوس كثير من الشجعان الكرام » . وهذه العبارة من شرح البيت رقم ٥ أى الذى يليه .

(٣) ق ، شو البيت ٤ : « بعد عثار القنا ... » ساقط حتى : « شجاعته » انتقال نظر .

(٤) ق ، شو : « فيها » ساقطة .

٦ — فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا صُبُرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودِ

الصُّبُر : جمع صابر . وقيل : جمع صبور .

يقول : إن صبرنا على هذه المصيبة ، فكذلك عادتنا ، وإن بكينا عليه ، فغير مستنكر لعظم المصيبة .

٧ — وَإِنْ جَزِعْنَا لَهُ فَلاَ عَجَبٌ ، ذَا الْجَزْرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَعْهُودِ[1]

الجزْر : نقصان الماء . والمدّ : زيادته .

يقول : إن جزعنا عليه فليس بعجب ، لأن هذا الجزْرَ فى البحر [١٩٦ — ب] غير معهود . يعنى أن مثل هذا المصاب لم نعهده لنصبر عليه ، وعبّر عن الرّجل بالبحر ، وعن المصيبة بالجزر ، يعنى : إنَّا وإن رأينا المصائب[2] قبل هذا . فلم نر مثل[3] هذه المصيبة ، فهى جزْر غير معهود على هذا الوجه .

وقيل : معناه أنه كالجزر[4] لم يعهد فى البحار ، وإنما يكون فى الأنهار ، فهذا أمر هائل عجب ، فجزعناله غير عجب[5] .

وقيل : أراد بالبحر سيف الدولة ، ومعناه أن موت هذا الرجل كالجزر العظيم فى البحر ، الذى ليس بحر أعظم منه ، وهو غير معهود . أى لم يمت لسيف الدولة أحد أجلّ منه .

٨ — أَيْنَ الْهِبَاتُ الَّتِى يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْمَوَاحِيدِ ؟ ؟

الزرافات : الجماعات . والمواحيد : جمع المُوحَد[6] .

(١) مو : سقط هذا البيت وترك مكانه بياض .

(٢) ق : « المصاب » .

(٣) مو : « مثل » ساقطة .

(٤) ق ، شو : « أنه كان الجزر » .

(٥) ق : « فجزعنا له غير عجب » ، ساقط انتقال نظر .

(٦) الموحد : هو الواحد . يقال : دخلوا موحد موحد : أى فرادى واحدًا واحدًا وأراد بالمواحيد الأفراد . انظر اللسان : « وحد » ، والتبيان .

يقول : أين المواهب التى كان يفرّقها على الجماعات والآحاد من قصاده .

٩ - سَالِمُ أَهْلِ الْوِدَادِ بَعْدَهُمُ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لاَ لِتَخْلِيدِ

يقول : مات بموته أهل ودّه ، فمن سلم منهم ، فإنما يسلَمُ لتجرّع الحزن[1] لا لأن يخْلد فى الدنيا ويدوم له البقاء ، لأنّ كلاًّ يموت .

١٠-فَمَا تُرَجِّى النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ ؟!

يقول : أىّ رجاء يكون للإنسان فى الدنيا ، ويكون أحمد حاليْه[2] وهو البقاء غير محمود ! لأنه مشوب بأنواع من الحزن والمكاره ، وغايته الموت .

١١-إِنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِى أَنَا الَّذِى طَالَ عَجْمُهَا عُودِى

نيوب : جمع ناب فى الكثْرة ، وتعرقنى : أى ما علىّ من اللحم . والعُرَاق : العظْم بما عليه من اللحم ، والعجْم : العضّ .

يقول : إن أنياب الزمان قد أخذت منّى وطال ما عجم نابُه[3] عودى ، فجربنى حتى عرفنى ؛ لكثْرة تقلبى لصروفه .

١٢-وَفِىَّ مَاقَارَعَ الْخُطُوبُ وَمَا آنَسَنِى بِالْمَصَائِبِ السُّودِ

المقارعة : المضاربة . والخطوب : الأمور العظيمة . والمصائب السود : هى الشديدة التى يسودّ بها البصر . وقيل : وصفها بالسود للبس الحداد فيها ، لشدتها .

يقول : فىّ مِنَ الصبر ما يقاوم الخطوب ، ويؤنسنى بالمصائب الشديدة .

١٣-مَاكُنْتُ عَنْهُ إِذَا اسْتَغَاثَكَ يَا سَيْفَ بَنِى هَاشِمٍ بِمَغْمُودِ

غمدْتُ السيف وأغمدته : [إذا أدخلته فى الغمد ، وهو رقرابه][4] .

---

(١) مو : « لتجزع الحرب » تحريف .

(٢) مو : « وأحمد حاليه » .

(٣) ق : « نابه » ساقطة .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام ، عن التبيان واللسان .

يقول : استغاث بك وهو فى أسر الخارجى ، فلم تك بمغمود عنه ، ومغيّب عن نصرته وإغاثته ، فلو قدرت الآن على تخليصه من الموت لخلصته ، لكن لا يقدر أحد على دفع الموت .

١٤- يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الأَمْـ ـلاَكِ طُرًّا يَا أَصْيَدَ الصِّيدِ

الأصيد : المتكبّر المائل العنق من الكبْر ، وجمعه صِيد[١] . والأملاك جمع فى القلة وفى الكثرة : المُلُوك .

١٥- قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ وَقْعُ قَنَا الْخَطِّ فِي اللَّغَادِيدِ

أَنْشَرَ اللهُ الموتى فَنَشَرُوا هُمْ[٢] : أى أحياهم الله فحيوا . واللَّغاديد : جمع لغدود[٣] ، وهى لحمُ باطِنِ اللَّهوات[٤] ، وهى أيضًا اللّغنون[٥] . والنُّغْنُغ[٦] .

يقول : كان قد مات من قبل هذه المرة ، أو هذه الحالة[٧] حين أسره الخارجى ، فأحياه وقْع الرِّماح الخطية ، فى اللغاديد . يعنى : أن سيف الدولة أوقع

(١) قال أبو العلاء : أصل الصيد داء يصيب البعير فى رأسه فتميل عنقه ، ثم استعمل ذلك فى الرجل صاحب النخوة ، والأحسن أن يكون ، قوله ياأصيد الصيد على منهاج قولهم : فلان ملك الملوك . أى أوحدهم الذى يعظمونه . ولا يريدون أنه أعظمهم صيدًا ، لأن ذلك يقبح كما يقبح هو أعور العور . أى أشدهم عورًا لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفعل ولا ما أفعله . النظام٤/ ٥٧١ والتبيان ولم ينسب القول .

(٢) ق : « فنشورهم » تحريف . مو « لنشروا وأحياهم فحيوا » .

(٣) اللغدود : اللغد ويجمع لغاديد ، قيل : هى ماطاف بأقصى الفم إلى الحلق من اللحم ، وقال أبو عبيد ، الألغاد : لحمات تكون عند اللهاة واحدها لغد . وهى اللغانين : واحدها : لغنون . أبو زيد واللغانين : لحم بين النكفتين واللسان من باطن ، ويقالها من ظاهر : لغاديد واحدها لغدود . وودج ولغنون ، اللسان .

(٤) اللهوات : جمع اللهاة ، وهى اللحمه المشرفة على الحلق ، وجمعها : لهوات ولهيات ولهى ولها وليهاء ، اللسان .

(٥) ق : « العيون » تحريف .

(٦) النغنغ : اللحمة فى الحلق عند اللهاة وهى اللغانين ، وقال ابن برى : هى : لحم أصول الآذان من داخل الحلق . اللسان .

(٧) ق : هذه المرأة أو هذه الحالة » تحريف .

بالخارجي [١٩٧ - أ] واستنقذه منه[١] ، بعد ما قتل منه خلقًا كثيرًا .

١٦- وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ

رَمْيُك : عطف على قوله : وقع الرماح[٢] .

أي أنشره بعد موته ، قَصْدُكَ الخارجي بجنودك ، وسيرك إليه ليلاً ، حتى طلعْتَ عليهم مع الصبح .

١٧- فَصَبَّحَتْهُ رِعَالُهَا شُزَّبًا بَيْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ

الهاء في « صبَّحَتْه » للمرثي ورِعالُ الخيل : أوائلها ، الواحد رَعِيل ورَعلة ، والهاء في رِعَالُها[٣] للجنود . والشُّزَّب : الضوامر . والثُّبَات : الجماعات . والعباديد : المتفرقون يمينًا وشمالاً .

يقول : جاءت هذا الرّجل أوائلُ خيلك يا سيف الدولة ، وقت الصبح ، جماعةً ومتفرقين ، حتى خلّصْتَه من أيدي بني كلاب .

١٨- تَحْمِلُ أَغْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالأَخَادِيدِ

الهاءُ في « أغمادها » للسيوف ، وذكْر الجنود يدلّ عليها ، ويرجع إلى الجنود إذْ لابدّ من كون أغماد السيوف معهم ؛ لكون السيوف فيها . والأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض ، وشبّه الضربة العظيمة بها .

يقول : كانوا ينتظرون الفداء فجئتَهم بخيلك ، وفي أغماد سيوفهم الفداء ، وهي السيوف ونقدوهم ضربًا فانتقدوا[٤] وكلّ ضربةٍ كأنها أخدود .

١٩- مَوْقِعُهُ فِي فِرَاشِ هَامِهِمُ وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السِّيدِ

---

(١) مو : « وانتقذه من يده » .

(٢) قول المتنبي في البيت ١٥ : « وَقْع قَنا الخط » أما وقع الرماح فتفسير لها .

(٣) يقول الواحدي وتابعه صاحب البيان : الضمير في « رعالها » يعود على الخيل وهي غير مذكورة ورواية البيت عندهما « فصبّحتهم رعالها » .

(٤) ق : « وأفردوهم ضربًا فأنفذوا » .

الفِراش : عظام الرأس . والسِّيد : الذئب ، وجمعه السِّيدان . والهاء « موقعه » راجعة إلى الضَّرب . والموقع[1] : مصدر ، وموضع الوقوع .

يقول : موضع هذا الضرب في رءوس بني كلاب ، ولكن ريحه في مناخر الذئاب ؛ لأنها أكلتهم بعد ما صاروا جيفًا ، فوصلت روائحهم إلى مناخرهم .

وقيل : معناه أنه إذا وقع بهم هذا الضرب ، تطاير عنه الدم ، وانتشرت رائحته إلى مناخر الذئب ، واستدل به على القتلى ، فأتى إليها وأكلها .

٢٠–أَفْنَى الْحَيَاةَ الَّتِي وَهَبْتَ لَهُ   فِي شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ

شاكرًا : نصب على الحال . وروى : « في شامخ ، وباذخ » أي عالٍ . والتَّسويد : السيادة .

يقول : أفنى أبو وائل الحياة التي وهبتها له حين استنقذته من يد الخارجي في شرف وزيادة ، وهو لك شاكرًا ولإحسانك إليه ناشرًا .

٢١–سَقِيمَ جِسْمٍ ، صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ   مَنْجُودَ كَرْبٍ ، غِيَاثَ مَنْجُودِ

« سقيم » وما بعده نصب على الحال . والمنْجود : المكروب .

يقول : أفنى الحياة التي وهبتها له[2] وهو سقيم الجسم ، ولكن مكارمه صحيحة ، وهو منْجُود كرب : أي مجهود كرْب العلّة ، وهو مع ذلك غياث كل مكروب . وهذا يدلّ على أنه لم يزل مريضًا منذ تخلص إلى أن مات .

٢٢–ثُمَّ غَدَا قِدُّهُ الْحِمَامُ ، وَمَا   تَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ

القِدّ : السّير المقدود[3] . والمصفود : المقيد المشدود .

يقول : كان أسيرًا في يد الخارجي ، فخلصته من أسره ، ثم مات أسيرًا للموت

(١) ق : « والوقع » .

(٢) في النسخ : « منه » .

(٣) السير المقطوع من الجلد وفي الواحدي والتبيان والعرف الطيب : « قيده بدل قده » .

الذى لا يقدر أحد على الخلاص منه ! فن صار مقيّدًا مغلولاً للموت ، لم يخلصه أحد من قيده .

٢٣-لاَيَنْقُصُ الْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَيِّقُ الْبِيدِ

[١٩٧ - ا] النّقص هاهنا متعدٍّ والهاء فى « منه » راجعة إلى العدد .

يقول : لا ينقص[١] مَنْ هلك من عددٍ يكون من ذلك العدد سيف الدولة الذى يضيّق المفاوز[٢] بجيوشه ، ففيه خَلفٌ من كل هالك ، وبدل من كل ناقص .

٢٤-تَهُبُّ فِى ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ

الهاء فى « ظهرها » راجع إلى « البيد » وكذلك فى « أرواحها » والمراويد : واحدها مِرْوَاد[٣] ، وهى التى تجىء وتذهب . وقيل : هى الريح اللّينة السهلة .

يقول : إن جيوشه تجرى فى المفاوز مجرى الرياح ، غير مسترخية ولا ضعيفة ، وخص المراويد[٤] ؛ لأنه أراد أنّ عساكره جرّارة لا تسير إلا بالهوينى ؛ من كثرتها .

٢٥-أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِى الْجَلاَمِيدِ

شبّه آثار سنابك الخيل على الأحجار الصُّلبة بأوّل حرف من اسْم سيف الدولة وهو العين من علىّ وهو يشبه أثر السنابك .

٢٦-مَهْمَا يُعَزَّ الْفَتَى الأَمِيرُ بِهِ فَلاَ بِإِقْدَامِهِ وَلاَ الْجُودُ

« الأمير[٥] » رفع لأنه اسمه ، والهاء فى « به » تعود إلى « مهما » لأنه اسم

---

(١) ق : « ينتقص » . (٢) ق : « يضيف للمفاوز » تحريف .

(٣) ق : « مرود » . (٤) مو : « المراويد وهى اللينة » .

(٥) « الأمير » رفع لأنه صفة : « للفتى » وهو نائب فاعل لـ : « يُعَزَّ » المبنى لما لم يسم فاعله ، ومن روى : « يعزِّ » بكسر الزاى : « فالفتى » . فاعل ، و : « الأمير » منصوب بوقوع العزاء عليه .

موضوع للشرط ، ومعناه مهما عُزِى الفتى : الذى هو الأمير سيف الدولة فلا يعزَّى بشجاعته وجوده ، لأنهما لا يفارقانه[١] أبدًا ، ويجوز أن يكون دعاء ومعناه : فلا عُزِّىَ بهاتين الخصلتين ؛ لأنهما متى سلما له فما سواهما حلل ، وروى : مهما يَعَزِّ ، فيكون « الفتى » فاعله ، « والأمير » نصب لأنه مفعوله ، ومعناه : مهما يعزِّيه بإقدامه وجوده .

٢٧– وَمِنْ مُنَانَا بَقَاؤُهُ أَبدًا حَتَّى يُعَزَّى بِكُلِّ مَوْلُودِ

يجوز « مَنْ » بالفتح بمعنى : الذى ، فيكون عطفًا على قوله : « فلا بإقدامه ولا الجود » أى فلا يعزى بإقدامه وجوده ، ونفْسه التى نتمنى أن تبقى هنا أبدًا ، ويهلك كل مولود ، حتى نعزِّيه بهم . والمراد : أنه لا يعزَّى بمصيبة فى نفسه . ويجوز « مِنْ » بالكسر فيكون مستأْنفًا ، والمعنى أن مرادنا أن يبقى . هو إلى أن يعزَّى بكل مولود وُلِدَ .

(١٧٥)

وقال أيضًا [يمدحه] وقد ركب سيف الدولة يشيِّع عبده يماك لما أنفذه فى المقدّمة إلى الرَّقَّة[٢] فهاجت ريحٌ شديدةٌ . فقال[٣] :

١ – لاَ عَدِمَ الْمُشَيَّعَ الْمُشَيِّعُ
٢ – لَيْتَ الرِّيَاحَ صُنَّعٌ مَا تَصْنَعُ

(١) ق : « فإنهما يفارقانه » .

(٢) الرَّقَّة : مدينة قديمة مشهورة على الفرات . معجم البلدان .

(٣) مو : « وقال قد ركب فى تشييع أبى شجاع لما أنفذه فى المقدمة إلى الرقة وهاجت ريح شديدة ، وذلك يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاث مئة وثمانية وثلاثين » . الواحدى ٤٣٤ : « وقال وقد ركب سيف الدولة لتشييع عبده يماك لما نفذ إلى الرقة فى مقدمته وهبت ريح شديدة » . التبيان : ٢/٢٢٠ : « وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ، فخرج سيف الدولة يشيعه وهبت ريح شديدة فقال » . الديوان ٨٦ : « وقال وقد ركب فى تشييع أبى شجاع لما أنفذه فى المقدمة إلى الرقة وهاجت ريح شديدة » العرف الطيب ٣٠٧ .

روى الأول بالكسر ، والثاني بالفتح . وقد روى بالكسر ، من ذلك يقول داعيًا له : لا عدم يماك[١] المشيَّع ، سيفَ الدولة المشيِّعُ[٢] أو لا عدم سيفُ الدولة غلامَه المشيع . وهذا أيضًا يتضمن الدعاء لسيف الدولة . ثم قال : ليت الرياح كانت تفعل مثل فعله ، لأن أفعاله[٣] تزيد على فعل الرياح .

٣ – بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ
٤ – وَسَجْسَجٌ أَنْتَ وَهُنَّ زَعْزَعُ
٥ – وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهُنَّ أَرْبَعُ
٦ – وَأَنْتَ نَبْعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ

يقول مفضّلاً له على الرّياح : إنها تضرّ ، وتنفع أنت . وقيل : إنه اتفق هبوب الريح الشديدة فذكر ذلك .

والسَّجْسَج :[٤] اللّينة . والزعزع : الشديدة . يعني : هي شديدة صعبة ، وأنت نفع خالص كالريح السَّجْسَج .

والرياح أربع : جنوب ، وشمال ، وصبا ، ودبور ، وأنت واحد تقوم مقامها [١٩٨ – ا] أجمع . وقيل : أراد لا نظير له والريح له نظير .

والنَّبع : شجر صُلْب يتّخذ منه القسي ، والخروع : شجر ضعيف . شبه شجر التين . يعني أنت أفضل من الملوك ، كالنّبع أفضل من الخروع .

---

(١) ق : « يمناكا » .
(٢) ق فقط : « المشيَّع » .
(٣) ق : « لأن أفعاله » ساقطة .
(٤) مو : « السجيج » .

(١٧٦)

وقال أيضًا [يمدحه] وهو سائر يريد الرقة ، وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثَّدْيَيْن [١] .

١ – لِعَيْنِى كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ   تَحَيَّرُ مِنْهُ فِى أَمْرٍ عُجَابِ

العجاب : أبلغ من العجيب . والهاء فى « مِنْه » للحظ [٢] .

يقول : إن لعينى منك كل يوم حظًا ! يتحير من ذلك الحظ ، ويتعجب منه .

٢ – حِمَالَةُ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ   وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ

حِمَالَةُ : أى ذلك العجاب هو حمالة [٣] . هذا هو العجاب .

يقول : أرى أمرًا عجيبًا وهو حمالة السيف ، وقعت على السيف ، الذى هو سيف الدولة ، لأنه سيف تقلد سيفًا ، وكذلك وقوع السحاب الذى هو المطر ، على سيف الدولة ، الذى هو كالسحاب جودًا .

---

(١) مو : « وقال له وهو يسايره يريد الرقة ، وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين على شاطئ الفرات ، لسبع ليال خلون من رمضان سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئه » . الواحدى ٤٣٤ : « وقال وهو سائر إلى الرقة واشتد المطر بموضع يعرف بالثديين » التبيان ١/ ٤٦ : « وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره وقد اشتد المطر الديوان ٢٨٦ : « وقال له وهو يسايره يريد الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين » العرف الطيب ٣٠٤ .

(٢) مو : « للحظ ويتعجب منه » .

(٣) الحمالة : التى يحمل بها السيف وهى المحمل أيضا .

(١٧٧)

وزاد المطر فقال فيه أيضًا[١]

١ - تَجِفُّ ٱلْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ وَيُخْلِقُ مَاكَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ

الرَّباب : [السحاب][٢] الأبيض ، وأراد تجف الأرض من مطر هذا الرَّباب فحذف المضاف .

يقول : تجف الأرض من هذا المطر[٣] ، وكذلك يُخْلِقُ ماكسى هذا المطرُ الأرضَ من أثواب الربيع وأنواع الأزهار ، وألوان الأنوار .

٢ - وَمَا يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَلاَ يَنْفَكُّ غَيْثُكَ فِى انْسِكَابِ

يقول : إن الأرض تجف من هذا المطر ، ولا يزال الدهر من سحاب جودك رطبًا ولا يزال جودك[٤] متصلاً ، فيبقى أثره على الدهر .

٣ - تُسَايِرُكَ السَّوَارِى وَالْغَوَادِى مُسَايَرَةَ ٱلْأَحِبَّاءِ[٥] الطِّرَابِ

تسايرك : أى تسير معك . والطِّراب : جمع طَرِب ، وهو الذى استخفه الشوق .

يقول : إن السحب التى تأتى ليلا والتى تأتى[٦] غُدْوة تسير معك حيث

(١) مو : « وقال وقد اشتد السحاب » . ع : « وزاد المطر فقال أيضا له » . الواحدى ٤٣٤ والتبيان ١/ ٤٦ : لم يضعا هذه المقدمة وإنما ذكراها قصيدة واحدةمع القصيدة السابقة رقم (١٧٦) . الديوان ٢٨٦ « وقال وقد اشتد المطر » العرف الطيب ٣٠٤ .

(٢) زيادة يقتضيها المقام .

(٣) ق : « فحذف يقول تجف من هذا المطر » سقطت بعض الكلمات .

(٤) ق : « ولا يزال جودك » ساقطة .

(٥) مو : « الأعزاء » .

(٦) مو : « ليلا والتى تأتى » ساقطة انتقال نظر .

سرت ، كما يسير الحبيب مع حبيبه ، إذا طَرِب إليه واستخفه الشوق نحوه .

٤ - تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَعْجِزُ عَنْ خَلائِقِكَ الْعِذَابِ

تُفِيد : أى تستفيد ، والتاء للسوارى والغوادى . يقال : أفادَ واستفاد[1] والاحتذاء : أن تفعل مثل ما فعل صاحبك . ويروى فَتحتَذِيه : أى تطلب حِذَى[2] جودك .

يقول: إن السحاب تسايرك حتّى تستفيد الجود منك ، وتحذو على حذوك من الجود ، فهى وإن استفادت عنك الجود احتذاءً ، تعجز عن أخلاقك العذبة .

(١٧٨)

وأجمل سيف الدولة ذكْره وهو يسايره فى طريق آمِد[3] فقال[4] .

١ - أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ[5] أَشْبَهُ تَأْتِى النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ

يقول : أنا إذا ذكرتُ جودَك ، وأثنيت عليك بإحسانك كنتُ بمنزلة من يَنِمُّ[6] عليك ، ويفشى أسرارك ؛ لأنك تفضل على الناس ، وتستره ، وتكره أن يظهر ذلك منك ، فأنا إذا أظهرتُه كنتُ فى حيّز الواشين بك .

٢ - وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضٍ عَارِضًا أَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَبغِى نَصْرَهُ

(١) ق : «يقال فإذا استفاد» .

(٢) مو : «فتحتزيه» أى تطلب جدوى جودك» .
حذا الشيء حذوا : تبعه . يقال حذا الليل النهار ، ولا أفعل ذلك ماحذا الليل النهار أبدا .
واحتذى الشيء : حذاه . اللسان .

(٣) آمِد : بكسر الميم بلد قديم على نهر دجلة . مراصد الاطلاع «آمد» .

(٤) مو : «وقال يشكره وقد أجمل ... إلخ» . ع : وهو سائر . الواحدى ٤٣٥ : «وقال وقد أجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره» . التبيان ٢ / ٩١ : «وقال وقد سايره وأجمل ذكره بطريق آمد . الديوان ٢٨٧ : «وقال يشكر وقد أجمل .. إلخ» العرف الطيب ٣٠٥ .

(٥) مو : «لقيتك» . (٦) مو : «نم» . نمّ الشيء : انتشرت رائحته .

يقول : إذا رأيتك عارضًا دون عرض إنسان ، وذابًّا عنه تيقّنتُ أن الله تعالى ينصره على أعدائه .

وإنما قال ذلك ؛ لأن سيف الدولة أحسن ذكره .

فقال : إذا أثنيت عليّ ، لم أبال بمن عابنى ؛ وعلمت [١٩٨ — ب] أن الله تعالى ينصرنى على من يطْعن عليّ ذنبًا من عِرضى .

وفى قافية البيتين اضطراب لأنا إن جعلناها رائية ، فالهاء تكون وصلاً[١] ، وهذا لا يجوز ؛ لأن الهاء أصل فى البيت الأول ، وهو قوله : « فتكره » وفى الثانى ضمير وهو « نصره » فالبيت الأوّل هائى والثانى رائى ، وإن جعلناها هائية فالثانية تكون رائية لما بيّنا : أن الهاء أصل فى الأول ، ووصل فى الثانى . والكلام فى هذا المعنى يطول ، وموضعه كتاب القوافى[٢] ، وقيل القافية رائية وقد جاء مثل هذا فى الشعر القديم[٣] ، وقد تركت ذكره لئلاّ يطول .

(١٧٩)

وزاد سيف الدولة فى وصفه فقال له[٤] :

١ — رُبَّ نَجيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا   وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاظَتْ بِهِ مَلِكَا

---

(١) انظر التبريزى فى الكافى فى العروض والقوافى ١٤٩ — ١٥٢ .

(٢) أحد مؤلفات أبى العلاء . انظر ثبت كتبه فى المقدمة .

(٣) ق ، مو : « فى بيت قديم » وذلك مثل قول الشاعر

وبيضاء لا تنحاش منا وأمها   إذا مارأتنا زيل منّا زويلها

فاللام روى والهاء بعدها وصل ، وسمى الوصل وصلاً لأنه وصل حركة حرف الروى . انظر الكافى العروض والقوافى للتبريزى : ١٥٢ .

(٤) مو : « وقال وقد زاد ... إلخ » . الواحدى ٤٣٦ « وقال وقد أجمل سيف الدولة وصفه » التبيان ٢/ ٣٧٤ : « وقال وقد أجمل سيف الدولة ذكره » . الديوان ٢٨٧ « وقال وقد زاد ... الخ » العرف الطيب ٣٠٥ .

النجيع : الدّم الطريّ ، وقيل : اليابس ، وقيل : الخالص[١] .

يقول : ربّ دم أجراه سيف الدولة ، وربّ قصيدةٍ نظمْتُ فى مدحه ، أو نظمها الشعراء فى مدحه ، فغاظ الملوكَ حسنُها ، وحسدوه[٢] حيث قَصَّرُوا عنْ صفاته وخصاله .

٢ – مَنْ يَعْرِفُ الشَّمْسَ لاَ يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لاَ يَسْتَكْرِمُ الرَّمَكَا

يقول : مثْلك مثْل الشمس ، من عرفها لا ينكر مطالعَها ؛ لشهرتها ، وفضلها ، فكذلك أنت لا ينكر فضلُك ، وعلو محلّك ؛ فلهذا قصدتُك دون سائر الملوك . وكذلك مثْلك مع الملوك ، مثْل الخيل الجياد مع الرَّمَك[٣] : وهى الإناث من البراذين[٤] .

٣ – تَسُرُّ بِالْمَالِ بَعْضَ المَالِ تَملِكُهُ إِنَّ الْبِلاَدَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَا

يقول : نحن من جميع مالِك ، فأنت إذا وهبت لنا[٥] مالك فقد سررت بمالَك بعضَ مالِك الذى تملكه[٦] ، لأنك تملّكت[٧] البلاد والعباد ، فكأنك وهبت مالك ، من مَمَالِيكِكَ ، فالكلّ عائد إليك .

---

(١) النجيع : الدم ، وقيل : دم الجوف خاصة ، وقيل هو الطرى منه . وقيل : ماكان إلى السواد . وقال يعقوب : هو الدم المصبوب . اللسان « نجع » .

(٢) ق : « وحسد » .

(٣) الرمك : جمع رَمكة ، وهى الفرس التى تتخذ للنتاج دون الركوب . وبهذا فسر الواحدى وصاحب التبيان . وقال الجوهرى : هى الأنثى من البراذين وجمعها رماك وأرماك ورمكات مثل ثمار وأثمار .

(٤) البراذين : جمع برذون وهو ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء . وقال صاحب اللسان هو ماكان من غير نتاج العراب .

(٥) مو : « منا » ساقطة .

(٦) يقول الواحدى وتابعه صاحب التبيان : الناس كلهم لك ، فإذا وهبت أحدًا شيئًا فقد سررت بمالك مالك لأن الكل لك . اهـ .

(٧) مو : « تملك » .

(١٨٠)

وقال يخاطب سيف الدولة وقد سار يريد آمِد وتوسط جبالاً[١] :

١ – يُؤَمِّمُ ذَا السَّيْفُ آمَالَهُ وَلاَ يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ

وروى : يؤمِّل[٢] .

يقول : هذا السيف يقصد إلى آماله ويدركها بسعيه ، ولا يفعل سيف الحديد مثل فعله ، ولا يمضي مضاءه .

٢ – إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

طاله : أى علاه . يعنى إذا سار فى البرّ ملأه بخيله ، أو بخيره وبركته أو هيبته ، وإذا سار فى الجبل : علاه وغطّاه بجيشه . وقيل : علاه من حيث القدْرِ والجاه ، فهو أعلى منه وأعظم . وقيل : علاه بكثْرة الخير والبركات .

٣ – وَأَنْتَ بِمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ يُثَمِّرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ

نُلْتنا : أى أعطيتنا .

يقول : [أنت] بما أعطيتنا[٣] من العطايا ، كالمالك الذى يكثّر مالَه بمالِه ويصلحه به ، لأنّا عبيدك ، والدنيا كلها لك ، وهذا كقوله : « تسر بالمال[٤] » .

---

(١) مو : « وقال فى مسيره وقد توسط جبالا فقال له وهو يخاطبه يوم الخميس لست ليال خلون من شوال سنة ٣٣٨ » . الواحدى ٤٣٦ : « وقال وقد توسط أجبالا فى طريق آمد » . التبيان ٦٥/٣ : « وقال وقد توسط جبالا بطريق آمد » . الديوان ٢٨٧ : « وقال فى مسيره وقد توسط أجبالا فقال له وهو يريد آمد » العرف الطيب ٣٠٥ .

(٢) ق : « روى : يؤمد » . تحريف

(٣) مو : « يقول بما أعطيتنا » ساقطة .

(٤) فى القطعة السابقة :

تسرُّ بالمالِ بعض المال تملكه إن البلاد وإن العالمين لكا

٤ – كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْغَمٌ يُرَشِّحُ لِلْفَرْسِ أَشْبَالَهُ

الضَّيغم : الأسد ، وهو فعيل من الضغم : وهو العض والترشيح : التعليم والتدريب . ويروى : « يحرِّض » والفَرْس : الاصطياد ، وأصله دق العنق [١٩٩ – ا] .

يقول : أنت تعلِّمنا الحرب والشجاعة ، كالأسد يعلِّم أولاده الاصطياد .

(١٨١)

ونزل سيفُ الدولة آمد ، وكثر المطر بها ، ودعا أبا الطيب ، فدخل وهو يشرب ، فقال له :

قال بعض الناس ، فى قولك :

لَيتَ أنَّا إذا ارتحلتَ لك الْخَيـ ـلُ وأنَّا إذا نَزَلْتَ الخيامُ[1]

جعل الخيام فوقك ، وعرَّض بجليسٍ له . فأجابه أبو الطيب ، وأراد بهذا قطْع الكلام[2] .

١ – لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ

---

(١) وذلك من قصيدته التى أولها :

أين أزمعت أيهذا الهمام نحن نبت الربا وأنت الغمام

(٢) شو ، ق ، مو : كرر فيها بعض العبارات وحذف بعضها فآثرنا مقدمة الديوان وهى أقرب مايكون إلى « مو » . الفسر ١/ ٦١ وتعلق عليه فى قوله :

ليت أن إذا ... البيت . الواحدى ٤٣٧ : وعاتبه فقال مجيبًا بعض الناس فى قوله :

ليت أنا إذا ارتحلت لك الخيـ ـل وأنا إذا نزلت الخيام

وقال الخيام تكون فوقه فقال » .

التبيان ١/ ٤٤ : « وقال وقد تعلق عليه بقوله فى سيف الدولة : ليت أنا إذا ارتحلت ... » إلخ فقالوا : جعل الخيام فوقه ، فقال ارتجالا » . الديوان ٢٨٨ : نص ماهو مذكور فى المقدمة ويكاد يتفق مع نسخة ع وتيمور . العرف الطيب ٣٠٦ .

يقول : نسبوا الخيام إلى العلاء ، فأبيت أنا قبوله ، وامتنعت منه كل الامتناع ، لأني لا أسلّم أن تكون السماء فوقك ، فكيف الخيام ؟!

٢ - وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثُّرَيَّا وَلا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للسماء[1]

٣ - وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ[2]

يقول : إني لم أسلّم أن السماء والثريّا فوقك ؛ لأن اعتقادي أنها دونك ، وأنت فوقها ! وكيف أسلّم أن الخيام فوقك مع أنها دونك ؟!

٤ - تَنَفَّسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ

تنفس : أي تتنفس ، فحذف تاء الخطاب . والعواصم[3] : بلدان كانت من أعمال سيف الدولة ، فتعرف : أي العواصم .

يقول : إذا تنفست وبينك وبين العواصم مسيرة عشرة ليال ، عرفت العواصم طيب نفسك في الهواء !! وأراد أهلها ، وبالطيب : العدْل والإحسان .

(١٨٢)

وذكر سيفُ الدّولة لأبي العشائر جَدَّه وأباه ، وفي نسخة ذكَر سيفُ الدولة جدَّ أبي العشائر فقال أبو الطيب[4] :

---

(١) هذان البيتان (٢ ، ٣) سقطا من « ق » وترك مكانهما بياض . ع : قدمت البيت ٣ : « وقد أوحشت » على البيت ٢ : « وماسلمت » .

(٢) يقول : لما خرجت من الشام أوحشتها بخروجك ، حتى سلبتها الجمال الذي كان فيها بكونك فيها .

(٣) العواصم : حصون موانع بين حلب وأنطاكية وأكثرها في الجبال وربما دخل في هذا ثغور : المصيصه وطرسوس . معجم البلدان .

(٤) ع : « وذكر سيف الدولة أبا العشائر وأباه وجده وفي نسخة .. إلخ » . الوحدي ٤٣٧ كما هو مذكور في الشرح . التبيان ٤/ ٢٦٣ : « وذكر سيف الدولة جد أبي العشائر وأباه فقال » . الديوان ٢٨٩ : « وقال وذكر .. إلخ » ماهو مذكور . العرف الطيب ٣٠٧ .

١ – أَغْلَبُ الْحَيِّزَيْنِ مَا كُنْتَ فِيهِ وَوَلِيُّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ

الحيِّز : الجانب ، وقيل : الفريق ، والجيش . ويجوز تَنْمِيهِ بفتح التاء[1] : أى تَنْتَمى إليه ، ويجوز بضم التاء : أى تزيد فيه ، من أنميتُ المال ، ونَمَى هو .

يقول : هو أغلب الجانبين أو الفريقين[2] أو العسكرين ، الذى أنت فيه ، والأولَى بالكثرة من كنتَ منتسبًا إليه ، أو من كنت تزيد فيه .

٢ – ذَا الَّذِى أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنْيَةً دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ

دِنْيَةً : أى قُرْبًا[3] ، وهو مصدر فى موضع الحال ، لمّا قال : القبيل الذى أنت فيه[4] أولى بالزيارة ، استدرك هاهنا فقال : إنما يغلب الذى[5] أنت جده وأبوه[6] الأدنى ، لا أبوه الذى ولَدَه وجدّه . فكأنه[7] قال : إنما انتسبتْ هذه القبيلة إليك فى الحقيقة[8] .

(١٨٣)

وأذَّن المؤذّن[9] فوضع سيف الدولة القدح من يده ، فقال أبو الطيب رحمه الله تعالى[10] :

(١) ق : « بفتح الياء » تحريف .

(٢) ق : « و » بدل « أو » .

(٣) فى النسخ « دنية قرينة » والتصويب عن كتب اللغة يقال : هو ابن عمى دنية أى أدنى بنى العم إلىّ .

(٤) ع : « أنت منه » . (٥) مو : « إنما الذى يغلب » .

(٦) مو : « أبوه وجده » . (٧) ع : « فكأنه » ساقطة .

(٨) ق : « فى الحقيقه » ساقطة . (٩) ق : مو : « وأتى المؤذن » .

(١٠) مو : « رحمة الله » لم تذكر . الواحدى ٤٣٨ : « وقال وقد أذن المؤذن فوضع سيف الدولة الكأس من يده » . التبيان ٣/ ١٨٥ : « وقال وقد أذن المؤذن فوضع سيف الدولة الكأس من يده » . الديوان ٢٨٩ : « وقال وقد أذن المؤذن فوضع سيف الدولة الكأس من يده » العرف الطيب ٣٠٨ .

١ – أَلاَ أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِى وَلاَ لَيَّنْتَ قَلْبًا وَهْوَ قَاسِى
٢ – وَلاَ شُغِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِى وَلاَ عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ

كان الوجه أن يقول : ناسيًا[1] ، لكنّه حذفه للضرورة ، فجاء به على قول من قال[2] : رأيت قاض[3] .

يقول للمؤذن : أذّن فإنّ أذانك لم ينبّه سيف الدولة من غفلته ، وليسَ قلبُه قاسيًا فتليّنه بأذانك [١٩٩ – ب] ولم يشغله الكأس عن حقّ الله تعالى ، ولا عن المعالى .

(١٨٤)

وذكَر سيف الدولة بيتا أحبّ إجازته وهو[4] :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّحْرِ أَعْتَرِضُ الدُّمَى فَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْكِ فِى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ

الإجازة فى البيت : إضافة بيتٍ ، أو أبيات إلى بيت آخر يتمّ به معناه ، أو إضافة مصراع إلى مصراع يوافقه ، ويتم معناه كقول بعضهم وقد شرب ماء :

عَذُبَ الْمَاءُ وَطَابَا

فقال أبو العتاهية :

حَبَّذَا الْمَاء شَرَابَا[5]

(١) وذلك لأنه منصوب بـ « أذكرت » .

(٢) فى النسخ : « وهو أيضًا يقول » .

(٣) يعنى أجراه فى النصب مُجْرى الرفع والجر . وقوله : « وهو قاسى » جملة ابتدائية فى موضع الحال .

(٤) مو : « وهو مفرد » زيادة . الفسر ١/ ١٤١ : « وذكرسيف الدولة بيتًا ليجيزه وهو » الواحدى ٤٣٨ : نص ماهو مذكور . التبيان ١/ ٤٧ وأنشده سيف الدوله بيتًا وهو » . الديوان ٨٩ : نص ماهو مذكور .

(٥) ديوان أبى العتاهية ٤٨٦ والبيت فيه بتمامه .

عذب الماء وطابا حبذا الماء شرابا

فما ذكره أبو العتاهية هو الإجازة(١) ومعنى البيت : خرجت يوم الأضحى أنظر إلى وجوه الحسان وصوَرهم ، فما رأيت فيه أحسن منكِ فى عينى وقلبى . والدمى : جمع دمية وهى الصورة .

فقال أبو الطيب مجيزًا(٢) .

١ - فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي
وَأَقْتَلُهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلاَ حَرْبِ

أهدى الناس : أى أكثرهم هداية وأقصد ، و « سهمًا » نصب على التمييز ، وأراد به العين . وقوله : « أهدى » يعنى يا أهدى الناس ، ويجوز أن يكون صفة لكاف الخطاب .

يقول : فديناك من معشوق يهدى سهمه إلى القلوب ، ويقتل الرجال الشجعان اللابسين الدروع ، وقيل أراد به سيف الدولة ، يعنى أنك تقتل أعداءك ولا تقيهم الدروع(٣) فعلى هذا يكون « القلب » بلاياء . والأول أولى(٤) .

٢ - تَفَرَّدَ بِالأَحْكَامِ فِي أَهْلِهِ الْهَوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ(٥) .

يقول : حكْم الهوى يخالف سائر الأحكام ، فالكذب فيه حَسن !

= وانظر الحيوان ٥/ ١٣٧ ومروج الذهب ٣/٣٢٧ والمثل السائر ١/ ١٨٦ط محى الدين . وقد ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى أن الشطر الأول لأبى نواس والشطر الثانى إجازة من أبى العتاهية لشطر أبى نواس ، وانظر القصة فى المثل السائر .

(١) ق : « فما ذكر أبو العتاهية هو الإجازة » ساقط .

(٢) الواحدى : « وقال مجيزًا » التبيان : « فقال أبو الطيب » الديوان : « فقال أبو الطيب » العرف الطيب ٣٠٧ .

(٣) ق : « وقيل . . . الدروع » ساقط انتقال نظر .

(٤) ق : « بلاثا الأولى أولى » تحريف .

(٥) فى الديوان أخّر هذا البيت عن البيت الذى يليه .

وخلف الوعد فيه جميل ! وإن كان قبيحًا من سائر الناس .

٣ - وَإِنِّي لَمَمْنُوعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَغَى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحُبِّ

المقتل : الموضع الذى إذا أصيب من الجسد مات صاحبه .

يقول : مقاتلى ممنوعة فى الحرب بشجاعتى[1] ، وإن كنتُ مبذول المقاتل فى الحب ، فيصيب الهوى مقتلى بأهون سعى ! وهذا أيضًا من أحكام الهوى المخالفة لسائر الأحكام .

٤ - وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ
أَصَابَ الْحَدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ

يقول : مقاتلى[2] مبذولة فى الحب ، وإن كانت ممنوعة فى الحرب ، لأن مَنْ كان له عينان مثل عينيك ، سهل عليه المرام الصعب ، وأدركه بأهون سعى[3] .

وقيل : أراد من كانت عيناك نصب[4] جفونه ، صار طوعًا لها ، فلا يملك الامتناع من سهامها[5] .

وهذه الأبيات ليست بجيدة فى الإجازة ؛ لأنها لا تتضمن معنى البيت الذى أجازه ، غير أنها على وزنه ورويّه ، وهذا القدر لا يكفى[6] فى الإجازة ، بل لابدّ أن يكون له تعلّق بالمعنى الذى فى البيت الأول .

---

(١) ق : « كشاعتى » .

(٢) ق : « مقاتلى » .

(٣) ق : « بالسعى » .

(٤) ق : « وبعينك نصب » .

(٥) ق : « سهلها » .

(٦) ق : « لا يلفى » .

(١٨٥)

وقال يمدحه بميا فارقين[1] ، وقد نزلها سيف الدولة فى شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وقد أمر الغلمان والجيش[2] بالركوب بالتَّجافيف[3] والسلاح[4] :

١ – إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ ؟!

« كان » هاهنا بمعنى : وقع ، لا يحتاج إلى خبر .

يقول : من عادة الشعراء أن يقدموا النسيب[5] على المديح ، حتى كأن كل شاعر عاشق ؟! ليس [الأمر] كذلك[6] بل يجوز أن يكون فيهم من يمدح ولا ينسب ، إذ لا يجب أن يكون كل شاعر عاشقًا .

٢ – لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فإنه[7] بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ

[٢٠٠ – ا] يقول : إذا كان ذكر النَّسيب لا يدل على كون الشاعر عاشقًا ،

---

(١) ميافارقين : أشهر أعمال دياربكر ذكر صاحب التبيان أنها صغيرة ولها رستاق كبير . قال صفي الدين البغدادى : قيل : مابنى منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان ، ومابنى بالآجر فهو بناء أبرويز ، والذى يعتمد عليه أنها من بلاد الروم لانها فى بلادهم . مراصد الاطلاع .

(٢) ع : « والجيوش » مو : ساقطة .

(٣) التجافيف جمع التِّجفاف : وهو ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيانه الجراح فى الحرب . وهو مايلبسه المحارب كالدرع أيضًا . اللسان .

(٤) مو : زادت بعد ذلك : « وكان يومًا حسنًا » . ع : زادت بعد ذلك : « بميافرقين فى السنة المذكورة » . الواحدى ٤٣٩ : « وقال أيضًا يمدح سيف الدولة بميافارقين ، وقد أمر الجيش بالركوب والتجافيف والسلاح والعدد وذلك فى شوال سنة ثمان وثلاثين ثلاث مئة » . التبيان ٣/ ٣٥٠ : « وقال يمدحه ويصف الجيش سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة بميافارقين . الديوانه ٢٩٠ : « وقال فيه وهو بميافارقين ، وقد نزلها سيف الدولة فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة ، وقد أمر الغلمان والجيش بالركوب بالتجافيف والسلاح » العرف الطيب ٣٠٨ .

(٥) ق : « النسيب » ساقطة . النسيب فى الشعر : الرقيق منه ، المتغزل به فى النساء .

(٦) ق : « ليس لذلك » . (٧) ق : « لأنه » .

فذكر محاسن سيف الدولة ، والتشبب[١] بأوصافه أولى ؛ فإن الذكر الجميل يبدأ به ويختم ، إذ هو فى جميع أوصافه .

٣ - أَطَعْتُ الْغَوَانِى قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِرِى ... إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ

طمَحَ بنظره : إذا رفعه . وقيل : هو أن ينظر إلى مكانٍ بعيد . وناظر العين : سوادها .

يقول : أطعت الغوانى[٢] قبل أن أنظر إلى معالى الأمور ، فلما نظرت إليها صغر فى عينى أمر الغوانى . وقوله : « يصغرن » أى الغوانى « ويعظم » أى المنظر .

وقيل معناه[٢] أطعتهن قبل أن أرى سيف الدولة ، فلما رأيته عظم فى عينى شأنه وصغر أمرهن عندى .

٤ - تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فِى أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ

تعرّض : أى أتاه من عُرْضه : أى من جانبه . والتّطبيق فى القطع : أى يقطع المفصل فيكون أسهل ، والتصميم : أن يمضى فى العظم فلا ينبو عنه .

يقول : إن سيف الدولة قصد إلى الدّهر فقطّع أوصاله ، وأمضى على[٣] أحكامه تارة بالعنف : وهو التصميم . وتارة بالرفق : وهو التطبيق ، ولما جعله سيفًا : جعل مضىَّ أمره على الدهر قطعًا لأوصاله .

٥ - فَجَازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ ... وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمُ

« ميسم »[٤] ، قيل : هو الحُسن . وقيل : هو من العلامة ، و « حكمه » رفع « بجاز » أى جاز له حكمه على الشمس و « ميسم » رفع بـ « بان » .

---

(١) مو : « والنسيب » .

(٢) ق : « الغوانى » ساقطة ، وكذلك : « معناه » .

(٣) مو : « عليه » .

(٤) ق : « ميسم » ساقط :

والميسم : من قوله وسمه يسمه ، ومعناه على الأوّل أنه ملك الدهر حتى جاز حكمه على الشمس ، ونفذ فيه مراده ، وبان على البدْر ، وحسْنه ظهر[١] عليه وغلبه ، وقيل : إن جواز أمره على الشمس هو أنه متى شاء غيَّر لوْنَها بغبار خيله ، وأخفى ضياءها بلمْع سيوفه ، والأوْلى أن يُحْمل على مجرد الدعوى ، مبالغة فى المدح .

وإن أريد بالميسم العلامة فمعناه : أنه قد ظهر وسْمه وأثَره على كل شىء من الدهر ، حتى على البدر ، يعنى أنه يذهب بضوء البدر .

وقيل : إنه أراد به الكلَف[٢] الذى نراه[٣] فى القمر ، وإنه من تأثير سيف الدولة فيه ، وقد وسمه ، كما يسم الرَّجلُ دوابّه وإبله .

٦ – كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا

يقول : كأنّ أعداءه فى بلادهم عمّاله وخلفاءه ، فإن شاء حاز[٤] بلادهم بالقهر . وإن شاء سلّموها[٥] وتسلّمها منهم .

٧ – وَلاَ كُتْبَ إِلاَّ الْمَشْرَفِيَّةَ عِنْدَهُ وَلاَ رُسْلٌ إِلاَّ الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ

العرمرم : الجيش الكثير المضطرب .

يقول : ليس له إلى أعدائه كُتُب إلا السّيوف ، ولا يرسل إليهم رُسُلا سوى الجيش .

٨ – فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ

(١) ق : « وبان على البدر حسنه وظهر عليه » .

(٢) الكلف : نمش يعلو الوجه ، وقيل : حمرة كدرة تعلوه . اللسان .

(٣) ق : « يراه » .

(٤) مو : « جاز » .

(٥) ق : « سلموها » ساقطة .

٩ - وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ

يقول : إنه ملك البلاد ، وعمّ بإحسانه العباد . وليس أحد من الناس إلا ناصره ، ولا ناطق إلا شاكره ، وما من منبر في البلاد إلا وخطيبه[1] يدعو له ، ويذكر اسمه ، ولا دينار ولا درهم إلا وهو مضروب باسمه [٢٠٠ - ب] .

١٠ - ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ

يقول : إذا تدانت الأقران في الحرب ، وضاق ما بين الحسامين ، فلم يتمكن الشجاع من الضرب وجد هو لسيفه مجالاً ، وإذا اشتد الأمر ، وعلا الرَّهَجُ[2] حتى يظلم بين الشجاعين ، كان هو بصيراً في الحالة ، ولا يخفى عليه وجوه الصواب .

١١ - تُبَارِي نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَمُ

تُباري : أي تعارض . ونجوم القذْف : النجوم المنقضّة لرجم[3] الشياطين . والورْد : الأشقر . والأدهم : الأسود .

يقول : خيله تعارض النجوم المنقضّة في السُّرعة وفي رمي الأعداء ، فكما أن النجوم لا يُرْمى بها إلا الشياطين وتحرقها ، فكذلك خيله التي منها الورد والأدهم ، تسري إلى الأعداء فتحرقها كالنجوم المنقضّة على الشياطين .

١٢ - يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لاَ حَمَلْنَهُ وَمِنْ قِصَدِ الْمُرَّانِ مَالاَ يُقَوَّمُ

القِصَد : ما تكسر من الرِّماح . الواحدة : قِصْدة . والمُرَّان[4] : الرماح اللّينة والضمير في يطأن : للخيل ، والهاء في « حَمَلْنَهُ »[5] « لمَنْ » .

---

(١) مو : « إلا عليه خطيبه » .

(٢) الرهج : الغبار .

(٣) ق : « برجم » .

(٤) المران : جمع مارن ، وهو مالان من الرماح .

(٥) في الأصول « يحملنه » .

يقول : تطأ خيله من الشجعان مالا تحمله الخيل : يعني القتلى . وتطأ الرماحَ المتكسرة التي لا تقوّم . وقوله : من لا حملنه . معناه من لم يحملنه . أقام « لا » مقام « لَمْ » ويجوز أن يكون وحملنه : بمعنى[1] يحملنه . وتقديره يطأن من الأبطال من لا يحملنه ، فيكون موافقًا لقوله : مالا يقوّم . وقيل : إنه دعاء . ومعناه من لا أظفره الله على الممدوح وجيشه ، ومعناه من يستحق أن يقال : لا حملنه . أي من يستحق هذا الدعاء عليه . وهذا كقوله : « فداءه » : أي يستحق[2] أن أقول له : جعلت فداءه .

١٣– فَهُنَّ مَعَ السِّيدَان فى الْبَرِّ عُسَّلٌ وَهُنَّ مَعَ النِّينَانِ فِي الْمَاءِ عُوَّمُ

١٤– وَهُنَّ مَعَ الْغُزْلَانِ فِي الْوَادِ كُمَّنٌ وَهُنَّ مَعَ الْعِقْبَانِ فِي النِّيقِ حُوَّمُ

السِّيدان : جمع السِّيد . وهو الذئب . والعسّل : جمع عاسل ، وهو المضطرب فى عدْوه . والنِّينان : جمع نون ، وهو الحوت العظيم . والواد : أصله والوادي فاكتفى بكسر الدّال[3] . والنِّيق : رأس الجبل . والعِقبان : جمع عقاب .

يقول : إن خيله قد ملأت البر والبحر والسهل والجبل[4] ، فى البرّ كالذئاب ، وفى البحر كالحيتان ، وتكمن مع الغزلان فى كل وادٍ ، وتحوم مع العقبان فى كل نيق[5] فلا موضع يخلو منها .

١٥– إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ بِهِنَّ وَفِي لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ

جلب : حمل . والوشيج : أصول الرماح[6] ، وأراد به الرماح هاهنا . يعني

(١) ق : « يعني » وفيها « ويجوز أن يكون « لا » على معنى وحملته يعني يحملنه » .

(٢) مو : « مستحق » .

(٣) مو : « الياء » .

(٤) مو : « والوعر » .

(٥) النيق : أعلى الجبل .

(٦) يريد بذلك : عروق القنا ، التبيان .

أن خيله قد تعودت القتال ، فإذا جلب النَّاسُ الرِّماح من معادنها ، فإنها لاتتكسَّر إلا في صدورهن ، أو بأيدي فرسانها ؛ لأنه لا يكون حرب إلا معه .

١٦- بِغُرَّتِهِ فِي الْحَرْبُ وَالسِّلْمِ وَالحِجَا وَبَذلِ اللُّهَا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمُ

اللها : الدّراهم .

يقول : سيف الدّولة معلِم بغرّته ، [٢٠١ - ا] مشهور بوجهه في هذه المواضع ، لا يحتاج إلى علامة غيرها ؛ لشهرتها . وروى : « معلَم » أي قد أعلم لذلك ، أو عليه موضع علامة .

١٧- يُقِرُّ لَهُ بالْفَضْلِ مَنْ لاَ يَوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لاَ يُنَجِّمُ

يقول : قد ظهر فضله في الناس ، حتّى تساوى في الإقرار به الأولياء والأعداء ، وثبتت له السعادة ، واستمرت له السلامة ، حتّى تشارك المنجم وغيره بالقضاء له بالسعادة ؛ استشهاراً(١) بظاهر الحال فيعتبر به المآل .

١٨- أجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ

أجار على الأيام : أي منع جورها عن الناس . وعادٌ وجرهم : أمّتان هلكتا في قديم الزمان .

يقول : إنه أجار جميع الأنام من حوادث الأيّام ، حتّى ظَنَنْتُ أنّ عاداً وجرهماً . تجيئان إليه ، وتطالبانه(٢) بردهما إلى الدنيا ، والانتقام لهما من الأيام .

١٩- ضَلاَلاً لِهَذَى الريح ! مَاذَا تُرِيدُهُ !؟
وَهَدْيًا لِهَذَا السَّيل ! مَاذَا يؤَمِّمُ

ضلالاً ، وهدْيا : نصب على المصدر بفعل مضمر.

كان سيف الدولة زار قبر أمه فأصابه في طريقه ريح فيه مطر(٣) فقال للريح :

---

(١) مو : « اشتهار » . (٢) ق : « أنهما عادا وجرهما ويجيئان إليه ويطالبانه » .

(٣) في الأصول « ريح في ريح مطر » .

ضلالاً : أى أضلّها الله ضلالاً ؛ لأنها تزعم أنها عارضته ، وأرادت أن تثنيه عن طريقه . ودعا للسيل بالهُدَى ؛ لأنه زعم أنه[١] جاء مع سيف الدولة يزور قبر أمه ، ويسقى تربتها .

وقيل : الدعاء على الرّيح ؛ لأنها تضر فى الغالب ، ودعاء للمطر لأنه ينفع[٢] فى الأكثر .

٢٠–أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَبْلُ الَّذِى رَامَ ثَنْيَنَا   فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ ؟

يقول : هلاَّ يَسأل هذا المطر الذى أراد صرفنا عن مقصدنا ، حتى يخبره عنك الحديد المثلَّم ، بأنك إذا رُمْت مراماً لم يصدك عنه سيف حسام ، فكيف يثنيك المطر والغمام . وأراد بالحديد سلاح الأعداء .

٢١–وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ   تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْبًا وَأَكْرَمُ

الصوب : المطر . وأعلى منه كعبًا : أى منزلة .

يقول : لما تلقّاك السحاب بمطره فى طريقك ، تلقّاه من هو أعلى منه محلاً وأجل منه قدرًا .

٢٢–فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالَمَا بَاشَرَ الْقَنَا   وَبَلَّ ثِيَابًا طَالَمَا بَلَّهَا الدَّمُ

يقول : باشر السّحاب وجهًا أكثر منه مباشرة للرماح ، وبلّ ثيابًا بلّها الدّم قبل ذلك ، فالمطر أهون شىء عنده .

٢٣–تَلاَكَ – وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَهُ –
مِنَ الشَّامِ يَتْلُو الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمِ

يعنى يتبعك هذا المطر لأنك غيث مثله ، والغيث يتبع بعضُه بعضًا كما يتبع المتعلمُ الأستاذَ .

---

(١) ق : « زعم أنه » ساقطة .   (٢) ق : « لأنها تنفع » .

٢٤–فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا وجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِى تَتَجَشَّمُ

فاعل زار : الغيث ، ومفعوله « التى » و « الذى » فى موضع نصب ، لأنه مفعول جشّمه ، والهاء للغيث .

يقول : زار هذا الغيث قبر والدتك ، وكلّفه الشوق من السّير مثل ما تكلّفت أنت ، أى هو يشتاق قبرها كما تشتاقه أنت .

٢٥–وَلَمَّا عَرَضْتَ الجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذُّؤَابَةِ مِنْهُمُ

[٢٠١–ب] يقول : لما عرضْتَ الجيش ، كان بهاء هذا الجيش وجماله بالفارس الذى أرخى ذؤابته . سيف الدولة الممدوح .

٢٦–حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهَمُ

الطود : الجبل . والأيهم : الصّعب الذى لا يهتدى إلى موضع صعوده . والمائج : الفاعل من ماج يموج إذا اضطرب . شبه تجافيف الخيل ببحرٍ يموج لكثرتها وصفائها ، وشبه الخيل فى اجتماعها بجبل صعب المرتقى ، فجعل التجافيف بحرًا مائجًا على جبل شاهق .

٢٧–تَسَاوَتْ بِهِ الأَقْطَارُ حَتَّى كَأَنَّهُ يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظِمُ

الأقطار : نواحى الأرض ، والواحد قُطر وقتر[١] والهاء فى « به » للجيش ، أو للبحر أو للقطر[٢] .

والمعنى : أن هذا الجيش قد ملأ بين الجبال حتى تساوت به جميع نواحى الأرض ، وصارت الأرض جبالاً ، فكأنه جمع الجبال المتفرقة . وروى : أشتات[٣] البلاد .

(١) ق : « وقتر » ساقطة وبها رواية التبيان والديوان .

(٢) مو : « أو للطود » .

(٣) ق : « أشتاقت » مو : « اشتاق » تحريفات .

٢٨-وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ

يقول : كل واحد من هذا الجيش فوق جبينه أثر الضرب والطعن ؛ لشجاعته وتعوّده الحرب . فشبه أثر الضرب بالسطر لاستطالتها كالسطر[١] وأثر الطعن[٢] بالمعجم ؛ لاستدارته كالنّقط ، وهو أحسن من قول أبى تمام :

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقًا وَنَمْنَمَةً ضَرْبًا وَطَعْنًا يَقُدّ الْهَامَ والصَّلَفَا[٣]

كِتَابَةً لاَتَنِى مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَاكَتَبْتَ بِهَا لاَمًا وَلاَ أَلِفَا[٤]

٢٩-يَمُدُّ يَدَيْهِ فِى الْمَفَاضَةِ ضَيْغَمٌ وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ

المفاضة : الدرع الواسعة . والتَّرِيكة[٥] : البيْضة . والأرقم : ضربٌ من الحيات منقط كأنه مرقوم ، بما عليه من النّقط . والهاء فى « يديه » يعود إلى الفتى ، وقيل : إلى الضيغم . وفى « عينيه » إلى الأرقم ؛ لأنه المقدم فى المعنى ، وإن تأخر فى اللفظ . و « عينيه » نصب عطفًا على « يديه »[٦] شبه ساعدى الفتى فى الدّرع ، بساعدى الأسد ، وعينيه تحت البيضة ، بعينى الحيّة .

٣٠-كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُها وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسِّلاَحُ الْمُسَمَّمُ .

الشعار : العلامة التى يتعارف بها أهل الحرب . والمسمّم : المسْقى السّم . وروى : « المسهَّم » وهى والتأنيث كله للخيل . وقيل فى معنى البيت وجوه .

أحدها : أنّ هذا الجيش كثير مختلف ، اجتمع فيه كل أمّة من الجند ، وكما اختلفت هذه الأجناد ، كذلك اختلفت شعارها وأعلامها وسلاحها . فكل طائفة

---

(١) ق : « كالسطر » ساقطة . (٢) ق : « الضرب » .

(٣) ق : شو : بياض مكان هذين البيتين .

(٤) ديوانه ٢/٣٧٣ وفيه : « يقات الهام » . التبيان ٣/٣٥٧ وفيه : « يفل الهام » . و « ماخططت بها » .

(٥) التريكة : بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فتركت . والتريكة : البيضه تشبيها .

(٦) يريد : ويفتح عينيه . وهو من باب علفتها تبنًا وماء باردًا أى وسقيتها ماء .

على هيئة مخالفة لغيرها من الطوائف . كقوله :

في موضع تجمّع فيه كل إنس وأمّة

هذا ما ذكره المخزومى[١] .

وثانيها : أنه كلما اختلفت ألوان الخيل وأجناسها وأنواع الرجال وأجنادها[٢] ، كذلك الرايات والسلاح والشعار فإنهم فى هيئات الأسود والعقبان ، فالأسود من جنس الرجال ، والعقبان من جنس الأفراس،وشعارها مختلفة الألوان كألوان هذه الخيل ، وما لبسته من الحديد ، فى الخيل والرجال صلابة مثله :

وهم فى النفاد والهـ ـلاك كالسلاح المسمم

وثالثها : معناه أن جنسها كالحديد فى صبره على التعب[٣] والقتال ، ونداؤهم باسم الحديد [٢٠٢ – ا] لأنهم يتنادون بشعار سيف الدولة المنصور ، والسيف : حديد ، وما لبسته من التجافيف والجواشن ، وهى أيضًا حديد ، والسلاح حديد ، وعلى الرايات اسم سيف الدولة وهو حديد ، ولأنه جعل الرماح رايات .

وقال ابن جنى : معناه أن عسكره كله عربىّ . خيله وشعاره وملبوسه وسلاحه .

٣١–وَأَدَّبَهَا طُولُ الْقِتَالِ فَطَرْفُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ

الهاء فى « أدّبها » « وإليها »[٤] للخيل . و « تفهم » فعل الخيل ، والهاء فى « طرْفه » لكلّ فتى .

يقول : إن خيله تأدبت بآداب القتال ، فإذا أشار صاحبها إليها من بعيد فهمت مراده ، فجاءت إليه مسرعة . وروى : « طول القياد » و « طول الطّراد » .

---

(١) هو أبو محمد طاهر بين الحسين بن يحيى المخزومى البصرى . حسن التصرف فى الشعر وله مصنفات منها كتاب « فتق الكمائم » فى تفسير شعر المتنبى . تتمة اليتيمه ١/ ٢٠ .

(٢) مو : « أجناس الخيل وألوانها » « وأنوع الرجال وأجناسها » .

(٣) ق : « أن جنسها يصبر على التعب » .

(٤) ق : « وإليها » ساقطة .

٣٢–تُجَاوِبُهُ فِعْلاً وَمَا تَسْمَعُ الوحَى . وَيُسْمِعُهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ

الوحي : الصوت . يقول : إنّ صاحبها إذا دعاها بلحظه وإشارته ، أجابت بالفعل والمجيء ، وإن لم تسمع صوته .

٣٣–تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرِقُّ لِمَيَّا فَارِقِينَ وَتَرْحَمُ

تجانَف : أي تتجانف ، فحذف التاء ، أي تميل .

يقول : إن الخيل عدلت عن ميّا فارقِين وأخذت فى جانب فكأنها ترحمها ، وكانت ميا فارقين عن يمين هذه الخيل وهى من جملة ممالكه فلم يتعرض لها[1] لأن القصد كان إلى ديار الروم .

٣٤–وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً دَرَتْ أَىُّ سُورَيْنَا[2] الضَّعِيفُ الْمُهَدَّمُ

يقول : لو زحمت الخيل ميّا فارقين بمناكبها ، لكانت تدْرى أىّ السورين أضعف سورها أم سور الخيل ؟ يعنى جعل الخيل سوراً ؛ لثباتها وبُعْد انزعاجها عن موضعها بإزعاج مزعج ، والتصاقها للحرب[3] ، ومعناه : لو لم تعدل عنها ، ونزلت عليها ؛ لهدمت سورها .

قال ابن جنى : وحكى أن المتنبى أنشده هذه القصيدة عصرًا ، فسقط سور ميافارقين ليلاً ، وكان السور[4] جاهليًا .

٣٥–عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ
مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ

الطّاوى : الضامر ، واللطيف البطن ، وقوله : «كأنّه» يرجع إلى الطّاوى الأول ، وهى الفرس .

---

(١) يقول صاحب التبيان : تميل خيلك عن ميافارقين لأن بها قبر والدتك .

(٢) ق : «سوريها» . (٣) مو : «فى الحرب» . (٤) ق : «والسور» ساقطه .

يقول : على كل فرس ضامرٍ ، فارسٌ مثله في الضمور . فكأنّ هذا الفرس سقى من الدم ، وأطعم من اللَّحم .

قيل فيه وجوه :

منها : كأنه ذئب يأكل اللحم ويشرب الدّم ، فهو يهجم[1] بفارسه على الحرب كما يهجم الذئب على الصّيد .

وثانيها : كأنه يأكل لحم نفسه ، ويشرب دم نفسه . مبالغة في وصفة بالضمور ، والهزال ؛ لاعتياده القتال .

والثالث : أراد أنه أُطْعِم[2] لحوم الأعداء وسُقِي دماؤهم ، فهو مجدّ في طلبهم اقتداء بما مضى من العادة .

٣٦- لَهَا فِي الْوَغَى زِيُّ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ

يقول : زيّ هذه الخيل مثل زيّ فوارسها ؛ لأن كل فارس عليه درْع ومِغْفر ولثام ، وفرسه مغطّى بالتجافيف ، والبرقع .

٣٧- وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ

بُخْلاً : نصب لأنه خبر «ما» واسمه «ذاك» وهو في موضع الرفع .

يقول : تَغْطِيَتُهُم أنفسهم وخيلَهم [٢٠٢ – ب] ليس لجبْنهم وبُخْلهم بالحياة ، ولكنه مقابلة الشرّ بالشرّ ، ودفع الشرّ بمثله ، هو الحزم وجودة الرأي .

والصَّدْم : ضرب الشيء بمثله . وهذا قريب من قولهم : «الحديد بالحديد يُفْلح[3] » .

٣٨- أَتَحْسَبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنَّكَ مِنْهَا؟ سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ!

---

(1) ق : «يقتحم» .

(2) ق ، ش : «والثالث : أنه أراد أنه أطعم» . ع ، م : «والثالث أنه أراد طعم» .

(3) ذكر هذا البيت في أمثال المتنبي ١٣٧ ، وفي ق : «يصلح» . والمثل في فرائد اللآلي ١/١٣٣ : «إن الحديد بالحديد يفلح» والفلح : الشق . أي : يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله .

يقول لسيف الدولة : إن سيوف الهند كأنها تظن أصلَها أصلَك ، وأنك سيف مثْلها ؛ لمّا سميت باسمها وقد ساء ما توهمت ، لأنّك أشرف منها جوهرًا ، وأمضى منها فى الأمور ، وإنما أشركتها[١] فى الاسم لا فى الجوهر والخصال ، فأنت من العرَب أصلاً ، وهى من الهند ، وليس فيها خصالك .

٣٩-إذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا مِنَ التِّيهِ فِى أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ

يقول : إذا سميناك تبسمت سيوفنا فى غمودها عجبًا بأنك سمَّيها ، فكأنها حسبت أنك منها أصلاً ومنظرًا ، وليس الأمر كذلك[٢] .

٤٠-وَلَمْ نَرَ مَلْكًا قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى ! وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ

بدونه : أى بدون قدره .

يقول : ما رأيت ملكًا يسمى بدون قدره ويرضى بذلك غيرك ! فإنك لقبت بسيف الدولة فرضيت به لحلمك ، وهو لا يرضون لجهلهم[٣] .

٤١-أَخَذْتَ عَلَى الأَرْوَاحِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ تُعْطِى مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ

الثّنية : العقبة .

يقول : حكمت[٤] بين الأرواح وبين العيْش ، فكأنك قعدت على طريق الحياة ، فمن شئت خلّيت سبيل حياته ، ومن شئت صرفتها عنه . يعنى أنك قد استوليت على أرواح العباد ، فمن أغنته يبقى ، ومن لم تغنه يهلك . .

٤٢-فَلاَ مَوْتَ مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلاَ رِزْقَ إِلاَّ مِنْ يَمِينِكَ[٥] يُقْسَمُ

---

(١) مو : « اشتركتما » .

(٢) مو : « أصلاً ومنصبًا وليس كذلك » .

(٣) مو : « وهم الأرضون لحلمهم » تحريف .

(٤) مو : « حلمت » .

(٥) ق : « من بنانك » .

يقول : إن آجال الخلق فى سِنَانِك ، وأرزاقهم فى يدك ، فلا موت يتق إلا من سنانك[1] ، ولا رزق يقسم إلا من يمينك .

(١٨٦)

وضُرِبت خيمةٌ كبيرة لسيف الدولة بميّا فارِقين ، وأشاع النّاس أن المقام يتّصل ، فهبّت ريح شديدةٌ فسقطت الخيمةُ فأرجف[2] بذلك وتطيّر وتحدّث الناس فيه ، وتكلموا عند سقوطها فقال أبو الطيب رحمه الله تعالى[3] . [يمدحه ويذكر الخيمة] :

١ – أَيَنْفَعُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ ؟ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ

العُذَّل : جمع العاذل .

يقول : عذْل الخيمة على سقوطها غير نافع ، لأنها لا تقدر أن تشمل سيف الدولة مع اشتماله على الدهر ، وإحاطته به « ودهرَها » نصب « بيشمل » « ومَنْ » كناية سيف الدولة ، وهو بمعنى الذى وهو نصب بيشمل .

٢ – وَتَعْلُو الَّذِى زُحَلٌ تَحْتَهُ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تُسْأَلُ

وتعلو : فعل الخيمة . والذى : فى موضع نصب ، لأنه مفعول « تعلو » .

---

(١) مو : « إلابسنانك » .

(٢) أرجف : لم يستقر لخوف عرض له ، واضطرب من الجزع .

(٣) مو : « وقال أيضا بميافارقين ، وقد ضربت لسيف الدولة خيمة كبيرة ، وأشاع الناس أن المقام يتصل وهبت ريح شديدة فسقطت خيمته وتكلم الناس عند سقوطها » . الواحدى ٤٤٥ : « وضربت لسيف الدولة خيمة كبيرة بميافارقين ، وأشاع الناس بأن المقام يتصل ، وهبت ريح شديدة فسقطت الخيمة وتكلم الناس عند سقوطها فقال » . التبيان ٣/ ٦٦ : « وقال يمدحه ويذكر الخيمة التى رمتها الريح وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة بميافارقين .. إلخ » الديوان [illegible] ماذكرته « مو » العرف الطيب ٢١٣

يقول : كيف تعلو الخيمةُ سيفَ الدولة ؟ مع كون زحل[١] تحته ! وما تسأل الخيمة من العلوّ عليه أمر محال .

٣ – فَلِمْ لاَ تَلُومُ الَّذِى لاَمَهَا ؟ وَمَا فَصُّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ

[٢٠٣ – ا] التاء فى « تلوم » للخيمة . وقيل : للخطاب . « وما » فى قوله : « وما فص خاتمه » . للنفى بمعنى وليس . ويَذْبُلُ : جبل[٢] .

يقول : مَنْ لامها على سقوطها فقد سامها أمرًا محالاً ، فلها أن تقابله بما هو محال مثله . فتقول[٣] : لِمَ لَمْ تجعل فص خاتمه يذبلا ؟ الذى هو الجبل ، فكما أن هذا محال ، فكذلك استقرارها فوق سيف الدولة محال ، والهاء فى « خاتمه » تعود إلى الذى .

٤ – تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا وَيَرْكُضُ فِى الْوَاحِدِ الْجحْفَلُ

الأرجاء : النواحى ، الواحد رجًا .

يقول : جوانب الخيمة ، ونواحيها تضيق عن شخصك ؛ والواحد من الجوانب – لسعته – لو ركض فيه جيش عظيم لما ضاق عنه . يعنى أنها على سعتها تضيق عنك ! وقيل : أراد بالواحد : الواحد من الخيام : يعنى أن الواحد من الخيام يركض فيه العسكر الكثير ، لعظمه وسعته ، إلا أنه تَضيق عن شخصك نواحيها .

٥ – وَتَقْصُرُ مَاكُنْتَ فِى جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذُّبَّلُ

يقول : إنها وإن كانت عالية السَّمْك بحيث يمكن أن يركز فيها الرمح[٤] ،

---

(١) زحل : أحد الكواكب الكبرى وأبعدها فى النظام الشمسى .

(٢) يذبل : جبل مشهور بنجد . مراصد الاطلاع .

(٣) ق : « فيقول » .

(٤) ق : « الرمح له » مو : « أن يركز فيه » .

ولكنها تقصر عنك ، فى الوقت الذى تكون فيها ؛ لأنك أعلى من النَّجم ، وأرفع من السماء .

٦ – وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ؟ كأن الْبِحَارَ لَهَا أَنْمُلُ !

يقول : كيف تستقر الخيمة على راحتك[1] ؟ فكلّ أَنْمُلَةٍ[2] منها مثل البحر ، فلا يستقر البناء على الماء . وإن قلّ ، فضلاً عن البحار .

٧ – فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ

الوقار : السكون . والتاء فى « تحمل » قيل : للأرض : ومعناه ليتك قسّمت وقارك على جميع الخلق ، وحمّلت الأرض من الوقار ما يمكنها أن تحمله ؛ لأنها لا تستطيع أن تحمل جميع وقارك .

وقيل : التاء للخطاب ومعناه : ليتك حمّلت الأرض ما تحمل أنت من الوقار . ولو فرّقتَ وقارك على جميع الخلق لوصل إلى هذه الخيمة جزء منه وأمكنها بذلك القدر من الوقار السكون[3] والاستقرار .

٨ – فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدْتَهُمُ بِالَّذِى يَفْضُلُ

يعنى : لو فرّقت وقارَك وحلمَك بين الناس ، لوسِعَهم وصاروا به سادة حلماً[4] وكنت تفوقهم بالذى يفضل عنك من الوقار والحلم .

٩ – رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِى لَوْنِهَا كَلَوْنِ الْغَزَالَةِ لاَ يُغْسَلُ[5]

الغزالة : الشمسُ وقت طلوعها ، وكذلك المشرق .

يقول : رأت الخيمة نورَك قد عادها[6] ، وأضاءت الخيمة به ، كما تضىء

(١) الراحة : وسط الكف .

(٢) أنملة : مفرد أنمل ، وأنمل من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء .

(٣) ق : « إلى السكون » . (٤) ق : « سادة سادة حلمك »

(٥) ق : البيت ٩ : « رأت لون نورك » مقدم مع شرحه على ٨ « فصار الأنام » .

(٦) ق : « عارها » .

الأرض بالشمس ، فلا يمكن إزالته عنها كما لا يُزال ضوء الشمس . وروى : كلون الغزالة لاينصل »[١] من نصول الخضاب[٢] .

١٠–وَأَنَّ لَهَا شَرَفًا بَاذِخًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخْجَلُ

باذِخًا : أى عاليًا . والعامل فى « أنَّ » مفتوحة « رأت » .

يقول : رأت هذه الخيمة لنفسها شرفًا عاليًا على سائِر الخيام ، ورأت أن الخيام تخجل[٣] من شرفها .

وقيل : أراد أصحاب الخيام[٤] .

١١–فَلاَ تُنْكِرَنَّ لَهَا[٥] صَرْعَةً ، فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ

[٢٠٣ – ب] يقول : لا تنكر سقوطها ، فإنها لمّا رأت نورَك فيها ، وتشرّفها بك ، غلبها الفرح فسقطت ، بما داخلها من الطّرب والسرور . ومن الفرح ما يقتل[٦] صاحبه ! ! وهذا مثل قوله[٧] « وَمِنَ السُّرورِ بُكَاءُ »[٨] .

١٢–وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ لَخَانَتْهُمُ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ

يقول : لو بلّغ الناس ما بلّغته هذه الخيمة ، لخانتهم أرجلهم من هيبتك ، ولسقطوا كما سقَطَتْ .

---

(١) ينصل : يخرج ، من قولهم : « نصلت اللحية » ، أى خرجت من الخضاب ، ونصل لون الثوب ونحوه أى تغير .

(٢) ق : « من تصور من تصور الخضال » تحريف .

(٣) الخجل يكون فى الإنسان واستعاره للخيام ، ولعله بسبب من هذا قيل أراد أصحاب الخيام .

(٤) ق : « أراد السحاب » تحريف . (٥) ق : « بها » .

(٦) مو : « ومنا فرح مايقتل » ساقط .

(٧) ق : « قوله : من السرور ومن الفرح مايقتل بالبكاء » .

(٨) من الشطر الثانى لبيت المتنبى فى قوله :

وجدت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بكاء

ديوانه ١١٨

١٣–وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أُشِيعَ بِأَنَّكَ لاَ تَرْحَلُ

التطنيب : من الأطناب[1] ، وهى الحبال تشد إلى أوتاد الخيمة .

يقول : إنك لما أمرت بضرب الخيمة ، أشيع فيما بين الناس بأنك لاترحل ، بل تقيم .

١٤–فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا وَلكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ

التَّقْويض : هو قلع الخيام ، ونقض البناء من غير الهدم . و « أشارَ » : من الإشارة إلى الشيء . وهو بمعنى الدلالة ، لابمعنى المشورة . واعتمد وأعمد : أىْ ما قصد الله إسقاط هذه الخيمة ، ولكن أراد أن يعلم النّاسُ أنك راحل ، ودلّ بذلك على بطلان اعتقادهم باتصال المقام ، وترك الارْتحال .

١٥–وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وأَنَّكَ فى نَصْرِهِ تَرْفُلُ

مِنْ هَمّه : أى من إرادته . وقيل : من عنايته ونصره ، والهاء فى « همّه » و « نصره » ترجع إلى اسم الله تعالى . وتَرْفُل : أى تسحب فى أذيال النّصر .

يقول : إن الله تعالى عَرّف الناس أن سيْرك مِنْ مُرَاده ، وأنك فى عنايته [2] ، وأنك مؤيَّد بنصْره ، وعليك من نصْره حُلَل ترفل فيها ؛ فلهذا أسْقِطت الخيمة .

١٦–فَمَا الْعَانِدُونَ ؟ وَمَا أَثَّلُوا وَمَا الْحَاسِدُونَ ؟ وَمَا قَوَّلُوا

العاندون : الأعداء . والواحد عاند ، وأصله من المغالبة عند الجرح ، إذا غلب دمه ولم ينقطع سيلانه ، وأثّلوا : أصَّلُوا[3] من التطير[4] لسقوط الخيمة و « ما » فى

(١) ق : « التطبب » تحريف ، مو : « التطنيب : الإطناب » .

(٢) مو : « فى عناية دينه » .

(٣) قال امرؤ القيس :

ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

أى مجد مؤصّل . اللسان والمراد : وماأصلوا من الكلام وجعلوه أصلا لكذبهم .

(٤) مو : « من الطيرة » .

قوله : « فما العاندونَ » و « ما الحاسدون » للاستفهام ، ومعناه الإنكار والاستحقار . و « ما » فى قوله : « فما أثلوا » و « ما قولوا » بمعنى (الذى) .

يقول : ما قدّر الأعداء وما أصلوه من الأراجيف[1] والأقوال ، وماقدر الحاسدون ، وما تقوّلوا[2] من الأكاذيب .

١٧- هُمْ يَطّلُبونَ فَمَنْ أدْرَكوا ؟ وَهُمْ يَكْذِبُونَ ، فَمنْ يَقْبَلُ ؟

يقول : هم يطلبون غايتك ، أو يطلبون أعداءهم ، فمن أدركوا منهم ؟! أى لايدركون مايؤملون ، وهم يكذبون عليك فمن يقبل قولهم ؟! أى لا يُقْبل منهم مايقولون .

١٨- وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِه[3] جَدّكَ الْمُقْبِلُ

الهاء فى من « دونه »[3] تعود « إلى » « ما » أى أن أعداءك يتمنون ماتشتهيه أنفسهم ، ولكن سعادة جَدِّك ، وإقبال دولتك ، يحول بينهم وبين مرادهم .

١٩- وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ

مَلْمُومة : أى كتيبة مجموعة . والزَّرَد : حلقُ الدِّرع . وقوله « زردٌ ثوبها » فى موضع الصفة لـ « مَلْمُومة » ولما جعل الدرع ثوبا : جعل الرماح خَمْلها[4] [٢٠٤ - ا] ؛ طلبا للمشاكلة .

يقول : من دونه جدك المقبل ، وكتيبته مجموعة ، أثوابها الدّروع ، وعلى هذه

---

(١) الأراجيف : جمع أرجاف ، وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

(٢) يقال : تَقَوّل علىّ مالم أقل ، أى نسبته إلىّ ، والتقويل : الادعاء ، وقال ابن جنى « قوّلوا . كرروا القول وخاضوا فيه » . انظر الواحدى .

(٣) ق : « دونهم » .

(٤) الخمْل : هدب القطيفة ونحوها ، مما ينسج وتفضل له فُضُول . اللسان . وخمل الثوب : ما تدلى منه . التبيان .

الأثواب خَمْل من الرماح : فهى مخْمَلَةٌ بالرماح[1]

٢٠- يُفاجِئُ جَيْشًا بهَا حَيْنُهُ . وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسْطَلُ

الحيْن : الهلاك . والقسْطل : الغبار . و« حينُه » رفع لأنه فاعل يفاجئ و « القسطل » فاعل « ينذر » ويجوز أن يكونا مرفوعين بالابتداء و « بها » فى موضع [رفع] خبر الابتداء . و« يفاجئ » و« ينذر » : فعل سيف الدولة . والأوّل أظهر . و« بها » يعود إلى الململومة .

يقول : إن سيف الدولة تارةً يسرى إلى العدو ليلا ، فيفاجئه هلاكه ولم يشعر به ، وتارة يسير نهارًا بهذه الكتيبة ، فينذر جيشا بغبارها فيهرب منه . وقيل : أراد أنه يسير مرّة فى الحزن من الأرض[2] ولا يثير الغبار فيفاجئ جيش العدو ، ومرّة فى السّهْل[3] فيثير الغبار فيهربون .

٢١ جَعَلْتُكَ بِالقَلْبِ لى عُدَّةً لأَنَّكَ بِالْيَدِ لاَ تُجْعَلُ

يقول : أنت أجلّ مِنْ أن تنالك الأيدى فتدّخرك ، كما تدخر سائر السيوف والأموال ، ولكن صَيّرْتُك فى اعتقادى عُدَّة لى لكل شدة ، وذخرًا لكل نائبة .

٢٢- لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا ، مُنْصَلُ

يقول : رفع الله دولة[4] أنت سيفها ، وأبان على جميع الدول[5] فضلها . والهاء فى « لها » « وسيفها » للدولة . والكاف فى « منك » خطاب لسيف الدولة .

٢٣- فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهِفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ

المُرْهفات : السيوف المرقّقة الحدّ ، والمقصل : القاطع .

(١) ق : « من الرماح » .

(٢) الحزْن من الأرض : ماغلظ وخشن .

(٣) السهل من الأرض : خلاف الحزْن ، وهى أرض منبسطة بها تراب كالرمل .

(٤) دولةً : يريد بها الخلافة . الواحدى . (٥) ق : « الدولة » .

يقول : إن كانت السيوف سبقتك بالطبْع [١] ، فأنت سبقتها فى جودة الجوْهر والقطع ، فأنت أول سيف قاطع .

٢٤–وَإنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِى الكَرَمِ الأَوَّلُ

يقول : إنْ تقدَّمَكَ الأجواد فى الجود ، فأنت سبقتهم فى الفعال ، وتقدمتهم فى كرم الخِلال [٢] ، فأنت وإن تأخرت عنهم وجودًا ، تقدمتهم كرمًا وجودًا .

٢٥–وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ

المُشْبِل : الَّتى معها أشبال ، وأراد بالليث : أباه . والهاء فى « ليثها » للأم فجعلها أسَدين ، وجعله شبلها .

يقول : فكيف تقصِّر عن غاية ترويها ، وأنت ليث ابن ليث ابن لبؤة .

٢٦–وَقَد وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى أَلَمْ تكنِ الشَّمْسُ لاَ تَنْجَلُ ؟!

تنجَل : أى تلد .

يقول : إنها فى شرفها شمس ، فلما ولدتك تعجب الناس وقالوا : أليس الشمس لا تلد ؟ فكيف ولدت الآن ! فجعله شمسًا مولودًا من شمس .

٢٧–فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجو مِ وَمَنْ يَدَّعِى أَنَّهَا تَعْقِلُ

تَبًّا : نصب على المصدر وعلى الذم بفعل مضمر [٣] ، ومعناه : ضلالاً وخسرانا لِدينِ منْ يعبد النجوم ، ومَنْ يدعى أنها تعقِل وتختار وتميز . بيَّن العلة [٤] فى الذم .

٢٨–وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُهَا تَرَاكَ تَرَاهَا فَلا تَنْزِلُ ؟!

(١) الطبع : المراد به الصناعة .

(٢) الخِلال : جمع خَلّة . والمراد الخَصله . يقال : عنده خلّة حسنه وخلّة سيئة . اللسان .

(٣) ق : « على المصدرية لفعل مضمر » .

(٤) ق : « ونحنا تختار ونميز . بين العلة » تحريفات

[٢٠٤ – ب] يعنى : لو كانت النّجوم تعقل ، لكانت إذا رأتك تراها ، وتنظر إليها نزلت إليك وخضعت لك ، لأنك أعلى منها محلا ، فلما لم تفعل عُلم أنها غير عاقلة .

٢٩–وَلَو بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا لَبِتَّ وَأَعْلاَكُمَا الأَسْفَلُ

يقول : لو حلَّ كلٌّ واحد منكما المحلَّ الذى يستحقه ، لعلوتَ عليها وصرت فى الفلك ، وسفلت هى عنك ، فصار أعلاكما الآن وهو النّجم : الأسفل .

٣٠–أَنَلْتَ عِبَـادَكَ مَا أَمَّلَتْ أَنَا لَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمُلُ

التاء فى « أَمَّلَتْ » ، تعود إلى العباد .

يقول : أنلت عبادَك (وهم الخلق[1]) ما أمَّلوه منك . فبلَّغك اللهُ آمالك فى دنياك وآخرتك . وقيل : الضمير فى قوله : ما « أَمَّلَتْ » راجع إلى النجوم : أى أن مافعلتَه من تبليغ النّاس مُنَاهم ، كانت النجوم تأمله ، فلا تقدر عليه فأَنَلْتَ ما أملته النجوم .

قال ابن جنّى : ولمّا أطلق على الناس لفظ العبودية له[2] ، بيَّن فى آخر البيت أنه من جملة العِبَاد وأنه محتاج [3] كسائر الناس فقال :

أَنَا لَكَ رَبَّكَ مَا تَأْمَلُ

فجعله مثْل سائر الناس فى الحاجة،صنعة [4] وحذاقة .

---

(١) مو : « الخلق وهم عبادك » .

(٢) وذلك لأن « العباد » أكثر ماتستعمل مضافة إلى الله و « العبيد » للناس .

(٣) مو : « محتاج » ساقطة .

(٤) ق : « منعة » تحريف .

(١٨٧)

وقال وقد ركب سيفُ الدولة فى بلد الروم ، من منزل يعرف بالسَّنْبُوس [١] فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة فأصبح وقد صفّ الجيش يريد سمندو [٢] . وكان أبو الطيب متقدمًا ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجًا من الصفوف يدير رمحًا ، فعرفه فردَّ الفرسَ إليه . فسايره وأنشده [٣] :

١ – لِهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَـــدٍ أَرِيجُ ... وَنَارٌ فى الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيجُ

الأريج ، والأرج : الرائحة الطيبة . والأجيجُ : من تأجج النار وهو التهابُها .

يقول : سيكون لهذا اليوم الذى ركبت فيه ، بعد غد أريج : أى ذكرى حسن يسر [٤] المسلمين ، ويسوء المشركين ، ويكون فى العدوّ نار لها توقد والتهاب : أى حروب ووقائع تلتهب مثْل النار .

٢ – تَبِيتُ بِهِ الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ ... وَتَسْلَمُ فى مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ

الحواصن : جمع الحاصن [٥] وهى العفيفة من النساء . وقيل : المتزوجة . وروى : الحواضر : جمع الحاضرة بخلاف البادية . وروى : الحواضن : جمع الحاضنة لأولادها .

يقول : يأمن بركوبك هذا بعد غد : مَنْ فى الثغور من النساء ، ويأمن أهل

(١) سنبوس : بوزن طرسوس . موضع ببلاد الروم .

(٢) وسمندو : بلد فى وسط بلاد الروم . مراصد الاطلاع .

(٣) ق : « وقال أيضًا ارتجالا . . . إلخ » . مو : فى الأصل « وقال يمدحه ارتجالا ويذكر موعد أبى الغمرات وقد أجاد » وفى الهامش لها مقابلة المقدمة المذكورة وفى آخرها : « فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائه » . الواحدى ٤٥٠ : « وقال وركب سيف الدولة من موضع يعرف بالسنبوس قاصدًا سمندو سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة » . التبيان ١/ ٢٣٧ : « وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره » الديوان ٢٩٨ : نص المقدمة المذكورة العرف الطيب ٣١٧ .

(٤) ق : « أى ذكر حتى يسر المسلمين » .

(٥) ق : « الحوامن » تحريف .

الحضر والبدو من الغارات ، ويسلم الحجاج والمسافرون فى أسفارهم وطرقهم من اللصوص وقطاع الطرق .

٣ – فَلا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيثُ كَانَتْ   فَرائِسَ أَيُّهَا الأَسَدُ الْمَهِيجُ

المهيج : هو الهائج : تقول هيجتُه أهيجه هيْجا [١] ، وهاج هو بنفسه .

يقول : جعل الله أعداءك حيث كانوا ، فرائِسك أيُّها الأسد .

٤ – عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّآتٌ   وَأَنْتَ بِغَيْرِ سَيْرِكَ لاَ تَعِيجُ

لا تَعِيجُ : أى لا تبالى . تقول : ما عِجْتُ بكلامه أى ما باليتُ به . وعبأت الجيش وعبَّيتُه : إذا زينَّته وسويت صفوفه .

يقول : عرفتك فى حال تعبئة الجيش ، وتسوية الصفوف ؛ لأنك كنت [٢٠٥ – ا] معروفا فيما بينهم ببأسك وإقدامك ، ومن حيث أنك لاتبالى بغير سيْرك ، فكانَ الوقت جامعًا للأمرين : لتعبئة الجيوش ، وللحالة الثانية وهى أنك لا تعيج بغير سيرك ، وكان من عادته أنه كان لا يعيج بسيْر غيره [٢] ، وإنما كان يعتمد سيْر نفسه ، ولا يعتمد على أن تسيِّر الجيوش إلى الأعداء ، بل كان يتولاها بنفسه .

٥ – وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ   إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ

يَسْجُو : يسكن .

يقول : أنت البحر ! يُعْرف من المكان البعيد ، وهو ساكن ، فكيف إذا ماج واضطرب ؟! شبهه بالبحر المائج ، لبأسه وهيبته .

٦ – بِأَرْضٍ تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فِيهَا   إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوج

(١) مو : « المهيج هو الهائج فى المعنى تقول هجته أهجته » .

(٢) فى الواحدى والتبيان « بغير سيفك » فى البيت وفى شرحه . ويقولا : وقد روى الناس « وأنت بغير سيرك » وهو تصحيف لاوجه له ولا معنى .

الأشواط : عدْو الفرس . يقال : عدا شوطًا ، أى طَلَقا . والفروج : جمع فرج ، وهو ما بين القوائم .

يقول : رأيتك فى أرض واسعة بعيدة الأطراف.تهْلك : أى تفنى . الأشواط فيها : أى عدو الفرس فيها ، لسعتها ولاتقطعها إذا جرت أشد الجرى ، وهو فى معنى قوله :

إذَا مُلئَتْ مِنَ الرَّكْض الْفُرُوج

٧ – تُحَاوِلُ نَفْسَ مَلْكِ الرُّومِ فِيهَا فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْعُلُوجُ

العلوج : جمع علْج ، وهو الشديد الخُلُق ، القوى على معالجة العمل . والهاء فى « فيها » تعود إلى « الروم » ويجوز أن تعود إلى الأرض .

يقول : تطلب [١] نفس ملك الروم ، وتقصده دون غيره ، ولكن تفديه رعيتهُ وأصحابُه وجنوده فتقتلهم بين يديه .

٨ – أَبِالْغَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى وَنَحن نُجُومُها وَهِي الْبُرُوج !؟

الغَمَرَات : الشدائد ، وأراد بها الحروب [٢] .

يقول : تهدِّدُنا النصارى بالحروب والشدائد والخوض فى المهالك [٣] ونحن لا ننفك عنها ، وليس لنا منزل سواها فكأنّا نجوم ، والغمرات بروج تلك النجوم ، فكما لاتزايل النجوم بروجَها فكذلك نحن لا نزايل الغمرات .

٩ – وَفِينَا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ إِذَا لاَقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ

يقول : كيْف توعدنا النَّصارى ؟ وفينا سيف الدولة ! الذى إذا حمل صدقت حملته [٤] : أى لا يرجع حتى يقتل المحمول عليه ، وإذا أغار لَجَّ على الإغارة وأدامها .

(١) ق : « كنت تطلب » .

(٢) مو : بعد ذلك « والكناية فى نجومها وهى الغمرات » .

(٣) مو : « فى الشدائد والمهالك » . (٤) مو : « صدق فى حملته » .

١٠–تُعَوِّذُهُ مِنَ الأَعْيَانِ بَأْسًا وَيَكْثُرُ بِالدُّعاءِ لهُ الضَّجِيجُ

بأسًا : قيل نصب على التمييز ، وقيل : على أنه مصدر ، وقيل : على أنه مفعول له . أى نعوذه لأجل بأسه وإقدامه .

يقول : إذا رأينا بأسه وإقدامه . خِفْنا عليه من العيون ، فنعوّذه من شرّ العيون أن تصيبه ، ورفعنا أصواتنا بالدعاء له ، حتى يصرف الله عنه العين .

١١–رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غيْرُ راضٍ بِمَا حكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ

الدُّمُسْتُق عند الروم : قائد الجيش مثل اسفهسالار عند الفرس [١] والْقَواضب : السيوف . [٢٠٥ – ب] والوشيج : فى الأصْل . أصول الرماح ، وعروقها التى تنبت عليها الرماح ، ثم سميت الرماح بمنْبتها .

يقول : نحن رضينا بما حكمت السيوف والرماح ، والدُّمُسْتق غير راض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالظّفر والنّصْر ، وعلى الدُّمُسْتق بالقتل والهزيمة .

١٢–فَإنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو وإنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ

سَمَنْدو : مدينة فى بلاد الرّوم ، وأراد بالخليج : خَليج قُسْطَنطِينيه [٢] : وهى دار مملكة الروم [٣] .

يقول : إنْ أقْدم فنحن توسَّطنا بلادَه ، حتى نزلنا على سمنْدو ، وإن أحجم عنّا فالموْعد بيننا وبينه أن ننزل على الخليج ونحاصره فى دار مملكته .

---

(١) ى : « استفسلار » . شو ، ق : « واسفسلارا عند الفرس »
اسفهسالار : فارسى ومعناه كبير القواد . استاينجاس ٥٨ .
والدمستق : القائد الأعلى أو وزير الجيش . انظر الحضارة البزنطية ١٠٦ و ٧٥ . ثم صار يطلق على القائد العام للمنطقة الشرقية ، ويراد بها البلاد التى شرق القسطنطينية انظر أبو الفداء ٢/ ٧٣ .

(٢) قسطنطينية : كان اسمها بيزنطة ، فنزلها قسطنطين الأكبر وسماها باسمه وصارت فى ملك الروم . واسمها اصطنبول . مراصد الاطلاع .

(٣) مو : « وأراد بالخليج ... الروم » ساقط انتقال نظر .

(١٨٨)

ومرّ سيفُ الدولة بسمنْدو وعبر آلِس (وهو نهر عظيم) فنزل على صارخة وأحْرق ربضها (١) وكنائسهَا وربض الخرشنه وماحولها (٢) وأكثر القتْل ، وأقام بمكانه يومًا ثم رحل حتى عبر آلِس راجعًا ، فلمَّا أمسى ترك السواد (٣) وأكثر الجيش وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن اللقان (٤) فى غدٍ ظهرًا ، ولقى الدُّمستُق فى الألوف من الخيل ، فلمَّا نظر الدُّمستق إلى أوائل الخيل (٥) ، ظنها سَرِية ، فثبت لها وقاتل أوّلَ الناس حتى هزمهم ، وأشرف عليه سيف الدولة فانهزم . قيل : وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقته وزَرَاورته ووجوه رجاله خلق كثير (٦) نيّف على ثمانين ، وأفلت الدُّمُسْتُق ، وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده ، وقفل غانمًا فلمَّا وصل إلى عقَبة (٧) تُعْرف بمقطعة الأثفار فصادفه (٨) العدو على رأسها ، فأخذ ساقة الناس يحميهم ، فلما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو فخرج من الفرسان جماعة ، فنزل سيف الدولة على بَرَدَى « وهو نهر عظيم » (٩) وضبط العدّو ، وعقبة السير (١٠) صعبة طويلة ، فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل

---

(١) ق : « وأغرق رفضها » تحريف .

(٢) مو : « ونزل على الخرشنة وأحرق ربضها وكنائسها » .

(٣) السواد من العسكر : مايشتمل عليه من المضارب والآلات والدواب وغير ذلك من أدوات الحرب . انظر تاريخ الإسلام للذهبى فقد جاء بهذه الحادثة مفصلا ، وابن الأثير ٦/ ٣٣٤ .

(٤) شو ، ق : « بطن اللقان فى غد ظهرا » ترك له بياض .

(٥) ع ، مو : « خيل المسلمين » .

(٦) ق : « وأسر من بطارقته وزاورته ووجوه رجاله خلق كثير » ساقط انتقال نظر .

والزراوره : جمع زروار أو زرزار ، وهو قائد مجموعة من البطاقة أو النبلاء الذين كانوا يتولون قيادة بعض الجماعات فى الجيش . انظر هامش نخب تاريخية ١٠٧ وانظر شرح البيت رقم ٢٧ من القصيدة .

(٧) العقبة : المرقى الصعب فى الجبال . اللسان ، مراصد الاطلاع .

(٨) ق : « الأشفار ماصرفه » . (٩) ق ، مو : « براد : وهو نهر » .

(١٠) عقبة السير : ديار بالثغور قرب . عقبة ، صعبة طويلة . نص ما ذكره معجم البلدان .

متيا سرًّا [١] فى طريق وصفه له بعض أدلته ، وأخذ ساقة الناس يحميهم ، وكانت الإبل كثيرة مثقلة [٢] وجاءه العدو آخر النهار من خلفه . وقاتله إلى العشاء وأظلم الليل ، فتسلل أصحاب سيف الدولة يطلبون سوادهم ، فلما خفّ عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة قريبة من بحيرة الحدث ، فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، فجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلا ينفر أحد فمن نجا من العقبة نهارًا لم يرجع ، ومن بقى تحتها لم تكن فيه نصرة ! وتخاذل الناس [٣] وكانوا قد ملّوا السّفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة والزراورة وكل من كان فى السلاسل – وكان فيها مئات [٤] – وانصرف سيف الدولة .

فاجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين ، بعضهم نيام بين القتلى – من التعب – وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك ، فلذلك قال :

وَجَدْتُمُوهُمْ نيامًا فى دِمَائِكُمُ [٥] كأنّ قتْلاَكُم [٦] إيَّاهُمُ فجَعُوا

فقال أبو الطيب : يصف الحال بعد القفول فى جماد الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة . ويقال : إنه قد قتل فى هذه الغزاة من المسلمين زهاء مئة ألف فارس ولم ينج سيف الدولة إلا فى شِرذمة [٧] يسيرة [٨] .

١ – غَيْرِى بأَكْثرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إنْ قَاتَلوا جَبُنُوا أو حدَّثُوا شَجُعُوا

(١) ق : « متبارا » تحريف . (٢) مو : « معيّنة مثقلة » .
(٣) ق : « يستقر نصره ويحاول الناس » .
(٤) ق ، شو : « ومن كان فيها قد مات » تحريف . (٥) ق : « دياركم » .
(٦) ق : « قتلاهم » انظر البيت رقم ٣١ من نفس القصيدة .
(٧) الشِّرذِمة : الجماعة القليلة .
(٨) اتفقت النسخ على نص هذه المقدمة اللهم إلا بعض الفروق اليسيرة وقد أثبتناها . الواحدى ٤٥٠ : « وقال يمدحه ويذكر الوقعة التى نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ويصف الحال شيئا فشيئا مفصلا » . التبيان ٣/ ٢٢١ « وقال يمدحه ويذكر الواقعة التى فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة » . الديوان ٣٠١ : نص ماذكر فى الشرح غالبًا . العرف الطيب ٣١٩

قوله : « هذا الناس » إنما وجه فيه الإشارة ، أنه حمله على لفظ الناس [١] ثم قال : إن قاتلوا [٢٠٦ – ا] إلى آخره ، فرد الكناية إلى المعنى ، وروى : « هذا الخلق » : وهذا ظاهر .

يقول : غيرى ينخدع بأكثر هؤلاء الناس ، ويغتر بأقوالهم ، فأما أنا ، لا أنخدع بهم ، ولا أغترّ بقولهم ، لأنى جربتهم فوجدتهم لا خير فيهم ، يقولون مالا يفعلون ! فهم فى ألسنتهم شجعان ، وفى القتال جبناء لاخير عندهم ، ولا غناء .

٢ – أَهلُ الْحفِيَظةِ إلاَّ أَنْ تُجرِّبَهم   وفى التَّجارُبِ بَعْدَ الْغَىِّ مَا يَزَعُ

الحفيظة : الشجاعة وأصلها : الغضب ، لأنّ الشّجاع يغضب عند الحروب [٢] ، فيحمى عن قومه . وقيل : الحفيظة : الحميّة والأنفة ، والتجارب : جمع التجربة . ويزع : أى يكُفّ

يقول : هم أهل الشجاعة والحمية فى الظاهر ، وإذا جرّبتهم ظهر لك مايزع [٣] عن الاغترار بهم ، والانخداع بظاهر أحوالهم .

٣ – وَمَا الْحَياةُ وَنَفْسِى بَعْدَمَا عَلمَتْ   أَنَّ الْحَياةَ كَمَا لاَ تَشْتَهى طَبَعُ ؟

الطبع : الدّنس ، ثم [٤] سمى العار والعيب طبعًا [٤] و « ما » استفهام فى قوله : وما الحياة وموضعها رفع بالابتداء ، والحياة : خبره ، ونفسى : معطوفة على الحياة . يعنى : وما الحياة ، وما نفسى .

يقول : ما لِنَفْسى وطلب الحياة ، وكيْف ترغب نفسى فى حياة هىَ عار عليها ، وغير موافقة لها ! وقد علمتْ نفسى أن الحياة إذا كانت تنغّص بما لا تشتهيه : مرّة فقْر ، ومرّة تعب ، فهى طَبَعَ وعار .

---

(١) الناس : اسم من أسماء الجموع ، عبر عنه بإشارة الواحد على اللفظ لا على المعنى ولو أراد المعنى لقال هؤلاء .

(٢) ق : « الحرب » .

(٣) فى النسخ « ظهر لك مايزع لك » .

(٤) ق : « ثم » و « طبعًا » ساقطة .

٤ – لَيْسَ الْجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مَارِنُه ... أَنْفُ الْعَزِيزِ بِقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدَعُ

المارن : مالان من طرف الأنف . يجتدع : أى ينقطع .

يقول : ليس جمال الرجل فى صحّة وجهه ومارنه ، ولكن جماله فى عزّته ومنعته ، فإنّ العزيز إذا ذهب عزّه ذهب جماله ، وكان فى الحقيقة مثل منْ جُدِع أنفه ، لأن السماجة [1] فيه أكثر من قطع الأنف .

٥ – أَأَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وأَطْلُبُه ؟ ... وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فى غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ ؟ !

يقول : المجدُ وحسن الحَال [2] إنما يكسبان بالسّيف . فأطْرح هذا المجد عن كتْفى ثم أطْلبه ! وأترك سيفى فى غمدى ، وأنتجع [3] المعروف من وجه آخر ! فإذا فعلت ذلك فكأنى قد طلبت الأمر من غير وجهه .

وقيل : إنه إشارة إلى سيف الدولة . أى كيف أتركه وأطلب الخير والمجد من غيره ؟!

٦ – وَالْمَشْرَفِيَّةُ ، لاَزَالَتْ مُشَرَّفَةً ... دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ

يقول داعيًا [4] للسيوف : إنها لاتزال شريفة ، فإن العزّ بها يدرك ؛ لان الإنسان إمّا أن ينال بغيته [5] بها ، أو يقتل بها ، فهى داءٌ ودواءٌ .

ومثله قول [6] بعضهم :

مَنْ عَاشَ بِالسَّيفِ لاَ قَى عَيْشَه عَجبًا ... موتًا عَلَى عَجَلٍ ، أَوْ عَاش مُنْتَصِفًا

(١) سمُجَ سماجة : قبح . اللسان .

(٢) مو : « الجمال » .

(٣) الانتجاع : طلب الكلأ ، هذا أصله ، ثم صار كل طلب انتجاعًا . التبيان .

(٤) فى النسخ : « داعية » .

(٥) مو : « وما أن ينال بغيته بها » . ق : « إما أن ينال بغيته إلا بها » .

(٦) مو : « ومثله لآخر » .

٧ - وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا
فى الدَّرْبِ وَالدَّمُ فى أَعْطَافِهَا دُفَعُ

خفّت : أى الخيل . والدّرْب : مضايق الروم . وقيل : الضرب . و[هو] المضيق فى الجبل مثل الباب . والأعْطاف : الجوانب . ودُفَع : أى دفعةً بعد دفعة. رجع إلى ذكر سيف الدولة .

يقول : الفارس الشجاع من ثبّتَ خيله وسكّنها فى الدّرْب [٢٠٦ - ب] ، والدّم يجرى فى أعطافها دفعة بعد دفعة .

٨ - وَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فى قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فى لَفْظِهِ قَذَعُ

وأوْحدته : أى جعلته الخيل وحيدًا فريدًا وانفرد عنها ، ولم يداخله [1] قلق لوحدته ، وكذلك لما أغضبتْه الخيل ، بتقاعدهم عنه ، لم يتلفظ بالْخَنَا والفُحش .

وروى : « وأوجدته » : أى أغضبته . من الموجدة وهى الغضب . يعنى أن أصحابه لما انهزموا غضبَ [2] لذلك ، ولكن لم يعلق لهذا الغضب ولم يتلفظ بالقبيح .

٩ - بِالْجيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبِى الْهَيْجاء يَمْتَنِعُ

يقول : كل سيّد وأمير يمنعه جيشُه من الأعداء ، ويدفع عنه شرهم ، إلا سيف الدولة ، فإنه يمنع جيشه بنفسه ، ويذبّ عنه بسيفه .

١٠ - قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ عَلَى الشَكِيمِ وأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ

المِقنب : الجماعة من الخيل . والنهل : الشُّرب الأوّل ، والشكيم : جمع الشكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الدابّة . وسِرَع : فى معنى سريع . وقيل : مصدر سَرُع سِرَعًا مثل ضَخُم ضِخَمًا .

---

(١) ق : « ولم يداخلها » . (٢) ق : « غضبت » .

يقول : قاد الجيش إلى بلاد الروم ، وكان غاية شرب خيله النهل ، ومع ذلك كانت لُجمها فى أفواهها لاتنزع [١] ، وكان أقلّ سيرها سريعًا . فكيف أعلاه ؟!

١١- لاَيَعْتَقِى بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ   كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلاَ شِبَعُ

لايعتقى : أى لا يمنع ، يقال : عاقه واعتاقه ، مقلوب من عقاه واعتقاه [٢] ومسراه : مصدر سَرَى يسرى ، وهو مفعول « لايعتقى » .

يقول : لايثبت فى بلد من بلاد الروم ، ولايعوقه بلد عن آخر ، فإذا فتح بلدا تجاوزه إلى آخر فيفتحه ، فكأنه الموت لايشبع ، ولايروى من هَلاك الأنام ، وسلب لنفوس . وشبهه بالموت ، و[شبه] البلاد بالنفوس .

١٢- حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ   تَشْقَى بِهِ الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبِيَعُ

الأرْباض : جمع الرَّبَض ، وهى نواحى المدينة ، ومايبنى حول سورها من خارج . والصُّلْبان : جمع صليب ، تزعم النصارى أنه صورة الخشبة التى صُلب عليها المسيح . وخرْشنة : بلد أوْ حصن .

يقول : لم يزل يسير فى بلاد الروم حتى انتهى إلى خرشنة ، ونزل على أرباضها ، يغير على نواحيها ويكسر صلبانها ويهدم بِيَعَها [٣]

١٣- للسَّبْى مَا نَكَحُوا ، والْقَتْلِ مَا وَلَدُوا   وَالنَّهْبِ مَاجَمَعُوا ، والنَّارِ مَا زَرَعُوا

إنّما قال : « مانكحوا وما وَلَدوا » لأحد ثلاثة أوجه .

أحدها : أنه أجراهم مجرى مالا يعقل من البهائم ، فاستعمل لهم لفظ « ما » لأنها لما لا يعقل .

---

(١) يشير إلى الحال التىكان عليها سيف الدولة من الاجتهاد فى لقاء العدو .

(٢) ق : « يقال عاقه واعتاقه وعتاقه مقلوب من اعتاقه » مو : « يقال عاقه واعتاقه واعتقاه مقلوب من اعتاقه » والتصويب عن الواحدى والتبيان .

(٣) البيعَ : جمع بيعة ، وهى كنائس النصارى .

والثانى : أن ذلك لغة حكاها أبو زيد[١] عن أهل الحجاز . قال ، يقولون : « سُبْحَانَ مَا يُسبِّحُ الرَّعْدُ بِحمدِه » .

والثالث : أنه فى معنى المصدر ، تقديره : للسبى نكاحهم ، وللقتل ولادتهم .

يقول : إنه كان يسبى نساءهم ، ويقتل أوْلادَهم ، وينهب أموالهم ويحرق زرعهم .

١٤- مُخَلًّى لَهُ الْمَرْجُ منصوبًا بِصَارِخَةٍ لَهُ الْمَنَابِرُ ، مَشْهُودًا بِها الْجُمَعُ

[٢٠٧ - ا] « مُخَلًّى » : فى موضع نصب على الحال . وكذلك « منصوبًا » و « مشهودًا » [٢] والهاء فى « بها » تعود إلى صارخة . والمَرْجُ وصارخة : موضعان من نواحى خرشنة ، وهى من أوسط ممالك الروم .

يقول : أُخْلِى له هذان الموضعان . ونصب [٣] له بصارخة المنابر ، وبنى فيها المساجد ، وأقام الجمعة ، فشهد الناس الجمع بها .

١٥ - يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمُ حَتّى تَكَادُ عَلَى أحيَائِهِمْ تَقَعُ

الطير : مفعول يطمِّع . وطولُ : فاعله .

يقول : إن الطير قد تعودت أكل لحوم القتلى منهم ، فتكاد تقع على أحيائهم ، فضلا عن موتاهم .

١٦ - وَلَوْ رآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِه الشَّرْعَ الَّذى شَرَعُوا

يقول : إنه مع نِكايته فيهم ، محبوب إلى قلوبهم لشجاعته وسخاوته ، فلو رآه

(١) هو : سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصارى : صاحب النحو واللغة قال المازنى : كنا عند أبى زيد فجاء الأصمعى فأكب على رأسه وجلس وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين ، مات سنة ٢١٤ هـ بالبصرة . إنباه الرواة ٢٥/ ٣٠

(٢) صاحب الحال فى « مُخلَّى ومنصُوبًا » سيف الدولة وفى « مَشْهُودًا » صارخة .

(٣) قال ابن جنى : الأولى أن يقال : منصوبة ومشهودة إلا أن التذكير جائز على قولك نصب المنابر وشهد الجمع . الواحدى والتبيان .

حوارِىُّ [١] النصارى لَبَنّوا شريعتهم على محبّته .

١٧– ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ   سُودُ الْغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ

القَزَع : السّحاب المتفرق .

يقول : إن عينَى الدُّمستق كذَّبتاه ، حتى ظَنّ جيْشك العظيم ، الذى هو بمنزلة الغَمام الأسْوَد ، أنّه قليل ، بمنزلة القِطَع المتفرّقة من السحاب ، فلما علم ذلك ذمّ عيْنَيْه ، وإنما خص الغمام الأسْود ، لأنه أهولُ منظرًا وأكثر فى السماء إجْراءً وتراكمًا ، فهو إشارة إلى الكثرة ، ولأن فيها تكون الصواعق أكثر من غيرها ، فهى بمنزلة الجيوش .

١٨– فِيها الكُمَاةُ الَّتى مَفطُومُها رَجُلٌ   عَلَى الْجِيَادِ الَّتى حَوْلِيُّهَا جَذَعُ

الكمِّى : الشجاع المتكمِّى فى السلاح أى المستتر . وقيل : إنما سمى كميًّا ؛ لأن مواضع مقاتله كَمِىَّ [٢] على قِرْنه . والحولىّ : الذى أتى عليه حَوْل . والجذَع : الذى تم له حولان .

يقول : فى هذه الغمام السود ، الشجعان الذى كلّ طفل منهم كأنه رجل ؛ لشدته ، أو كأنه أرجل من غيرهم [٣] ، وكل مهر حولىّ من خيلهم كأنه جذع لقوته أو كأنه جذع [٤] من أفراس غيرهم .

١٩– يُذْرِى اللُّقَانُ غُبَارًا فى مَنَاخِرِهَا   وَفِى حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ

اللُّقان [٥] : جبل فى بلاد الروم . وقيل موضع . وآلِس [٦] : نهر . وقيل بينهما

(١) حوارى النصارى : أصحاب عيسى عليه السلام ، وأضافهم إلى النصارى لأنهم ، كانوا يدعون شرعهم واتباعهم فيما يشرعون لهم .

(٢) كمى الشىء وتكمّاه : ستره ، وكَمُى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة . اللسان .

(٣) فى النسخ : « أو كأنه رجال من غيرهم » .

(٤) ق : « لقوته أو كأنه جذع » ساقط انتقال نظر .

(٥) قال ياقوت : لقان : بلد بالروم وراء خرشنة بيومين .

(٦) قال المعرى : حكى عن على بن عيسى الربعى وكان يذكر أنه قرأ ديوان أبى الطيب عليه فى شيراز =

مسيرة يومين . ويُذْرى : أى يثير ويفرّق . وفيه معنيان .

أحدهما : أنه يريد سرعة السَّير أى أن الخيل شربت الماء من آلِس وسارت منه ووصلت إلى اللُّقان ، والماء بعدُ فى حلوقها لم تسغه فاختلط غبارُ اللقان فى مناخرها ، بماء آلِس فى حناجرها .

والثانى : أنه يريد كثرة الجيش حتّى أن أوله يثير الغبار باللُّقان ، وآخره على آلِس يشرب من مائه كما قال غيره :

بيثْربَ أُخْرَاهُ وَبالشَّامِ قَادِمُه (١)

٢٠-كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُم لِتَسْلُكَهُم فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فى الأَجْوافِ مَايَسَعُ

يقول : كأن خيْله تتلقى الروم لتسلكهم وتنْفذُ فيهم ، كما ينفذ السَّهْم ، فالطَّعْن يفتح لهم فى أجواف أعدائهم ماتسع الفارس وفرسه . يعنى أن كلّ طعن كأنه درب (٢) يسع الفارس ، فلو أراد السّلوك فيها أمكنه . .

٢١-تَهْدِى نَواظِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمةٌ مِنَ الأَسِنَّة نَارٌ والْقَنَا شَمَعُ

[٢٠٧ - ب] نار : فاعل « تهدى » ومفعوله . نواظرَها . والهاء للخيل . والقنا : فى موضع الجر عطفًا على الأسنّة ، ويجوز أن يكون فى موضع الرَّفع على الابتداء ، وشَمَعُ : خبره ، والجملة فى موضع النصب على الحال .

يقول : إذا أظلمت الحربُ بالغبار ، وتحيرت فيها عيونُ الفرسان ، هداها لمع الأسنة فى الرماح .

= وأن عضد الدولة أمره بذلك أنه كان يروى « آلُس » بضم اللام . فأما رواية الشاميين فبالكسر . تفسير أبيات المعانى .

(١) هذا عجز بيت نسب إلى أبان بن عبدة فى شرح الحماسه ٢٠٨ وصدره .

بجيش تضل البلق فى حَجَرَاته بـــيثْرب . . . .

وغير منسوب فى محاضرات الأدباء ١/ ١٢٥ .

(٢) ق : « وربة » .

شبّه القنا بالشمع ، والأسنة بالنار التى فى رءوسها ، وهذا تشبيه بديع .

٢٢–دُونَ السِّهَامِ وَدُونَ الْقَرِّ طَافِحَةٌ عَلَى نُفُوسِهِم الْمُقَوَّرَةُ الْمُزُعُ

القَرّ : القرار ، وطافحة : أى مرتفعة ، من طفحتِ القدر إذا جاشت وعلا زَبَدُها . والمُقَوَّرَة : الخيل الضّامرة . والمُزّع : السِّراع .

يعنى أن هذه الخيل الضامرة السراع ، واثبةٌ على نفوس الأعداء عالية عليهم ، وحائلة بينهم وبين الرّمْى بالسهام ، والفرار بالانهزام ، بل تسبق إليهم الخيل دون ذلك .

وروى : « دونَ السِّهام ودونَ القُرِّ » والمراد بالسِّهام : السموم ، وهى الحرّ والقر : البرد والمِزَع بكسر الميم وفتح الزاى ، والمقورة : الدّرع ، والمِزَع : صفتها ، وهى الخَلِقَة .

يعنى أن خيله لا يلبسها من الحرّو البْرد والثياب المعتاد[1] ، ولكن دروع أَخْلَقتها كثرةُ اللّبس ، والمداومة عليها .

٢٣–إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجًا حَالَ بَيْنَهُمَا أَظْمَى تُفَارِقُ مِنهُ أُختُهَا الضِّلَعُ

أراد بالعِلْج : الرّومى . وبالأظْمى : الرّمح الأسمر .

يقول : إذا دَعَا الرّومىّ روميًّا آخر لينصره[2] حال بين الدّاعى والمدعو . رمحٌ أظمى ، فيفرق بينهما ، كما يفرقّ أحدَ الأضْلاع من الآخر . والهاء فى « منه » تعود إلى « الأظمى » وفى « أختها » إلى « الضِّلَعُ » وهى المقدمة فى المعنى ، ورفعَها[3] لأنها فاعلة : « تفارق » .

٢٤–أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الْفَقَّاسِ مُنكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنّ ، وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعُ

وَلَدِ الفقَّاس[4] : هو الدُّمُسْتق والمنْكتِف : المشْدود اليد إلى خلف . والكناية فى

(١) ق : « لا يمكنها من الحر والبرد والنبات المعتاد » .
(٢) ق : « ليبصره » . (٣) ق : « ورفعها لازما » .

(٤) قال المعرى : الفقاس . لقب لرجل من الروم ولده يعرف بـ « نقفور » وقد سار إليه مَلك الروم=

« فانهن » تعود إلى خيل سيف الدولة ، وهي المعبر عنها « بسودِ الْغَمَام » .

يقول : إن كان الدُّمستق قد نجا بنفسه ، وفات خيلك ، فقد أسِر من أصحابه مَنْ هو أجَلّ منه ، وصُرِع منهم من هو أشْجع منه .

٢٥–وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبِيضِ مُنْفَلِتٌ   نَجا وَمِنهُنَّ فى أَحْشَائِهِ فَزَعُ

الشِّفار : جمع الشَّفْرة ، وهى حدّ السيف . وأراد بالبيض : السيوف ، والأصل فيه الصِّفة ، ثم صار اسمًا لها ، والكناية فى « منهن » تعود إلى الشفار . و« مُنْفلت » ليس بالفصيح . والجيِّد « المُفْلِت » والأوّل أيضًا لُغة .

يقول : إن [كان] الدّمستق قد نجا من سيوفك ، فلم يفلت إلا وقلبه مملوء من الفزع ، فقد حلّ فى قلبه من الخوف ما يقوم مقام قتله . ومثله لأبى تمام :

إنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ
يَنْجو الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلْهُ كَيْفَ نَجا[1] ؟!

٢٦–يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُخْتَبَلٌ   وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلاً وَهو مُمْتَقَعُ

المختبل[2] : الفاسد العقل . والممْتقَع : المتغير اللون .

[٢٠٨ – ا] يقول : قد دخل قلبَ الدمستق من الخوف ، ما يباشر معه الأمْن دهْرًا طويلا ، وعقله زائل ويشرب الخمر حولاً كاملا ولونه حائل ، لشدة الفزع الذى حصل له ، مع أنّ شُرب الخمر يظهر فى اللون حمرة .

٢٧–كمْ مِنْ حُشاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا   لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لهُ وَرَعُ

=وهو الذى قتله أم بسيل وقسطنطين ، وكانت قد تزوجته وابناها صغيرين ، فخشيت أن يخرجها عن المملكة ، فدست عليه وهو نائم ليلا . وهو والد قسطنطين الذى أسره سيف الدولة فى وقعة الأحيدب وفى أيامه كانت الوقعة التى قيلت فيها هذه القصيدة . تفسير أبيات المعانى .

(١) ديوانه ١/ ٣٣٦ والتبيان ٢/ ٢٢٨ .

(٢) ق : « المتخبل : فاسد العقل » .

الحشاشة : بقية النفْس[١] . والبطريق : عند الروم القائد . وتضمنها : أى تكفلّ بها . والمراد بالأمين : القَيْد[٢] .

يقول : كم من روح قائد من قواد الروم تكفل بها للسيوف القواطع القْيد ، وهو أمين ، حتى يرد عليها ، وإن لم يكن له ورع [٣] يكفه عن الخيانة .

وقيل : أراد بالأمين سيف الدولة ، وتركه للتورع [٤] هو أنه يقتلهم لأنهم كفار ، ويعرض عن عفوهم ، إذ التورع يقتضى ذلك . والأوّل أوْلى .

٢٨-يُقاتِلِ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُه وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِين يَضْطَّجع

يقاتل الخَطْو عنه : الضمير فى « عنه » للبطريق .

يقول : إذ طلبه خطوه لينجيه ، دفع القيدُ عنْه فجعل ذلك مُقَاتلةً بين الخطْو وبين القيْد ، وإذا أراد أن ينام طرد عنه النوم هذا القيد . وهذا أحسن المعانى فى وصف القيد . وقد قال أبو نواس مثله أو قريبًا منه [٥] :

إذَا قَام أعيتْهُ عَلَى السَّاقِ حلْقَةٌ
بِها خَطْوُهُ عِنْدَ الْقِيامِ قَصِيرُ [٦]

---

(١) قال المعرى : الحشاشة : بقية النفس ، وأصلها مأخوذ من حش الشيء إذا يبس ، ومنه قولهم لما يبس ، من الكلأ : « حشيش » . فإذا احتشُّ الرجل لدابته حشيش وبقى منه شيء قيل له : حشاشة ، كما يقال لما فضل من الطعام فضاله . فأريد أن الحشاشة : بقية نفس قد أخذ معظمها . تفسير أبيات المعانى .

(٢) ع ، مو : « السيف » ويذكر المعرى فى تفسير أبيات المعانى أن المراد بالأمين : القيد ، الذى يجعل فى الأسير ، أى أنه إذا أودعه الإنسان فهو مأمون على الوديعة . لأن المقيد به لا يقدر على الهرب .

(٣) مو : « درع » والورع : أصله الكشف عن المحارم : التبيان .

(٤) ق : « للبتور » تحريف .

(٥) مو : « وقد قال أبو نواس قريبا منه » .

(٦) ديوانه ٤٨١ والرواية فيه .

إذا قام أعْيته على الساق حلية لها خَطوه عند القيام قصير

والتبيان ٣/ ٣٠ وشرح البرقوقى ٢/ ٤٠٣ و ٣/ ١٩٦ والرواية .

. . . . لها خطوه وسط الفناء قصير

٢٩–تَغْدُو الْمَنَايَا فَلاتَنْفَكُّ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لها : عودِى ، فَتَنْدَفعُ

تنْدفع : أى تسير سيرًا سريعًا .

يقول : إن الموت تحت طاعته ، فيغْدوا كلّ يوم ، فيقف بين يديه ، انتظارًا لأمْره ، فإذا أمره بالوقوع بالأعداء يقول له : اعْدُ إليهم ، انْدفَع إليهم فى السير ، وأسرع فى إجابته وطاعته ، فأتى على أرواحهم .

٣٠–قُل لِلدُّمُسْتُق : إنَّ الْمُسْلَمِينَ لكُمْ خَانُوا الأَمِيرَ فَجازَاهُمْ بمَا صنَعُوا

يقول : إن المسلَمين بفتح اللام : أى الذين أسلمهم سيف الدولة إلى أعدائهم ولم يذبّ عنهم ، إنما فعل ذلك لأنهم خانوه ، وخالفوا أمره ، فتركهم حتى ظفر بهم العدو ، وجعل ذلك جزاء مخالفتهم لأمره ، ومعناه : أنهم لما خالفوه لم يظفروا بعدوّهم .

٣١–وَجَدْتُمُوهُمْ نياماً فى دِمَائِكُمُ كَأَنَّ قَتْلاَكُمُ إيَّاهُمُ فَجَعُوا

لما انهزم[١] أصحاب سيف الدولة ، التجأ من لايمكنه الفرار منهم[٢] إلى قتلى[٣] الكفّار ، وطَرحَ نفسه بين القتلى ، وتخضبَّ بدمائهم ؛ ليُحسب أنه قتيل فلا يُتَعَرَّض له .

فيقول : إنما أسرتم كل عاجز لم يكن له حيلة سوى أن يطرح [٤] نفسه بين القتلى ، ويخضب بدمائهم ، فكأنه هو الفجيع [٥] بقتلاكم ، يلقى نفسه عليهم أسفًا ، ويتخضب بدمائهم جزعًا [٦]

(١) فى النسخ « ولما انهزموا » .

(٢) ق : « منه » .

(٣) فى النسخ « إلى قتل » .

(٤) ق : « طرح » .

(٥) مو : « المفجوع » .

(٦) من شأن الحزين أن يحمله الجزع على أن يتضلخ بدمه ، كما أن المحزون يتمرغ على القبر ويقبله لشدة الجزع . المعرى فى تفسير أبيات المعانى .

٣٢– ضَعْفَى تَعِفُّ الأَعَادِى عَنْ مِثالِهِمُ مِنَ الأَعَادى وَإنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا

يقول : الذين أسرتموهم ، وقتلتموهم كانوا ضَعْفَى ، بحيث إذا ظفر العدوّ بعدوّه على حالة مثلها أمسك عنه ، وإن همّ بقتله نَزع عنه : أى كف عنه ، لأنّ حاله شرٌّ من القتلى .

وروى [٢٠٨ – ب] : « وإن هموا وإن نَزَعوا » [١] أى لا يقتلهم العدو وإن همّوا بقتلهم ، ومالوا إليه .

٣٣– لاَتحْسَبوا مَنْ أسرْتمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ يَأكُلُ إلاَّ الْمَيّتَ الضَّبُعُ

يقول : لاتظنُّوا أنّ من أسرتُم كان حيًّا ، بلْ لم تأسروا إلا كلّ ميتّ لم يبق فيه رمق ، لأنكم كالضبع ، والضبع لا يأكل إلاّ الميت [٢] فلو كانوا أحياءً لَمَا أمكنكُمْ أسْرهُم .

٣٤– هَلاَّ عَلَى عَقَبِ الْوادِى وَقَدْ صَعِدَتْ
أُسْدٌ تَمرُّ فُرادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ ؟

العقَب : جمع عقَبة . وروى على عقِب الوادى : وهو أسفله وآخره . وقيل : هو موضع بعينه .

يقول : فهلا أسرْتم ، أوهلا وقفتم أو حاربتم حين عبرنا الوادى وصعدنا عقَبه ، وكانت خيلُنا كالأسود ، تمر فرادى للحرب لايتوقف بعضُها لبعض .

٣٥– تَشُقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ والضرْبُ يَأْخُذُ مِنْكمْ فَوْقَ مَايَدَعُ

(١) بعد ذلك فى النسخ : « أى لا يقتلهم العدو وإن همّوا وإن نزعوا » عبارة مكررة .

(٢) عاب ابن وكيع على المتنبى هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا ، وأنها تأكل الميتة ، كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؟! التبيان . والرأى عندى أن المتنبى أصاب فى قوله ، فالضبع ينبش المقابر بحثا عن جثث الموتى . قال الشاعر :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لقتلى هذيل وتَرى الذِّئب لَهَا يَسْتَهِل

انظر حياة الحيوان .

روى : « بِقَنَاهَا » : أى برماحها . وروى : « بِفَتَاهَا » ، والمراد به سيف الدولة . والسَّلهبة : الفرس الطويلة ، وقيل : الضامرة الخفيفة .

يقول : هلا تعرضتم لنا حين كانت الخيل السلاهب تشقكم برماحها ، أو بفتاها : أى تحمل إليكم رجلا يقتلكم ، أو رماحًا تُطْعَنُون بها . وقوله : « الضَّرْبُ يأخذ منْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَعُ » أى أن من قُتل منكم وجُرح أكثر ممن سَلم وتخلص من القتل والجرح .

٣٦– وَإِنَّمَا عَرَّضَ اللهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلاَ فَسْلٍ[١] إِذَا رَجَعُوا

يقال : عَرَضْته للسيف : أى أمكنْت السّيف من عُرْضه ، أى جانبه . والفسْل[٢] : الضعيف الرّدىء من الرّجال .

يقول : إنّما مكنكم الله تعالى من جيش سيف الدولة ليتطهّروا من الأوباش[٣] ، فلا يبقى فيهم إلا كل شجاعٍ فاتك[٤] فيعاودكم جيشة[٥] ليس فيه إلا الحماة والكماة .

٣٧– فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذا فَلَهُ وَكلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ

يقول : قد صفا جيشُه من كلّ فسْل ، فكل غزوٍ بعد هذا الغزو هو لسيف الدولة ، والظفر له دونكم ، وكل غاز تابع له ، وداخل فى جملته .

٣٨– تَمْشِي الكِرَامُ عَلَى آثَارِ غيْرِهِمُ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ

يقول : كل كريم يتبع فى كرمه من تقدّمه من الكرام ، وأنت تُحْدث من الكرم

---

(١) ق : « فشل » وبهذه الرواية فى كل ما جاء فى الشرح .

(٢) كل مسترذل ردىء فهو فسل . أساس البلاغة .

(٣) الأوباش : جمع وبش ، وهم الأخلاط والسفلة من الناس . اللسان .

(٤) مو : « فاتك » ساقطة .

(٥) مو : « يتعاد جيشه » .

مالا يسْبقكَ إليه أحد ، وتَبْتدع ابتداعًا ، ليس لأحد مثله !

٣٩-وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فَارِسَهُ   وَكَانَ غَيْرَكَ فِيه الْعَاجِزُ الضَّرَعُ

يَشينُك : أي يعيبك . والضَّرع : الضعيف . والهاء فى « فارسه » للوقت وكذلك فى « فيه » وكان أصله : فارسًا فيه . إلا أنه أضافه إليه .

يقول : أىّ عيبٍ لك ، إذا ثبتَّ وانهزم أصحابك ! ليس فيه عيب ، بل فيه فخر ، لأنه أظهر شجاعتَك وعجزَ غيرك .

وقيل : معناه ماشَانَك وقت من الأوقات فى الحروب لأنك لم تنهزم قط ، فى وقتٍ انهزم غيرك فيه ، بل كنت الغالب وغيرُك العاجز .

٤٠-مِنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُه شَيْءٌ ولايَضَعُ

[٢٠٩ – ا] يقول : أنت أعْلى من أن تضع الهزيمة مِنْ قدرك[١] ، أو يرفع الظَّفرُ محلَّك ؛ لأنك فوق الشمس [٢] ومن كان كذلك لا يضع منه شيء ولايرفعه ؛ لأنه لا نهاية فوقه .

٤١-لَمْ يُسْلِم الكَرُّ فى الأَعْقَاب مُهْجَتَهُ   إنْ كَان أَسْلَمَهَا الأَصْحَابُ وَالشِّيَعُ

يقول : إن أصحابه أسلموه [٣] فإنَّ كرَّه فى أعقاب عدوّه لم يخذله ، فلم يضره خدلان أصحابه وأشياعه إياه . والهاء فى « أسْلمها[٤] » للمهجة .

٤٢-لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الأَقْدارِ مُعْطِيةٌ   فَلَمْ يكنْ لِدَنِيٍّ عِنْدَهَا طَمَعُ

يقول : لو أن الملوك يعْطون النَّاس على أقدارهم ، لم يطمع الدنيء فى الاتصال بهم والقرب منهم . كأنه يعرض بسيف الدولة ، أنه لوكان ينفِى الأراذل من جُنْده لم

(١) ق : « فى قدرك » .
(٢) ق : « فوق محل الشمس » .
(٣) ق : « أصحابك أسلموه » .
(٤) ق ، مو : « الهاء لأسلمها » .

تتفق هذه الهزيمة عليه . ويعرض بشعرائه ، لأنهم لا يستحقون ما يستحقه من العطاء .

٤٣– رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوغَى فَرأَوْا
وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبِيضِ فَاسْتَمعُوا

حَبِيك البيض : طرائِقه (١) .

يقول : كنْتَ رضيت مِنْ جُندك أن يكونوا نَظَّارةً ، وَإنْ ضَرِبْتَ الْأعْداءَ سَمِعَوا صوت وقْع السّيْف على رُءُوس الأعداء وبيضهم .

وقيل : إنه تعريض لبعض شعرائِه . ومعناه : وقد رضيتَ منهم أن يحضُروا القتال ، وأن يروا ضَرْبك الأعداء ، ويستمعوا وقع الصوت على بيضهم ، ومن الواجب ألا ترضى منهم بذلك ، بل كان يجب أن يَضْربوا بين يديْك ، كما أضرب أنا . والأوّل أظهر .

٤٤–لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِى مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

يقول : قد أوْسع فى الغشّ معك ، فى معاملةٍ ، مَنْ كذبك منْ نفسه ، وأظهر لك غير ما فى ضميره ، ونافقك فى مُوالاته .

٤٥–الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ والسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ وأرْضَهمُ لَكَ مُصْطافٌ وَمُرْتَبَعُ

المصْطَاف : موضع الإقامة فى الصيف والمرتبع : فى الربيع .

يقول : هذه الهزيمة كانت زِلّةً من الدهر ، فهو يعتذر منها إليك ، وسيفك ينتظر معاودتك غزوهم ، ليتلافى مافرط ، وأرضهم لك تنزلها أيام الصّيف والربيع ، ولا يقْدرون على ردِّك عنهم ، ودفعك عن ديارهم .

٤٦–ومَا الْجِبَالُ لِنصرَانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّر فِيها الأَعْصَمُ الصَّدَعُ

الأعْصم : الوعْل الذى فى إحدى يديه بياض . والصَّدَع : الوعل بين ...

(١) يريد طرائق السيوف .

والهزيل . وقيل : الوعْل اللطيف الجثة .

يقول : لو التجأت النصارى إلى الجبال لم تمنعهم منك[١] ، حتّى لو تنصّرت الأوعال التى فى الجبال لكنتَ تصطادها بقوتك[٢] وتمضى فيها مرادك .

٤٧–وَمَا حَمِدْتُكَ فِى هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ حَتّى بَلَوْتُكَ والأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ

تمتصِعْ : أى تَقْتَتِلُ

يقول : لم أمدحك فى شعرى إلا بعد أن جربتك وشاهدت ثَبَاتك فى الأهوال ، ومضاربتك فيما بين الأبطال .

٤٨–فَقَدْ يُظَنّ شُجَاعًا مَنْ بِه خَرَقٌ وَقَدْ يُعَدُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعُ

الخرق : الطيش . والزَّمَع : الروية والعزم ، وقيل : هو [٢٠٩ – ب] الثّبات ، وقيل : رعدة تصيب الرّجل عند الغضب .

يقول : لمْ أمدحك إلا بعد التجربة فقد يُحْسَب الأخْرق المتهور فى الحروب من غير تدبرّ شجاعا ، ويحسب الشجاع إذا قدم بالتّدبير والعزْم والثبات على الحروب[٣] جبانًا أوْ إذَا رؤى زَمَعُه وارتعاده من الغضب يظن أنه جبان .

٤٩–إِنَّ السِّلاَحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبُعُ

كلّ ذَواتِ المخْلَب السَّبع : مبتدأ وخبر . فى موضع نصب بخبر ليس ، والاسم : مضمر وهو ضمير الأمر والشأن . وقيل : إن ليس هاهنا بمنزلة « ما » فى لغة بنى تميم لاينصب خبرها .

يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعًا ، كما أن ليس كل ذى مخلب أسد ، فقد يحمل الجبانُ السلاح كما يحمله الشجاع ، وقد يكون لغير الأسد مخلب ، كالكلب والذئب والضبع ، كما يكون للأسد[٤] .

---

(١) ق : « عنك » .
(٢) مو : « بقوتك » ساقطة .
(٣) ق : « على الحرب » ساقطة .
(٤) مو : « الأسد » .

(١٨٩)

وتوقف سيف الدولة فى الغزاة الصائفة فى جمادى الآخرة سنة أربعين وثلاث مئة بقعة عَرَبْسوس[١] على افتراق القرى[٢] ثم أصبح صافًا يريد سمندو ، وقد اتصل به أن العدو بها جامعًا معدّ فى أربعين ألفا ، فتهيب جيش سيف الدولة الإقدام عليها ، وأحب سيف الدولة المسير إليها ، فاعترضه أبو الطيب وأنشده[٣] ارتجالا فلما بلغ إلى قوله :

وإنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلة الْعَضْبَ فِيهم

قال سيف الدولة : قل لهؤلاء وأومأ بيده[٤] إلى مَنْ حوله مِنَ العرب والعجم — يقولوا كما تقول حتى لا ينثنى الجيش ، فما تجمّل أحد منهم بكلمة[٥] .

١ — نَزورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَها مَغْنَى   وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سُكَّانِهَا الْإِذْنَا

المَغْنى : المنْزل[٦] . والضمير فى « لها » و « سكانها » للدِّيار .

يقول : نحن نزور دِيارًا لا نحبّ[٧] مغانيها ، لأنها ديار الأعداء ، لا ديار الأحباب ، وإن كانت هذه ليست بزيارة ، غير أن الصورة صورة الزيارة ، لأنّا لانريد المقام بها كما يفعل الزائر ، ونحن نسأل لِدُخول هذه الدِّيار الإذن من غير

---

(١) مو : « عرنسوس » تحريف . وعربسوس : قرية قرب المصيصة من الثغور . معجم البلدان .

(٢) فى الديوان : « على احتراق القرى » .

(٣) هنا تنتهى مقدمة الديوان .

(٤) الواحدى ٤٥٨ « وقال وقد سار سيف الدولة يريد الدمستق سنة أربعين وثلاثمئة » . التبيان ٤/ ١٦٥ « وقال يمدح سيف الدولة ، وكان قد توقف عن الغزو لما سمع بكثرة جيش الروم . الديوان ٣٠٨ : نص المقدمة المذكورة العرف الطيب ٣٢٤ .

(٥) فى التبيان عند شرحه للبيت ١١ : « قل لهؤلاء وأشار بيده إلى الجيش » . وفى الديوان عند شرحه للبيت المذكور نص مازاد عنه فى هذه المقدمة .

(٦) المغنى : المنزل الذى غنى به أهله . اللسان .

(٧) مو : « لايحب » .

سكانها الذين هم الروم ، فنستأذن[1] سيف الدولة ، وندخلها بإذنه .

٢ – نَقُودُ إِلَيْها الآخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى[2]
عَلَيْهَا الْكُمَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا ظَنَّا

الكناية فى « إليها » و« لها » للديار ، وفى « عليها » و« بها » للآخذات ، « والْمَدَى » : الغاية . يقال : أَخَذَ هذا الفرسُ المدى : إذا سبق .

يقول : نقود إلى ديار الروم خيلاً سوابق ، عليها شجعان ، يحسنُون الظنّ لأنهم جربوها فعرفوها بالجوْدة .

٣ – وَنُصْفِى الَّذِى يُكْنَى أَبَا الْحسَنِ الْهَوَى
وَنُرْضِى الَّذى يُسْمَى الإلٰهَ ولايُكْنَى

يقول : نصفى الحب للّذِى كنيته[3] : أبو الحَسن ، وهو سيف الدولة ، ونرضى الله تعالى ، وذلك اسمه ، ولايجوز أن يُكْنَى .

٤ – وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّون أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُم خَلْفَنَا عُدْنَا

يقول : قد علم الرّوم الأشقياء أنا إذا ارتحلنا عن ديارهم ، عُدْنَا إليها مرة أخرى ، ولانزال نعاودهم حتّى نَسْتأصلهم .

٥ – وَإِنَّا إِذَا مَا الموْتُ صَرَّحَ فى الْوغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا

صرح : ظهر ، وانكشف .

يقول : قد علموا أنّا نخوض الضرب والطّعن ، حتّى نصل إلى مرادنا ولا يردنا [٢١٠ – ا] عنه الموت الصريح .

٦ – قَصَدْنَا لهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤهُ إِلَيْنَا ، وقلْنَا للسُّيوف هَلمَّنَّا

---

(١) مو : « فإنا نستأذن » .

(٢) ق : « إلى المدى » مو : « لها المدى » والمذكور عن التبيان والواحدى .

(٣) فى النسخ : « الذى كنيته » .

الضمير فى « له » يعود إلى الموت . وفى قوله « لقاؤه » إلى الحبيب .

يقول : إذا ظهــر الموت فى الحرب قصدنا إليه مسرعين[١] . كما نقصد جبيًا نشتهى لقاءه وأشْهَدْنا علينا السُّيوف[٢] ، وقلنا لها تعال إلينا . وهلمَّ : اسم للفعل ومعناه : تعال ، وهو مركب من فعل وحرف أصلها « لمّ » فـ « ها » تنبه[٣] و « لُـمَّ » أمرٌ من لَمَّ . إذا أتاه والأمر : لُمَّ يارجل . وألم يلمّ والأمر منه ألمم . ثم جعلا اسمًا واحدًا . وقيل : « هَلُمَّ » فيه لغتان :

إحداهما : التسوية بين المذكر والمؤنّث والتثنية والجمع[٤] .

والثانية : التميز[٥] فتقول : هَلُمَّا : يارجلان وهَلُمُّوا يارجال ، وهَلُمِّى يا امرأة . وما فى البيت على هذه اللغة ، لأنه خطاب للسيوف وأصله هَلُمِّى ياسيوف ثم أدخلوا عليه النون الثقيلة[٦] فحذفت الياء لسكونها وسكون النون الأولى بعدها فبقى : هَلُمِّنَّ فعلى هذا يكون بكسر الميم كما تقول : اضرِبنّ يا امرأة . وحكى عن المتنبى أنه كان يُنشده بضم الميم ، فعلى هذا يكون أجرى السيوف مجرى المذكرين ممن يعقل . كقوله تعالى:(كلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٧] و (رأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ)[٨] . وكان أصله « هَلُمُّوا » فلما أدخل عليه النون للتأكيد الثقيلة حذفوا الواو ، لسكونها وسكون النون الأولى ، لأن النون الثقيلة كالتنوين .

---

(١) ق : من « وفى قوله لقاؤه ... مسرعين » مكرر .

(٢) ق : « وأشهرنا عليها السيوف » .

(٣) ق : « أصلها ... تنبيه » بياض .

(٤) وهى أكثر اللغات وبذلك نزل القرآن : (هَلُمَّ إِلَينا) ، و(هَلُمَّ شهداءَكُمْ) .

(٥) والمراد التميز بين المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، وهى لغة بنى تميم وأهل نجد . اللسان « هلم » والتبان والواحدى .

(٦) هلمّ : لا تدخل عليها النون الثقيلة ولا الخفيفة لأنها ليست بفعل ، وإنما هى اسم للفعل والنون الثقيلة إنما تدخل الأفعال دون الأسماء ، وأما فى لغة بنى تميم – وهى التى جرى عليها الشاعر فى البيت – فتدخلها الخفيفة والثقيلة ، لأنهم قد أجروها مجرى الفعل . اللسان « هلم » .

(٧) سورة الأنبياء ٢١/ ٣٣ .

(٨) سورة يوسف ١٢/ ٤ .

٧ - وَخَيلٍ حَشَوْنَاها الأسِنَّةَ بَعْدمَا تكَدَّسْنَ مِنْ هنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هنَّا

حشَوْناها الأسنَّة : أى طعنَّاهَا ، وأدخلنا الأسنّة فى جلودها ، أى ربّ خيلٍ ملأْنا جلودَها بالأسنّة ، بعدما اجتمعن علينا من هاهنا وهَاهُنَا ، أى من كل جانب . أوْ من اليمين والشمال ، حتى تفرقت عنّا مدبرة بين أيدينا .

٨ - ضُرِبْنَ إلَيْنَا بِالسِّيَاطِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا

وروى : « فلما تلاقينا » و « وتقارَعْنَا » و « جهالةً » : نصب على أنها المفعول له .

يقول : لما رأونا ضربوا خيولهم إلينا ؛ لجهلهم بنا ، فلما عرفوا أمْرنا ولّوا عنّا ، يضربون خيولهم بالسياط للهرب عنا ، كما كانوا يضربونها للإقبال علينا [1] .

وقيل : معناه أنهم ظنونا عسكر الرّوم [2] فأقبلوا نحونا ، فلما تحققوا الأمر ولوا عنا هاربين مستحثين خيولَهم .

٩ - تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمُسْ بنا الجيْشَ لَمْسَةً
نُبَارِ إلى مَا تَشْتَهِي يَدَكَ الْيُمْنَى

تعَدَّ : أى تجاوز . والْمُسْ بنَا : أى اقصد بنا . نُبَار : أى نُسابق أو نَسْبق . والتاء فى « تشتهى » : للخطاب لسيف الدولة ، فيكون « يَدَكَ » منصوبا . وقيل : راجع إلى اليد ، فيكون مرفوعًا .

ومعناه : تجاوز قرى الرّوم ، وأعرض عن الإعادة ، واقصد بنا جيش الرّوم ، لكى نسبق فى طاعتك ، وما تشتهيه يدك اليمنى ، فنكون أطوع لك منها .

وقيل : معناه أنّا نكون كالرِّماح نسبق السيف فى يدك .

١٠ - فَقَدْ بَرَدَت فَوق اللُّقانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أُنَاسٌ نُتْبِعُ الْبَارِدَ السُّخْنَا

(١) مو : « إلينا » .

(٢) قال ابن جنى : كانت خيل الروم رأت خيلاً لسيف الدولة ، فظنوهم رومًا ، فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ، ولّوا هاربين ، فلهذا قال : جهالة ، وقال إلينا ـ وعنا . الواحدى ، التبيان .

[٢١٠ – ب] بَرَدتْ : جمدت . واللقان[1] : موضع .

يقول : إذَا أَرَدْت دِماء الذين قتلناهم ، فاقصد بنا إليهم ، لتجرى دماؤهم الآن ، لأنّا قوم نتبع البارد . الحار[2] .

١١–وَإنْ كُنْت سَيف الدوْلةِ الْعَضْبَ فِيهِم
فَدَعْنَا نكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا

يقول : إن كُنْتَ سيفًا قاطعًا ماضيًا فى الروم ، فاجعلنا أرماحًا ليّنة ، لنسبق ضرْبَك ، أى قَدِّمنا أوّلاً إلى الحرب ، فنكون مثْل الرماح ، يبدأ بها فى القتال فإذا كُسِرَتْ[3] وآل أمرها إلى الضِّراب ، رجعت النّوبة إليك ؛ لأنك سيف قاطع ، ومثله :

فَلَمَّا أَنْ تَوَافَيْنَا قَليلاً أَنَخْنَا لِلْكَلاكِلِ فارْتَمينَا
فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشْينَا نَحْوَهَمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

١٢–فَنَحْنُ الأُلَى لاَنَأْتَلِى لَكَ نُصْرَةً وَأَنْتَ الَّذِى لَوْ أَنَّهُ وَحْدَه أَغْنَى

الأُلَى : بمعنى الذين . لاَنَأْتَلى : أى لانقصّر . ونُصْرةً : نصب على التمييز . وقيل : أصله « فى نُصْرَة » ثم حذف حرف الجر ، وأوصله إلى مابعده فنصبه .

يقول : نحن لا نقصّر فى نُصْرتك ، مع أنك لا تحتاج إلى نصْرة أحد ، بل فى غنائك ما يكفى كلّ الأعداء .

١٣–يَقيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِى عِنْدكَ الْعُلاَ
وَمَنْ قَالَ : لاَأَرْضَى مِنَ الْعَيْش بِالأَدْنَى

يقول : مَنْ طلب عندك العلا صار وقاية لك ، وجعله الله فداءً لك ، وكذلك

---

(١) بلد بالروم وراء خرشنه بيومين .. معجم البلدان .

(٢) فى النسخ « نتبع البارد والحار » .

(٣) ق : « كثرت » .

مَن لايرضى بالأدنى من العيش[١] ، وطلب أقصاه ، يقيك الهلاك بنفسه ، فإنه لايدرك منا إلا بك فى حياتك .

يعنى : إذا كنّا نطلب عندك العلوّ وصفْو العيش ، فلابد أن نتقدّمك فى الحرب ، ونجعل نفوسنا وقايةً لك ، وإن كنت تغْتنى عنّا بنفسك .

١٤–فَلَوْلاكَ لَمْ تجْرِ الدِّماءُ وَلا اللُّهَا وَلَمْ يكُ لِلدُّنْيا ولاَ أَهْلِها مَعْنَى

القياس : فلولا أنت . كقوله تعالى : (لَوْلاَ أَنْتم لَكُنَّا مُؤْمِنِين)[٢] لأن الاسم بعد (لَولا) مبتدأ ، فإذا وقع الضمير بعدها ، يجب أن يكون ضمير رفع منفصل ، ولكنه أقام ضمير المجرور مقام المرفوع ، واللُّها : الدّراهم والدّنانير .

يقول : الدّماء كلها تجرى بسيفك ، والعطايا تجرى على يديك ، وأنت معْنى الدنيا وزينة أهلها ، فلولا أنت لم يكن للدنيا ولا لأهلها معنى ، ولم يكن شجاعة ولاجود .

١٥–وَمَا الْخَوْفُ إلا مَاتُخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلاَ الأَمْنُ إلاَّ مَارآهُ الْفَتَى أَمْنَا

تخَوَّفه : أى يخافه .

يقول : الخوْفُ والأمن ، ما تصوره الإنسان فى نفسه ، فإذا تصور فى الشىء أنه مخوف خافة ، وإن لم يكن مخوفًا وإذا تصوّر فى نفسه أن الشىء مأمون أمِنَ منه ، وإن لم يكن كذلك فى الحقيقة ، وفيه حث على قتال الروم ، ومنع من الخوف منهم[٣] .

---

(١) يقول الواحدى وتابعه صاحب التبيان : « يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلا ، ولا يرضى فى خدمته بالعيش الدنى ، وكأنه يقول : أقيك بنفسى » .

(٢) سورة سبأ ٣٤/ ٣١ .

(٣) وفيه تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه راودهم على الذهاب نحو الروم فنكلوا خوفا على أنفسهم .

(١٩٠)

وقال أيضا يمدحه ويذكر هذه الغزاة وأنه لم يتم له قصد خرشنة ؛ بسبب الثلوج وهجوم الشتاء [١] .

١ – عَوَاذِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ وإنَّ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِنِّى لَمَاجِدُ

الخال : قيل هو الخيلاء ، أى ذات الخيلاء[٢] . وقيل أراد به : الخَال الذى يكون فى الخد ، مثل الشامة وجمعة خيلان . [٢١١ – ا] والخَوْد : الناعمة الحسنة الَخلق . والماجد : الكثير الشَّرف ، وكنى به عن العفيف .

يقول : إنّ النساء اللَّوَاتى يعذلْن هذه الجارية ذات الخال فى وصلها إياى لسن بعواذل فى الحقيقة ، وإنما هنّ الحواسد ، يحسدونها على ، بحبىِّ إياها . ثم استأنف وقال : « إن ضجيع الخود منى لما جد » أى إذا ضاجعتها عَفَفْتُ عنها ، ولم ينلها من جهتى عار . وأراد[٣] بالضجيع نفسه وهمته ولهذا قال « منّى » أى أن الذى يضاجعها منّى ماجدُ عفيف .

٢ – يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوبِهَا وَهوَ قَادِرٌ وَيَعْصِى الهوَى فِى طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ

فاعل « يَرُدّ » ضمير الضجيع ، وكذلك جميع الكنايات تعود إليه .

يقول : إذا خلوتُ معها ردَدْتُ يدى عنْها وأمسكْتها عن ثوبها ، ولو أردتُ لقدرت منها على ما اشتهيْتُ ، وإذا رأيتُ طيْفها فى النوم عصيْت الهوى فيه ، وعففت عنه ، فحالى فى النوم مع الطيف كحالى فى اليقظة معها .

ومعناه : أن الفاحشة لا تخطر ببالى لاستعمال العفة فى اليقظة ، لأن الإنسان إنما يرى

---

(١) الواحدى ٤١٠ : « وقال وقد أراد سيف الدولة قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك » . التبيان ١/ ٢٦٨ : « وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذى عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة . الديوان ٣١٠ : « وقال يمدحه ويذكر هذه الغزاة ، وأنه لم يتم قصد خرشنة لسبب الثلج وهجوم الشتاء » العرف الطيب ٣٢٦ .

(٢) ق : « أى ذات الخيلاء » ساقطة . (٣) مو . « أو أراد » .

فى المنام ما حدثته به نفسه فى حال اليقظة ، وأخذ منه التِّهامى [١] هذا المعنى فقال :

إذَا مَا أَرَادَ الطَّيْفُ تَقَبِيل ثَغْرِهِ ثَنَى وَجْهَهُ عَنْ لَثْمِهِ بِلِثَامِهِ
فَكَيْفَ يُرَجَّى مِنْهُ حَالَ انْتِباهِهِ حُنُوًّا ، فَهَذا فِعْلُهُ فِى مَنَامِهِ [٢]

٣ – مَتَى يَشْتَفِى مِنْ لاَعِجِ الشَّوْقِ فِى الْحشَى مُحِبٌّ لَهَا فِى قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ

« لاعج الشوق » محرقه ، وفاعل « يشتفى » « محب » .

يقول : متى يشتفى العاشق من شوقه المحْرِق له ، إذا كان فى حال قُرْبه من الحبيب متباعد منه . يعنى أن العاشق إنّما يداوى شَوْقه بلقاء حبيبه ، فإذا باعده أيام قربه لم يشتف منه .

٤ – إذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِى كُلِّ خَلْوَةٍ فَلِم تَتَصَبَّاكَ الْحِسَانُ الْخَرَائِدُ ؟!

« تتصباك » تستميل قلبك . وقيل : تحملك على الصِّبى . وتعرضك له ، والخريدة : الجارية الناعمة .

يخاطب نفسه ويقول : إذا كنت تختار العفاف فى كل خَلْوة وتعد القرب من الحسان عاراً ، فلماذا تعشقك النساء الحسان ؟! ومالك والتعرض للهوى ! وقريب منه [٣] :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ [٤]

---

(١) هو : على بن محمد التهامى ، شاعر من أهل تهامة ، زار الشام والعراق ، وولى خطابة الرملة ثم رحل إلى مصر وقتل فى السجن سنة ٤١٦ هـ ابن خلكان ١/ ٣٥٧ تتمة اليتيمة : ٣٧ دمية القصر ١/ ١٣٥ .

(٢) ديوانه ٥٩ وروايته .

إذا ما أراد الطيف فى النوم لثمه غطّى فه عنه بثنى لثامه
فكيف يرجى منه حال انتباهه حنوًّا ، وهذا فعله فى منامه ؟

(٣) ق : « وقرينه قولهم » .

(٤) البيت لـ سلم الخاسر ، أحد شعراء الدولة العباسية وراوية بشار وتلميذه . انظر المثل السائر ٢/ ٢٨٨ ، معاهد التنصيص ٤/ ٢٦ ، صبح الأعشى ٢/ ٣٠١ ، الأغانى ٢١/ ٧٣ نصرة السائر على المثل السائر ٣٨٠ ، أسرار البلاغة : ١٨ .

٥ – أَلَحَّ عَلَىَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلِفْتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِى جَانِبِى وَالْعَوَائِدُ

« أَلحَّ » دام و « العوائد » جمع العائد ؛ وخص النساء لأنّهنّ أعطف قلوبًا ، وأدوم على العيادة ، فإذا ملّت النساء من العِيادة فالرجال أكثر ملالاً .

يقول : إن السقم قد لازمنى حتّى ألفته واستأنست به ، وحتّى ملّنى الطبيب والعوائد وأسلمونى لما بى .

٦ – مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ جَوَادى ، وَهَلْ تَشْجُو الْجِيادَ الْمَعَاهِدُ ؟ !

« تشجوا » أى تحزن و « الجياد مفعوله و « المعاهد » الفاعل . وهى المنازل ، والواحد معهد .

يقول : مررت بدار الحبيب فعرفت جوادى ، فحَمْحمَتْ[1] لما تذكرتْ أيامها حين ، كنت [٢١١ – ب] أزور الحبيب عليها . ثم تعجب وقال : كأنّ الجياد أيضا تشتاق إلى الديار ! وتشجوها المنازل ومفارقة الأحباب ! ثم رجع عن التعجب فى البيت الذى بعده .

٧ – وَمَا تُنْكِرُ الدَّهْمَاءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ سَقَتْهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيها الْوَلائِدُ ؟

« الدهماء » الفرس السوداء ، وهى الجواد المذكورة قبل ، والضريب : اللبن الخاثر والشَّوْل : جمع شائل وهى [الناقة] التى قل لبنها ، وذلك أحْمَد اللّبن ، وألطفه ، والهاء فى « فيه » للمنزل . والوليدة : الأمَةُ والخادمة .

يقول : كيف تنكر فرسى أثر الموضع التى كانت الولائِد تسقيها اللبن فيه من الشَّوْل حتى اعتادت ذلك ؟ أى كان من الواجب عليها أن تعرف ذلك ، وتحزن لفراق هذا المنزل .

٨ – أَهُمُّ بِشَىْءٍ وَاللَّيالى كَأَنَّها تُطَارِدُنِى عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ

---

(١) قال ابن جنى الجياد : جمع جواد ، ويقال فرس جواد للذكر والأنثى . الواحدى .

أهُمّ بشيء : أى أعزم عليه وأريده . والمطارَدة : المحارَبة . وقوله : « أطارد » فيه محذوف ، أى وأطاردها عن كونه ، وأخبر عما يهمّ به بالنكرة ، ليكون أعظم فى النفوس .

يقول : إنى أحاول أمرا عظيمًا وأريد أن أحصِّل [1] مرادى فيه ، والأيام تدافع عنه وتحاربنى عليه . ومثله لآخر :

يَطْرِدُنِى دَهْرِى وَأَحْدَاثُهُ عَنْ كَوْنِ مَا أَبْغِى وَمَا أَطْلُبُ
وَمَا يَنَالُ الْمَرْءُ مَأْمُولَهُ وَدَهْرُهُ عَنْهُ بِهِ يَهْرُبُ

٩ – وَحِيدًا مِنَ الْخِلاَّنِ فى كُلِّ بَلْدَةٍ إذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

نصب « وحيدًا » على الحال فى الضمير الذى فى أُطارد أى أطارِد اللَّيالى وحيدًا . وروى : مرفوعًا ، فيكون خبر ابتداءٍ محذوف . أى أنا وحيد .

يقول : أحاول أمرًا عظيمًا وأنا وحيدٌ فاللَّيالى [2] تدافعنى عنه ، ولا أجد خليلاً يساعدنى عليه ، والمطلوب إذا كانَ عظيمًا قلَّ مِنْ أن يُسَاعَدَ طالبُه .

١٠ – وتُسْعِدُنِى فى غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْها شَوَاهِدُ

وروى : تساعدنى ، وهو معنى « تسعدنى » والشواهد : الدلائل والهاء فى « لها » و « عليها » و « منها » للسَّبوح .

يقول : يساعدنى فيما أطلبه فرسى السّبوح ، وتقتحم معى الغمرات والشدائد [3] ، مرّةً بعد مرّة ، ثم وصف فرسَه فقال : « لَهَا منْها عَلَيْها شَوَاهِدُ » أى لها من خلقها شواهد عَلَى عتْقها . يعنى إذا نظرتَ إلى حسْن أعضائها استدلّتَ على كَرَمِها . وقيل : إن الضمير فى « لها » للسبوح وفى « منها » و « عليها » للغمرة . يعنى بهذه الفرس شواهد [4] من هذه الغمرة التى خاضتها ، وهذه الشواهد التى لها ،

(١) مو : « أجعل » .
(٢) ق ، مو : « فى الليالى » .
(٣) مو : « والغمرات الشدائد » .
(٤) مو : « إن الضمير ... شواهد » ساقط .

تشهد على الغمرة بأنها قد خاضتها ، وهى آثار الطعن .

وعيب عليه فى الجمع بين حروف الجرّ ، والكنايات المتناسبة[١] ولا مطعن عليه . ومثله : فى القرآن العظيم قوله تعالى[٢] : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا)[٣] ، (وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)[٤] وفى الشعر قول الكميت[٥] :

إنَّ ابْنَ حَزْمِ بْنَ عَمْرٍو مِنْ ذَوِى كَرَمٍ لِىَ فيهِ مِنْهُ عَلَامَاتٌ وآثَارُ

١١– تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ

« المراود » جمع مِرْود ، وهو الحلقة التى فى رسَنِ الدّابة[٦] ، يكون فيها مسمار يدور عليها [٢١٢ –ا] ذلك ، فذلك المسمار هو المِرْود[٧] .

يقول:إنها تمايل وتتصرّف بفارسها عند المطّاعنة ، على حسب ما يحتاج إليه الفارس ، فكأنّ مفاصلَها تحت الرماح : المرود الذى يدور فى الحلقة ، أو تدوّر الحلقة حيْثما أديرت .

وقيل : المِرود : هو الذى يكْحَل به ، وهو المِيل[٨] . فيكون من باب المقلوب ومعناه : كأنّ الرماح تحت مفاصلها المراود .

---

(١) انظر الكشف عن مساوئ المتنبى لابن عباد ٢٥٦ .

(٢) مو : « فى القرآن العظيم قول الله عز وجل » .

(٣) سورة المائدة ٥/ ٤٥ .

(٤) سورة طه ٢٠/ ١٨ .

(٥) وهو الكميت بن زيد الأسدى. شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، اشتهر فى العصر الأموى ، وأشهر شعره الهاشميات وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع فى شاعر فكان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وكان فارسًا شجاعًا سخيًّا راميًا مات سنة ١٢٦ هـ . الأغانى ١٥/ ١٠٨ والشعر الشعراء ٥٦٢ وخزانة الأدب ٦/ ٦٩ – ٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ والموشح ١٩١ – ١٩٨ ومعاهد التنصيص ٣/ ٩٣ .

(٦) المراد به : اللجام .

(٧) قال المعرى : « شبه مفاصل الفرس بالمراود لأن المرود شأنه أن يدور ويتصرف وهو من راد يرود : إذا ذهب وجاء » . تفسير أبيات المعانى .

(٨) الميل : ما يجعل به الكحل فى العين . اللسان ١٤/ ١٦٢ .

والمقْصد فى الوجهين وصفها بلين المفاصل ، وجوْدة الانعطاف عند الجولان والطِّعان .

١٢–وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنَّدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لاَ يُصْدِرْنَ مَنْ لاَ يُجَالِدُ(١)

« والمهند » السيف المطبوع ، على مثال سيوف الهند . « من لا يجالد » أى من لا يحارب ، ولا يجيد الضّرب بالسيف .

يقول : إنى أورد نفسي – وسيفى فى يدى – مَوَارِد الحرب التى لا يسلم منها إلا كلّ شجاع فاتك مجيد الضرب .

١٣–وَلَكِنْ إذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الكَفَّ سَاعِدُ

الهاء فى « كفّه » يعود إلى « من » فى قوله : « من لا يجالد » .

يقول : الرجل إذا لم يكن له قلبٌ يحمل كفَّه لم يحملها ساعده ، لأن القوة والشجاعة من القلب .

١٤–خَلِيلَيَّ إنِّي لاَ أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي القَصَائِدُ؟

يقول : كلّ مَنْ أرى(٢) يدّعى أنه شاعر ، ولكن ما بالهم اقتصروا على مجرد الدّعوى ، ولم يشاركونى فى المعنى كما يشاركونى(٣) فى الاسم .

١٥–فَلاَ تَعْجَبَا ، إنّ السُّيوفَ كَثِيرةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ

يقول : لا تعجبا من حالنا ، فأنا واحد فى الشّعر ، وغيرى مدَّعٍ ، كمَا أن السّيوف كثيرة ، وليس شىء ، منها كسيف الدولة ، فهو واحد بين السيوف . يعنى

(١) انفرد صاحب التبيان برواية البيت الآتى :

محرقه أكفال خيلى على القنا مُحَلَّلَةٌ لباتها والقلائد

ولم يشرح هذا البيت : وذلك قبل البيت رقم ١٢ « وأورد نفسى » .

(٢) فى النسخ « كل من أراد » ولكنه يريد كثرة من يرى من الشعراء المدّعين وأنه له التحقيق باسم الشاعر .

وقال ابن جنى : لو قال : فكم منكم الدعوى ومنى القصائد ؟! لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم . الواحدى . (٣) مو : « فى المعنى كما يشاركونى »

أنه فى الشعر كسيف الدّولة فى الأمراء ، وقوله : « اليَومَ » زائدة .

١٦–لَه مِنْ كرِيم الطَّبْعِ فى الْحَرْبِ مُنْتَضٍ
وَمِنْ عَادةِ ألإِحْسَانِ والصَّفحِ غَامِدُ

يقول : الكرم يبعثه على المحاماة فى الحرب والذب ، فينتضى من غمده على الأعادى ، وله عادة الإحسان والصفح عن المذنب . وذلك يحثه على العفو .

١٧–وَلمّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ

يقول : لمّا رأيت سيف الدولة أعلى النّاس محلاً ، ورأيتهم دونه ، علمت أن الدهر ناقد ، ينْزل كلَّ أحد منزلته .

١٨–أَحَقُّهمُ بِالسَّيفِ مَنْ ضَرَب الطُّلَى وبِالأَمْرِ مَنْ هَانَتْ عَلَيهِ الشَّدائد

يقول : أحقّ الناس بأن يسمَّى سيفا : منْ يضرب رقاب الأعداء ، فيعمل عمل السّيف ، وأولاَهم بالأمْر والنّهى : من تسْهل عليه شدائِد الزّمان ، وليس كذلك إلاّ سيف الدولة ، فلهذا اختص بهذا الاسم ، وتفرد بالأمر والنهى .

وقيل : معناه أحقهم بأن يكون صاحب السّيف ، من يضرب رقاب الأعداء ومن يتحمل شدائد الدهر ، أوْلَى بالأمر . وروى : « بالأمْنِ » بالنّون .

١٩–وَأَشْقَى بلاَدِ اللهِ مَاالرُّومُ أَهْلُهَا بِهذَا وَمَا فِيهَا لمجْدِكَ جَاحِدُ

[٢١٢ – ب] « ما » الأولى : بمعنى الذى أى الروم أهلها . و « ما » الثانية : للنّفى . والضمير فى « أهلها و « فيها » يعود إلى معنى « ما » الأولى ، لأنّه بمعنى البلدة والأرض . و « لمجْدِكِ جَاحِدُ » هذا مثْل قوله تعالى : (حتّى إذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم)[١] ومثل قول جرير[٢] :

---

(١) سورة يونس ١٠/٢٢ .

(٢) هو : جرير بن عطية الخطفى ، ولد باليمامة ، ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ، ويتكسب به لدى الخلفاء ، والولاة ، ثم نافس الفرزدق فى التهاجى والسباب لعوامل سياسية واجتماعية ، ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٠ هـ .

مَتَى كَانَ ٱلْخَيَامِ بذي طُلوحِ سُقِيتِ ٱلْغَيْثَ أَيَّتهُا الْخِيامُ[١]

استفهم[٢] أولا عن الغائب ، ثم عدل إلى الخطاب .

وفى إعراب البيت خلل ، لأنه إن حُمِل على أنّه فَصَل بين (أفعل) ، وما هو من تمامه ، بخبر الابتداء ، وهو قبيح ، لأنه قال : « أشْقَى بِلاد اللهِ ما الرُّومُ أهْلُها بِهَذا » .

وتأويله : أن قوله : « بهذا » متعلق بمحذوف يدل عليه « أشْقَى »[٣] ، أى شَقَوْا بهذا .

المعنى : أشْقى البلادِ بك بِلاَدُ الرّوم ، وأهْلها أشْقَى النّاسِ بك ، لأنها أبدًا بك تخرَّب بلادهم ، وتُغير عليهم وتسْبى نساءهم ، وأهليهم ، وهم مع ذلك يقرون بفضلك ، وشرفك حتّى ليس فيهم أحد ينكر ذلك.

٢٠-شَنَنْتَ بِهَا الغَاراتِ حتّى تَرَكْتَها وَجَفْنُ الّذِى خَلْفَ الْفَرَنْجةِ سَاهِدُ

« شَنَنْتَ » أى فرَّقت[٤] « بها » أى بالروم . و « الغارات » هى التى تغير عليها . و « الفرَنْجة » ناحية بأقصى بلاد الروم ، تجاور الأندلس . وقيل : « خلف الفرَنْجة » أراد به قسطنطينية[٥] ، وهى وراء الفرَنْجة . وأراد « بالذى » ملك الروم أو ملك الفرنجة[٦] . يعنى أغرت على بلاد الروم وعمَّمْتها بخيْلك وسراياك ، حتّى صاحِب الفرنجة ، أو ملك الروم ، لا تنام عَيْنه[٧] خوفًا منك .

٢١-مُخَضَّبَةً والْقَومُ صَرْعَى كَأنَّهاَ وَإنْ لَمْ يكُونُوا سَاجِدينَ ، مسَاجِدُ

---

(١) ديوانه ٢٧٨/١ . (٢) مو : « مستفهم » . (٣) مو : « أشقى الناس » .

(٤) مو : « أى طرقت » .

(٥) مو : « قسطنطينة » ويجوز فيها اللغتين « قسطنطينة وقسطنطينية » . كان اسمها بيزنطة فنزلها قسطنطين الأكبر ، وبنى عليها سوراً ، وسماها باسمه ، وصارت دار ملك الروم واسمها اصطنبول . معجم البلدان .

(٦) ق : « ملك الروم وملك الفرنجة » .

(٧) ق : « عينيه » .

« مخضَّبة » نصب على الحال(١) . أى شُنَّت بها الغاراتُ ، وسفكت فيها الدماء ، حتى خُضِّبَتْ الأرضُ بدماء القتلى ، فكأنّ الأرض مساجد مخلَّقة ، والقوم الصرعى فيها ، كأنهم ساجدون ، وإن لم يكونوا سجودًا فى الحقيقة .

شبه الدّم بالخَلوق الذى يكون فى المساجد .

٢٢- تُنَكِّسُهُمْ والسَّابِقاتُ جِبَالُهم وَتَطْعَنُ فِيهِمْ وَالرِّماحُ المكَايِدُ

قال الليث(٢) : طعنه بالرمح يطعنه طَعْنًا ، وطَعَنه بالقول يطْعنه طعانًا(٣) ، ففرّق بينهما فى المصدر ، وأما فى المستقبل فضموم العين . وقيل : يجوز طعانًا فى الرمح أيضًا . وعن الليث عن بعضهم : يطعُن بالرّمح ويطعُن بالقول . قال : وكلاهما يطعن . ومثْله للكسائى(٤) بالضم فيهما . قال الفراء(٥) : سمعتُ يطْعَنُ بالرمح(٦) . ونكَّسْتُ(٧) الفارس عن فرسه : إذا طرحته عنه ، على رأسه .

يقول : تحصّنوا بالجبال فرارًا منك ، فطاعنتهم برماح كيْدك ، حتى نكّسْتهم عن رءوس الجبال ، التى هى كالخيول لهم .

وقيل : أراد « بالسّابقات » الخيل نفسها ، أى تقلّب بالقتل عن أفراسهم التى

(١) الحال من الضمير فى « تركتها » ومن رفعها جعلها خبر ابتداء محذوف .

(٢) هو : الليث بن نصر بن سيار الخراسانى النحوى . صاحب الخليل بن أحمد أملى عليه الخليل – فيما قيل – ترتيب كتاب العين . انظر إنباه الرواة ٣/ ٤٢ .

(٣) فى اللسان : طَعَنه بلسانه ، وطعَن عليه يطعُن ويطعَن طَعْنًا وطعَنانًا وقيل : الطعن بالرمح والطَّعْنان بالقول ففرق بين المصدرين ، وغير الليث لم يفرق بينهما . اللسان ١٧/ ١٣٦

(٤) هو : هو محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائى . كان من قدماء الأدباء بنيسابور . وتخرج به جماعة فى الأدب توفى سنة ٣٨٥ إنباه الرواة ٣/ ٦٤ .

(٥) هو : يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمى أبو زكريا الفراء ، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم – قال ثعلب غير مرة : « لولا الفراء ماكانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها » ومعانى القرآن أحد كتبه الكثيرة . توفى سنة ٢٠٧ هـ .

(٦) قال الكسائى : « لم أسمع أحدًا من العرب يقول : يطعَن بالرمح ولا فى الحسب ، إنما سمعت يطعُن » اللسان .

(٧) ق : « نكبت » تحريف ، مو « نسكت » تحريف .

هي كالجبال الحصينة ، ويصل طعنك إليهم ، والذى يوصّله إليهم هو رماح المكايد[١] والتدابير . والأوّل هو الوجه .

وروى « والسَّابِقَات حِبَالهم » بالحاء . أي حبالك التي تصطادهم بها : خيلك . ومكايدك : رماحك تطعنهم بها [٢١٣ - ا] .

٢٣-وَتَضْرِبهم هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الكُدَى كمَا سَكَنَتْ بطْنَ التّرَابِ الأسَاوِدُ

« الهَبر » : أن يقطع اللحم ويُبِينَه عن الجسْم يقال : يضرب هبرًا . أي يقطع . وقيل : هو تجاوز الضربيه « والكُدَى » جمع الكُدْية ، وهى الأرض الصُّلبة . والأسَاوِدُ « جمع الأسْوَدَ » وهى الحيّة السوداء .

يقول: فَرُّوا منك إلى المغارات والمطامير[٢] و دخلوا تحت الأرض كالحيّة السوداء ، فأخرجتهم منها وقتلتهم[٣] .

وقيل : معناه ضربتهم هبرًا حتى دخلوا الكُدَى ، خوفا منك ، فاستتروا بالمطامير ، كالحيّات تحت التراب .

وقيل : إن سيف الدولة أسرهم[٤] وأدخلهم المطامير .

وقيل : أراد بالكُدَى القلاع والحصون .

٢٤-وَتُضْحِي الحصُون المُشْمَخِرَّاتِ[٥] فى الذُّرَى وَخَيْلُكَ فى أَعْنَاقِهِن قَلاَئِدُ

« الذُّرى » : رءوس الجبال ، الواحد : ذروة . يعنى أن خيلك تصعد رءوس الجبال ، فتحيط بحصونهم إحاطة القلائد[٦] بالأعناق .

(١) مو : « رياح المكايد » .

(٢) المطامير : جمع مطمورة ، مكان تحت الأرض . أو السجن . اللسان .

(٣) ق ، مو : « وقتلتهم فى موضع » .

(٤) ق : « أمرهم » .

(٥) المشمخرات : العاليات ، يقال بناء مشمخر . الواحدى ، التبيان .

(٦) ق : « القائد » .

٢٥–عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهِنْزِيطَ حَتَّى ابْيَضَّ بِالسَّبْىِ آمِدُ

« عصفْنَ بهم » أى هلكنهم ، والكناية للخيل . وفى « بهم » للرّوم ، وكذلك فى « سُقنهم » « واللّقان » جبل ببلاد الروم . وقيل : بلد و« هنزيط » مدينة من ناحية الأرض ، من وراء آمِد[1] ، لأنه ذهب به مذهب البلد أو الموضع ، ولأنّ التأنيث إذا كان غير حقيقىّ يجوز تذكيره

يقول : إن خيلك أهلكتهم يوم اللّقان ، ثم قدْتَ خيلك إلى هِنزيط حتى أغَرْنَ عليها وسبين ذرَاريهم ونساءهم ، ثم عدت إلى آمِد . حتى ابيضت من كثْرة السبى الذى ملأها ، لأن أهل الروم بيض الألوان وآمِد سورها مبنى بالحجارة السُّود ، وكذلك دُورها كلّها سُود .

٢٦–وَأَلحقْنَ بِالصَّفْصَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى
وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ

« الصفصاف » و« سابور » حِصْنان . و« انْهوى »[2] أى سقط ، و« الجلامد » : الصخور .

يقول : ألحقت خيلُك سابورَ بالصَّفصَاف ، لأنّها هدمت الصّفصاف أوّلا ، ثم ألحقت سابور بِهَا فى الهَدم والإخراب[3] ، وذاق أهلاهما ، وصخورُهما الهلاكَ .

٢٧–وَغَلَّسَ فِى الْوَادِى بِهِنَّ مُشَيَّعٌ مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللِّثَامَيْنِ عَابِدُ

الضمير فى « بهن » للخيل . وفاعل « غلّس » : « مشيع » أى جرى ، شجاع يشيعه قلبُه ، ومباركُ . بدل [من] المشّيع ، و « ماتحت اللّثامين » الوجه . أى

---

(١) آمد : لفظة رومية ، بلد قديم حصين مبنى بالحجارة السود على نشز ودجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال . معجم البلدان .

(٢) قال ابن منظور « هوى وانهوى » بمعنًى أى سقط من فوق إلى أسفل ٢/ ٢٤٨ . وقال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما الثلاثى منه متعد ، وهذا غير متعدٍّ .

(٣) مقيس وإن لم يرد به السماع .

مبارك الوجه ، ميمون النقيّة . واللّثامان : أحدهما ، لثام الفمّ ، والآخر لثام الأنف وقيل : أراد بهما الشّيب ، واللّثام المعهود . وقيل : الغُبار واللّثام . وقيل : تلثَّم بلثامين . وقيل ، أحدهما لثام الفمّ ، الذى هو طرف العمامة ، والآخر لثام البيضة[١] . أى سار بخيله بالغَلَس[٢] فى الوادى ، وهو شجاعٌ مبارك الوجه ، عابدٌ متورِّع ، أولأنّه جهاد وغزْو ، فجميع ما يفعله طاعة وعبادة .

٢٨-فَتًى يشْتَهِى طُولَ الْبِلاَدِ وَوَقْتِهِ تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالمَقَاصِدُ

« ووقته » جرّ عطفًا على « البلاد » « وفتى » بدل من « مشيِّع » وما بعده صفة له .

يقول : هو يتمنّى [٢١٣ - ب] طول البلاد التى يقتحمها[٣] ، أو يتمنّى طولها ، لتسع جيشه ، ويتمنّى طول وقته : أى طول عمره ، ليدرك غاية همّه ، فأوقاته تضيق به ، لأنه يطلب غايةً لا تتسع لها الأوقات ، وجيشه عظيم ضاقت عليه البلاد ، وقوله : « تضيق به » يجوز أن يكون حالاً من « يشتّهى » أى يشتّهى به ضائقا به أوقاته ، ويجوز أن يكون خبرًا آخر كما كان « يشتّهى » خبرا وجميعه صفة للفتى ، وهو فى موضع رفع ، وهذا أولى .

٢٩-أَخو غَزَوَاتٍ مَاتُغِبُّ سُيُوفُهُ رِقَابَهُمُ إِلاَّ وَسَيْحَانَ جَامِدُ

« أخو غزات » نعت « لفتى » وقيل : خبر ابتداء محذوف : أى هو أخو غزوات . « ماتُغبّ » أى ما تقصّر وما تتأخر « وسَيْحان »[٤] نهر فى بلاد الروم . وقيل بحر .

---

(١) وهذا معناه عند الواحدى وتابعه صاحب التبيان إذ قالا إنه عنى باللثام الثانى : مايرسله على الوجه من حلق المغفر .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) مو : « يفتحها » .

(٤) سيحان : نهر كبير بالثغر من نواحى المصيصة وهو نهر أذَنه بين أنطاكية والروم . ولا يريد سيحون وجيحون اللذين بخراسان . انظر معجم البلدان والتبيان .

يقول : هو أبداً يغزوهم ويسفك دماءهم ولا يرجع عن بلادهم ، إلا عند شدة[١] البرد وجمد الماء ، وإن حَملته على البحْركان معناه : أن سيوفه لا تغبّ رقابهم أبداً ، لأن البحر لا يجمد ، فعلق[٢] ذلك بأمر محال .

٣٠–فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَى   لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثُّدِيُّ النَّواهِدُ

الضمير فى « حَمَاهَا » راجع إلى معنى « مَنْ » إذ المراد به[٣] المرأة المُسْبيّه .

يقول : لم يبق من الروم إلاّ نساؤهم الحسان الوجوه اللمىّ الشفاة ، حماها مِنَ السيوف حسنُهن وملاحتُهن ، ونهود ثديهن ، فسبينَ ولم يقتلْن .

٣١–يُبَكِّى عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فى الدُّجَى   وَهُنَّ لَدَيْنا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ

يقول : إن النساء اللاّتى سبيناهن ، بنات الكبار من الروم ونساؤهم ؛ فهم يبكون عليهنّ ، عندما يخلون بأنفسهم فى ظلمة الليل ، لأنهن أقاربهم ، وهنّ مع ذلك عندنا مهانات ملقيَات كواسد ، لا يلتفت إليهن لكثرتهن .

٣٢–بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِها :   مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

« بذا » إشارة إلى ما وصفه فيما تقدم ، وقيل : إشارة إلى الحال ، وهو يذكّر ويؤنّث .

يقول : هكذا حكم الأيام فيما بين الناس . أن يجعل مصيبة قوم فائدةً لقوم ؛ لأن هذه السبايا لنا فوائد ، وعلى أهلها مصائب .

٣٣–وَمِنْ شَرَفِ الإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمُ   عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ

« المُومُوق » المحبوب ، من ومقْته . و « الشَّاكِد » المعطى[٤] .

---

(١) ق : « إلا عن شدة » .

(٢) مو : « فتعلق » .

(٣) مو : « المراد به » ساقطة .

(٤) قال المعرى : الشَّاكِدُ : المعطى من غير مسألة . وقيل هو الذى يعطى ولا يريد عوضًا . تفسير أبيات المعانى .

يقول : شرفُ الشّجاعة أنك تقتلهم ، وهم يحبّونك ! كأنك تعطيهم وتحسن إليهم[١]

٣٤–وأنَّ دمًا أجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ وَأنَّ فُؤادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ

« وأنَّ » بالفتح عطفا على قوله : « أنّكَ فِيهِم »

يقول : من شرف الإقدام أن كلَّ دمٍ تجريه يفتخر بك ، وكلّ إنسان قتلته أكسبْته شرفًا ، وكلّ فؤاد خوّفته وملأته خوفا يحمدك ويثنى عليك ؛ لما يرى من شجاعتك وإقدامك ومثله لآخر :

فَإنْ أكُ مَقْتولاً فكُنْ أنْتَ قَاتِلِى فَبَعْضُ مَنَايا القَوْمِ أكْرَمُ مِن بَعْضِ[٢]

٣٥–وَكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

يقول : كلٌّ أحد يعرف فضل الشجاعة والسّخاء ويعرف الطّريق إليهما ، ولكن طبع اللئيم يقوده إلى الجبن والبخل ، وطبع الكريم يحثه على الشجاعة [٢١٤ – ا] والبذل ، فطبْع كلّ إنسان يقوده إلى ما يميل إليه ، إذ الإنسان طوع الطبع[٣] .

٣٦–نَهَبْتَ مِنَ الأعْمَارِ مَالَو حَوَيْتَهُ لَهُنِّئَتِ الدُّنْيا بأنّكَ خَالِدُ

يقول نهبت من أعمار الأعداء ما لو جمعته وملكته ، وزيد فى عمرك ، لبقيت فى الدّنيا خالدًا دائمًا .

وفيه إشارة إلى أنّ الدّنيا مسرورة بكونه فيها ، فلو رزق هذه الأعمار ، لدام سرورها ، وفيه مدْح من وجهين :

أحدهما : وصْفه بالشجاعة المؤدّية إلى قتل جماعة[٤] الأعداء .

---

(١) ادعى لسيف الدولة أن الروم معه مع ما يفعل بهم من القتل والأسر وذلك من الدعوى الباطلة . المعرى ، المرجع السابق .

(٢) التبيان ١/٢٧٦ ، وشرح البرقوقى ١/ ٣١٦ ، وفى الواحدى بهذه الرواية :

فإن كنت مقتولا فكن أنت قاتلى . . . .

(٣) يريد أنه سيف الدولة مطبوع على الشجاعة والندى ومجبول عليهما ونفسك تقودك إليهما للواحدى .

(٤) مو : « جماعات » .

والثانى : أن سرور الدنيا ببقائه ، إذ هو زينتها . وقيل : معناه لهنئ أهل الدنيا . حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى : ﴿ واسْأَلِ القَرْيةَ ﴾[1] أى أهل القرية .

٣٧– فأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ واللهُ ضَارِبٌ وأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ واللهُ عَاقِدُ

يقول : أنت سيف الملك ، وهو ملك بنى العباس ، لكن الله تعالى يضرب بك أى ينصرك ويسلّطك على الأعداء ، وأنت لواء الدِّين : يعنى أنت تظهر شعاره ، وتدعو الناس إليه ، والله يعقد هذا اللواء ؛ لأن ما يعقده الله لا يقدر أحد على حلّه .

٣٨– وأَنْتَ أَبُو الْهَيْجَا ابْنُ حَمْدَانَ يا ابْنَهُ
تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ

أبو الهيجاء : أبو سيف الدولة .

يقول : أنت أبوكَ . أى تشبهه فى أفعاله وأخلاقه ، « يا ابنه » نداءٌ لسيف الدولة ، معناه : يا ابن أبى الهيجاء أشْبهته وأشْبهَك ، فالمولود الكريم ، ووالده متشابهان ، فى الأخلاق والأفعال .

٣٩– وحَمْدَانَ حَمْدُونٌ ، وَحَمْدُونُ حَارِثٌ
وَحَارِثُ لُقْمَانٌ ، وَلُقْمَانُ رَاشِدُ

« حَمْدَان » جد سيف الدولة . و« حَمْدُون » جدّ أبيه ، وكذلك ما بعده .

يعنى : أنك أشبهْت أباك ، وأبوك أشْبه جدَّك ، وجدُّك أشْبه أباه ، فكلّ واحد منكم يشبه أباه إلى الجد الأكبر ، فى الكرم والخصال .

وطعَن الصَّاحِب[2] لإيراده لفظة « حَمدانٍ » « وحَمْدون »[3] . وليس فيه

(١) سورة يوسف ١٢/ ٨٢ .

(٢) هو : الوزير أبو القاسم الصاحب ابن عباد صاحب كتاب « الكشف عن مساوئ المتنبى » .

(٣) الكشف عن مساوئ المتنبى ٢٥٧ ملحق بالإبانة عن سرقات المتنبى .

مطعن لأنه لم يمكنه أن يغير اسم آبائه وأجداده ، وأن يجعل مكانه لفظة حسنة يخترعها[١] .

٤٠–أولَئك أَنْيابُ الخِلافَةِ كلُّهَا وَسَائِرُ أَمْلاَكِ الْبِلاَدِ الزَّوَائِدُ

« الأنياب » جمع الناب . والزوائد ما زاد على الأسنان المعروفة فى الفم ، وقيل : إنما جعلهم أنياب الخلافة ، لأن ذوات الأنياب يسطون بها ، وكان الخلفاء يسطون بهم على أعدائهم ، وجعل غيرهم من الملوك كالزوائد ، لا يحتاج إليها ، بل يتأذّى بها ، فكأنّه قال : أنت وآباؤك[٢] الأمراء حقًّا ، وأنتم للخلافة كأنياب يذبّون عنها ، وغيركم كالزوائد التى لا خير فيها .

٤١–أُحبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وبَدْرَهُ وَإِنْ لاَمَنِى فِيكَ السُّهَا وَالفَرَاقِدُ

جعله كالشّمس وكالْبدر . يعنى أن الشّمس تضىء النّهار ، والبدر يضىء الليل ، وأنت قد جمعت معنَيَيْن فاستحْققت الاسمين ، وجعل غيره من الملوك إلى جنبه كالسُّها والفرقدين [٢١٤ – ب] لأن السُّها : نجم خفىّ لا يكاد يراه إلا حادّ البصر ، والفرقدان : نجمان خفيّان أيضا ، من بنات نعش الصغرى ، وأتى بلفظ الجمع ؛ لأنه أراد ملوكًا كثيرة تشبه الفرقديْن ، فجمع لمّا أراد الملوك . وقيل : أراد الفرقديْن ، وما حولها من الكواكب ، وقيل : أقام لفظ الجمع مكان لفظ التثنية .

٤٢–وَذَاكَ لأنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لأنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ

باهرٌ : أى ظاهر غالب ، وباردُ : أى طيب .

يقول : أحبك لفضلك ، لا لما أنالُهُ من طيب العيش عندك ، لأن ذلك يحصل فى كل موضع .

---

(١) يذكر المعرى أنه اتفق له فى هذين البيتين مالم يتفق لغيره من نسبة الممدوح إلى أبيه وتشبيه أبيه بجده ، ثم كذلك حتى استوفى سبعة فى النسب وعشرة فى المقابلة . تفسير أبيات المعانى .

(٢) ق : « أنت وأباك الأمراء حقًّا » .

٤٣-فإنَّ قَليلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ وَإن كَثِيرَ الْحُبِّ بالجَهْلِ فَاسِدُ

يقول مؤكِّدًا لقوله : أحبك يا شمس الزمان ، وإن القليل من المحبّة مع العقل ينتفع بها ، فأنا أحبّك بالعقل ، فإن قدّرت أن محبّى لك قليلة ، ولكنّها لما كانت مع العقل كانت أنفع من محبّة الجاهل إيّاك ؛ لأن العاقل إنما يحب الإنسان لما يرى مِنْ فضله ، فمحبّته دائمة لِذِى الفضْل ، وإن الكثير من المحبّة مع الجهل ، فاسد لا أصل له ، لأن الجاهل إنما يحب الإنسان للطمّع ، فإذا انقطع انقطعت المحبة ، فغيرى من الشعراء وإن كان يظهر لك من نفسه حبًّا كثيرا ؛ فحبّه لما كان مع الجهل ليس فيه طائل ومنه قوله :

يُحِبّ الْعاقِلُون عَلَى التَّصَافى وَحُبُّ الْجاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ[1]

وقيل : أراد أنت تحبنى محبّة قليلة ، وغيرك من الملوك يحبوننى كثيرًا ، غير أن محبتك مع العقل ، فإنك تعرف فضْلى ومحبّتهم مشوبَة بالجهل بفضلى ، والقليل من الحبّ إذا كان مع العقل ، أصلح من الحب الكثير إذا كان مع الجهل .

(١٩١)

وقال يمدحه ويعزّيه بغلامه التركىّ يمَاك ، وقد توفى فى سحرَ يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربعين وثلاث مئة[2] .

١ - لا يُحْزِنِ اللهُ الأميرَ فَإنَّنى لَآخُذُ مِنْ حَالاتِهِ بِنَصِيبِ

لا حَزَن الأمير ، فإنى أشاركه فى أحواله . إذا حزِنَ حزنْتُ لأجل حزْنه ، وإذا

(١) ديوان المتنبى ٤٧٦ ، والوساطة ٣٤٤ وفيه : « يحب العاقلون » .

(٢) ع : « وقال يعزيه بغلامه التركى يماك ... إلخ . الفسر ١/ ٤٢ « وقال يعزيه فى يماك عبده ، وقد توفى سنة أربعين وثلاث مئة » . الواحدى ٤٦٧ : «وقال يعزى سيف الدولة بعبده يماك ، وقد توفى فى شهر رمضان سنة أربعين وثلاث مئة » . التبيان ١/ ٤٩ : « وقال يعزيه عن عبده يماك التركى وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاث مئة الديوان ٣١٥ : « وقال يعزيه بعبده يماك وقد توفى سحر يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربعين وثلاث مئة » العرف الطيب ٣٣١ .

سرّ شاركته فى السرور ، وهذا معنى قوله : « لآخذ من حالاته بنصيب » . فكأنه دعاءٌ لنفسه . كما تقول : حرس الله علىَّ نِعَمَهُ[1] ببقائكَ . وهذا إشارة إلى خلوص الدعاء له وصفاء النية فى حبّه .

٢ — وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى
بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبُ

« أسى » فى موضع نصب ، لأنه مفعول له . وقيل : تمييز . والهاء فى « سرّها » للعيون وقلوبٌ سرَّهَا ، فحذف لدلالة الأوّل عليه .

يقول : من سرّ الناس كلّهم بإحسانه إليهم ، ثم بكى لحزن أصابه ، ساء بكاؤه الذين سرهم ، فكأنه يبكى بعيونهم ويحزن بقلوبهم ، ومثله لآخر :

عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُه فَالنَّاسُ فِيه كُلُّهُمْ مأْجُور[2]

وقيل : معناه أن من سر أهل الأرض ، إذا بكى لزم كل من سرّه أن يشاركه على بكائه ، حتى تتحقق[3] المحبة التى يقتضيها سرورهم بفعله ، وهذا قريب من الأول ومعناه : أنهم شاركوه فى حزنه ، كما شاركوه [٢١٥ — ا] فى سروره . ومثله ليزيد بن محمد[4] :

أشركتمونَا جَميعًا فِي سُرُورِكُمُ فَلَهُونَا إِذْ حزنْتمُ غَيْرَ إِنْصَافِ[5]

(١) مو : « النعمة » .

(٢) نسب إلى أبى العطاء السندى فى الوساطة ١٩١ وروايته : « جلّت رزيته فعم مصابها » الخ . ونسب إلى التيمى فى الحماسة رقم ٣٢٧ وروايته « عمت فواضله فعم هلاكه » البيت . ونسب إلى التيمى فى رثاء منصور بن زياد : الحماسة رقم ٣١١ . وفى مجموعة المعانى ١١٩ : للتيمى ، وغير منسوب فى عيون الأخبار ٣/ ٦٧ وروايته : « عمت مصيبته فعم هلاكه » البيت . وفى ديوان المعانى ٢/ ١٧٤ لرجل يرثى عمر ابن عبد العزيز .

(٣) فى النسخ : « يتحقق » .

(٤) هو : يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة ، أخو خالد ، المعروف بالمهلبى ، شاعر من أهل البصرة اتصل بالمتوكل العباسى ونادمه ومدحه بقصيدة من عيون الشعر أوردها المبرد فى الكامل توفى سنة ٢٥٩ . الموشح ٣٤٣ وسمط اللآلئ ٨٣٩ ، ورغبة الأمل : ٥/ ١٣٧ ، ويتيمة الدهر : ٢/ ١٥٦ و ٣/ ٥ .

(٥) الوساطة : ٤٠٩ ، والتبيان ١/ ٤٩ وشرح البرقوقى ١/ ٥٣ .

٣ – وإنِّى وإن كانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ   حَبِيبٌ إلى قَلْبِى حَبِيبُ حَبِيبِى

يقول : أنا أحب سيف الدولة ، وهذا المدْفون حبيبه ، فهو إذًا حبيب حبيبى فمن كان حبيب حبيبى فهو حبيب[1] إلى قلبى ، فكيف لا أحزن عليه ؟! .

٤ – وَقَدْ فارَقَ النَّاسُ الأحِبَّةَ قَبْلَنَا   وأعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

أعيا : أى أعجز .

يقول : قد فارق النَّاس قبلك أحبّتهم ، وذاقوا ألم الفراق ، فليس هذا بأوّل حبيب فارق حبيبَه .

٥ – سُبِقْنَا إلىَ الدُّنْيا فَلَوْ عَاش أهْلُها   مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جيئَةٍ وَذُهُوبِ

يقول : لوْ عاش مَنْ كان قبلنا فى الدّنيا ، لضاقت الدّنيا علينا ، ومنعنا لكثرة[2] أهلها عن المجىء والذهاب ، والتصرف فيها .

٦ – تَمَلَّكَهَا الْآتى تَمَلُّكَ سَالِبٍ   وَفَارَقَها الْمَاضِى فِرَاقَ سَلِيبِ

السّالب : الآخذ مال غيره قهرًا[3] والسَّلِيب : المسلوب .

يقول : إن هذه الدّنيا كانت فى يد السّابق ، ثم تنتقل إلى من يأتى بعده ، فكأنّ الآتى سلَبها من الماضى ، فجعل الوارث الآتى سالبًا ، والميت الماضى مسلوبًا والإرث سَلَبًا .

٧ – وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ والنَّدى   وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ

شَعُوب : اسم الموت ، معرفة لا يدخلها التعريف[4] ؛ لأنه اسم علم للمنيّة ،

(١) ق : « فهو حبيب » ساقطة .   (٢) مو : « ومنعتنا كثرة » .

(٣) ق : « مال غيره قهرًا » ساقطة .

(٤) أى لا يدخل عليها الألف واللام . وسميت : شعوب لأنها تشعب أى تفرق ، ومنه شعبت القدح إذا فرقته .

ق : « معرفة غير مصروفة » والتصويب من الفسر والواحدى والتبيان .

فقد اجتمع فيه التأنيث والتعريف.

يقول: لولا خوف الموت، لكان لا يظهر فضل الشجاعة والسّخاء والصبر؛ لأن الإنسان إنما يجْبن خوفًا من القتل، وإذا علم أنه لا يموت ارتفع الجبْن، كذلك البخيل، إنما يبخل لأنه يخاف أن تبلغ به الحاجة إلى الموت، فإذا أيقن بالخلود، فقد سمحت نفسه بما فى يده، لأنه آمن من الهلاك، ويرجو أن يكتسب فيما يأتى من الزمان، وكذلك من جرح فإنما[1] يجزع خوفًا من الموت، فإذا علم أنه لا يموت، لا فضل لصبره، وفى الموت هذه الحكمة والصلاح.

٨ – وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبٍ حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ

أوْفى: أفعل من الوفاء.

يقول: الحياة لابدّ لها من النّفاد، وآخر غاياتها المشيب، فإذا دام الإنسان حتى يبلغ المشيب، فقد بلغ غاية الحياة، ثم تخونه هذه الحياة فى الوفاء له، فأوفى الحياة، هى الحياة التى تخون صاحبها عند المشيب.

٩ – لأَبْقَى يَمَاكُ فى حَشَاىَ صَبَابَةً إلى كُلِّ تُرْكِيِّ النِّجَارِ جَلِيبُ

اللام فى قوله: «لأبقى» [فى] جواب قسم مضمر، أى والله لأبقى. وقيل: اللام للتأكيد. والنِّجار[2]: الأصل، وهو اللون أيضًا. وجليب: أى مجلوب، وروى فى «حشاى جراحةً[3]».

يقول: إنى رأيت من نجابةِ يماك، وحسن أخلاقه وطاعته لمولاه، ما ترك فى قلبى محبّةً لكلّ تركىّ مجلوب من بلاد الترك.

١٠–وَمَا كُل وَجْهٍ أَبيضٍ بِمُبَارَكٍ وَلاَ كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ

---

(١) ق: «فإنه».

(٢) النّجر والنّجار والنُّجار: الأصل والحسب ويقال: النّجر: اللون. اللسان.

(٣) ق: «فى حشاى صبابة جراحة».

يقول : إنى كنت أشتاق إلى تركىّ ، وأعلم أنه لا يشبهه فى نجابته وكرامته ، إذ ليس كل وجهٍ أبيض مباركًا ، وكل جفن ضيق نجيبا .

وقيل : إنه رجع عما قبله من الاشتياق إلى كل تركى ، [٢١٥ — ب] إذ ليس لكل أحد من الخصال ما فيه .

١١– لَئِنْ ظَهَرتْ فِينَا عَلَيهِ كَآبةٌ   لَقَدْ ظَهَرتْ فى حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ

الكآبة : الحزن ، والقضيب : هاهنا هو السيف .

يقول : إنْ ظهر علينا الحزن لموته ، فقد ظهر أيضا فى السيوف ، لفقدها من يضرب بها وطول لبثها فى غمودها بعد موته .

١٢– وَفِى كُلِّ قَوْسٍ كُلَّ يومٍ تَنَاضُلٌ   وَفِى كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمٍ رُكُوبِ

التّناضل : الترامى بالسهام . والطِّرف : الفرس الكريم .

يقول : ظهرت الكآبة أيضا فى القوس والفرس .

١٣– يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخِلَّ بِعَادَةٍ   وَتَدعُو لأَمْرٍ وَهُوَ غيرُ مُجِيبِ

روى « بعادَةٍ » أى بعادةٍ من عادات خدْمتك . وروى « بغارة »

يقول : يشتد على هذا الميت أن يخلّ بعادة من عادات خدمتك[1] ، أو يخلّ بغارة من غاراتك ، وأن تدعوه لأمر وهو لا يجيبك ، لكن به ما منعه عن ذلك .

١٤– وَكُنْتُ إذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا   نَظَرتُ إِلىَ ذِى لِبْدَتَيْنِ أَدِيبُ

لبدة الأسد : ماتلبَّد من الشعر على عاتقه .

يقول : كنت إذا رأيته قائمًا بين يديك فى الخدمة ، رأيت أسدًا له عقلٌ وأدب . يعنى أن الأسد شجاع لا عقل له ولا أدب ، وهذا قد جمع الشجاعة والعقل والأدب ، فهو أفضل من الأسد .

(١) مو : « خدمته لك » .

١٥–فَإِنْ يَكُنِ العِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ فَمِنْ كَفِّ مِتْلافٍ أَغَرَّ وَهُوبِ

العلق[١] خبر « يكن » و « النفيس » نعت له ، واسمه مضمر . أى إن يك يماك العلق النفيس . يعنى إنْ كان هذا العبد علقًا نفسيًا فقدْته ، فلا تأسف عليه ، لأنَّكَ مالك ، ومن عادتك إتلاف الأموال وهبة الأعلاق .

١٦–كَأَنَّ الرَّدَى غادٍ عَلَى كُلِّ مَاجِدٍ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ

روى « عاد » أى ظالم . وروى « غادٍ » من الغداة .

يقول : كأنّ الهلاك يتسلط على كل ماجدٍ[٢] ، إذا لم يجعل لمجْده عوذة من العيب ، تقيه عينَ الحساد ، ومثْله لكشاجم[٣] :

شَخَصَ الأَنَامُ لِحُسْنِ وَجْهِكَ فَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدِ[٤]

١٧–وَلَوْلاَ أَيَادِى الدَّهرِ فِى الْجَمْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ

يقول : إن كان الدهر قد أساء فى التَّفريق بين الأحبَّةِ ، فقد تقدّم إحسانُه فى الجمع بينهم ، فلولا ما سبق من إحسانه فى الجمع بيننا وبين الأحبة ، لما شعرنا بذنوبه فى تفريقه شملنا ، ولم نعدّ ذلك عليه ذنبا .

١٨–وَلَلتَّرْكُ للإحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ إِذَا جَعَلَ الإحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ

رَبيب : بمعنى مرْبوب ، وربّى الإحسان إذا رّباه[٥] .

(١) العلق : هو الشيء الذى يضنُّ به لنفاسته ، وقيل هو ماتعلق به الفؤاد .

(٢) مو : « على كل ماجد » وفى سائر النسخ (على كل أحد » والماجد : الكامل الشرف . الفسر .

(٣) كشاجم : لقب الشاعر محمود بن الحسن بن السندى ، طباخ سيف الدولة وهو الذى لقب نفسه بهذا اللقب وسئل عن ذلك فقال : الكاف من كاتب ، والشين ، من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم ، من جواد ، والميم ، من منجم .

(٤) فى الوساطة٣٥٨ نسب لبعض المحدثين وفيه : « إلى جمالك » وغير منسوب فى خاص الخاص ١٣٥ وفيه : « إلى كمالك » وديوان المعانى ١ / ٦٨ . والتبيان ١ / ٥٢ وشرح البرقوقى ١ / ٥٦ .

(٥) ربَّاه : نمّاه وغذّاه ونشّاه . اللسان .

يقول : الدهر أحْسَنَ أولاً ثم أفسد إحسانه آخرًا ، وترْك الإحسان ابتداء ، خير من أن يبتدئ به ثم لا يربِّيه بالمداومة عليه .

ورجع فى هذا البيت إلى ذمّ الدهر.

١٩–وَإنَّ الذى أمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ غَنِىٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ

يقول : إنك ملكت نزارًا[1] كلها بإحسانك ، واستعبدتهم بفضلك ، وهم قومك وعشيرتك ، فلا حاجة بك إلى استعباد عبد غريب [٢٦١ – أ] .

٢٠–كَفَى بِصَفاءِ[2] الْوُدِّ رِقًّا لِمثلِهِ وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلَبِيبِ

بيَّنَ كيفيَّة استعباده لنزار : أى هم عبيدك بالطّاعة وصفاء المودّة ، وكفى بصفاء[2] المودة منهم رقًّا لك ، فلا تريد منهم إلا أن تصفوا لك المودة ، وكفى بالقرب[2] منك فخر لمن كان لبيبًا .

٢١–فَعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الأَجْرَ إنَّهُ أَجلُّ مُثَابٍ مِنْ أَجَلِّ مُثِيبِ

الهاء فى « إنّه » يعود إلى سيف الدولة ، والمُثاب : هو سيف الدولة أيضًا .

يقول :عُوِّضَ سيفُ الدولة الأجر ، على جهة الدعاء أى عوَّض اللهُ ذلك[3] أجلّ مَنْ أثيب الأجر ، والله أجلّ مُثيب .

وقيل : إن « الهاء » للأجر ، أى إن الأجر أجل مُثاب ، أى أجل ثواب من أجلّ مثيب ، وهو الله تعالى ، والمثاب على هذا : مصدر كالإثابة .

٢٢–فَتَى الْخَيْلِ قَد بَلَّ النَّجِيعُ نُحُورَهَا يُطاعِنُ فِى ضَنْكِ الْمُقَامِ عَصِيبُ

(١) المراد به : قبائل نزار بن معد بن عدنان ، اسم الجد الأعلى الذى انتسبت إليه القبائل فى شمالى الجزيرة العربية مفاخرين بعروبتهم على غيرهم من عرب الجنوب ، ويريد أنه ملك العرب بإحسانه فلا حاجة إلى مملوك تركى . الواحدى .

(٢) الباء زائدة فى قوله : بصفاء وبالقرب كقوله تعالى : (كفى بالله) أى كفى الله . الفسر ، الواحدى ، التبيان .

(٣) مو : « لك » .

النّجيع : قيل : هو الدّم الطريّ على الإطلاق[١] ، وقيل : دم الجوْف والضّنْك[٢] : الضِّيق . والعصيب : الشديد الصعب . وروى يُطاعِن : أى فتى الخيل يطاعن وروى : « تَطَاعَن » أى تتطاعن .

يقول : هو الفتى المشهور فى الشّجاعة ، الذى يطعن فى ضنْك المقام عند اشتداد القتال ، وابتلال نحور الخيل بالدم .

٢٣-يَعَاف خِيَام الرَّيطِ فى غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيْمُهُ إلاَّ غُبَارُ حُرُوبِ

يَعَاف : يكره . والرَّيْط : الملاء البيض[٣] .

يقول : يكره المبيت[٤] والتنعّم فى الخيام ، وإنما يحب القتال ، فليس له خيمة إلا غبار الحروب .

وقيل : معناه أنه لا يستظل فى غزواته بخيمة ، كما يفعله الملوك ، وإنما يستظل بغبار الحروب .

٢٤-عَلَيْنَا لَكَ الإسْعَادُ ، إنْ كَانَ نَافِعًا ، بِشَقِّ قُلُوبٍ لاَ بِشَقِّ جُيوبِ

الإسعاد : المساعدة[٥] . يعنى لو كان شقّ الجيوب والبكاء يردّان ميتًا ، لأسعدناك بشق القلوب ، عن شق الجيوب .

٢٥-فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيْس تَنْدَى جُفُونُهُ وربَّ كَثِيرِ الدَّمعِ غَيْرُ كَئِيبِ

يقول : إن الدّمع ليس دلالة الوجد ، فكثير من الناس ينحرق قلبه ولا يجرى منه دمْع ! وكثير منهم يجرى دمْعه ولا حزن فى قلبه !

٢٦-تَسَلَّ بِفِكْرٍ فى أَبَيْكَ فَإِنَّماَ بَكَيتُ فكَانَ الضِّحْكُ بَعْدَ قَرِيبُ

---

(١) وقيل : الدم كله . الفسر .

(٢) ضنك : صفة لموصوف محذوف تقديره فى يوم ضنك المقام عصيب .

(٣) فى النسخ : « الملاء الأبيض » . والريط : الملاء البيض ، الواحدة : ريطة . الفسر .

(٤) فى النسخ : « يكره فى البيت » .

(٥) يقال : أسعدت النائحة الثكلى : أعانتها على البكاء والنوح .

يروى : « أَبِيكَ »[١] بفتح الباء . وهو جمع قولهم أَبًا . مثل : عصا ، وكان فى الأصل « أَبِينَ » فانقلبت الياء ألفًا ، وبعدها ياء جمع ، فحذفت لالتقاء الساكنين ، فبقى أَبِينَ ثم أضافه إلى كاف الخطاب ، فحذف النون للإضافة فصار أَبَيْك ، وفى حال الرفع : أَبون[٢] [و « الأبا » لغة فى الأب] . فعلى هذا تقول : هذا أباك ورأيت أباك ومررت بأباك . ويجوز أن يكون تثنية بمعنى أَبَوَيْك . وروى : أبيك فيجوز أن يكون واحدًا وجمعًا .

يقول : تفكّر فى آبائك فإنك بكيت عند موتهم ، ثم سليت عن قريب وصبرت ، فاعتبر حالك اليوم بحالهم حين فقدت أباك .

٢٧- إِذَا استَقْبَلَتْ نَفْسُ الكَرِيمِ مُصَابَهَا
بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاستَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ

المُصَاب : المصيبة . وقوله « ثَنَت » أى ثَنَت النفس المصاب . وأراد بالخبث : الجزع ، وبالطيب : الصبر . ومعناه : إذا جزع الكريم عند أول المصيبة ، راجع [٢١٦ - ب] أمره فى آخرها ، فعاد إلى الصَّبر ، والرضا والتسليم .

وقيل : أراد بالخبث : الصبر ، لأن النفس تنفر عنه ، لما فيه من المشقة ، والطيب : عاقبة الصبر ، وهو ما يجد الصابر من المدح على صبره والثواب فى

---

(١) قال ابن جنى : يريد أبوَيْك ، وهى لغة معروفة ، تقول العرب : « أب » و « أبان » و « أبين » و « أبون » أى فى المفرد والتثنية والجمع ومن أبيات الكتاب أنشد سيبويه :

فلما تَبيَّنَّ أَصْوَاتنا بكَيْن وفدَّيْننا بالأَبِيْنَا

وقد قرأ بعضهم [قول الله تعالى] « ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله أَبِيْك » . يريد من آبائك جمع أب الفسر : ١٥٣/١ ، اللسان : ٦/١٨ . فجمعهم على أبين وأسقط النون للإضافة .

(٢) أصله « أبون » فحذفت النون للإضافة فصار التقدير « أبوى » فاجتمعت الواو والياء ، وسبقت الأولى بالسكون ، فقلب الواو ياء ، وأبدل من الضمة قبلها كسرة ، وأدغمت الياء فى الياء فصار « أبِيّ » كما قال الآخر :

كريمٌ طابت الأعراق منه فأشبه فعلهُ فعْلَ الأبينا

الفسر ١/ ٩٥٣ ، اللسان ١٨/ ٦ .

الآخرة . لأن ذلك يطيب النفس .

ومعناه : أن الكريم وإن خبثت نفسُه فى الابتداء لصبره على المصيبة فى الأول قبل وقوعها[١] صعب عليه الصبر عند وقوعها .

٢٨–وَلِلْوَاجِدِ المَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سُكُونُ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ

الواجد : الحزين

يقول : كل جازع على مصيبة ، فآخر أمره السّلوة والسّكون : إمّا صبرًا واحتسابًا ، وإما تعبًا وملالاً . ومثله لمحمود الوراق[٢] :

إذَا أَنتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبارًا وَحِسْبَةً سَلَوتَ عَلَى الأَيَّامِ مِثْلَ الْبهَائِمِ[٣]

ومثله لأبي تمام :

أَتَصْبِر لِلبلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجَرَ أَوْ تَسْلُو سُلُوَّ البهَائِمِ[٤]

٢٩–وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ فَلَمْ تَجْرِ فى آثَارِهِ بِغُرُوبِ

الغُرُوب : مجارى الدموع فى العيون . ونصب « جدًّا » على التمييز ، و « كم » يحتمل الاستفهام ، والخبر : فإن كان استفهامًا ، كان الواجب نصب « جدًّا » لأنها فى الاستفهام تنصب تمييزها ، وإن كانت خبرًا ، فالاختيار هو النصب هاهنا ، لأنك إذا فصلت بينها وبين ما يضاف إليها بفاصل ، كان الواجب النصب[٥] .

---

(١) مو : « وإن خبثت نفسه فى الابتداء لصبره على المصيبة ، طابت نفسه بما يصل إليه من لذيذ المدح والانتفاع بالثواب . وقيل معناه أن من لم يوطن نفسه بما يصل إليه من لذيذ المدح والانتفاع بالثواب . وقيل معناه إن من لم يوطن نفسه فى الأول قبل وقوعها » إلخ .

(٢) هو : محمود بن حسن الوراق . أكثر شعره فى المواعظ والحكم توفى سنة ٢٣٠ فوات الوفيات ٢/ ٢٨٥ والفلاكة والمفلوكين وطبقات ابن المعتز ٣٦٨ .

(٣) الوساطة ٢٣٨ والتبيان ١/ ٥٥ والواحدى ٤٧١ وشرح البرقوقى ١/ ٦٠ .

(٤) ديوانه ٢/ ٢٥٩ والواحدى ٤٧١ والتبيان ١/٥٥ وفيهما « أم تسلو » .

(٥) وذلك لئلا يفصل بين الجار والمجرور ، وهذا إنما يجوز ضرورة ولا ضرورة هنا لأن الوزن واحد نصبت أو جرَرْت . الفسر .

يقول: إن ما مضى وغاب عنك، كشيء لم تره. فكما أنك لم تبكِ على أجدادك الماضين، الذين لم ترهم. فكذلك ينبغي أن تنسى عمن فقدته الآن، لغيبته عن عينك[1].

٣٠–فَدَتْكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ فإنَّها مُعَذَّبَةٌ فى حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ

يقول: نفوس حسّادك معذّبة بحسد معاليك، حَضَروا أم غابوا، فجعلهم الله فداك، ووقاك بهم صروف الزمان، ليستريحوا من هذا العذاب الذى ينالهم، وهذا مثل قوله:

فإن لهم فى سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً[2]

٣١–وَفى تَعبٍ مَنْ يحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَها وَيَجْهَدُ أَنْ يأتى لَهَا بِضَرِيبِ

الضّريب هو النظير والشبيه. شبّهه بالشمس، وخصاله بنورها وقال: من حسد الشمس على نورها فهو فى تعب، لأن نورها لا يزايلها، ومن جهد أن يأتى بنظيرها لم يقدر عليه؛ لأنه لا نظير لها، كذلك أنت لا نظير لك فى علو محلك وخصالك الجميلة وخلائقك الحسنة.

(١٩٢)

وقال أيضًا يمدحه. ويذكر بناءه مرعش. وإصابته المطر عند دخوله. ومحاربته الدُمستُق وهزمه. فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمئة[3].

(١) قال ابن جنى: وهذا المعنى مدخول لأن أولئك الآباء لم ... فبطل التمثيل بهم. الفسر وتابعه صاحب التبيان.

(٢) هذا صدر بيت للمتنبى عجزه:

وإن لهم فى العيش حزّ الغلاصم

(٣) الفسر ١/ ١٥٨: «وقال أيضًا يمدحه ويذكر بناءه مرعش سنة إحدى وأربعين ... مئة» الواحدى ٤٧٢: «وقال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش فى المحرم سنة

١ - فَدَيْناكَ مِنْ رَبْعٍ وَإنْ زِدْتَنا كَرْبَا فإنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا

قوله : « فديناك ، من ربع » : أى فديناك ربعًا و « مِنْ » زائدة وربعًا : بدل من الكاف فى « فديناك » .

خاطب[١] ربع[٢] حبيبته فقال : نحن نفْديك بأنفسنا ، وإن كنْت تزيد فى غمّنا ؛ لخلوك من المحبوبة ، ثم قال : إنما قد فدّيناك ، لأنك كنت مألفَ محبوبتى ، التى هى كالشمس ، فكنت مَطْلعًا لها حين تخرج وتبرز بروز الشمس من [٢١٧ - ا] مطلعها الذى هو المشرق ، وإذا احتَجبتْ وغابت فيك كنت لها مغربًا ، لما جعلها الشمس جعل الربع مطلعًا لها ومغربًا .

٢ - وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَم تَدَعْ لَنَا فُؤَادًا لِعِرْفانِ الرُّسُومِ وَلاَ لُبًّا ؟ !

العِرْفان : مصدر عرفت « وتَدعْ » : تعود إلى معنى « مَنْ » وأنث على معنى المرأة ، ويجوز من « يدع » ردًّا إلى لفظ « مَنْ »[٣] .

يتعجب من رسم[٤] دار المحبوبة التى هى الشمس فيقول : كيف عرفنا رسم دارها ، مع أنها لم تدع لنا قلبا ولا عقلا ؟ !

٣ - نَزَلْنا عَنِ الأكْوَارِ نَمْشِى كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا

الأكْوار : جمع كُور ، وهو الرَّحْل ، و « كرامة » نصبَ لأنه مفعول له[٥]

= إحدى وأربعين وثلاث مئة » . التبيان ١/ ٥٦ : « وقال يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٣١٨ : « وقال يمدحه ويذكر بناءه مرعش سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة . العرف الطيب ٣٣٤ .

(١) مو : « يخاطب » .

(٢) الربع : المنزل فى كل أوان ، والمربع : المنزل فى الربيع خاصة . التبيان

(٣) قرأ أبو عمرو بن العلاء [قوله تعالى] : (ومن يقْنت منكُنَّ لله ورسوله) حمله على المعنى ، وهذا فى القرآن والشعر كثير جدًّا . الفسر ١/ ١٥٩ .

(٤) الرسم : الأثر وإن لم يكن له شخص . الفسر ١/ ١٥٩ .

(٥) يرى صاحب التبيان أن : « كرامة » مصدر فى موضع الحال .

« وركبًا » : على الحال : أى نلم به راكبين ، وأصله عن أن نلم به ، فحذف « عن » ويجوز أن يكون معناه كراهة أن نلم به ، أو ألا نلم به ، فحذف والهاء فى « عنه » و « به » للربع .

يقول : لما أتَيْنا الرَّبع نزلنا عن رواحلنا كرامةً لأهله ، ورفْعًا لقدره ، عن أن نلم به فحذف راكبين .

ومثله للعَمْرى[1] :

يَاسَاكِنَ النَّوبِ انْهَضْ طَالِبًا حَلَبًا ... نُهُوضُ مَعْنًى لحسْمِ الدَّاءِ مُلْتَمِس

وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ إنْ حَاذَيْتَها ورعًا ... كَفِعْلِ مُوسَى كَلِيمُ اللهِ فى الْقُدُسِ

٤ – نَذُمُّ السَّحَابَ الْغُرَّ فى فِعْلِهَا بِهِ ... وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا

السَّحاب : بمعنى الجمع[2] ، ولذلك وصفها « بالغُرّ »[3] وهو جمع أغر ، ونصب « عَتْبًا » على أنه مصدر واقع موقع الحال أى عاتبين . وقيل : إنه مفعول له ، والعتب : أدنى الغضب .

يقول : نحن نذم السحاب البيض فى فعلها بهذا الرَّبع ، لأنها درست آثاره ، وإذا طلعت وظهرت فى السماء أعرضنا عنها ، وصرفنا وجوهنا ، كما يفعل العاتب إذا رأى من عتب عليه .

٥ – وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ ... عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَها كِذْبَا

يقول : إن الرَّبع قد تغير وحال عن الحسن الذى كان له بكون الحبيب فيه ، وكذا عادة الزمان ، فمن صحب الدنيا علم أنّ ما يعانيه من أحوالها زائِل ، فكأنّ مايراه حقيقة وصدقًا ، فهو محال وكذب .

وقيل : معناه من عمَّر تبدل به الحال ، فصار العمر الذى يسرّه يسوءه ، لقربه

(١) هو : أمية ابن أبى عائذ العَمْرى ، شاعر أدرك الجاهلية وعاش فى الإسلام ، كان من مداح بنى أمية ، له قصائد فى عبد الملك بن مروان . خزانة الأدب ١/ ٤٢١

(٢) أى جمع سحابة وقد جاء فى القرآن : (السحاب الثقال) .

(٣) الغر : البيض ، وخص الغر لأنها كثيرة الماء القسر .

من الفناء ، فكأنّ كلّ شيء في الدنيا وإن كان سروراً فإنه غم ، فصاحب الدنيا يرى صدقها كذباً ، وحياتها موتاً ، لمّا كان عاقبتها إلى الفناء وغاية أمرها إلى الزوال .

٦ – وَكَيْفَ الْتِذَاذِي بِالأَصَائِلِ وَالضُّحَى
إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّا !؟

الأصائِل : واحدها أصيل ، وهو آخر النّهار والنسيم : الرِّيح الطيبة الّتى يلتذّ بها ، وأراد به قرب الحبيب .

يقول : كيف ألتذّ بأوقاتى : الغَدَواتِ والعشيَّات ، مع أنى بعيدٌ عمن أهواه ، إذا لم تعد إليّ أوقاتى فى الأصائل والضحى ؛ لأنها أطيب الأوقات ، لا حرّ فيها يؤذى ، ولا برد شديد ، وخصّ [الأصائل والضحى] ليعلم أنه إذا لم يلتذّ بأطيب الأوقات فكيف يلتذ بغيرها ؟

٧ – ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشاً كَأَنِّى كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا

[٢١٧ – ب] الباء : بمعنى « فى » أى فى الربع ، وهو متعلق « بذكرت » أى ذكرت فى الرّبع ، كقول النابغة : « وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ »[١] .

وقيل : إن الباء متعلق بقوله : « وصلاً » و « عيشا » أى ذكرت وصلاً وعيشاً كان لى به أى فيه . والهاء فى قوله : « لم أفز به » للوصل وفى « أقطعه » للعيش .

يقول : لما وقفت بهذا الرّبع تذكرت عيشاً مرّ لى فيه ، كأنى لم أظفر به من قصَر[٢] ، كأنّه لم يكن ، كما قال عبد الصمد بن المعذّل[٣] :

---

(١) ديوانه ٢ والبيت فيه .

وقفت فيها أصيلالا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد

(٢) يريد : قصر أوقات السرور كما قال ابن جنى فى الفسر : والشعراء أبدا يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو وسرعة زوالها وهو كثير جدًّا . انظر أمثلة لذلك فى الفسر والواحدى والتبيان .

(٣) شاعر البصرة وظريفها ، توفى سنة ٢٤٠ فى البصرة . خاص الخاص ١١٨ ، معاهد التنصيص ٣٨٢/١ ، وفوات الوفيات ، ١/ ٢٧٧ والموشح ٣٤٦ .

شَبَابٌ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَشِيبٌ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ[١]

وتذكرت عيشًا كان من قِصَره وقصر أوقاته وكل نعمة فيه ، كأنّه قصر وقت الوثب ، فكل زيارة من الحبيب وثبة ، وكل ساعة من اللقاء والاجتماع وثبة ، والوثب فى معنى قصر الوقت وقصر العيش . وفيه معنى بديع ومبالغة حسنة .

٨ – وَفَتَّانَةَ الْعَيْنَيْنِ قَتَّالَةَ الْهَوَى إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَائِحُهَا شَبَّا

وفتانة : عطفًا على قوله : « ذكرت وصلاً وعيشًا » أى ذكرت جاريةً تفتن الناس بحسن عينيها ، وتقتلهم بهواها ، ولو اتصلت روائحها بالشّيخ ، لعاد إليه شبابه ، وهذا كقولى الأعشى[٢] :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ[٣]

٩ – لَهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِى قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرَ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّهْبَا

البشُر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد . والشُّهْب : قيل : إنه جمع شهاب وهو النجم . وقيل جمع أشهب ، وهو أيضا النجم[٤] ، والتأنيث كله « للفتانة » والهاء فى « به » للدر .

يقول : هى فى نعومة بشرتها كالدّر الذى قلدت به ، وهى فى الحسن كالبدْر . والدر الذى عليها كالنّجوم ، وما رأيت بدرًا متقلدًا بالدرّ حتّى رأيتها . والأول أليق بذكر البدر .

---

(١) نسبه الجرجانى فى الوساطة إلى على بن جبلة .

(٢) هو : ميمون بن قيس وكان يكنى أبا بصير ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها . ترجمته فى الاغانى ٨/٧٦ ومعاهد التنصيص ١/١٩٦ الشعروالشعراء ٢١٢ ولباب الأداب ٣٤٠ ديوان المعانى ١/ ٣٢٩ وحلبة الكميت ١٩ .

(٣) ديوانه قصيدة ١٨/٦٠ وروايته : « إلى نحرها » وهو كذلك فى الوساطة ٢١٧ و٤٢١ ، الإبانة ١١٤ وشرح البرقوقى ٤/ ١٩٩ والتبيان ٤/ ٣٧ .

(٤) قال ابن جنى وتابعه صاحب التبيان : الشهب . جمع شهباء ، يعنى الدرة ويجوز أن يكون عنى (الشهب) جمع أشهب ، يعنى الكواكب . لذكر البدر وهذا هو القول ويجوز أن يكون أيضا جمع شهاب وهو النجم . الفسر .

١٠-فَيَا شَوْقِ مَا أَبْقَى! وَيَالِي مِنَ النَّوى
وَيَا دَمْعِ مَا أَجْرَى ! وَيَا قَلْبِ ما أصْبَى !

وأصله : ياشوقي ما أبقاك ! ويا دمعي ما أجْراك ! ويا قلبي ما أصْباك ! فحذف الياء من المنادى[١] كما تقول[٢] : يا غلام وحذف ضمير المفعول الذى هو المتعجب منه[٣] ويجوز الرفع فى قوله : « ياشوقُ » و« يادمعُ » و « ياقلب » على أن يكون نداءً مفردًا وقوله : « ويالى[٤] من النوى » توجع منه لنفسه فيما لقِى من ألم النوى ، ومعناه ياشوق ما أدْومك ، ويادمعى ما أجْراك ، وياقلبى ما أشّد صبْوَتَك .

١١-لَقَدْ لَعِب ٱلبَيْنُ ٱلْمُشِتُّ بِها وَبِى   وَزَوَّدَنِى فى السَّيْرِ مَازَوَّدَ الضَّبَّا

المشتّ : المفرّق ، من أشَتَّ جَمْعَهم ، وشتّ القومُ : تفرقوا . وفاعل « مازوّد » ضمير البيْن وهو السفر ، ومعناه زوّدنى البينُ فى سيْرى ، مازوّد البَيْنُ الضَّبَّ[٥] فى سيره و« ما » فى موضع النصب . قوله : « لعب البيْنُ بهَا وبِى » أى فرّق بيننا .وقوله : وَ «زوَّدنى[٦] » إلى آخره معناه : لم يزودنى البين من حبيبتى شيئًا أتعلل به بعد فراقنا : كالقبلة والعناق ، وغير ذلك . إلا التفّرق . وخص الضبّ لأنه يتبلّغ بالنسيم ، ولا يرد الماء[٧] ، ولا يشرب بل يكتفى بنسيم الرياح عند العطش [٢١٨ – ا] ، فكأنه قال لم يزودنى البين من حبيبتى شيئًا إلا النسيم والتعلل به كما يتعلل الضبّ به . وقال أبو على بن فورجة : معناه أن الضب إذا فارق حجره ضل

(١) قال المعرى : حذف الياءات التى للإضافة وهى اللغة الجيدة . تفسير أبيات المعانى .

(٢) فى النسخ « يقول » .

(٣) يريد الكاف المنصوبة للمخاطبة بالنداء وأصله ياشوق ماأبقاك ، ويادمع ماأجراك ، وياقلب ماأصباك .

(٤) ابن جنى : « يالى » استغاثة . الفسر .

(٥) الضب : حيوان برى معروف وقال عبد القاهر : « الضب دويبة على حدّ فرخ التمساح الصغير وذنبه كذنبه ، وهو يتلون ألوانًا بحرّ الشمس كما تتلون الحرباء » حياة الحيوان .

(٦) ق : « وزنا إلخ » .

(٧) قال ابن خالويه : « الضب لا يشرب الماء » وقالت العرب : « لا أفعله حتى يرد الضب » لأن الضب لا يرد الماء . حياة الحيوان .

وتحيّر ، لأنه لا يهتدى للرجوع إليه ، على ما ضرب به المثل فقيل : « أضل من ضب »[1] ، « وأتْيه من ضَبٍ » ، « وأحْير من ضَب »[2] . فكأنه قال زودنى البين فى رحيلى حيرةَ الضبّ إذا فارق حجره . أى سرْت متحيراً وَالهَ العقل[3] .

١٢–وَمَن تكُنِ ٱلأُسْدُ الضَّوارِى جُدُودَهُ ‏ يكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمطْعَمُه غَصْبَا[4]

« ومن تكن » : عنى به نفسه أى مَنْ كان شجاعًا كالأسد ، لم يثنه اللّيل عن مرامٍ ولا يحول بينه وبين مراده ظلامة لَيْل ، فهو مثل الصبح[5] يسعى فيه لطلب مآربه ، وإذا حاول أمرًا أو طلب مالاً ، تناوله غصبًا وقسرًا . ومعناه أن الممدوح أسد ومن كان أسدًا كان جدّه أسدًا لا محالة ، وليس المراد به من كان له أب أو جدٌّ شجاع ، لأنه قد يكون أبوه شجاعًا وهو جبان .

١٣–وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ إِدْراكِي ٱلْعُلاَ ‏ أَكَانَ تُرَاثًا مَاتَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبَا

يقول : إذا نلتُ الشرف ومعالِيَ الأمور ، فلا أبالى بأن يكون ذلك موروثًا ، أو مكتسبا . ومثله :

نَفْسُ عِصَامٍ[6] سَوَّدَتْ عِصَامَا ‏ وصيَّرته مَلِكًا هُمَامَا[7]

(١) حياة الحيوان « ضب » .

(٢) قال المعرى : يجب أن يكون خَصَّ الضب لفرق بينه وبين غيره ، وإلا فلا فائدة لذكره إلى آخر المذكور هنا . تفسير أبيات المعانى . (٣) ق : « والله العقل » تحريف .

(٤) مكان هذا البيت فى تيمور البيت الذى يليه . فقط (١٣) دون الشرح ، وقد أشير إلى تداركه فى هامشها .

(٥) فى النسخ : « ظلامة قليلة مثل الصبح » . قال ابن جنى : أى يركب الليل لقضاء مآربه وابتغاء مطالبه ولا يرتاع له يجعله كالنهار . الفسر ١/ ١٦٤ .

(٦) عصام هذا هو عصام بن شهبر حاجب النعمان بن المنذر ، وكان فى مطلع حياته خادمًا للملك ، ثم لم يزل يسمو حتى أصبح حاجبه ووزيره ، وإلى عصام هذا نسبت كلمة « عصامى » ومعناها الذى يشق طريقه بنفسه وسط الصعاب ويكون مركزا من لا شيء . انظر فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال .

(٧) خزانة البغدادى ٤/ ٩٦ ونهاية الأرب ٣/٥٢ والعقد الفريد ٣/ ٤١١ وأمالى الزجاجى ٢٢٣ وكتاب الأمثال ١١٤ وعيون الأخبار ١/٢٢٧ .

١٤–فَرُبَّ غُلَامٍ عَلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلِةِ الدَّوْلَةَ الضَّرْبَا

يقول : ربّ إنسانٍ علّم نفسه المجد[1] من غير أن يعلّمه أحدٌ ، لأن طبعه وجوهره يحمله عليه ، ولأنه إذا نظر فى أفعال المجد يحمل نفسه عليها ، حتى يبلغ إلى منازلهم ، كما أن أهل الدولة إذا نظروا إلى مواقف سيف الدولة فى الحروب ، وشجاعته فيها تعلّموا منه الضرب ، واقتدوا به فى أفعاله ، فكأنه هو الذى علم الدّولة الضرب أى أهل الدولة ، فحذف « أهْلَ » .

١٥–إذَا الدَّولةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فى مُلِمَّةٍ كَفاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا

الملمة : المصيبة ، والشدة . يعنى : إذا نزلت بالدّولة ملِمَّة ، فاستعانت[2] به . (أراد سيف الدولة) وهو الخليفة كَفَى الدّولةَ تلك الحادثة ، فكَانَ لها سيفا وكفًّا وقلبًا[3] : لأن السيف لا يعمل إلا بالكف ، ولا يضْرب به الكفُّ حتى يشيّعه القلب ، وسيف الدّولة يستغنى عن ذلك ، فهو السيف والقلب والكف ، فيكفى الدولة ما ينُوبُها ، ولا يحتاج إلى ناصر ومعين .

١٦–تُهَابُ سُيوفُ الهِنْدِ وَهِى حَدائِدٌ فَكَيْفَ إذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا؟!

الحدائد : جمع حديدة ، وهى نصلُ السيف . يقال : سيف جيد الحديدة ، أى جيد النّصل

يقول : إذا كانت سيوف الهند يُحْذر منْها ويُهاب بأسُها ، وهى حدائد لا تعمل حتى تجد ضاربًا بها ، فسيف الدّولة الذى هو عربى يضرب بنفسه رءوسَ الفرسان ، وكَذلك قومه ، الذين هم من نزار[4] ، أولى بأن يُخاف منهم ، ولهذا

(١) المجد : كثرة الشرف والمآثر . الفسر . (٢) مو : « فاستغاثت به » .

(٣) يريد بهذا تفضيله على سيف الحديد .

(٤) هكذا قال ابن جنى : سيف الدولة من نزار ، وهو سيف كاسمه ، فهو حقيق أن يهاب ، وكذلك أهله من نزار . الفسر .

أما الواحدى وتابعه صاحب التبيان فيقولان : يعنى أن سيف الدولة وهو عربى من ولد نزار بن معد بن عدنان فالخوف منه أولى من الخوف من سيوف الحديد

قال : « إذا كانت نِزَاريةً عُرْبا » .

١٧–وَيُرْهَبُ نَابُ ٱللَّيْثِ وَٱللَّيثُ وَحْدَهُ فكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيوثُ لَهُ صَحْبَا ؟!

يقول : إذا كان الليثُ يتقى نابه ، ويخاف افتراسه وهو وحده . فَلأَن يُتَّقى سيف الدولة وحوله اللُّيوث أولى وأجدر .

١٨–وَيُخْشَى عُبَابُ ٱلْبَحرِ وَهُوَ مكَانَهُ فَكَيفَ بمَنْ يَغْشَى ٱلْبِلادَ إذَا عَبَّا ؟!

عُبَاب البحر : تراكم أمواجه . يقال : عبَّ[1] البحرُ إذا ماج . وقيل : عبابه : صوت أمواجه . ومكانَه : نصب على الظرف .

يقول : يُخَاف[2] موج البحر إذا اضطرب ، وهو مستقر مكانَه ، فكيف لا يُخاف البحر الذى يملأ البلاد بخيله ورَجْله ؟!

١٩–عَلِيم بِأَسْرَار الدِّيَانَاتِ واللُّغَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ والْكُتُبَا

اللُّغى : جمع لغة ، والخَطَرات : جمع خطْرة ، وأراد به الخواطر

يقول : هو عالم بأحوال الناس ودياناتهم ، ومذاهبهم ، واختلاف ألسنتهم ، ولغاتهم ، وله خواطر يستنبط بها ما ليس فى الكتب وما لا يدركه الناس ولا يجرى على قلب أحَد[3] .

٢٠–فَبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصْبَا

العَصْب : ضرب من برود اليمن .

يقول : بارك الله فيك أيها الغيث ، فإن الغيث يكسو الأرض أنواع الأزهار وأصناف النَّبات والأنوار ، وأنت تكسونا الخلعَ النَّفسيه من ضروب الوشْى[4]

---

(١) قوله عب : أى جرى وتدفق . التبيان .

(٢) ق : « نخاف » .

(٣) ق : « ومالايدركه لا يجرى » . مو : « لا يجرى على تعب أحد » .

(٤) الوشى : كل ماكان فيه ألوان مختلفة . اللسان والتبيان .

والديباج[١] ، فكأنّ جلودَنا أنبتت هذه الثياب ، كما أنبتت الأرضُ النباتَ بالغيث . شبّه الجلود بالأرض ، والخلع بالنبات ، وسيف الدولة بالغيث .

٢١–وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلاً وَمِنْ زَاجِرٍ هَلاً وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعًا ، ومِنْ نَاثِرٍ قُصْبَا

وهذا معطوف على قوله : فبورِكْت من غيثٍ ، وَمِنْ وَاهِبٍ ، وهَلاً : زجر للخيل ، ينوّن على النكرة ولا ينون على معنى المعرفة[٢] ، وذلك كناية عن كونه فارسًا مقتدرًا ، على أن يصرف فرسه كيف شاء والقصْب : الأمعاء وروى : « باتِرٍ قصْبا » أى قاطع أمعاء .

يقول : بوركت من واهب كثيرًا ، وزاجر فرسه فى المعركة ، وهاتكٍ درع عدوّه عليه بسيفه ، وناثرٍ أمعاءه : إذا أصاب جوفه ونثر أمعاءه على الأرض[٣] .

٢٢–هَنِيئًا لأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمُ وأَنَّكَ حِزْبَ اللهِ صِرْتَ لَهُم حِزْبَا

[نصب] هنيئًا على المصْدر ، وقيل : على الحال لفعل مضمر ، أى ثبت رأيك هنيئًا و « حزب الله » نصب لأنه منادى مضاف ، والثّغر : مدينة مرعش .

يقول : هنّأ الله أهل الثغر بحسن رأيك فيهم واهتمامك بأمرهم ، وهنأهم الله ، ياحِزْبَ الله ، أنك صرت لهم حزْبًا وجيشًا وناصرًا ، تعاونهم وتذبّ عنهم[٤] .

٢٣–وأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَيْبَهُ فإِنْ شَكَّ فَلْيَحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا

الكناية فى « فيها » و « ساحتها » راجعة للثغر ، وأنثه على معنى المدينة ، أو

---

(١) الديباج : أعجمى معرب ضرب من الثياب سداه ولحمته الحرير . المعرب ١٨٨ واللسان .

(٢) فمن نونه أراد النكرة كأنه قال : سرعة سرعة ، ومن لم ينون أراد المعرفة كأنه قال : السرعة السرعة .

(٣) مو : « وناثر وباتر أمعاءه : إذا أصاب جوفه على الأرض ونثر أمعاءه على الأرض . ق : « وناثر أمعاءه : إذا أصاب جوفه على الأرض ونثر أمعاءه » .

(٤) يقول الواحدى وتابعه صاحب التبيان : يقول هنيئًا لهم حسن رأيك فيهم وأنك ياحزب الله صرت لهم حزبًا أى أنصارًا وأعوانًا .

البلدة ، أو الأرض ، وفاعل « فليحْدث » ضمير الدهر ، « و » خطْبا » مفعوله ، وفاعل « شكّ » ضمير الدهر أيضًا .

يقول : وهنيئًا لهم أنك خوّفت الدّهر فى هذه المدينة ، وخوّفت حوادثَه ، فإن شك الدَّهْرُ فى ذلك ، فليحْدِث بساحة هذه المدينة خطْبا ، ولينزل بها حادثة .

٢٤–فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ وَيَوْمًا بِجُودٍ تَطْرُدُ الْفَقْرَ والْجَدْبَا

يقول : لا تزال تذبّ عنهم ، وتحامى عليهم ، فإن قصَدَهم [٢١٩ – ا] الروم طردتَهم بخَيلك ، وإن نازلهم فقرٌ وجدْبٌ كشفته عنهم بجودك وأفضالك .

٢٥–سَرَايَاكَ تَتْرَى والدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وأَمْوَالُهُ نُهْبَى

يقول : سراياك متصلة إلى الرّوم ، والدّمستق لا يثبت لها بحال ، أى من قتّلك أصحابَه ، وأمواله نُهْبَةٌ للمسلمين .

٢٦–أَتَى مَرْعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبا

مرعش : مدينة كان سيف الدولة جدّد بناءها .

يقول : أتى الدّمستق مدينة مرعش وهو مسرور ، لطمعه فيها(١) ، فكأنّ الأرض تطوى له ، والبعيد يقرب عليه ، فلمّا قصدتَهُ ولّى مدبرًا ، وهو شديد الغم ، وطال عليه الطريق فصار قريبه بعيدًا ومثله :

أَرى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ أَسْلُكُهُ إلى الحَبِيبِ بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرِفُ

ومثله لتوبة(٢) :

---

(١) ق : « مسرور لطعمة فيها » تحريف .

(٢) هو : توبة بن الحمير بن حزم العامرى ، شاعر من عشاق العرب المشهورين ، كان يهوى ليلى الأخيلية ، وخطبها فرده أبوها وزوجها غيره ، فانطلق يقول الشعر تشبّبًا بها . واشتهر أمره ، وسار شعره ، وكثرت أخباره . قتله بنو عوف سنة ٥٨ هـ . الأغانى ١/ ٦٣ .

وكُنْتُ إذا مَازُرْتُ لَيْلَى بأَرْضِهَا
أَرَى ٱلْأَرْضَ تُطْوَى لى ويدْنُو بَعِيدُهَا[١]

٢٧–كَذا يَتْرُكُ ٱلْأَعداءَ مَنْ يكْرَهُ ٱلْقَنَا وَيَقْفِلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا

أراد بالأعداء : سيف الدولة ، وجيشه .

يقول : من يكره أن يقتله أعداؤه ، هكذا ينهزم ويرجع ، ولم يغنم فى قتاله إلاّ الخوف .

٢٨–وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللُّقَانِ وُقُوفُهُ صُدُورَ ٱلْعَوَالى والمطَهَّمة ٱلْقُبَّا

يقول : قد فرّ[٢] بين يديك ، لعلمه أنه لا يقاومك ؛ لأنه لمّا ثبت لك حين لقيته على اللّقان[٣] ، قتلت أصحابه ، وغنمت أمواله ، ولم يردّ عنه وقوفُه الرماحَ ، فلهذا لم يقف لك الآن ، والقُبّ : جمع أقب ، وهو الضّامر من الخيل .

٢٩–مَضَى بَعْدَ مَا ٱلْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً
كَمَا يَتَلَقَّى ٱلْهُدْبُ فى الرَّقْدَةِ ٱلْهُدْبَا

اراد بالرماحين : رماح العسكرين ، فثنّى الجمع ، كأنه قال : رماح هؤلاء ورماح أولئك . والهدْب : شعر الجَفْن ، شبه التفاف[٤] الرماح واشتباكها ، عند الطّعن باشتباك الأجفان عند النوم .

يقول : ثبت لك على اللّقان ساعة ، فلما اشتبكت رماح العسكرين ، وَلّى

(١) هذا أحد بيتين رواهما صاحب مصارع العشاق ١٠٣/١ بسنده عن عمر الوادى سمعها من راعى غنم فى الباديه وروايتها :

وكنت إذا مازرت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودوا جليسها إذا ماانقضت أحدوثة لو تعيدها

وغير منسوب فى محاضرات الأدباء ٢/ ٣٤ وروايته : « إذا ماجئت سعدى » . والمستطرف ١٨٧/٢ وفى ٢/ ٢٠٣ منه : « وكنت إذا ماجئت سعدى أزورها » . وزهر الآداب ١/ ١٦ .

(٢) ق : « فرق » تحريف .

(٣) اللقان : ثغر ببلد الروم وذكر ابن جنى أنه موضع ببلد الروم . الفسر . وقال ياقوت : بلد بالروم وراء خرشنة بيومين .

(٤) ق : « التفات » تحريف .

منهزمًا ، وكأنّ اشتباك الرماح كالتقاء الهدْبين إذا نام الإنسان .

٣٠- وَلَكِنَّهُ وَلَّى وللطَّعْنِ سَوْرَةٌ إِذَ ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا

السَّورة : الحدّة ، والشّدة ، وقوله : « إذا ذكرتها نفسه » إلى آخر البيت : صفة لسورة .

لمّا اشتد الطّعان ولّى ، وقد امتلأ قلبه خوفًا ، وكلّما ذكر سورة الطعن ، لم يصدق أنه سُلم منها فيلمس جنبه ، هل هو صحيح أم مطعون ؟ ومثْله لأبي نواس :

إذا تَفَكَّـرْتُ في هَـوَايَ لَهُ لَمَسْتُ رأْسِي : هَلْ طَارَ عَنْ جَسَدِي[1] ؟

وقيل : معناه يلمس جنبَه وينثني عليه خوفًا من أن تنشق مرارته من الخوف كما قال آخر :

وأذكُرُ أيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أن تَصَدَّعَا[2]

وقيل : إنه يلمس الجانب الذى فيه قلبه ، هل يخفق قلبُه خوفًا أم لا ؟ !

٣١- وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى
وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ والصُّلْبَا

العذارى : جمع عذراء ، وهى البكر ، وشُعث النصارى : الرهابين[3] جمع أشعث ، والقرابين : خاصّة المَلِك . والصُّلُبُ : جمع صليب .

(١) ديوانه ٤٢٥ وروايته : « مسست » والتبيان ١/ ٦٤ وروايته : « لمست رأسى هل طار عن بدنى » وهو كذلك فى البرقوقى ١/٧١ .

(٢) نسب للصمّة بن عبد الله القشيرى ، وهو شاعر إسلامى بدوى مقل من شعراء الدولة الأموية وهو غير الصمّة : أبو دريد . انظر الأغانى ٥/١٢٧ والحماسة رقم ٤٥٤ والطرائف الأدبية والمثل السائر ١/ ٢٢٤ وفى مصارع العشاق ٢/٢٠٣ نسب إلى يزيد بن الطثرية ، وفى التبيان ١/ ٢٩٥ لدريد بن الصمّة وكذا فى شرح البرقوقى ٢/٢٠ . وغير منسوب فى محاضرات الأدباء ٢/ ٨٦ والمستطرف ٢/ ١٨٢ .

(٣) الرهابين : جمع الرهبان وهو مفرد يجمع على رهابين ورهابنة . وقد يجوز أن تكون الرهابين : جمع الراهب وهو المتعبد فى صومعته من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدًا فيها معتزلا أهلها .

المعنى : أنه ترك هذه الأشياء [وترك][1] عسكره [٢١٩ - ب] وبلاده وجميعَ ما فيها ، ونجا بنفسه خوفًا منك .

٣٢-أرَى كُلَّنَا يَبْغِى الْحَيَاةَ بِسَعْيِهِ[2] حَرِيصًا عَلَيْها مُسْتَهامًا بِهَا صَبَّا

المستهام ، والصبّ : بمعنى . روى « بسعيه »[2] و « بجهده » والمستهام : العاشق .

يقول . كل أحد يحبّ نفسه وحياتها ، ويسعى ليدفع عن نفسه الضرر والهلاك .

٣٣-فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أوْرَدَهُ التُّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أوْرَدَهُ الْحَرْبَا

٣٤-وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إلَى أنْ تَرَى إحْسَانَ هَذا لِذَا ذَنْبَا

النَّفْس : منصوبة « بحب » فى الموضعَيْن ؛ لأنه مصدر ، فيعمل عمل الفعل و « أورده » : فعل ، فاعله ضمير الحب .

يقول : كلّ أحدٍ يطلب لنفسه البقاء ، فالجبان يحذر لقاء الأقران ، ويستعمل الخوف إبقاء على نفسه وطلبًا لنجاته ، والشجاع ، يطرح نفسه فى المهالك ويباشر القتال طلبًا لاستبقاء[3] النفس ، بدفع الشرّ والأعداء عن نفسه ، وإبقاءً للذّكْر الجميل بعده ، والقصد منهما واحد : وهو طلب الحياة ، والسعى مختلف .

يقول : إن الجبان والشجاع قد اتفق فعْلاهما فى طلب الحياة ، واختلف رزقاهما ؛ لأن رزق أحدهما المدح ، ورزق الآخر الذم .

وقيل : معناه أن الشجاع أعطى الحياة التى طلبها ، والجبان حرم ذلك ، لأنه فى حال حياته ميّت فكيف بعد المات ؟ !

وقيل : إن الشجاع رزق موتًا هو كحياةٍ ، لبقاء الذكر له ، ورزق الجبان حياة هى كممات لحصول[4] الذم له .

---

(١) ع : مكان « وترك » « اسم » . مو ، ق : بياض .

(٢) فى الواحدى والتبيان « لنفسه » .

(٣) ق : « لاستبقاء » مكانها بياض . (٤) ق : « بحصول » .

وقيل : رزق الشجاع رفاهيةً ورغدا ، والجبان شقاء وتعبًا .

وقوله : « إلى أنْ ترى إحْسَان هَذَا [لِذَا] ذَنْبا » معناه : أن الشجاع إذا تعرض للقتْل حتى يقتل ، كان ذلك عنده إحسانًا إلى نفسه ، وذلك عند الجبان أكبر ذنب لإلقائه بنفسه إلى التهلكة ، والجبان إذا أحسن إلى نفسه بترك الحرب وطالب الصلح ، يراه الشجاع ذنبًا .

وقيل : معناه أن الجبان إذا علم – مثلا – أنه لا ينتقم من[1] اللاّطم لجُبْنِه ، كان هذا إحسانًا إلى اللاّطم ، لأنه عفوٌ فى الظاهر ، وهو ذنب عظيم عند الشجاع . وفى جميع هذه الوجوه يكون البيت متصلا بما قبله .

وقد قيل : إنه منقطع عما قبله ومعناه : أن الرجلين ربما طلبا أمرًا مِنْ وجه واحد فيرزق هذا ، ويحرم الآخر ، فيكون ذلك الفعل إحسانا لأحدهما يرزق به ، وذنبًا للآخر يحرم لأجله . ومثله الآخر :

يَخيبُ الْفتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ ... وَيُعْطِى الْفتَى مِنْ حَيْثُ آخَرُ يُحْرَمُ[2]

٣٥– فَأَضْحَتْ كأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقُ بَدْؤُهُ ... إلى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الكَوَاكِبَ والتُّرْبَا

فأضْحت : أى مدينة مرعش ، وفَوْقُ : مضموم كقَبْلُ وبَعْدُ .

يقول : كأن سورها ابتدئ ببنائه من فوْقُ ، حتى انتهى إلى الأرْض ، فأصْله شقّ الكواكب ، وطرفه شق التُّرب : أى الأرض ، وقيل : أراد بالتّرب : الغبار الذى ارتفع إلى السّور من الحرب حواليه ، أى أنه شق الغبار المرتفعة وجاوزها ، وشق الكواكب أيضًا .

وقيل : أراد أن سورها لاتساعه على وجه الأرض كأنه شق [٢٢٠ – ا] الترب

---

(١) ق : « لا ينتقم من » مكررة .

(٢) نسب لأبى الشيص فى محاضرات الأدباء ١/ ٤٥١ وغير منسوب فى عيون الأخبار ٣/ ١٨٩ والفسر ١/ ١٧٤ والواحدى ٤٧٧ والتبيان ١/ ٦٦ والرواية فيما ذكر :

ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه

لطوله ، وكأنّه قد شق الكواكب وهو كعكس قول السموءل[١] :

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى ، وسَمَا بِهِ   إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُنَالُ طَوِيلُ[٢]

٣٦-تَصُدُّ الرِّيَاحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةً   وَتَفْزَعُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا

الرّياح الهُوج[٣] : الشّديدة الهبوب ، التى لا تثبت على سمت واحد .

يقول إن الرياح لا تجسر أن تمرّ بها ، وتخاف الطّير أنْ تلقط منها الحب ؛ لأنها إذا لقطت الحبّ نقصت من حبوبها ، وذلك إضرار بها ، وأنت قد أحميتها من كل ضَرَر .

والمصراع الثانى ضعيف[٤] ؛ لأن الطير فى كل موضعٍ ، تفزع أن تلقط الحب ، فلا وجه لعطفه على الرياح .

وقيل فى المصراع الأول : إن الرياح تَعْدِلُ عنها ؛ لطول السور الذى رفعتها فى الجو والأوْلى أنه يريد أنها تعْدل للهيبة .

٣٧-وَتَرْدِى الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا   وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرْقِها الْعُطْبَا

وتَرْدى : من الرّديان ، وهو ضَرب من العدْو[٥] ، وأراد بالصِّنَّبْر : ها هنا السحاب البارد ، وقيل : أراد الْبَرْدَ.والعُطْب : القطن .

شبه الثلج على الجبال بقطْن مندوف .

يقول : إن خيلك تطوف فوق جبال مرْعش وحولها وتحرسها ، والثلج على

(١) هو : السموءل بن عادياء الأزدى ، شاعر جاهلى حكيم من سكان خيبر ، أشهر شعره : لاميته التى منها بيتنا ، توفى سنة ٥٦ قبل الهجرة . سمط اللآلى ٥٩٥ .

(٢) ديوانه ١٢ والحماسة ١٥ والمستطرف ١/ ١٦٠ « فرع لا يزال » الواحدى ٤٧٨ التبيان ١/ ٦٦ « فرع لايرام » والفسر ١/ ١٧٤ « سحابة » بدل « سحابه » تحريف .

(٣) الهوج : جمع هيجاء ، يعنى الرياح التى تأتى من هنا تارة ومن هنا تارة أخرى . هكذا قال ابن جنى فى الفسر .

(٤) عبارة ابن جنى : والمصراع الأول من هذا البيت أقوى لفظًا من المصراع الثانى . الفسر .

(٥) فى النسخ « العدد » والتصويب عن ابن جنى . فى الفسر ويقول : الرديان : ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بحوافرها .

جبالها كأنه قطن مندوف ، والضمير فى « جبالها » لمرعش ، وفى « طرقها » للجبال .

٣٨–كَفَى عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرْعَشًا تَبًّا لآرائِهِم تَبًّا !

التبّ الخُسْران ، وأراد به الدعاء على آرائِهم ، كقولك : قبحًا له . وفاعل « كفى »[1] « أن يعجب » ، لأنّ (أن) مع صلتها كاسم مفرد و « عجبًا » نصب على التمييز[2] و « تبًّا » على الذم[3] أو على المصدر .

يقول : ليس من العجب بناؤه مرعش ، ولكن العجب استعظام الناس وتعجبهم من بنائِها .

٣٩–وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الأَنَامِ وَبَيْنَهُ
إذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَاستَصْعَبَ الصَّعْبَا ؟ !

إذا كان يحْذر من الأمر المحذور ، ويصعب عليه الأمور الصعبة ، مثل سائِر الناس ، فأى فرق بينه وبين سائِر الناس[4] .

٤٠–لأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلاَفَةُ لِلْعِدَى وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا

يقول : لولا اختصاصه من بين سائِر الأنام بمعانٍ ، لم تجعله الخلافةُ من بينهم ، عُدَّةَ لها ، ولَمَا سمَّتْهُ سيفًا قاطعًا وأراد بالخلافة : الخليفة أى ذوى الخلافة .

٤١–وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ تَتْرُكِ الشَّامَ الأَعَادِى لَهُ حُبَّا

يقول : لولا شجاعته ، لم تفترق الأسنّة عنه فى حروبه ، ولم تترك [الأعادى] له الشام ، لولا خوفهم منه .

---

(١) « كفى » التى بمعنى أجزأ ، أو وفىّ ، تتعدى إلى مفعول واحد كقولك : كفانى درهم ، أى أجزأنى ، وهذه من هذا الباب . و« كفى » أيضا تتعدى إلى مفعولين نحو قولك : كفيت فلانًا شرَّ فلان : امنعته وفى القرآن الكريم ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ فهما مختلفان معنى وعملا .

(٢) قال صاحب التبيان : عجبًا : مفعول « كفى » .

(٣) مو : « على الدوام » .

(٤) مو : « الأنام » .

٤٢–وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ   كَرِيمُ الثَّنا مَاسُبَّ قَطُّ وَلاَ سَبَّا

الضمير فى « نفاها » للأعادى ، و « غيرَ كريمة » حال من الأعادى ، والعامل فيها « نفاها » والهاء فى « عنه » لسيف الدولة ، وقيل : يرجع إلى الشام و « النَّثَا »[1] بالنّون قيل : مقصور ، هو الذكْر فى الحمد ، والذم .

يقول : لم يترك الأعادى له الشام محبَّةً منهم له ، ولكنه طردهم قهرًا ، مُهَانين غير مكرّمين ، وهو ملك كريم الذّكْر ما سُبَّ قط : أى لم يشتمه أحد ؛ لأنه لم يفعل ما يُشْتَم عليه ، ولا شَتَمَ [٢٢٠ – ب] أيضا هو أحدًا ؛ لأن الشَّتْم سلاح مَنْ لاَ قلب له على المحاربة ؛ ولأن الناس بعضهم مطيع له فلا يشتمه ، وبعضهم خائف أن يشتمه .

٤٣–وَجَيْشٌ يُثَنِّى كُلَّ طَوْدٍ كأنَّهُ   خَرِيقُ رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنًا رَطْبَا

يُثَنِّى : أى يعطف ، ويجعل اثنين . والطّود : الجبل . والخَرِيق : الرّيح الشديدة التى تخرق كلّ شىء تجرى عليه[2] .

يقول : نفى أعداءه عن الشّام كريم الثّنا ، وجيش عظيم يثَنِّى كلَّ جَبَل : أى يعطفه ويهدّه ، ويزعزه ، عن موضعه ، وأراد به أن يجعل الجبل اثنين : أحدهما الجبل ، والثانى نفس الجيش ، ثم شبّه الجيش بريح شديدة قابلتْ غُصْنًا رطْبا : يعنى أنه يكسر الجبل ويعطفه كريح هذه صفتها ، وإن هذا الجيش وإن كانوا كالجبل ، فالجبل الذى تحتهم كالغصن الرّطب عند الريح الشديدة الهبوب .

٤٤–كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ   فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا

مغاره : إغارته[3] والهاء فيها ، وفى عجاجته : للجيش .

---

(١) النثا « بتقديم النون مقصور » يكون فى الخير وفى الشر ، يقال : نثوت الكلام نثوا ، إذا أظهرته . والثناء : « الممدود بتقديم الثاء » يكون فى الخير ، وقال قوم : بالعكس . الفسر ، التبيان .

(٢) ويقال : اللينة السهلة ، وهى من الأضداد . ابن جنى . الفسر .

(٣) فى النسخ « المغارة : الغارة » .

يقول : كأنّ النجوم قد خافت أن يغير عليها هذا الجيش ، فمدّت على نفسها من غبار هذا الجيش حُجُبًا ، حتى لا يراها . يعنى أن غبارَه وصل إلى النّجوم .

٤٥- فَمَنْ كَانَ يُرْضِى اللُّؤْمَ والْكُفْرَ مُلْكَهُ ... فَهَذَا الَّذِى يُرْضِى الْمَكَارِمِ والرَّبَّا

هذا فى قوله : « فهذا » إشارة إلى سيف الدولة .

يقول : هو أبدًا فى الجهاد ، يرضى الربّ بفعله ، ويبذل الأموال ، يرضى بها مكارمه ، وغيره من الملوك : إما مشرك برضى الكفر ، وإما بخيل برضى البخل ، واللّؤم .

(١٩٣)

وأهْدَى سيفُ الدولة إلى أبى الطيب هديّة فيها ثيابُ ديباج روميّة ، ورمح وفرس معها مهرها[١] وكان المهر أحسن من الفرس فقال يمدحه[٢] :

١ - ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا ... إذَا نُشِرَتْ كَانَ الْهِبَاتُ صِوَانَهَا

الصِّوان : مايلف به الثوب ويصان به . وثيابُ : رفع لأنه خبر ابتداء محذوف : أى هذه ثياب كريم ، أو هى مبتدأ وخبره محذوف : أى عندى ثياب كريم ، ليس يصون حِسَانَ الثّياب ، ولكن إذا نشرها[٣] فرّقها على جلسائِه ، وجعل صِوانها أن يهبها لأصحابه .

٢ - تُرِينَا صَنَاعَ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا ... وَتَجْلُو عَلَيْنا نَفْسَها وقِيَانَهَا

(١) ق : « معها مهر » .

(٢) الواحدى ٤٧٩ : « وأهدى إليه سيف الدولة هدية فيها ثياب رومية ورمح وفرس معها مهرها وكان المهر أحسن » . التبيان ٤/ ١٦٩ : « وقال يمدحه ، وقد أهدى له ثياب ديباج ورمحًا وفرسًا ومهرًا » . الديوان ٣٦٢ : « وأهدى إلى أبى الطيب هدية فيها ... فقال » . وهذه القصيدة مؤخرة فى الديوان عما بعدها العرف الطيب ٣٤٠ .

(٣) ق : « نثرها » .

امرأة صَنَاع : حاذقة دقيقة اليد فى صنعتها[١] وجمعها صُنُعٌ ، ورجل صَنْع وجمعها صُنَّاع . وروى : « صِنَاع الروم » وهى جمع صَنْعة ، والكناية فى « فيها » للثياب ، وفى « نَفْسها » للصَّنَاع ، وفى « ملوكها » و « قيَانها » للروم ، ويجوز أن تكون راجعة إلى صنَاع الرّوم . والقيان : جمع قيْنة ، وهى الجارية المغنِّية .

يقول : إن المرأة الصّانعة من الروم ترينا فى هذه الثياب الملوكَ ، وتظهر علينا نفْسَها أى نفس هذه الصانعة من الروم[٢] ، وصور القيان . يعنى : أن هذه الثياب صورة ملوك[٣] الرّوم ، وصورة النّاقشة ، وصورة القيان .

٣ – وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرَهَا الْخَيْلَ وَحْدَهَا فَصَوَّرَتِ الأَشْيَاءَ إِلاَّ زَمَانَهَا

الهاء فى « يكفها » راجعة إلى صَنَاع الروم ، وكذلك فى « تصويرها » وفى « وحْدها » إلى الخيل ، وفى « زَمَانَها » إلى الأشياء .

يقول : لم يكفها أنها صوَّرت على [٢٢١ – ا] الثّياب صُورَ الخيل ، حتى صوّرت معها كلَّ شىء من طائر وسبْع وغيرهما من الزّمانِ ، إلا الزمانَ فإنها لا تقدر على تصويره[٤] .

٤ – وَمَا ادَّخَرَتْها قُدْرَةً فى مُصَوَّرٍ سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوانَهَا

تاء التأنيث الساكنة فى « ادّخرتْها » راجعة إلى صَنَاع ، والهاء ، إلى الثياب ، وأصلها[٥] : ادّخَرتْ عنها ، فحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل إلى الضمير : أى ما خبّأت هذه المرأة عن هذا الثياب قدرةً تقدر عليها فى مُصّورٍ[٦] إلا صورت على

(١) وفى المثل : « تحسبها خرقاء وهى صناع » .
(٢) مو : « من الروم » مهملة .
(٣) ق : « صورملك » مو : « صورة ملك » .
(٤) لأنه لاجثة له فيحكى .
(٥) مو : « وأصله » .
(٦) مو : « مصوار » .

هذه الثياب ، غير أنها لا تَقْدِرُ[١] على إنطاق الحيوان المصوَّرِ[٢] عليها ، إذا لو قدرت على ذلك لفعلت . والهاء فى « حَيَوانِها » راجعة إلى الثّياب .

٥ – وَسَمْراءُ يَسْتَغْوِى الْفَوَارِسَ قَدُّهَا وَيُذْكِرُها كَرَّاتِها وَطِعَانَهَا

وسمراء : عطف على قوله : ثيابُ كريمٍ[٣] . والضمير فى « قدُّها » للسمراء وفى « يذكرها وكرّاتِها وطعانَها » للفوارس[٤] ويستغْوِى : أى يستميل ، ويحمله على الغَى ، وسمراء : صفة لمحذوف : أى وهذه فَتَاةٌ سمراء ، يحمل قدُّها[٥] واستواؤها الفوارسَ على ملاقات الأقران ، ويسوقهم إلى الطعان . وذكر الفوارس موافق للقتال .

٦ – رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وَكَادَ نَبَاتُهَا يُرَكِّبُ فِيهَا زُجَّهَا وسِنَانَهَا

الزُّج : الحديدة الّتى فى أوّل الرمح ، يعنى أنها مستقيمة نبتت كذلك ، لم تحتج إلى تثقيف مثقِّف ، فلم يبق إلا أن يركّب فيها الزُّج[٦] ، والسِّنان[٧] .

٧ – وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَها

وهذا أيضًا عطف على ما تقدّم ، وأراد بالعتيق : المهر ، وقوله : « خالُهُ دون عمه » أى أبوه أكرم من أمّه ؛ لأنه إذا كان خاله دون عمّه ، كانت أمه[٨] دون أبيه .

يقول : هذه أمُّ مهرٍ كريمٍ ، أمُّهُ دون أبيه فى الكرم ، وكانت هى حسنة الخَلْق

---

(١) فى النسخ : « لاتنطق » .

(٢) ق : « المصورة » .

(٣) وذلك لأنها كانت فى جملة الهبات . الوحدى .

(٤) المراد : ويذكر الفوارس كراتها وطعانها . (٥) مو : « قدرها » .

(٦) الزجّ : الحديدة فى أسف الرمح . والسنان : نصل الرمح الذى فى أعلاه .

(٧) يذكر الواحدى وتابعه صاحب التبيان فى هذ المعنى : « أنها لحسن ماأنبتها الله . كأن نباتها يجعلها ذات رمح وسنان » ! ؟ (٨) مو : من : « خاله ... أمه » ساقط .

فرأى خَلْقَها من أعجبتْه فعانَها ، أى أصابها بالعين ، فصار ولدها أحسن منها وأكرم .

٨ - إذَا سَايَرتْهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فى عَيْنِ الْبَصِيرِ ، وَزَانَهَا

يقول : إذا سارتِ الأمّ معه بانَتْ منه ، وبان منها . أى لم يشْبهها فى الحسْن والجمال ، كما يشبه المهر أمّه ، وشانَتْه[1] فى عين البصير[2] : أى أن البصير بالخيل لم ير فيه عيبًا إلا كوْنه من هذه الأم[3] التى هى دونه ، فهو له عيب وشين ، وهذا المهر زان الأم ، لأنها ولدت مهرًا كريمًا ، فهو يزينها ، وهى تشينه .

٩ - فَأَيْنَ الَّتِى لاَتَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى ، وَلاتُعْطِى سِوَاىَ أَمَانَهَا ؟

يقول : هلاَّ وهبْتَ لى فرسًا أكرم منها ؟ وهى التى لا تأمن الخيلُ شرَّها يعنى أنها سابقة إذا سابقت سائرَ الخيل ، لمْ تأمن شرَّها ولا تأمن الفرسان شرِّى ، « ولا تُعطى سواى أمانها » : أى لا يقدر على ركوبها إلا مثلى من الفرسان الحذّاق بالركوب[4] .

١٠ - وَأَيْنَ الَّتِى لاَ تُرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِبًا إذَا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَىَّ عِنَانَها

يقول : هلاَّ وهبت لِىَ الفرسَ التى إذا رخيتُ عِنَانَها [بيدى اليسرى][5] وجلت عليْها لا أرجع خائبًا ، ولا تُردّ رمحى من دون قتل العدوّ .

١١ - وَمَالِى ثَنَاءٌ لاَ أَرَاكَ مَكَانَهُ فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لا تَرَانِى مَكَانَها ؟

[٢٢١ – ب] يقول : ليس عندى ثناء لا أراك مستحقًّا له ، فهل عندك نعمة لا ترانى أهلاً لها ؟ يعنى : كما لا أدّخر عنك ثناء ، فلا تدخر عنى نعمة .

(١) شانته : عابته .

(٢) يذكر صاحب التبيان أن هذا هو رأى ابن جنى ثم يعلق قائلا : « ويحتمل البصير : مَنْ أبصرها ، ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه » .

(٣) ق : « الأيام » بدل : « الأم » .

(٤) يريد : أين التى تصلح للحرب . (٥) زيادة يقتضيها شرح البيت . عن التبيان .

(١٩٤)

وكان سيف الدولة إذا تأخّر عنه مدحُه شقَّ عليه ، وأكثر أذاه[١] وأحضر منْ لا خيرَ فيه ، وتقدّم إليه بالتعرض[٢] له فى مجلسه بما لا يُحبّ ، فكان أبو الطيب لا يجب أحدًا عن شيء ، فيزيد ذلك فى إنكاء[٣] سيف الدولة ، ويتمادى أبو الطيب فى ترك قول الشعر ، ويلح سيف الدولة فيما يستعمله من هذا القبيح[٤] وأكثر عليه مرة بعد أخرى فقال أبو الطيب هذه القصيدة[٥] وأنشده إيّاها فى محفل من العرب والعجم[٦] .

١ – وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ   وَمَنْ بِجِسْمِى وَحَالِى عِنْدَهُ سَقَمُ

وَأحَرَّ قَلْباه : نُدْبة[٧] وهذه الهاء لا تدخل عند أهل البصرة إلا فى الوقف ، فإذا وصلت حذفت .

---

(١) فى مقدمة الديوان : « من أذاه » .

(٢) فى مقدمة الديوان : « بالتعريض » .

(٣) فى مقدمة الديوان : « فى غيظ » .

(٤) فى مقدمة الديوان بعد ذلك : « وزاد الأمر على أبى الطيب » .

(٥) فى مقدمة الديوان : « هذه القصيدة » ساقطة .

(٦) الواحدى ٤٨١ : « وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه » . التبيان ٣/٣٦٢ : « وقال يعاتب سيف الدولة » وأنشدها فى محفل من العرب وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه ، وأحضر من لاخير فيه وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما لا يحب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة ، فقال يعاتبه » . الديوان ٣٢١ : كما هو مذكور ، وقد ذكرنا الفروق المبينة فى الهامش وفى إحدى نسخ الديوان الهامشيه أن ذلك كان فى رجب سنة إحدى وأربعين . العرف الطيب ٣٤١ .

(٧) الندبة : نداء موجه للمتفجع عليه أو للمتوجع منه . ويريدون بالمتفجع عليه : من أصابته المنية ، ويريدون بالمتوجع منه الموضع الذى يستقر فيه الألم وينزل به كقوله : « وا حرّ قلباه » والغرض من الندبة : الإعلام بعظمة المندوب وإظهار أهميته ، أو شدته كالمثال الذى معنا .

وأجاز الفرّاء[١] دخولها فى حال الوصل ، وأنشد فيه أبياتًا [٢] ، وإذا كان كذلك ، فما ذكره لا مطعن عليه ، إذْ جاءت عن العرب ، والرّواة الثقات .

وحكى أبو الفتح بن جنى : أن المتنبى كان ينشده بكسر الهاء[٣] وضمّها ، قال : والوجه إذا جاز إثبات الهاء ، كسرها لالتقاء الساكنين[٤] قال : ولا أرى للضم وجهًا . قال : ولو فتحت الهاء لالتقاء الساكنين ومجاورة الألف كان قياسًا .

وطعن فيه من وجوه أخَر : وهو حذف الياء من قلباه ، وكان الوجه : قَلْبياه ، لأن هذه الياء إنما تحذف قياسًا على التنوين ، فحيث يُحذف التنوين فى المنادى ، جاز سقوط الياء وثباتها كقولك . يازيدُ ، فتحذف منه التنوين ، ثم تقول : وازيداه ، لتحذف الياء ، وحيث ثبت[٥] التنوين لم يجز حذف الياء ، كقولك : واغلامَ زيدٍ فتنوّن[٦] زيدٍ ، فإذا قلت : واغلامياه ، أثبتت الياء .

والحاصل : أن الياء إنما تحذف من المنادى ، لا من المضاف إليه المنادى ، وقد أجاز بعض النحويين إسقاط الياء فى هذا الموضع وإن كان ضعيفًا ، فيجوز فى الشِّعر لأنه موضع الضرورة . والشَّبِم : البارد .

يقول : أشكو حرارة قلبى ، وشدّة وجدى مِمَّن قلبه خالى مما أنا مبتلى به ،

---

(١) أبرع الكوفيين وأعلمهم توفى سنة ٢٠٧ . قال ثعلب : كتب الفراء لا يوازى بها كتب ! ترجمته فى ١/ ٤ من إنباه الرواة والمراجع المبينة به .

(٢) يامَرْحَبَاه بحمار أعفرا .

يارَبُّ ربّاه إياك أسل عفراء ياربّاه من قبل الأجل

وقد رابنى قولها : ياهناه ويحك ألحقت شرًّا بشرّ

والبصريون لا يلتفتون إلى شىء من هذا انظر فى ذلك الواحدى والتبيان .

(٣) وهو غير جائز عند الكوفيين إلا فى الضرورة . التبيان .

(٤) الساكنين : الألف والهاء .

(٥) مو : « يثبت » .

(٦) مو : « فتنوين » .

وممّن حالى عنده[1] ضعيفة سقيمة مثل جسمى . يعنى أنى[2] سقيم بحبه ، وليس لى عنده حال ولا منزلة .

٢ – مَالِى أُكَتِّمُ حبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِى وَتَدَّعِى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ

وروى : « أكاتم » :

يقول : كل أحد من الأمم ، يدّعى حبّه ! فلم لا أقتدى بهم ، وأظهر حبّه مثل ما يظهرون ؟ ومعناه : أنهم يظهرون حبّه ، وأنا أحتاج إلى أن أكتمه ، كأنّه يشير إلى أنه يتأذّى بإظهار حبّه فيكتمه ! فيؤدّى كتمانه إلى سقمه ونحول جسمه . وقيل : كتمانه[3] الحب من حيث أنه يتجنب التملّق بحبه . لما فيه من التكلّف . وأن غيره يتملقون إليه بحبه ويتكلّفون ذلك .

٣ – إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ

يقول : إن كان يجْمعنى والأمم حبّ سيف الدولة . فليت حظّنا منه على قدْر حبّنا . فأكون [٢٢٢ – ا] أخصّهم منه قربًا ، كما أنى أكثرهم له حبًّا . أو أكون مثْلهم فى قوة أجسامهم ، وحسن أحوالهم . وهم مثلى فى مرضى[4] ورثاثة حالى .

٤ – قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ

يقول : نظرت إليه فى حالتى السّلم والحرب . وصحبته فى حالتى الخوْف والحبّ ، كأنّه يُدِلّ عليه بطول الخدمة . ثم يصف قيامه بجميع الأمور .

٥ – فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمُ وَكَانَ أَحْسَنَ مَافِى الأَحْسَنِ الشِّيَمُ

الشِّيَمَ : جمع الشِّيمة ، وهى الخليقة ، و « أحْسَنَ » الأول : نصب لأنه خبر

(١) فى النسخ : « حاله عندى » والتصويب عن المعنى فى سائر الشروح .
(٢) ق : « أنه » .
(٣) مو : من : « كتمانه ... كتمانه » ساقط انتقال نظر .
(٤) ق : « فرصى » تحريف .

«كان» واسمه ضمير سيف الدولة ، و «أحْسَنَ» الثانى ، خبر كان الثانى ، والشِّيَمُ : اسمه ، وأراد بالأحسن الممدوح .

يقول : نظرت إليه فكانَ أحسن خَلْق الله ، وأحسن ما فى هذا الأحسن الذى نظرت إليه : أخلاقه ، فكأنّه يقول : هو أحسن الناس ، وخُلُقه أحْسَنُ من حُسْنِ وجهه .

٦ – فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِى يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ فى طَيِّهِ أَسَفٌ فى طَيِّهِ نِعَمُ

الهاء فى «طَيّه» الأوّل للظفر ، والثانى للأسف .

يقول : هرب عدوّك الذى قصدته ، منك ظَفَرٌ ، ذلك ، غير أن فى طىّ هذا الظّفر أسفًا ، لأنك كنت تشتهى[1] أن تقتله ، أو تأسره ، وفى طىّ هذا الأسف نِعَم[2] لأنه هرب منك خوفًا[3] .

٧ – قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ لَكَ الْمَهَابَةُ مَالاَ تَصْنَعُ الْبُهَمُ

البُهَم : جمع بُهْمَة ، وهو الشّجاع .

يقول قد حصل لك فى قلوبهم من الخوف والهيبة ، ما يزيد على فعل الشّجعان فيهم .

٨ – أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزَمُها أَلاَّ تُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلاَ عَلَمُ

تُوارِيَهُم : أى تسترهم . والعَلَم : الجبل .

يقول : كلفت نفسك فى طلب أعدائك ، تهزمهم وتكسر جموعهم ، بل تريد ألا تسترهم أرضٌ ولا جبلٌ ، بأن تخرجهم من مكانٍ من الأرض ، وتحطّهم من رءوس الجبال .

---

(١) ق : «لأنك تشتهى» .

(٢) يرى الواحدى والتبيان أن هذه النعم مثل : مؤنة الحرب ، وشدة معاناة اللقاء وحفظ العسكر من الجراح إلى غير ذلك .

(٣) بمثل هذا المعنى قال المعرى فى «تفسير أبيات المعانى» ثم قال : وشرح ذلك فى البيت الذى يليه .

وقيل : معناه لا ترضى أن تسترهم أرض ولا جبل ، وإنما ترضى أن يواريهم بطون الطير ، والوحوش .

٩ - أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فَانْثَنَى هَرَبًا تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهِمَمُ ؟

أكلّما : استفهام ، ومعناه التقرير ، وانثنى : أى انصرف . تصرفت بك : أى صرفتك .

يقول : كلما قصدت جيشًا وهرب من بين يديك[1] حملتْك هِمَّتك العليّة على طلبه ، واتّباع أثره .

وقيل : معناه حملتك همَّتُك[2] على الجزَع فى فوتهم منك .

١٠- عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فى كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إذَا انْهَزَمُوا

الجمْع : راجع إلى معنى الجيش .

يقول : إنما عليك أن تهزمهم ، فإذا[3] انهزموا فليس عليك عار فى انهزامهم ، بل ذلك يدلّ على قوّتك[4] .

١١-أمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ ؟

اللِّمم : جمع اللِّمَّة ، وهى الشَّعر . المُلِمُّ بالمنكب[5] ، وأراد بالتّصافح : التلاقى .

يقول : لا تعدّ الظَّفَر ظَفَرًا إلا بعد القتْل والقتال ، وضرْب السيوف على رءوس الأبْطال . وعبّر عن ذلك بتصافح السيوف واللِّمَم ؛ لأن القتل يحصل عند ذلك .

(١) ق : « كلما قصدتك جيشا وهرب بين يديك » .

(٢) مو من « همتك ... همتك » ساقط .

(٣) مو : « فإذا انهزموا عنك » .

(٤) يقول الواحد وصاحب التبيان : ولاعار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالهرب ولم تظفر بهم ».

(٥) فى النسخ « الشعرة الملمة بالمنكب » وماذكر عن التبيان . وفى اللسان : اللِّمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن . ويجمع على لمم ولمام .

١٢–يا أعْدَلَ النَّاسِ إلاّ فى مُعَامَلَتِى فِيكَ الْخِصَامُ وأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ !

[٢٢٢ – ب] يقول : أنت أعدلَ الناس[١] إلا بيْنى وبيْنك ، فأنت لا تُنْصفنى ولا تُعيننى قدر ما أستحقّه عندك من المنزلة[٢] . فيك الخصام : أى الخصومة بينى وبين أعدائى وقعت فيك ، وأنت الخَصْم : لأنّك مِلْتَ إليهم ، ولأنى أخاصِمُك على منْزِلتى عندك ، وأنت الحاكمُ : فاحكم على نفسك ، فوفِّنى ما أستحقه من المنزلة ! وقيل : معناه مع ذلك كيف أطمع فى الانتصاف منك !

١٣–أُعِيذُهَا نَظَراتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

« نَظَراتٍ » نصب على التمييز . قال أبو الفتح : قلت له : الهاء فى « أعيذها » لأىّ شىء تعود ؟ فقال : إلى النّظرات . أجاز الأخفش[٣] مثْلَه فى قوله تعالى : (فَإِنَّهَا[٤] لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ[٥]) وقال أبو الفتح : وإنما جاز إضمارُها قبل الذّكر ، لأنها كانت مشاهدة فى الحال ، فاكتفى بمشاهدتها من تقدُّم ذكرها .

يقول : أعيذ نظراتك الصادقة ، أن تغلط ، فترى الشىء على خلاف الحقيقة ، فتحسب الشّحم ورمًا[٦] فجعل الشّحم مثلا لنفسه ، والورم لسائر الشعراء .

١٤–وَمَا انْتِفَاعُ أَخِى الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ

بناظِره : أى ببصره .

---

(١) ق : « الناس » ساقطة . (٢) مو : « من المنزلة عندك » .

(٣) هو : أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى « الأخفش الأوسط » صرح بذلك صاحب التبيان أخذ النحو عن سيبويه – وكان أكبر منه سنًا – وصحب الخليل أولا ، وكان معلما لولد الكسائى . ذكر ابن النديم أنه مات سنة ٢١١ بعد الفراء وقيل سنة ٢١٥ . ترجمته فى إنباه الرواه ٢/ ٣٦ والمراجع المثبتة به .

(٤) قال الأخفش : الهاء راجعة إلى الأبصار . (٥) سورة الحج ٤٦/٢٢ .

(٦) يريد : لا تظن المتشاعر شاعرًا ، كما يحسب السقم صحة ، والورم سمنًا .

يقول : إن الإنسان إذا لم يفرّق بين النّور والظلمة ، فاستويا فى عينه ، فلا ينتفع بناظره ، بل هو بمنزلة الأعمى .

يعنى أن حاله تخالف غيره من الشعراء والفضلاء ، وأنت إذا لمْ تميّز بيننا كنتَ كالأعمى .

١٥–أَنَا الَّذِى نَظَرَ الأعْمَى إلىَ أَدَبِى وأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِى مَنْ بِهِ صَمَمُ

« مَنْ » فى موضع نصب ، لأنه مفعول « أسْمَعَتْ » وفاعله « كَلِمَاتِى » وأراد بها القصائد[1] .

يقول : إذا نظر الأعمى إلى أدبى يعرفه ويراه ، فكيف البصير ؟ ! والأصم يسمع شعرى ، فكيف السميع ؟ !

معناه أنّ أدبى وشعرى قد اشتهرا ، حتى استوى فى معرفتها العالِمُ والجاهل ، فضرب الأعمى والأصم مثلا للجاهل الذى لا يتفكّر فيعرف .

١٦–أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِى عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

جرَّاها : من أجلها ، والهاء فى « شَوارِدِهَا » للكلمات ، وهى جمع شَارِدَة : أى سائِرَةَ تُرْوَى بكل مكان .

وقيل : معناه أنها تشْرُدُ ، وتصعب على صاحبها .

يقول : أنا أقول القصائِد الشوارِد عفوًا ، من غير إتعاب فكر ، وأنام عنْها مِلءِ جفونى ، والخلْق كلّهم يسهرون من أجلها ، ويتنازعون فى دقيق معانيها ، وجوْدَةَ مبانيها .

وقيل : معنى قوله : « أنَامُ » أى أَمُوتُ . والأوّل أظهر .

١٧–وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فى جَهْلِهِ ضَحِكِى حَتَّى أَتَتْهُ يدُ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ

---

(١) قال ابو الفتح : يحتمل أن يراد بالكلمات جمع كلمة التى هى اللفظة الواحدة ، وهذا أشد فى المبالغة من غيره ويجوز أن يعنى بالكلمات : القصائد وهم يسمون القصيدة كلمة . التبيان .

فرّاسة : من الفَرْس ، وهو دقّ العنق .

يقول : ربَّ جاهلٍ غرّه ضحكي فى وجْهه ، فتمادى فى جهْله ، حتى سطوت عليه وقصَدتْه منى يد فرّاسة ، وفمٌ : أى أهلكتُهُ بيَدِى ضربًا وقتلا ، وأهلكْتُهُ بفمى من طريق الهجْو ، والذم .

١٨–إذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ

يقول : لمّا رآنى أكشّر الأسنان ، حسب أنى مسرور بفعله ، ولم يعلم – من جهله – أنّى كالليث ، إنما يكشر عن أنيابه[١] وأسنانه ، إذا اشتد غضبه .

والأصل فيه قول عنترة :

لَمّا رآنِى قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبْدِى نَواجذَهَ لِغَيْرِ[٢] تَبسُّمِ[٣]

١٩–وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِى مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ

الهاء فى « صاحبها » و « أدْركتُها » للمهجة الأولى .

يقول : رُبَّ نفسٍ كانت همّها إتلاف نفسى ، فأدركتها بفرسٍ جوادٍ ، « ظهرُهُ حَرَمٌ » : يعنى مَنْ ركبه أَمِنَ ، لأنه إذا طُلِبَ فات ، فلا يخاف[٤] أحدًا ، كما لا يخافُ[٥] سكّانُ الحرم .

٢٠–رِجْلاهُ فى الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالْقَدَمُ

الرَّكْض : فى الأصْلِ ضربُ الدّابة بالرِّجلِ لِتعْدُو[٦] ، ثمّ ذكر ذلك حتى قيل لنفس العَدْو ركْض فيقال : رَكَضَ الفرسُ : أى عَدَا .

يقول : إن رجليه تقعان معًا على الأرض وكأنهما رِجْلٌ واحدة ، وكذلك يداه

(١) ق : « نابه » . (٢) فى النسخ : « بغير » والتصويب عن الديوان والمعلقات .

(٣) شرح المعلقات للزوزنى ١٧٩ وفى التبيان ٣/ ٣٦٨ غير منسوب .

(٤) ق : « ولا يخاف » .

(٥) مو : « أحدًا كما لايخاف » ساقط انتقال نظر .

(٦) وفى التنزيل العزيز : (اركضْ برجلكَ هَذَا مغْتَسَل بَارِد وَشَرَابٌ) .

وأنه لجودة جرْيه يغنِى راكبه[١] عن تحْريك يده بالسوط ، وتحريك رجْليْه للركض ، بلْ هو يعْطيه من العدو ما يطلبه منه ، بيده وقدمه ، ذكره ابن جنى .

وقال غيره : معناه أن فرسه مؤدَّب مطيع لفارسه ، متصرف على اختياره ، فكأنّ رجليْه رِجْل رَاكبه ، فيضع قوائمه حيث شاء صاحبُه ، ويتصرّف راكبه فيهما ، كما يتصرف فى جوارح نفسه[٢] .

ولا يقال : إن هذا المعنى الذى ذكرتموه هو معنى المصراع الثانى ، فيكون المصراعان واحدًا ، فليس فيه إلاّ التكرير بلا فائدة .

لأنّا نقول : إن الأوّل يفيد أنّ رجليْه رِجْلا راكبه ، ويديه يداه فى حال ركضه فقط ، والمصراع الثانى يدل على أن فِعْل هذا الفرس ، ما يريده صاحبه فى جميع الأحوال ، من ركض أوْ غيره ، وأنه مطيع لصاحبه فى جميع جوارحه ، فكأنّه قال : أفعال الفرس من أحواله كلها وجوارحه جميعا موافقة لاختيار صاحبه ، وتصريف كف راكبه وقدمه ، وهذه فائدة جديدة .

٢١– وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْمَوْجَتَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ

وروى : « الجَحْفَلَيْن » أى العسكرين . والموجتين : هما صفتا العسكرين[٣] وأراد بالموج الأمواج ، فهو واحد فى معنى الجمع ، ولهذا قال : يلتطم ، والالتطام لا يكون من واحد ، ويجوز أن يكون الموج : جمع موجة .

يقول : رب سيف محدّدٍ شققت به الصّفين ، وضربت به الأعداء فى حال اشتداد الحرب ، والتطام موج الموت . وأراد به مقدّمات الموت ، من الضرب والطعن .

---

(١) يقال لذلك الجرى : النِّقال والمناقلة . الواحدى .

(٢) قال المعرى : أى هو جواد مدرَّب ، فإذا قصر عنانه قصّر فى الجرى ، وإذا أرخى له فى العنان بذل مايريده الراكب من الجرى ، وكذلك إذا حرك قدمه يمْترى خصره فإنه يسمح بما يرضيه . تفسير أبيات المعانى .

(٣) ق : « هما صفتان العسكرين » . مو : « هما صفة العسكرين » .

وقيل : أراد بالموجتين : جملة[١] كل واحد من الصّفين على الآخر كالتطام الأمواج[٢] .

٢٢–فَالْخَيْلُ واللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِى
وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ[٣] وَالقِرْطَاسُ والْقَلَمُ

يقول : أنا الجامع بين آداب السيف والقلم : فالخيل تعرفنى بالفروسية لإدمانى ركوبَها ، واللّيل يعرفنى لدوام سيْرى فى ظلامه ، والبيداء تعرفنى لإدمان قطعى إياها ، ودوام سكناى [٢٢٣ – ب] فيها ، والحرب يعْرفنى لكثْرة مباشرتى له ، والقرطاس والقلم يعرفانى لأنى كاتب أديب .

وقيل : أراد به أهل الخيل ، وأهل البيداء إلخ يعرفونى .

قال ابن جنى : قد سبق بجميع هذه الأمور فى بيت واحد ، ولم يجتمع مثله فى بيت مما أعلمه ، الأقرب إليه قول البحترى[٤] :

اطْلُبا ثالِثًا[٥] سِوَاى فإنِّى رابعُ الْعِيسِ والدُّجَى والْبِيدِ[٦]

وحكى أن سيف الدولة قال لمّا أنشد هذا البيت : والله لو قال هذا البيت فىَّ لشاطرته فى ملْكى .

٢٣–صَحِبْتُ فى الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّى الْقُورُ والأَكَمُ

القُورُ : جمع قارة[٧] ، وهى صُرَّةٌ من الأرض ، فيها حجارة سود ، وقيل :

---

(١) ق : « حملة » .

(٢) قال المعرى : استعار للموت موجًا ، وإنما هو للبحر وماجرى مجراه من المياه الكثيرة كالفرات وغيره من الأنهار . تفسير أبيات المعانى . (٣) فى التبيان : « والضرب والطعن وفى العرف الطيب : « والسيف والرمح » .

(٤) هو : الوليد بن عبيد بن يحيى البحترى من أشهر شعراء العربية ، ويكنّى أبا عبادة ، شاعر فصيح فاضل حسن المشرب والمذهب ، له تصرف فى فنون الشعر سوى الهجاء ، فإن بضاعته فيه نزرة . معاهد التنصيص ١/٢٣٤ .

(٥) فى النسخ : « اطلبو ثانيًا » . وقد أثبتنا مافى الديوان والتبيان وأخبار أبى تمام ٨٣ .

(٦) الديوان ١/ ٦٣٣ والتبيان ٣/٣٦٩ وأخبار أبى تمام ٨٣ .

(٧) ق : « قار » . وقارة : أكمة صغيرة فى الحارّة من الأرض . الواحدى .

جبل صغير أسود كأنه مطلىّ بالقار ، والأكمة : الجبل الصغير ، وجمعها الأُكْم ، والآكام ، وقيل : هى ما ارتفع من الأرض .

يقول : إنى لا أزال أقطع المفاوز وحدى ، من غير أنّ يدلّنى أحد . وأراد بذلك وصف شجاعته ، وقيل : أراد بذلك أنه بَدَوِىّ ، تربيته مع الوحش ، بين الأُكَم والقُور .

٢٤- يَامَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ   وِجْدَانُنَا كُلَّ شَىءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ

يعزّ : أى يشتد ، يعرّض برحيله عن سيف الدولة ، يقول : يا من يشتد علينا مفارقتهم ، كل شىء نجده بعد فراقكم فهو عندنا عدم ، أى وجوده كعدمه ومثله :

وَمَنِ اعْتَاضَ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا   وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا [1]

٢٥- مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرُمَةٍ   لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ

يقول : ما أخلقه بهذا الأمر ! وما أجدره ! وما أولاه ! والأَمم : القصْد والقُرْب

يقول : ما أَوْلانا منكم بأن تكرمونا ! لو أن أمركم قريب من أمرنا ، وجواب « لو » محذوف أى لو كنتم تحبوننا ، كما نحبكم ، لكنتم تكرموننا .

٢٦- إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا   فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ

يقول : إن كان سرّكم قول الحساد وسعايتهم بى ، فإنّى أصبر على ذلك ، وكل جُرْحٍ يصيبنى فلا أتألّم به ، إذا كان فيه رضاكم .

٢٧- وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ   إِنَّ الْمَعَارِفَ فِى أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

قوله : « معرفة » مبتدأ و « بيننا » خبرها مقدّم عليها ، وذكرها ذهابا بها[2] إلى

---

(١) البيت للمتنبى انظر ديوانه ٥٨٦ والوساطة ٢٣٦ والتبيان ٢ / ٣٩٦ وفى النسخ « ومن اعتاض منك » .

(٢) مو : « به » .

العرفان أو الحق ، وتقديره : بَيْنَنَا معرفةٌ لو رعيتم ذاك : أى لو رعيتم حق المعرفة ، وجواب « لو » محذوف أى لو رعيتم لرفعتم منزلتى ، وكافأتمونى[1] عليه .

يقول : قد تقدّمت بيننا معرفة ، وحُرْمة يجب[2] عليك رعاية حقها ؛ لأن المعارف ذِممٌ بين أهل العقول : يعنى يمتنع كلّ أحدٍ من المتعارفين أن يسىء إلى صاحبه إذا كان عاقلا ، فكأن هذه المعرفة ذِمّة وعهد بينهما .

٢٨-كَمْ تَطْلُبُونَ لَنا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ؟ وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

يقول : لا تزالون تطلبون عيبًا فىَّ ، فيعْجِزُكُم عيْبى : أى لا تقدرون عليه ، وهذا الفعل لا يرضى الله به ، ولا يليق بالكرَمِ .

٢٩-مَاأَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفِى أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ

ذان : إشارة إلى العيب ، والنقصان .

يقول : كما أن الثريا لا تشيب ، ولا تهرم ، كذلك شرفى لا يلحقه [٢٢٤ - ا] عيب ولا نقصان .

٣٠-لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِى عِنْدِى صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

الضَّميرَ فى « صواعقه » : للغمام ، و « يزيلُهنَّ » فعله ، والكناية التى هى « هُنّ » تعود إلى الصواعق[3] كنى « بالغمام » عن سيف الدولة و « صواعقه » عن إيذائه إيَّاه و « بالدِّيم »[4] عن عطائِه عند غيره .

فيقول : ديمُ هذا الغمام عند غيرى ، وصواعقه عندى ، فليت صواعقه عند

---

(١) فى النسخ « وكافيتمونى » . (٢) ق : « تجب » .

(٣) الصواعق : جمع صاعقة ، وهى الراعدة التى يسمع لها صوت عظيم ، وربما كان معها برق يحرق ويقال : صاعقة وصاقعة . وهى التى تكره من الغمام لأنها مهلكة : تفسير أبيات المعانى والواحدى والتبيان :

(٤) الديم : جمع ديمة وهى مطر ليس بالشديد وأقل مايكون يوم وليلة وهى المرجوة من الغمام . المرجع السابق .

مَنْ ديمه عنده ، يعنى ليته إن لم يخصّنى بكرامةٍ لا يقصدنى بأذاه ، بل يصرف امتنانه إلى من عنده عطاياه ، ومثله لآخر :

فَلَوْ شَاءَ هَذَا الدَّهْرُ أَقْصَرَ سَوْءَهُ كَمَا أُقْصِرَتْ عَنَّا لُهَاهُ وَنَائِلُهُ[١]

ومثله للبحترى :

سَحَابٌ خَطَانِي جُودُهُ وَهُوَ مُسْبِلُ وَبَحْرٌ عَدَانِي قَطْرُهُ[٢] وَهُوَ مُفْعَمُ[٣]

وبيت ابن الرومى[٣] أقرب إلى أبى الطيب :

أَعِنْدِي تَنْقَضُّ الصَّوَاعِقِ مِنْكُمَا[٤] وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَعْدُ[٥]

والأصل فى ذلك قول الحسين بن على رضى الله عنهما : « نال[٦] حَارَّها مَنْ تولّى قارها » .

٣١- أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ

تَقْتَضِينِي : أى تتقاضانى ، وتطالبنى ، و « الوخّادة » الإبل التى تسير الوخْد ، وهو ضرب سريع من السَّيْر ، والرُّسُم : جمع رَسُوم ، وهى التى تَسِير الرَّسِيم ، وهو أيضا ضرب من السير ، والهاء فى « بها » للمرحلة : أى لا ينهض بها .

يقول : أرى البعد يطالبنى بكل مرحلة لا تقطعها الإبل السريعة السَّيْر ، من

---

(١) البيت لأبى تمام فى ديوانه بهذه الرواية :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره كما قصرت عنا لهاه ونائله

والرواية المذكوره فى الشرح إحدى روايات الديوان فى الهامش ٤/١٠٧ . والوساطة ٢٢٥.

(٢) فى الديوان : « فيضه » . (٣) ديوانه ٣/١٩٨٠ .

(٣) هو : أبو الحسن على بن العباس ، صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكامنها ، ويبرزها فى أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى أخره ، ولا يبقى بقية . ولد سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٨٣ معاهد التنصيص ١/١٠٨ وفيات الأعيان ٣ .

(٤) رواية النسخ : « تنقض ... منكم » والمذكور عن المراجع التالية .

(٥) ديوانه ٢/ ٦٦٤ . الوساطة ٤٠٨ والتبيان ٣/ ٣٧١ وشرح البرقوقى ٤/ ١١٤ والروايه فيها :

« أعندى تنقض الصواعق منكما »

(٦) ق : « ولى حارها » .

طولها ، فأظهر لسيف الدولة السير عنه والرحيل . وبيّنه أيضا فيما يليه .

٣٢-لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْرًا عَنْ مَيَامِنِنَا[1]
لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمُ

ضُمَيْر : اسم ماء فى السّماوة[2] وقيل : جبل عن يمين طالب مصر ، إذا خرج من الشّام قاصدًا مصر ، والكناية فى « تركن » و « ميامنها » و « ودّعنْ » إلى « الوخّادة الرّسم » .

يقول : لئن تركتِ الإبل الوخّادة الرّسُم ضُميْرا عن ميامنها ، وأخذتْ بنا طريق مصر ، ليحدُثَنَّ لِمَن أفارقه ندم . واللام فى قوله : « ليحدثن » جواب قسم محذوف : أى والله ليحدثن . واللام فى « لئن تركن » زائدة[3] دخلت توطِئة للاّم الثانية[4] ، وحلّ جواب القسم محل جواب الشرط[5] .

٣٣-إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَلاَّ تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ

الرّاحل : المرْتَحِل .

يقول مخاطبا لنفسه : إذا قدر قوم على ألاّ يضطروك إلى مفارقتهم والرحيل عنهم ، ثم اضْطرّوك إلى ذلك ، فهم مُخلُّون بحقك ، فيكونون بمنزلة المرتحلين عنك ، لرغبتهم عنك ، فلا فرق بين رحيلهم عنك ، وإلجائهم إياك إلى فراقهم[6] .

٣٤-شَرُّ البِلاَدِ بِلاَدٌ لاصَدِيقَ بِهَا وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الإِنْسَانُ مَا يَصِمُ

مَا يَصِمُ أى مَا يَصِمُه ، ومعناه : ما يلحقه الوصم ، وهو العيب .

---

(١) فى الواحدى والتبيان : والديوان « عن ميامننا » . وفى النسخ : « عن ميامنها » .

(٢) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . معجم البلدان . (٣) ق : « زيادة » .

(٤) ق : « دخلت توطئة للام التأنيث » تحريف .

(٥) لأنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم وترك جواب الشرط ومثل قوله تعالى · (لَئِن رَجعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجنَّ الأعزُّ مِنْها الأذَلّ) .

(٦) مو : تقول معلقة فى الهامش بإزاء « إلى فراقهم » .

تالله ما قيمة الدنيا لذى أدب يهان فيها وإن صحت له زلم !؟

يقول : شرّ البلاد بلادٌ لا صديق بها تسكن إليه ، ويُعينك على ما تُريده ، ويدفع ما يضرّك ، وشرّ كسْب يكْسبه الإنسان ، ما يعاب به ، وبذل عِرضه بسببه[١] [٢٢٤ – ب] .

٣٥–وَشَرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَمُ

البُزَاة : الشهب البيض ، وهى كرامها ، والرَّخَم : جمع رخمة ، وهى طائر يشبه النَّسر ، تأكل الجيف ولا تَصيد ، وهى من لئام الطير وقيل : الرّخمة : الأنثى من النُّسور . وروى : « اقْتَنَصَته » و « قَنَصْتُه » .

يقول : أنا كالبازىّ ، وشعراؤك كالرّخم[٢] ، فلم سوّيت فى المنزلة بيننا فى الجائزة[٣] فيبطل فضل البازِى فلم [يعد] لذلك العطاء عندى قدر . ومثله لأبى تمام :

كِلابٌ أغَارَتْ فى فَرِيسَةِ ضَيْغَمٍ طَرُوقًا وَهَامٌ أطْمَعَتْ صَيْدًا أجْدَلاَ[٤]

٣٦–بِأىِّ لَفْظٍ يَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لا عُرْبٌ وَلاَ عَجَمُ ؟ !

الزّعانف : سقاط الناس ، واحدها زِعنِفة ، وأصله من زَعْنَفَةِ الأديم[٥] : وهو ما سقط منه ، إذا قطع فلا ينتفع به ، فشبّه به رِذال[٦] الناس ، وقيل : الزعانف : أجنحة السمك ، ثم يقال للدّعى الملحق بالقوْم زعنفة .

يقول : إن شعراءك الذين تسوى بينى وبيْنَهم أدْعياء فى الشعراء ، وإنهم من

---

(١) يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت مع جلالها وسعتها لا تعادل تقصيره فى حقه ، وإيثاره لحسّاده .

(٢) قيل فى المثل : « انطقى يارَخَمُ فإنك من طير الله » يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ، ولا يسمع منه . حياة الحيوان .

(٣) ق : بعد « فى الجائزة » « كان صيدنا البازى والرخم » . (٤) ديوانه ٣/ ١٠٦ .

(٥) قال المعرى : الزعنفة . طرف الشىء والقطعة منه التى لا حاجة به إليها ، وزعانف الأديم : أطرافه ، وكذلك ماتدلى من أطراف الثوب . ويقال لما قشر عن السمك زعانف . والزعانف من القوم : الذين يكونون فى أطرافهم وليسوا من صميمهم . تفسير أبيات المعانى .

(٦) مو : « زوال » .

جملة رِذال الناسَ ، ليسوا بأهل للإقبال عليهم ؛ لأنهم دخلاء في الشِّعر ، ليسوا مِنَ العرب ولا من العجم ، فتقبل منهم شعرهم ، ويجوز عليْك تَمْوِيههم .

وقال ابن جني : معناه ليست لهم فصاحة العرب ، ولا تسليم العجم ، والفصاحة للعرب ، فهم فضول رذال[1] .

وقيل : إنه عرَّضَ في هذا بالنّامى[2] ، وكان أخص شعراء سيف الدولة وأنْشدَ[3] أبو الطيب يوما قولَ النّامى :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ بِيضَ سُيُوفِهِ تَلِد الْمَنَايَا السُّودَ وَهِيَ ذُكُورُ

فاستحسنه .

٣٧- هَذَا عِتَابُكَ إلاَّ أَنَّه مِقَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إلاَّ أَنَّهُ كَلِمُ

العِتَاب : أدْنَى الملامة والمِقَة : المحبّة .

يقول : هذا عتابك في الظّاهر ، ولكنه محبة لك ، يعني لم أعاتبْك إلاّ مِنْ محبَّتي إيّاك ، فكلامه كالدّر في الحسْن والرّونق والصفاء ، وإن كان في الصورة كلامًا ، وهو كقول أبي تمام :

تَخَالُ بِهِ مبْردًا عَلَيْكَ مُحَبَّرًا وَتَحْسَبهُ عقْدًا عَلَيْكَ مُفَصَّلاَ[4]

والمصراع الأول من قول القائل :

وَيَبْقَى الْودُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ[5]

---

(١) في ق : « وذال » تحريف .

(٢) هو : أبو العباس أحمد بن محمد النامي ، كان من خواص شعراء سيف الدولة وكان تلو المتنبي في المنزلة ، وكان الصاحب بن عباد يحفظ أبياته ويعجب بها ، مات سنة ٣٩٩ . يتيمة الدهر ١/ ٢٢٥ وخاص الخاص ١٨٠ ابن خلكان ١/ ٣٨ .

(٣) ق : مكان « وأنشد » بياض .

(٤) ديوانه ٣/ ١٠٩ .

(٥) في محاضرات الأدباء عن ٢/ ١١ هذا الشطر غير منسوب وفي لباب الآداب ٢٨٤ :

يعيش المرء مااستحيا بخير ويبقى الود مابقي اللحاء

وما في أن يعيش المرء خير إذا ما الوجه فارقه الحياء

ومثله لآخر :

نُعاتِبُكُمْ يا أمَّ عَمْرو لحُبِّكم ألاَ إنَّما المَقْلِيُّ مَنْ لا يُعاتَبُ(١)

(١٩٥)

فلمّا أنشد هذه القصيدة وانصرف ، اضطرب المجلس ، وقال له نبطيّ كان فى المجلس : اتركنى أسعى فى دَمِهِ ، فرخص له فى ذلك ، والنبطى هو السامرى ، وفيه يقول أبو الطيب :

١ – أَسَامِرِيّ ضُحْكَةَ كلِّ رَائِي فطنْتَ وأنْتَ أَغْبىَ ٱلأغْبِيَاءِ

٢ – صَغُرْتَ عن المديح فقلْتِ أُهْجىَ كأنّكَ مَا صغرْتَ عَنِ الهجَاءِ

٣ – وَمَا فكّرتُ قبلَكَ فى مُحالٍ وَلاَ جرَّبتُ سيْفِى فى هبَاَءِ(٢)

(١٩٦)

فانصرف [المتنبى] فوقف له رجاله [سيف الدولة] فى طريقه ليغتالوه(٣) ، فلما رآهم أبو الطيب ، وتبيّن السلاح تحت ثيابهم أمكن يده من قائِم سيفه(٤) ، وجاءها حتى خرقها ، فلم تَقْدِم عليه(٥) ، ثم أنفذت(٦) الطير إلى أبى العشاير فى أمره ، فأنفذ عشرة من خاصّته ، فوقفوا بباب سيف الدولة أوّل الليل ، وجاءه

(١) نسب لابن المعتز فى محاضرات الأدباء ٢/ ١١ وغير منسوب فى الإبانة ٢٤٦ وفيه : « أعاتبكم » .

(٢) من : والنبطى .. إلى آخر الأبيات عن تيمور وفى العرف الطيب ٣٤٥ والديوان ٣٢٦

(٣) فى النسخ : « ليغتاله » .

(٤) مو : « أمسكت يده من قائم سيفه » .

(٥) مقدمة الديوان : « فلم تقدر عليه » .

(٦) فى التبيان عند شرح هذا البيت ٣٧٤/٤ : « كان فى المجلس رجل يعاديه فكتب إلى أبى العشائر على لسان سيف الدولة كتابًا إلى أنطاكية يشرح له فيه ذكر القصيدة ، وأغراه به » .

الرَّسولُ على لسان سيف الدولة ، فسار إليه ، فلما قرب منهم ضرب راجل منهم – بين أيديهم – إلى عنان فرسه ، وسلّ أبو الطيب السّيف ، فوثب الراجل[١] وتقدمت فرسُه به الخيل ، فعبر قنطرة كانت بين أيديهم[٢] واجترّهم إلى الصحراء ، فأصاب أحدهم نحرة[٣] فرسه بسهم فأنفذه[٤] ، فانتزع أبو الطيب السَّهم ، ورمى به . واستقلّت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن مدد – إن كان لهم – ثم رد[٥] عليهم بعد أن فنى النشاب ، فضرب أحدَهم فقطع الوتَر وبعض القوس ، وأسرع السيف فى ذراعه[٦] ووقفوا على المضروب ، فسار وتركهم . فلما يئسو منه ، قال له أحداهم فى آخر الوقت : نحن غلمان أبى العشائر ، فلذلك قال :

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِى إلىَ مَنْ أُحِبُّهُ ... وللنَّبْلِ حَوْلى مِنْ يَدَيْهِ حَفِيف

الأبيات . . . .[٧] .

وعاد أبو الطيب إلى المدينة فى الليلة الثانية مستخفيًا فأقام عند صديق له ، والمراسلة بينه وبين سيف الدولة متصلة ، وسيف الدولة ينكر أن يكون فعل ذلك ، أو أسرّ به[٨] فعند ذلك قال أبو الطيب[٩] :

١ – ألاَ مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا ... فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيوفَ مَضَارِبَا

(١) فى مقدمة الديوان : « فوثب الرجل » وفى التبيان « فوثب عليه الرحل » .

(٢) فى مقدمة الديوان : « كانت بين يديه » .

(٣) مو : « نحزة » .

(٤) ق : « فأنفذها » .

(٥) مقدمة الديوان : « كر » .

(٦) مقدمة الديوان : « فأسرع السيف الذراع » .

(٧) مقدمة الديوان بعد ذلك « وقد قدمناها فى ذكر أبى العشائر » .

(٨) مقدمة الديوان ومو « أو أمر به » . الفسر ١/ ١٨٠ : « وقال مستعتبًا لسيف الدولة من القصيدة الميمية : « وأحر قلبًا ممن قلبه شبم » .

(٩) الواحدى ٤٨٦ . « وقال أيضًا فيما كان يجرى بينهما من معاتبة مستعتبًا من القصيدة الميمية » . التبيان ١/ ٧٠ : « وقال يعاتب سيف الدولة » . الديوان ٣٣٦ – ٣٣٧ مثل المذكور فى المقابسة . العرف الطيب . ٣٤٨

« ألا » تنبيه و « ما » للاستفهام على جهة الإنكار ، و « عاتبا » نصب على الحال و « مضارِبًا » نصب على التمييز ، والعتب : أدْنى الغضب .

يقول : ما باله اليوم قد عتبَ عليّ ، جعل الله الوَرَى فداءً له ، وقوله : « أمضى السّيوف[1] مضاربا » : هذه الجملة فى موضع نصب على الحال ، أى فداه الورى فى هذه ، أى فى حال كونه أمضى السيوف .

٢ — وَمَالِى إذَا مَا اشْتَقْتُ أبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لاَ أشْتَاقُهَا وَسَبَاسِبَا !

التَّنَائِف : جمع تَنُوفة ، وهى الأرْض الواسِعة البعيدة الأطراف . والسَّباسِب : جمع سَبْسَبُ وهو الفضاء الواسع .

يقول : ما لى إذا ما اشتقت إلى لقائه حَالَ بَيْنى وبيْنه إعراضُه . أقام عتب سيف الدولة مقام المفاوز التى يحتاج أن يقطعها ، حتى يصل إلى مراده ، كما أن المفاوز مانعة لمن أراد الحاجة ، فكذلك عتْبه مانع من مراده .

وقيل : ضرب التَّنائف والسباسب : مثلا للصدّ والمباعدة .

٣ — وَقَدْ كَانَ يُدْنِى مَجْلِسِى مِنْ سَمَائِهِ أُحادِثُ فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَا

أى ماله أبعدنى عن مجلسه ؛ بعد أن كان يقرّبنى منه ، ويجعلنى من جلسائه ؟ ! لما جعله بدراً جعل مجلسه سماء[2] وجعل خصاله وأفعاله كواكب[3] ، وكذلك جعل ندماءه كواكب سمائِه ، والهاء فى « فيها » وفى « بَدْرَها » تعود إلى السماء .

٤ — حَنَانَيْكَ مَسْئولاً ، ولَبَّيْكَ دَاعِيًا وَحَسْبِىَ مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا

(١) يرى الواحدى أن هذه الجملة « أمضى السيوف » : خبر ابتداء محذوف تقديره : هو أمضى السيوف .

(٢) فى النسخ : « سماوه » .

(٣) كما قال أيضا :

أقلب منك طرفى فى سماء وإن طلعت كواكبها خصالا

الفسر ١/ ١٨١ .

حَنَانَيْكَ : أي تحنُّنًا بعد تحنّنٍ ، ومعناه الرّحمة ، معناه أسألك رحمة بعد رحمة وأرجو أن[1] تضاعف عليّ النعمة ، ولبيك : أي[2] إجابة بعد إجابة إذا دعوْتني « وَحَسْبِىَ مَوْهُوبًا » : أى حَسْبِى[3] مِنْ جميع هِبَاتِكَ ، أن تهب لى نفسي ، وقيل : يكفيني ما وهبت من المال ، وحسْبُكَ واهبًا : أى كَمُلْتَ فى هذه الصّفة ، فالكفاية واقعة فى كونك واهبًا ، لا يزاد[4] معك إنسان آخر يكون واهبًا ، وقيل : حسبك من جميع المناقب أن تكون واهبًا نفسى منى ، ونصب « حنانيك » [٢٢٥ – ب] و « لبيك » على المصدر . أو بفعل مضمر ، ونصب « مسئولا » و « داعيًا » و « موهوبًا » و « واهبا » على الحال .

٥ – أَهَذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا ؟
أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا ؟

يقول : إن كنتُ صادقا فى مدحك ، فليس جزائى منك الإبعاد والعتب ، وإن كنتُ كاذبًا فى مدحك فقد تكلَّفْتُ لك المجاملة فى القول ، فكان من الواجب أن تعاملنى بمثل ذلك ، فعلى الحالين أستوجب منْك خلاف ما فعلته بى .

وقيل : معناه إن كنتُ صدقت فيما عاتبتك عليه فما جزاء الصِّدق أن تأمر بقتلى ! وإن كذبتُ ، فالواجب على كرمك أن تعفو عنى .

٦ – وَإِنْ كَانَ ذَنْبِى كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جاءَ تائبا

الهاء فى « إنه » ضمير الشأن ، أى فإن الشأن محا الذَّنْب من جاء تائبا .

يقول : إنْ كان ذنْبى يوازى ذنوب الناس كلّهم ، فإن توْبتى تمحوه ، فإن من جاء تائبًا استوجب العفو ، وإن كان ذنبه بمنزلة جميع الذنوب ، أخذه من قول

(١) ق : « وأرجو به » .
(٢) ق : « ولبيك : أمر » .
(٣) حسبى : كفانى .
(٤) مو : « لا يروا » .

النّبى ﷺ : « التّائِب من الذّنْب كَمنْ لا ذنبْ لَه »[١] ومثل البيت قوْل الآخر :

إذَا اعْتَذَرَ الْجَانِى مَحَا الْعُذْرُ ذَنْبَهُ   وَكُلُّ امْرِئٍ لاَ يَقْبَلُ الْعُذْرَ مُذْنِبُ[٢]

(١٩٧)

قال : ودخل على سيف الدولة ، بعد تسع عشرة ليلة[٣] ، فتلقَّاه الغِلْمان ، وأدخلوه إلى خزانة الكسوة فخُلِع عليه وطُيِّب ، ثم دخل على سيفِ الدولة فسأله سيفُ الدولة عن حاله وهو مُسْتَحٍ منه ، فقال له أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحبّ إلىّ من الحياة دونك[٤] ، فقال له سيف الدولة : بل يطيل الله بقاءك ودعا له .

ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلقٌ كثيرٌ إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة طيبًا كثيرًا وهدية ، فقال أبو الطيب يمدحه وأنشدها إيّاه فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة[٥] :

١ - أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ
دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ والإِبِلِ

يقول : لما وقفتُ على الطَّلَل ، بكيتُ قبْل أصحابى ، وقبْل بكاء الإبل ، فكأنّ الطلل دَعَا دَمْعِى فأجَابَهُ قَبْلَ أصحابى .

٢ - ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِى أُكَفْكِفُهُ   وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالعَذَلِ

---

(١) الجامع الصغير ١٢١ وقد ذكره الواحدى و صاحب التبيان .

(٢) حماسة ابن الشجرى ١٤١ غير منسوب .

(٣) ق : « تسع عشر » . مو : « تسعة عشر » .

(٤) مقدمة الديوان : « من الحياة بعدك » .

(٥) الواحدى ٤٨٧ : « فقال أيضًا يعتذر إليه مما خاطبه به فى قصيدته الميمية » . التبيان ٣/ ٧٤ : « وقال يمدحه ويعتذر إليه ، وذلك فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٣٢٨ : قريب من هذه المقدمة المذكورة . العرف-الطيب ٣٤٨ .

الأصيْحاب : تصغير الأصحاب ، وأكَفْكِفه : أى أحبسه ، وأرَدِّدُه[١]، والها : للدمع . وظل : أى الدمع . يسفح : أى يجرى .

يقول : ظَلَلْت عند إجابة الدمع[٢] أكفّ دمعى عن السّيلان ، وأمنعه من الهملان ، وظلّ الدّمع يسيل ولا ينقطع ، وأمنعه ولا يمتنع ، فكان يجرى بين عاذِلٍ من أصحابى على البكاء ، وبين عاذِرٍ منهم ، لِمَا يرى من شدّة صبابتى .

٣ - أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِى عَجَبٌ
كَذَاكَ كانَتْ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلَلِ

الكِلَل : جمع الكِلَّة ، وهى الحَجَلة[٣] والتاء فى كانت : للعبرة .

يقول : كنت أشكو النّوى إليهم ، وهم يتعجّبون من دمعى ، وليس ذلك بموضع تعجب ؛ لأن الدمع[٤] كان هكذا ، حين كانت المحبوبة قريبة منّى ، لا يغيبها عن عينى سوى كِلل[٥] . فالآن وقد بعدت وحالت بيننا المفاوز [٢٢٦ - ا] والبلاد ، أجدرُ أن أبكى ، وقوله : «كذا كانت» خطاب للأصحاب ، أى قلت لهم : لا تعجبوا فإنى كنت هكذا أبكى وهى قريبة منّى .

٤ - وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلِ

أى كصبابة مشتاق بلا أمل ، فحذف المضاف .

يقول : إذا كنت أبكى وهى بالقرب ، وكان البعد بيننا كِلّة ، فالآن - مع هذا البعد - أولى بالبكاء ، لأن الاشتياق ، إذا كان مع الأمل من اللقاء ، لايكون فى الشدة كالاشتياق إذا كان من غير الأمل ! ومثله لأبى تمام :

---

(١) مو : «أحبه وأردوه» تحريف .

(٢) ق : «عنده إجابة الدمع الظلل» .

(٣) الكِلة : ستر رقيق وكذلك الحَجَلة . المعرى فى تفسير أبيات المعانى واللسان .

(٤) مو : «دمعى» .

(٥) فى النسخ «كلها» .

يَصُدُّونَ عَمَّنْ لَوْ تَيَقَّنَ أَنَّه صُدُودُ[١] انْقِطَاعٍ لاَنْثَنَى فَتَقَطَّعا[٢]

٥ – مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارتَهَا لاَ يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ

يقول : إذا زرْت قوم حبيبك الذى تهواه[٣] : جعلوا تحفتك السيوف والرماح ، يعنى أنهم وإن قصدونى عن زيارتى إيّاها بالرماح والسيوف ، طلبًا لقتلى ، فإنى لا أمتنع عن زيارتها ، وقد بيّن ذلك بقوله[٤] .

٦ – وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ ؟!

يقول : إن هجرت زيارتها خوفًا من القتل ، فالهجْر أشدّ قتلاً لى ، وما أراقِب من قومها[٥] ، ربما قارنته السلامة ، وخوفى من قومها كالبلل[٦] .

٧ – مَا بَالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِى عَشِيرَتِهَا[٧] بِهِ الَّذِى بِى وَمَا بِى غَيْرُ مُنْتَقِلِ؟

يقول : ما بالُ كلّ قلب مِنْ قلوب عشيرتها يحبّها ! فبهم مثْل مَا بِى من حبّها ، وكلّنا ثابت الحبّ لها ، غيرمنْتَقِل الهوى عنها ؛ لأنه إذا أخبر أنّ لكلّ فؤاد ما بفؤاده ثابت ، فقد تضمّن ذلك الإخبار عما فى قلوبهم من الحبّ ، أنه غير منتقل .

وقيل – وهو الأوْلى – معناه : أن كل أحد من عشيرتها يحبّها مثلما أحبها لاتفاوت بيننا فى حبها ، فكأننا نحبّها بحبٍّ واحد ، وهذا الحبّ فى قلوبنا أجمع ،

---

(١) ق : « صدور » .

(٢) لم أعثر عليه فى ديوانه وإنما الذى فيه .

وماكنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وهو كذلك فى التبيان ١/ ٣٦٩ وفى حماسة ابن الشجرى ٩٣ وفى مجموعة المعانى ١١٩ .

(٣) رد ضمير « مَنْ » على المعنى ، دون اللفظ فقال : زيارتها . ولو رده على اللفظ لقال : زيارته .

(٤) مو : « فقال » .

(٥) يريد بما يرقبه . مايتوقعه من بأس أهلها .

(٦) مو : « كالبلّ » .

(٧) ق : « من عشيرتها » .

فكيف يكون وجْدى وشوقى فى قلب غيرى وهو غير منتقل عنى ، والشىء الواحد لا يحل مكانين فى زمان واحد ؟!

٨ – مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فى الأَلْحَاظِ مَالِكَةٌ لِمُقْلَتَيْهَا عَظِيمُ الْمُلْكِ فى الْمُقَلِ

اللّحظ : العين هاهنا .

يقول : إنها ملكت عيونَ النّاس بحسن عَيْنَيْها ، وَغُنْج[1] ألحاظِها ، فلم تدع عينا أن تتخطّاها إلى غيرها ، فهى إذاً مطاعة العين فيما بين العيون كلّها ، وهى مالكة لمقلتيها المُلْك العظيم فيما بين المقَل .

٩ – تَشَبَّهَ الْخَفِرَاتُ الآنِسَاتُ بِهَا فى مَشْيِها فَيَنَلْنَ الْحُسْنَ بِالحِيَلِ

الخفرة : الحييَّةُ ، والآنسة : التى تأنس محدّثها[2] ويأنس هو بها .

يقول : إن النساء الحسان يتشبهن بها فى مَشْيِها فيمسْنَ[3] كما تميس هى ، فينلن حسن مشيها بالحيَلِ والسّرقة ، وكأنهن يحاكينها فى المشى فقط .

١٠–قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِى وَلَذَّتَهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلِ

الصّاب : شجر مُرّ .

يقول : جرّبت أحوال الدّهر ، وذقْتُ حلاوته ومرارته ، فما وجدت لشىء منها حقيقة ، لأنّه لا يدوم ولا يبقى .

١١–وَقَدْ أَرَانِى الشَّبَابُ الرُّوحَ فى بَدَنِى
وَقَدْ أَرَانِى الْمَشِيبُ الرُّوحَ فى بَدَلِى

فاعل « أرانى » : الشبابُ ، والمشيبُ و « الروحَ » مفعوله الثانى ، والكناية فى « أرانى » مفعوله الأول . و « البدل » قيل : أراد به غيره من الشبّان ومعناه : أنى

(١) الغُنْجُ : ملاحه العينين . اللسان .

(٢) ق ، شو : « محدثها » مكانها بياض .

(٣) يمسن : يتبخترن ويختلن . اللسان .

مادمت شابًّا رأيت روحي في بدني ، والآن لمّا شبتُ أرى الحياة في غيري من الشبّان ، فكأنّ الروح التي كانت فيّ انتقلت منّي إلى غيري .

وقيل : معناه أيقنت عند طلوع الشّيْب أني قد ندبت إلى فراق الدّنيا ليعمرها غيري .

وقيل : أراد « بالبدل » ولده ، أي ماكنت أراه في نفسي من اللّذّة والروح في الحياة ، انتقل منّي إلى ولدي ، فصرت أرى في بدلي وهو ولدي الذي يخرج مني ، بعد ما كانت في بدني ، وكأني قد انتقلت من الدنيا ، وقام ولدي مقامي .

١٢—وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلَا غَزِلِ

طرقْتها : أتيتها ليلاً[١] والعزهاة : الجافي[٢] الذي لا يصبو إلى النساء ولا يرغب فيهم والغَزِل : ضده .

يقول : ربما زرت حبيبتي [٣] ليلا ، وأنا متقلّد بسيفي ، وجعله صاحبه ، ثم قال : إن صاحبي لا يكره النساء ولا يميل إليهنّ ، فهو لا عزْهاةٌ ولا غَزِلٌ .

١٣—فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدَفِّعُهُ وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلَا الْقُبَلُ

يقول : ضاجعتُها ، وعليَّ سيفي ، فبات بيني وبينها ، وكنّا ندفعه إلى جانبٍ عند المباشرة ، وهو لا يعلم ما يجري بيننا من القُبَل والشكْوَى .

١٤—ثُمَّ اغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ عَلَى ذُؤَابَتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخِلَلِ

الرَّدع : أثر الزعفران وأثر الطِّيب ، وذؤابة السيف : السير الذي في طرف قائمهِ . والجفْن : الغمد . والخِلَل : الغاشية التي يغشى بها السيف .

---

(١) مو : « ليلا » ساقطة .

(٢) ق : « العزهاة : العاني » بمثل هذا التفسير قال الواحدي . وقال صاحب التبيان رجل عزهاة وعزهاءة وعزهًى منون ، والجمع : عزاهي ، مثل سعلاة وعِزْهوْن : وهو الذي لا يطرب للهو ، ويبعد عنه .

(٣) ق : « حبيبة » .

يقول : اغْتَدى السّيفُ وقد عَلِقَ به من طيبها أثرٌ ، وكذلك عَلِق بذؤابته وغمده .

١٥–لاَ أَكْسِبُ الذِّكْرَ إلاَّ مِنْ مَضَارِبِهِ أَوْ مِنْ سِنَانِ أَصَمِّ الكَعْبِ مُعْتَدِلِ

يقول : لا أكسب الذكْر الجميل ، والثّناء الحسن ، إلا بحدّ السّيف وسِنَان[1] الرمح الأصمّ الكعب[2] ، فلهذا لا أفارقه .

١٦–جَادَ الأَمِيرُ بِهِ لِى فى مَوَاهِبِهِ فَزَانَهَا وَكَسَانِى الدِّرْعَ فى الْحُلَلِ

« به » : أى بالسيف « فزانها » : أى زان المواهب .

يقول : هذا السّيف الذى لا أكسب الذكر إلا من مضاربه ، وهَبَه لِىَ الأميرُ فى جملة مواهبة ، فزان هذا السّيف .

وقيل : زان سيفُ الدولة المواهبَ ، وكذلك كسانى الدّرع فى جملة ما كسانى من الحلل .

١٧–وَمِنْ علىِّ بْنِ عبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِى بِحَمْلِهِ ، مَنْ كَعَبْدِ اللهِ أَوْ كَعَلِى ؟!

معرفتى : ابتداء . « ومِنْ علىّ بن عبد الله » خبره .

يقول : إنما تعلّمت حمْل السيفِ من سيف الدولة ، ومن يشْبه سيفَ الدولة أو والده[3] فى الجود والكرم ؟!

١٨–مُعْطِى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلاهِبِ والـ
ـبِيضِ الْقَوَاضِبِ وَالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ

السّلاهب : الطّوال من الخيل والعسّالة : الرماح المضطربة .

(١) مو : « وأسنان » .

(٢) كعوب الرمح : العقد الناشزة من أنابيبه ، والأصم الكعب : هو الذى تتصلب تلك الكعوب منه ، وتكتنز وتتداخل ولا تنتشر وبذلك يعتدل .

(٣) مو : « سيف الدولة ووالده » .

يقول : سيف الدولة هو يهب هذه الأشياء كلّها[١] .

١٩–ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ
مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

عَنْ مَلِكٍ : يعنى ملأ الزمان بأفعاله ومناقبه [٢٢٧ – ا] وذِكْره ، وملأ الأرض بخيله ورَجْله ، حتى ضاقت عنه .

٢٠–فَنَحْنُ فى جَذَلٍ ، وَالرُّومُ فى وَجَلٍ وَالْبَرُّ فى شُغُلٍ ، والْبَحْرُ فى خَجَلِ

يعنى : نحن فى سرور من إحسانه إلينا ، والروم فى خوف من غزوه إليهم ، والبر فى شغل بخيله وجوده ، والبحر فى خجل من كثرة عطائه .

٢١–مِنْ تَغْلِبَ الْغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ وَمِنْ عَدِىٍّ أَعَادِى الْجُبْنِ وَالْبَخَلِ

هو من تغْلب ، وتغلب من عدىّ ، وروى : « العنصر والمنصب » ، وهما الأصل .

يقول : أصله[٢] من تغلْب الذين هم يغلبون الناس ، ومن عدىّ أيضًا وهم أعادى البخْل والجبن .

أى إنهم فى طباعهم الجود والشجاعة .

٢٢–وَالْمَدْحُ لِابْنِ أبِى الْهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْعِىِّ[٣] وَالْخَطَلِ

تنجده : أى تعينه ، والخطَل : الكلام الفاسد .

يقول : إذا استعنت فى مدْحه بذكر أيام آبائه ، الذين كانوا فى الجاهلية وإعانة مدحه بوصفهم عين العىّ والخطَل ، لأنك تجد فى مناقبه ما لا يحتاج معه إلى ذكر آبائه .

(١) مو : « كلها » ساقطة .

(٢) ق : « لعله » بدل « أصله » .

(٣) فى التبيان « عين الغى » وفسره فقال : الغى : ضد الصواب والرشد وأراد به هاهنا فساد الكلام .

والعِىّ : ضد الإبانة فى الكلام .

قال ابن جنى : سألته عن هذا ، قال : بعض الشعراء قد مدح سيف الدولة بذكر آبائه وأجداده[١] ويعنى به : النّامى[٢] الشاعر .

وقيل : يجوز ألاّ يراعى السّبب فى ذلك ، غير أنه لما قال فيما قبله « من تغلب » البيت . عاد إلى مدحه فى نفسه ، وبيّن أنه لم يذكر آباءه لاحتياجه إلى ذلك .

٢٣- لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوفِى مَنَاقِبَهُ
فَمَا[٣] كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ ؟!

يقول لذلك الشاعر . أو لنفسه : ليت أن الشّعر يستوفى فضائله ومآثره ، أى أن ما فيه من المناقب لا تحيط به المدائح ، فما كليبٌ[٤] وغيره من المتقدمين فى الأزمنة الخالية بالإضافة إليه ، حتى تذكر مناقبهم فى مدحه !

٢٤- خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
فى طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

يقول : خُذْ ما قرب منك ، ودعْ ذكر مَنْ غاب عنك ، ولا سيّما القريب[٥] منك الذى تشاهده ، أكثر مناقب من البعيد الذى سمعت بذكره ، وضرب المثل وشبهه بالشّمس وأباه بزُحَل[٦] ، فإن الشمس أقرب إلينا من زُحل ، وأبين منه نوراً ، وأكثر منه فضلا .

يعْنى : عليك بمدح سيف الدولة الذى هو كالنور . وهذا البيت من محاسن الشّعر .

---

(١) مو : « أجداده وأسلافه » .

(٢) سبقت الترجمة له فى هذه القصيدة .

(٣) أدخل « ما » على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار بشأنه .

(٤) كليب : هو ابن ربيعة رئيس بنى تغلب وسيدهم فى الجاهلية ، وكانت العرب تضرب به المثل فى العز ، فيقولون : « أعز من كليب بن وائل » .

(٥) مو : «والقريب » .

(٦) زحل : أعظم الكواكب السيارة وأبعدها فى النظام الشمسى .

٢٥-وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سِعَةٍ   فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلاً فَقُلِ

يقول : قد وجدت لمدحك مجالاً ، ولمكانك فى الوصف مقالاً ، فإن كان لك لسان يساعدك ، وبيان يطاوعك فامدح. ومثْله للنّميْرى[١] :

إذا امْتَنَعَ الْمَقَالُ عَلَيْكَ فَامْدَحْ   أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينِ تَجِدْ مَقَالاَ

٢٦-إنَّ الْهُمَامَ الَّذِى فَخْرُ الأَنَامِ بِهِ   خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَّىْ خَيْرَةِ الدُّوَلِ

خيرُ السّيوف : خبر (إنّ) .

يقول : إن الملك الهام الذى يفتخر به الأنام هو خيْر السيوف بكفّى خيْرَةِ[٢] الدُّوَل ، وهى دولة الإسلام ، لأنه سيفها .

٢٧-تُمْسِى الأَمَانِىُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ   فَمَا يَقُولُ لِشَىْءٍ: لَيْتَ ذَلِكَ لِى

يقول : إنه بلغ فوق ما يتمنّاه ، فلا يرى شيئًا لم يصل إليه ، فيتمنى أن يكون له ! بل إذا تمنى شيئًا [٢٢٧ - ا] وصل إليه ، وإلى ما هو خير منه .

ومعنى قوله : « تُمْسِى الأَمَانِىُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ » معنًى بديعىّ ، لأبْلغ مَبْلَغًا ، كل أمنية ساقطة دونه ، فلا يحتاج أن يتمنّاها مع تجاوزه عنها ، وهو فى هذا ينظر[٣] إلى قول عنترة العبسى[٤] .

أَلا قَاتَلَ اللهُ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا   وَقَاتَلَ ذِكْرَاكَ السِّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَقِيلَكَ لِلشَّىءِ الَّذِى لاَتَنَالُهُ   إذامَا حَلاَ فِى الْعَيْنِ : يَالَيْتَ ذَالِيَا[٥] !

---

(١) هو : محمد بن عبد الله النميرى ، من شعراء العصر الأموى ، وعرف بالراعى لكثرة وصفه للإبل ، وهو من طبقة جرير والفرزدق والأخطل مات سنة ٩٠ هـ . وكان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف وله فيها أشعار كثيرة . ترجمة فى بروكلمان ١/ ٢١٧ والأغانى ٦/ ١٩٠ ورغبة الأمل ٥/ ٢٣ - ٢٥ ومختار الأغانى ٣٧٢/٦ .

(٢) خيرة : تأنيث خير قال تعالى : (فِيهِنَّ خيراتٌ حِسَان) . الواحدة خيرة .

(٣) وقول المتنبى ضد قول عنترة . الواحدى .   (٤) مو : « العبسى » ساقطة .

(٥) ديوانه ٢٢٤ وحماسة ابن الشجرى ٩ والتبيان ٨٢/٣ والواحدى ٤٩١ وشرح البرقوقى ٣/ ٢٥٥ وشعراء النصرانية ٨١٥ والرواية فيها ذكر « وقولك للشىء » وفى شعراء النصرانيه وإذا ماهو احلولى » .

٢٨- انْظُرْ إذا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فى رَهَجٍ إلى اخْتِلافِهِمَا فى الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ

الرَّهَج : الغبار .

يقول : إذا ارتفع غبار الحرْب ، فانظر إلى سيف الدّولة ، وإلى السّيف الذّى فى يده ؛ لتعرف فضل ما بينهما خُلقًا وعملا ، يعنى أنه وإن شارك السّيف فى الاسم ، فهو مخالف له فى الخُلُق والعمل والمضاء[١] ، والعزم والفناء .

٢٩- هَذَا الْمُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتًا أَعَدَّ هَذا الرَّأْسِ الْفَارِسِ الْبَطَلِ

أَعَدَّ : فاعله « المُعَدّ لريْب الدّهْر » . والمنصلِت : المتجرِّد من الغمد ، و « مُنْصلتًا » نصب على الحال[٢] .

يقول : إن سيف الدولة سيفٌ جعله الخليفة عُدَّتَه[٣] لحوادث الدّهر ، وهذا السّيفُ قد اتخذ سيفَ الحديد عُدّة للحرب ، ليضرب رءوس الأبطال ، فهذا الأول إشارة إلى سيف الدّولة والثانى إشارة إلى سيف[٤] الحديد .

٣٠- فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِىُّ طَائِرَةٌ وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ

الكُدْرِىّ : ضرْب من القَطا ، تَضْرِبَ ألوانها إلى الكُدْرَة والحجل[٥] : القَبْج[٦] .

---

(١) مو : « فى العمل والمضاء » .

(٢) صاحب الحال : سيف الحديد ، والعامل فيه « أعَدّ » تقديره : أعده سيف الدولة منصلتا ، ويجوز أن يكون حالا من سيف الدولة وهو أوجه .

(٣) مو : « عدة » .

(٤) مو من « سيف ... سيف » ساقط انتقال نظر .

(٥) الَحجَل : واحدها حجلة ، طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر . حياة الحيوان .

(٦) القَبْج : واحده قبجة ، والقبجة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، والقبج قيل : كلمة فارسية معربة لأن هذه الحروف لا تجتمع فى كلام العرب وهى : القاف والجيم أو القاف والكاف ، أو الكاف والجيم . وقيل : هو الحجل . المرجع السابق .

يقول : إن الرّوم والعرب هربت منك ، والتجأت إلى البوادى والجبال ، فالعرب هاربة إلى البوادى مع القطا ، والرّوم إلى الجبال مع القَبْج .

وخصّ العرب بالقطا ؛ لأنها تكون فى بلاد العرب دون الروم ، وخص الرّوم بالحَجَل ، لأنها تكون فى بلاد الروم وجبالها .

٣١–وَمَا الْفِرَارُ إلىَ الأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِى النَّعَامُ بِهِ فى مَعْقِلِ الْوَعِلِ

الضمير فى « بِهِ » للأسَدِ ، وأراد به : سيْف الدّولة ، وأراد بالنّعام ها هنا الخيل[1] خيل سيف الدولة العِرابَ .

يقول : كيْف يمنع الرّومَ فرارُها إلى الأجبال[2] من أسَدٍ تمْشى به الخيل فى الجبال التى هى معقل[3] الْوَعِلِ[4] .

شبّه الخيلَ بالنّعام لسرعتها . وفيه إشارة إلى أنه لا يمتنع عليه أمْرٌ رامَه ؛ لأنه إذا أمكنه أن يبلغ بالنّعام وهى سهْليّة إلى رءوس الجبال ، فكيف يقدرُون على التحرز منه فى معقل الأوْعال .

وقيل : معناه أن سيف الدولة لو ركب النعام مشت به فى معاقل الأوعال ، مع أنها من طيرِ السّهل ؛ لأنه قد سَهل له كل صعب .

وقيل : أراد بالنعام حقيقتها . ومعناه : أنه قد أحْوج النّعام التى هى من طيور السّهل إلى الفرار منه ومن جيشه[5] إلى رءوس الجبال .

٣٢–جَازَ الدُّرُوبَ إلىَ مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ

(١) مو : « الخيل » مهملة .

(٢) الأجبال : جمع جبل .

(٣) المعقل : المكان المنيع الذى لا يقدر عليه ويريد بمعقل الوعل : الجبل .

(٤) الوَعِل : التيس الجبلى . والجمع : أوعال ووعول . وفى طباع الوعل أنه يأوى إلى الأماكن الوعرة الخشنة . حياة الحيوان .

(٥) مو : « إلى الفرار من جيشه » .

الدّروب : مضايق الروم[١] . وقيل : هى دُرُوب الروم . وقيل : موضع بعينه . وخرشنة[٢] : بلد فى الروم .

يقول : دخل بلاد الرّوم حتّى جاوز الدروب والمضايق ، وخلّف خرشَنة وراء ظهره ، ثم عاد منها بعد الإغارة والسّبى وخوْفه بعد فى قلوبهم لم يزُل عنهم .

٣٣-فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْى وَالْجَمَلِ

[٢٢٨ - ا] يقول : قد تمكّن رُعْبُك فى قلوبهم ، فالبكر منهم ترى فى نومها أنها تسبى ، لتمكّن ذلك فى نفسها فى حال اليقظة ، فهى تراه فى المنام ، أو ترى الجمَل ؛ لأنه لا يكون فى بلاد الروم ، فالنفس له أنكر والطباع منه أنفر .

وقيل : خصّ الجمَل ؛ لأنها إذا سبيت تحمل على الإبل .

وقيل : معناه أنهنّ يسّبين صغارا فيحملْنَ على الجمال إلى عند أصحاب سيف الدولة ؛ لأنها أصحاب جمال . ومثله لعلّى بن جبلة[٣] :

وَعَلَى عَدوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدانِ : ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالإِظْلام[٤]

ومثل ذلك لأبى الطيب :

---

(١) يقول صاحب التبيان . الدروب : المسالك تكون فى الجبل . الحاجزة بين بلاد الروم وبلاد المسلمين .

(٢) يرى الواحدى أن المعنى : أنه خلف خرشنة وراءه ، وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الرّوع الذى حصل منه هناك .

(٣) هو : على بن جبلة بن مسلم ، المعروف بالعكوّك ، من أبناء الشيعة الخرسانية شاعر عراقى مجيد وكان من أحسن الناس إنشادًا ، وكان أعمى أبرص ، كان الأصمعى يغبطه وهو الذى لقبه بالعكوك ، أى الغليظ السمين ، ولد بقرب بغداد واستنفد أكثر شعره فى مدح أبى دلف العجلى وقتله المأمون سنة ٢١٣ وفيات الأعيان ٣٤٨/١ والشعر والشعراء ٣٦٠ ونكت المميان ٢٠٩ والورقة ١١٣ وطبقات ابن المعتز ١٧١ .

(٤) ورد هذا البيت منسوبا إلى أشجع السلمى فى خاص الخاص ١١٢ والإبانة ٤٥ والوساطة ٢٥٣ والتبيان ٣٦٤/١ و ٤٤/٤ واليتيمة ٢/ ١٢٦ وديوان المعانى ١/ ١٤٥ ومواسم الأدب ٢٠٦ ونهاية الأرب ٣/ ٨٧ ولم ينسب فى ص ١٧٨ من ترقيم الأصل من هذا المنسوخ .

يُرَى فى النَّوْمِ رُمْحَكَ فى كُلاهُ وَيَفْرَقُ أنْ يَرَاهُ فى السُّهَادِ[١]

٣٤-إن كُنْتَ تَرْضَى بأنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا
مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَلِ !؟

الجِزَى[٢] : جمع جِزْية

يقول : إن كنت ترضى منهم بالجِزْية ، أعطوكَ منها ما تطلب ، فهم يتمنّون ذلك ، كما يتمنى الأعورُ الحَوَل ، لأن الجِزْية خير لهم وأحب فى أنفسهم من السَّبْى والقتل ، كما أن الحَوَل خير من العَوَر .

٣٥-نَادَيْتَ مَجْدَكَ فى شِعْرِى وَقَدْ صَدَرَا
يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فى غَيْرِ مُنْتَحَلِ

صَدَرَا : راجع إلى مجدْ سيف الدولة وشِعْر المتنبى ، وفيه إشارة إلى أنهما ليسا بمستحْدَثَيْن ، ولو قال : « وَرَدَا » لأوهم ذلك ، والانتحال : ادّعاء الشيء كذبًا .

يقول : ناديت مجْدَك فيما أقوله فى مدائحِك ، فقلت فى ندائى : يا مجْدًا[٣] غير مُنتحِل فى شعر غير منتَحَل[٤] . يعنى : أن مجدك حقيقة لك لم تنتحلْه ، كما أن شعرى كذلك غير منتَحَل .

وقوله : « قد صدرا » أى صدر الشِّعر منى والمجدْ منك ويجوز أن يريد صدر الشعر[٥] ، والمجد من فعلك ، إذ لولا عطاؤك لما كان منى مدْح .

٣٦-بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أقْوَامٌ نُحِبُّهُمُ فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أبْلَغَ الرُّسُلِ

يقول ، قُلْتُ لمجْدك وشعرى لما سارا فى البلاد : إن فى الشّرق والغرْب لى أحبّة ، فأبلغا أحبّتى عند سيف الدولة .

---

(١) ديوانه ٨٠ وروايته : « ويخشى أن يراه » وكذلك فى التبيان ١/ ٣٦٤ والوساطة ٢٥٣ .

(٢) ق : « الجزاء » .

(٣) مو : « يامجيدًا » .

(٤) مو : « منتحل – منتحل » ساقط انتقال نظر .

(٥) مو : « ويجوز أن يريد به صدر له الشعر » .

وذلك إشارة إلى اشتهار المجد والشعر ، إلا أنه لما كان مشتملا على ذكره مجده ، كان المجْد أيضًا سائرًا بِسَيْره ومشتهرًا باشتهاره . وقد بين تتمة الرسالة فيما يليه فقال :

٣٧–وَعَرَّفَاهُمْ بأَنِّى فى مكَارِمِهِ أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ

الْخَوَل : جمع الخائل ، وهو الخادم .

يقول للمجد والشعر : عرِّفا أحبَّتى ما أنا فيه من الكرامة ، وما أعطانى الأميرُ من الخيْل والعبيد .

٣٨–ياأَيُّها الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِى
وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإِحْسَانِ لاَقِبَلِى

يقول : أحسنت إلىّ وشكرْتُ على إحسانك إلىّ ، فالشكر من جهة إحسانك لا من جهتى ، فكأنّه هو الشاكر دونى .

٣٩–مَا كَانَ نَوْمِى إلاَّ فَوْقَ مَعْرِفَتِى بأَنَّ رأْيَكَ لا يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ

أقام النّوم مقام الغَفْلَة والسّهو ، يعتذر مما بدر منه فى القصيدة الميمية .

يقول : ما نمت عمّا وجب من صيانة مدحك ، عن خلْطه بالعتاب المؤلم ، إلاّ بعد ثقتى باحتمالك وحلمك [٢٢٨ – ب] ، وأنّك لا تعجل علىّ بعقوبتك .

و « فوق » ها هنا ظرف كما تقول : نمْتُ فوق السرير . وقيل : إنه صفة لمصدر محذوف ، أى لمّا وثقْت بحلمك وعلمت أنك لا تزلّ فى رأيك ، تسحّبْتُ فى العتاب تسحبًا فوق ما عرفْته من ثبات رأيك .

وقيل : معناه يا أيها الملك الذى أحسن إلىّ وشكرتُه على إحسانه ، ما لحقنى السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك ، وأنك لا تزل فى رأيك .

٤٠–أَقِلْ ، أَنِلْ ، اقْطِعْ ، أَحْمِلْ ، عَلِّ ، سَلِّ ، أَعِدْ
زِدْ ، هِشَّ ، بِشَّ ، تَفَضَّلْ ، أَدْنِ ، سُرَّ ، صِلِ

« أَقِلْ » : من الإقالة من العثْرة ، والعفْو عن الزَّلَل . « أنِل » : من الإنالة ، وهو إسداء العطيّة . « أقْطِعْ » من الإقطاع . « أحْمِل » : من حملْته على فرسى ، ومنه قوله تعالى : (ولا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ)(١) . « عَلّ »(٢) : من إعلاء المحل . يقال : عليْتُ منزلته ، وأعليْتُها . « سلّ » : من تسْلية الهُموم « أَعِدْ » : من الإعادة إلى العادة الأولى . « زِدْ » : من الزيادة . « وَهِشَّ بِشّ » من الهشَاشة ، والبشَاشة ، وهما : التّهللّ ، واللّقاء بالبشْر ، والطّلاقة . « تَفَضَّلْ » : من تفضّل فلان على صاحبه . « أدْنِ » : من الإدناء وهو التقريب . « وسرّ » : من سررْته أسرُّه . « صِلِ » : من الصِّلة وهى العطيّة ، أو من المُواصَلة وهى المقاربة(٣) .

ومعنى هذه الكلمات : إمّا دعاء لسيف الدولة . أى لازلت أبدًا تقيل عثْرة من يبغى من أصحابك وتنيل أولياءك(٤) وتقطعهم ضياعَكَ ، وتحملهم على خيلك إلى آخر البيت .

وإما للسؤال(٥) والطلب ، فالمعنى : أقلْنى من عثْرتى ، وأنلْنى من فضلك ، وأقطعنى ضيعةً من ضياعك ، واحمِلْنى على فرس من خيْلك ، وعلّ منزلتى عندك ، وسلِّ ما حصل فى قلبك من غشّ ، أو سلّ ما فى قلبى من الهمّ بإعراضك عنى ، وأعدْنى ما كنتُ عليه من المنزلة ، وسرَّنى إلى الإجابة إلى ما سألتك وقيل سرّ قلبى برضاء عنىّ ، وصلْنى بصِلَة من صلاتك ، أو صل ما بينى وبينك .

ويحكى أن سيف الدولة وقّع بخطّه تحت « أقل » أقلناك . وتحت « أَنِلْ » يحمل إليه كذا وكذا ألف درهم ، وتحت « أَقْطِعْ » أقطعناك الضّيعة الفلانية بباب حلب ، وتحت « أحْمِلِ » يقاد إليه فرس مركب(٦) وتحت « علّ » قد فعلنا وتحت « سَلّ » قد فعلنا فاسأل ، وتحت « أَعِدْ » أعدناك إلى حالك من حسْن رأينا ، وتحت « زِدْ »

---

(١) سورة التوبة ٩/ ٩٢ .

(٢) مو : « علِّ » .

(٣) فى النسخ : « المقارنة » .

(٤) ق : « أولياؤك » .

(٥) ق : « السؤال » .

(٦) ق : « بمركب » .

يزاد كذا وكذا ، وتحت « تَفَضَّل » قد فعلنا ، وتحت « أدْنِ » قد أدنيناك[١] وتحت « سُرَّ » قد سررْناك .

فقال أبو الطيب : إنما قلت « سَ [illegible] هبْ سُرِّيَة لى[٢] فأمر بجارية له ، وتحت « سَلِّ » قد فعلنا .

ويحكى أن المعقلى « وكان شيخًا ظريفًا » قال لسيف الدولة : قد فعلتَ به كلَّ شىء سألك ، فهلاّ قلت : لما قال : « هِشَّ بِشَّ » هِئْ هِئْ : يحكى الضّحك ، فضحك سيفُ الدولة وقال : اذْهب يا ملعون .

٤١- لَعلَّ عتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ ٱلأَجْسَامُ بالعِلَلِ

يقول : لعلِّى أتأدّب بعد عَتْبك علىّ ، ثم بعد عفوك عنّى هذه الكرة ، فيكون عَتْبك علىّ تهذيبًا لأدبى ، ويؤدى إلى العاقبة المحمودة ، كما أن [٢٢٩ - ا] بعض العِلَل يكون محمودَ العاقبة ، لما يؤمن معه من الأمراض ، كالزّكام ، فإنه يؤمن معه من أدواء كثيرة من أدْواء الرأس ، ويعقبه الصّحة . كالفتور الذى ينال شارب الدواء ثم يتعقبه صحّة كثيرة[٣] وكضرْب المؤدب للغلام .

قال ابن جنى : وهذا مِنَ الكلام الذى يقضى بفضله كلُّ[٤] مَنْ فهمه .

٤٢- وَمَاسَمِعْتُ - وَلاَ غَيْرى - بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ ٱلْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ

« عن رَجل » : عنى به نفسه ، كأنّه كان قد كذَب عليه بعضُ حاسديه عند سيف الدّولة ، ولم يَقْبَلْ قَوْله ، ولكنه عاتبه على ذلك من غير علم هذا الحاسد .

---

(١) ق : « أدنينا » .

(٢) فى الواحدى رواية عن ابن جنى : إنما قلت سَرِّ من السُّرية . وفى التبيان : قال أبو الطيب إنما أردت من التّسرية . والسُّرِّيَةُ : هى الجارية المملوكة .

(٣) ق : « كثيرة الخطر » .

(٤) ق : « كله » .

فقال : لم أسمع أنا ولا غيرى بملك يقتدر على الانتقام . « أذبّ منك [لزور القول] عن رجل » سعى[1] إليك بزور القول .

٤٣–لأَن حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تكَلَّفُهُ لَيْسَ التَّكَحُّلُ فى الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ

الكَحَلُ : أن تكون أشفار العين سوداً[2] خِلْقةً . والتَّكَحّل : استعمال الكحل .

يقول : إنما توقَفُ على أمْر مَنْ يَسْعى عندك ، لأنّ حلمك فى طباعك غير متكلِّف ، فلا يتغيّر بسعاية ساعٍ ، كما يتغير الحكم التكلّفى . فحلمك ثابت لا يزول ، كما أن الكَحَل فى العين إذا كان خِلقة لا يزول ولا يحول ، وحلم غيْرك من الملوك متكلِّف سريع الانتقال ، كما أن التكحّل لادوام له .

٤٤–ومَا ثَنَاكَ كَلامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ
ومَن يَسدُّ طَرِيقَ الْعارِضِ الْهَطِلِ[3] ؟!

ماثناك : ما صرفك . والهطل : المتتابع ، وروى : و « مِنْ يَرُدّ » و« مَنْ يَسدّ » شبّه كرمه بالعارض الهَطل[4] فقال : فكما أن أحداً لا يمكنه سد طريق العارض الهطل ، كذلك لا يمكن أحد أن يمنعك من استعمال الكرم .

٤٥–أنْتَ الْجوادُ بِلا مَنٍّ وَلاَ كَدَرٍ وَلاَ مِطَالٍ وَلاَ وَعْدٍ وَلامَذَلِ

المذل : الضجّر من الشّئ[5] .

يقول : أنت الجواد الذى لا يمن بعطائه ، ولا يكدر معروفه بالمنّ وغيره ، وليس فى عطائه مطل ولا مدافعة ولا وعد ، بل يعطى العطيّة ابتداءً ، ولا يضجر من جوده ولا يندم .

(١) ق : « سىء » والتكملة من نص البيت يقتضيها السياق .
(٢) فى النسخ : « سودٌ » .
(٣) سقط هذا البيت وشرحه من « ق » والتكملة من « مو » .
(٤) العارض الهطل : السحاب الكثير المطر .
(٥) مو : « الملل : الضجر من المشى » .

وقيل : معناه أنه يجود بالتثبت والسكون ، لا بالطيش والخفّة .

٤٦-أَنْتَ الشّجَاعُ إِذَا مَالَمْ يَطأْ فَرسٌ غَيْرَ السَّنَّوْرِ وَالأَشْلاَءِ وَالقُلَلِ

السَّنَّور : قيل : جميع[١] السلاح ، وقيل : هو ما يلبس من السّلاح ، كالدروع ونحوها ، والأشْلاء : جمع شِلْو ، وهو جسد المقتول . والقُلَل : الرءوس

يقول : أنت الشجاع المشهور ، فى حال لا يقع حافر فرسه[٢] إلا على أجساد القتلى ، ورءوسهم وسلاحهم .

٤٧-وَرَدَّ بَعْضُ القَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِن نُفُوسِ الْقَوْمِ فِى جَدَلِ

يقول : أنت الشّجاع إذا ضاق المجال ، وقرع القنَا بعضه بعضًا ، فصار الرمح يردّ الآخر عن الطعن ، كما يردّ الخصم حجّة خصمه .

شبه النفوس بالمعانى ، والرماح بالحجج ، والاعتراضات التى تدور بين الخَصْمين والحرب بالجدال[٣] . وهذا البيت متصل بالذى قبله .

والمعنى : يعنى أنه الفارس الشجاع فى جميع الأحوال .

٤٨-لاَزِلْتَ تَضْرِب مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرُضٍ
بِعاجِلِ النَّصْرِ فِى مُسْتأْخِرِ الأَجلِ

عن عُرُض : أى عن يُمْنَةٍ ويُسْرة ، وهو متعلّق بقوله « تضْرب » .

يقول : لازلت تضرب أعداءك معترضًا لهم بسيفك ، والله يؤيدك بنصرٍ[٤] قد عجّله لك ، وأجلٍ قد أخّره الله عنك ، فكأنّه [٢٢٩ – ب] أخر الله أجلك ، وعجّل نصرك .

---

(١) ق : « جمع » .

(٢) ق : « فرسه » . ع ، مو : « فرس » .

(٣) الجدل والجدال والمجادلة : هو مايدفع به أحد المتجادلين حجة صاحبه ، وهو شدة الخصومة .

(٤) مو : « بنصره » .

(١٩٨)

فاستحسن سيفُ الدولة ومن حضره القصيده [هذه] وأطنبوا فى وصفها ، فقال ارتجالا[١] :

١ – إنّ هَذا الشّعرَ فى الشّعرِ مَلَكْ سَارَ فَهُوَ الشّمسُ وَالدُّنْيَا فَلَكْ

يقول : شِعْرى ملَك الشِّعر ، كما أنّك ملكْتَ الخلْق ، وهو شمسٌ يسير فى الدنيا ، كما تسير الشمس فى الفَلَك[٢] .

٢ – عَدَلَ الرَّحْمٰنُ فِيهِ بَيْنَنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِى وَالْحَمْدِ لَكْ

يقول : عدلَ الله تعالى فى قسْمة هذا[٣] الشعر بينى وبينك ، فأعطانى لفظه ، وأعطاك معناه . وهو الحمد والثّناء .

٣ – فَإِذَا مَرَّ بِأُذْنَىْ حَاسِدٍ صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلَكْ

يقول : إذا سمعه مَنْ يحسدك على مجدك ، ومن يحسدنى على فَضْلى ، غلب على قلبه الحسد ، فأهلكه ، فيهلك بسببه .

(١٩٩)

ولما أنشده : « أَقِلْ أَنِلْ »[٤] رأى قوماً يعدّون ألفاظه فزاد فيه وأنشده[٥] .

---

(١) الواحدى ٤٩٥ « فلما أنشد هذه القصيدة استحسنوها فقال » . التبيان ٢/٣٧٤ : « ولما أنشد أحاب دمعى ...إلخ » استحسنها فقال » . الديوان ٣٣٢ : نص ماهومذكور. العرف الطيب ٣٥٤ .

(٢) الفلك : هو مدار الشمس والقمر والنجوم .

(٣) مو : « تعالى تعرفنى قسمة هذا » .

(٤) البيت رقم ٤٠ من القصيدة رقم ١٩٧ .

(٥) ق : « وأنشد مرتجلا » . الواحدى ٤٩٥ : « ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه =

١ - أَقِلْ ، أَنِلْ ، أُنْ ، صُنْ ، احْمِلْ ، عَلِّ ، سَلِّ ، أَعِدْ
زِدْ ، هَشّ بَشَّ ، هَبِ ، اغفِرْ ، أَدْنِ ، سُرَّ ، صِلِ[1]

أُنْ : أَمْرٌ من الأَوْن[2] ، وهو الرفق . وصُنْ أَمْر من الصِّيانة ، والمراد به حفظ الجاه .

(٢٠٠)

فرآهم يستكثرون الحروف فقال[3] . [يظهر مقدرته على جمع كلمات كثيرة فى بيت واحد] .

١ - عِشِ ، ابْقَ ، اسْمُ ، سُدْ ، قُدْ ، جُدْ ، مُرِ ، انْهَ ، رِهْ ، فِهْ ، اسْرِ ، نِلْ
غِظِ ، ارْمِ ، صِبِ ، احْمِ ، اغزْ ، اسْبِ ، رِعْ ، زَعْ ، دِهْ ، لِهْ ، [4] اثْنِ ، بَلِ

عِشْ : من العيْش ، وابْقَ : من البقاء ، واسْمُ : من السُّمُوّ . وسُدْ : من السِّيادة ، وقُدْ : من قاد الجيش ، وجُدْ : من الجُود ، ومُرْ : من الأمر بالشىء ، وانْه : من النهى ، أى لازلت آمرًا ناهيا . ورِهْ : من وريته أُريه ، وهو داء فى الجوف ، أى أصب العدوّ بهذه الآفة . وفِهْ : من الوفاء بالعهد ، واسْرِ : من السَّرِيّة ، أى جهز الجيش إلى الأعداء .

= فقال » . التبيان ٣/ ٨٩ « ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه » . الديوان ٣٣٢ « ولما أنشد : أقل أنل رأى أقوامًا يعدون ألفاظه فزاد فيه وأنشده » .

(١) يقول ابن الأثير عندما أخذ فى الكلام على هذا العيب : فهذه ألفاظ جاءت على صيغة واحدة وهى صيغة الأمر .. وهذا تكرير للصيغة وإن لم يكن تكرير للحروف إلا أنه أخوه ، ولا أقول ابن عمه ، وهذه ألفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالا . المثل السائر ١/ ٣٠٠ .

(٢) فى النسخ : «وأذن : أمر من الأذن وهو الرفق» والتصويب من الواحدى والتبيان والديوان .

(٣) هى كما ذكر فى النسخ والواحدى ٤٩٥ والتبيان ٣/ ٨٩ والديوان ٣٣٢ والعرف الطيب ٣٥٥ .

(٤) مو : « ر . ف » « د . ل » ويذكر محقق الديوان أن فى نسخة ابن جنى . إذا أنشد البيت سقطت هاءات الوقف وهى : ره ، فه ، ده ، له وبراوية التيمورية روى الواحدى وصاحب التبيان والعرف الطيب وشرحو بها .

وقيل : معناه الدّعاء ، أي لازلت أبدًا تسرى إلى أعدائك . ونَلْ : من النّيل ، وهو الإدراك ، أي لازلت تدرك من أعدائك إرادتك ، ويجوز « نُلْ » بضم النون من نُلْتهُ : أي أعطيته . وغِظْ : أي غظ حسّادك بما يرون من إقبال دولتك وارْمِ : من يكيدك . وصِبْ : من صَاب السَّهمُ الهدفَ ، أي أصابه ، أي لازلت ترمى أعداءك فتصيب مقاتلهم . واحْمِ : من حميتُ الرّجل إذا منعته ، أي احفظ حوزتك . واغْز : من الغزو . واسْبِ : من السّبى أي لازلْت أبدًا تغزو الأعداء ، وتسبي زراريهم . ورَعْ : أي أفزع أعداءك ، أي لازلت كذلك . زَعْ : أي كفّ شر أعدائك . دِهْ : من وديت القتيل ، إذا أعطيت ديته ، أي لازلت تحمل الدّية عن القاتل لكرمك . لِهْ ، من الولاية ، أي لازلت تلى الولايات . واثْنِ : أي اصرف أضدادك عن الوصول إليك : وقيل اثْنِ من ثنَّيت الفعل إذا فعل مرة بعد مرة . أي لازلت كلما وليت ولاية ثَنَّيتَها بأخرى ، وشفعتها بما هو خير منها ، وبِلْ : من الوَبل . وهو المطر اذا اشتد ، أي لازلت تعطى عطاء كالوابل .

وهذا البيت لم يسبقه أحدٌ إلى مثله . ولا لحقه أحد فيه ، وهو مركَّب من أربع [١] وعشرين كلمة ، وهي مع ذلك فصيحة ، وقد قال قبله عدة من الشعراء فلم يزيدوا على عشر كلمات [٢٣٠ - ا] كقول أبو العميثل [٢] :

اصْدقْ ، وَعِفّ ، وَبر ، واصْبر ، واحْتَمِلْ
وَاحلُم ، وَدَارِ ، وَكَافِ ، وَانصُرْ ، وَاسْمَع [٣]

---

(١) فى النسخ « وهى مركبه من أربعة » .

(٢) فى النسخ « ابن العميثل » . وهو أبو العميثل الأعرابى . عبد الله بن خليد ، مؤدب ، من الشعراء الفضلاء ، كان أبوه مولى لبنى العباس ، قيل أصله من الرىّ ، ونشأ عبد الله فى البادية واتصل بالأمير طاهر ابن الحسين ، ثم كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره إلى أن توفى سنة ٢٤٠ وفيات الأعيان ١/ ٢٦٢ والبيان والتبيين ١/ ٢٨٠ وطبقات ابن المعتز ٢٨٧ .

(٣) الوساطة ٣٣٧ وفيه « واصفح ودار وكاف وابذل واشجع » . الورقة لابن الجراح ١١٧ وديوان المعانى ١/٥٣ ضمن أبيات كثيره فى عبد الله بن طاهر . وفيه : « اصدق وعف وجد وانصت واحتمل » وشرح البرقوقى ٣/٢٦٠ « واشجع » بدل « واسمع » .

والأصل قول امرئ القيس :

أَفَادَ ، وَجَادَ ، وَسَادَ ، وَحَادَ وَقَادَ ، وَبَادَ ، وَعَادَ ، وَأَفْضَلَ[1]

فقال سيف الدولة : أيمكن أكثر من هذا ؟! فقال : نعم ولكن يغيظ جدًّا

٢ - وَهَذا دُعاء لَوْ سَكَتُّ كُفِيتُه لأَنِّي سَأَلْتُ اللهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ

أي هذا الدعاء أمْر زائد ، لأن كلما سألت الله فيك ، قد فعله اللهّ فيك ، فلو سكتّ كنت كفيته .

(٢٠١)

وقال أيضًا وقد حضر مجلسَ سيف الدولة في شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة ، وبين يديه طلع ونَارَنْج ، وهو يمتحن الفرسان فقال لابن جشّ (وهو شيخ المصِّيصَة[2] وكان عالما) : لايُتَوَهَّم أنّ هذا للشّرب . فقال أبو الطيب ارتجالا[3] :

١ - شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرب الشَّمُولِ تُرُنْجُ الهِنِد أَوْ طَلْعُ النَّخيلِ

الشَّمول : الخمرة . وسميت بذلك لأنها تشمل عقل شاربها ، وقيل : لأنها

---

(١) ديوانه ١٩٤ روايته .

أفاد ، فجاد ، وساد ، فزاد . وقاد ، فذاد ، وعاد ، فأفضل .

وفي البيان والتبيين ط بيروت ١١٧/٤ .

أفاد ، وجاد ، وساد ، وزاد ، وقاد ، وذاد ، وعاد ، وأفضل

وهو كذلك في التبيان ٨٦/٣ وشرح البرقوقي ٢٦٠/٣ .

(٢) من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم وكانت من الأماكن التي يرابط بها المسلمون . انظر البكري وياقوت .

(٣) الواحدي ٤٩٦ وحضر مجلس سيف الدولة في شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وبين يديه نارنج وطلع ، وهو يمتحن الفرسان ، وقال لابن جش شيخ المصيصة لايتوهم هذا للشرب فقال . التبيان ٩٠/٣ : « وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه ترنج وطلع وهو يمتحن الفرسان ، فقال لابن شيخ المصيصة لايتوهم هذا الشرب فقال » . الديوان ٣٢٣ كرواية الواحدي . العرف الطيب ٣٥٦ .

تجتمع شمْل الندامى عليها . والتّرنج : جمع ترنجة ، وهى لُغة . والأصح : الأتْرج ، والأُتْرجّة . والطلع : الثمر : أوْل ما يَخرج وهو فى كمّة ، وكان الذى بين يدى سيف الدولة هو نارنج فسماه أُترجًا ، لأنه نوع من أنواعه .

يقول : هذا الطلْع والأتْرج بعيد من الشّرب عليه ، لم يُحْضَر لذلك[1] .

قوله : « ترنج الهند » مبتدأ ، « وشديد البعد » خبره مقدم عليه .

وقال ابن جنى : فى الكلام حذف . فقوله « شديد البعد » خبر ابتداء محذوف ، أى أنت شديد البعد . وقوله : « ترنج الهند » : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى عندك ، أو فى مجلسك ، أو بيْن يديك « ترنجُ الهند » . وعلى الوجه الأول لاحذف فيه ، وهو أولى و « أو » فى قوله : « أو طلع النخيل » بمعنى الواو ، كما قيل فى قوله تعالى : (أَوْيزيدونَ)[2] .

٢ – وَلكِنْ كُلُّ شَىْءٍ فِيهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقيق إِلَى الجَلِيلِ

يعنى : أنك لم تحضر هذا لأجل الشُّرب ، ولكن لأجل طيبه ، وكل شيء فيه طيّب دقّ أوْ جلّ ، فهو عندك وبيْن يديْك .

٣ – وَمَيْدانُ الفَصَاحَةِ وَالْقَوافِى وَمُمْتَحَنُ الْفوارِسِ وَالْخُيُولِ

مُمتَحَن : يجوز أن يكون موضع الامتحان ، ويجوز أن يكون مصدرًا كالامتحان .

يقول : عندك أيضًا مجال الفصاحة ، والأشعار ، لمعرفتك بهما ، وعندك موضع امتحان الفوارس والخيل ، لأنك أعرف الناس بهذه الأشياء كلّها[3] .

---

(١) أى وإن كان غيرك يتخذهما لذلك ، لأن هذه الحال غير مظنونة بك ، وإنما استحضارك لهما ، ولما يشاكلهما من الرياحين ، استمتاعا بحسن ذلك ، لا مخالفة فيه إلى مايكره ، وكل شيء طيب حسن يحضر بمجلسك الكريم . الواحدى ، التبيان .

(٢) سورة الصافات ٣٧/ ١٤٧ : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) .

(٣) مو : « كلها » مهملة .

(٢٠٢)

فلم يتبيّن معنى البيت الأوّل لقوم حضروا فقال[1] [يرد على من أنكر عليه استعمال لفظ : التّرنج] :

١ – أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي

الأصيل : هنا[2] القويّ المكين الذى له أصل .

يقول : إنما نطقت بكلام العرب الفصيح ، وكان وصفى بقدْر ما شاهدتُه ورأيته فى الحال .

٢ – فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ

أى تعرض له وناقضه ، والهاء فى « منه » تعود إلى « منْطق الْعَرب » وكذلك فى قوله : « فعارضه » .

يقول : عارض قولى الفصيح قوْلٌ ركيكٌ ضعيف [٢٣٠ – ب] كان كلامى ذكَر ، وكلام مَنْ عارضنى أنثى . وهذا كقول الرّاجز :

إنّى وَكُلّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرْ
شَيْطَانُهُ أُنْثَى وَشَيْطَانِي ذَكَرْ[3]

---

(١) فى الديوان : « فلم يبن معنى البيت الأول لقوم حضروا ، وذلك أن المعروف فى اللغة الأترج لا الترنج ، وهو قال : « ترنج » فلهذا أنكروا فقال » . وفى الواحدى : « وعارض المتنبى بعض الحاضرين فى هذه الأبيات وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيد انت من شرب الشمول على النارنج أو طلع النخيل
لشغلك بالمعالى والعوالى وكسب الحمد والذكر الجميل
وقدح خواطر العلماء فحصا وممتحن الفوارس والخيول

فقال أبو الطيب . وقد وردت هذه الأبيات فى التبيان عند شرح البيت . وفى التبيان : « وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد ... إلخ فقال . العرف الطيب ٣٥٧ .

(٢) مو : « هنا » مهملة .

(٣) نسب إلى أبى النجم العجلى فى ديوان المعانى ١/١١٣ وروايته : « وجدت كل شاعر من

٣ – وَهَذَا الدُّرُّ مأْمُونُ التَّشظِّى وَأَنْتَ السَّيْفُ مأْمُونُ الْفُلُولِ

التشظِّى : التكسّر ، والتشقق

يقول : كلامى درّ مخالف للدرّ الحقيقىّ ؛ لأن الدرّ غير مأمون التشظّى ، وكلامى لا يقع فيه خلل . كما أنك سيف لا يخاف عليك الفلول [١] فهو سالم عن كلّ عيب بخلاف سائر السيوف .

٤ – وَلَيْسَ يَصِحُّ فى الأَفْهَامِ شَىْءٌ إذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيلِ

يعنى : إنما يقام الدّليل على الشىء الخفىّ ، فأما الظاهر الجلىّ ، فهو بمنزلة النّهار الذى لا يحتاج إلى الدّليل ، لأنّ كلّ من رآه عرفه ، ومن خفى عليه ضوء النهار ، فلا فائدة لإقامة الدّلالة فى حقه ، إذ المعاينه أقْوى ، والمشاهدة أوْلى ، وهذا كقول البحترى :

عَلَىَّ نَحْتُ الْقَوَافِى مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَىَّ إذَا لَمْ تَفْهَمِ الْبَقَرُ [٢]

(٢٠٣)

وقال أيضا وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الرّوم ، وقد ورد يلتمس الفداء ، وركب الغِلْمانُ بالتجافيف ، وأحضروا لبؤة مقتوله ، ومعها ثلاثة أشبال أحياء ، وألقوها بين يديه ، فقال ارتجالا لليلتّين خلتا من ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة [٣] :

= البشر » . والتبيان ٣/٩٢ والواحدى ٤٩٧ وشرح البرقوق ٣/٢٦٦ ومعاهد التنصيص ١/٢١ ومحاضرات الأدباء ٢/ ٦٣٠ . وأبو النجم من رجاز الإسلام وفى الطبقة الأولى من الرجاز .

(١) الفلول : جمع فل ، وهو مايلحق السيف من الضرب به .

(٢) ديوانه ٢/٩٥٥ والوساطة ٣٤٨ وفيهما :

على نحت القوافى من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر

المثل السائر ٢/٧٤ وفى معنى بيت المتنبى يقول ابن الأثير : إن نور الشمس إذا لم يره الأعمى ، لا يكون ذلك نقصًا فى استنارته ، وإنما النقص فى بصر الأعمى حيث لم يستطع النظر إليه .

(٣) الواحدى ٤٩٧ : « وقال فى ذى القعدة من هذه السنة ، وقد ورد رسول ملك لروم =

١- لَقِيتَ الْعُفَاةَ بِآمالِهَا وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِآجالِهَا

العُفاة : طلاّب المعروف .

يقول داعيا : لازلْتَ تلقَى العفاة بآمالها ، يعْنى إذا لقيتهم أعطيْتَهم وأغنيتَهم ، ولازِلْت تقصد أعداءك وتفْنِيهم .

٢- وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِي إلَيْـ ـكَ بَيْنَ اللُّيوثِ وَأَشْبَالِهَا

أطلق لفظ الرّوم جملةً على رسولهم ، لمّا كان منهم .

يقول : إن الروم قصدتْ إليك تمشى بين اللّيوث المقتولة ، وأولادها . وجعل اللّيوثَ : لبؤة .

٣- إذَا رَأَتِ الأُسْدَ مَسْبِيَّةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا ؟

يقول : إذ رأتك الروم وأنت تقتل اللّيوث وتسبى أولادها ، علمت أنها لا تقْدر على الفرار بأوْلادها الصِّغار ، وإنما قال : «مسبيًّه» لأنها كانت أحياء .

(٢٠٤)

وقال أيضا يذكر الفداء الذى التمسه الرسول ، وكتاب ملك الرّوم الوارد معه [١].

١- لِعَيْنيكِ مَايَلْقَى الفُؤادُ ومَالَقِي وَلِلْحُبِّ مَالَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَابَقِي

= يلتمس الفداء ، فركب الغلمان بالتجافيف ، وأظهروا العدّة وأحْضروا لبؤةً مقتولة ومعها ثلاثة أشبال فى الحياة فألقوها بين يديه » . التبيان ٣/٩٢ : « ودخل عليه سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وعنده رسول ملك الروم ، وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ، فقال مرتجلا » . الديوان ٣٣٤ : « وقال وقد دخل إلى سيف الدولة فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ، وقد جلس لرسول ملك الروم ، وقد ورد يلتمس الفداء ، وركب الغلمان بالتجافيف ، وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال أحياء وألقوها بين يديه » . العرف الطيب ٣٥٧ .

(١) ق : « الوارد معه بقوله » . الواحدى ٤٩٧ : « وقال يمدحه ويذكر كتاب ملك الروم الوارد عليه » . التبيان ٢/٣٠٤ : « وقال يمدحه ويذكر الفداء الذى طلبه رسول ملك الروم ، وكتابه إليه » . الديوان ٣٣٦ : « وقال بعد ذلك يذكر الفداء الذى التمسه الرسول وكتاب ملك الروم الوارد معه » . العرف الطيب ٣٥٨ .

مَايَلْقى : مبتدأ بمعنى الّذى . ولعَيْنَيْكِ : خبر مقدم عليه ، وكذلك المصراع الثانى يقول : كلّ شىء لقى قلبى من ألم الشّوق فيما مضى ، وفيما يلقاه[١] من بعد فهو بسبب[٢] عينَيْك ، ولأجل حسْنِها .

وقيل : يعنى حلالٌ لعينيْكِ ما لقيته وما ألقاه ، والمراد جعلتُ قلبى لعينيكِ ، فكلّ ما يمرّ عليه معفوّ عنه .

وقيل : أراد ، ظاهرٌ لعينيك ما يلقاه فؤادى وما لقيته ، وكذلك فى المصراع الثانى . إنّى ما لقيت من نحول جسمى ، وهزال بدنى ، وما بقى منه ، فهو لأجل حبك ، أو هو حَلاَلٌ ، أو ظاهر للحب .

وقيل : أراد كأنّ الحب ملكه يتصّرف فيه تصّرف الملاّك فى الأمْلاك ، فأذهب بعضَ جسمه بالهُزال ، وأبقى بعضَه وقيل : أذهب قوّتى وأبقى [٢٣١ – ا] جسمى .

وقيل : أراد عمرى الذى مضى وبقى . وقيل : أراد بمابقَى[٣] روحه وبمَالم يبْق جسمه .

٢– وَمَاكُنْت مِمَّن يَدْخُلُ ٱلْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ

يقول : لم أكن ممّن يميل به أسباب الهوى ، ولكنّى لما أبصرت جفونَكِ ، وغُنْج[٤] عينيك صرت عاشقًا لك .

٣– وَبيْنَ الرِّضَا والسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوى
مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقْرِقِ

---

(١) مو : « ومايلقاه » .

(٢) ق : « فهو سبب » .

(٣) ق : « بما أبقى » .

(٤) الغنج : ملاحة العينين . اللسان .

يقول : لا أزال أبكي في حال رضى الحبيب ، خوفا من سخطه ، وفي حال سخطه ، لحصوله ، وفي حال القرب ، خوفا من النوى ، وفي حال النوى لحصولها ، فبيْن كلّ شيء من هذه الاحوال مجالٌ لدمع السائل . ومثْله لآخر .

فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شوقًا إِلَيْهِم وَيبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِراقِ(١)

٤ – وَأَحْلَى ٱلْهَوَى مَاشَكَّ فِي ٱلْوَصْلِ رَبُّهُ
وَفِي ٱلْهجْرِ ، فَهُوَ الدَّهْرَ يَرْجُو ويَتَّقِي

أحْلى ٱلْهوى : مايشُوبه الخوفُ والرجاء ، حتى يكون العاشق مرّةً خائِفًا ومرة راجيًا ، فلا يُشْفَى(٢) بالوصل ، فيزدَري ذلك بحلاوته ، ويؤدّي إلى الملال ، ولايَيْئس من الوصْل رأسا ، فيؤدى ذلك إلى شدة الحزن الّذي يؤدِّي إلى الهلاك فحالة الشكّ والتردّد في الهجر والوْصل ، والوقوف بين حالَتَي الْخوف والرجاء ، ألَذُّ أحْوال الْهوَى .

٥ – وَغَضْبَى مِنَ ٱلإِدْلَالِ سكْرَى مِنَ الصِّبَا(٣)
شَفَعْتُ إِلَيْها مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ

رَيّق كلّ شيء : أوله .

يقول : ربّ جارية غَضْبى ، غَضَبُ الدَّلال لا غَضب الهجران، فكانت من الإدلال غضْبى ومن الشبّاب سكْرى ، توسَّلْتُ إليها بريّق شبابي ، فوصلْتُ منها إلى ما أحبّ ، أي نظرتْ إليَّ فعشقتْني ، لأجل شبابي ، وساعدتني على مُرادي ، فكأنَّ الشبابَ كان شفيعًا عندها .

٦ – وِأَشْنَبَ مَعْسولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ سَتَرْتُ فَمِي عَنْه فَقَبَّلَ مَفْرِقِي

الأشْنبُ الثّغْر : الذى له شنَب ، وهو بَرْدُ الأسنان . وقيل : إنه حدّة

---

(١) غير منسوب في الحماسة ٥٤٠ محاضرات الأدباء ٢/ ٨٨ والتبيان ٢/ ٣٠٤ وشرح البرقوقي ٥٧/٣ والوساطة ٢٣٥ وروايته : « إن نأى ... إن دنا » والتبيان ١٠٣/٤ وروايته : « فأبكي .. وأبكي » . (٢) ق : « فلا يتق » . (٣) ق : « من الهوى » .

الأسنان ، وقد جعله صفةً لشخص : أى وربّ حبيبٍ ذى ثغر أشْنَبَ . والمعْسُول : الحلْو ، كأنه جعل فيه العسل . والواضِح : الأبيض المضىء .

يقول : مازلت أطلب العفاف ، حتى فى حال الخُلْوة مع الحبيب ، وربّ حبيب ثناياه باردةَ عذْبة ، حلْوة الترشّف ، عفَفْتُ عنه حين خلوت به ، وأراد أن يقبّل فمى ، فسترت فمى عنه ، لأنه موضع التلذّذ بالقبلة ، فقبّل مفْرقى ليدلّ إلىّ فلَمْ أستر المفرق ، لأن ذلك للعظمة لا لللذّة .

٧ - وَأَجيادِ غِزلَانٍ كَجِيدكِ زُرْنَنِى فَلَمْ أَتَبيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطوَّقِ

العَاطِل : الذى لا حَلْى عليه . والمُطوَق : اللابس للطَّوْق[1]

يقول : ربّ نساءٍ مثْلكِ كأنّ أجْيادهن أجْياد الغزلان ، جئن لزيارتى ، فلم أنظرْ إليهنّ وإلى أجيادهنّ ، لعفّتى ، حتى لمْ أتبيّن العاطِل منهنّ من المطوّق . والمقصد وصْفُ نفسه بالعفّة .

٨ - وَمَا كُلّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلاَ عَفَافِى وَيُرْضِى الْحِبَّ والخَيْلُ تَلْتَقِى

إنّى[2] إذا خلوْتُ عَففتُ ، وكذلك أنا أرضى حبيبى فى حال التقاء الخيل ، لشجاعتى ، لأنّ . المرأة من العَرب يعجبها أن يكون خليلها[3] شجاعًا مقدامًا . وقيل : أراد بإرضائِه [٢٣١ - ب] الحبيب فى حالة الحرْب[4] : الدّفع عنه . والذّب دونه ، كقول عمرو بن كُلْثوم[5] :

يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا

(١) المراد : الذى قد تطوق بالحلْى . (٢) ق ، مو : « فإنى » .
(٣) ق : « حليلها » بالحاء المهملة . (٤) ق : « فجعل الحرب » .
(٥) هو : عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبى شاعر جاهلى من أصحاب المعلقات وشعره مرجع تاريخى واجتماعى ، قوى العاطفة متين السبك . وكان ابن كلثوم من الشعراء المقلين تحله الناس من الشعر ماليس له فتقاذفته شكوك الأدباء . انظر الأدب الجاهلى ٢٧٧ ، الشعر الشعراء ٣٤٠ الأغانى ق ١١/ ٤٧ - ٤٨ .

إذا لم تمنعن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا[١]

وقال المخزومي[٢] في معنى البيت: هو أن يقول أعف كرمًا وأكتم هواي[٣]، فإني أرعى الهوى وأحافظ عليه في ملتقى الخيل، والمراد بإرضاء الحبيب رعاية الهوى، وفي ذلك خصلتان:

إحداهما: الدلالة على أن الهوى عند ذوي الوفاء لا يشغل عند الشدائد كقول أبو عطاء[٤]:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر[٥]

وكقول الآخر:

ولقد ذكرتك والسياط تنوشني عند الإمام وساعدي مغلول[٦]

ولقد ذكرتك والذي أنا عبده والسيف عند ذؤابتي مسلول[٧]

والثانية: الدلالة على كونه رابط الجأش[٨] عند التحام القتال، حتى لم يشتغل

---

(١) لم نعثر على البيت الثاني منهما في شرح الزوزني ولكنهما في شرح القصائد العشر للتبريزي برقمي ٨٨ – ٨٩ ص ٢٣٧ من معلقة عمرو بن كلثوم ورواية البيت الثاني فيها: « إذا لم نحمهن » والبيت الأول منهما في شرح المعلقات السبع للزوزني ٢٥٧/ ٨٧ والتبيان ٢/ ٣٠٧ . وأخبار المراقسة للسندوبي ٣٣٣ ملحق بديوان امرئ القيس ط السلفية وفيه: « بخير بعدهن » .

(٢) هو: أبو محمد طاهر بن الحسين بن يحيى المخزومي البصري حسن التصرف في الشعر يعدل من أهل العراق: ابن بابك وابن نباتة، وله مصنفات منها كتاب « فتق الكمائم في تفسير شعر المتنبي). تتمة اليتيمة ١/ ٢٠ والصبح المنبي ٢٦٩.

(٣) ع: « لقبول هواي » مو « أعف كرما هواي » .

(٤) في النسخ « ابن عطاء » . وهو: أبو عطاء كنيته، وهو: أفلح بين يسار مولى بني أسد منشؤه بالكوفة، مخضرم مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سنديًا أعجميًا لا يفصح وكان في لسان أبي عطاء عجمة شديدة ولثغة فلا يكاد يفصح، وله غلام فصيح سماه عطاء وتكنى به وكان يرويه شعره، ومات في آخر أيام المنصور. مختار الأغاني ١/ ٤٠٧– ٤١٥.

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٦٧ .

(٦) غير منسوب في مصارع العشاق ١/ ١٠٨

(٧) هذا البيت لم يذكر في ق .

(٨) ق، مو « الجيش » .

خاطره عن الهوى فى ذلك الحال[١] .

٩- سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصِّبَا مَايَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعَتَّقِ

البَابلىّ : منسوب إلى بَابِل ، وهى أرض العراق ، وأراد به الشّرَاب ، والمعتّق : القديم ، ويفعل : أى وَمَا يفعل . وقوله : «مايسرُّها» يحتمل معنين :

أحدهما : سقى الله من الغيث قدر ما يبلغ مرادها من الرِّى ، حتى لا يكون قاصرًا عن إرادتها ، ولا زائدًا عن حاجتها فيكون مثل قول الآخر :

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى[٢]

الثانى : أهدى[٣] إليها السّرور ، كما سُرِرنا بها ، وذلك أنه رأى أن دعاءه للصِّبَا بالسقيا[٤] لا معنى له ، لأنها أوقات وزمان ، فقال : سقاها الله شيئًا يهدى إليها السرور والارتياح ، يفعل بها فعل الشّراب ، فكأنه قال : سقاها الله خمرًا يسرُّها .

١٠-إذا مَالَبِسْتَ الدَّهر مُسْتَمْتِعًا بِهِ تَخَرَّقْتَ وَالملبُوسُ لَمْ يَتخرّقِ[٥]

يقول : إذا كنت لابسًا لِلدَّهْر ، وتستمتع به وتعيش فيه ، تخرقت أنت ، والملبوس الذى هو الدهر ، لم يتخرق ، بل يكون أبدًا جديدًا ، بخلاف سائر

(١) فى هامش مو : وكثير من هذا الفن تغزل به الشعراء .قال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف كأنها لمعت كبارق غيثك المتبسم
ولقد ذكرتك حين قابلت العدا والسيف يحصد منهم كالمنجل
والرمح مياس كقدك طاعن قلب الشجاع وكل قرن مقبل
وترى الشجاع كأن رنة سيفه أشهى إليه من صفير البلبل

(٢) لطرفة فى ديوانه ٦٢ والوساطة ٣٩٨ ونسبه الشارح قبل ذلك ١/ ٢٦٤ من المنسوخ إلى حميد؟

(٣) فى النسخ «أهوى» .

(٤) ق ، مو : «الصبا السقيا» . (٥) مو : «والملبوس والمتخرق» .

الملابس ، فأنت تُبليها وتخرقها ، وهو[1] يبلى الأبدان ، ويفنيها وهذا مثْل قوله :

تَغَيَّر حَالِى وَالليالِى بِحَالها[2]

ونحو قول ابن دريد[3] :

إنّ ٱلجدَيدَيْنِ إِذَا مَا استوْلَيَا عَلَى جَدِيد أَدْنَيَاهُ لِلْبلىَ[4]

وقول الآخر :

وَأَفْنانِى وَلاَ بَقِيَا نَهارًا وَلَيْل كُلَّمَا يمْضِى يَعُودُ[5]

١١–وَلَمْ أَرَ كَالأَلْحاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثْنَ بِكُلِّ ٱلقتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ

المشْفق : قيل من الشّفقة ، التى ترجع إلى معنى المحبة .

يعنى : كنت إذا نظرتُ إليهنَّ ونظرْن إلىّ قَتَلْننى وقتلتُهّن من خوْف الفِراق ، وما مِنّا إلا مشفق على صاحبه ، فلم أرأعْجب من الألْحاظ ، كيف اجْتمع فيها القتل والشفقه !؟ فكأنّه من قول الشاعر :

وَنَبْكِى حِيَن نَقْتلكم عَلَيْكُمْ وَنَقْتلكُمْ كَأَنَّا لاَ نُبَالِى[6]

وقيل : المشفق : الخائف ، ومعناه بعثَت الألحاظُ من كل خائِف من ألم الفراق ، كلَّ أنواع القتل [٢٣٢ – ا] لأنها أبكتهم فسفكت دماءهم وأماتتهم .

---

(١) مو : « وهذا » .

(٢) هذا صدر بيت للمتنبى عجزه .

. . . . فشبّ وماشاب الزمان الغرانق

ديوانه ٦٨ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، من أئمة اللغة والأدب ، صاحب المقصورة الدريدية توفى سنة ٣٢١ .

(٤) شرح مقصورة ابن دريد للتبريزى ٥١ والتبيان ٢/ ٣٠٧ وشرح البرقوق ٣/ ٦٠ .

(٥) نسب الى سجاح بن سباع شاعر جاهلى . فى الحماسة رقم ٣٥٢ والمرزبانى ٤٦٩ وغير منسوب فى شرح الحماسة رقم ٧٧٥ .

(٦) نسب الى القتّال الكلابى فى الحماسة ٤٣ وغير منسوب فى غيون الأخبار ٣/ ٨٨ وفيه :

« فنبكى حين نذكركم عليكم »

١٢- أَدَرْنَ عُيُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ أَحداقُها فَوْقَ زِئْبَقِ

الضمير فى «أَدَرْنَ» للألحاظ ، وروى : «أدرنا»[١] .

يقول : كنّا نقلّب عيونًا حائراتٍ عند وداعنا ، لا تبصر شيئًا مما دهانا من ألم الفراق ، فكأنها من كثرة حركاتها وقلّة استقرارها مركبة على الزئبق ، لأن طبعه[٢] الحركة . وقيل : الحيْرة ليست لامتناع الرؤية ، وإنما هى لاجتماع ظهور الدمع فى العين[٣] وغلبته .

وقيل : معنى البيت كنا نقلب عيوننا فى النظر تارة[٤] إلى العذّال وتارة إلى الأحباب ، فكانت لا تستقر ، كأنها ركبت فوق زئبق[٥] .

١٣- عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ البُكَى وَعَن لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوفُ التَّفَرُّقِ

يعدونا : أى يصرفنا .

يقول : كانت هذه الحالة وقت العشيّة حين كان البكاء يمنعنا من النظر ، وخوف الفراق يمنعنا من التلذّذ بالوداع والعناق .

١٤- نُوَدِّعُهُمْ وَالبَيْنُ فِينَا كَأَنَّه قَنَا ابْنُ أَبِى الْهَيْجَاءِ فى قَلْبِ فَيْلَقِ

الفيلق[٦] : العسكر ، [قلبُ] ، أىْ وَسط .

يقول : كنا نودّع الأحباب ، فى الحال التى كان البين يفعل فى قلوبنا من التفريق مثل ما تفعل رماح سيف الدولة فى قلب عساكر الأعداء من التّفْريق والقتل .

---

(١) ق : «أدرن» .

(٢) ق ، مو ، شو «لأن طبعه» ، ع : «طبعها» .

(٣) مو : «فى الجفن» .

(٤) ق ، شو «تارة» ساقطة .

(٥) الزئبق يوصف بقلة الثبات على المكان .

(٦) فى النسخ «الفيلق : العسكر أو وسطه» .

١٥–قَواضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَعتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ

أى هذه القنا قواضٍ : يعنى تقضى بالموت وتمضى فى الأعداء ، أى لا يردّها شيء إذا وقعتْ فى الدّروع المنسوبة إلى داود ، وتمضى فيها ، كما تنفذ فى نسج العنكبوت والخدرنق[1] : العنكبوت ، والتأنيث فى البيت « للقنا » والهاء فى « فيه » لنسج داود ، وموضع « قواضٍ » رفع لأنه خبر ابتداء محذوف : أى هذه القنا قواضٍ مواضٍ ، كما تقول : هذا حُلْو حَامِض .

وقيل : هو ابتداء الكلام . والمراد أداء السّيوف ، والأول أظهر .

١٦–هَوَادٍ لأَمْلاَكِ الجُيُوشِ كَأَنَّهَا تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الكُمَاةِ وَتَنْتَقِى

هَوادٍ : جمع هادية ، وقيل : هو من هديتُ فلانًا إذا أرْشدته ، ومعناه أن هذه الرماح ترشد الموت ، أى تهديه إلى الملوك وقوّاد الجيْش ، فكأنها تتخيّر أرواح الكماة[2] ، وتنتقى نفوسَ الأمْلاك[3] دون من عداهم .

وقيل : من هدَى بمعنى اهتدى ، فإنّ هدى واهتدى بمعنًى ، أى إن هذه القنا تهتدى إلى الملوك فتقتلهم .

١٧–تَفُكُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ وَتَفْرِى إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ

روى « تَفُكّ » أى تحلّ ، « وتقُدّ » : أى تقطع . وتَفْرى : أى تقطع .

يقول : هذه الرمّاح تقطع على الكماة والملوك دروعهم وجواشِنَهم[4] ، وتخرّق إليهم الحصون والأسْوار والخنادق[5] حتى تصل إليهم ، وتفتح بلادهم .

١٨–يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ وَيَرْكُزُهَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وجِلِّقِ ،

---

(١) ق : « الخذرنق » وهى رواية ذكرها الواحدى .

(٢) الكماة : جمع كمىّ ، وهو الشجاع المستتر فى سلاحه .

(٣) الأملاك : جمع ملك .

(٤) الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع .

(٥) مو ، ق ، شو : « والسور والخندق » .

اللَّقَان : موضع ببلد الروم ، وقيل : جبل . وواسط : مدينة بالعراق[١] بناها الحجاج بن يوسف [٢٣٢ – ب] والفرات : معروف يجيء من بلاد الروم ، ويمرّ على أطراف الشام ، حتى ينتهى إلى العراق ، ويلتقى مع دجلة أسفل بغداد فيصيران نهرًا واحدا ، ويمرّان على البصرة ثم إلى البحر[٢] . وجِلّق[٣] : موضع بدمشق .

يعنى لايزال أبدا يغير برماحه مرّةً فى بلاد الروم ، ومرّة على البوادى التى فى العراق ، ويركزها بين الفرات وجِلّق ؛ لأنها دار مملكته ومعدن ولايته .

١٩–وَيُرْجِعُهَا حُمْرًا كَأَنَّ صَحِيحَهَا يُبَكِّى دَمًا مِنْ رَحْمَةِ المُتَدَقِّقِ

المتدقق : المتكسّر ، يقال : اندق الرّمح ، إذا انكسر ، ولا يستعمل الانْدقاق[٤] إلا فيما كان فيه طول ، مثل الرُّمح ونحوه ، ويقال : سقط فلانٌ فاندقّتْ عنقه .

يقول : يُرْجِع هو رماحَه من الغارات وقد احمرّت بالدّم ، وبعْضها قد تكسّر فى بدن الأعداء ، فكأنّ الصحيح منها يبكى دمًا على ما تكسر منها ، حزنًا عليها ، لأنه من جنسه ، و« دمًا » نصب على التمييز ، ويجوز أن يكون مفعولاً به عن فعل مضمر ، دل عليه . « يُبكى » أى يبكى فيجرى دمًا .

٢٠–فَلاَ تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّه شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

يقول : لا تُبلغا ياصاحِبيّ سيف الدّولة ما أقول ، فإنّه شجاع ، إذا سمع وصف الشجاعة اشتاق إليها .

---

(١) بين الكوفة والبصرة ، كانت على أيام بنى أمية قاعدة العراق ، أخذت فى الانحطاط على عهد العباسيين ثم تحولت عنها مياه دجلة فامحت أراضيها وتوارت تحت رمال الصحراء .

(٢) المراد بالبحر : الخليج العربى .

(٣) قيل : جلّق : اسم لكورة الغوطة كلها . وقيل قرية من قراها . وقيل دمشق نفسها وقيل : صورة امرأة يجرى الماء من فيها بقرية من قراها . وقد وردت كثيرًا فى الشعر العربى .

(٤) مو : « لأنه فاق » تحريف .

وهذا بيت كُثيِّر[١] نقله من النَّسيبِ إلى الشجاعة ، وهو :

فَلاَ تُذْكراه الْحاجبيّة يشْتَقِ[٢]

وهذه السرقة قبيحة ، لأنه أخذ المعنى واللفظ والوزن والقافية .

٢١- ضَرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوف بَنَانُهُ   لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلاَمِ الْمُشَقَّقِ

روى « بصيرٌ » و « لعوبٌ » والمشقَّق : الكلام الذى له خطٌّ فى كل شِق[٣] . ويقال : فلان يشقق فى كلامه[٤] . إذا تصرف فى معانيه . وقيل : هو المُشِقّ من المشقّة[٥] ، أى يَشُقّ على غير الفصيح التكلّم به . يصفه بالشجاعة والفصاحة .

٢١- كَسَائِلِهِ مَنْ يَسأَلِ الْغَيْثَ قَطْرَةً   كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلفَلَكِ : ارفُقِ

يقول : هو يجود بالطّبع ، فمن يسأله[٦] كمن يسأل الغيث قطرة .

وقيل : معناه كما أن القطرة لا توثّر فى الغيث ، كذلك سائِله لا يؤثر فى جُوده ومَالِه ، وكذلك من يعذله على كرمه ، لكونه مطبوعًا عليه ، كمن يعذل الفَلَك على دوْره . وقال له : ارفق فى الحركة .

وقيل : إن من يسأل الغيث قطرة ، فقد تكلّف ما قد استغنى عنه ، وأتى غيثًا ، إذْ قطراته مبذولة ، فكذلك سائل سيف الدولة يتكلف ما لا يحتاج إليه ، لأنه

---

(١) كان كثيّر جيد الأسلوب حسن الصنعة لكنه كان فيا يظهر دعيًّا فى الحب ، توفى سنة ١٠٥ . انظر ترجمته فى الأغانى ٨/١٢٧ ، ١١/٤٦ وابن خلكان ٢/ ١٨٩ وخزانة الأدب ٢/ ٣٧٦ . ومعاهد التنصيص ٢/ ١٣٦ و ١٤٥ ودلائل الإعجاز ٣٢٣ .

(٢) ديوانه ٢٤٩ من قصيدة فى مدح عبد الملك بن مروان . ط بيروت . ورد البيت بتمامه فى الواحدى ٥٠١ والتبيان ٢/ ٣١٠ بهذه الرواية :

فلا تذكراه الحاجبية إنه   متى تذكراه الحاجبية يحزن

وفى مو « إلى حبيبه » مكان « الحاجبية » .

(٣) الشّق : الجانب والناحية .

(٤) مو : « فى الكلام » .

(٥) المشقة : وهى العناء .

(٦) فى النسخ : « فمن يسأل » .

يعطى قبل السؤال ، فنائله مبذول كقطر الغيث .

٢٣–لَقَدْ جُدْتَ حَتّى جُدْتَ فى كُلِّ مِلَّةٍ
وَحتّى أَتاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ

أى : من كلّ ذى منْطق .

يقول : عمَمْتَ بجودك أهل الإسلام ، وأهل الشِّرك ، فحصل لك الشُّكْر من كل ذِى منْطِق .

جعل إجابته إلى الصّلح ، فضلاً منه على الروم .

٢٤–رأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِى الْمتملِّقِ

الارْتياح : الاهتزار للعطيّة ، والمجتَدِى : طالب المعروف . والمتملِّق : المتلطف فى الكلام .

يقول : علم مِلِكُ الروم جودَك ، فبعث إليك رسولَه [٢٢٣ – ا] ، واستوهب منك أسَرَاء الرّوم ، فقام لك مقام السائِل المتلطِّف فى سؤاله ، لعلمه أنك لا تخيب سائِلك .

٢٥–وَخلّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ(١) صَاغِرًا لأدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانَ وَأَحْذَقِ

« صاغرًا » نصب على الحال . و« الدّرْبة » فى معنى العادة والتجربة . والحذْق : إحكام الصنعة .

يقول : إن ملك الروم ترك الرِّماح على رغمٍ منه ، وذلّ لمَنْ هو أعْود للطّعان وأحذق به . وأراد بهِ سيف الدولة ، يعنى أنه ترك قتالك وعدل إلى استِعْطافِك .

٢٦–وكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بعيدٍ مَرَامُهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقُ

يقول : كاتبَك فى الصُّلح من أرْض بعيدة المرام ، ولكنها مع بعدها قريبة

(١) السَّمْهَرِيَّة : منسوبة إلى سمْهَر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح .

عليك ، وعلى خيلك السّوابق التى هى حواليك .

٢٧–وَقَدْ سَارَ فِى مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إلاَّ فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ

المسرى : اسم لمكان السُّرَى ، والهاء فى « منها » للأرض .

يعنى : أن رسول ملك الروم سار فى الطّريق التى سِرْتَ فيها إلى بلاد الروم ، فلم يَسِر إلا فَوْقَ هامٍ مُشقَّقةٍ بسُيوفك .

٢٨–فَلَمَّا دَنَى أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحديدِ الْبارِقِ الْمُتَأَلِّقِ

البارق المتألق : هو اللّامع ، وإنما أتْبع أحدَهما الآخر ، لاختلاف اللّفظين . والهاء فى « مكانه » للرسول .

يقول : وصل الرّسول إليك ، فأخفى عليه مكانه ، بريقُ السيوف ولمعان الأسنّة ، فلم يمكنه أن يبصر موضعه .

٢٩–وأَقْبَلَ يَمْشَى فى البساطِ فَمَا دَرَى إلَى الْبَحْرِ[1] يمشى أمْ إلى الْبدْرِ يَرْتَقِى ؟ !

يقول : لم يدر أيمشى إلى بحر أوْ إلى بدرٍ ، لأنك تشبه البحر فى السخا ، وتشبه البدْر فى النور والبهاء .

٣٠–وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ بِمِثْل خُضُوعٍ فى كَلَامٍ مُنَمَّقِ

المنمّق : المحسن .

يقول : لا يقدر أعداؤك أن يردّوك عن مُهَجَاتهم ، أى أنفسهم ، إلا بالخضوع ، والتملّق بالثناء والتعظيم .

٣١–وَكُنْتَ إذا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إلَيْهِ فى قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ

القذال : مؤخر الرأس . والضمير فى « كاتبته » و « إليه » لملك الرّوم .

يقول : كنت متى أردتَ أن تكتب إلى ملك الرّوم كتبت إليه فى قفا الدُّمستق ،

---

(١) إلى البحر : أراد أإلى البحر ؟ فحذف همزة الاستفهام ودل عليه قوله : « أم » وهو جائز فى الشعر .

وذلك كناية[١] عن هزيمته[٢] ، والجراحة تقوم لك مقام الكتابة[٣] .

٣٢–فَإِنْ تُعْطِهِ بَعْضَ الْأَمَانِ[٤] فَسَائِلٌ   وَإِنْ تُعْطِهِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلِقِ

يقول : إن أعطيته بعض المراد فأمّنته ، فهو سائل ، ومن عادتك ألا تخيّب سائلك ، وإن أعطيته السّيوف ، فهو أجدر بذلك[٥] .

٣٣–وَهَلْ تَرَكَ الْبِيضُ الصَّوارِمُ مِنْهُمُ   حَبِيسًا لِفَادٍ ، أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ

يقول : إن سيوفك لم تترك منهم أسيرًا محبوسًا من الأسرى ، يفدونه بمال يُحمل إليك ، ولا رقيقًا يسألونك أن تعتقه .

وقيل : معناه لم تترك سيوفك عبداً عندهم يعتقه معتق .

٣٤–لقدْ وَرَدُوا وِرْدَ القطَا شَفَرَاتِهَا   وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدقًا بَعْدَ زَرْدَقِ

الهاء في « شَفَراتها » للبيض الصوارم . وهي منصوبة بـ « وردوا » أي وردوا شفرات الصّوارم ، كما [٢٢٣ – ب] ترد القطا المناهِلَ . والزّرْدَق[٦] فارسي معرّب[٧] .

يقول : وقعوا على شفرات سيوفك كما تقع القطا على الماء ، ووفدوا عليها صفًّا بعد صفّ .

يعني أنك تقتلهم فوجًا بعد فوج .

٣٥–بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً   أَنَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ

---

(١) في النسخ « كتابة » .

(٢) مو : من « كتبت ... هزيمته » ساقط وزادت ق بعد ذلك : مجروحًا فكان . يرد ملك الروم .

(٣) جعل أثر السيوف في رأسه بالجراحات كالكتابة إليه ، لأنه يتبين منها كيفية الأمر .

(٤) في التبيان « فإن تعطه منك الأمان » .

(٥) أي إذا لم تقبل مسألته ولم تلب رغبته فما أخلقك بذلك لأنه كافر حربي مباح الدم ومن عادتك ألا ترحمهم .

(٦) في النسخ : « الرزدق » .

(٧) والزردق : الصف من الناس وهو معرب « رسته » الواحدي ، أدى شير ٧١ .

روى : « اليوم » بدل « النور » .

يقول : نلتُ عنده منزلة ألقت عليَّ ضياء نوره[١] حتى أنرتُ بها الدنيا . وأراد به اشتهار ذكره فى العالم .

٣٦-إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهو بِلحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبارِى ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : الْحَقِ

كان سيف الدّولة يُغْرى به الشعراء ، ويبعثهم على مباراته ، لأنه كان يغتاظ من عجبه بنفسه .

فيقول : إن سيف الدولة لا يخفى عليه فضْلى على مَنْ حوْله من الشعراء ، ولكنّه إذا شاء أن يتلهّى بشاعرٍ أراه من فضلى أدْنى شىء ، ثم قال : الحق به ، وهاتِ مثْله ، وإنما وصفه بالحمْق ، لأنَّ من طمع فى إدراك غايته ، فهو عنده أحمق ! فلا جرم يريد سيف الدولة أن يسخر من قلّة عقله[٢] . وقوله : « أراه غبارى » : كناية عن اليسير من فضله .

٣٧-وَمَا كَمَدُ الحُسَّادِ شيْئًا قَصَدْتُهُ وَلكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغرَقِ

الكَمد : الحزن .

يقول : ليس لمن يحْسدنى أن يلُومنى ، لأنى لم أقصد أن أغمّ الحسّاد ، ولكنّى بحرٌ فى الفضل ، فمن زاحمنى من الجهّال غرق فى فضلى ، كما أنّ من تعرضّ للبحر وطرح نفسه فيه غرق ، فاللّوم عليه لا على البحر .

٣٨-وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْضِى عَلَى عِلْمٍ بكُلِّ مُمَخْرِقِ[٣]

---

(١) ق : « ضيا نورا » .

(٢) يروى صاحب التبيان : أن الخالديّن : أبا بكر وأخاه عثمان ، قالا لسيف الدولة : إنك لتغالى فى شعر المتنبى ، اقترح علينا ماشئت من قصائده ، حتى نعمل أجود منها ، فدافعهما زمانا ، ثم كررا عليه ، فأعطاهما هذه القصيدة فلما أخذاها ، قال عثمان لأخيه أبى بكر : ماهذه من قصائده الطنانة ، فلأى شىء أعطاناها ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا لقصيدة ، ولم يعاوداه ، ولم يعملا شيئًا .

(٣) مو : « ممزق » .

المخْرِق : الكذّاب والمدلّس [وهى] اُللغة الجيدة[١] ، والباء فيه ، متعلق بقوله : « على علم » .

يقول : هو يمتحن النّاس ، ويجرّب أحوالهم ، ثم يغضى ويتغافل ، مع علْمه بالفاضل منهم ، والمدلّس الممخرِق ، ويتجاوز عن الجهّال بحلمه .

٣٩–وَإِطَرَاقَ طَرفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ

يقول : متى علم صاحبك بتمويهك ، لم ينفعْك إعراضه وإطراق طرفه . فعبّر عن معرفته بترك إطراق طَرْف قَلْبه[٢] .

٤٠–فَيَاأَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِرْهُ تَمْتَنِعْ وَيَاأَيُّهَا الْمَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ

يقول : يَاأَيُّها الخائف ، جاوِرْ سيفَ الدولة تمتنع على من يظْلمك ، ويَاأَيّها الفقير اقصده تصل إلى الغِنَى .

٤١–وَياأَجْبَنَ الْفُرسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ

يقول : ياأيها الجبان ، صاحبه تصر شجاعًا ، اقتداء به[٣] ويا أيها الشجاع ، فارقه تصر جبانًا ، لأن الشجاعة بهِ .

٤٢–إِذَا سَعَتِ الْأعداءُ فى كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى مَجدُهُ فى جَدِّهِ[٤] سَعْىَ مُحْنَقِ

المحنَق : المغضَب . والجَدّ : البخت والإقبال .

---

(١) يذكر الواحدى أن . الممخرق : لغة عراقية ، يراد به صاحب الأباطيل ، والمخاريق والمخراق ، شيء يلعب به : إما منديل يلف أو خرق ومنه قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدى لاعبينا

(٢) يقول : إغضاؤه عنه لا ينفعه إذا كان يعرفه بقلبه . والإطراق : أن يرمى ببصره إلى الأرض .

(٣) مو : « اقتداء به » مهملة .

(٤) التبيان « سعى جده فى كيدهم » .

يقول : متى قصد أعداؤه إلى هدم مجده، غضب لذلك إقباله وجدُّه ، وردّ كيدَ العدو إليه .

٤٣– وَمَا يَنْصرِ الفضْلُ المُبينُ عَلَى العِدَا إذَا لَمْ يكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ

يقول : الفضل الظاهر لا ينصر صاحبه على أعدائه ، حتى يوافقه على ذلك سعادة جدّه وتوفيق ربه .

(٢٠٥)

ودخل على سيف الدولة ليلاً وقد رُفع سلاحٌ كان بين يديه ، وهو في ذكره ووصفه ، فقال [٢٣٤ – ا] ارتجالاً[١] :

١– وَصَفْتَ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلاَحًا كَأنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ

نصب « سلاحًا » « بوصَفْتَ » وتقديره : وصفتَ لنا سلاحًا ولمْ نره .

يقول : وصفت لنا هذا السّلاح ، حتى كأنّك صوّرت لنا وقعَ الحرْبه ، فكأنك واصف وقت النزال ، فشوّقتنا إلى القتال ، بوصفك للسلاح[٢] .

٢– وَأَنَّ الْبِيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إلَى الْقِتَالِ

البِيْض : المغافر ، والفعل في « شوّق » للبيض ، وردّه إلى اللفظ ، وكذلك جميع التذكير[٣] راجع إليه .

يعني أنك ذكرت أنّ كلّ درع جعلَ عليها بيضها ، وكل من في نفسه شجاعة ، إذا رأى آلة القتال اشتاق إلى الطّعان .

---

(١) الواحدي ٥٠٤ : « ودخل إليه ليلا وهو في وصف سلاح كان بين يديه فرفع فقال » . التبيان ٣/ ٩٣ : « ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحًا كان بين يديه ورفع ، فقال ارتجالا » . الديوان ٣٣٩ : « وقال وقد دخل إليه ليلا ، ورفع سلاح كان بين يديه وهو في ذكر وصفه » العرف الطيب ٣٥٦.

(٢) قد : « السلاح » . (٣) مو : « ولذلك جميع التنكير » .

٣- فَلَوْ أطْفَأْتَ نَارَكَ تَالَدَيْهِ قَرَأتَ الخَطَّ في سُودِ اللَّيَالِي

« تا[1] » بمعنى : هذه ، وهي إشارة إلى السِّراج

يقول : لو أطفأت سراجَك ، لأمكنك أن تقرأ الخطَّ في الليل المظلم ، لبريق السلاح ولمعه .

٤ - وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ حَافَتَيْهِ لَقَلَّبَ رَأيَه حَالًا لِحَالِ[2]

حافتيه : أي جانبيه ، والهاء في « رأيه » للدمستق . أي لقلَّب رأيه في محاربتك ، إلى الانقياد لك ، والفرار منك .

٥ - إنَ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِسَاطٍ فَأحْسَنُ مَايَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ

أراد : إن استحسنتَه ، فحذف الهاء .

يقول : إن استحسنْتَ هذا السلاح ، وهو على بساطك ، فأحسن ما يكون ، إذا كان على الرجال ، يوم القتال .

٦ - وَإنَّ بِهَا وَإنَّ بِهِ[3] لَنَقْصًا وَأنْتَ لَهَا ، النِّهَايَةُ في الْكَمَالِ

« إنّ » الثانية زائدة[4] أي : وإن به وبها لنقصًا ، وقيل : اسم (إن) الأولى محذوف . أي : إن بها لنقصا ، وإن به لنقصا . فاسم الثانية دلَّ على المحذوف . و « به » : أي بالسلاح و « بها » : أي بالرجال . وقيل : بهِ : للبيض ، وبها : للدروع[5] .

---

(١) « تا » إشارة إلى المؤنث الحاضر ، كما يشار به إلى المذكر الحاضر . التبيان .

(٢) هذا البيت آخر أبيات القطعة في التبيان وفيه « جانبيه » بدل « حافتيه » .

(٣) في النسخ : « وإن به وإن بها » والتصويب عن الواحدي والديوان والتبيان .

(٤) زيادتها للتوكيد وتقدير الكلام : وإن بها وبه لنقصًا .

(٥) قال ابن جني : التأنيث للدروع والتذكير للبيض . التبيان .

يقول : إن جمال السلاح ، وكمال الدروع والرجال بك ، فما لم تكن لابسها ، أو لم تكن فيها بين الرجال ، لم يكن لهم غناء ، فأنت غاية الكمال ونهاية الجمال .

(٢٠٦)

وقال وقد عُرِضتْ على سيف الدولة سيوف[١] ، فوجد فيها سيفًا غير مذْهب فأمر بإذهابه فقال ارتجالا[٢] :

١ – أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِبِيهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ

أحسنُ : مبتدأ . و « ما » بمعنى : الذى ، وهو فى موضع الجرّ بإضافة أحسن إليه . والنجيع : خبر الابتداء ، والغضب : عطف عليه . وخاضِبِية : جُرّعطفًا على « ما » أى وأحسن خاضبيه . والهاء فى « به » « لما » وفى « خاضبيه » للحديد .

يقول : أحسن شَىء يخضب الحديد به : الدم ، وأحسن خاضبيه : الغضب . وقيل : أراد به صاحب الغضب . والنجيع : الدم الطرى .

وقيل : خاضبيه : جُرّ على القسم ، ومعناه : أحسن ما يخضب به الحديد ، النجيع والغضب . وجعل الغضَب خضابا له توسّعا ، إذا كان سببًا لخضابه . وروى مكان « الغضب » « القُضُب » وهو جمع قضيب ، وهو السيف : أى أحسن الخاصبين السيوف الّتى تخضب الأشياء بالدم .

٢ – فَلاَ تَشِينَنَّهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ

يقول : رونق هذا الحديد وماؤه ، أحسن فيه من ماء [٢٣٤ – ب] الذّهب ، فإذا أذهبْتَه ذهبْتَ بمائِه ورونقه[٣] وصار ما قصدت من زينة شينًا له .

---

(١) فى الديوان « سروج » .

(٢) الواحدى ٥٠٥ : « وعرضت على سيف الدولة سيوف فوجد فيها واحدًا غير مذهب فأمر بإذهابه فقال أبو الطيب » . التبيان ١/ ٧١ : « وقال وقد عرض عليه سيوف مذهبة ، وفيها شيء غير مذهب فأمر بتذهيبها » . الديوان ٣٤٠ : « وقال وقد عرضت عليه « سروج » فوجد فيها سرجا غير مذهب فأمر بإذهابه » . وكذا فى العرف الطيب ٣٥٥ .

(٣) ق : « بمائه رونقه » .

(٢٠٧)

وأنفذ إلى سيف الدولة أحدُ أهل بغداد أبياتا ، يذكر أنه رآها فى النّوم ، يشكو إليه الفقر فقال أبو الطيب[١] :

١ – قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فِي الأَحْلَامِ وَأَنَلْنَاكَ بَدْرَةً فِى الْمَنَامِ

البَدْرة : عشرة آلاف درهم . وسُمِّيت بدرة ؛ لأنها تمام العدد . والبدرة أيضا : جلد السَّخْلة ، إذا رعت وفطمت[٢] . ويجوز أن تكون البَدْرة[٣] من هذه ؛ لأنّ العادة جرت أن تجعل الدراهم فى جلْدِ السَّخْلة .

يقول : سمعنا أيها المتعرّض لنائلنا ، ما قلتَ من الشعر فى الأحلام ، فأعطيناك – على وجه المقابلة والمكافأة – بدرة فى المنام .

٢ – وَانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلاَ شَىْ ءٍ فَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الْكَلاَمِ

يقول : مدحتنا فى النَّوْم ، فأجزْناك فى النوم ، فكان العطاء على قدر المدح ، فلما لم يكن لنوالنا حقيقة ، كذلك لم يكن لمديحك إيَّانا .

٣ – كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْـ ـنِ فَهَلْ كُنتَ نائِمَ الأَقْلامِ ؟

يقول : إن كنْتَ حين قلتَ هذا الشّعر نائِم العين ، فإنك حين كتبْتَه كنت مستيقظًا ، يجب عليك حفظ الأدب والتحرز من الكلام الركيكَ ، ويمكن أن

---

(١) فى النسخ : « رآه فى النوم » . الواحدى ٥٠٦ : « وقال وقد أنفذ إنسان وهو رجل من بنى المنجم من الرحبة ، إلى سيف الدولة أبياتًا يشكو فيها الفقر ، وذكر أنه رأى الأبيات فى المنام » . التبيان ٣/ ٣٧٧ : « وأنفذ رجل إلى سيف الدولة أبياتا ، يذكر أنه رآها فى النوم ، يشكو الفقر فيها ، فقال أبو الطيب » . الديوان ٣٤٠ : « وقال أيضًا وقد أنفذ إليه أحد أهل بغداد أبياتا يذكر أنه رآها فى النوم يشكو إليه فيها الفقر والضر» . العرف الطيب ٣٦٣ .

(٢) السخلة : الأرنب الصغير التى ارتفعت عن الخرنق « ولد الأرنب » وفارقت أمها . اللسان « بدر » وحياة الحيوان .

(٣) مو : « البدرة » مهملة .

يكون قرنت إلى الأبيات رسالة أخرى فى معنى الاعتذار .

فيقول : إن كنتَ فى الأبيات نائِمًا ، فلم تكن فى الرسالة نائِمًا .

٤ – أَيُّهَا الْمُشْتَكِى إذَا رَقَدَ ، الإِعْـ ـدَام ، لاَرَقْدَةٌ مَعَ الإِعْدَامِ

يقول : زعمْتَ أنّك رأيتها فى النّوم ، وشكوت فيها عدمْك ، فإن كنت مُعْدمًا على الحال التى وصفتها ، فكيف يأخذك النوم ؟!

٥ – افْتَحِ الْجَفْنَ واتْرُكِ الْقَوْلَ فى النَّوْ مِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الأَنَامِ [١]

يقول : دع عنك الخطاب فى النوم ، وافتح الجفن ، وميز خطاب سيف الدولة ، وهو سيف الخلق كلهم ، والذابّ عنهم ، ولم يمكنه أن يقول : سيف الدولة ، لأجل القافية فرده إلى الأنام وروى : «سيف الإمام»[٢] أى الخليفة .

٦ – الَّذِى لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ ولاَ مِنْـ ـهُ بَدِيلٌ ، وَلا لِمَارامَ حَامِ

يقول : سيف الدولة ، هو الذى لا أحد من الناس يقوم مقامه فى الكرم والخصال الحميدة .

وقيل : معناه كل الناس يقتدون به ؛ ولا يغنيهم عنه مَلِكٌ غيره ، ولا يجدون له بدلاً يسدّ مسدّه ، وإن رام أمرًا لم يمنعه منه مانع .

٧ – كُل آخائِهِ كِرامُ بَنِى الدُّنْـ ـيَا وَلكِنَّه كَرِيمُ الكِرَامِ

الآخاء : جمع أخ[٣] ، وقد ذكره سيبويه فى كتابه . وروى : «كل آبائِه» .

يقول : جميع إخوته أكرم الناس ، ولكنه أكرم من إخوته ، فهو أكرم الكرام .

(١) فى الديوان والتبيان : « سيف الإمام » أى الخليفه وهى رواية .

(٢) مو : « سيف الدولة الإمام » .

(٣) أخ : يجمع على آخاء ، وأخون ، وإخون ، وأخوان ، وإخوة ، أخوة . هذا قول أهل اللغة . اللسان « أخ » .

(٢٠٨)

وقال وقد أمره سيف الدولة بإجازة الأبيات [١] التي لأبي ذر : سهل بن محمد الكاتب [٢] أولها :

يالائمي كفّ الملام عن الذي أضناه [٣] طول سقامه وشقائه

على هذا الوزن ، والروى [٤] فقال :

١ – عَذْلُ الْعَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِي التَّائِهِ [٥] وَهَوَى الأَحِبَّةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ

التائه : المتحيّر ، وقيل : هو المتكبّر ، وهاهنا : الذي لاينقاد للعاذل . وسوداء القلب ، وسويداؤه : الحبة[٢٣٥–١]السوداء فيه ، وقيل الدّم الذي في جوفه .

يقول : هَوى أحبَّتي قد حل [٦] وسْط فؤادي ، وعذْلُ العَواذِل يحول حوله ، وليس يدخله البتّة ، فلا يبالي القلب به ، فكيف يقدر العذول أن يصرفني عنه ؟!

٢ – يَشْكُو الْمَلاَمُ إِلَى اللَّوَائِمِ حَرَّهُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحَائِهِ

الهاء في « حرَّه » للقلب ، وكذلك في « برحائه » والبرحاء : الشدة .

(١) ستأتي بعد نهاية هذه القصيدة .

(٢) مؤدب سيف الدوله كما جاء في مقدمة هذه الأبيات ٢٢٦ من الأصل .

(٣) في ق ، مو : « أبلاه طول مقامه وشقائه » وماذكر عن الواحدي والديوان .

(٤) الفسر ١/ ٣٥ « وقد أمره سيف الدولة بإجازة أبيات على قافية الهمزة فقال من شعره » الواحدي ٥٠٦ : « وأمره سيف الدولة بإجازة أبيات لأبي ذر سهل من محمد الكاتب على هذا الوزن ، والروى وهي هذه » ثم أتى بالأبيات وعددها:٦ ، وقد ذكرها الشارح هنا في آخر القصيدة بعد أن استزاده الممدوح . التبيان ١/ ١ : « قال أبو الطيب ، وقد أمر سيف الدولة بإجازة أبيات لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب » ثم أتى بالأبيات في الشرح قبل شرح قصيدة المتنبي . الديوان ٣٤٢ : « وقال وقد أمر سيف الدولة بإجازة أبيات على هذا الوزن » وقدم عليها أبيات أبي ذر . الواضح في مشكلات شعر المتنبي ٢٨ .

(٥) يقول الواحدي وتابعه صاحب التبيان : الصحيح رواية من روى « قلب التائه » على الإضافة ومن روى « قلبي » جعل « التائه » من صفة القلب .

(٦) مو : « يقول هواى أحبة فدخل » تحريف .

يقول : إن اللَّوم إذا دَنَا من قلبى أحرقه بحرّه ، فأعرض عنه وعاد إلى اللوائِم[١] ، يشكو إليهن مالقى من شدة حرارته ، فكأن حر قلبى يصرف اللوْم عنى ، والضمير فى « يَلُمْن » للعواذل .

٣ – وَبِمُهْجَتِى يَاعاذِلِى الْمَلِكُ الَّذِى أَسْخَطْتُ أَعْذَلَ[٢] مِنْكَ فِى إرْضَائِهِ

يقول لعاذله : تَعْذلنى على حبّه والانقطاع إليه ؟! وقد لامنى مَنْ هو أشد منك عذلا ، فلم أقبل منه ، بل أسخطته واتبعت رضاء سيف الدولة ، ولم ألتفت إلى غيره من الملوك ، والهاء فى « إرضائِه » للملك .

٤ – إنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ

يقول : إن كان سيف الدولة قد ملك القلوب . بمودّتها وثبات حبه فيها ، حتى لاتميل إلى غيره ، فليس بعُجَاب ؛ فإنه مَلَكَ الزمان وجميعَ مافيه ، فالقلوب بعض ما فى الزمان ومن جملة ما ملكه .

وقيل : اسم « كان » محذوف مضمر : أى إن كان الحبيبُ الذى يعشق قد مَلَك قلوب عاشقيه ، فإن هذا الحبيب ليس كسائر الأحبة ، لأنه إنما يُحَبّ لجلالة قدره ، وسموّ أمره ، وإنه إن كان الحبيب المعشوق قد ملك القلوب ، فإن هذا الملك قد ملَك الزّمان بما فيه ، فضلا عن القلوب .

٥ – الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ ، والسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ

أى : الشمس تحسده على إشراقِ غرَّته ، وعلو منزلته ، والنّصر قرينه حيثُمَا توجه نصر على أعدائه ، والسيف بعض أسمائه ، أى هو مُسمًّى بسيف الدولة .

٦ – أَيْنَ الثَّلاَثَةُ مِنْ ثَلاثِ خِلاَلِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإبَائِهِ وَمَضَائِهِ ؟!

---

(١) اللوائم : جمع لائمة ، كما أن « العواذل » جمع عاذلة . وأما « عاذل » « ولائم » فجمعهما عذّل ولوّم ولوّام وليمّ أيضًا . الفسر .

(٢) فى التبيان : « أسخطت كل الناس » .

الخلال : الخصال .

يقول : أين حسْن الشمس من حسْن وجْهه ؟ بل حسنها يعجز عن حسْنه ! وأين النصر من عزة نفسه وإبائِه ؟ أى أن النصر يعجز عن نصرة من يريد خذلانه ، وأين السيف من مضائِه ؟ أى هو أمضى وأكثر غناءً منه !

٧ - مَضَتِ الدُّهُور وَمَا أَتَيْن بِمِثْلِهِ ... وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ

أتى :[أى] سيف الدولة .

يقول : مضت الدهور قبله ، ولم يكن فيها أحدٌ مثله فى فضائله ! وأتى هو الآن فعجزت الدهور عن الاتيان بأمثاله فى زمانه أيضا ، فليس له نظير فيما مضى من الزمان ولا فى زمانه .

(٢٠٩)

فاستزاده سيف الدولة فقال [يمدحه]

١ - اَلْقَلْبُ أَعْلَم يَا عَذُولُ بِدَائِهِ ... وَأَحَقُّ مِنْكَ (١) بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ

الضمائر فى قوله : بدائِه ، وبجفنه ، وبمائه ، راجعة إلى القلب ، وقيل : إنه فى قوله « بمائِه » راجع إلى الجفْن فقط (٢).

يخاطب عاذله فيقول : القلب أعلم بما يلاقيه من ألم الشوق ، والقلب أيضا أولى منْك بجفنه ودموعه ؛ لأنه المالك للعيون [٢٣٥ - ب] فيصرّفها كيف شاء ، ويجريها على مَنْ يحب ، فمالك أيّها العاذل والاعتراض عليه ؟!

٢ - فَوَ مَنْ أُحِبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِى الْهَوَى ... قَسَمًا بِهِ ، وَبِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ

---

(١) ق ، شو : « منه » .

(٢) يقول ابن جنى : « الهاء » فى مائه : تعود على الجفن ويجوز أن تعود على القلب . الفسر ١/٥٠ .

الفاء فى قوله : « فومن » للعطف . والواو حرف القسم ، والمقسم به المحبوب ، والجواب لأعصينك ، والكاف ، خطاب للعاذل ، وقسماً : نصب على المصدر .

يقول : وحقِّ مَنْ أحب ، وحقِّ حسْنه ، لا أطيعك فيما تأمرنى ، ولا أصغى إلى ملامك فيه .

٣ ـ أَأُحِبُّه وَأُحِبُّ فِيهِ مَلاَمَةً ؟ إِنَّ الْمَلاَمَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

يقول : لا أحب الملامة فى حبى ، ولا أُصْغِى إليها ، فكأنه ناقض أبا الشيص[1] فى قوله :

أَجِدُ الْمَلاَمَةَ فِى هَوَاكِ لَذِيذَةً حبًّا لِذِكْرِكِ ، فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّم[2]

٤ ـ عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللُّحاةِ وَقَوْلِهِمْ: دَعْ مَاَنَراكَ ضَعُفْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ

الوشاة : جمع الواشى[3] . واللُّحاة : جمع : اللَّاحى ، وهو الذى يزْجر ويُغْلظ القول فى الملامة . و« مَا » فى قوله : « مَانَرَاك » بمعنى الذى ، وهو فى موضع نصب بـ« دَعْ » « ونراك » صلة « ما » و« ضَعُفْتَ » فى موضع[4] المفعول الثانى ، والأول هو الكاف .

يقول : إن اللحاة قالوا لى : دع الذى نراك ضعيفًا عن إخفائِه . أى دع هذا الهوى ، فعجب الوشاة من تكليف اللحاة إياى ما لا أطيق ، فإنى إذا ضَعُفْتُ عن إخفائه ، كنتُ على تركه والإفاقة من سُكره أضْعف .

---

(١) هو : محمد بن على الخزاعى ، ابن عم دعبل الخزاعى ، وأبو الشيص لقلب غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وكان من شعراء عصره متوسط المحل فيهم ، غلبه على الشهرة معاصراه : صريع الغوانى وأبو نواس ، وعمى فى آخر عمره وتوفى سنة ١٩٦ . طبقات الشعراء ٧٦ ابن خلكان ٢/ ١٢٥ ، الشعر والشعراء ٣٤٦ .

(٢) ديوانه ٩٣ والوساطة ٢٠٦ والتبيان ٢٢/ ٣ و ٤/ ٤ والحماسة ٥٦٤ ومحاضرات الأدباء ٢/ ٤٧ وطبقات ابن المعتز ٧٤ والمثل السائر ٢/ ٣٨٠ ومعاهد التنصيص ٤/ ٨٥ والفسر ١/ ٥ والواضح ٢٨ .

(٣) وهو الذى يزخرف الكذب وينمقه . ابن جنى فى الفسر

(٤) مو : من « موضع نصب ... فى موضع » ساقط انتقال نظر .

٥ – مَا الْخِلُّ إلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لاَ يَرَى بِسَوَائِهِ

يقول : ليس فى هؤلاء اللُّحاة[1] صديق شفيق ، ولا خليل نصيح ، فأصْغ إلى ملامه ، فإن الصديق منْ يساعد صديقه ، فيحبّ ما يحبّه ، ويكره مايكرهه ، حتى كأنّهما يحبّان بقلب واحد ، وينظران بعين واحدة .

فكأنه يقول : ليس صديقى إلا مَنْ يوافقنى ، فإذا أحببت شيئًا فكأنّى أحبه بقلبه ! وإذا رأيت شيئًا فكأنى رأيته بعينه ! وهذا البيت يوافق بعض الأبيات التى أجازها وهى .

إنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ وَأَعِنْهُ مُلْتَمِسًا لأَمْرِ شِفَائِهِ
حَتَّى يُقَالَ بِأَنَّكَ الْخِلُّ الَّذِى يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ

ومثله :

إنْ كُنتَ تَصْدُقُ فى ادّعاءِ وِدَادِهِ فَافْكُكْهُ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى أَوْ فَادِهِ

ومعنى البيت : أنه ليس لك خليل إلا نفسك ، فلا تغترّ بقول من يقول : إنى خليلك . وأراد بقوله : « من أَوَدُّ بقلبه » : نفسه ؛ لأن المرء إنما يود الشىء بقلب نفسه ، وكذلك قوله : « وأَرَى بطرْفٍ لا يَرى بسوائِه » أراد طرف نفسه ، وهو مثل قوله :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لا مَنْ قُلْتَ خِلِّى وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلاَمُ[2]

٦ – إنَّ الْمُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ والأَسَى[3]
أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ

الضمير فى « ربِّها » يعود إلى الصبابة[4] . وفى « إخائِه » إلى ربها . والأَسَى : الحزن .والمعين على الصبابة : هو الزائد فى الصّبابة .

(١) ق ، شو : « هذه اللحاة » . (٢) ديوان المتنبى ٩٢ والتبيان ٤/ ٧١ .

(٣) مو : « بالأسى » .

(٤) الصبابة : رقة الشوق ، رجل صب وامرأة صبة ، وقوله : على الصبابة : أى على ذى الصبابة . ابن جنى الفسر ١/ ٥٤ .

يقول : إن الذى يعين على صبابتى ويزيد بلومه فى حزنى ، كان الأولى أن يرحمنى ويلتمس شفائى .

وقيل : « على » بمعنى « مع » أى مع الصبابة وهذا مثل قول من أجاز [٢٣٦ - ا] أبياته :

أَوْلا فَدَعْهُ ، فَمَا بِهِ يكفيهِ مِنْ طولِ الْملاَمِ فَلَسْتَ مِنْ نُصَحائِهِ

وروى : « بالأسى[١] » والمراد بها الصبر ، فمعناه إن الذى يعينى فى اعتقاده على صبابتى ، ويريد إزالة بلائِها عنى ، بأن يصبرّنى ، ليس ما يفعله بإعانةٍ فى الحقيقة ، وكان الأولى فى باب الشفقة أنْ يرحمنى ويساعدنى على ما أنا فيه من البلوى .

والأول أولى وهو أن المراد بالمعين العاذل[٢] الذى يزيد فى حزنه بالعذل .

٧ - مَهْلاً فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ[٣]

« مَهلاً » و « ترفّقًا » نصب بفعل مضمر : أى أمهل مهلاً ، وترفق ترفقًا .

والضمير فى « أسقامه » و « أعضائه » يعود إلى « ربها » فى قوله : « برحمة ربها » .

يقول لعاذله : ارفق بصاحب هذه الصبابة ، فإنه سقيم وعذلك يزيد فى سقمه ، ومازاد فى السقم فهو سقم ، وارفق أيضا بسمعه فإنه[٤] من جملة أعضائِه ، كما أن سائِر الأعضاء سقمت ، كذلك السمع ، وسقمه : هو الصَّمَم[٥]

وقيل معناه : إن السَّمع إذا سمع العذل يفنى كما فنيت سائِر الأعضاء[٦] ،

---

(١) مو : « والأُسى » . وقال : المعرى الأُسى : بضم الهمزة من آسيت الحزين إذ عزيته . تفسير أبيات المعانى .

(٢) مو : « العاذر » .

(٣) مو : سقط هذا البيت وبقى شرحه .

(٤) ق : « لأنه » .

(٥) مو : « الضهم » تحريف .

(٦) قال المعرى : هذا مجاز واتساع ، لأن السمع ليس من الأعضاء ولكنه يحمل على أنه أراد موضع=

فيؤدى إلى فوات غرض العاذل ، إذْ لايبقى سمع يعى العذل .

٨ – وَهَبِ الْمَلاَمَةَ فِى اللَّذَاذَةِ كَالْكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ

هب : أى اجعل . يقال : [و][1] هبنى الله فداك . واللذاذة : متعلقة بالملامة : أى لذة الملامة . معناه : دع عنك ملامتك إياى ، وإن كان لك فيها لذة ، لما تراه من بكائى وسهادى ، واعمل على أن بكائى صرف عنك لذتك فى الملامة ، كما صرف عنى الملام ، فكما أنّى فقدت لذة الكرى ، كذلك أنت لابأس عليك أن تفقد لذتك فى ملامتى .

وقيل : إن اللّذاذة هى لذّة الهوى ، ومعناه : اجعل ملامتك إياى فى لذّتى[2] مطرودة عنى ، كالنوم المطرود بالسهاد[3] والبكاء ومعناه : اصرف ملامتك عنى من جميع الوجوه[4] . والهاء فى قوله « بسهاده » و « بكائه » راجع إلى قوله « ربها » .

٩ – لاتَعْذِرِ الْمُشْتَاقَ فِى أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِى أَحْشَائِهِ

يقول : أيها اللائم أنت لاتقبل عذر العاشق ! حتى تبتلى بمثل ما ابتلى بهِ من الصّبابة والاشْتياق ، فيكون فى قلبك من لوْعة الشوق مثل ما فى قلب المشتاق .

ومثله للبحترى :

إِذَا شِئْتَ أَلاَّ تَعْذِلَ الدَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَاعْشَقِ[5]

ومثله لآخر :

=السمع من أعضائه أى الأذن . تفسير أبيات المعانى . وقد نسب صاحب التبيان القول السابق إلى ابن جنى .

(١) مابين المعقوفتين من الفسر .

(٢) زادت مو ، ق ، بعد ذلك : « الذى يحصل فى الهوى » .

(٣) السهاد : السهر . ابن جنى فى الفسر .

(٤) أى لا تجمع عليه : اللوم والسهاد والبكاء . الفسر .

(٥) ديوانه ٣/ ١٥٠٩ وفيه : « من لوعة الحب » ، وهى كذلك فى الواحدى ٥٠٩ ، وفى التبيان ١/ ٦ والوساطة ٣٠٢ مثل الرواية المذكورة .

وَإِنَّمَا يَعرفُ العشَّاقُ مَنْ عَشِقَا [١]

١٠– إِنّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

مضرّج : أى مخضّب . وقد نصب على الحال فى الموضعين .

يقول : إذا دام عذلُك علىّ هلكت أنا ، فتكون أنت قد قتلتَنى ! فإنه إذا جرت دموعى حتّى أموت ، كنتُ مثل القتيل الذى يسيل دمه ، فالمقتول بالعذل هو كالمقتول بالسيف[٢] ، فهذا يسيل دموعه ، وذاك يسيل دمه .

١١– وَالعِشْقُ كالْمَعْشُوقِ[٣] يَعْذُبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ

الحوباء : النفس .

يقول : العشق محبوب للعاشق ، كما أن المعشوق محبوب إليه ، فيتلذذُ العاشق [٢٣٦ – ب] بقرب المعشوق [٤] وإن كان يذيب جسمه ويؤلم قلبه .

١٢– لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ : « فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ » لأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ

الدَّنِف[٥] : الذى أدنفه الحب ، وأغرْته[٦] : أى حملته على الغيرة .

يقول : إن العاشق يشتهى العشق ، ويلتذ بغرامه وطول سقامه ، حتّى لوقلت له : قد جعلنى الله فِداك مما بك ، وأنزل بى سُقمك لحملْته على الغيرة .

وقيل معناه لوقلت له : دعنى حتّى أتحمل عنك مُؤن العشق وتكاليفه ، لغار عليك . فالأول على الدعاء والثانى على الأمر . وقوله : « بفدائه » : أى بفدائك إياه ، وأضاف المصدر إلى المفعول [٧] ، وحذف الفاعل .

---

(١) فى البرقوقى على التلخيص : « وإنما يعذر العشاق من عشقا » ، والمذكور كما فى الفسر ١/٥٦ .

(٢) ق : « هو المقتول بالسيف » ، مو : « هو المقتول » ، و« السيف » مهملة .

(٣) فى النسخ : « والمعشوق » .

(٤) ق ، مو : « فيلتذ العاشق بقرب العشق » .

(٥) الدنف : الشديد المرض . ابن جنى فى الفسر .

(٦) وجه إغارته إياه : الشح على محبوبه والخوف من أن يخلى أحد عليه منه . المرجع السابق .

(٧) كقوله تعالى : (بسؤال نعجتك إلى نعاجه) أى بسؤاله نعجتك . المرجع السابق .

١٣–وُقِيَ الأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ ، فَإِنَّهُ   مَا لاَ يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ

هَوى : فى موضع النصب ، على أنه خبر مالم يسم فاعله . واسمه « الأمير » يخاطب سيف الدولة .

يقول : وقاك الله هوى العيون ، فإنه أمر لايمكنك إزالته عن نفسك ، بسخائك وشجاعتك . وقوله : « هَوَى العُيون » : مصدر مضاف إلى المفعول : أى وُقِى الأميرُ هَواهُ لِلْعُيون .

١٤–يستَأْسِرُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ   وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ

يستَأسِر : أى يأسر ، وهو فى الأصل بمعنى الاستسلام للأسر ، وروى : « يستَأْصِل » .

يقول : إن الرَّجل الشجاع لايقدر على دفع الهوى عن نفسه ، بل يأسره هذا الهوى بنظرة واحدة من نظرات العين ! ويحول بين قلبه وصبره ، فوقى الله تعالى الأميرَ ذلك .

١٥–إِنِّى دَعَوْتُكَ لِلنَّوائِبِ دَعْوَةً   لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ

الضمير فى « سَامِعُهَا » للدعوة ، وفى « أكفائه » لسامعها . وأراد « بالسامع » سيف الدولة .

يقول : إنى دعوتك لتنصرنى على نوائب الدّهر ، كل نائبة – وإن خلت – تقصر عن أن تُدْعى لها ، لأنا لا نجد مايكون كفوًا لك منها [1] ، فندعوك إليه ، لكن لما لم أجد أحدًا أستعين به [2] عليها غيرك ، دعوتك لها لتزيلها عنى ، وإن لم تكن النوائب من أكفائك .

١٦–فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ   مُتَصَلْصِلاً وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ

(١) فى النسخ : « لا نجد لك مايكون كفوا لك منها » . قال ابن جنى . الأكفاء : النظراء واحدهم كفؤ وكفء ، الفسر.   (٢) ق : « يستعين » .

مُتَصَلْصِلاً : أى له صَلْصَلَةٌ ، وهى صوت الحديد عند السرعة .

يقول : لما دعوتُك للنوائب أجبْتَنى فى أسرع وقت ، وأحطت بالزمان من جميع جهاته ، وكأنك أتيتَ ولأسْلحتك صلصَلة لسرعتك .

وقيل : معناه : أنك لما كنت سيفًا دعوتُك للنوائب لتقطعها عنِّى ، فأتيت مسرعًا فى الإجابة ، ولك صَلْصلة ، وهى صوت السيف والحديد .

١٧- مَنْ لِلسُّيوفِ بِأَنْ تكونَ سَمِيَّهَا فى أَصْلِهِ ، وَفِرِنْدِهِ ، وَوَفَائِهِ

التاء فى « تكون » قيل : ضمير للسيوف ، وقيل : خطاب لسيف الدولة[1] وكذلك إذا روى : « بالياء » .

يقول : من للسّيوف بأن تكون هى مثل سميّها الذى هو سيف الدولة ، أو أن تكون أنت سمىّ السيوف[2] ، بل له عليها مزية ، فى أصله وجوهره ووفائه .

١٨- طُبِعَ الْحَدِيدُ فكَانَ مِنْ أَجْنَاسِهِ وَعَلِىٌّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ

يقول : إن كلّ واحدٍ من سيف الدولة وسيف الحديد ، رجع إلى أصله وجنسه ، وإن اتفق [٢٣٧ - ا] الاشتراك فى الاسم ، فالسيوف ترجع إلى جنسها الذى طبِعتْ منه وهو الحديد ، فليس لها فعل سوى القطع وسيف الدولة يرجع إلى آبائه فى الخصال الحميدة ، من الوفاء والسخاء ، ويشاركها فى القطع والمضاء . ومراده تفضيله على السيف الحقيقىّ .

والأبيات التى أجازها أبو الطيب لأبى ذرّ : سهل بن محمد البصرى الكاتب[3] مؤدِّب سيف الدولة[4] . وهى :

---

(١) يذكر صاحب التبيان أن التاء ليست مخاطبة الممدوح .

(٢) ق : « لو أن أنت سمى السيوف » . (٣) ق : « الكاتب » مهملة .

(٤) فى اليتيمه ١/ ١٠٤ أستاذ سيف الدولة وفى الواحدى ٥٠٦ والتبيان ١/١ والديوان ٣٤١ قدموا ذكر أبيات أبى ذر على قصيدة المتنبى فانظر الفسر ١/٣٥ : « وقد أمره سيف الدولة بإجازة أبيات على قافية الهمزة فقال من شعره » . الواحدى ٥٠٦ : « وأمره سيف الدولة بإجازة أبيات أبى ذر سهل بن محمد الكاتب على هذا الوزن والروى وهى هذه » . ثم ذكر أبيات أبى ذر . التبيان ١/١ : « وقال أبو الطيب وقد أمره سيف الدولة بإجازة أبيات لأبى ذر سهل بن محمد الكاتب » ثم أتى بالأبيات فى أول شرحه .

يَا لائِمِى [١] كُفَّ الْمَلامَ عَنِ الذى ... أَضْنَاهُ [٢] طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ
إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سَقَامَهُ ... وَأَعِنْهُ مُلْتَمِساً لأَمْرِ شِفَائِهِ
حَتَّى يُقَالَ بِأَنَّكَ الْخِلُّ الَّذِى ... يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ
أَوْلاَ فَدَعْهُ فَإِنَّهُ يَكْفِيهِ مِنْ ... طُولِ الْمَلاَمِ فَلَسْتَ مِنْ نُصَحَائِهِ
نَفْسِى الْفِدَاءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَاذِلاً ... فِى حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقَبَائِهِ
فَالشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خَلاَلِ قِبَائِهِ [٣]

(٢١٠)

وجاءهُ رسولُ سيف الدولة مستعجلا ، ومعه رقعة فيها بيتان [٤] للعباس بن الأحنف [٥] فى كتمان السرّ ، يسأله إجازتهما وهما [٦] :

أَمِنِّى تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ ... وَحَظِّىَ فِى سَتْرِهِ أَوْفَرُ
فَإِن لَمْ أَصُنْهُ لِبُقْيَا [٧] عَلَيْكَ ... نَظَرْتُ لِنَفْسِى كَمَا تَنْظُرُ [٨]

---

(١) فى النسخ : « ياعاذلى » وقد سبق أن ذكرها : « يالائمى » والمذكور كما فى الواحدى والتبيان والديوان . (٢) فى النسخ : « أعياه » .

(٣) انظر يتيمة الدهر ١/ ١٠٤ وزهر الآداب ٣/ ١٧٩ .

(٤) ق ، شو . زادتا بعد ذلك : « هما لأبى فراس وقيل » للعباس بن الأحنف ولم أعثر عليها فى ديوان أبى فراس .

(٥) شاعر غزل قال فيه البحترى : « أغزل الناس » أصله من اليمامة « فى نجد » ، ونشأ فى بغداد وتوفى بها سنة ١٩٢ هـ . خالف الشعراء فى طريقتهم فلم يمدح ولم يهج ، بل كان شعره كلُّه غزلا وتشبيبا،ويشبّه فى عصره بعمرو بن أبى ربيعة . وهو خال إبراهيم ابن العباس الصولى . وفيات الأعيان ١/ ٣٥٤ والأغانى ١/ ٥٤ والشعر والشعراء ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ٢/ ١٢٧ وخاص الخاص ١١٧ وطبقات ابن المعتز ٢٥٤ .

(٦) الواحدى ٥١١ وجاءه رسول سيف الدولة مستعجلا ومعه رقعة فيها بيتان فى كتمان السر يسأله إجازتهما ، وهما . التبيان ٢/ ٩٢ : « وجاء رسول سيف الدولة مستعجلا برقعة فيها بيتان للعباس بن الأحنف وهما » . الديوان ٣٤٤ : « وجاءه رسول سيف الدولة مستعجلا ومعه رقعة فيها بيتان فى كتمان السر يسأله . إجازتهما وهما » . العرف الطيب ٣٦٧ .

(٧) فى النسخ : « ولو لم تكن فى بقيا عليك » والمذكور عن ديوان ابن الأحنف والواحدى والتبان وديوان المتنبى .

(٨) ديوان العباس بن الأحنف ص ٨٥ من قصيدة له أربعة عشر بيتا وفى البرقوقى ٢/ ٢٣٣ غير منسوبين .

فقال أبو الطيب :

١ - رِضاكَ رِضَاىَ الَّذِى أُوثِرُ وَسِرُّكَ سِرِّى فَمَا أُظْهِرُ

يقول : الذى ترضى به فهو رضائى الذى أوثره ، وسرّك مثل سِرى أكتمه كما أكتم سرى ، ولا أظهره لأحد .

٢ - كَفَتْكَ الْمُرُوءَةُ مَا تَتَّقِى وَآمَنَكَ الْوُدُّ مَا تَحْذَرُ

الكاف فى « كفتك » المفعول الأول « لكفى » . وما يتقى : المفعول الثانى ، وكذلك الكاف فى « آمنَكَ » ، و « ما تحذر » .

يقول : إن مودتى لك ومروءتى آمنَاك ما تخاف[١] من إفشاء السر ، فلا تحذر على سِرِّكَ من جانبى .

٣ - وَسِرُّكُمُ فى الْحِشَا مَيِّتٌ إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لاَ يُنْشَرُ

يقال : أَنْشَرَ اللهُ الموتى فنشروا . وروى : « إذا نُشِرَ » من النَّشر الذى هو ضد الطىّ . وهو أيضًا فى معنى أنشر الله الميت .

يقول : سِرّك فى قلبى كالميت فى قبره ، وإذا أُحْيِىَ الموتى يوم القيامة لايحيى هذا الميت .

يعنى : إنى لا أظهره إذا أظهر غيرى سِرّه .

٤ - كَأَنِّى عَصَتْ مُقْلَتِى فِيكُمُ وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ

يقول : إن عينى إذا شاهدت شيئًا من أحوالكم لم ترو[٢] إلى القلب مارأته ، فكأنها تُكاتِمَ القلب ماتبصره .

يعنى : أن سركم يصير فى قلبى منسيًا .

---

(١) مو : « تخافه » .

(٢) ق ، شو : « لم ترد » .

٥ – وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الْغَدْرِ وَالْحُرُّ لَا يَغْدِرُ

يقول : السرّ أمانة وعهد ، وإظهاره خيانة ، والحرّ لا يغدِر بعهده ، فلو أبديتُ سرك صرتُ غادرًا ولم أكن حرًّا .

٦ – إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ فَإِنِّى عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ

[٢٣٧ – ب] النّطْقة : المرّة الواحدة من النُّطق . وهى بمنزلة الكَلِمة ، واللَّفظة

يقول : إذا قدرتُ على أن أنطق بالسِّر ، كنت على السكوت عنه أقدر ؛ لأنه أهون من النطق وأيْسر .

٧ – أُصَرِّفُ نَفْسِى كَمَا أَشْتَهِى وأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ

يقول : أنا أمْلك نفسى ، أصرِّفها كما أريد [(١)] ، وأقهرها على هواها ، وأمْلكها فى حال شدة القتال ، فمتى أرادت الإحجام قهرتها على الإقدام ، فلذلك إذا دعتنى نفسى إلى أن أُبدى السّر قهرتها على كتمانه .

٨ – دَوَالَيْكَ يَاسَيْفَهَا دَوْلَةً وَأَمْرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ يأْمُرُ

الدّوال كالدّولة . ودواليك : نصب على المصدر ، وثنى على التكرير : أى أدَالَك الله دولةً بعد دولة . والهاء فى « سيْفها » للدولة . ودولة : تفسير للدولة المضمرة ، وهى نصب على التمييز ، وقيل : على المصدر ، وأمْرك : أيضًا نصب بفعل مضمر أى مُرْ أمرك [(٢)] .

يقول : أدام الله دَوْلتك . مرْنى بأمْرك ، وخصَّنى بأوامرك ونواهيك ، حتى أتشرف به .

---

(١) ق : «كما أريده» .

(٢) ق : «أى مؤمرك» تحريف .. و مو : «أى أمر أمرك» .

٩ – أَتَانِى رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلاً فَلَبَّاهُ شِعْرِى الَّذِى أَذْخَرُ

أراد أذْخَرهُ ، فحذف الضمير.

يقول : جاءنى رسولك مستعجلا ، يأمرنى بإجازة البيتين ، فلبّيته بشعرى الذى أدّخره وأعدّه .

١٠–وَلَو كَانَ يَوْمَ وَغًى قاتِمًا لَلَبَّاهُ سَيْفِىَ وَالأَشْقَرُ

قاتمًا : نصب صفة ليوم . والقاتم : المظلم من شدة الغبار ، وروى : أيضا « قائِمًا » من قولهم : قامت الحرب . ويوم : نصب لأنه خبر كان ، واسمه مضمر : أى لو كان أمْرك أو إتيان رسولك إلىَّ يوم وغى .

يقول : لو كان دعاؤك إياى إلى يوم حربٍ [1] لأجبتك بسيفى وفرسى .

١١–فَلاَ غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ

فاعل « ينظر » : ضمير الدهر .

يقول : إنك عْين الدهر الذى ينظر بها إلى أهله ، فمن أكرمه كان كريمًا ، ومَنْ أهانه كان مُهَانا ، فكأنه قال : لازلت أبدًا تراعى أهلَ زمانك إذ الدهر [غافل] [2] لولا أنك فيه [3] . والغرض : الدعاء بالبقاء ودوام السلامة .

(٢١١)

وقد كان سيف الدولة استبطأ مدحَه ، وعاتبه مدةً ، ثم لقيه فى الميدان ، فأنكر أبو الطيب تقصيره فيما كان عوّده من الإقبال إليه والتسلم عليه ، فعاد إلى منزله وكتب بهذه الأبيات إليه لوقته [4] :[يعتذر عن إبطاء مدحه ويعاتبه ويشيد بمدائحه فيه].

---

(١) مو : « إلى حرب » .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق . انظر الواحدى والتبيان .

(٣) مو : « لولا كونك فيه » .

(٤) الواحدى ٥١٢ : « وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكّر لذلك » . التبيان ٩٤/٢ : =

١ – أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارَا

الازورار : الإعراض .

يقول : قربي منك صار بعْدًا وإعراضًا ، وطول سلامي[1] صار اختصارا وتقصيرا .

٢ – تَرَكْتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجْلَةٍ أَمُوتُ مِرَارًا ، وأَحْيَا مِرَارًا

يقول : لما عرضْتَ عنّى فيما بين الناس تركْتنى خَجِلا أموت جزعًا ، لإعراضك عنّى ، وأحيَا طوْرًا رجاء كرمك وعفوك .

٣ – أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيًا وأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِى سِرَارا

يقول : كنت أنظر إليك سرقة وخجلا وحياءً ، وإذا زجرْت مهرى أخفيت صوتى لئلا [٢٣٨ – ا] تسمع صوتى حياءً منك وإخفاء لشخصى ، أوكنت أسر زجره مخافةً أن يرى حالى من يجبنى من الفرسان ، فيعرف سقوط منزلتى عندك ، استدلالاً بما بى من الاغتمام ، أوكنْتُ أخفى صوْتى لما لحقنى من الغم ، إذ المغموم لايكاد يرتفع صوته .

٤ – وَأَعْلَمُ أَنِّى إذَا مَا اعْتَذَرْتُ إلَيْكَ أَرَادَ اعْتِذَارِى اعْتِذارَا

يقول : لوْ أردتُ أن أعتذر إليك ، كان عندى أيْضا ذنبًا ثانيًا يجب الاعتذار [منه] إذ الاعتذار من غير ذنب [كذب ، والكذب مما يعتذر منه] [2] والغرض ادّعا براءة الساحة .

وقيل : معناه إنى إذا اعتذرت إليك ، مع علمى بسعة عفوك الذى لا يحتاج

* « ولما استبطأ سيف الدولة مدحه تنكّر فقال له » . الديوان ٣٤٥ : « وقال وكان ... والسلام عليه .. الأبيات » . العرف الطيب ٣٨٠

(١) مو : « السلام » .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام . انظر الواحدى .

معه إلى الاعتذار ، كنت قد أذنبتُ فى اعتذارى ذنبًا آخر ، لأن ذلك يوهم خلاف ما أنت عليه من عادة الصفح وسعة العفو .

وقيل : معناه إن اعتذارى متى اعتذرت يكون كذبا فيلزمنى الاعتذار عنه ، لأنك جفوتنى ، فألجأتنى إلى التقصير فى خدمتك ، فمتى كنتُ كاذبًا فى الاعتذار ، يلزمنى الاعتذار منه أيضا [1] .

٥ - كَفرتُ مكَارِمَكَ البَاهِرَا   تِ إنْ كَانَ ذلك مِنّى اخْتِيَارَا

يقول مقْسِمًا : إنْ كان تأخيرَ مدْحك عن اختيارٍ منّى كذلك ، فجحدتُ مكارِمَك الظاهرات ، ولكن كان اعتذارى على ما بيّنْته .

٦ - وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إلاَّ القَلِيـ   ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إلا غِرارَا

الغِرار [2] : النوم القليل .

يقول : منعنى من قول الشعر همٌّ منع نومى إلا القليل منه .

٧ - وَمَا أنَا أسْقَمْتُ جِسْمِى بِهِ   وَلاَ أنَا أضْرَمْتُ فى القَلْبِ نَارَا

الهاء فى « به » لِلْهَمِّ .

يقول : هذا الهمّ الذى أسقم جسمى بألَمه ، لم يكن عن قصْدٍ منّى ، وكذلك إضْرام نار الهم فى قلبى ، لم يكن من فعْلى ، فإذًا لم يكن هذا الهم عن قصدى ، فلا ذنب لى فيه ، أسْتوجب به عتبك ، ولكن الذنب للزمان .

٨ - فَلا تُلْزِمَنّى ذُنُوبَ الزَّمَانِ   إلَىَّ أسَاءَ وإيَّاىَ ضَارَا

ضَارَ يَضِيرُ وضَرَّه يضره بمعنًى .

يقول : لا تعْتب علىّ فى تأخير مدْحك ، فليس لى فيه ذنب ، وإنما الذنب للزمان الذى قصدنى بهمومه ، وشغَل قلبى عن الشِّعر ، فلا تُلْزِمْنى ذنوبة ، واعلم أن

(١) مو : « يلزمنى الاعتذار منه أيضًا » ساقط .

(٢) [illegible] الغرار فى صلاة : وهو ألا يتم ركوعها [illegible]

الزمان إنما قصدنى بالإساءة ، وألحق الضرَّ بى دونك ، لأن مدحى إياك يزيد فى شرفى ومنزلتى عندك ، وتأخره جرّ على عتْبك وإعراضك عنى ، فالضّرَرَ فى تأخيره راجع إلىّ ، والإساءة واقعة بى لا بك .

٩ – وَعِنْدِى لَكَ الشُّرَّدُ السَّائِرا تُ لاَ يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأَرْضِ دَارَا

يقول : سأمْدحُك من بعْد ، بقصائد سائرات ، لا تستقر فى مكان ، بل تعمّ الشرق والغرب ، والسهل والجبل .

١٠ – فإنّى إذَا سِرْنَ[1] مِنْ مِقْوَلِى وَثَبْنَ الْجِبَالَ وخُضْنَ الْبِحَارَا

المِقْول : اللّسان . يعنى إذا قلت قصيدة سارت فى البر والبحر . وقوله : وثَبْنَ[2] الْجِبَال : عدّاه بنفسه على معنى : جُزْنَ الجبال ومثله لعلىّ بن الجهم[3] فى وصف شعْره :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِى الْبَرِّ والْبَحْرِ[4]

١١ – وَلِى فِيكَ مَالَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمرٌ حيثُ سَارَا

يقول : قد مدحْتُك قبل هذه بقصائد [التى] لم يقل أحد مثْلها ، وقصّر القمر[5] عن شأوها ، فوصلت إلى الآفاق واشتهرت فى العالم .

١٢ – فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلاَمَ وَكُنْتَ النَّهَارَا

يقول : لو كان الناس خلقوا من الدهر لكانوا الليل ، « وكنت النهارا » : يعنى

---

(١) ع : « فهن » الواحدى : « قواف إذا سرْن » ويروى : « فهن إذا » ، « فإنى إذا » .

(٢) وإنما قال : وثَبْن : لارتفاع الجبال وطولها . الواحدى .

(٣) شاعر رقيق الشعر من أهل بغداد . قال الثعالبى : كان فى المحدثين كالنابغة فى المتقدمين وكان معاصرًا لأبى تمام ، وخص بالمتوكل العباسى توفى سنة ٢٤٩ .

(٤) ديوانه ٤٧ والواحدى ٥٢٣ والتبيان ٢/ ٩٦ وفى ٢/٣٤٩ منه : « وهب هبوب الريح فى البلد القفر » فقط ، شرح البرقوقى ٣/١٠٢ والوساطة ٣٣٩ .

(٥) مو : « العمر » .

إن لك فضلا عليهم ، كفضل النور على الظلام .

١٣–أَشَدُّهُمُ فى النَّدَى هِزَّةً وَأَبْعَدُهُمْ فى عَدُوٍّ مُغَارَا

يقول : أنت أشد الناس اهتزازًا فى الجود[1] ، وأبعدهم غارة فى العدوّ ، و « هزة » ، و « مغارا » نصب على التمييز .

١٤–سَمَا بِكَ هَمِّى فَوْقَ الْهُمُومِ فَلَسْتُ أَعُدُّ يَسَارًا يَسَارَا

يقول : ارتفعت همّى على كل همة بسببك ، وصغر فى عينى المال ، فلا أعتدّ باليسار ، ولا أقصر على ما أناله من المال ، فإنما أطلب معالى الأمور ، وارتفاع المحل والمنزلة .

١٥–وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِىُّ لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إِلاَّ كِبَارَا[2]

هذا مثل : يعنى من كنت مقصوده فلا يرضى بالقليل ، ويستصغر الخطب الجليل ، وإنما يرضى منك بشرف القدر وجلالة المنزلة .

(٢١٢)

ورحل[3] سيف الدولة من حلب إلى ديار مُضَر[4] ، لاضطراب البادية بها فنزل حران[5] وأخذ رهائن بنى عُقَيل وقشير والعجلان . وحدث له بها رأى فى الغزو ، فعبر الفرات إلى دُولُوك[6] وإلى قنطرة صَنجة[7] إلى درْب القُلّة[8] ، فشنّ

---

(١) المعنى : أنه أنشط الناس إلى الجود .

(٢) مو : لم يذكر إلا نص البيت فقط ولم يذكر شرحًا له .

(٣) ق : « ودخل » ع : « ثم رحل » .

(٤) هى : ما كان بالسهل بقرب شرق الفرات ، نحو حرّان والرقة وسميساط . معجم البلدان .

(٥) حران : قصبة ديار مضر ، وكانت منازل الصابئة الحرانيين الذين يذكرهم مصنفو الملل والنحل . المرجع السابق وانظر شرح البيت رقم ١٦ .

(٦) دلوك : بفتح الدال أو ضمها بليدة من نواحى حلب . انظر شرح البيت رقم ١٩ .

(٧) صنجة . نهر بين ديار بكر وديار مضر ، عليه قنطرة عظيمة تعد من العجائب . شرح البيت رقم ١٩ . البلدان .

(٨) يقول ياقوت : أظنه فى بلاد الروم . معجم البلدان وانظر شرح البيت رقم ١٠ .

الغارة على أرض عَرَقة [١] ومَلَطْيَة [٢] وعاد ليعبر من درب مَوْزار [٣] فوجد العدو قد ضبطه عليه ، فرجع وتبعه العدو ، فعطف عليه فقتل كثيرًا من الأرمن [٤] ، ورجع إلى مَلَطْيه ، وعبر قُباقِب [٥] (وهو نهر) حتى ورد المخاض على الفرات : (وهو نهر) ، تحت حصن يعرف بالمِنْشار [٦] ، فعبر إلى بطن هِنْزِيط وسُمنين [٧] ونزل بحصن الران [٨] ورحل إلى سُمَيْساط [٩] فورد عليه بها من أخبره أن عدوّه فى بلد المسلمين ، فأسرع إلى دُلُوك فعبرها ، فأدركه راجعًا على جَيْحان [١٠] فهزمه وأسر قسطنطين [١١] بن الدُّمستق ، وجرح الدُّمستق فى وجهه . فقال أبو الطيب يصف

(١) فى النسخ والديوان : « عرفة » والتصويب من معجم البلدان وانظر شرح البيت ٢٣ .

(٢) مَلَطْية : من بلاد الروم تتاخم الشام . المرجع السابق وانظر شرح البيت ٢٧ .

(٣) مَوْزار : حصن ببلاد الروم . انظر شرح البيت ٢٤ .

(٤) الأرمن : شعب آرى موطنه ببلاد أرمينيا « آسيا الصغرى » وهى الآن تتبع روسيا لغته هندو أوربية ذات أبجدية خاصة . انظر الموسوعة العربية « أرمينيا » .

(٥) انظر شرح البيت ٢٨ . (٦) قريب من الفرات .

(٧) هنزيط وسمنين : ثغران من ثغور الروم . معجم البلدان وردا فى شعر أبى فراس والمتنبى انظر رقم ٣٢ . (٨) انظر شرح البيت ٣٥ .

(٩) مدينة غربى الفرات ولها قلعة يسكنها الأرمن . انظر شرح البيت ٣٧ .

(١٠) جيحان : نهر مخرجه من بلاد الروم . وهو غير نهر جيحون . معجم البلدان .

(١١) وظل عنده إلى أن مات فى أسره ، وكان كتب إلى أبيه الدمستق بإكرام سيف الدولة له فى الأسر وأنه هو الذى كان يخدمه فى مرضه فرأى منه شفقة ولطفا .

وقيل : إن قسطنطين المأسور كان فى غاية الحسن والجمال فبذل أبوه فى فدائه ثمانمائة ألف دينار ، وثلاثة آلاف أسير ، فاشتط سيف الدولة ، فسير الدمستق إليه عطّارا نصارنيا بحلب ، وأمره أن يسقى ولده سمًّا ففعل ومات . وعدّتْ هذه علّى سيف الدولة . انظر نخب تاريخية وأدبية ، مريوس كنارط الجزائر سنة ١٩٣٤ وانظر النجوم الزاهرة سنة ٣٤٢ .

ويذكر ابن الأثير فى الكامل ٣٤٧/٦ أن ابن الدمستق قتل فى غزوة الحوت سنة ٣٤٣ . ويقولُ أبو فراس فى هذه الغزوة ١١٨/١ :

١٦٣ – وابن «قسطنطين» وهو مكبّل ... تحفّ بطاريقٌ به وزراورُ
١٦٤ – وَوَلىّ علّى الرسم الدمستق هاربًا ... وفى وجهه عذرٌ من السيف عاذر
١٦٥ – فدى نفسه بابن عليه كنفسه ... وللشدة الصماء تفنى الذخائر
١٦٦ – ويقطع العضد النفيس لغيره ... وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

ماكان فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة[1] .

١ – لَيَالِىَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ

شُكول : جمع شكل فى الكثير[2] وهو المِثْل ، واختار الجمع الكثير فى الطول لِلَّيالى ، ليكون أبلغ فى الشكْوى ، وأدلّ على عظم الشوق والبلوى. ولياليَّ : مبتدأ ، وشكول : خبره . وطوال : بدل من شكول ، فكأنه قال : لياليَّ طوالٌ ، وإن شئت جعلت طوالا تفسيرًا لشكول ، وأضمرت فيه مبتدأ يرفعه : أى هى طوال وتمّ المعنى عند قوله طوال . ثم ابتدأ فقال : « وليل العاشقين طويل » .

المعنى : لياليَّ بعد الأحباء الظاعنين[3] على كلها مشاكِلَة فى الطول ، لا تختلف كلَيالِى سائِر الناس ؛ لأنها تقْصُر مرّة وتطول أخرى ، ثم قال : إن ليل العشّاق كذا يكون ، وكلّ عاشقٍ [٢٣٩ – ا] يطول ليله ؛ لِسهَره فيه ، وعظم حزْنه شوقًا إلى حبيبه . وقيل : أراد أنها مشاكِلة فى السهر وبُعْد النوم وفقْد الروح والرّاحة ، شوقًا إلى الظّاعنين ، فهى طوال ، لبعد العهد باللّقاء وطول المدة ، ولا يسلِّى عنى مابى من الشوق ، فهى مشاكلة يشْبه أوّلها آخرها فى الشوق إلى الظاعنين .

٢ – يُبِنَّ لِىَ الْبَدْرَ الَّذِى لَا أُرِيدُهُ وَيُخْفِينَ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

يُبِنّ : أى يُظْهِرن ، والنون فيه ، وفى يخفِينَ : لِلَّيالى .

يقول : هذه اللّيالى يُظهِرْن لى بدرًا لا أريده ، وهو بدر السماء ولا أشتهيه ، ولا أختار النّظر إليه ، ويستُرْن عنّى بدرًا لا سبيل لى فى الوصول إلَيْه ، وأراد بهِ حَبِيبَه .

---

(١) بالواحدى ٥١٤ : « ورحل سيف الدولة من حلب يؤم ديار مضر لاضطراب البادية بها فنزل حرّان فأخذ رهائن بنى عقيل وقشير والعجلان ، وحدث له بها رأى فى الغزو ، فعبر الفرات إلى دلوك ، فقال أبو الطيب يذكر طريقه وأفعاله فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٢ » . التبيان ٣/ ٩٥ : « وقال يمدحه ، وأنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة الديون ٣٤٧ بقرب جدًّا مما هو مذكور فى الشرح . العرف الطيب ٣٦٩ . (٢) وجمع القلة : أشكال .

(٣) جمع ظاعن : وهو المرتحل .

وإنما قال ذلك ؛ لأنه يراه بالنّهار ، والغيْبة كانت تحصلُ باللّيل ، وإنّما لا يريد البدر الحقيقى ، لأنه يَنِم[١] إذا سار إلى حبيبه ، فلا يتمكن من الوصول إليه فى ضوئه . قال ابن المعتز[٢] :

وَلَاحَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا ... مِثْلِ الْقُلَامَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ[٣]

وقال بعضُ الأعراب :

أَشْكُو إِلَيْهَا ثَلَاثًا لَا تُلَائِمُنِى ... مِنْهَا: العجوز[٤] وَمِنْهَا الْكَلْبُ وَالْقَمَرُ

٣ – وَمَاعِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَحِبَّةِ سَلْوَةً ... وَلَكِنَّنِى لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ

سَلْوَةً : نصب على أنه مفعول له ، وقيل : على التمييز .

يقول : لا تظن أن بقائى بعد رحيل حبيبى عنى هو للسّلوة عنه ، ولكن هان علىّ حوادث الدهر وتحمل الشدائد . وقريب منه قوْل الآخر :

فَلَوْ كَانَ قَلْبِى سَاعَةَ الْبَيْنِ زُبْرَةً ... جَرَى جَزَعًا أَوْصَخْرَةً لَتَفَطَّرَا[٥]

وَلَكِنَّهُ مِنْ جَوْهَرٍ لَا تُحِيلُهُ ... حَوَادِثُ صَرْفِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَنَكَّرَا

ولكن قلبى أشد من الحديد ، وأقسى من الصخر ؛ فلهذا لم يذب من لوعة الهجر . ومثله لأبى خراش[٦] :

---

(١) ق : « يتم » . مو : « ينم » تحريفات .

(٢) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل العباسى بن المعتصم بن هارون الرشيد ، خليفة يوم وليلة ، ولد سنة ٢٤٩ فى بغداد وأولع الأدب فكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم فكان أشعر بنى هاشم على الإطلاق وأشعر الناس فى الأوصاف والتشبيهات وقتل سنة ٢٩٦ هـ . ترجمته فى الأغانى ١٠/ ٣٧٤ وابن خلكان ١/ ٢٥٨ ومعاهد التنصيص ٢/ ٣٨ والمنتظم ٦/ ٨٤ و ٢٥٨ .

(٣) ديوانه ٢١٩ والمثل السائر ١/ ٤٢٢ وحماسة ابن الشجرى ٢١٢ وفيه : « كاد يفضحه » .

(٤) ق : « العجول » .

(٥) ع : « لتقطعا » .

(٦) هو : خويلد بن مرة ، من بنى هذيل وأحد حكماء العرب ، شاعر مخضرم أدرك الإسلام . وهو فارس فاتك مشهور ، واشتهر بالعدو فكان يسبق الخيل ، أسلم وهو شيخ كبير وعاش إلى زمن عمر . الأغانى ٢١/ ٣٨ – ٤٨ وخزانة الأدب ١/ ٢١٣ .

فَلا تَحْسَبَنِّى أَنِّى تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ[١] وَلَكِنَّ صَبْرِى يَا أُمَيْمَ[٢] جَمِيلُ[٣]

٤ - وَإِنَّ رَحِيلاً وَاحِدًا حَالَ بَيْنَنَا وَفِى الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ

يقول : معتذرًا لبقائِه بعْدَ فراق الأحبّة . إنّ رحيلهم الواقع ، قدْ حال بيني وبينهم ، وبقى رحيل آخر وهو الموت ، وسيحصل هذا الرحيل أيضًا أسفًا على فراقهم ، فيزيد البعْد بينى وبينهم ، وتنقطع الأسباب عنّا بالكلّية .

٥ - إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ فَلا بَرِحَتْنِى رَوْضَةٌ وَقَبُولُ

الرَّوْح فى اللغة : الرِّيح ، وأكثر ما يستعمل فى الرِّيح المستلذّة ، وقد يستعمل فى معنى الرَّاحة ، وقيل : أراد بشم الرَّوْح : الحياة . والْقَبُول : الرِّيح تأتى من جهة القِبْلَة ، وخصّها لأنها كانت تجىء من ناحية حَبيبه . وأدْنَى : فعلٌ متعدٌ من دَنَيْتُ .

والمعنى : إذا كانت الحياة وشم الرَّوْح يقربنى إليكم ، فلا فارقتنى حياة ولا برحَتْ مكانى روضة وقَبُول ؛ لأنها[٤] تكون سببًا إلى انتشاق روائحكم . وهذا توكيد لعذره[٥] فى الحياة بعدهم ؛ لأنه يجد فى الحياة أسبابًا تقرّبه منهم[٦] : من نسيم محبوبته ، وامتزاج أنفاسه بأنفاسها ، ووصول القَبُول من جهته ، وغير ذلك .

وقيل : إن « أدْنَى » : اسم بمعنى أقْرب : يعنى أن شم الرَّوْح إذا كانت أقرب إليكم ، قرّب [٢٣٩ – ب] المسافَة ، وأدْنَى إلى جهتكم ، فلا فارقنى الّذى هو قَرِيبٌ منكم .

وقيل : أراد بالقرب . قرب المحبّة دون المسافة .

ومعناه : إذاكان شم الرَّوْح أقرب إلى قلوبكم وأشبه بإيثار محبتكم ، فلا فارقتنى

---

(١) فى النسخ : « بعده » والواحدى ٥١٤ : « عهدكم » والتصويب من المراجع التالية فى الهامش رقم (٣) .

(٢) أميم : مرخم أميمة .

(٣) قاله ضمن أبيات يذكر أخاه عروة بن مرة . رغبة الأمل ٨/ ١٤٧ وديوان المعانى ١/ ١٣١ وزهر الآداب ٣/ ١٥٩ والتبيان ٣/ ٥٩ وشرح البرقوقى ٣/ ٢٧٠ .

(٤) لأنها : أى الحياة . والمعنى : دعا لنفسه بالحياة لأنه مادام يشم الروح فهو أقرب إليهم من إذا صار تحت الأرض . المعرى فى تفسير أبيات المعانى .

(٥) ع : « بعذره » .

(٦) ع.ف : « تقر به عينه منهم » .

الرّوضة والقَبول ، حتى لا أكون مفارقًا ما تهدون وتؤثرون .

وقيل : معناه إذا لم يكن من فراقكم إلا التعلّل بالنسيم ، شهوةً لما كان ينالني من الفرح بقربكم[1] ، فلا فارقتني روضة وقَبول يهيّج ذلك النسيم[2] لى ، لأشمّه . ومعناه : إنى أرضى بقليل الراحة من الشوق ، إذا لم أصل إلى الحبيب .

والأولى فى « بَرِحَتْنِى » أن يكون فعلا تامًّا ، كفارقَتْنى . فيكون « روضةٌ » رفعًا به ولا يحتاج إلى الخبر ، كقوله تعالى : (فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ)[3]

وعن ابن جنى أنه من باب (كان) و « روضة » اسمه وهى نكرة . وخبره : ضمير لشمّ الروح . ونكّر اسمه لأجل القافية ضرورة .

٦ – وَمَا شَرَقِى بِالْمَاءِ إلا تَذَكُّرًا لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ

نصب « تَذَكُّرًا » على الحال ، أى متذكِّرا ، ويجوز أن يكون مفعولا له .

يقول : إذا أردتُ شرب الماء تذكّرتُ الماءَ الذى نزل عليه أهل من أحبّه فشَرِقْت بهذا الماء ، لما خنقنى من العبرة ، أو لأجل أنى كنت أشتهى أن يكون شربى من الماء الذى نزلوا عليه ، لمجاورته إياهم .

وحكى أن الصاحب[4] أنشد هذا البيت فقال : ليس والله هذا هوًى وصبابة ، ولكنه وفاءٌ ورعاية .

٧ – يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ

---

(١) ق : « بقبولكم » .

(٢) مو : من « بالنسيم شهوة ...ذلك النسيم » ساقط انتقال نظر .

(٣) سورة يوسف ١٢/ ٨٠ .

(٤) هو : أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد الذى اشتهر بلقبيه : الصاحب وكافى الكفاة . ولد سنة ٣٢٦ وبرز وقام الإجماع على الاعتراف به ككاتب بليغ وشاعر مجيد وذى نظر صادق فى النقد وصاحب منهج خاص فى النثر . من كتبه : الكشف عن مساوئ المتنبى . وجمع لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبى وحكمه تجدها فى الوسيلة الأدبية للمرصفى ج٢ ونشرها الأستاذ زهدى يكن على حدة فى بيروت . ومات الصاحب سنة ٣٨٥ .

يقول : إن هذا الماء ممنوعٌ الوصولَ إليه مما فوقه من الرِّماح ، وما حوله من الأبطال ، فلا يصل إليه أحد ، لعزّة قومه .

٨ – أَمَا فِى النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لِعَيْنِى عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ ؟

يقول مستفهمًا ، ومستطيلا لِلّيل : أما فى نُجوم هذا اللّيل السيّارة منها ، والثّابتة(١) – على ما يقوله المنجمون – نجمٌ يدل على ضوْءِ الصباح . وزوال الظلام ؟

لأن كثيرًا من النجوم يختص طلوعها بأواخر اللّيالى ، فيجب أن يعرفه ، ليدل على قرب الصباح . وروى : « أَمَا فِى النُّجُومِ السَّارِيَاتِ وَغَيْرِهَا » : معناه ليس فى هذه النجوم التّى تسرى باللّيل ولا فى غير النّجوم : من صوتِ طائرٍ وغيره ، ما يدل على طلوع الفجر وذهاب الليل .

٩ – أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِى فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ ؟

روى : « رِقّة » و « دِقّة » يقول : ألم ير هذا اللّيل الطويل عينيْكِ يا حبيبتى مِثْلَمَا رأيتها ؟ ! حتّى يذوب ويزول ، فيصيرنا حلاً دقيقًا مثلى .

وقيل : معناه يا رُؤْيتى يعنى . ألم ير الليل عينَيْكِ يا رُؤْيتى ؟ ! ولم يَرَ دَمْعَها ونحولها فيرحمنى ، ويرقّ لى ، ويظهر فيه النّحول والقصر رقّةً علىّ ، فيزول الليل ويقصر .

١٠ – لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لُقْيَةً شَفَتْ كَمَدِى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ

تخلّص إلى مدح سيف الدولة وقال : لقيتُ الفجرَ فى هذا الموضع . الذى هو دَرْب القُلّة ، لُقْيةً واحدة ، وهذه اللّقْية شفت حزْنى [٢٤٠ – ا] وأذهبت كَمَدى ، وصار اللّيل قتيلاً ، لانقطاعه وذهابه . وقيل : إنما جعل اللّيلَ قتيلا . لأنه أراد أن الحُمْرة التى تظهر عند الفجر كانت كالدَّم على بدن القتيل .

وقيل : لم يرد حقيقة الفجر . وإنما أراد نيرانًا أوْقدها سيفُ الدولة بدرب

(١) مو : « والثانية » .

القلة ، وكان ضياؤها مختلطًا بالدّخان ، فشبّه اختلاط الضّياء بالدخان ، بالفجر الذى يختلط فيه الظلام بالضياء . والهاء فى « فيه » تعود إلى الدّرْب . وقيل : تعود إلى القلّة ، وذكّره على تأويل الموضع والمكان . ودرب القلة : موضع ببلاد الروم .

وعن ابن جنى قال : سألته وقت القراءة [عليه] عن [معنى] هذا فقال : كنّا نساير سيف الدولة فلقينا القلّة وقت السّحر مع الفجْر ، فكأنى لقيت الفجر بها ، ثم سرنا صَبيحَةَ[1] ذلك اليوم [إلى العصر][2] وشنّنّا الغارات ، وغنمنا .

١١ – وَيَوْمًا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ ، عَلامَةٌ بَعَثْتِ بِهَا والشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ

يَوْمًا : نصب عطفًا على قوله : « لقيت بدرْب القلّة الفجرَ لُقْيَةً » و « يومًا » .

وجعل حُسْن اليوم الذى ظفر فيه الممدوح بالروم ، كأنه علامة من محبوبته ، وجعل الشّمس كأنها رسولُهَا ، وذلك لسروره فى هذا اليوم ، وسروره بطلوع الشمس فيه .

وقيل : إنه إنما استحسن هذا اليوم ، وطلوع الشمس فيه ؛ لزوال الليل واستراحته بالنهار من السّهر والحزن .

وقيل : معنى البيت أن الحسْن فى ذلك كان خفيًّا لشدة الحرب ، وإظلام الجوّ بالقتام ، وأن الشمس كانت تبدو مرة وتختفى أخرى[3] لتكاثف الغُبار ، فشبّهه برسول يأتى من عند حبيبته ، فهو إذا رأى رقيبًا توارى ، وإذا صادف خلوة بدا ، وشبّه حسْن ذلك اليوم : « وهو النّصر والظفر بالأعداء » فى حقائقه – بعلامة تكون بين المحب وحبيبه ، لا يعلمها أحدٌ سواهما ، وفيه إشارة إلى أن الحرب كانت قد اشتدت فى ذلك ، حتى خفيت علامة النصر ، إلا على سيف الدولة ، فإنه كان عالمًا بالظّفر ، كما يعلم المحبّ العلامة التى بينه وبين حبيبته[4] وهذا من لطائف أبى الطيب .

---

(١) فى النسخ : « إلى صنجة » وصنجة نهر بين ديار بكر وديار مضر انظر مقدمة هذه القصيدة .

(٢) مابين المعقوفتين عن رواية ابن جنى فى كتابى : تفسير أبيات المعانى ، والتبيان .

(٣) ق : « وتخفى آخره » . (٤) مو : من « حبيبه ... حبيبته » ساقط انتقال نظر .

١٢–وَمَاقَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ وَلاطُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلاَمِ ذُحُولُ[١]

اثّار : افتعل[٢] من الثأر . أى أدرَك ثأره . يقال : اثّارَ وثَار بمعنى . والذحول : جمع ذَحْل وهو الحقد فى القلب . فذكَر أن اللّيل صار قتيلاً ، ثم قال : إن القاتل هو سيف الدولة .

وقال : لوْلا سيف الدولة لم يقدر عاشقٌ على أخذ الثأر من الليل . وما أدْرك عاشقٌ ثأره قبل حصول سيف الدولة بدرب القلّة . ولم يطلب أحدٌ عند الليل ذحلاً وثأرًا قبله وهذا ضدّ قوله فى بدْر :

حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عمّارِ بن إسماعِيلا[٣]

١٣–وَلَكِنَّهُ يَأْتِى بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ ، عَلَى اسْتِغْرَابِهَا ، وَتَهُولُ

تَرُوقُ : تُعجب بحسنها ، وتَهُولُ : تخوّف .

يقول : إن قتله[٤] الليل وإدراك ثأره منه أمر عجيب ! وشىء عجيب ! لكنَّ سيف الدولة لا يزال يأتى بكل فعل غريب ! كل من رآه راقه حسنه ، ويهول القلوب لعظمه ، فليس هذا منه[٥] ببديع .

١٤–رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا
وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ

[٢٤٠ – ب] الدّرب : هاهنا ، موضع معروف من بلاد الروم[٦] .

يقول : رمى دَرْبَ الروم ، كما يرمى لغرض بالسّهام ، ولم يعلم الرّومُ أن الخيل فى السرعة تقوم مقام السهام . شبّه خيله بالسهام فى إقدامها وسرعتها .

---

(١) فى النسخ « دفول » . (٢) ق : « اثار : افعل » .
(٣) ديوان المتنبى ١٣٣ . (٤) ق : « قتيل » ع : « قتل » .
(٥) مو : « منه » مهملة .
(٦) يذكر صاحب التبيان أن الدرب : المدخل إلى أرض العدو .

١٥–شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ

الشَّوائِل : جمع شائلة . وعدّاها إلى القَنَا بالباء . والتّشوال : مصدر شوّل . والمَرَح : النّشاط . والشّوائِلَ : نصب على الحال . وقوله : « لها مرحٌ » إلى آخره نصب على الحال . والهاء فى « تَحْتِه » للقنا ، راجع إلى اللفظ .

يقول : رمى الدَّرب بالخيل رافعةً رماحها ، كما رفعت العقارب أذْنابها ، وكان لهذه الخيْل مرحٌ تحت القنا وصهيل ، يعنى بأن الركض لم يُذْهب مرحها . وهذا من قول بشّار[1] :

وَالْخَيْلُ شَائِلَةٌ تَشُقُّ غُبَارَهَا كَعَقَارِبٍ قَدْ رَفَعَتْ أَذْنَابَهَا[2]

غَيْر أنه زاد عليه فى التّشبيه ، فبشّار شبّه الخيل الرّافعة لأذنابها بالعقارب ، رافعة أذنابها ، فالتشبيه واقع على وجهٍ واحد ، وهو أَوْقع التشبيه من وجهين :

أحدهما : أنه جعل الخيل شائِلة بالقنا ، كما تشول العقارب بأذنابها .

والثانى : أنه شبّه أطراف الرماح بأذناب العقارب ، وأن لها من الطعن مثل ما للعقارب من اللّسْع ، فأخذ معنى بشار ، وضمّ إليه هذه الزيادة ، فكان هو أولى بِهِ من بشار .

١٦–وَمَاهِيَ إلا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَنًا وَنُصُولُ

وَمَاهِيَ : أى الغزاة . وحرَّان : مدينة بالشام ، والضمير فى « لَهُ » للمدوح ، وفى « لَبَّتْها » للخطرة ، والتاء : للقنا ، والنصول : للسّيوف ، وعرَضَتْ : أى ظهرت .

---

(١) هو : بشار بن برد بن يرجوخ ، ولد أعمى فما نظر إلى الدنيا قط . وكان يرجوخ من طخارستان من سبى المهلّب بن أبى صفره ، ويكنى أبامعاذ ، ومحله فى الشعر وتقدمه فى طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة قال الثعالبى : هو أستاذ المحدثين وبدرهم ومصدرهم وأعجوبة الدنيا لأنه أعمى وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، معاهد التنصيص ١/ ٢٨٩ الأغانى ١٩/٣ – ٧٣ وخزانة الأدب ١/ ٥٤١ وابن خلكان ١٥٦/١ والشعر والشعراء٤٧٦ وخاص الخاص ١٠٧

(٢) ديوانه ٤/ ٢٤ وقال جامع الديوان : أنشد له المعرى فى معجز أحمد وذكر البيت رقم ١٥ وبيت بشارفى الكشف عن مساوئ المتنبى أيضا ص ٢٥٨ .

يقول : لم تكن هذه الغزاة عن تأهّب واستعداد ، ولكن خطر بقلبه وهو بحرّان أن يقصد بلادَ الرّوم ، فأجابته الرِّماح والسيوف ، فسار إليهم غير محتفل .

١٧– هُمَامٌ إِذَا مَاهَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بِأَرْعَنَ ، وَطْءُ الْمَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ

الهُمُوم : بمعنى الهِمَم . والأَرْعَن : الجيش العظيم .

يقول : هو عظيم الهمّة إذا همّ بشيء وعزم على أمرٍ أمضاه . بجيش عظيم ، كأنه لا يمرّ على ناحيةٍ إلا أنكى فيها وأكثر القتل فيها ، وهو فى معنى قوله : « وطْءُ الموت » : وقعه ، يعظم ويكثر من هذا الجيش ، أو يشتد وطءُ هذا الجيش ويعزّ عليه .

١٨– وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فى كُلِّ بَلْدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ

وخَيْلٍ : عطف على أرْعن . والتَّعْريس : النّزول آخر الليل .

المعنى : إذا همّ بأمرٍ أمضاه بجيش أرعن ، وبخيل قد أنحلها اتّصال السير بالسُّرى ، فإذا عرّسَتْ فى بلدة من بلاد العدو ، رحلت عنها ولم تقم إلى وقْت القائلة .

١٩– فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكَ وَصَنْجَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ

تجلّى : أى بان عنها وفصل ، وأصله للظُّهور . ودُلُوك وصنْجة : موضعان من بلاد الأرمن . والطَّوْد : الجبل . والرَّعيل : قطعة من الخيل تتقدم الجيش .

يقول : لما انفصل[1] عن هذين الموضعين وانتشرت خيله[2] على رءوس الجبال ، فكان على كل جبل راية وخيل .

٢٠– عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِى ذِكْرِهَا عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ

(١) ع : « لما انفصل » ساقطة .

(٢) ع : « انتشر بخيله فيها » .

الهاء فى « فيها » للطرق . وقيل راجعة إلى كل طود وهو فى معنى الجمع ، ومعناه أنه سار إليهم بين الجبال ، فى الطرق المجهولة فكانت[1] فيها رفعة على سائر الطرق ، لأنها كانت على رءوس الجبال .

وقيل : معناه أنها كانت رفيعة القدر[2] من حيث كانت موصلة إلى المطالب الجليلة ، والمغانم الجزيلة . ثم قال : فى ذكر هذه الطرق عند الناس خمول ؛ لأنها غير مسلوكة ولا يهتدى إليها أحد ، فطابق بين الرفعة والخمول .

٢١-فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً   قِبَاحًا ، وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ

فما شعروا : يعنى الروم ، أضمرهم لدلالة الحال ، وتقدم العلم .

يقول : ما علم الروم بخيل سيف الدولة ، حتى شاهدوها تغير عليهم ، فكانت قباحًا فى أعينهم ؛ لسوء أفعالها بهم ، وإن كانت جميلة الخَلْق حسنة المنْظر . ومغيرةً : نصب على الحال ، وليس مفعولاً لرأوها : لأن الرؤية بمعنى المشاهدة لا تتعدى إلى مفعولين . وقباحًا : بدل من « مغيرة » ويجوز أن تكون حالاً ثانية ، كقولك : جاء زيدٌ راكبًا مسرعًا . ويجوز أن تكون « الرؤية » من رؤية القلب فيكون المفعول الأول الهاء ، و « مغيرة » حالاً . أى رأوها فى حال غارتها قباحًا .

٢٢-سَحَائِبَ يُمْطِرْنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمُ   وَكُلُّ مَكَانٍ بِالدِّمَاءِ غَسِيلُ[3]

سحائب : نصب بدلاً من قباح ، ويجوز فيها الرفع على إضمار المبتدأ : أى هذه الخيل سحائب[4] .

يقول : هذه الخيل سحائبُ ولكن مطرها الحديد[5] ، ثم قال : وكلّ مكانٍ

---

(١) مو : « وكانت » .

(٢) ع : «القدر» مهملة .

(٣) فى الواحدى والتبيان والديوان :

. . . .   فَكُلُّ مَكَانٍ بالسيوف غسيلُ

(٤) جعل الخيل كالسحائب ، لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال . الواحدى .

(٥) جعل مطرها الحديد ، لأنها تنصب عليهم بالسيوف والرماح .

حلّت به مغسول بدماء الأعداء لكثرة القتل به ، وإسالة الدماء فيه .

٢٣–وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعِرْقَةٍ كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلاتِ ذُيُولُ

يَنْتَحِبْنَ : أى يرفعن أصواتَهُنَّ بالبكاء . وعِرْقة : مدينة بالشام ، وقيل : من الروم[1] .

يقول : حصلت السبايا بعرقة ، فأقمن بها يبكين على من قتل من أولادهن وأقاربهن ، وقد شققن جيوبهن حتى صارت فى السّعة كالذيول .

وقيل : أراد بالسبايا الأولاد ، وبالثاكلات : الأمهات فى الروم : يعنى لما سَبَى الأولادَ ، بكتَ أمهاتهنّ فى الروم عليها .

٢٤–وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمَوْزَارَ قُفَّلاً وَلَيْسَ لَهَا إلاَّ الدُّخُولَ قُفُولُ

مَوْزَار : اسم بلد .

يقول : إن خيله أغارت عليهم ، وحملت السبايا إلى عِرقة ، وعادت لتعبر من درب موزار ، ثم عادت راجعةً إلى بلادهم مرّة أخرى ، فلمّا رأوها بموْزار ظنُّوها راجعة إلى بلاد الإسلام ، ولم يعلموا أنها عادت لتدخل بلادهم مرة أخرى ، فصار دخولها قفولا .

وكان سيف الدولة أراد بعد الإغارة أن يعْبر من درب موْزار ، فوجد العدّو هناك ، قد أخذ عليه الدّرب ، فرجع داخلا إلى بلاد الروم ، وتبعه العدوّ فعطف [٢٤١ – ب] عليه وقتل كثيرًا من الأرمن . وهذا معنى قوله : « وليسَ لَهَا إلا الدُّخولَ قُفُولُ » .

٢٥–فَخَاضَت نَجِيعَ الْجَمْعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ

الضمير فى خاضت : لخيل سيف الدولة . والهاء فى « كأنّه »[2] للنّجيع ، وهو الدم .

---

(١) ضبطها ياقوت بكسر العين وسكون الراء . وقال أبو بكر الهمزانى : عرقة ، بلدة من العواصم بين رفنيّة وطرابلس . انظر معجم البلدان .

(٢) الواحدى وتابعه التبيان يريان أن الهاء فى « كأنه » تعود على المصدر « خوضًا » .

يقول : إنها عادت(١) إلى بلاد الروم ، وقتلتْ الأبطال ، وخاضت فى دمائهم المصبوبة ، فكأن هذه الوقعة ضمنت لها سفك كل دم بعدها ؛ لأنها قتلت قوّاد الجيوش ، فسهل بعد ذلك عليها مرامها ، وصار من لم يُقتل(٢) تحت قدرتها متى شاءت قتلته ، وخاضت فى دمه .

٢٦–تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فى كُلِ مَسْلَكٍ بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ

يقول : إن النيران تسايرها وترافقها فى كل موضع تسْلكه من بلاد الرّوم ، لأنها كانتْ تنزل فيه ، وتوقد النيران فيه ، وهو خراب وأهله صرعى ، ولم يبق لديارهم إلا الآثار .

وقيل : معناه أنها قتلت أهل كل منزل نزلته(٣) ، وأحرقت مساكنهم .

٢٧–وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فى دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ مَلَطْيَةُ أمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ

مَلَطْية : مدينة من بلاد الروم .

يقول : إن الخيل كرّت على أهل مَلَطْية(٤) فخاضت فى دمائها ، فصارت مَلَطْية مثل أمٍّ ثكلت أولادها .

٢٨–وَأَضْعَفْنَ مَاخَلَّصْنَهُ(٥) مِنْ قُبَاقِبٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْماءَ فيهِ عَلِيلُ

ما خلَّصْنه : أى خلَّصْن من الماء ، من بين القوائم . وروى : « ما كَلَّفْنه » أى الموضع الذى كُلِّفت الخيل [قطعه] من هذا النهر . وقُباقب : اسم نهر(٦) .

(١) ق : « غارت » .

(٢) مو : « تقتله » ورواية البيت فى التبيان والعرف الطيب : « فى كل منزل » بدل : « مسلك » .

(٣) مو : « أنزلته » ق : « نزلت » .

(٤) هكذا ضبطها ياقوت ويقول : والعامة بكسر الطاء وتشديد الياء .

(٥) فى الواحدى والتبيان والديوان « ماكَلَّفنه » .

(٦) نهر يدفع فى الفرات ، وهو قرب ملطية . معجم البلدان .

يقول : إن الخيل لما عبرت هذا النهر سكّرته[١] بقوائمها ، وكسرت شدة جرى الماء ، وأضعفت قوته ، فصار الماء يضعف جريه ، كأنه عليل .

شبّه جريه بين قوائمها بمشى العليل فى فتور وضعف .

٢٩– وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ

وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ : يعنى أن الخيل خوّفن بنا[٢] قلب الفرات . أى عبرته بنا الخيل ، وخاضت ماءه .

وشبّه انحدار الخيل فيه بتدافع السّيل ، وشبه الخيل بالسيول ، والرجالَ بما تحمله السيول .

فيقول : كأنه مثل السّيول[٣] تقع من موضع إلى موضع من الوادى .

٣٠– يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ

الضمير فى « فيه » و« موْجَه » للفرات . وفى « عَلَيْه » للسابح[٤] و« الغمرة » معظم الماء ، وأراد به هاهنا معظم الحرب . والْمَسِيل : حيث يسيل الماء .

يقول : إنّ الخيل لما عبرته كان يدافعها موجُه ، فكأنها تطارده[٥] : أى تحاربه . وسواء على كلّ فرس منها خوض الماء ، وغمرة الحرب ، وكلاهما سهل عليها .

٣١– تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ وَأَقْبَلَ[٦] رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ

تشبيه بديع ، لأن التليل : العُنُق .

---

(١) فى النسخ : « سكرتها » والتصويب عن رواية ابن جنى فى تفسير أبيات المعانى . سكر سكُورا وسكَرانا : فتر وسكن . اللسان .

(٢) مو : « بها » .

(٣) مو : من « السيول .. السيول » ساقط انتقال نظر .

(٤) المراد بالسابح : الفرس الذى يمد يديه .

(٥) ق : « تطاردته » . (٦) ق ، مو : « فأقبل » .

يقول : كأن الماء حَمِيَ جسده وأبان عن رأسه وعنقه[1] . فهذا الفرس إذا سبح لم يظهر منه إلا رأسه وعنقه [٢٤٢ – ا] .

٣٢–وَفِي بَطْنِ هِنْزِيطٍ وَسُمْنِينَ لِلظُّبَى
وصُمٌّ[2] الْقَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ

أَبَدْنَ : أهلكن . والضمير للخيل . ولِلظُّبَى .وصُمّ القنا . وهنزيط وسُمْنين : بلَدان من الروم .

يقول : إن أصحاب السيوف والرّماح قد أهلكوا أهل عرفة ومَلَطْية ، ولم يصلوا إلى بطن هنزيط وسُمنين . فكأنّ أولئك الهالكين بدل فى هاتين البلدتين للسيوف والرماح ولأصحاب الخيول ، يهلكونهم متى شاءوا ، ويقتلونهم متى قفلوا .

٣٣–طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَهَا لَهَا غُرَرٌ مَاتَنْقَضِي وَحُجُولُ

طَلَعْن[3] : أى الخيل . « عليهم » : أى على أهل هنزيط وسمنين .

المعنى : أن خيل سيف الدولة لما فرغت من أهل مَلَطْية ، عطفت عليهم وطلعت على ديارهم ، وهذه الطَّلعة معروفة مشهورة ؛ لأنها لم تكن أول مرة ، بل تقدّم لها أخوات مشهورة كشهرة الغرر والحجول[4] ، فى الخيل الغرّ المحجّلة . والعرب تصف الشُّهرة بالغرّة والحجول ، كما قال الآخر :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتُ اللهِ لاتَقْتُلُونَهُ وَلَمّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ[5]

وقوله : « لها عزر » مأخوذ من قول السموءل[6] :

(١) فى السح : « يقول كأن الماء حمل جسده وأبان عن عنقه ورأسه . فلم يبق إلا رأسه وعنقه فهذا الفرس إذا سبح لم يظهر منه إلا عنقه » .

(٢) مو : « وسمر » . (٣) مو : « طاعن » تحريف .

(٤) الغرر : جمع غرة وهى التى تكون فى وجه الفرس . والحجول : البياض يكون فى قوائمها .

(٥) ضمن أبيات لمدفر بن الحارث . الحماسة ٢١٦ . والمعنى لا تقدرون قبل أن يكون لنا عليكم يوم مشهور على قتله . شرح الحماسة ١٦٥/٢ .

(٦) هو : السموءل بن عادياء الأزدى . شاعر جاهلى حكيم من سكان خيبر ، أشهر شعره =

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ[١]

فهو وإن وافقه فى المعنى والوزن والقافية وبعض الألفاظ ، إلا أن هذا لمّا كان من الْعَام الْمنتشر لا يقال فيه : إنه مسروق .

٣٤–تَمَلُّ الْحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا فَتُلْقِى إِلَيْنَا أَهْلَهَا وتَزُولُ

يقول : إن الحصون الطّوال المرتفعة ، ملّت من طول منازلتنا إياها ، فتُلْقى إلينا أهلَها ، وتزول الحصون عن أماكنها[٢] ، حتى لا يبقى منها شىء .

٣٥–وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلأَمِيرِ ذَلِيلُ

رَزْحَى : تعبة مُعْيِيَة ، والواحد رازح[٣] . والوَجَى : وجع بحافر الفرس من الحفا ، وكثرة المشى .

وقيل : أراد به كثرة الضَّرب والطَّعن ، من قولهم : وجأته بالسكين .

يقول : إن الخيل عادت إلى حصْن الرّان ، وقد تعبت وكلّت بعد أن قتلتْ كلَّ بطل ، وأذلّت كلّ عزيز ، وموضعه نصب على الحال . أى بتن على هذه الحال .

وقيل : معناه أنها لم تصر كذلك للضعف ، ولكنه[٤] كلّفها من همته أصْعبها[٥] فَضَعُفَتْ .

٣٦–وَفِى كُلِّ نَفْسٍ مَاخَلاَهُ[٦] مَلاَلَةٌ وَفِى كُلِّ سَيْفٍ مَاخَلاَهُ فُلُولُ

= لاميته التى منها بيتنا ، توفى سنة ٦٥ قبل الهجرة . سمط اللآلئ ٥٩٥ الأغانى ١٩/ ٩٨ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٨٨ .

(١) ديوانه ١٤ والحماسة ١٥ وتأهيل الغريب ٢٧٤ والمستطرف ١/ ١٦٠ والمثل السائر ١/ ١٧٣ . ومعاهد التنصيص ١/ ٣٨٣ . (٢) ق : « أمكانها » . (٣) فى النسخ : « رزاح » .

(٤) ولكنه : أى سيف الدولة . وهذه رواية ابن جنى . انظر التبيان .

(٥) فى النسخ : « أصبعها » تحريف .

(٦) مو - ع : « ماسواه » .

الضمير فى « ماسواه » و « ماخلاه » للأمير .

يقول : كل أحد قد ملّ من طول الحرب ، وكل سيف انثلم من كثرة الضرب ، سوى سيف الدولة .

٣٧- وَدُونَ سُمَيْسَاطَ الْمَطَامِيرَ[1] وَالْمَلا
وَأَوْدِيَةٌ مَجْهُولَةٌ وَهُجُولُ

سُمَيْساط : مدينة . والمَطَامير : الآبار ، تحفر فلا تبلغ بها إلى الماء ، والواحدة : مطمورة . والملا : الأرض الواسعة . والهُجول : جمع هَجْل ، وهو المطمئِن من الأرض ، وقيل : هو الأرض[2] البعيدة الأطراف . يعنى : بيننا وبينها هذه الطرق المجهولة ، والأراضى الواسعة .

٣٨- لَبِسْنَ الدُّجَى فِيهَا إِلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ
وَلِلرُّومِ خَطْبٌ فِى الْبِلادِ جَلِيلُ

مرْعش : مدينة والضمير فى « فيها » للمطامير والأودية ، [٢٤٢ - ب] وقيل : يرجع إلى سميْساط .

يقول : لَبست خيل سيف الدولة ظلمةَ الليل بين هذه المطامير والأودية ، من سميساط حتى أتى مرعش ، وقوله : « وللروم خطبٌ » : فى موضع الحال ، أى كانت هذه المسيرة[3] والحال هذه ، وهى أن خطْبهم قد عظم واشتد أمرهم[4] .

٣٩- فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَه قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ

(١) مو ، ع ، ق : « والمطامير » والتصويب عن الواحدى والتبيان والديوان .

(٢) مو : « وقيل هو الأرض » ساقط انتقال نظر .

(٣) ق : « السريرة » تحريف .

(٤) وذلك أن سيف الدولة لما نزل بحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم فى بلاد المسلمين يعبثون ويقتلون وهذا ماقصده شارحنا . انظر مقدمة القصيدة وقال الواحدى وتابعه صاحب التبيان : ويجوز أن يكون المعنى أن لأرض الروم خطبًا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ، ولشدة شوكة أهلها ، وقد داسها سيف الدولة بحوافر خيله وذلّل أهلَها .

يقول : لما رآه الروم وحْده متقدِّما على جيْشه ، علموا أنه كافٍ عن كل أحد ، وأن من عداه زيادة لا يحتاج إليها .

٤٠–وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ[1] عَنْهُ قَصِيرَةٌ وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ

يقول : وعلموا أنّ الرِّماح تقصر عنه ولا تناله ، والسيوف تكلّ ولا تعمل فيه ، أى لا يقدر أحد على طعنه وضربه .

٤١–فَأَوْرَدَهُم صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَتًى بَأْسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ

يجوز فى « سيفه » النصب عطفًا على [صَدْرَ] الحصان[2] .

يقول : جَعلَ سيفُ الدولة صدرَ سيفه وفرسه مورد الأعداء . يعنى أنه قتلهم بسيفه ، واقتحمهم بفرسه ، وهو فتى شجاعته مثْل عطائه ، وكل واحد منهما جزيل .

٤٢–جَوَادٌ عَلَى الْعِلاَّتِ بِالْمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بَخِيلُ

العِلاّت : جمع العلّة ، وأراد هاهنا كل حَدَث شاغل ، وقيل : قلّة المال وتعذّر الحال .

يقول : هو جواد بماله كلّه فى جميع الأحوال ، لا تشغله الحروب والشدائد عن الجود .

وقيل : معناه أنه يجود حين يعتلّ عليه ماله ويقلّ ، ولكنه مع هذا الجود ، بخيل بالرِّجال ، لا تسمح نفسه أن يسلمهم للقتل ، بل يذب عنهم بنفسه . والدارعين : أصحاب الدّروع .

٤٣–فَوَدَّعَ قَتْلاَهُمْ وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ بِضَرْبٍ حُزُونُ الْبَيْضِ فِيهِ سُهُولُ

---

(١) الخط : موضع باليمامة ، وهو خط هجر ، تنسب إليه الرماح الخطية . التبيان .
(٢) فى النسخ : « يجوز فى سيفه نصب عطفًا على الحصان » .

البيْض : جمع بيْضَة ، وهى التَّرْك[1] . وروى : « حُزُون المَوْتِ » والفَلّ : القوم المنهزمون . والضمير فى « قتلاهم » و « فلّهم » للروم .

يقول : قتل قومًا وهزم الباقين ، ثم ترك القتلى مكانهم فودّعهم ، وشيّع المنهزمين ، وفعل هذا التوديع والتّشييع بضرب حُزُون البَيض فيه سهول : أى شدة البيْض وصعوبته سهْل على هذا الضرب ، لم تمنعه الدروع والبَيض .

وقيل : إنه جعل ضربه إياهم توديعًا لمن قُتِل منهم ، وتشييعًا لمن انهزم كما قال :

تَحِيّةُ بَيْنِهم ضَرْبٌ وَجِيعُ[2]

٤٤–عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ وَإِنْ كَانَ فِى السَّاقَيْنِ مِنْهُ كُبُولُ[3]

قُسطنطين : ابن الدّمستق[4] . والكُبُول : القيود .

يقول : هو متعجب مما شاهد من سيف الدولة من الشّجاعة والإقدام ! لم[5] يشغله عن التعجّب ما هو فيه من الأسْر والقيود .

٤٥–لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَئُولُ

يقول : إن كنت قد هرْبت وسَلِمْتَ . فلعلّك[6] ترجع يومًا آخر ، فتؤسر وتقتَل ، وكثير من الناس هرب من أمرٍ ، ثم رجع إليه .

٤٦–نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ

(١) وهى ماستر الرأس من الحديد والتَّرْك : جمع تركة .

(٢) هذا عجز بيت صدره :

وخَيْلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ . . . .

وقد نسب إلى عمرو بن معديكرب فى التبيان ٤ / ١٠٩ والخزانة ٤ / ٥٣ وغير منسوب فى الحماسة ٦٤ . وانظر ١ ، ٦٠٥ من هذا الشرح . من رقم الأصل المخطوط .

(٣) فى الواحدى والتبيان والديوان : « وإن كان فى ساقيه منه كبول » .

(٤) الدمستق : هو قائد جيش الروم .

(٥) فى النسخ « لمن » تحريف .

(٦) مو : « ظلمك » تحريف .

يقول : نجوتَ بواحدةٍ من مُهجتَيْك مجروحةً[١] : يعنى نفسه ، وخلّفْت مهْجتَك الأُخْرى : يعنى وَلَده ؛ لأنه [٢٤٣ - ا] فى حكم نفسه . تسيل : أى تذوب فى القيد ؛ وهذا لأنه جعل ابنه إحدى روحيْه . كما روى فى الخبر أنه ﷺ قال : « فَطِمَةُ بضعة منّى »[٢] .

٤٧-أَتُسْلِمُ لِلخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِبًا وَيَسْكُنُ فى الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ !!؟

يقول : أنت إذا سلّمْتَ ابنك ، الذى هو نفسك ، للرِّماح وهربت عنه ! فكيف يسكن إليك صديقك ! وكيف يثق بالوفاء منك خليلك ؟ !

٤٨-بِوَجْهِكَ مَاأَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

الهاء فى « أَنْساكَهُ » للابن . والمُرِشّة : الضّربة التى ترشّ الدم ، أى تطايره . يقول : هربتَ وفى وجْهك ضرْبة أنستك ابنَك وشغَلتك بنفْسك ، فنصيبك من هذه الضّربة الأنين والبكاء ، أى لا تقدر إلا على البكاء والعويل .

٤٩-أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا؟! عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ

يقول : غرّكم كثْرة جيوشكم ، فلم تعلموا أنه يأكلها ويشربها ! يعنى أنها غنيمة له يأكلها ، فكلَّما كَثُرَتْ ، كان أجود له .

٥٠-إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إلا فَرِيسةً غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ

يقول : إذا كنْتَ فريسة لِلَّيث ، لم ينفعْك عِظم جسمك ، ولوكنت مثْل الفيل ، بل سمنك وعظم جسمك يغذوه[٣] ، وموضع « أنّك فِيلُ »[٤] رفع

(١) وذلك أن الدمستق ضرب فى وجهه فى هذه الواقعة . انظر مقدمة القصيدة .

(٢) الجامع الصغير ٢١٥ .

(٣) هذا مثل ضربه للروم يقول : إن كنتم أكثر عددًا فإن الظفر له دونكم ، فلا ينفعكم كثرتكم كالفيل مع الليث . فإن الفيل لا ينفعه عظمه ، إذا صار فريسة للأسد .

(٤) أى ، « إنك فيل » فاعل غذاه . وفى البيت تقديم وتأخير كأنه غذاه أنك فيل ولم ينفعك عظيم خلقك . المعرى . تفسير أبيات المعانى .

بغذاه : أى غذاه كونك ذلك ، فأعْمل الفاعل الأول فيه وأضمر الفاعل الثانى . وقيل : أضمر الفاعل فى غذاه لدلالة الثانى عليه ، وتقديره : وغذاه الفيل ، ولم ينفعك أنك كذلك .

٥١–إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ
هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ

يقول : إذا لم يكن فيك شجاعة ، تُدخلك فى الطّعان ، وتحملك على مقارعة الأقران ، لم يحملك عليه عذْل العاذل .

٥٢–فَإِنْ تَكُنْ الأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَةً فَقَدْ عَلَّمَ الأَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ

يقول : إن أبصرت الأيامُ صولته هذه على الرّوم ، فقد علَّمها أيضا قبْل هذه الصولة كيف تصول ؟ يعنى أن الأيام نظرت إلى صولته بالأعداء فتعلمت منه كيف تقصد أهلها بصُروفها ، وقيل . أراد بالأيام : أهلها .

٥٣–فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا فَإِنَّكَ مَاضِى الشَّفْرَتَيْنِ صقيلُ

يقول : فداك كلّ ملك لم يسمّ باسمك ، وليس له مضاء مثل مضائك ، فإنك ماضٍ فيما بينهم ، فأنت كالسيف وهم كالبوقات والطبول .

٥٤–إِذَا كَانَ بَعضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ
فَفِى النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

يقول : أنت كالسّيف وغيرك كالطُّبول والبوقات[1] ؛ لأنه إذا جاز أن يكون سيفًا للدولة ؛ جاز أن يكون لها طبول[2] ، لأنّ غيرك من الملوك ليس لهم مضاء فى

---

(١) بوقات : جمع بوق والقياس يعضده إذ له نظائر كثيرة مثل : حمّام وحمامات وسرادق وسرادقات وجواب وجوابات وهو كثير فى جمع مالا يعقل من المذكر إذ لا يوجد له مثال القلة . ابن جنى فى التبيان ٣/١٠٨ .

(٢) مو : « طبولا » .

الأمور . وليس عندهم إلا القوْل الخالى من الفعل [١] ، كالبوقات .

٥٥ – أَنَا السَّابِقُ الْهَادِى إِلَى مَا أَقُولُهُ
إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ

يقول : أنا السابق إلى ما أقوله من الشعر ، والمبدع لمعانيه . وغيرى من الشّعراء يسرق ما يقوله [٢] [٢٤٣ – ب] ممّن تقدمه من الشعراء [٣] .

٥٦ – وَمَا لِكَلامِ النَّاسِ فِيمَا يرِيبُنِى
أُصُولٌ ، وَلا لِلْقَائِليهِ أُصولُ [٤]

يقول : كلام النّاس فى غيبتى ، والطعن فىّ لا أصْلَ له ، إذْ لاعيب فىّ . وكذلك لا أصْلَ لمن يعيبنى ويطعن علىّ وأصلة من الحديث : « السَّاعِى لغير رِشدة [٥] » .

٥٧ – أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ

حسدونى لفضلى وعادونى . وكان يجب أن يحبُّونى ؛ لأن الفضل يوجب المحبة . وأهْدأ : أى أسكن . ولا أحسد أحدًا . بل أنام خالىَ البال . وأفكار الحسّاد تجول فىّ . ومثْله للبحترى :

إذا مَحَاسِنِى اللاَّتِى أُدِلُّ بِهَا
كَانَتْ ذُنُوبِى ، فَقُلْ لِى : كَيْفَ أَعْتَذِرُ [٦] ؟

---

(١) مو : « العقل » .

(٢) ف : « يسرق يقوله » . مو : « يسرق من يقوله » .

(٣) م : « من الشعر » . (٤) مو : « وصول » .

(٥) ع : « الساعى لغير رشدة » . وفى ف ، مو ، شو : ترك مكانه بياض . والتصويب عن غريبه ٢ : ٢٣٢ فنصه يتفق تقريبا وما جاء . وفى عيون الأخبار ٢ : ٢٠٠ « الساعى بالناس لغير رشدة » ويقال هذا لغير رشدة : إذا كان ولد زنية ولم يكن له أصل . وانظر فى معنى الحديث اللسان « رشد » .

(٦) ديوانه ٢ : ٩٥٤ .

٥٨–سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ داوِ[1] فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ

يقول: داوِ كل داءٍ من الأمراض والفقر[2] وغيرهما، فإنه يزول بمداواتك، ولا تشتغل أنت بمداواة وجع الحسّاد، لأنه لا يزول أبدًا.

٥٩–وَلاَتَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ

يقول: لا تطمع فى مودّة حاسدك، فإنّك وإن كنت تظهر له المودّة، وتعطيه المحبة فإن ما فى قلبه من الحسد يمنعه من مودّتِهِ لك.

٦٠–وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ

يقول: إن لنا نفوسًا كريمة، وقلوبًا صابرة على حوادث الدّهر، وكثرة الرّزايا والشدائد عندها قليل، لكثرتها[3] وصبرها.

٦١–يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ

الأعراض: جمع العِرْض، وهو موضع الحمْد[4] والذمّ.

يقول: إذا سلمت الأعراض والعُقول، فلا حظّ للأجسام عندنا، بل يهون علينا ما يحدث فيها من الجِرَاحات والأسقام. ومثْله:

إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ

٦٢–فَتِيهًا وَفَخْرًا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ فَأَنْتِ لِخَيْرِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ

يقول: ياتغلب ابنة وائل تيهى تيهًا، وافخرى فخرًا، فإنك قبيلة سيف الدولة، وهو خير الفاخرين، وأنث تغلب. ذهابًا بها إلى القبيلة أو العشيرة، ونصب «تيهًا» و«فخرًا» على المصدر اى تيهى تيهًا، وافخرى فخرًا.

(١) ش: «داء». مو: «كونا».
(٢) مو: «الظفر» تحريف.
(٣) مو: «لكرمها».
(٤) مو: «الجد» تحريف.

٦٣–يَغُمُّ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ إِذَا لَمْ تَغُلْهُ بِالأَسِنَّةِ غُولُ

إذا لم تغُله : إذا لم تهلكه . والغُولُ : الداهية . وقيل : المنيّة .

يقول : إن سيف الدولة إذا مات عدوٌّ يغتمّ بموته ، وإنما يريد أن يقتله .

٦٤–شَرِيكُ الْمَنَايَا ، والنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولُ

الغُلُول : الخيانة فى الغنيمة .

يقول : إن سيف الدّولة شارك المنيّة فى الإغارة على نفوس الأعداء ، والنّفوس غنيمة لها يشترّكان فيها . فإذا استبدت المنيّة فى نفس واحد لم يقتلها هو فقد خانتْه وغلّت تلك النفس منه .

٦٥–فَإِنْ تَكُنْ الدَّوْلاَتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ

الزُّؤام : السريع . وتَدُولُ أى صارت له ، ورجعتْ إليه .

يقول : إن كانت الدّولة مقْسومة بقدر السّعى فالأوْلى بها من يَقْتحم على الأهْوال [٢٤٤ – ا] ويباشر القتال وأسباب الموت . فأطلق لفظ الموت على أسبابه .

٦٦–لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبِيضِ فِى هَامِ الكُمَاةِ صَلِيلُ

« لمَنْ هوّن » : بدل من قوله : « لمَنْ وَرَدَ » .

يقول : إن الدّولة لمن هوّن الدّنيا على نفسه ساعةً ، فى موْضع الضّرب والطّعْن ، وضرب على شدائِدها فى تلك الحال ؛ لأنه متى صبر فَازَ بالظّفر والغلبة .

(٢١٣)

وتأخّر مدحه عنه فعتب عليه ، فقال يعْتذر[1] :

١ – بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَائِحُ وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجوارِحُ

القرائح[2] : جمع القريحة ، وهى خالص طبيعة الإنسان ، وأصلها من قريحة البئر ، وهو أوّل ما يخرج من مائها إذا حفرت .

يقول : إذا ابتسمْتَ ورضيتَ عنّا تُحيِى مَامَاتَ من خواطرنا وتقوّى ما ضعف من جوارحنا .

٢ – وَمَنْ ذَا الَّذِى يَقْضِى حُقُوقَكَ كلَّهَا ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِى يُرْضِى سِوَى مَنْ تُسَامِحُ ؟

يقول : لا يقدر واحد على قضاء حقوقك ، وعلى إرضائك فى قضائها ، إلاّ أنْ تسامحه ، ولا تكلّفه فوق طاقته .

٣ – وَقَدْ تَقْبَلُ الْعُذْرَ الْخَفِىَّ تَكرُّمًا فَمَا بَالُ عُذْرِى وَاقِفًا وَهْوَ وَاضِحُ ؟

« تكرمًا » نصب على المفعول ، و « واقفًا » على الحال ، ومعناه : غير مقبول .

يقول : أنت تقبل العذر الخفىّ لكرمك ، فكيف صار عذرى غير مقبول فى تأخيرى مدحك مع وضوحه وظهوره ؟ !

٤ – وَإِنَّ مُحَالاً – إِذْبِك الْعَيْشُ – أَنْ أَرَى وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِىَ صَالِحُ

يقول : إن كان قوام عيشى بك فمن المحال سلامة جسمى مع اعتلال

(١) الواحدى ٥٢٢ : « وتأخر مدحه فعتب عليه فقال يعتذر إليه » . التبيان ١ / ٢٤١ : « وقال يعتذر إليه ، وقد تأخر مدحه عنه ، فعتب عليه » . الديوان ٣٥٢ : « وقال وقد تأخر أيضًا مدحه عنه ، فعتب عليه » . وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين . كما جاء فى إحدى نسخ الديوان الهامشية . العرف الطيب ٣٧٦ .

(٢) مو : « القوارح » .

جسمك ، بل الواجب مشاركتنا . إياك فى لاعتلال[١] .

٥ - وَمَا كَانَ تَرْكُ الشِّعْرِ إلاَّ لِأَنَّهُ   تُقَصِّرُ عَنْ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَائِحُ

جعل تقصير المدائح عن وصفه عذرًا فى تأخير المدح ، فقال : لَمْ أترك مدْحَك تغافلاً عن قضاء حقّك ، ولكن رأيت المدائح قاصرة عن وصفك ، غير ناهضة بآداء شكْرِك .

(٢١٤)

وقال وقد تشكّى سيفُ الدولة من دُمَّل فى شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة[٢] .

١ - أَيَدْرِى مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ؟   وَهَلْ تَرْقَى إلَى الْفُلْكِ الْخُطُوبُ!؟

فاعل « يدرى » : ما أرابك ، وهو الدّمّل و « مَنْ » فى موضع نصب ؛ لأنه المفعول ، وهو سيف الدولة على جهة التعجب والتعظيم للأمر .

يقول : أيدرى هذا الدّمل مَنْ يريب ؟ وعلى من أقدم ؟ أى لو علم علوّ مكانك لَمَا تجاسر على الحلول بك ، فإنك الفَلَك فى العلوّ والارتفاع عن الآفات ، والخطوب لا ترقى إلى الفلك ، فكيف رقى إليك الدمل ؟!

٢ - وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ   فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ

الهاء فى « أقلّها » للأدواء التى تدل عليه قوله : « كل داء » إذ هو فى معنى الجمع .

يقول : إن جسْمَك أعْلى محلاً من أن يصيبه أعظم الأدواء ، وأن تبلغ همّته إليه . فكيف وصل إليك الدّمل الذى هو أقل الأدواء وأحقرها ؟

(١) ش « فى الإعلال » .

(٢) الواحدى ٥٢٣ : نص ماهو مذكور فى الشرح . التبيان ٧٢/١ : « وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه » . الديوان ٣٥٣ : « وتشكى سيف الدولة من دمل فقال له » .

٣ – يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ الْمِقَةِ الْحَبِيبُ

يقول : إن الزمان يحبّك حبًّا شديدًا فآلمك بهذا القدْر من الألم ؛ لأن الحبيبَ يؤذيه الحبيبُ إذا غلبه الحب ، تَذلّلاً . والمِقةُ : الحب . وقد روى : « يُجَمِّشُك » والتّجميش : مداعبة الحبيب والمازحة معه .

يقول : إن الزمان يداعبك . ويتعرّض لك ؛ لحبّه إياك . وهذا الدّمّل الذى أصابك تجْميشٌ منه . فآذاكَ وآلمك . فإن المحب ربّما آذى حبيبه بالعضّ وغيره ، محبّةً منه . وقوله « هوى وحبًّا » نصب على المفعول له[1] .

٤ – وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ بِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ ؟

يقول : كيف أصابتْك [الدنيا] بعلة وأنت طبيبها ؟ الذى تداوى علّتها ، وتذهب سِقمها ، وتصلحها من الفساد .

٥ – وَكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ ؟

« تنوبُك »[2] أى تصيبك و« الشّكْوَى » : المرض .

يقول : كيف تصيبك ما تشكو منه ؟ ومن نابته الشكوى استغاث بك فأجرته .

٦ – مَلِلْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبُ

المُقَام : الإقامة ، والصَّبيب : المَصْبوب .

يقول : قد تعوّدتَ الحرْب ، وتركتَ الإقامة ، فمتى فقدتَ ذلك يومًا واحدًا أَلِمْتَ من ذلك ، وملِلْتَ من طول الإقامة ، فألَمُك هو الجلوس فى الدّعة ، وترك الحرب ، لا من الدّمل ، إذْ هو أقلّ من أن تبالِى به . وقوله : « طِعان صادق » يعنى أنه لا يخطئ بل يصيب .

---

(١) ق : « وقوله حبًّا نصب على المفعول به » .

(٢) مو . « تنوبك »

٧ – وَأَنْتَ الْمَلْكُ[١] تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهِمَّتِهِ ، وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ

الحشايا : جمع الحشية[٢] .

يقول : أنت ملك عظيم الهمة لا تلتذ بالتنعّم والراحة ، فالنّوم على الحشايا يمرضك ، والحروب تشفيك وتوافقك . إذْ ترك العادة يمرض الإنسان .

٨ – وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعِثْيَرُهَا لأَرْجُلِهَا جَنِيبُ

العِثْيَر : الغبار ، والضمير فى « تَرَاها » و « عِثْيَرَها » و « أرْجلها » للخيل ، فأضْمرها وإن لّم يجر لها ذكر : للعلم بها[٣] . إذ الحروب لا تعرى من الخيل .

والجنيبُ : التابع كالجنيبة[٤] التى تقاد إلى جنْب الفرس .

يقول : هذا الألم الذى ألم بك ، ليس هو من المَرَض ، ولكنه لشوقك إلى أن ترى الخيل ، وقد أثارت الغبار فى الحروب ، وصار غبارُها تابعًا لأرجلها ، كما يتبع الفرسُ قائده .

٩ – مُجَلِّحَةً لَهَا أَرْضُ الأَعَادِى وَلِلسُّمْرِ الْمَنَاحِرُ[٥] وَالْجُنُوبُ

مجلِّحةً : مصمِّمة جادّة فى شأنها ، ونصب على الحال . والمَناحِر : موضع النَّحر . والجُنُوب : جمع الجنْب ، وأراد به : جنوب الأعادى ونحورهم .

يقول : ليس بك إلا ألم حبّك أنْ ترى خيلك مجلِّحة مجدّة فى الحروب ، وقد ملكت أرض الأعادى ، وملكت الرماحُ نحورَ الأعادى وجسومها .

وقيل أراد : نحور الخيل وجنوبها[٦] ، يعنى : أنها تتلقى الرماح بنحورها ،

(١) فى التبيان : « وأنت المرء » .

(٢) وهى الفرش المحشوة . ومنه الحديث « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » اللسان .

(٣) ولأنه قد تقدم مادل عليها من ذكر الحرب والضرب والطعان . ولذلك قال الشارح : « إذ الحروب لا تعرى من الخيل » .

(٤) مو « كالجنيبة » .

(٥) فى الواحدى والتبيان « المناخر » وقالا فى شرحيهما : « وللرماح مناخرهم وجنوبهم »

(٦) فى . س . « وجسومها .. وجنوبها » ساقط .

وجنوبها ، ولا تولّى عنها .

١٠- فَقَرِّطْهَا الأَعِنَّةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبَتْ قَرِيبُ

تَقْرِيط الأعِنّة : هو أن يرخى الفارسُ عنَانَ الفرس ، حتى يمسّ أذنه ، فيصير بمنزلة القُرْط له . وقيل : هو طرْح اللّجام فى رأس الفرس .

يقول : إذا كان [٢٤٥ - ا] مرضك هذا ، فشفاؤك فى يدك ، فارجع بخيْلك إلى أرض الرّوم ، وارْخِ لها الأعنة ، حتى تبلغ مرادك ، ويشفيك من ألمك ، فإن ما طلَبتْه هذه الخيل ، وإن كان بعيدًا ، فهو عليْها قريب .

١١- إِذَا دَاءٌ هَفَا بُقْرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرَفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبُ

هَفَا : أى غَفَل وزلّ . ولم يُعْرف : أى ليس يوجد ، وأقام « لمْ » مقام « ليس » والضَّرِيبُ : المثَل والنّظِير ، فالهاء فى « لصاحبه » للدّاء .

والبيت يفسّر على وجوه .

أحدها : أن بقراط[1] قد ذكر جميع الأدواء ، ولم يذكر فيها حُبّ الحروب ، ولم يعلَم بقراطُ أحدًا ، يكون فَقْدُ الحرب مرضًا له ، فمن أصابه هذا الدّاء الذّى هفا عنه بقراط ، لم يكن له فى النّاس نظير ، فكأنه يقول : ليس لك نظير فى هذه الهمّة ، فإنّا ما سمعنا[2] بمَنْ يُمْرِضه حُبّ الحرب ، وتولّه الرّاحة والدّعة . وجواب « إذَا » قوله : « لم يعرف » .

والثانى : أنه جعله بمنزلة بقراط . فيقول : أنت مع علمك وكونك فى مثل عِلْم بقراط ، عجزت عن دفع هذا الداء عنك ، وكل داء هفا بقراط عنه ، فإن صاحب ذلك الداء ليس له نظير ، إذ هو خارج عن الطبائع البشرية ؛ لأن بقراط

(١) بقراط : البقراطيون أربعة كلهم أطباء يونانيون ولما وقف المترجمون على كتبهم مرجوها وشرحوها ولم يميزوا واحدًا منهم لتقارب علمهم وأخذ الخلف عن السلف منهم ، وقد قيل : إن أول من كتب الطب ، بقراط الأول وهو ابن أعنوسوهوس الذى نقلت بعض مصنفاته إلى العربية منها : « طبيعة الإنسان » انظر تاريخ الحكماء للقفطى ١٠٠ .

(٢) ق ، شو : « ما سمعناه » .

لا يشْكُل عليه طبايع البشر ، فلمّا كنت بقراط فعجزت عن مداواة هذا الداء ، علمنا أنك تفارق جميع الناس ، ولا يشبهك أحد منهم ، وجواب « إذا » أيضًا « فلم يعرف » .

والثالث : أن المراد بالداء : الحروب ونُيوب الدهر ، وهو متعلق[1] بقوله : « فإنّ بَعِيدَ ما طلبت قَرِيبُ »[2] إذا داء هفا بقراط عنه ، فلم يوجد عليلٌ[3] ، به تلك العلّة ، ففى تلك الحال بعيد ما تطلبه قريب الغرض به .

يعنى : أنه إذا اختل أمر الثغور كان عوْدُ خيلك إليها قريبًا ، فتكون أنت مداويًا لها . والفاء على هذا تكون عاطفة لجملة على جملة ، وهذا كقول ليلى الأخيلية[4] :

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ[5] الَّذِى بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سقاها[6]

١٢–بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الوَضّاء تُمْسِى جُفُونِى تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ

الوضّاء : مبالغة الْوَضِىء .

يقول : إذا أبصرتَه أبصرتَ شَمْسًا لا تغيب ، كما تغيب الشمس ، وقوله : « جُفُونى تحت شمْسٍ » : أى ناظرةٌ إلى وجهه .

١٣–فَأَغْزُو مَنْ غَزَا ، وَبِهِ اقْتَدَارِى وَأَرْمِى مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ

(١) خ : « متعلق » ساقط .

(٢) هذا فى البيت السابق . مو : « ماطلبت خيلك قريب »

(٣) مو : هفا بقراط فلم يعرف به عليل »

(٤) شاعرة فصيحة . ذكية . جميلة . اشتهرت بأخبارها مع توبة الحميرى وطبقتها فى الشعراء تلى طبقة الخنساء . وكان بينها وبين النابغة الجعدى مهاجاة . ماتت سنة ٨٠ ابن خلكان ١٤١/٢ والنجوم الزاهرة ١ ١٩٣ والأغانى ١١ / ٢٠٤ ورغبة الأمل ٥/ ٢١٩ - ٢٥١ .

(٥) فى المسح : « العقام »

(٦) ق . خ . مو : « سقاها » لم تذكر والتكملة عن شو والمراجع وفى هامش مو : « رواها » . والبيت مذكور فى التبيان ٣ ١٦ و ٣٠٤ ومصارع عشاق ١ ٢٨٤ والأغانى ١١/ ٢٠٤ .

يقول : إذَا غزا سيفُ الدولة غزْوًا غزوتُه معه ، ولكن اقتدارى بهِ ، وقوّتى[(١)] ونكايتى فى غزوه بتأييده .

وقيل : معناه أنى لاأغْزوهم إلا بنفقَته وخيله وسلاحه الذى وهب لى ، فكأنّ اقتدارى بعطيّته ، وإذا رمْيتُ الاعداء أصبتُهم بدولته .

١٤- وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا عَلَى نَظَرِى إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا

يقول : إنْ حسدونى على نظرِى إليه ، ونافسونى فيه ، وذَابوا كمدًا وحزنًا ، بمنزلتى عنده ، فلهم فى ذلك عذر .

١٥- فَإِنِّى قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ

يقول : مَنْ يحسدنى على منزلتى عنده ، ونظرى إليه [٢٤٥ - ب] فهو معذور ؛ لأنى قد جُعِلت فى مكان يحسدُ قلبى فيه عينى ، لما تدركه من اللّذة بالنظر إليه ، ورؤيتها لمكارمه ومحاسنه ، والقلب لا يصل إليها مباشرة ، وإنّما يصل إليها بالعلم . وهو قريب من قوْل الآخر :

إِذَا زُرْتَ حفصًا تَسْتَضِىءُ بِرَأْيِهِ فَقَلْبُكَ مَغْبُونٌ وَطَرْفُكَ رَابِحُ[(٢)]

وروى : « تستضىء بشمسه » .

(٢١٥)

وقال سيفُ الدّولة ، وعنده رسول ملك الروم : الساعة يُسَرُّ الرَّسولُ بهذه العلّة ، فأجابه أبو الطيب[(٣)] :

(١) مو : « قوتى » ساقطة .

(٢) نسبه صاحب الوساطة ٢٥٦ للعباس بن الأحنف وروايته : « إذ زرت شمسًا تستضىء لشمسه » .

(٣) الواحدى ٥٢٥ : « وقال سيف الدولة : يُسَرُّ رسول الروم بعلّتى فقال أبو الطيب » . التبيان : لم يأت بهذه القطعة . الديوان : فى زيادات الديوان ٥٢٥ : « ودخل أبو الطيب على سيف الدولة وهو يشتكى فقال لأبى الطيب لَيْتَ لايسُرُّ رسولُ الروم فقال » . العرف الطيب ٣٩٦ .

١- فُدِيتَ ، بِمَاذَا يُسَرُّ الرَّسُولُ ؟ وَأَنْتَ الصَّحِيحُ بِذَا لا الْعَلِيلُ

يقول : جعلنا الله تعالى فداءك ، بأى شىء يُسَرّ الرسول ؟ وأنت الصحيح بهذا الدُّمل لا المريض ؛ لأن بهذا يزول أدواء كثيرة ، وهذا علامة الصحة[1] .

٢- عَوَاقِبُ هَذَا تَسُوءُ الْعَدُوّ وَتَثْبُتُ فِيكَ[2] وَهَذَا يَزُولُ

يقول عاقبة هذا الدمّل ، وهو الصحة تسوء أعداءك ، وتثبت فيك الصحة دائماً ، وهذا الّذى أصابك يزول فى أسرع وقت[3] .

(٢١٦)

وقال أيضا فى علّة سيف الدولة ، يمدحه[4] :

١ - إذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ وَالْكَرَمُ الْمَحْضُ

يقول : إذا أصاب سيفَ الدولة علّةٌ ، عمّت الأرضَ ومَنْ عليها ، واعتلّ بها أيضا الشجاعة والكرم ؛ لأن قوام الكلّ بِهِ . والبأس : الشجاعة . ومثْله لعلى بن الجهم[5] :

وَإذَا رَابَكُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَيْبٌ عَمَّ مَاخَصَّكُمْ جَمِيعَ الأَنَامِ[6]

(١) يقول الواحدى : يريد أن الدمل ليس بعلة وأنه صحيح النفس ليس بعليل وإن كان به دمل .

(٢) يقول الواحدى : « وتثبت فيهم » .

(٣) يرى الواحدى أن المعنى : عاقبة هذا العارض الذى أصابك تسوء العدو لأنك تغزوهم وتثبت فيهم لا تنفك من غزوهم ، ويزول هذا العارض .

(٤) الواحدى ٥٢٥ : « وقال فيه وقد تشكى من دمل أصابه » . التبيان ٢/ ٢١٨ : « وقال لما مرض سيف الدولة » . الديوان ٣٥٥ : « وقال فيه » . العرف الطيب ٣٧٧ .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) ديوانه ١٨٢ وروايته : « فإذا » والأغانى ١٠/٢٢٦ والوساطة ٢٣٩ . والواحدى ٥٢٥ والتبيان ٢/ ٢١٨ .

٢ - وَكَيْفَ انْتِفَاعِى بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فى الأَعْيُنِ الْغُمْضُ ؟

يقول : إذا اعتل هو ، لَمْ أنتفع بالنّوم ، ولم أجدْ له لذّة ؛ لأنه إذا اعتلّ اعتلَّ النّوم فى عينى جزعًا عليه[1] .

٣ - شَفَاكَ الَّذِى يَشْفِى بِجُودِكَ خَلْقَهُ فَإِنَّكَ بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

يقول : شفاك الله تعالى ، كما يشفى خَلْقه بجودك ، فإنك فى الجود بحرٌ ، إذا قيست البحار إليه كانت بعضًا منه وجزءا له .

(٢١٧)

وقال أيضًا فى شهر رمضان وقد عوفى سيف الدولة من الدّمل[2] :

١ - الْمَجْدُ عُوفِىَ إِذَا[3] عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ

يقول : إن المجدَ والكرم اعتلا بعلّتك ! فلمّا عوفيت عوفيا بعافيتك ، وزال أَلَمك الذى بك إلى أعدائك ؛ لأنهم اغتموا بعافيتك ، وتألّموا بصحّتك ، فكأنّ ألمك انتقل إليهم .

وقيل : إن هذا دعاء : أى رَدّ الله تعالى أَلَمَكَ إلى أعدائك .

والأَوْلى أنه خبر ، وليس بدعاء ؛ لأنه أخبر فى صدر البيت أنه عوفى ، فلا يتصور معه الدعاء عليهم بداء له وقد زال .

٢ - صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ

(١) مو : « لمرضه » مكان « عليه » .

(٢) الواحدى ٥٢٦ : « وقال وقد عوفى سيف الدولة » . التبيان ٣/ ٣٧٥ : « وقال وقد عوفى سيف الدولة » . الديوان ٣٥٥ : « وقال وقد عوفى سيف الدولة » . العرف الطيب ٣٧٩ .

(٣) فى الأصول : « إذا » .

ابْتَهَجتْ : أى فَرِحت . وانهلّت : أى انصبت .

يقول : لمّا راجعتْك الصحَّة صحَتْ الغارات بصحّتك ؛ لأنّها كانت سقيمة بسقمك . وسرت المكارم بها ؛ لأنها كانت سقيمة ، وجرى بها عطاياك المتصلة ، كأنها ديمٌ منهلّة .

٣ - وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِى جِسْمِهَا سِقَمُ

[٢٤٦ - ا] يقول : كانت الشمس فارقها نورها لمرضك ، فعاد إليها الآن لأجل صحتك . وكأنَّ فقد هذا النور سقمًا فى جسم الشمس ، فزال عنها مرضها لأجل صحتك .

٤ - وَلاحَ بَرْقُكَ لِى مِنْ عَارِضَىْ مَلِكٍ مَايَسْقُطُ الْغَيْثُ إلاَّ حِينَ[1] يَبْتَسِمُ

العارض : أوَّلُ ما يلى النّاب من الثنايا ، ويقال : هو النّاب .

شبه نقاء عارضيه بالبرْق ، ثم قال : ما يسقط الغيث إلا حين يبتسم هذا الملك ، يعنى إذا ابتسم أعطى ، فعبر عن العطايا بالغيْث .

وقيل: أراد بالبرق علامات جوده ومخايل إحسانه .

٥ - يُسْمَى الْحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ ؟!

يقول : يسمى الممدوح باسم السيف ، وهذا لا يشابهه فى الخصال[2] والمعانى . وكيْف يشبهه وهو خادمه يتصرف على إرادته ؟ !

٦ - تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِى الدُّنْيَا بِمُحْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِى إحْسَانِهِ الْعَجَمُ

المحتد : الأصل ، والضمير فيه وفى « إحسانه » للممدوح .

---

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان : « إلا حيث » .

(٢) مو : « الخصائل » .

يقول : تفرّد العَرَب بأصْله ، لأنه والعرب من أصل واحد ، والعجم تشارك العرب فى إحسانه ونعمه .

يعنى أن فضله عم العجم عمومه للعرب ، وشاع فى الناس كافّة .

٧ – وَأَخْلَصَ اللهُ لِلإِسْلامِ نُصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فى آلائِهِ الأُمَمُ

الآلاء : النِّعم . واحدها إِلَى وأَلَى .

يقول : جعل الله تعالى نصرته للإسلام خالصة ، لأنه أبدًا يجاهد الكفّار ، ويذبّ عن الإسلام ، فنصْره مقصور على الإسلام ، ونعمه تعمّ الخلق : مؤمنهم وكافرهم .

٨ – وَمَا أَخُصُّكَ فى بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

يقول : لا أخصّك بهذه التهنئة على برئك من المرض ، بل أهنئ[1] جميعَ الناس ، فإنهم كانوا مرْضى لمرضك ، فإذا سلمتَ منه سلم جميع الناس ، فاستووا معك فى استحقاق التهنئة .

(٢١٨)

وقال فى انسلاخ شهر رمضان يمدحه [ويهنئه بعيد الفطر][2] :

١ – الصَّوْمُ والْفِطْرُ وَالأَعْيَادُ وَالْعُصُرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

الشّمس : مرْفوعة ، لأنها معطوفة « بحتّى » على ما قبلها .

يقول : هذه الاشياء نورها وبهجتها بك ، حتّى أن الشمس والقمر اللذين هما

---

(١) ق : « أعنى » .

(٢) الواحدى ٥٢٧ : « وقال يمدحه عند انسلاخ شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة . التبيان ٢ / ٩٧ : « وقال يهنئه بعيد الفطر » الديوان ٣٥٦ : « وقال فى انسلاخ شهر رمضان » . العرف الطيب ٣٨٢ .

الأصل فى الإنارة ، منيران بك مضيئان بدولتك ، لأنهما يشهدان النور من أنوارك ، كالقمر يشهد النورَ من الشمس .

٢ – تُرِى الأَهِلَّةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ

التّذكير : للوجه ، وفى « بِهِ » للنائل ، والتأنيث : للأهلّة .

يقول : نَظَرُ الأهلّة إلى وجهه ، يقوم مقام نائله ، لأنها تقابل منه سعْدًا وتكتسب منه نورا ، فنائله عم الأهِلَّة وسائِر الخلق ، ولم يختص به البشر دون غيره .

٣ – مَاالدَّهْرُ عِنْدَكَ إلا رَوْضَةٌ أُنُفٌ يَامَنْ شَمَائِلُهُ فى دَهْرِهِ زَهَرُ

الرّوضة الأُنفُ : التى لم تُرْعَ ، فيكون أحْسَنَ لَهَا[1] .

شبه الدّهرَ بالروْضة ، وشمائِله بالزهر الذى هو فى الروضة لحسنها .

٤ – مَا يَنْتَهِى لَكَ فى أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلا انْتَهَى لَكَ فِى أَعْوَامِهِ عُمُرُ

الهاء فى « أيامه » للدّهر ، وكذلك فى « أعْوامه » وقوله : « فلا انتهى » دعاء للمدوح .

يقول : ليس لكرمك نهاية فى الدهر ، وعمرك يزيد فى أعوام الدّهر [٢٤٦ – ب] .

٥ – فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرَارِهَا شَرَفٌ وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْهُ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ

الهاء فى « تكرارها » للأيام أو للأعوام ، وفى « منه »[2] للدهر .

يقول : إنك لا تزال تزداد شرفًا[3] على مرور الأيام وكرور الأعوام ؛ لأنك تفعل فى كل وقت فعلاً لك فيه ذكْرٌ وشرف ، وغيرك يزداد شيبًا وهرمًا .

---

(١) ق : « بها » . (٢) روى ابن جنى : « منه » أى من التكرار . الواحدى .

(٣) مو : « شوقا » . ق : ساقطة « شرفًا » .

(٢١٩)

ومَدَّ[1] قُوَيْقُ[2] : (وهو نهر بحلب[3]) ، فأحاط بدار سيف الدولة ، فخرج أبو الطيب من عنده ، فبلغ الماء صدر فرسه . فقال[4] :

١ - حَجَّبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارٌ دُونَه
٢ - يَذُمُّهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهْ

البحر : سيف الدّولة ، والبحار : مدُودُ النّهر .

يقول : حالت هذه السّيول ، والمدود ، بيننا وبين بحْر الجود ، فالناس يذمّون هذه البحار ؛ لأنها منعتهم عن ذلك البحر ويحمدون سيف الدولة ؛ لأنه لم يحجب نائله عنهم .

وقيل : يذمون البحار استحقاراً بالإضافة إليه ، ويَحمدونه تعظيماً له .

٣ - يَا مَاءُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِينَهْ ؟
٤ - أم اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهْ ؟

المعين : الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض ، مفعول من العيْن : أى تدركه .

يقول للماء : هل حَسدْتَنَا على كثْرة جوده ، الذى هو كالماء الجارى ، فحُلْتَ بيْننا وبينَه ؟

---

(١) قد يطغى ماء البحر على الساحل ثم ينحسر عنه . وهذه الحركة هى ماتسمى بالمد والجزر .

(٢) فى النسخ والديوان « فويق » بالفاء الموحدة . والتصويب من الواحدى ومعجم البلدان .

(٣) فى البكرى : وإياه عنى أبو الطيب وقد عبره فبلغ ماؤه إلى صدر فرسه . وهو فى حال مده . وفى معجم البلدان : هو نهر مدينة حلب .

(٤) الواحدى ٥٢٧ : « وقال وقد مد نهر قويق وهو نهر بحلب فأحاط بدار سيف الدولة » التبيان ٤ / ١٧١ : « وقال وقد مد نهر حلب حتى أحاط بدار سيف الدولة فقال أبو الطيب مرتجلا » . الديوان ٣٥٦ : نص مافى المقدمة . العرف الطيب ٣٨٣ .

وقيل : معناه هل حسدتنا على مشاهدتنا لسيف الدولة فعقْتنا عنه وعن الوصول إليه ؟ أم أردت يا ماء أن تُرَى قرينه : أى تكاثر جوده ، فتكون أنتَ قرينًا له ؟ !

٥ – أَمِ انْتَجَعْتَ لِلْغِنَى يَمِينَهُ ؟

٦ – أَمْ زُرْتَهُ مُكَثِّرًا قَطِينَهُ ؟

قطين الملك : خدمه المقيمون .

يقول للماء : أم قصدته يا ماء مستميحًا الغنى[1] منه ؟ أم أردت أن تكثر بنفسك خدمَه وحشمه تشرفا بخدمته ؟

٧ – أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقًا حُصُونَهُ ؟

٨ – إِنَّ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ

يقول : لعلّك جئته لتصير خندقًا حول حصونه ، ثم إنه لا يحتاج إلى إحاطتك بحصنه ، بل هو غنىٌّ بخيله وسلاحه .

والضمائر من أول الأبيات إلى هاهنا للبحر .

٩ – يَارُبَّ لُجٍّ جُعِلَتْ سَفِينَهُ

١٠ – وَعَازِبِ الرَّوْضِ تَوَفَّتْ عُونَهُ

اللجّ : جمع لجّة . والهاء فى « سفينه » عائدة إليها لفظًا . والسَّفين : جمع السفينة ، والهاء فى « عُونَه » للرّوض . والعُون : جمع عانة[2] ، وهى القطعة من حُمُر الوحْش . والتاء فى « جُعِلَتْ » و « تَوَفَّتْ »[3] للجياد .

يقول : رب لجّة جعلت الجياد سفينًا لها . يعنى أنه اقتحم بها الأنهار العظيمة فى غزواته ، فصارت كالسّفن . وقيل : أراد حومة القتال وغمرة الحرب . وربَّ

(١) ث : « المعنى » تحريف ، مو : « مستيحا للفنى » تحريف .

(٢) تذكر كتب اللغة أن العانة : هى القطعة من حمر الوحش . ويرى صاحب التبيان أن العانة : هى القطعة من الوحش أيا كان الحمر والغزلان وجميع مافيه .

(٣) توفيا : أخذها وافية . الواحدى .

روض بعيدٍ قد وصلَتْ إليه هذه الجياد ، فاستوفت جميع مافيها من عانات الحُمُر الوحشية وأهلكته .

١١–وَذِى جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُنُونَهُ
١٢–وَشَرْبِ كَأْسٍ أَكْثَرَتْ رَنِينَهُ
١٣–وَأَبْدَلَتْ غِنَاءهُ أَنِينَهُ

وقوله : « وذى جنون »[١] : كناية عن الشّجاع ، أو كناية عن الباغى . وقيل : أراد بهِ مَلِكًا . كأنه من غيرة[٢] نفسه مجنون ، والشَّرب : القوم المجتمعون على الشَّراب . والهاء فى « جنونه » لـ « ذى جنون » وفى « رنينه » و « غناءه » و « أنينه » للشرب ، لفظًا لا معنًى ، و « الرَّنين » : صوت [٢٤٧ – ا] الباكى الحزين . والأنين : صوت الحزين المتوجِّع .

يقول : وربَّ ذِى[٣] جنون قصَدتْه هذه الخيل ، وأذهبَتْ ذلك الجنونَ من رأسه ، وربَّ قومٍ شاربين للكأس ، هجمَتْ عليهم فقتلتهم وأكثرت رنينهم وأبدلت غناءهم وطربهم حزنًا وبكاء !

١٤–وَضَيْغَمٍ أَوْلَجَهَا عَرِينَهُ
١٥–وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَهُ

العرِين : موضع الأسد فى الأجمة[٤] . وفاعل « أَوْلجها » ضمير البحر ، الذى هو سيف الدولة ، والهاء : ضمير الجياد ، وكذلك فى « أوطأها » أى وربّ أسدٍ أدخل سيفُ الدولة هذه الجياد فى أجمته ، وأغار على مملْكته ، وربَّ ملك قتله ، ومشى بها على جبينه .

(١) يقول الواحدى وتابعه صاحب التبيان . رب ذى جنون : يعنى عاصيا متمردًا لأنه لايعصيه عاقل لعلمه أن لا ينجو منه إذا طلبه .

(٢) مو : « من عزة » .

(٣) مو : « ذو » .

(٤) الأجمة : الشجر الكثير الملتف . اللسان .

١٦-يَقُودُهَا مُسَهَّداً[١] جُفُونُهُ
١٧-مُبَاشِرًا بِنَفْسِهِ شُؤُونَهُ

« مسهدًا »[١] و « مباشرًا » نصب على الحال ، والضّمائر كلّها راجعة إلى سيْف الدولة ، وهو المعبر عنه بالبَحْر .

يقول : يقود سيفُ الدولَة هذِهِ الجياد إلى الحروب ليلاً ، وقد منع أجْفَانَه من النَّوم .

وقيل : الهاء فى « جُفُونه » تعود إلى الملك : أى يسهِّد جفونَ الملك بقصده بخيْله . وهو يتولى أمورَه بنفسه ، ولا يتكل فيها إلى كفايَة[٢] غيره ؛ لفضل قوته وبعد همّته .

١٨-مُشَرَّفًا بِطَعْنِهِ ، طَعِينَهُ
١٩-عَفِيفَ مَا فِى ثَوْبِهِ مَأْمُونَهُ
٢٠-أَبْيَضَ مَافِى تَاجِهِ مَيْمُونَهُ

المنصوبات كلها على الحال . إلا قوله : « طعينَه » فإنه منصوب بمشَرَّف .

يقول : إذا طعن إنسانًا فإنه يتشرفَ بطعنه ، لأنه يقال قد نازله وثبت له ، وهو عفيف الفرج ، أبيض الوجه ، مبارك ميمون على مَنْ رآه .

٢١-بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ
٢٢-شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ

قوله : « أن تكونه » الهاء فيه خبر « كان » وقد وصله ، والأوْلى[٣] فيه الفصْل ، فيقال[٤] : أن تكون إيّاه . وذكّر الضمير فى « أنْ تكونَه » وإن كان

(١) ف : « مسَهّدا » .
(٢) ف : « إلى كفاته » .
(٣) ف : « والأول » .
(٤) مو : « يقال » .

راجعًا إلى قوله : « شمس » لأنه أراد بها سيف الدولة .

يقول : هو بحرٌ فى الجود والهيْبَة ، إذا قيست البحار إليه كانت بمنزلة السّمكة[١] فى البحر . وهو شمس فى إشراقه وعلوّ همته ، ومنزلته وشهرة ذِكْره ، والشمس الحقيق تتمنى أن تكون مثْله .

٢٣–إنْ تَدْعُ (يَاسَيْفُ) لِتَسْتَعِينَهْ
٢٤–يُجِبْكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سِينَهْ

الهاء فى « سينه » تعود إلى سيف . يخاطب صاحبًا له ، أو نفسه ، فيقول : إن دعوتَه وقلتَ ياسيف الدولة ، تستعينُ بهِ أجابك قبل أن تلفظ بالسِّين ، من « ياسيف » .

وقيل : هو خطاب لسيْف الدّولة : أى إن دعوت سيفَك لتستعينَ بهِ أجابك قبل إتمام السِّين منه .

٢٥–أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمْكِينَهْ
٢٦–مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهْ

« مَنْ » فاعل أدام ، وأراد بهِ الله تعالى .

يقول : أدام الله تمكينه ، كما صان منهم نفسه ودينه : أى حال بيْنَهم وبينه مِنْ أن ينالوه بطعنٍ فى نفسه ودينه[٢] .

(١) وهى المرادة بقوله : بحر يكون كل بحر « نونه » .
(٢) مو : « دينه ونفسه » .

(٢٢٠)

وقال فى ذى الحجة من سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة ، يمدحه ويهنّئه بعيد الأضحى ، وأنشده إياها فى ميدانه[٢٤٧ – ب] بحلب ، تحت مجلسه ، وهما على فرسيهما[١] [ويذكر أسره لابن الدمستق وفيها يفتخر بنفسه وشعره] :

١- لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا
وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِى الْعِدَا

يقول : كلّ إنسان يجرى على ما تعوّد من دَهرِه . وعادة سيف الدّولة التى لا ينفصل عنها ، أن يطْعن أعداءه ، فهو جار عليه .

٢- وَأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ وَيُمْسِى بِمَا تَنْوِى أَعَادِيهِ أَسْعَدَا

الإرْجاف : خوْض العامّة فى الإخبار عن الملوك بالسيّئ[٢]. وقيل : هو مقدّمة الكون[٣] .

يقول : من عادته أيضًا أن يكذّب إرجاف أعدائه عنه بضد ما أرْجفوا ، فإذا نَوَوْا على إيقاع شرٍّ بهِ عاد ماتمنّوه عليهم ، فيصير هو أسْعد من أعدائِه . بما نَوَوْا عليه[٤] . وروى : « بما تَحْوِى » و« تَنْوِى » .

(١) الواحدى ٥٢٩ : « وقال يمدحه . ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلمائة » التبيان ٢٨١/٢ : « وقال يمدحه ، ويهنئه بعيد الأضحى » . الديوان ٣٥٨ : « وقال فى ذى الحجة سنه اثنتين وأربعين يمدحه ويهنئه بالعيد . أنشده إياها فى ميدانه ، تحت مجلسه ، وهما على فرسيهما » . العرف الطيب ٣٨٤ .

(٢) فى النسخ : « بالسر » والتصويب عن اللسان « رجف » . أرجف القوم : إذا خاضوا فى الأخبار السيئة وذكر الفتن . وفى التنزيل العزيز : (والمرجفون فى المدينة)

(٣) كذا فى أساس البلاغة للزمخشرى وعنه نقلها الزبيدى فى تاج العروس « رجف » .

(٤) ذكر الواحدى وتابعه صاحب التبيان : أن أعداءه يرجفون وهو يكذب إرجافهم بضد مايقولون ، فهم يرجفون بقصوره ؛ وهو يكذبهم بوفوره ، ويرجفون بهزيمته وهو يكذبهم بظفره ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون به ، فيصير بذلك أسعد ؛ لأنه يظفر عليهم فيأخذ ما يملكون .

٣– وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ، ضَرَّ نَفْسَهُ
وَهَادٍ إلَيْهِ الْجَيْشَ، أَهْدَى وَمَاهَدَى

الهاء فى «ضَرَّه» لسيف الدولة. وفى «نَفْسه» للمريد. وهادٍ[١]: من قولهم: هديْتُه الطّريقَ. والجيش: نصب بهادٍ[٢] وضرَّه: بمريدٍ. وأهدى: من الهديّة.

يقول: ربّ إنسانٍ أراد أن يضرّه، ضر نفسه! وعاد كيده إليه. وهذا من قوله تعالى: (وَلا يَحِيقُ الْمكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِهِ)[٣]. ومنه قول الشاعر:

رَمَانِى بِأمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ ووَالِدِى بَرِيًّا وَمِنْ قَعْرِ الطَّوِىِّ رَمَانِى[٤]

أى عاد رمْيه إليه، مثْل من يرمى حجرًا من قعر بئر، فيعود على رأسه.

وربّ قائِد هدى إليه جيشًا، فكأنه بعث إليه هديّة وغنيمة.

٤– وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فى كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا

يقول: ربّ كافرٍ مستكبر عن طاعة الله تعالى، لم يؤمن ساعة، لما رأى سيف الدولة وفى يده سيفه أسلم، وتشهّد: أى أقر بشهادة التوحيد.

ويجوز أن يكون «ساعةً» متعلق بقوله: رأى السيف فى يده، ساعةً، ووقتًا، فأسلم[٥].

---

(١) هادٍ: المراد قائد الجيش يهديه الطريق فأضله بقصده له فصار مهديًّا إليه من العدم لأنه. يغنم الجيش فيكون الهادى مضلا ومهديا له.

(٢) ق: «بها». (٣) سورة فاطر ٤٣/٣٥.

(٤) نسب إلى ابن أحمر فى لسان العرب «جول» وقيل: للأزرق بن طرفة وروايته: «ومن جول الطوى» وأورده المرزوقى فى شرحه للحماسة ٣١٩ غير منسوب وروايته: «جول الطوى» وقال الحصرى صاحب زهر الآداب فى هذا البيت ٩٩/٢ قال بعض العرب فى إحدى الروايات:

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئًا ومن جال الطوى رمانى

ثم قال: الجال والجول: الناحية، والطوى: البئر. والرواية المشهورة: «ومن أجل الطوى».

(٥) ق: «وأسلم». وقال الواحدى: آمن إما خوفًا منه، وإما علماً بأن دينه الحق، حين رأى نور وجهه وكمال وصفه.

٥ - هُوَ الْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا عَلَى الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا

يقول : هو بحر ، فإذا كان ساكنًا فغص فيه ، واستخرج منه الدّر ، وإذا كان هائجًا مُزْبِدًا فاحذره ولا تقربه ، فتغرق فيه . يعنى : استمنح[1] منه الرغائب فى حال السلم ، واحذرْ مِن[2] أن تلقاه محاربًا ، فإنّه يهلكُكَ . وهو وقوله :

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وزُرْهُ مُسَالِمًا[3]

٦ - فَإِنِّى رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِى يَأْتِى الْفَتَى مُتَعَمِّدًا

يقول : هو أشدّ من البحر بأسًا ، لأن البحر إنما يصيب الإنسان اتفاقًا ، فربما سلم منه ، وإن باعد منه لم يقصده ، وهذا البحر يقصد إلى قِرْنه[4] عن عمْد ، ويهلكه عن قصد ، فيكون « يعثُر » بمعنى يصيب .

وقيل : معناه البحر ليس هو ولكنّه على قصد مكانٍ غير مكانه ، وهذا البحر يقصد العدوّ ويهلكه ، وهو قريب من الأوّل .

وقيل : لما سوى بين البحر وبين سيف الدولة من حيث الغضب والسكون فضّله على البحر فقال : ما يفعله سيف الدولة[5] فى حالتى الغضب والسكون ، فهو عن قصد وإرادة ، وما يفعله البحر لا يكون عن قصدٍ وإرادة ، وليس إغناء البحر مَنْ يقصده ، بما فيه من الدرّ عن قصد ، وكذلك إهلاكه فى حال الاضطراب ، فيكون قوله : [٢٤٨ - ا] « يعثُر بالفتى » عبارة عن وقوع الفعل غفلة لا عن قصدٍ وعمد .

---

(١) ق : « استمح » . (٢) ق : « واحذر منه » .

(٣) ق : « مسلما » مو « سالما » . وهذا صدر بيت للمتنبى عجزه :

وحذار ثم حذار منه محاربًا

الديوان ١٠٠ .

(٤) ق : « إلى قربه » . والقِرْن للإنسان مثله فى الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك ويجمع على أقران . اللسان « قرن » .

(٥) ق : من « سيف الدولة ... سيف الدولة » . ساقط انتقال نظر .

٧ – تَظَلُّ مُلُوكُ الأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تُفَارِقُهُ هَلْكَى ، وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا

يقول : إن الملوك تخشع له ، فإذا لقيتْه سجدتْ له ، وإذا خرجت من عنده ففى قلوبهم من الخوف والهيْبة ما يقوم لهم مقام الهلاك .

وقيل : أراد به حقيقة الهلاك . يعنى إذا فارقوه على سبيل العصيان أهلكهم .

٨ – وَتُحِيى لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِى التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا

الجدا ، والجدوى : العطية .

يقول : يغنم الأموال بالسيوف والرماح ، ثم يهبُها بتبسُّمه وجدْواه . وقوله : « بالتبسّم » إشارة إلى أنه لا يمكن أن يؤخذ منه على وجه القهر . ومثله لأبى تمام :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ[1]

٩ – ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِى يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا

تَظَنِّيهِ : أصله تظنّنه[2] ، وهو تفعّل من الظن[3] ، وتظنيه : مبتدأ : وطليعة[4] عينه : خبره ، والجملة : صفة لذكىّ .

يقول : هو ذكىٌّ يعرف الأمر قبل موقعه[5] ، فكأنّ ظنّه طليعة لعيْنه ، فهو يرى بقلْبه اليوم ما تراه أيها الإنسان بعينك غدا .

١٠ – وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأَوْرَدَا

روى : « المستَصْعِبَاتِ » بالكسر ، والفتح . والكسر : على أنه من الفعل

---

(١) ديوانه ٤/ ٥٨٨ والوساطة ٢٠٣ : « واحتووا » التبيان ١/ ٣٠٥ و ٢/ ٢٨٢ والواحدى ٥٣٠ .

(٢) مو « فظنيه أصله فظنته » تحريف .

قال أبو عبيدة : « فكثرت النونات فقلبت إحداها ياء كما قالوا فى (قصّيت أظفارى) والأصل قصصت أظفارى » اللسان « ظن » .　　(٣) يريد بذلك : التظنن .

(٤) الطليعة : الذى يتقدم أمام المحاربين فإذا رأى العدوّ أنذرهم .

(٥) ق : « موضعه » .

اللاّزم ، استصْعب : أى صعب . والفتح : من قولك استصعبتُ الأمرَ : وجدتُه صعبًا .

يقول : لايتعذر عليه ما يريده ، حتّى لوكان [قرن] الشمس ماء لأوْرَد خيلَه منه[1] .

١١–لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتُقِ يَوْمَهُ مَمَاتًا ، وَسَمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ مَوْلِدًا

الهاء فى « يَوْمَه » لابن الدمستق ، وفى « سمّاه » لليوم . وقوله : « لذلك » إشارة إلى البيت الذى قبله : أى أنه أسر ابن الدمستق ، لأنه يصل إلى كل أمر صعب بخيلة ، فسمى ابن الدّمستق اليوم[2] الذى أسر فيه مماتًا ، لأنه دنا من الموت ، وأيس من الحياة ، وسمّاه أبوه : مَوْلِدًا ، لأنه قد نجا من القتل والموت ، فكأنّه وُلدَ فى ذلك اليوم ، أو كأنّه عاد إلى الدّنيا ، بعد أن خرج منها .

١٢–سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ثَلاَثًا ، لَقَد أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا

جيْحان : نهر[3] فى بلاد آمد[4] مسافته بعيدة .

يقول : سريْت من آمِد إلى جيحان فى ثلاث ليال ، مع بعد المسافة بينهما ، قاله متعجبًا . ثم قال : لقد أدناك الرّكْضُ من جيحان ، وأبعدك من آمِد .

وعن ابن جنى قال : أدناك من جيحان ، وأبعد أولئك القوم من جيحان ، مخافةً منك ، فيكون مفعول « أبعد » محذوفًا[5] .

١٣–فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِتَحْمِدًا[6]

(١) مو : « منه » مهملة . (٢) ق : « اليوم » ساقطة .

(٣) سبق التعرف به فى مقدمة القصيدة .

(٤) آمد : بلد حصين قديم مبنى بالحجارة السود على نشز ، ودجلة محيطة بأكثره وتنشأ من عيون قريبة منه . معجم البلدان وانظر أطلس التاريخ الاسلامى .

(٥) رواية الواحدى : « قال ابن جنى : أدناك سيرك من النهر وأبعدك من آمد » ثم يعلق عليه فيقول : وهذا لا يفيد معنى .

(٦) فى الواحدى والتبيان « ليُحمَدا » . خطأ بيّنه شرح البيت .

يقول : ولّى الدّمستق لما رآك ، وأسلم ابنه وجيْشَه إليك ، ولم يعط جميع ما قلتُ لتحمده عليه ؛ لأنه لم يعطك عن طيب نفس واختيار منه حتى تحمده ، ولكن كان ذلك على رغمٍ منه : قهرًا وقسْرًا .

١٤–عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ   وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا

يقول : لمّا رآك غلب على قلبه الخوف ، و [على] عينِه الحيرة ، فلم تَر عينُه غيرَك ، وحلْت بينه وبين [٢٤٨ – ب] حياته ، فصار كالميّت ؛ لبطلان حواسِّه .

وجعله سيف الله ؛ لأنه مجاهد فى سبيله ودينه . وروى : و «طُرْقِهِ» أى حلْت بينه وبين طرِيقه إلى الحياة .

١٥–وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ غَيْرَهُ   وَلَكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا

«الفِدا» إذا فتح : يقْصر . وإذا كسر : يمد .

يقول : لم تَطْلُب الرماحُ إلا الدّمستق ولكن نجا هو وصار ابنه[١] فداءً له .

١٦–فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً   وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلَاصَ الْمُسَرَّدَا

«يَجتَاب» : أى يلبس [المسوح و] يدخل فيها[٢] . والمسوح : جمع مِسْح[٣] . والدّلاص : الدرع [الصافية البارقة] . والمُسَرَّد : المحكم النسج .

يقول : إن الدمستق لما نجا ترهّب خوفًا من سيف الدولة ، ولبس المُسوح السّود . وقد كان يلبس الدُّروع ويباشر الحروب فترك ذلك .

١٧–وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا   وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْىَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا

العكّاز ، والعكّازةُ : العصا . والدّيْر[٤] للرهبان ، كالصّوامع للعبّاد .

---

(١) ابنه : قسطنطين ابن الدمستق .

(٢) ق : « يجتاب . أى يتلبس يدخل فيه » . مو : « يجتاب : أى يلبس يدخل فيه » .

(٣) المِسْح : ثوب من الشعر وهو ثوب الراهب . اللسان .

(٤) الدُّير . مقام الرهبان أو الراهبات والنسبة إليه ديرانى على غير قياس وجمع على : أديرة وأديار ودبورة . وهى كلمة سريانية .

يقول : لما عجز عن المقاتلة كانت تحمله العصا فى الدّير ؛ لأنه قد ضعف ومرض خوفاً ، وأظهر التّوبة ، وكان قبل ذلك لا يرضى أن يحمله الفرس الأشقر الأجْرد[1] ، لأنه على ما يقال : يكون أصْبر على السير.

١٨–وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكُرُّ وَجْهَهُ جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا

يقول : لم يتب اختياراً وزهداً فى الدنيا ، ولكن لمّا تركتَ وجهه جريحًا ، وأسرْتَ ابنه ، وجعل الغبارُ عينَه أرمدَ ، خاف على نفسه فترهّب .

١٩–فَإِنْ[2] كَانَ يُنْجِى مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ تَرَهَّبَتِ الأَمْلاكُ مَثْنَى وَمَوْحَدَا

يقول : إن كان كلّ من يترهّب ينْجو من سيف الدولة ، فإن جميع الملوك يترهّبون اثنين اثنين ، وواحداً واحداً «ومثْنَى وَمَوْحِدَ» نصب على الحال .

٢٠–وَكُلُّ امْرِئٍ فِى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِدُّ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدَا

وكل امرئ[3] «بَعْدَها» : أى بعد حالة الدّمستق . وقيل : بعد الوقعة والهاء فى «لَهُ» لامرئ ، أى يعدّ لنفسه .

يقول : إن كان ينجيه ترهّبه ، فكل أحد بعد هذا – فى الشرق والغرب – يجعل لنفسه مِسحًا أسودًا ليلبسه . يعنى لا ينفعه ذلك[4] .

٢١–هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِى أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَا

«هنيئًا» : نصب على الحال ، و «العيدُ» : رفع بفعل مضمر يدل عليه هنيئًا : أى ثبت العيد لك هنيئًا .

(١) يقال فرس أجرد : أى سباق . اللسان . يقول الواحدى : وخص الأشقر لأن العرب تقول : «شقْر الخيل سراعها» .

(٢) الواحدى والتبيان «فلو» . (٣) مو : «وكل امرئ» ساقطة .

(٤) مو : «ذلك» ساقطة .

يقول : هنأك هذا العيد الذى أنت عيد له ، لأنه يتجمّل بك ويسرّ بكونك فيه ، كما يتجمّل الناس فى العيد[١] ، وأنت أيضاً عيدٌ لكل مسلم يرى هذا اليوم عيدًا ، فيضحى ويذكر اسم الله تعالى فى أيامه .

وقيل : أراد هذا العيد عيد لكل من سمّى وضحّى ، وجعله عيدًا : أى عيد لكل مسلم[٢] .

٢٢–وَلاَ زَالَتِ الأَعْيَادُ لُبْسُكَ بَعْدَهُ تُسَلِّمُ مَخْرُوقًا وَتُعْطِى مُجَدَّدَا

يقول : لازلتَ بعده تلقى أعيادًا كثيرة وتلبسها ، فإذا أبليت عيدًا ملبوسًا ، لبست عيدًا جديدًا [٢٤٩ – ا] .

٢٣–فَذَا الْيَوْمُ فِي الأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ وَاحِدًا كَانَ أَوْحَدَا

يقول : هذا اليوم فى الأيّام بمنزلتك من الأنام ، فهو سيّد الأيام وأوحدها ، كما أنك أوحد الناس وسيدهم .

٢٤–هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلُ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا

يقول : البخْت يسعد كلّ شىء ، حتى الأيّام ، فيصير اليوم سيّدا لليوم ، و «العين» قيل : أراد بها العين الحقيقية . يعنى : أن البخت ربما يجعل إحدى العينين أفضل من الأخرى ، لما يلحق الأخرى من الآفة والنقص فتصير دونها .

وقيل : أراد بالعين قول القائل «هذا عيْنُ الشىء» .

أى قد يكون عينان[٣] من ثوبين أو درّتين وغيرهما – وإن كانا من جنس واحد – تفضل إحداهما[٤] على الأخرى ، لما لها من الحظ ، فتكون أوقع فى النفس وأعظم للحظ .

---

(١) العيد : مأخوذ من عاد يعود . وقالوا فى جمعه أعياد كراهة أن يقولوا أعواد فيلتبس بجمع العود . المعرى ، تفسير أبيات المعانى . (٢) أى يفرح به كالعيد .

(٣) مو : « عيناى » . (٤) مو : « أحدهما » . ق : « أحديهما » .

٢٥–فَوَاعَجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَىْ مَا تَقَلَّدَا

الدائِل : صاحب الدولة[1] .

يقول : ما أعجب أمر الخليفة ! حيث جعلك سيفه ، كيف لا يخافك فأنت أقوى منه سلطانا ؟!

٢٦–وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ[2]
تَصَيَّدَهُ[3] الضِّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

يقول أنت كالأسد ، فإذا جعلك الخليفة بازَه ، كان قد وضع الشيء فى غير موضعه ! لأن الأسد لا يصيد لأحد ، وإنما يصيد لنفسه ، فمن جعله بازَه كان آخر أمره أنْ يعطف عليه يومًا فيجعله من جملة صيده ، فكذلك الخليفة ، ربَّما عطفْتَ عليه فأفقتَه عن مُلْكه وقعدت مكانه ، فيصير صيدًا لك .

و «مَنْ» شرط و «يَجْعَلْ» مجزوم به وكان يجب جزم قوله : «تَصَيَّده» لكن حمله على التقديم[4] والتأخير : أى تصيَّد الضرغام فيما تصيَّد ، مَنْ يجعل الضرغام للصيد بازَه كقول الشاعر[5] :

إنَّكَ إنْ تصْرَع أخَاكَ تُصرَع[6]

---

(١) يعنى الخليفة . أخرجه محرج : لابن وتأمر . الواحدى . (٢) التبيان «بازًا لصيده» .

(٣) ق : «يصيده» وفى سائر النسخ «تصيده» .

(٤) أى التقديم على أداة الشرط «مَنْ» .

(٥) انفردت ع برواية هذا البيت بعد قوله : كقول الشاعر :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لاغائب مالى ولا حرم

وهذه رواية تفسير أبيات المعانى عن المعرى وهو كذلك فى سيبويه ١/ ٤٣٦ وكأن تقدير الكلام فى هذا البيت يقول : لاغائب مالى إن أتاه خليل يقل ذلك .

(٦) هذا عجز بيت صدره يا أقرع ابن حابس يا أقرع

سيبويه ١/ ٤٣٦ وقد نسبه إلى جرير بن عبد الله والمقتضب ٢/ ٧٢ وأمالى ابن الشجرى ١/ ٨٤ وقد أورده المرزوقى فى شرحه ٣/٩٧ ونسبه لعمرو بن خثارم البجلى ضمن قصيدة طويلة . =

أى إنك تصرع إن تَصرع أخاك . وقال أبو الفتح بن جنى : قلت له : لِمَ جعلتَ «مَنْ» فى قولك و«مَنْ يَجْعل» شرطًا صريحًا؟ وهلاَّ جعلته بمنزلة الذى ، وضمنت الصلة معنى الشرط حتى لا تركب الضرورة ، نحو قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُم)[1] . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وإنما جئت بلفظ الشرط صريحًا ؛ لأنه أوكد وأبلغ ، قال : وأردت الفاء[2] فى قوله تصيده [وحذفتها][3] وهذا جائز[4] .

٢٧–رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِى مَحْضِ قُدْرَةٍ
وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنَّدَا[5]

يجوز أن يكون متصلاً بما قاله : أى أنك مع قدرتك الظاهرة تعامل الخليفة بالحلْم . ولو شئت جعلت مكان الحلم السّيف . ويجوز ألا يكون متصلاً به . أى حلمك عن الجهال عن قدرة . ولو شئت جعلت مكانه سيفًا .

٢٨–وَمَا قَتَلَ[6] الأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِى يَحْفَظُ الْيَدَا؟!

= والشاهد فيه : تقديم «تصرع» فى النية وتضمنه الجواب فى المعنى والرواية فيما ذكرناه من المراجع «إن يصرع أخوك» .

(١) سورة البقرة ٢/ ٢٧٤ والمذكور فى النسخ : «الذين ينفقون أموالهم إلى قوله تعالى : فلهم أجرهم» ونص ماذكرناه عن رواية صاحب تفسير أبيات المعانى عن ابن جنى .

(٢) ق : «الهاء» .

(٣) فى النسخ : «وأضمرت» وماذكرناه ومابين المعقفات عن رواية ابن جنى فى تفسير أبيات المعانى والتبيان .

(٤) قال المعرى : رواية أهل هذه البلاد جزم «يجعل» ورفع تصيده وذلك ضعيف جدًّا . لأنه يحوج إلى أن يضمر الفاء وليست هاهنا ضرورة داعية إلى رفع «تصيده» وجزم «يجعل» لأنه إذا رفع «يجعل» وحمل الكلام على المبتدأ أو الخبر . وصرفه عن الشرط والجزاء كفى هذه المئونة وتكون «منْ» فى معنى «الذى» كأنه قال : والذى يجعل الضرغام للصيد بازه فيكون «تصيده» فى موضع خبر المبتدأ . النظام وتفسير أبيات المعانى .

(٥) سقط نص هذا البيت من ع مع بقاء الشرح .

(٦) ع : «وماقتلت» .

يقول : إذا قدرْتَ على حرٍّ فعفوت عنه ، فكأنك قتلْتَه ؛ لأنّه لا يقدر بعد ذلك على محاربتك ، حياءً من إحسانك إليه ، ولكن أين ذلك الحرّ الذى يحفظ النعمة ويشكرها ؟! وقوله : «ومن لك» أى من يطلب لك الحرّ الذى يحفظ اليد[1] .

٢٩–إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

يقول : إذا أكرمْتَ الكريم وأحسنت إليه ، فقد ملكته بإحسانك ، وصار عبدك ، وإذا أكرمت اللئيم كفر نعمتك ، ولم يشكر إحسانك ! وظن أنك أكرمته خوفاً منه ، فتمرد عند الإحسان لِلُؤْم طبعه .

٣٠–وَوَضْعُ النَّدَى فِى مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلاَ ... مُضِرٌّ ، كَوَضْعِ السَّيْفِ فِى مَوْضِعِ النَّدَا

يقول : الإحسان إلى مَنْ يستحق السّيف[2] ، مثل الإساءة إلى من يستحق الإحسان ، فى أن كل واحد منهما يقدح بالعلا ويضرّ بالمُلْك[3] وهذه الأبيات تعريض بالخليفة .

يقول : إذْعَانك له مع قدرتك عليه ، حكْمٌ موضوع فى غيرِ موضعه ، لأنه لا يعرف حق ذلك ، ويعد ذلك يداً عليه . ومثله لآخر :

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوِصَالِ أَهْلاً ... فَكُلُّ إِحْسَانِهِ ذُنُوبُ[4]

٣١–وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً ... كَمَا فُقْتَهُمْ حَالاً وَنَفْسًا وَمَحْتِدَا

يقول : أنت أصوب الناس رأيًا ، وألْطفهم حكْمةً ، كما أنك أحْسنهم حالاً ،

---

(١) ث . «إليه» تحريف .

(٢) فى النسخ «إلى من يستحق السيف والإساءة مثل الإساءة» إلخ

(٣) يرى الواحدى أن المعى : كلٌّ يجازى ويعامل على استحقاقه . فمستحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق السيف لم تكْرِم بالعطاء . وإذا فعل ذلك أحد أضر بعلاه .

(٤) محاضرات الأدباء غير منسوب ١ ٤٥٣ و ٢ . ٤١٣ .

وأشرفهم نفسًا ، وأكرمهم أصلاً .

ومعناه : أنك تفعل ما هو فى الظاهر وضع الشىء فى غير موضعه ، ولكن لا اعتراض عليك ، لأن رأيك أصوب الآراء ، فلعلّك رأيتَ فيه ما خفى عَلَى غيرك .

وقيل : إن معناه وضع الندى فى موضع السيف يضرّ بالعلا ، ولكنك لا تفعل شيئاً من ذلك ، فلا تضع الندى إلا فى موضعه . وكذلك السيف ، لأن رأيك أصوب الآراء .

٣٢- يَدِقُّ عَلَى الأَفْكَارِ مَاأَنْتَ فَاعِلُ ... فَيُتْرَكُ مَايَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَابَدَا

يقول : إن ما تفعله من المكارم والعجائب لا تُحِيط بهِ أفكار الشعراء[1] . فيذكرون ما ظهر لهم . ويتركون ما خفى عليهم .

٣٣- أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّى بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِىَ حُسَّدَا

يقول : أزل عنّى حسد الحسّاد ، بأن تكبتهم وتذلّهم ، بالازدياد[2] فى الإحسان إلىّ والرّفع من منزلتى لديك ، فإنّك أنت الذى جعلتَهم حسّادًا لى ، إذْ أعطيْتَنِى وقرّبت منزلتى عندك ، حتى حسدونى على ذلك .

٣٤- إِذَا شَدَّ زَنْدِى حُسْنُ رَأْيِكَ فى يَدِى ... ضَرَبْتُ بِنَصْلٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدا

يقول : إذا قرّبتنى منك ، وأعنتنى بحسْن رأيك ، فلا أبالى بحسد الحسّاد ، بل أقتلهم بأهون سعى ، فعبّر عن ذلك بالمغمد[3] : الذى لا يعمل .

---

(١) ولا يريد أن المقتدين بك فى المكارم يأخذون ماظهر منك . ويتركون ماخفى ولو أراد ذلك لما أتى بـ «الأفكار» ولقال يدق على الكرام . قال ابن جنى - هذا البيت مثل قول عمار الكلابى .

ماكُل قوْلى مشروحًا لكم فخذوا ... ما تعرفون ومالم تعرفوا فدعوا

الواحدى .

(٢) يقول الواحدى : اكفنى شرهم بأن تصرفهم وتخزيهم بالإعراض عنهم .

(٣) ق : «الغمد» . مو : «المعمد» .

٣٥–وَمَا أَنَا إلاَّ سَمْهَرِىٌّ(١) حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدَا

المسدَّد : المشرَّع .

يقول : إنما [أنا] جمال مجلسك ، وزيْن حضرتك ، وأنا لك بمنزلة الرمح ، تحمله يزينك ، ويردع أعداءك فى حربك ، كذلك أنا أنشر مكارمك وأزين مجلسك وإذا حملتنى إلى القتال قاتلت أعداءك .

٣٦–وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ مِنْ رُوَاةِ قَلاَئِدِى إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

أراد بالقلائد : القصائد ، وقد رويت أيضاً(٢) .

يقول : إن الدهر من جملة رواة قصائدى ، فإذا قلْتُ شعرًا سار فى الآفاق وبقى على الأيام(٣) ، فصار كأنّ الدّهر يرويه وينشده . وقيل : أراد بِهِ أهل الدهر . أى الناس كلهم يروون شعرى وينشدونه [٢٥٠ – ا] .

٣٧–فَسَارَ بِهِ مَنْ لاَيَسِيرُ مُشَمِّرًا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لاَيُغَنِّى مُغَرِّدَا

يقول : يسير بشعرى من ليس عادته السّير ، يهْديه إلى غيره ، وكذلك يغَنِّى بهِ تطريباً وتغريدًا(٤) من لم يكن شأنه الغناء ، لحسنه وموافقته للطباع ، فيحمل كل سامع على الاستماع ، ويحمل كلّ أحد على الإنشاد .

٣٨–أَجِزْنِى إذَا أُنْشِدْتَ مَدْحًا(٥) فَإِنَّمَا بِشِعْرِى أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا

مردَّدًا : منصوب على الحال من قوله : « بشعرى » .

يقول : إذا أنشَدكَ الشاعرون المدائح فأعطنى الجائزة ، فإنى أحق منهم بها ،

(١) فى السمهرى : الرمح ، منسوب إلى سمهر ، اسم رجل كان يقوم بعمل الرماح . والأصل : الصلابة . اسمهّر الأمر : اشتد .

(٢) وبها رواية الديوان « من رواة قصائدى » .

(٣) مو : « وبقى فى الأيام » .

(٤) التغريد : رفع الصوت للتطريب بحسن الصوت . (٥) فى الواحدى والتبيان « شعرا » .

لأنهم أخذوا المعانى من شعرى وردّدُوها فيك ، فكأنهم أتوك بشعرى ونسبوه إلى أنفسهم .

وروى أن شاعراً مدح الصَّاحِب[1] بقصيدة سرق فيها أبياتاً مَن شعره ، فوقّع على ظهرها هذه بضاعتنا ردّت إلينا .

٣٩- وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ بَعْدَ صَوْتِي فَإِنَّنِي أَنَا الصَّائِحُ الْمحكيُّ وَالآخَرُ الصَّدَى

وروى : «أنا الشّاعر المحكيّ» بدل «الصائح» .

يقول : لا تلتفت إلى الشعراء غيرى ؛ لأنهم يسرقون أشعارهم من أشعارى ، فأنا الصائح الذى يحكى صوته ، وهم كالصَّدَى .

وقيل : معناه لا تسمع إلى قولٍ غير قَوْلى ، فإن ما عداه هذْيان ، كالصَّدى من الصِّياح .

٤٠- تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا

يقول : أغْنَيْتَنِي بعطاياك ، حتّى قعدتُ عن السُّرى طلباً للغنى ، وتركتُ السُّرى لمن هو قليل المال ، وكثُر لى الذّهب حتى أنعلْت بهِ خيلِى . وهذا كما قيل فى المثل : «مَنْ كَثُرَ ذَهَبُهَ طَلَى بِهِ اسْتَه»[2] وقيل : إن سيف الدولة كان وهب له فرسًا منعلاً بالذهب فذكَره .

٤١- وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا

مَحَبَّةً : نصب لأنه مفعول له .

يقول : أحسنْتَ إلىّ ، فأقمتُ عندك ، وصار إحسانك لى قيدًا يمنعنى عن الأسْفار .

٤٢- إِذَا سَأَلَ الإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغِنَى وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا

(١) سبقت ترجمته .

(٢) المراد بالاست هنا : العجز . اللسان .

يقول : إذا طلب أحد من الأيّام أن تُعينه ، وكنتَ بعيداً عنه . قالت له الأيام : إذا بلغتَ سيف الدولة استغنيْت . وقوله : «وكنتَ عَلَى بُعْدٍ» إشارة إلى [أن] هذا الوعْد من الأيام إنما يكون لمن بعد عنك ، فأما القريب فقد أغْنيته فلا يحتاج إلى السؤال .

(٢٢١)

وجرى ذكر ما بين العرب والأكراد[١] من الفضل ، فقال سيف الدولة ما تقول ونحكم فى هذا يا أبا الطيب ؟ فقال[٢] :

١ – إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الأَنَامِ سَائِلاَ
٢ – فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلاَ

يقول : إن كنت تسألنى عن خير النّاس ، فإنّ خيرهم من كانت فضائله أكثر ، ثم بيّن (مَنْ) بعد . و « فضائلاَ » نصب على التمييز .

٣ – مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هُمَامُ وَائِلاَ
٤ – الطَّاعِنِينَ فِى الْوَغَى أَوَائِلاَ

لم يصرف « وائِل »[٣] لأنه اسم القبيلة ، فهى معْرفة مؤنّثة ؛ و « الطّاعِنِين » ، وما بعده خبر ، لأنه صفة « لوائِل »[٤] وهى فى موضع جر . وقيل : نصب على المدح .

---

(١) الأكراد : جمع من الناس يسكنون شمالى العراق حول الموصل وكركوك والسليمانية وأصلهم من كردستان وهو إقليم يشمل أجزاء من تركيا الشرقية والعراق وإيران . معظمهم قوم رحل وغالبيتهم مسلمون سنيون .

(٢) ع : « وحضر أبو الطيب وقد جرى ذكر ... إلخ . الواحدى ٥٣٥ نص ماذكر . التبيان ٣/ ١١١ : « وقال وقد جرى ذكر ... الخ » . الديوان ٣٦٢ : « وقال وقد جرى ذكر ...إلخ . العرف الطيب ٣٦٣ .

(٣) وائل بن قاسط : أبو بكر وتغلب ، رهط سيف الدولة . وجعله اسما للقبيلة .

(٤) مو : « لزائل » تحريف .

يقول : خير الناس العرب الذين أنت منهم يا سيّد وائِل ، وهم الذين يطعنون فى الحرب أوائِل الخيل فى المعركة ، فهم الشّجعان[1] لأنّه لا [٢٥٠ – ب] يسبق إلى الطعان إلا الشجاع . وقيل : أراد بالأوائِل . الوجوه والصدور ، أى أنهم يطعنون وجوه الأعداء وصدورهم ، فيكون نصبًا على المفعوليّة .

وقيل : معناه أنهم يطعنون الأبطال أوّلا . أى يتقدمون إلى الأقران . ونصبه حينئذ على الحال .

٥ – وَالْعَاذِلِينَ فِى النَّدَى الْعَوَاذِلاَ

٦ – قَدْ فَضَّلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلاَ

العاذِلِين : عطف على الطّاعنين .

يقول : إذا عذلهم العواذل على السخاء عذلوهنَّ على عذلهن ، ثم بين أن قبيلته قد فضلوا سائِر القبائل بسبب فضله ومآثره .

(٢٢٢)

وجلس سيفُ الدولة لرسول ملك الروم فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة فحضر أبو الطيب فوجد دونه زحمة شديدة ، فثقل عليه الدخول فاستبطأه سيف الدولة فقال ارتجالاً[2] :

١ – ظُلْمٌ لِذَا الْيَوْمِ وَصْفٌ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ ... لاَيَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ

(١) ق : الشجعان من الخيل » .

(٢) ع : « وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم فى صفر سنة ٣٤٣ فقال أبو الطيب ارتجالا » . الواحدى ٥٣٦ : « وقال وقد دخل رسول ملك الروم على سيف الدولة فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة » . التبيان ٢/ ٩٨ : « وجلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبى لزحام الناس ، فعاتبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه فقال المتنبى ارتجالا » . الديوان ٣٦٣ : « وجلس سيف الدولة لرودس رسول ملك الروم فى صفر سنة ثلاث وأربعين . وحضر أبو الطيب فوجد دونه زحمة شديدة . فثقل عليه الدخول . فاستبطأه سيف الدولة فقال ارتجالا » . العرف الطيب ٣٨٩ .

«ظلم» نكرة مفيدة ، والوصف : خبره .

يقول : إنْ وصفتُ هذا اليوم قبل مشاهدة الحال فقد ظلمتُه ، ولم أقْدر على وصفه على الحقيقة إلا بعد المشاهدة ، وإنّما قال ذلك : تعظيمًا لليوم ، وأنه لا يحيط بهِ الْعِيَان .

٢– تَزَاحَمَ الْجَيْشُ حتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا إِلَى بِسَاطِكَ لِى سَمْعٌ وَلاَ بَصَرُ

أى ازْدحم الجيش عليك ، حتّى لم يَبِنْك[1] بصرى من كثرة الناس فى بساطك ، وكثرت الأصواتُ حتّى لم أسمع كلامك .

٣– فَكُنْتُ[2] أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ مُعَايِنًا ، وَعِيَانِى كُلُّهُ خَبَرُ

المعنى : كنتُ حاضرًا ، وكأنّى كنتُ غائبًا ؛ للازدحام ، فلم يمكنى مشاهدة الحال ، وكنت معايِنًا ، وكان عِيانى خبرًا ؛ لشدة الزحمة وكثرة الناس .

٤– الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلْكُ الرُّومِ نَاظِرَهُ لأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ

يقول : إذا أجبْتَه إلى الصّلح أمِن وزَال[3] منه الخوف ، فيرفع طَرْفه ؛ لأنّ عفوك عنه يقوم له مقام الظّفر فى [هذه] المرة[4] .

٥– وَإِنْ أَجَبْتَ بِشَىْءٍ عَنْ رِسَالَتِهِ فَمَا يَزَالُ عَلَى الأَمْلاَكِ يَفْتَخِرُ

يقول : إن كتبْتَ إليه جواب كتابه ، افتخر بذلك على ملوك زمانه ، وتشرّف بهِ على جميع أقرانه .

٦– قَدْ اسْتَرَاحَتْ إِلَى وَقْتٍ رِقَابُهُمُ مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِى النَّاسِ[5] يَنْتَظِرُ

(١) ق : «يبنك» مو : «يلبك» . ع : «يبنك» .

(٢) ق ، مو : «وكنت» والتصويب عن الواحدى والتبيان والديوان .

(٣) مو : «ونال» .

(٤) ق : «فى المسرة» . مو : «المسرة» .

(٥) مو : «القوم» وكذا فى التبيان والواحدى .

يقول : استراحت بهذا الصلح رقاب الرُّوم عن السيوف ، وانتظر سيوفك باقى الناس من الأعداء ؛ لأنهم كانوا آمنين مادمت مشتغلاً بغزو الروم ، فالآن يخافونك أن تقاتلهم .

٧ – وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَيْرَهُمُ
لِكَىْ تَجِمَّ رُءُوسُ الْقَوْمِ والقَصَرُ[١]

الهاء فى « تبدلها » للسيوف ، والقوم[٢] . هم الروم . وغيرَهم : نصب بتُبدلها[٣] .

يقول : تبدّل سيوفَك وتنقلها من رقاب الرّوم إلى غيرهم ، لتستريح رقابهم من ضرب السيوف ، وهذا عادتك إذا أدمت القتل فى قوم وأقللّتهم تقلّب سيوفك إلى قوم آخرين لتريحهم ، فإذا كثروا واجتمعوا عاودتهم القتل وأبدتهم[٤] .

٨ – تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالأَمْطَارِ غَادِيَةً جُودٌ لِكَفِّكَ ثَانٍ نَالَهُ الْمَطَرُ

يقول : إذا شبّهنا جودَك بالأمطار[٥] ، وصار ذلك مدحًا للمطر ، وكأنّ هذا ، تشبيه جودك ، ثانيًا منك على المطر[٦] وغادية : نصب على الحال من الأمطار [٢٥١ – ا] .

٩ – تَكَسَّبَ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهَا الْقَمَرُ

(١) فى هامش شو : القصر : العنق . وفى الواحدى والتبيان : القصر : جمع قصرة وهى أصل العنق .

(٢) ق : « الهاء فى تبدلها للسيوف ، والقوم » ترك مكانه بياض .

(٣) يقول الواحدى وتابعه التبيان : الصحيح فى معنى هذا البيت أن الضمير فى « تبدلها » للروم يقول : تبدل الروم . بقوم غيرهم أى تجعل غيرهم مكانهم فى القتل والقتال وعلى هذا فقد صح اللفظ وظهر المعنى ولا يجوز نصب .. غيرهم » .

(٤) ق ، مو : « وأبدلتهم » .

(٥) أى بالأمطار التى تأتى بالغدوات وهى أغزرها .

(٦) لأن المطر يفتخر بجودك إذا شبه به .

طالعةً : نصب على الحال .

يقول : الشّمس تأخذ من نورك ، كما أن القمر يأخذ من نور الشمس . أى أنك للشّمْس شمسٌ ، كالشّمْس للقمر .

(٢٢٣)

وقال أيضاً يمدحه ويذكر مجىء الرسول من عند ملك الروم ، ودخوله عليه ، فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة[١] .

١ - دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذِى الرَّسَائِلُ   يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

هَذِى الرّسائِل : مبتدأ ، ودروع : خبره .

يقول : هذه الرسائِل تقوم للمَلِك مقام الدرّوع ، يحفظ بها نفسه ، ويرد الموت عنه ، ويشاغلك عن قتاله ، ويدفعك عن قصده ، ريثما يرجع رسوله إليه[٢] .

٢ - هِىَ الزَّرَدُ الضَّافِى عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا   عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ

الزَّرَد : حلق الدرّوع ، والضافى : السابغ التّام .

يقول : هذه الرسائِل دروع سابغة ، يلبسها مَلِك الروم ؛ يدفع بها عن نفسه . ولفظها ثناء عليك وفضائِل لك ، فكأنها دروع له من حيث الباطن ، وثناء لك من حيث الظاهر[٣] .

٣ - وَأَنَّى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ   وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ

---

(١) الواحدى ٥٣٦ : « وقال وقد دخل رسول ملك الروم على سيف الدولة فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة » . التبيان ٣/ ١١٢ : « وقال يمدحه عند دخول رسول الروم فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة» . الديوان ٣٦٤ : « وقال يمدحه بعد دخول رسول ملك الروم فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئه » . العرف الطيب ٣٩٠ .

(٢) ق : « بينما يرجع رسوله إليك » .

(٣) لأنها بما تضمنت من خطبة الصلح معدودة فى فضائلك ولأنها خضوع منه يرتفع به قدرك . واستسلام إليك يجعل معه أمرك . الواحدى .

«أنى» : بمعنى كيْفَ وأين ، والقساطل : هو الغبار . والهاء فى «بأرضه» للرسول وفى «فيها» لأرضه .

يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى طرقه وهى مظلمة ؟! بغبار الخيل وقتام الحرب ، وما سكن بعد ذلك الغبار !

٤ – ومِنْ أىِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِى جِيَادَهُ
وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ ؟!

المَنْهل : موضع الشرب من الوادى ، وأصله النَّهَلُ[1] .

يقول : مِنْ أى ماءٍ كان يسقى خيْله ، وكل ماءٍ كان ممزوجاً بدما القتلى .

٥ – أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ

يقول : أتاك هذا الرسول ، وقد امتلأ قلبه ذعراً ، مما شاهد من إيقاعك بأصحابه ، حتى يكاد رأسه يجحد عنقه[2] : أى يفارقه ، وتنقدّ مفاصله وتتقطّع ، من عِظَم خوفه منك ؛ مما شاهده وتحقّق من عاداتك فى قتلهم .

٦ – يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطَيْنِ مَشْيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الأَفَاكِلُ

السِّماطان : صفّان من الرجال يمتدّان بين يدى السلطان . والتقويم : رُفِع لأنه فاعل يقوّم[3] ومفعوله : مَشْيَه . والأفاكل : جمع الأفْكَل ، وهو الرِّعدة .

يقول : كان يرتعد عند مَشْيه إليك ، فقوّم مشيته تقويم السِّماطَيْن .

٧ – فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيُّكَ وَالْخِلُّ الَّذِى لاَ يُزَايِلُ

---

(١) النَّهل : أول الشُّرب . والمنهل . هو أيضا المنزل فى المفازة على طريق السُّفار ، لأن فيه ماء .

(٢) يرى صاحب التبيان أن المعنى : قد صير رأسه بين منكبيه كفعل المتخوف للقتل ، حتى كأن عنقه لمثاله وقوع السيف عليه يكاد يجحد رأسه .

(٣) قال صاحب التبيان : من روى تقويم بالنصب جعله مصدراً والضمير للرسول . ومن رفعه جعله فاعلا وعلى الأخير رواية شارحنا وإن روى فى التبيان والديوان بالنصب .

منْه : أى من الرسول ، وكذلك «لحْظَه» : أى لحظ الرسول . وفاعل «قاسمك» : «سميّك» ، والمراد به : [٢٥١ - ب] السيف .

يقول : قسم سيفُك عينى الرسول بينْك وبينه ، فكان ينظر بإحدى عينيه إليك ، وبالأخرى إلى سيفك ، لأنه كان يخاف منك أن تأمر بقتله ، ومن سيفك أن تقْتله بِهِ .

أو كان ينظر إليك ويرى كرم أخلاقك فيطمع فى عفوك ، وإذا نظر إلى سميّك خاف بأسه ، فقسم عيْنَيه بينكما ، «يرجو ويخاف ، وهذا السمّى : هو خليلك الذى لا يزايلك .

٨ - وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ والرِّزْقُ مُطْمِعٌ وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلُ

يقول : إذا نظر إليك طمع فى الحياة ، بما يشاهد من مخايل جودك ، وأمّل عفْوك ، وإذا نظر إلى سيفك عاين فيه الموت ، لمَا هاله من هيبتك . والواو[1] فى قوله : «والرزق مطمع» «والموت هائِل» للحال .

وقيل : معناه رأى أرْزاق كثيرٍ من الناس تحت يديْك ، فأطمعه ذلك فى أن يكون من جملة القوم ، ورأى حتف كثيرٍ منهم بسيْفك ، فهاله ذلك .

وهذا البيت يدل على المعنى الثانى الذى ذكرناه فى البيت الذى قبله .

٩ - وَقَبَّلَ كُمًّا قَبَّلَ الأَرْضَ[2] قَبْلَهُ وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ

المتضائِل : المُخْفِى شخْصَه من الجبْن والفَزَع ، وقيل : هو المنقبض . والواو فى قوله : «وكل كمى» للحال .

يقول : لما وصل الرسول إليك قبَّلَ أولاً الأرض بين يديك ، ثم قبّل كمّك ، والأبطال قيام بين يديك ، قد تضاءلوا هيبة لك ، وأخفوا أنفسهم إجلالاً لك .

١٠- وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ

(١) مو : «والواو» : ساقطة . (٢) الواحدى والتبيان والديوان : «قبّل الترب» .

أسْعَدُ : مبتدأ . وأظفرُ : عطف عليه ، وهمام : خبره .

يقول : مَلِكٌ وصل إلى تَقبيل كمّك هو أسعد مشتاق وأظفر طالب لحاجة ، ولا مزيد[١] على ما ناله من الشرف .

١١– مكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَهُ صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحِ الذَّوَابِلُ

يقول : إن كمّك وتقبيله ، مكان تتمنّى الشفاهُ الوصول إليه ، وتريد الملوك تقبيله ولكنهم لا يصلون إليه [٢] .

١٢– فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةٌ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ

كرامةٌ : فاعل بلّغتْهُ ، والمفعول الأول «الهاء» والثانى «ما» .

يقول : لم يبلّغ الرسول إلى ما بلَغه من تقبيل كمّك كرامتُه عليك ؛ لأنه كافر وأنت تبغضه وتستخف به ، ولكن لما سألك أن تمكّنه من ذلك لم تخيبه ، إذْ عادتك ألا تخيّب[٣] سائِلَك .

١٣– وَأَكْبَرُ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الْجَحَافِلُ

روى : أكبرُ بالرفع والنصب .

فالرفع : على أنه اسم المبالغة[٤] والمعنى : على أن همة الرسول وإن كانت كبيرة فى قدومه عليك ، فأكبر همة[٥] منه ، العِدَى حيث بعثوا به إليك ، وسألوه أن يؤخّر عنهم القتال ؛ لشغْله إياك عنهم ، والاستنْظَار : طلب النّظر ، وهو التأخير.

والنصب : يحتمل معنيين :

---

(١) ق «ولا مزية» .

(٢) لأن دون ذلك المذاكى من الخيل : وهى التى كملت أسنانها . والذوابل من الرماح : اليابسة العوالى– أى هو متعذر الوصول إليه لكثرة الخيل والرماح .

(٣) ق : «أن تخيب سائلك» خطأ .

(٤) قال المعرى : رفع «أكبر» أحسن ويكون مبتدأ ، وقوله : «بعثت به» وما بعده : خبر عنه تفسير أبيات المعانى ، وكذا روى صاحب التبيان عن الخطيب .

(٥) ق : «همته» .

أحدهما : أن يكون اسماً كالأول ومعناه : ربّ رسولٍ أكْبر من هذا الرسول همّة ، وأعلى منه قدرًا ، جاءك رسولاً ، واستنظرتْهُ الجحافل ، كما استنظرت هذا الرسول ، ثم [٢٥٢ - ا] رجع إليهم وهو يَعْذِلهم على مخالفتهم أمرك . فعلى هذا يكون البيت الذى بعده من تمامه .

والمعنى الثانى : أن يكون «أكْبَر» فعلاً ماضيًا ، وفاعله «العِدَى» و«همة» مفعوله . والمعنى : أن العدى أكْبَرُوا واستعظموا همّةً بعثت هذا الرسول إليك ، وأقدمته على الدنوّ منك ، واستنظرت هذا الرسول الجحافل على ما بيناه(١)

١٤- فأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ

يقول : هذا الرسول جاء من أصحابه رسولاً ، ثم عاد إليهم يعذلهم على ترك طاعتك ؛ لما رآه من عظم شأنك .

١٥- تَحَيَّرَ فِى سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ وَطَابِعُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ

ربيعة : ابن نذار ، وإليه يُنْسب سيف الدولة .

لمّا رآك تحيّر فيك ؛ لأنه رأى سيفاً لا كالسيوف ، إذِ السّيف أصله الحديد ، وطابعه الحدّاد ، وصاقله الصّيقل ، وأنت أصلك من ربيعة ، والرحمن طابعك ، والمجد صاقلك .

١٦- وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ وَلاَ حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الأَنَامِلُ

يقول : لوْن هذا السيف لا يدركه النظر ، ولا تحقّقه المقْلة ، ولا يمكن النّاظرين أن يملئوا أعينهم منْه ، هيبةً له ، وكذلك ليس حدّه مما يمكن أن يختبر باللّمْس [كما يجسّ] ويضبط سيف الحديد . فتحيّر هذا الرسول فى سيفٍ هذه صفته .

١٧- إِذَا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمَرَاسِلُ

(١) وقال قوم «أكبر» فى موضع جرّ بإضمار رب . التبيان .

المراسل : ملِك الرّوم . والرّسْل : الرُّسُل . وما جاءت بهِ : الرسالة .

يقول : إذا رأتك الرُّسُل استحقروا أنفسهم ، واستحقروا ما جاءوا بهِ من الرسالة[1] ، واستحقروا صاحبهم الذى أرسلهم إليك ؛ لما يرون من هيبتك وعلوّ شأنك .

١٨–رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا لَدَيْهِ وَمَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ[2]

النّوافل : العطايا ، واحدتها نافلة . ومَنْ تُرجى : هو سيف الدولة يُرْجى منه كل عطية وَصِلة ، ويوصَل إلى [كل] مراد ، إلاّ إداراك الثأر[3] ، فإنه لا يوصل إليه منه[4] .

١٩–فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالأَسْرِ سَاقَهُمْ فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالأَسْرُ فَاعِلُ

يقول : إن كان الذى ساقهم إليك لطلب الصلح والأمان ، هو الخوف من القتل والأسر ، فقد فعلوا فى مجيئهم إليك ما يفعله الأسْر والقتل ، من الذلّ والاستكانة ؛ لأنهم إنما جاءوك خوفاً ، فصاروا مقتَّلين مأسورين .

٢٠–فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُزَادُ السَّلاَسِلُ

«ما» نفى فى الموضعين .

---

(١) والمعنى عند الواحدى : إذا رأتك رسل الروم عياناً استحقرت ما أتت به من الهدايا كما استحقروا أنفسهم ومن أرسلهم .

(٢) الطوائل : الأحقاد ، وأحدها طائلة ، وبينهم طائلة : أى عداوة وتره .

(٣) ق : «ويوصل إلى مراد إلا على إداك الثأر» .

(٤) والمعنى : أنهم رجوا عفوه من كل الفواضل عنده ، ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر .

يقول : خوفهم منك قام لهم مقام القتل ، فليس للقتل[1] زيادة على ما أصابهم ، وكذلك جاءوك مستسلمين فى أمرهم طائعين كالأسارى ، حتى لا يحتاج معهم إلى السلاسل ؛ لأن الأسير إنما يشد إذا خيف عليه الهرب .

والمصراع الأول مثل[2] :

وَإِلاَّ فَاَعْلِمه بِأَنَّكَ سَاخِطٌ وَدَعْهُ فَإِنَّ الْخَوْفَ لاَشَكَّ قَاتِلُهُ[3]

٢١-أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ

[٢٥٢ – ب] يقول : كل مَلِك يصير إلى حضرتك ، وينضاف مُلْكه إلى مملكتك ، فكأنك بحر وهم جداول تنصبُّ إلى البحر .

٢٢-إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ

الوابل : أشدّ المطر . والطلّ : أضعفه .

يقول : إنك تزيد على الملوك فى كل حال ، فكثير عطاياهم إذا قيست إلى عطاياك قليل ، بمنزلة الطلّ من الوابل ، وقليلها منك إذا قيس إلى عطاياهم كثير ، كالوابل من الطل .

٢٣-كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَاأَنْتَ رَاكِبٌ
وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ ، فَإِنَّكَ نَازِلُ

«لقِحَتْ حربٌ»[4] : اشتدت .

يقول : أنت كريم بحيث لو سألك سائل فى شدّة الحرب فرسَك الذى أنت راكبه ، لنزلت عنه ووهبته له[5] !

(١) مو : «القتل» .

(٢) فى الأصول «مثل قوله» والبيت لأبى تمام كما جاء فى ديوانه ولم يرد فى شعر المتنبى .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٨/٣ والتبيان ٣٦٠/٢ وروايته : «عليه» مكان «ودعه» .

(٤) قال المعرى : لقحت الحرب : إذا كان أمر يهيجها ، وإنما شبهت بالناقة اللاقح وكانت العرب تضن فى الحروب بأن يردف الرجل على الفرس خوفًا من أن يقصر عن حمل رجلين . تفسير أبيات المعانى .

(٥) ق ، مو ، شو «ووهبته منه» .

٢٤–أَذَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ
وَلاَ تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

أَذَا الْجود : أى يَاذَا الجود ، والألف للندى .

يقول : الشِّعر الذى أقوله لا يشركْنى فيه أحد .

وقيل : أراد لا تقبل منهم .

يقول : ياذا الجود أعط الناس ما أنت مالِكٌ من المال ، ولا تُعْطهم ما اختصّ به . من القصد لمكانٍ يسرقونه من شعرى فى مدائِحك ، ولا تعطهم عليه الجائزة ، فإنى أنا القائِل لذلك فى الحقيقة .

وقيل : أراد لا تمكّن الناس من مكارمك الّتى أذكرها فى شعرى ، بل كن أبدًا متفردًا بها .

وقيل : معناه لا تحملنى على مدح غيرك ، فتكون قد تركتَ شعرى للنّاس .

وقيل : أراد لا تمكن الناس من شعرى فيسْرقوا معانيه ويفسدوه .

وهذا لا معْنى له ، إذْ لا معنى لسؤاله إيّاه ستر شعره ، ومنعهم من سرقة معانيه ، لأن ذلك يكون سؤالاً لكتمان فضله ، وطلبًا لإخفاء ذكره .

٢٥–أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِى شُوَيْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِينِى قَصِيرٌ يُطَاوِلُ ؟!

الضِّبْن : الحِضْن ، وهو ما تحت اليد من الجنب[1] . ويُقَاوِينى : من القوّة . ويُطَاول : من الطول .

يقول : لا أزال أرى كلّ يوم شويْعِرًا هو ضعيف ، ومع ذلك يفاخرنى فى القول ، وهو قصير يطاولنى بقصره ، أى يباريني ولا يقاومنى .

وقيل : هذا تعريض بالنّامى[2] ، وقيل : بابن نباتة[3] . وقيل : أراد غيرهما

(١) ما تحت الإبط إلى الكشح .

(٢) سبقت الترجمة له .

(٣) هو : أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمى السعدى ، كان من شعراء سيف الدولة ولد سنة ٣٢٧ وتوفى سنة ٤٠٥ . وفيات الأعيان ٢٩٥/١ وتاريخ بغداد ٤٦٦/١٠ .

من شعراء سيف الدولة .

٢٦–لِسَانِى بِنُطْقِى صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ وَقَلْبِى بِصَمْتِى ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

يقول : لسانى مع كونى ناطقاً قادراً على الكلام صامت عن هذا الشُوَيْعِر ، وعادل عنه لقلّته وقلّة مبالاتى به . وقلبى ضاحك منه ومن جهْله مع صمتى عن إجابته . يعنى أضْحك منه فى نفسى وإن لمّ أنطق بالكلام .

٢٧–وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لاَتُجِيبُهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لاَتُشَاكِلُ

وروى : أيضاً «مَنْ ناوَأك» من المُناوأة وهى : المعاداةَ[1] و «ناداك» أوْلى لقوله : «لا تجيبه» ولقوله بعده «مَنْ عاداك» .

يقول : أشد النّاس تعبًا فى ندائِه من ناداك وأنت لا تجيبه ، بل تجعل السكوت جوابه ، وأشدهم غيظًا من عاداك وهو دونك فى العمل ، فيعجز عن مقاومتك .

وقيل : أراد إذا دعاك مَنْ هو دونك غاظك ذلك منه .

٢٨–وَمَا التِّيهُ طِبِّى فِيهِمُ غَيْرَ أَنَّنِى بَغِيضٌ إِلَىَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ

التِّيه : الكبْر . وطبىٌ : أى عادتى . وعسى .

يقول : ليْس دائى[2] الكبْر ، ولم يكن ترك جوابه كبرًا وتيهًا ، غير [٢٥٣ – ا] أنى أبغض الجاهل المتكلّف للعقل والفضل ، وكرهت[3] مجاوبته رفعًا لنفسى عن مقاومته .

٢٩–وَأَكْثَرُ تِيهِى أَنَّنِى بِكَ وَاثِقٌ وَأَكْثَرُ مَالِى أَنَّنِى لَكَ آمِلُ

يقول : أكثر تيهى أنى واثق بك ؛ لأنك لا تُقْبل على قوْل حاسد ، ولا يخْفى

(١) ق : « وروى أيضًا من ناداك من وبين وبين المعاداة » تحريفات . مو : « من ناداك من المنادات وهى المعادات وبين المعادات » تحريفات .

(٢) ق : « يقول : أيس والى » تحريف .

(٣) ق : « وكرهب » تحريف .

عليك تمويه مموّه ، وأنك تعرف فضلى فتوفينى ما أستحقه من المنزلة . وأكثر مالى ، هو أملى إيّاك ورجائى فيك ، إذ لا تخيب آمِلِيك .

٣٠-لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ هَبَّةً   يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ

هَبَّةٌ : أى نشاطاً واهتزازاً .

يقول : أرجو أن يكون منه هزة فى أمرى مع غيرى من الشعراء الذين ينازعون فضلى ، ليظهر الحق ويهلك الباطل ، وهو التّمويه والكلام المسروق ، أو يقتل أعدائى[1] ، فأستريح منهم .

وقيل : أراد لعل له هزة وحركة يأخذ بها الرّوم كلها فيهلكها ، فينصر[2] فيها الحق ، ويهلك الباطل : وهو الكفر .

٣١-رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِى وَفَضْلِهِ   وَهُنَّ الْغَوَازِى السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ

يقول : رميت أعْداءه بقصائِدى فى سيف الدولة ، وفضْله فيها ، فقتلتهم بها حسداً وغيظًا ، وهذه القوافى أسلم من الخلل والفساد من السيوف والرماح ؛ لأنهم لم يجدوا فى شعرى مطعنًا ، ولا لفضائله مدْفعاً .

٣٢-وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ   وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ

يقول : النّاس يزْعمون أن النجوم مخلّدة لا يلحقها فناء ، وليس كما زعموا ، فإنها لو حاربته لقتلها[3] وناح عليها مَنْ يثْكلها .

وقيل : أراد لو قصدته بنحْسٍ لأبطل نحوستها وأفناها ، فيبطل قول من قال : إنها خوالد .

٣٣- وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا   وَأَلْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ

---

(١) ع : «واللام المسروق أو يقتلا عراى» تحريف .

(٢) ق : «فيظهر» .   (٣) ق : «لفظها» .

يقول : إن النجوم تقرب له إذا أرادها ، غاية القرب ، ولو أراد أن يتناولها لكانت أقرب الأشياء إليه .

٣٤- قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ

القنابل : جمع القَنْبلة وهي الجماعة من الخيل ، قدر الخمسين فصاعد . ولثَّمته : أي شدَّتْ عليه اللِّثام .

يقول : إذا رام مرامًا بعيدًا سهل عليه الوصول إليه إذا دخل الحرب والتثم بغبار خيله ، وإن كان بعيدًا على مَنْ سواه .

٣٥- تُدَبِّرُ شَرْقَ الأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفُّهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ

روى : « وقتًا » نصبًا على الظرف . وروى : « وقتٌ » فيكون اسم ليس « وشاغل » صفته[1] .

يقول : إنّ كفّه تدبّر شرق الأرض وغربها ، ولا يشغلها عن الجود شاغل « وقتًا » يعني أنه مع شغله بتدبّر الأرض ، لا يشتغل عن الجود ساعة واحدة ، وعلى الرّفع : أنه يملك الأرض ، وليس وقتٌ يشغله عن الجود .

٣٦- يُتَبِّعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادَهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ

الغوائِل : الدّواهي ، وهي جمع غائِلة ، وفاعل يُتبّع : ضمير سيف الدولة . وحرْبًا : نصب لأنه مفعول له[2] ، وقيل : أصله « مِنْ حَرْبٍ » فحذف « من » ونصبه .

يقول : إن سيف الدولة يجعل مرادَه طالبًا [٢٥٣ - ب] لكل من هرب منه ، فمن فرَّ منه خوفًا من محاربته ، عارضته في طريقه - من قِبَل سيف الدولة - الغوائِل والبلايا فأهلكته .

ويجوز رفع « مرادُه » فيكون هو فاعل « يُتبّع » ومعناه : أن مراده يتّبع هُرّاب

(١) والخبر : الجار والمجرور .

(٢) يرى الواحدى وتابعه التبيان أن « حربا » نصب على الحال .

الرجال ويطلبهم حتى يدركهم ، فيكون اتَّبع وتبِع بمعنًى .

٣٧-وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ ، حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ

يقول : إن جُوده عمّ الأرض ، فمن حسده على إحسانه وهرب إلى موضع لا يرى فيه إحسانه ولا يسمع به ، رأى منه فى كلّ مكان نائلاً ، وسمع حَيْثُمَا كان بذكر جوده وعطاياه ، فلا يمكنه الفرار منه أبدًا .

٣٨-فَتًى لاَ يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلاً حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ

الشّامل : العام .

يقول : لا يرى[1] إحسانه الكامل كاملاً ، حتّى يكون مع كماله عامّا شاملاً[2] .

٣٩-إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْباءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلاَحِلُ

العرباء والعاربة : القديمة[3] . رازَتْ : أى جرّبت ، والحُلاحل[4] : السيّد . وروى : « فأنت قَنَاهَا » وروى « فتاها »

يقول : إذا جرّبت العرب أنفسها ، واختبرت أحوالها ، علمتْ أنّكَ سيدها وكريمها .

٤٠-أَطَاعَتْكَ فِى أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ

يقول : إن العرب أطاعتك فى أرواحها : أى لو أمرتها بقتل نفوسها لأطاعتك ، وتصرفت العرب بأمرك ، واجتمعت قبائلها عليك طاعةً لك وانقيادًا .

وقيل : أراد أن أنسابهم أحدقت بنسبك ، وأنت الواسطة فيهم .

٤١-وكُلُّ أَنَابِيبِ الْقَنَا مَدَدٌ لَهُ وَمَا تَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إِلاَّ الْعَوَامِلُ

(١) فى النسخ ق ، شو ، ع ، مو : « لا أرى » .
(٢) أى حتى يشمل الناس جميعًا .
(٣) المراد التى لم يشبها هجين وهى الخالصة العروبة .
(٤) الحُلاحِل : السيد الشجاع الرئيس . التبيان والجمع حلاحَل بالفتح .

عَامِلُ الرّمْحِ : قدر ذراعين من أعلاه . وتَنْكُتُ : أى تسقط ، يقال : نكته عن فرسه : أى أسقطه على رأسه .

يقول : أنت من العرب كالسّنان من الرمح ، وهم كالأنابيب تحته . والأنابيب[1] تكون مدداً لِلسّنان وعوْنا للرمح والغرض يحصل بالسّنان[2] : وهو الذى يتقدم فى الحرب ، فكذلك تتولّى الحرب وتتقدم إليها كالسّنان[3] .

قال ابن جنى : أردت أن أقول : « ومايَنْكت » بالياء ، فأبى أبو الطيب ذلك وقال : أريد « وما تنكت الأنابيب » فلذلك[4] أنثت وهذه لغة يقال : ما قامتْ إلا هند ، أى ما قامت امرأة إلا هند ، فكذلك تقديره : ما تنكت أنبوبة الفرسان إلا العوامل ، واللغة الجيدة فى مثل هذا الموضع إضمار وتذكير الفعل ، فيقال : ما قام أحد إلا هند . وإضمار المونث أيضا لغة .

٤٢-رَأَيْتُكَ لَوْلَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فى الْوَغَى إلَيْكَ انْقِيَادًا ، لاَقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ

يقول : لو لم يقد الناسَ إلى طاعتك الخوفُ من طعنك ، لقادهم إليك كرم شمائلك[5] .

٤٣-وَمنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلُّ نَفْسُهُ مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ

يقول : من لم يتعلم لك الذلّ فى الخضوع من ذلة نفسه ، علّمه السيف ذلك .

(١) الأنابيب : جمع أنبوب وهى العقدة الناتئة فى الرمح .

(٢) ق : « والعرب يحمل بالسنان » .

(٣) قال الواحدى : هذا مثل . يريد : أن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله ، وإذا لم يعاون بعض الرمح بعضا ، لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الإنسان لأن السنان فيها ، فكذلك القبائل كلهم مددلك ، والعمل منك ، فأنت فيهم كالعامل من الرمح .

(٤) فى الأصول : « فكذلك أنثت » .

(٥) الشمائل : جمع شمال وهى الطباع والأخلاق ؛ وفلان حسن الشمائل ؛ وذلك أنه يشتمل على ما يحمد عليه . اللسان .

يعنى : من لم يذلّ لك طائعًا ذلّ قهرًا وجبرًا . ومثله لآخر :

فإن لَّمْ تَصِلْ رَحِمَ ابْنَ عَمْرِو بنَ مَرْثَدٍ (١) يعلّمكَ وَصْلَ الرَّحِم عَضْبٌ مُجَرَّبُ (٢)

(٢٢٤)

وأنفذ سيف الدولة قول الشاعر ، وهو أبو الأسود الدؤلى (٣) :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مكانُها فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ (٤)

وسأله إجازته فقال ورسوله واقف :

١- لَنَا مَلِكٌ مَا يَطْعَمُ النَّوْمَ ، هَمُّهُ مَمَاتٌ لِحَيٍّ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتِ

---

(١) ع : « مزيد » . يقول : إن لم تصل رحمك مختارًا له ، علمك سيف قاطع ، انظر شرح الحماسة ٥١٢/٢

(٢) البيت فى الحماسة ١٦٩ من شعر شماس بن الأسود. وروايته « فإلا تصل » .

(٣) اسمه : ظالم بن عمرو بن سفيان ، أدرك حياة الرسول وهاجر إلى البصرة فى عهد عمر بن الخطاب وقد اختلف الناس فى أول من رسم النحو وأكثرهم على أنه أبا الأسود الدؤلى وكان ممن صحب عليًا رضى الله عنه . معجم الشعراء ٦٧ تحقيق عبد الستار فراج والشعر والشعراء ٧٠٧ ومعجم الأدباء ٢٨٠/٤ وسمط اللآلئ ٦٩ وأخبار النحويين البصريين ١٣ وطبقات النحويين ١٣ .

(٤) البيت المذكور فى ديوان الصولى « الطرائف الأدبية : ١٣٠ » أحد أبيات ثلاثة لإبراهيم بن العباس الصولى ونسب إلى محمد بن سعيد الكاتب فى سمط اللآلىء ١٦٦/١ ونفح الطيب ٣٩٥ وذكر على ابن الحسين أن الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى : « وقوله : رأى خلتى من حيث يخفى مكانها . كان رأى تحت ثيابه ثوبًا رثًا » . وقد ورد أحد أبيات ثلاثة غير منسوبة فى الحماسة ٦٨٨ وفيها : « رأى زلتى » وعيون الأخبار ١٦١/٣ . الواحدى ٥٤٢ : « وأنفذ سيف الدولة إلى أبى الطيب قول الشاعر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تراخت مَنِيَّتِى أَيَادِىَ لم تُمْنَنْ وَإِنْ هِىَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عن صَدِيقِهِ ولا مُظْهِرِ الشَّكْوَى إذ النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِى من حَيْثُ يخْفَى مكانُها فَكَانت قَذَى عَيْنَيه حتَّى تجلَّتِ

وسأله إجازته فقال ورسوله واقف : التبيان ٢٢١/١ : « أنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر : سأشكر عمرا . . . . . » الأبيات الثلاث . فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالا » . الديوان ٣٦٩ : « أنفذ سيف الدولة إلى أبى الطيب قول الشاعر :

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وسأله إجازته فقال ورسوله واقف » العرف الطيب ٣٩٥

تمّ الكلام عند قوله : « ما يَطعمُ النَّوْمَ » ثم ابتدأ فقال : « هَمُّهُ » معناه : أنه لهمته لا ينام ، كما قال :

يُؤرِّقُهُ فِيمَا يُشَرِّفُهُ الْفِكَرُ[1]

ثم قال : إن همّه مقصور على إحياء الأولياء : يعنى تخليصهم من الهلكة ، وإماتة الأعداء .

٢- وَيَكْبُرُ أن تَقْذَى بِشَيْءٍ عُيُونُهُ[2] إذَا مَا رأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتِ

يقول : هو أكبر من أن يَرَى شيئًا مكروها[3] تقذى به عينيه ، ولكنّه إذا رأته خَلّة الإنسان : أى فقره وحاجته فرّت الخَلّة منه وبعدت .

فكأنّه أراد أن يزيد على ما فى البيت[4] ؛ لأنّ الشاعر . قال : رآى خَلّتى فكانت فى عينيه كالقذى حتى أزالها عنّى : أى لم يزل يتألّم بها حتى أزالها ، كما يتألم من تسقط فى عينْه القذاة .

وهو يقول : هو أكبر من أن يرى شيئًا يؤلم عينيه ، فهو يزيل خَلّةَ قاصده قبل أن يراه ويقْذَى هُوَ بها .

٣- جَزَى اللهُ عَنِّى سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَيْفِى وَدَوْلَتِى

يقول : قد أصبح جوده لى سيْفًا أصول بهِ على حوادث الدهر ، و « دولتى »[5] حسنت معها . فجزاه الله عنى فى إحسانه علىّ وإسداثِه النعم إلىّ .

والغَمْر : الكثير .

---

(١) هذا عجز بيت للمتنبي صدره

كثير سُهادِ الْعَيْنِ من غير علة . . . .

ديوانه ٥٨

(٢) فى الواحدى والتبيان والديوان « جفونه » . (٣) فى نسختى ق ، مو : « فكرهه » .

(٤) يريد بيت الشاعر :

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

(٥) فى الأصول : « ودولة » .

(٢٢٥)

وأحدث بنو كلاب حدثًا بنواحي بالس[١] فسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه ، فأدركهم بعد ليالٍ بين ماءين يعرفان بالغبَّارات والخرَّارات من جبل النسر[٢] فأوقع بهم ليلاً فقتل منهم وملك الحريم ، فأبقى وأحسن إلى الحرم[٣] فقال أبو الطيب بعد رجوعه فى جمادى الآخرة من سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة[٤] :

١- **بِغَيْرِكَ رَاعِيًا عَبَثَ الذِّئَابُ   وَغَيْرَكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضِّرَابُ**

العبث : الولوع بالشيء من غير معنًى . وراعيًا : نصب على الحال من الضمير فى قوله : « بغيْرك » وقيل على التّمييز : والراعى : الحافظ ، وسمى الأمير راعيًا ، لحفظه الناس . وغيرَك : مفعول مقدم ، نصبه « ثَلَم » و « صارمًا » نعتٌ له ، وقيل : المفعول « صارما » و « غير » نصب على الحال ، فيكون التقدير[٥] : وثلم الضراب صارمًا غَيْرَك ، فلما تقدم نعت النكرة عليها انتصب على الحال .

يقول : مثلك لا يعبث به أحد فى ممالكه ، وإنما يعبث بغيرِك من الملوك ، الذين لا يقدرون على ضبط رعيتهم وحفظ نواحيهم .

وجعل الذئاب والراعى مَثَلا ، فشبّه بنى كلاب حين عدوا عليه بالذئاب إذا تعرضت للراعى وحاولت[٦] الاختلاس من غنمه ، كذلك إذا كسر الضّراب السيوف ، فإنما يكسر ما عداك منها ، ولا يعمل فيك مع كونك سيفًا : أى أنك

---

(١) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة وهى على الفرات من الجانب الغربى . معجم البلدان .

(٢) ق ، شو ، مو : « بين ماءين . . . . جبل النسر » ساقط والتكملة من ع .

(٣) ع : « فأبقى وأحسن إلى الحرم » ساقط .

(٤) الواحدى ٥٤٣ : « وقال يذكر وقعته ببنى كلاب فى جمادى الآخر سنة ٣٤٣ » . التبيان ١/٧٥ : « وقال فيه لما ظفر ببنى كلاب سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٣٦٩ يقرب جدًّا مما هو مذكور فى الشرح . الفسر ١/٩٠ قريب مما ذكره الشارح العرف الطيب ٣٩٦ .

(٥) مو : « غير . . . التقدير » مكرر .

(٦) ق : « وحاورت » .

لا تمل من الحروب ولا يؤثّر فيك مداومة الضَّرْب .

وقيل : أراد نوائب الدّهر وكيْد الأعداء لا يَعمل فيك . فكأنه [1] قسَّم الناس ثلاثة أقسام : راعٍ ، وهو سيف الدولة وسائِر الملوك ، وذئاب : وهم بنو كلاب [٢٥٤ — ب] وغيرهم من الصعاليك وأهل الفساد ، وغنَم : وهم عامة الناس .

٢— وَتمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحوزُ أَنفُسَهَا كِلاَبُ ؟ !

كلاب : قبيلة

يقول : كيف تقدر بنو كلاب أن يحوزوا أنفسهم ويحصّنوها بالفرار منك ؟ وأنت تملك أرواح الثّقلين !

٣— وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوِرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ

يُعاف : أى يُكره : والوِرْد : الورود .

يقول : لم يفارقك هؤلاء قصداً منهم إلى معصيتك ، ولكن خافوا سطْوتك وقتْلك ؛ لأن الشراب إذا كان الموت ، كُرِه الوُرُود عليه ، فلا لوم عليهم فى ذلك[2] .

٤— طَلَبْتَهُمْ عَلَى الأَمْوَاهِ حَتَّى تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

يقول : لم يبْق ماء فى المفازة إلا طلَبْتَهم عليه ، حتى ظن السحاب أنك ترقى إليه وتطلبهم فيه ! وإنما ذكر السحاب لأنه يحتمل الماء ، فجعله من جملة الأماكن التى تضمن المياه ، وهذا مبالغة عظيمة[3] .

---

(١) ق : « وكذا الأعداء لا تعمل فيك . كأنه » إلخ .

(٢) كان سيف الدولة يستصحب منهم فى غزواته قوماً ؛ فكانوا يقاسون المشقة فى بلاد الروم وملاقاة العدو ، فانفضوا عنه فى بعض غزواته ، وأخذوا بعض سواره وخرجوا من بلد الروم إلى صحراء « سبعين » وهى بالقرب من « بالس » وكانوا ينزلون بها ، ثم شنوا الغارة على القرى ، فلما بلغه ذلك سار إليهم .
فهذا هو الورد الذى عافوه ، يعنى دخول الغزوات . انظر الفسر ١/١٩٠

(٣) زادت تيمور بعد ذلك « والله عظيمة » ، ولعلها زيادة من قارئ معجب . أما ابن جنى فقد قال : أحسن ما شاء وأجاد . الفسر .

٥- فَبِتَّ لَيَالِيًا لا نَوْمَ فِيهَا تَخُبُّ بِكَ الْمُسَوَّمَةُ الْعِرَابُ

تَخُبّ : من الخَبَب ، وهو أرفع السَّير[١] . والمسوّمة : الخيل المعلَّمة .

يقول : إنك لم تنم ليالىَ تسرى فى طلبهم ، تسرع بكم خيلٍ عِراب[٢] .

٦- يَهُزُّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ

شبّه سير الجيش عن يمينه ويساره واهتزازه ، بجناحى عقاب فى طيرانها . وقيل : العقاب : مِلك الطير[٣] ، فشبّه سيف الدولة بالعقاب ؛ لكونه ملكًا ، إلا أنه شبهه به فى حال ما يكون فى قلْب العسكر والعسكر حوله يضطرب ويتحرك يمنة ويسرة ، وجعل أصحاب اليمين أحد جناحيه ، وأصحاب الشمال جناحه الآخر ، وجعله فى الوسط ، كالعقاب التى نفضت جناحيها .

٧- وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمُ الْجَوَابُ

يقول : مازلتَ تبحث عنهم فلاةً فلاة ، حتى وجدتهم فى بعض الفلوات ، فكأنك كنت تسأل عنهم الفلوات التى كانوا فيها ، فصاروا كالجواب ، لأنك أصبتهم .

٨- فَقَاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمُ وَفَرُّوا نَدَى كَفَّيْكَ وَالنَّسَبُ الْقُرَابُ

حريمُ الشىء : حقوقه ، وما يحرم إضاعته من الأهل والنساء . والقُراب : أبلغ من القريب . والندى : فاعل قاتل . والنّسب : معطوف عليه .

---

(١) الخبب : ضرب من العدو ، وقيل : هو مثل الرَّمَل ، وقيل : هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعًا وأياسره جميعا ، وقيل : هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ولعل الشارح بسبب مما ذكرنا قال : هو أرفع السير . انظر اللسان . وقد خبّت الدابة تخُبّ خبًّا وخببًا وخبيبًا .

(٢) خيل عراب : أى معربة والمعرب من الخيل الذى ليس فيه عرق هجين والخيل العراب خلاف البخاق البخاق والبراذين . اللسان عرب . وقال ابن جنى : العراب : العربيات . الفسر . وفى الأصول : « تسرع بهم » .

(٣) قال صاحب حياة الحيوان . العقاب : طائر معروف وقيل : يقع على الذكر والأنثى وتمييزه باسم الإشارة ونقل عن المبرد : « العقاب سيد الطيور » وانظر نهاية الأرب ١٠/١٨١

يقول : إن ندى كفَّيك ونسبك القريب من هؤلاء ، قام لهم مقام مَنْ يقاتل عن حريمهم حين فروا(١) وإنما أثبت لهم قرب النّسب ؛ لأن سيف الدولة وهم ، ينتسبون إلى أصل واحد ، وهو معدّ بن عدنان وقد أشار إليه .

٩- وَحِفظُكَ فِيهمُ سَلَفَيْ مَعَدٍّ وَأَنَّهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصِّحَابُ

وروى : « النِّسَاب » وهو أصل النسّب . الصحاب ، جمع الصاحب ، كقائِمٍ وقيام . وقيل : « جمع صحْب » ككعْبٍ وكعاب . وقوله : « سلفَى معدٍّ » أى إنهم من قبل آبائهم وأمهاتهم ينتسبون إلى معدّ بن عدنان(٢) .

يقول : قاتل عن حريمهم ندَى كفَّيك والنّسب القراب ، وحفْظك فيهم [٢٥٥ – ا] سلفهم فى معدّ ، وأنهم عشائرك وأصحابك .

١٠- تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمُ الشِّعَابُ

تكفكف : أى تكفّ وتصرف عنهم . وشرقت : أى امتلأت كما يشرق الإنسان بالماء . والظُّعن : النساء ، الواحدة : ظعنية ، وهى المرأة مادامت فى الهودج(٣) والشِّعاب : جمع شِعب ، وهو الطَّريق فى الجبل .

يقول : ردَدْت عنهم الرِّماح ، وأمسكت عن قتلهم ، لما فرّوا منك وظفرت بهم وقد امتلأت الشِّعاب من نسائهم وأموالهم .

١١- وأُسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ فى الْوَلَايا وأُجْهِضَتِ الْحَوَائِلُ والسِّقَابُ

الولايا : جمع وَلِيَّة ، وهى شبيهة بالبرذعة ، تطرح على ظهر البعير مما يلى سنامه . وأجهضت أُرهقت وأُتعِبَتْ حتى قامت ، يقال ، أجْهَضه : السَّيرُ إذا

(١) يقول ابن جنى : لم يكن ثم قتال ، ولكنه أراد أن ندى كفيه وقرب النسب قاما لهم مقام القتال ومن يذب عنهم ويقاتل دونهم لأنهما اللذان يردانه عنهم . الفسر .

(٢) « سلفى معدّ » : ربيعة ومضر ، لأنه من ربيعة وبنو كلاب من مضر ، وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان، الواحدى .

(٣) فإن لم تكن فى الهودج فليس بظعينه . ابن جنى الفسر ١٩٢/١ ، ويذكر صاحب التبيان أنه كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وإن لم تكن فى هودج .

أتعبه(١) وأجهضت الناقة ولدها : أى أسْقطت . والحوائل : جمع الحائِل وهى التى لم تحمل فى سنتها . وقيل الحائِل الأنثى من ولد الناقة . والسَّقب : الذكر منها . وقيل السَّقَب ولد الناقة(٢) مادام صَغيرا .

يقول : إنهم أمْعَنُوا فى الهرب خوفًا منك ، وكانوا قد أردفوا نساءهم وراء الخيل وفيهم الحَبَالى ، فأسْقطْن أولادَهن فى البراذع ، على أعجاز الخيل ، أوكنّ يركبْن الإبل فأسقطن الأجنّة على ظهور الإبل ، وتعبت الإبل الحوائِل والسقاب ، فقامت ولم تقدر على السير ، لما لحقها من الجَهْد والعياء(٣) .

وإذا قلنا إن الإجهاض : هو الإسقاط ، فعناه أن النوق أسقطت أولادها الإناث والذكور .

١٢–وَعَمْرٌو فى مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعْبٌ فى مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ

بنو عمْرو ، وبنو كعْب ، بطْنان من العرب ، عمرو بن كلاب ، وكعب بن ربيعة . والمْيمنة : جانبه الأيمن والميسرة : الأيسر .

يقول : اختلفت كلمة هذين البطنين خوفًا منك فقال قوم : نَهرب عنه ، وقوم : نتقدم فنأخذ الأمان ، وقال آخرون : نتقدم ونحارب ، وكانوا قبل ذلك يدًا واحدة [فاختلفوا] حتى صارت عمرو عمورا ، وكعب كعابًا ، ومثله قول معاوية ابن مالك(٤) :

رَأَيْتَ الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ جَمِيعًا وَكَانَ الصَّدْعُ لاَ يَعْدُ ارتِبَابَا(٥)

---

(١) هذا المعنى أى معنى الإجهاض بمعنى الإتعاب لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) مو ، من : « ولد الناقة . . . ولد الناقة » ساقط انتقال نظر .

(٣) كذا والمسموع فى هذا المعنى : إعياء . أما العياء : فهو المستعصى الصعب من الأدواء . القاموس المحيط .

(٤) هو : معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب . . شاعر جاهلى (بعود الحكماء) لقوله :
أعود مثلها الحكماء بعدى

(٥) فى النسخ : « ربابا » والمثبت هو ما فى المصادر المذكورة بعد .

فأمسَى كَعْبُهَا كَعْبًا وَكَانَتْ[١] مِنَ الشَّنَآن قَدْ دُعِيتْ كِعَابَا[٢]

يعني : كانوا متفرقين متعادين فأصلحت بينهم ، حتى عادوا إلى الألفة والاتفاق وصارت كلمتهم واحدة .

١٣-وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَنِيها وَخَاذَلَها قُرَيْطٌ وَالضِّبَابُ

أبو بكر : هنا قبيلة من بنى كلاب ؛ فلهذا أنث . وكذلك الضباب[٣] .

والقريط : بطنان من بنى كلاب . وروى قريظ بالظاء والطاء[٤] .

يقول : خَذَلَ بعضُ هؤلاء بعضًا وتفرقوا ، لما أحسّوا بطلبك إياهم ، بعد أن كانوا مجتمعين على محاربتك .

١٤-إِذَا مَا سِرْتَ فى آثارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ

يقول : إذا سرتَ فى أَثِرَ قوم خَذِلَتْ[٥] رِقابُهم رءوسَهم يعنى : أنك تدركهم وتضرب أعناقهم ، وتفرق رءوسهم من أجسادهم ، إذا كان العنق يسلّم رأسه [٢٥٥ - ب] والرأس يفارق جسمه خوفًا منك ، فكيف لا تتفرّق القبائل ويخذل بعضهم بعضا ؟ !

١٥-فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ وَالْمَلَابُ

(١) ق « وأمسى كعبها وكانت »

(٢) الفسر ١٩٤/١ البيت الثانى وكذلك فى الواحدى ٥٤٤ ، والبيتان فى الوساطة ٢٨٣ والمفضليات رقم ١٠٥ ، وفيها : « لا يعدو ارتيابا » وفى التبيان ٧٧/١ أتى بالرواية فى بيت واحد منسوبا لكعب بن مالك وهو

رأيتُ الصَّدع من كَعْب وكانُوا من الشَّنَآن قد صَاروا كعابَا

(٣) ق : « الضباب » ساقطة وترك لها بياض

(٤) التبيان روى : قريظ « بالظاء والضاد »

(٥) قال ابن جنّى والمعرى والخطيب : التخاذل : التأخر . ومنه ظبية خذول إذا تأخرت فى المراعى وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة فقد تأخر الإنسان . . . ويجوز أن تكون تخاذلت : أى سقطت لما ضربت بالسيوف ، وتخاذلت رجلا السكران والشيخ إذا ضعفتا انظر الفسر ١٩٥/١ التبيان ٧٨/١ .

الملاب : ضرب من الطِّيب[١].

يقول : إنك لما أسرْت نساءهم بما عليهنّ من الحليّ والطّيب ، لم يتعرض أحدٌ لهنّ ، بل رجعْنَ إلى أهْلِهن وعليْهن ثيابَهُن وطيبهُنّ.

وقيل : أراد أنهن كنّ بلا قلائِد ولا عطْر ، فقلدهنّ سيفُ الدولة وطيّبهن .

١٦-يُثِبْنَكَ بالَّذِى أَوْلَيْتَ شُكْرًا وَأَيْنَ مِنَ الَّذِى تُولِى الثَّوابُ ؟ !

يُثِبْنَكَ : أى يُجْزِينك ويعوضنك

يقول : رجعْن إلى أهلهن وهنّ يشكرْنك على ما أوليتهن من الصّفح الجميل ، والإحسان الجزيل ، ولكن أين الثواب وشكرهن جميل فعلك ؟ ! أى أن الشكر لا يقابل إحسانك ولا يبلغ أن يكون جزاء له .

١٧-وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إلَيْكَ شَيْنًا وَلا فِى صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ

روى « شَيْنًا » و « سَبْيًا » والأول أجود فى مقابلة « عاب »

يقول : ليس فى حصولهن فى يدك عار لهن ، لأنك منْهن وهنّ منك ، فصوْنك لهن كصون بعولتهن فى بيوتهن . والصّون : الصيانة ، وهى كناية عن الستر .

١٨-وَلاَ فى فَقْدِهِنّ بَنِى كِلاَبٍ إذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابُ

يقول : إنهن إذا رأين غرتك وصرْن عندكَ فلا يضرّهن فقدانهّن أهلهنّ ، وليس اغترابٌ وبُعْدٌ ، لأنّكَ منهن[٢] .

١٩-وَكَيْفَ يَتِمّ بأْسُكَ فى أُنَاسٍ تُصِيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ الْمُصَابُ ؟

يقول : كيف تقدر على أن تعاقبهم وتوقع بهم ؟ فإنك إذا أصبتهم تألّمت بما

(١) الملاب : فارسى معرب . قال ابن الأعرابى : يقال للزعفران : « الشَّعْر » و « الفيْد » و « الملَاب » و « العبير » و « المرْدقوش » و « الجساد » . الجواليقى ٣٦٤ .

(٢) ق « لأنهن منهن »

يصيبهم من الضرر ، لكونهم منك .

والمُصَاب : يجوز أن يكون مصدرًا كالإصابة ، وأن يكون مفعولا ، وهذا البيت مثل قول الحارث بن وعلة الذهلي[1] :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي ... فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

ونحو قول الآخر :

وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُم ... لَتَأْلَمُ مِمَّا عَضَّ أَكْبَادَهُمْ كَبِدِي[2]

٢٠- تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ

يقول : أنت سيدهم فتجاوز عنهم ، ولا تعْجل لهم فى العقوبة ، فإن رفقك بهم يردّهم إلى طاعتك ، ويقوم لهم مقام اللوم .

٢١- وَإِنَّهُمُ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا ... إِذَا تَدْعُو لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا

يقول : ترفق بهم وتجاوز عنهم ، فإنهم عبيدك وقومك ، متى دعوتهم إلى حربٍ ونازلةٍ أجابوك .

٢٢- وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا ... بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا

يقول : هم حقيقةُ المخطئين فى خروجهم عليك ، غير أنهم تابوا وأذعنوا لك ، كما أخطأ غيرهم ثم تاب ، وليْسوا بأوّل من فعل مثل ذلك .

---

(١) فى النسخ : « الحارث بن حلزة » والتصويب من المراجع المذكورة بعد . والحارث بن وعلة الذهلى شاعر جاهلى . المفضليات ١٦٢/١ - ١٦٣ والبيتان فى الفسر . قال ابن جنى : « كقول الحارث بن وعلة ، وقال ابن الأعرابى : هما لذى الأنف الأشلّ ، ثم ذكر البيتين . وقد ذكر فى المفضليات ١٦٢/١ ضمن قصيدة منسوبة للحارث بن وعلة الذهلى ، وهى كذلك فى محاضرات الأدباء ١٨٦/٢ والتبيان ٧٩/١ و ١٣٩/٣ ومعجم الشعراء ١٧ وفى شرح البرقوقى على المتنبى ٩٣/٣ للحماسى وهو الحارث بن وعلة الذهلى كما فى الحماسة ٤٥ والواحدى ٥٤٥ . وغير منسوبين فى عيون الأخبار ٨٨/٣ وفيه : « ولئن عفوت . . . ولئن فرغت »

(٢) نسب إلى العديل بن الفرج العجلى فى الفسر ١٩٧/١ والواحدى ٥٤٥ والتبيان ٧٩/١ =

٢٣–وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِمْ وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقَابُ

يقول : إن حياتهم بك ، لأنك تعطيهم ما تقوم به حياتُهم من المال ، فإذا غضبت عليهم زالت [٢٥٦ – ا] عنهم حياتهم ، فكفاهم عقوبة أن تغضب عليهم ، فإن ذلك كالموت لهم .

٢٤–وَمَا جَهِلَتْ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ

الأَيَادِي ، النِّعم ، واحدتها يَد ، والبوادى قيل : هى جمع بادية[١] ، وهم العرب الذين ينزلون البدو[٢] ، فيكون فى موضع الرّفع ، لأنها فاعلة « جهلت »

والمعنى : أن أهل البدو ، الذين هم بنو كلاب مُقِرّون بإحسانك إليهم ، غير جاهلين نعمك عليهم ، ولكن خفى الصواب عليهم حين قاتلوك ، وكان ذلك سهوًا منهم من غير قصد .

وقيل : البوادى . الظاهرة من النعم أو المتقدمة منها ، فهى صفة للأيادى فى موضع النصب ، وسكّن الياء ضرورة ، فيكون على هذا فاعل « جهلت » ضمير القبيلة التى هى بنو كلاب ، يعنى : أنهم لا ينكرون نعمك الظاهرة المتقدمة إليهم .

٢٥–وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ ؟

يقول : كم ذنب يتولد من الدّلال أى الإفراط وتجاوز الحد[٣] وكم بعدٍ يتولد من قرب إذا لم يكن معه الأدب ورعاية الحرمة .

والمعنى : أنهم لم يخرجوا عليك إلا ثقة منهم بقرابتك وتدلُّلا بانتسابهم إليك .

٢٦–وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

= وروايته : « أو جفوتهم . . . لتألم مما عَلّ أكبادهم . . . » والحماسة ٢٤٩ ومحاضرات الأدباء ٣٢٦/١ .

(١) البادية هنا : مؤنث البادى والمراد بها القبيلة . اللسان

(٢) والمراد بالبدو هنا : البادية . المرجع السابق

(٣) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه . اللسان .

يقول : وكم ذنْب يجنيه السّفيه ، فيعاقبِ به البريء ، ومثله قول بعض العرب :

إنّ الْفَتَى بابْن عَمّ السّوءِ مأْخُوذُ[1]

والأصل فيه قوله تعالى : (أتهلِكُنَا بمَا فَعَل السُّفَهَآءُ مِنَّا)[2] وقوله تعالى (واتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)[3].

٢٧–فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمُ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ

أراد : مَنْ يهابُه ، فحذف المفعول .

يقول : إن هابوه لكوْنه مهيبًا ، فإنهم يرجون عفوه ، لكونه كريمًا .

٢٨–وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ

قيْس : هو عيلان[4] ، وإليه ينسب بنو كلاب[5] مضر .

يقول : إن كان هو سيف دولة بني هاشم ، لا سيف دولة قيس ، فإن جلود قيس تربّت من نعمه ، وثيابهم من ماله ومن خلعه[6] .

٢٩–وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا

الرَّباب : غيْمٌ متعلّقٌ بالغيم ، يَضْرب إلى السّواد ، وقيل : هو السحاب

(١) هذا عجز بيت صدره :

جَنَى ابنُ عمك ذنبا فابتليت به

وهو غير منسوب في ديوان المعاني ٢٤٩/٢ والوساطة ٢٨٣ والواحدي ٥٤٦ والتبيان ٨٢/١ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٥/٧ .

(٣) سورة الأنفال ٢٥/٨

(٤) في النسخ : « قيس : هن عجلان » وصوابه ما أثبتنا . وقيس عيلان هذا هو ابن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان . انظر جمهرة أنساب العرب ٢٤٢ ومعجم القبائل ٩٧٢/٣ .

(٥) في الأصول « كلاب مضر » والصواب ما ذكرنا ، وكلاب ، هو كلاب بن مرة وينتهي نسبه إلى مضر .

(٦) يقول الواحدي وتابعه التبيان : إن لم يكن سيف دولتهم فهو وليّ نعمتهم لأن جلودهم تنبت بإنعامه عليهم . واكتسوا بما خلع عليهم من الثياب .

الأبيض . وأثُّوا : تمكّنوا وقووا من قولهم أثَّ النَّبتُ .

يقول : إنهم نبتوا بفضله وإنعامه ، كما نبت العشْب بالمطر ، وكثّروا بدولة أيامه وطالوا .

شبّههم بالنّبات ، وشبّهه بالسحاب[1] .

٣٠-وتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعَادِي   وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصِّعَابُ

يقول : إنهم بقوّتِهِ وسلطانه قتلوا أعداءهم ، وقهروا العرب ، حتى ذلّت لهم صعاب العرب وانقادت .

٣١-وَلَوْ غيْرُ الأميرِ غَزَا كِلاَبًا   ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمُ ضَبَابُ

الضّباب ما يرتفع من البخار ، من غدوات الرّبيع كالسحاب .

يقول : لو قصد بنى كلاب غيرُ سيف الدولة ، لردّه عن شموس بنى كلاب ضبابُهم . كنّى بالشّموس عن النساء [٢٥٦ – ب] ، وبالضباب عن الحرب التى كانت تحول بينهنّ وبين من يقصد الوصول إليهن ، كما يحول الضباب دون الشمس .

وقيل : الضباب ، كناية عن الغبار الذى يرتفع عن الخيل ، حتى يصير كالضباب ، فيصرف عن قصدهن ، كما يمنع الضّباب شعاعَ الشمس .

وقيل : عنى بالشّموس وجوه القوم التى هى كالشمس .

٣٢-وَلاَقَى دُونَ ثَايِهِمُ طِعَانًا   يُلاَقِى عِنْدَهُ الذِّئْبَ الْغُرَابُ

الثّاى : جمع ثاية ، وهى الحجارة حول البيت ، تُبنى فيأوى إليها الراعى ليلاً كأنّها الحظيرة[2] ، وفاعل « لاقى » ضمير « غير » فى قوله : « غير الأمير » والهاء فى « عنده » للطعان .

(١) مو ، زادت بعد ذلك : « وذلك تشبيه حسن كما ينبت العشب بالمطر »

(٢) يقول الواحدى وتابعه التبيان : وفيها يكون مرابض الإبل والغنم ومثله جاء فى تفسير أبيات المعانى ، الثاى : جمع ثايه وهو مراح الابل ويقال : إنه يتخذ من الشجر .

يقول : كان بنو ذلك القاصد قبل أن يصل إلى ثايِهِمُ طَعْنًا يكثر منه القتلى حتى يجتمع الذئب والغراب على أكل جيفهم وأجسامهم[1] : يعنى أنهم يدفعونه عن الوصول إلى حظائر الغنم ، فكيف الوصول إلى النساء والحرم ؟!

٣٣- وَخَيْلاً تَغْتَذِي رِيحَ الْمَوَامِي وَيَكْفِيهَا مِنَ الماءِ السَّرابُ

تغتذى : من « الغذاء » والموامى : جمع مَوْماة ، وهى الفلاة .

يقول : لاقى دون ثايهم طعانًا وخيلا معوّدة للقتال ، صابرة على الجوع والعطش ، حتى تكتفى عن الزرْع والعلف ، بانتشاق النسيم ، وعن الماء بالسّراب .

٣٤- وَلكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلا الذَّهَابُ

يقول : لكن غزاهم سيف الدولة الذى هو مولاهم وهم عبيده ، فلم ينْفع منه الوقوف ولا الهرب .

٣٥- وَلا لَيْلٌ أَجَنَّ وَلاَ نَهَارٌ وَلاَ خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلَا رِكَابُ

يقول : إنهم لما رأوه تحيروا فى أمرهم ، ولم يسترهم ليلٌ بظلمته ، ولا نهار بضيائه ، ولم تحملهم خيلهم وإبلهم .

٣٦- رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فى الْبَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ

العباب : صوت الموج . وقيل : عباب كلّ شىء : أوله[2] .

يقول : رميتهم بجيش كأنه بَحْر ارْتفعت أمواجه لعظَمِه ، ولِمَا عليه من السلاح .

٣٧- فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ[3] حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُم[3] تُرَابُ

(١) بعض الناس يذهب إلى أن الذئب لا يأكل إلا ما يفترسه وأنه لا يجرى مجرى الضباع والكلاب . تفسير أبيات المعانى والتبيان .

(٢) قال ابن جنى يريد بالبحر : الجيش لكثرة سلاحه وتموجه ، وعباب كل شىء أوله وصدره ومعظمه . الفسر .

(٣) مو ، ع : « فرشهم » فى الشطرين ، وفى الشرح : « روى : بسطهم بدل فرشهم » .

روى : « فَرْشُهُم » بدل « بُسْطُهُم » فى الموضعين . وفاعل « مسّاهم » وصَبَّحهُمْ ضمير البحر الذى هو الجيش .

يقول : أتاهم لَيْلاً جيشُك ، وهم على فُرُش الدِّيباج فأغار عليهم وسلب أموالهم ، فأصبحوا جلوسًا على التّراب ، فصارَ فراشًا لهم !

وقيل : أراد أنهم انهزموا ، فتبدلوا بعد بسط الحرير ، الجلوس على التّراب . وهذا قريب من الأول .

قال ابن جنى : أراد أن جيشه مسّاهم فقتلهم فأصْبحوا وقد تزمَّلُوا بالتّراب ، وصار بسطهم ترابًا بعد ما كان حريرًا .

٣٨–وَمَنْ فى كَفِّهِ مِنْهُمْ قَناة[1] كَمَنْ فى كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

يقول : مع شوْكتهم ، وصبْرهم ، واجتهادهم ، وشجاعتهم ، لما رأوك جبنوا وتحيّروا ، حتّى صار الفارس الذى يحمل الرّمح كالمرأة التى فى يدها خضاب فى قلة الغناء[2] والدفع [٢٥٧ – ا] .

٣٩–بَنُو قَتْلَى أبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ أَبْقَى وأبْقَتْهُ الْحِرابُ

الحراب : جمع حرْبة وهى رمح قصير .

يقول : كان آباؤهم استعصوا على أبيك فقتلهم ، وفعل بآبائهم ما فعلت بهم أنت الآن ، وكان أبو سيف الدولة غزا القرامطة[3] الذين هم فى الأحْسَاء[4] وقتل منهم وكسر .

---

(١) ق : « تراب » بدل « قناة » .

(٢) ق : « الغناء » ساقطة .

(٣) القرامطة : أصحاب دعوة انتشرت فى بعض البلاد الإسلامية بزعامه أحد الإسماعيليين زعزعت العالم الإسلامى ثم انتهى أمرها حينا اصدمت بالحملات الصليبية وكان رأس الطريقة القرمطية داعيا إسماعيليًّا اسمه : حمدان ولقبه : قرميطى أى أحمر العينين .

(٤) وذلك لأن القرامطة قد أخذوا عليه وعلى الحُجّاج الطريق إلى الحج فلما صدر الحجاج من الهبير خرج عليهم القرامطة ، وكان أبو الهيجاء (والد سيف الدولة) قد عرف مسير القرامطة من هَجَر من قوم فقاتلوا إله . انظر فى هذا الخبر حديث أحد المعلقين على الفسر ١/٢٠٣ – ٢٠٤ .

فيقول : هؤلاء بنو الذين قتلهم أبوك بنجد ، وأبقاهم أبوك وأبقته رماحه . وبنو : خبر ابتداء محذوف : أى هم بنو قتلى أبيك .

٤٠–عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ

السِّخَاب : كالثِّياب ، يلبسه الصِّبيان ، وجمعه سُخُب . وقيل السِّخاب : القلادة تنظمها الأعراب من القرنْفل ، أو حبّ الحنظل[1] .

يقول : إن أباك كان عَفَا عن هؤلاء وأعتقهم بعد ما ملكهم ، وهم صغار فى أعناقهم السُّخُب .

٤١–وَكُلُّكُمُ أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ فَكُلُّ فِعَالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ

يقول : كلُّ واحِدٍ – منْكَ ومنْهم – أتى مثْل ما فعل أبوه ، فأنت عفوْت كما عفا أبوك عن آبائِهم ، وخضعوا خضوع آبائهم ، فما حصل منك من الاقتداء بأبيك عجب ! وما حصل منهم من الاقتداء بآبائهم من العصيان عجب !

وقيل : وفعلْت بهم مثل ما فعل أبوك بآبائِهم ، وأبوك فعل مثْل ما فعل جدّك بأجدادهم ، وكل فعْلٍ منْك عجب !

٤٢–كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ

يقول : مَنْ طلب الأعادى والظَّفر بهم ، فليسْر إليهم كما سريْت إليهم أنت ، « وكذا » : إشارة إلى فعل سيف الدولة .

(١) قال ابن منظور : السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل وسُكّ ومحلب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء . وقال الأزهري : السخاب عند العرب : كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن . اللسان .

(٢٢٦)

وسار سيفُ الدولة نحو ثغر الْحَدَث[١] لبنائها وكان أهلها أسلموها بالأمان إلى الدُّمستُق سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، فنزلها [سيفُ الدولة[٢]] يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جماد الآخرة[٣] سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وبدأ فى يومه فخطَّ الأساس ، وحفرَ أوله بيده ، ابتغاء ما عند الله عزّ وجل ، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس : (دُمُسْتُق النّصرانية)، فى نحو من خمسين ألف فارس وراجِل من جموعِ [الروم] والأرمن والرّوس والبلغر[٤] والصّقلب . والخزر وأصناف رجَاله ووقعت المصافة يوم الاثنين انسلاخ جمادى الآخرة من أوّل النهار إلى وقت العصر ، ثم إن سيف الدولة حمل عليه بنفسه فى نحو خمس مئة من غلمانه وأصناف رجاله ، فقصد موكبه وهزمه ، وأظفره الله تعالى به ، وأسر تودس[٥] الأعْور : بطريق سمندو[٦] ، وهو صهر الدُّمُسْتُق وقَتَل[٧] نحو ثلاثة آلاف رجل من مقاتِلتِه ، وأسر خلقًا كثيرًا من اسخلاريته وأراخنته[٨] فقتل أكثرهم واستبقى البعض وأقام على الحدث إلى أن بناها ، ووضع بيده آخر شرافة منها يوم الثلاثاء لأربع

---

(١) الحَدَث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور . انظر شرح البيت ٧ من القصيدة ويقال لها : الحمراء ، لحمرة تربتها . وقلعتها على جبل يقال له : الأحيدب . معجم البلدان

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة عن مقدمة الديوان وشرح البيت الأول من التبيان .

(٣) يذكر ابن الأثير أن ذلك كان فى شعبان سنة ٣٤٣ . انظر ٦ /٣٤٧ وفى مقدمة الديوان «جمادى الأولى» .

(٤) مو : « البلغار »

(٥) ق ، مو : « تورس » .

(٦) مو : « سمندى » . ع : « سمنداد » مقدمة الديوان : « سمندريه » . التبيان : سمندو وكلها اسم واحد لبلد واحد فى وسط بلاد الروم وربما قيل سمندور . انظر معجم البلدان .

(٧) زادت مقدمة الديوان : « صهر الدمشق على ابنته وأسر ابن ابنة الدمستق » وفى التبيان « وأسر ابن الدمستق »

(٨) ع : « أجلادينه »وأراخنتة جمع أرخون : رئيس وحدة يقودها اسخلار . انظر هامش نخب تاريخية ١١٨ .

عشرة ليلة خلت من شهر رجب[١] من السنة المذكورة[٢] فقال أبو الطيب فى ذلك ، وأنشده إياها بعد الوقعة بالحدث[٣]. [٢٥٧ – ب] .

١– عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِى الْعَزَائِمُ وَتَأْتِى عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

العزائِم جمع عزيمة ، وهى إمضاء الأمور ، وكذلك عزمْت على كذا : أى أمضيته[٤]. والمكارِم : جمع مكْرُمة ، وهى كلّ فعل محمود .

يقول . عزيمة كلّ إنسان على قدر همّته وشهامة قلبه ، إن كان عظيم القدْر والخطر ، جد أمره[٥] ومضت عَزائمه ، وإن كان الرجل فَشِلاً اضمحلّت وبطُلت ، وكذلك المكارم : تكون على حسب فاعليها ، فهى من الشريف شريفة ، ومن الوضيع وضيعة .

٢– وَتَعْظُمُ فى عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فى عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

الضمير فى « صِغَارُها » للمكارم والعزائِم .

يقول : الرجل الصغير النفس يستكبر الصغير ، والعالى الهمّة يصغر فى عينه ما يفعله وإن كان عظيما . ومثله لعبد الله بن طاهر[٦] :

إنَّ الْفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهِمـ ـاتِ الْوُلاَةِ وَإِقْدَامُ الْمقَادِيمِ[٧]

---

(١) انظر فى ذلك ابن كثير ٣٢٧/١١ حوادث سنة ٣٤٣ وأبا الفداء ١٠/٢ .

(٢) ع : « من السنة المذكورة » ساقطة .

(٣) الواحدى ٥٤٨ : « وقال يمدحهُ ويذكر بناءه ثغر الحدث ومنازلته أصناف جيش الروم سنة ٣٤٣ » . التبيان ٣٧٨/٣ : « وقال يمدحه » ثم ذكر قريبًا مما ذكر فى شرح البيت الأول . الديوان ٣٧٣ قريب مما ذكر . العرف الطيب ٤٠١ .

(٤) الذى عليه كتب اللغة التى بين أيدينا أن العزْم على الأمر إرادة فعله ، لا إمضاؤه كما هنا .

(٥) ق ، شو : « أمره » ترك لها بياض والتكملة عن ع .

(٦) أحد الشعراء الذين تولوا إمارة خراسان ، وهو من أشهر الولاة فى العصر العباسى وولى إمرة الشام مرة ثم انتقل إلى مصر سنة ٢١١ فأقام سنة ونقل إلى الدينور ، ثم ولاه المأمون خراسان فاستمر بها إلى أن مات سنة ٢٣٠ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه .

(٧) الإبانة ٩٨ والواحدى ٥٤٨ والوساطة ٢٢٨ والتبيان ٣٧٨/٣ وفى الأخيرين « وأقدام المقادير » .

٣ - يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ   وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضَارِمُ

يقول : إن همّته عظيمة ، وهو يكلّف جيْشه أن تكون لهم مثل همّته ، والجيوش الكثيرة تعجز عنه . والهاء فى « عنه » لهمته[1].

٤- وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ   وَذَلِكَ مَا لاَ تَدَّعِيهِ الضَّرَاغِمُ

يقول : يطلب عندَ الناس من الشّجاعة والبأس ما عند نفسه ، والأسود تعجز عن ادعاء ذلك ، فكيف بالناس ؟ !

٥- يُفَدِّى أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلاحَهُ   نُسُورُ الْمَلا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ

النسور : جمع النَّسر . والأحداث جمع حدث ، وهو الحديث السن ، والقشاعم[2] : المسنّة الطويلة العمر . الواحد قشْعم والملا : الأرض الواسعة .

يقول : إن سلاحه أكثر القَتْلَى فى البّر قديمًا وحديثًا ، حتى شبّع النسور منها ، فلم تحتج إلى صيدٍ ، فقشاعمها : التى هى المعمرة ، تضيف إلى الشكر القديم الشكْر الحديث ، وأحْداثها تثنى عليه بالحديث من لحوم القتْلى ، فهما يفْديان سلاحه ويقولان : نحن الفداء لك ؛ لإنعامك علينا بكثْرة القتل ، إذ فى ذلك استراحتها عن طلب الرزق .

وإنما قال : « أتمّ الطّير عمرًا » لأن النَّسر يعيش على زعم الناس خمس مئة سنة وإنما خص النسور ؛ لأنها لاتصيد كما تصيد الجوارح ، وإنما تأكل الجيف ولحوم القتلى . روى ابن جنى « تُفدّى »[3] بالتّاء قال : أراد النّسور فكأن قال : تُفدِّى النسور سلاحه .

والأظهر فى العربية « يُفدِّى » بالياء لأن فاعله « أتمُّ » وهو مذكّر وهذا حمل على الظاهر ، والأوّل على المعْنى . « وعُمرًا » نصب على التّمييز و « سلاحَه » نصب

(١) والخضارم : جمع خضرم ، وهو العظم الكبير من كل شيء . الواحدى .

(٢) قال المعرى : وأكثر ما يستعمل « القشاعم » فى النسور فبعض الناس يدعى أنه يعمر خمس مئة سنة وبعضهم يقول : عمره ثمانون سنة . والنسر لا يقتنص وإنما يقع على الجيف . تفسير أبيات المعانى .

(٣) وهى رواية الديوان ٣٧٥ .

لأنه مفعول « يُفدِّى » ويجوز فى « نسور الملا » الرفع على خبر الابتداء : أى هى نسور الملا . ويجوز أن تجعله بدلا من قوله : « أتَمُّ الطير » التقدير : تفدّى نُسورُ الملا سلاحَه وأحداثها من نسور الملا ، والقشاعم معطوف عليه .

٦- ومَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بغَيْرِ مَخَالِبٍ   وَقَدْ خُلِقَتْ أسْيَافُهُ وَالْقَوائِمُ

القوائِم : جمع قائم [وهو قائم] السّيف .

يقول : لا يضر هذه النسور خلقها بغير مخالب ، وألاَّ تصيد [٢٥٨ – ا] كالبازىّ ونحوه[١] ، فإن سيوف سيف الدولة تغْنيها عن المخالب وتقوم لها مقامها . وتمّ المعنى عند قوله : « وقد خلقت أسيافه » وقوله : « والقوائِم » فضلة لا فائدة فيها إلا إتمام القافية .

وقيل : إنما قال ذلك ؛ لأن السيوف لا ينتفع بها إلا بقوائمها ، والمراد بنفى المخالب عنها ما ذكرناه أنها ليست ممايصيد كالبازى ، تأكل الجيف .

وقيل : لها مخالب . وإنما أراد الفرخ الحدَث الذى لا يمكنه الانتفاع بمخالبه ، والمسن الذى عجز عن طلب القوت ، ودلّ عليه فى قوله : « أحداثها والقشاعم » .

الثانى : أن معناه ما ضر لو كانت خلقت بغير مخالب مع قيام سيوفه مقامها . وقوله : « ما ضرها خلق » : فالخلْق هو المصدر الحقيقىّ .

٧- هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا   وَتَعْلَمُ أَىُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ

الحَدَث : قلعة ، وقيل مدينة . وجعلها حمراء ؛ لأن سيف الدولة أراق فيها دماء الرّوم ، حتّى سالت[٢] عليها كالمطر ، ودام ذلك حتّى نُسى لونُها الأوّل[٣] .

يقول : فهل تعرف الحدث لونها الأوّل أم نسيته من طول ما جرى الدماء عليها ؟ وهل تفرق بين سيف الدولة الذى سقاها الدم ، وبينَ الغمام الذى سقاها

(١) النَّسر : ذو مَنْسَر وليس بذى مخلب وإنما له أظفار حداد كالمخالب . وإذا وقع على جيفة وعليها عقبان تأخرت ولم تأكل ما دام يأكل منها . وكل الجوارح تخافه : حياة الحيوان .

(٢) فى الأصول : « سال » مكان « سالت » .

(٣) ع : « اللون الأول » .

الماء ؟ فتعلم أىّ ساقييها الغمائم[١] .

وقيل : معناه هل تعرف لونَها ؟ إنها قد حسُنَتْ به حالها حين عمّرها ، وكانت قد خرّبت قبل ذلك . وقيل : أراد أنه بناها غير البناء الأول ، إذا كان بناؤه لها إعادة لاابتداء فكأنه بناها من الحجر الأحمر ، وكانت قبل ذلك بخلافه .

٨- سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ

الغَمامُ : جمع غمامة ، ولهذا وصفها بأنها غُرّ[٢] وخص الغرّ ، لأنها أغزر وأكثر ماءً .

يقول : كانت السّحاب تسقيها الغيْث ، فلما جاءها سيف الدولة ، وقتل فيها الرّوم فسالت دماؤهم كالمطر السائل من السحاب .

٩- بَنَاهَا فَأَعْلَى والْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاَطِمُ

أى : فأعلاها ، فحذَف المفعول ، والواو للحال فى قوله : « والقنا » ، « وموج المنايا » .

يقول : بنى الحَدَث حتى أتمّها وأعلاها ، فى حالة المطاعنة ، وتداخل الرماح بعضها فى بعض ، والتطام أمواج الموت فيها ؛ لكثرة القتل .

١٠- وَكَانَ بِهَا مِثْلَ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ

يقول : إنّها تروّع[٣] كلّ وقت ، كما يروع المجنون ، وتُهْدم وقتًا بعد وقت ، فكانت لا تستقر ، فَتشبه بالمجنون ، فلمّا قتلَ أعداءها ومن كان يطلبها ، سكنت كالمجنون إذا علّقت عليه التمائم[٤] ، فصارت جثث[٥] القتلى لها كالتّمائم[٦] .

(١) يقول الواحدى : هل تعلم أى الساقيين يسقيها الغمائم أم الجماجم وحذف ذكر الجماجم اكتفاء بذكر الغمائم كما قال المثقل :

عصيت إليها القلب إنى لأمرها مطيع فما أدرى أرشد طلابها

أراد أرشد أم غى فحذف اكتفاء برشد .

(٢) الغر : ذوات البرق وهى جمع غرّاء (٣) تروع : تفزع . اللسان .

(٤) التمائم : تعلق على من يخاف عليه عين أو يظن به سقمة من جنون . تفسير أبيات المعانى .

(٥) قال أبو الذيب : ما رد علىّ أحد شيئًا فقبلته إلا سيف الدولة . فإنى أنشدته : « ومن جيف القتلى » فقال لى : مه قل : من جثث القتلى . فقبلت وقلت كما قال لى . التبيان

(٦) يقول الواحدى : جعل اضطراب الفتنة فيها جنونًا ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها . =

١١-طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّىِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ

الطَّريد : [ما أخذه] العدو من المال وفاز به .

يقول : كانت هذه القلعة طريدة الدهر قد ساقها وذهب بها الدهر وجعلها للروم ، فرددتَهَا على المسلمين الذين كانت لهم من قبل ، وأرغمتَ أنف الدهر وقهرته [٢٥٨ — ب] .

١٢-تُفِيتُ اللَّيَالِى كُلَّ شَىْءٍ أَخَذْتَهُ وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ

التاء فى « تفيت » للخطاب . والليالى : فى موضع نصب بتفيت ، ومعناه : كل شيىء أخذته الليالى فإنك تفيتها . أى تأخذه منها ، وهى إذا أخذت منك شيئًا غرمته لك ، وغيرك لا يقدر على ذلك .

وقيل : التاء تاء التأنيث ، واللَّيالى : رفع لأنها فاعلة تفيت .

والمعنى : إن ما أخذتْهُ الليالى من كل أحد أفاتته ولا ترده عليه ، وما تأخذه منك فإنَّها تغرمه لك .

١٣-إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعًا مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ

الفعل المضارع يصلح للحال وللاستقبال ، والمراد هاهنا : الفعل المستقبل خاصة [١] .

يقول : إذا نويت فعلَ شيء تَمّ ومضى ، وتعجَّل وقوعه قبل أن يعوقك معوق ، فعبر عن المعوق بالجوازم [٢] ، وعن نفيه بنفي الجوازم ، وإنما قال ذلك ؛ لأن حروف الجزم كلها تعويق : إما بنفى كَـ(لَمْ) ، أوبنهْى نحو ، (لا تفعل) ، أو

= ويحاربون أهلها ، فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها ، سكنت الفتنة وسلم أهلها .

(١) وذلك ليصح المعنى لأن الفعل الحاضر لا يجوز أن ينوى ، ويتوقع ولا يؤمر به. التبيان .

(٢) الجوازم : الحروف التى تجزم ، وأصل الجزم القطع ، وسمى النحويون هذا الفن جزما لأنه يقطع الإعراب من الفعل . تفسير أبيات المعانى .

وحروف الجزم هى : لم ولمّا ومهما وحروف الشرط فهذه الحروف إذا دخلت على الفعل الصحيح سكنته ، وإذا دخلت على المعتل حذفت حرف العلة . منه .

تعلّق بالشّرط ، ولام الأمر للغائب فيه معنى التّراخى ، ووصول الأمر إليه .

وقيل : أراد بالجوازم هاهنا التى للذى ، وجمعه إرادةً للكثرة والتكرير .

والمعنى : أنك إذا نويت أمرًا سبقْتَ به نَهيَ الناس ، وعذْل العذّال ، وتفْعله قبل أن تقول لك الناسُ : لا تفعل ، فيكون مثْل قولهم : « سَبَقَ السَّيْفُ الْعذَل »[1] .

وقيل : أراد به لام الأمر نحو قولك : لِيخْرُجْ زيدٌ ، ومعناه : أنك إذا نويت أمرًا تَمّ قبل أن تأمر به ، فتقول ليكن كذا فيكون ، مثل قوله :

يجيبك قَبْلَ أنْ يُتِمّ سِينَه[2]

أو يكون المراد به أنك إذا أمرت بفعل يسبق مضاؤه لحُوقَ هذه اللام به .

وقيل وجه رابع : وهو أن الفعل المضارع إنما يصير ماضيًا بدخول (لَمْ) عليه ، والمعنى : أنك إذا نويت أمرًا مستقبلاً انقضى ومضى بنفسه ، من غير أن يعارضه ما ينفيه من الموانع .

١٤–وَكَيْفَ تُرَجِّى الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا   وَذَا الطَّعْنُ أَسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ !

يقول : إن الرّوس والرّوم كيف يطمعون فى هدمها ؟ وأساسها ودعائمُها دفاعك وطعانك ! فإذا كان كذلك فلا سبيل لهم إلى هدمها .

١٥–وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ   فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلاَ عَاشَ ظَالِمُ

يقول : إن الرّوم والرّوس حاكموا هذه القلعة إلى المنايا ، وجعلوها حاكمةً بينهم وبين القلعة ، فكانت هذه مظلومة ، والروم ظالمين ، تغلّبوا عليها وأخذوها من المسلمين ظلمًا ، فحكمت المنيّةُ بموت الظّالم وحياة المظلوم ، فقتل الروم ، وهم

---

(١) الأمثال ٦٧ ط الهند ولم ينسب قال : قاله ضَبّة بن أدّ لما لامه الناس على قتلة قاتل ابنه سعيد فى الأشهر الحرم .

(٢) بيت من الرجز وقبله :

إنْ تدْعُ « يا سيفُ » لتستَعِينهُ

أى أجابك قبل أن تتم السين من « ياسيف » . انظر ديوان المتنبى ٣٥٧ .

ظالمون ، وعاش المظلوم وهي القلعة ؛ لأنها تخلصت من أيديهم .

وقيل : المظلوم هم المسلمون ؛ لأن الروم ظلموهم بأخذها منهم . يعني أنك أخذتها منهم بالسيف والقتل ، فكأنك حاكمتهم إلى السيوف فقضت لك بما فعلت .

١٦- أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

يقول : أتوك وعليهم الدروع ، وعلى خيلهم التجافيف ، كأنها لم تكن لها قوائم[1] [٢٥٩ - ا] .

١٧- إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ

البيض : السّيوف . وثيابهم : الدّروع والجواشن ، والعمائم البيض . وقوله : « من مثلها » : أي الثياب والعمائم كانت مثل البيض ؛ لأنها كانت من الحديد .

يقول : جاءوك في أسلحة تامة ، فلم تفرق بين سيوفهم وبينهم ، لأن ثيابهم وعمائمهم كانت من الحديد .

وقيل : أراد أن السيوف لم تتميّز من لباسهم ، لبريقها ولمعانها .

١٨- خَمِيسٌ بِشَرْقِ الأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

الزّحف : السير الهيّن . والزمازم : جمع زَمْزَمَة ، وهي كل صوت لا يُفْهم ، وأراد به صوتهم وصليل الحديد ، وصهيل الفرس .

يصف كثْرة الجيش وأنه ملأ الأرض شرقَها وغربَها وبلغت زمازمه[2] إلى السماء ، والجوزاء مصغية إليه تسمع أصواته . وخصّ الجوزاء لأنها على صورة إنسان وقد أمال عنقه ، فجعلها تسمع إلى أصواته .

---

(١) إذ لا ترى لأنها مستورة بالتجافيف .
(٢) ق : « بلغ زمامه » .

١٩-تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فَمَايُفْهِمُ[١] الْحُدَّاثَ إلاَّ التَّرَاجِمُ

اللِّسن : اللغة . والحدّاث : المتحدثون . والتّراجم : جمع التّرْجُمان[٢] .

يقول : إن جيش العدوّ الذى ملأ الأرض ، كان قد تجمع فيه أمم مختلفة اللغات ، فلا يفهم بعضهم كلام بعض إلا بالتّرجمان .

وقيل أراد بهِ جيش سيف الدولة .

٢٠-فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ

قوله : « فِلِلَّهِ وقْتٌ » فى معنى التعجب ، والضُّبارِم : الأسد الشّديد الغليظ .

يقول : إن وقت الحرب أذاب الغِشَّ ناره .

يعنى : أن الحرب لما اشتدت فر منها كل جبان فشْل عاجز ، وتكسَّر كل سيف غير قاطع ، فلم يبق إلا نَخَب الفرسان ، فشبه الحرب بالنار ، والجبن بالغش الذى تذيبه النّار .

وقيل : أشار بهذا إلى أن خيل سيف الدولة لا تحارب على وجه المسارقة والختل[٣] ، بل يجاهرون بالمحاربة فعبّر عن الختل[٤] بالغش .

٢١-تَقَطَّعَ مَا لاَ يَقْطَعُ الدِّرْعَ والْقَنَا[٥] وَفَرَّ مِنَ الْفِرْسَانِ مَنْ لاَ يُصَادِمُ

يقول : لم يبق فى ذلك الوقت من السيوف كلّ سيف لا يقطع الدروع ولا يمسّها[٦] ، وفر [من الفرسان] كلّ ضعيف ، لا يصادم الأبطال : أى لا يحارب .

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان : « فما تفهم » .

(٢) الترجمان : نطقت به العرب والجمع تَراجم مثل زعفران وزعافر وصحصحان وصحاصح وترجمان : بفتح التاء وضمها إتباعًا لضم الجيم .

(٣) ختله ختلا وختلانًا : خدعه . وختله فى الحرب : داوره وطلبه من حيث لا يشعر . اللسان .

(٤) ق : « الخيل » تحريف .

(٥) فى الديوان « تقطع ما لا يقطع البيض والقنا » .

(٦) مو : « ولا بسها » .

٢٢–وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

يقول : وقفتَ فى مقام مَنْ قام فيه لا يشك أنه يقتل ، وقد أحاط الموت من كل جانب ، حتى كان الرّدى نائم عنك وأنت قائم فى جفنه ؛ لإحاطته بك .

شبه إحاطة الردى به بكونه فى جفنه ، وسلامته بكون الردى نائم عنه .

٢٣–تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ

يقول : وقفتَ وكانت الأبطال تمرّ بك ، وهى مجروحة منهزمة عابسة الوجوه ، وأنت مشرق الوجه ضاحك السن ، لم تداخلك حيرة لانهزام أصحابك ، ومعرفتك بوجه الأمر فى تلك الحالة .

وحكى أن سيف الدولة استنشد أبا الطيب هذه القصيدة وكان معجبًا بها ، فاندفع أبو الطيب ينشدها فلما بلغ إلى قوله : « وَقَفْتَ » [٢٥٩ – ب] إلى آخر البيتين قال سيف الدولة : إنّ صدر البيتَيْنِ لا يلائم عجزهما ، وكان ينبغى أن تقول :

وقفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَال كَلْمَى هَزِيمَةً كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

فقال أبو الطيب : لما ذكرتُ الموت أتبعته ذكر الردى لتجانسهما ، ولمّا كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من العبوس ، وعينه من البكاء قلت : « ووجهك وضّاح وثغرك باسم » للمطابقة بينهما[1] .

---

(١) وهاك القصة كما رواها الواحدى علها تكون أكثر تفصيلا فتوضح ما رواه الشارح :

قال : « سمعت الشيخ أبا معمر المفضّل بن إسماعيل يقول : سمعت القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبى سيف الدولة قوله فيه : وقفت وما فى الموت شك للواقف ... البيت والذى بعده ، أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال كان ينبغى أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم =

٢٤- تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ

الغرض بالبيت : أن الشجاع يثبت مادام يطمع [في] الظّفر ويرجو النّصر ، وكذلك العاقل الحازم ، يقف متى رأى مخايل النّصر وأمارات الظّفر[1] ، فإذا اشتد الأمر وأيقن كل واحد بالموت طلب النجاة بالفرار ، وسيف الدولة تجاوز هذه المنزلة ، فهو يقف فى المواقف التى لا يشك الحازم والشجاع فى الهلاك فيها ، كأنه عالم بالغيب وعواقب الأمور .

وقوله : « إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ » يعنى : أن الناس لما رأوا مقامه وثباته فى المواطن التى لا يشك أحد فيها بالقتل قالوا : إنه عالم بالغيب ! ولولا ذلك لم يقف ، وقد فرّ كل شجاع .

= قال : وأنت فى هذا مثل امرئ القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جوادًا للذة ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال

قال : ووجه الكلام فى البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز البيت الأول مع الثانى وعجز الثانى مع الأول ليستقيم الكلام فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ، ويكون سبأ الخمر مع تبطن الكاعب .

فقال أبو الطيب أدام الله عز مولانا سيف الدولة ، إن صح أن الذى استدرك على امرئ القيس هذا أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ؛ لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لمّا ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ، ولمّا كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسًا وعينه من أن تكونَ باكية قلت : « ووجهك وضاح وثغرك باسم » لأجمع بين الأضداد فى المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارًا من دنانير الصلات ، وفيها خمس مئة دينار . انتهت الحكاية .

(١) قال ابن جنى : فى آخره بعض التنافر لأوله ؛ لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب . ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينًا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة لكان أليق بعلم الغيب ، إلا أنه كان فى ذكر الحرب ! وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ، ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب لأنه كان قد عرف ما يصير إليه نشجع ولم يحذر الموت . انتهى كلامه . التبيان .

٢٥– ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً
تَمُوتُ الْخَوَافِى تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ

يقول : حملْتَ على الميْمنة والميْسرة فضمَمْتَها على القلْب وردَدْتَها إليه ، حتّى سقط بعضُهم على بعض .

جعل الميْمنة والميْسرة جناحين وشبّه الأبطال المقدّمين بقوادم الجناح ، والأتباع والحشو[1] بالخوافى[2] .

٢٦– بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ

الباء فى « بضرب » متعلقة ، قيل بقوله : « تموت » .

يقول : نازلت العدو وضربته بالسّيف والنصر غائب ، فلما بلغ[3] الضرب إلى اللبات قدم النّصر .

يصف بذلك سرعة الهزيمة ووقوع النصر بعدها ، وأنه كان بيْن غيْبته وقُدُومه ، قدْر نزول السيْف من الهامة إلى اللّبّة ، فكأنه يقول : لم يصل سيفُك إلى نحورهم حتى نُصِرْت عليهم .

وقال ابن جنى : يقول . إذا ضربت عدوّك ، فحصل سيفُك فى هامته ، فلا تعتد ذلك نصرًا ، حتى يصل السيف إلى اللّبة ، فحينئذ يكون ذلك نصرًا ، ولا ترضى بدونه .

٢٧– حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ[4] حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ

تركتَ الطّعْنَ بالرّماح ، ورجعت إلى الضرب بالسّيوف ، حتى كأنك حقرت

(١) مو ، ع : « والجيش » .

(٢) الجناحان : يريد بهما جانبا العسكر أخذًا من جناحى الطائر والخوافى : ما خفى من ريش الجناح ، والقوادم : الريش الذى يكون فى مقدمة الجناح وعليه المعول فى طيرانه .

(٣) ق : « فلما سار » .

(٤) الردينيات : الرماح المنسوبة إلى ردينة ، امرأة باليمامة ، كانت هى وزوجها يعملان الرماح .

الرماح وعدلْتَ عنها إلى السيوف ؛ لأنها أنكى فى العدو[١] . وكأن السيف رأى عجْز الرماح وقلة غنائها فشتمها وعابها[٢] .

٢٨–وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ

« البيض ، الخفاف ، الصوارم » كلها صفات[٣] للسيوف .

يقول : من أراد الوصول إلى الفتوح العظيمة ، فإنما يصل إليها بالسيوف ، ولما جعل المطلوب فتحًا جعل السيوف مفاتيحه ؛ لأن [٢٦٠ – ١] بها يوصل إلى ما وراء الباب من المقاصد .

٢٩–نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ نَثْرَةً كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

الأحيدب : موضع ، وقيل : اسم الجبل الذى عليه مدينة الحدث .

يقول : إنك قتلتهم فى كل موضع من هذا الجبل ، ونثرتهم عليه كما تنثر الدراهم فوق العروس .

شبه الأحيْدب بالعروس ؛ لأنه قد اختضب بالدم ، كالعروس فى المصبوغات والمجاسد[٤] ، وشبه القتلى بالدراهم ؛ لبياض جثتهم حولها ، ونثْرهم : بنثْرهم الدراهم فوق العروس .

٣٠–تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَى وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ

يقول : صعدْتَ على رءوس الجبال إليهم فقتلتهم هناك ، حتى كثرت المطاعم للطيور فى رءوس الجبال ، وكانت الخيل تطأ وكور الطّير التى كانت فى الجبال

---

(١) يرى الواحدى أن المعنى : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها من سلاح الجبناء وسلاح الشجعان السيف ، لمقاربته ما بين القرنين فى القتال به .

(٢) قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى : الناس فى الشام والعراق يروون هذا البيت « شاتم » وجهٌ . أى كأن السيف لم يرض فعل الرمح فهو يشتمه . ولو رويت : « للسيف شائم » لكان للبيت معنى ألطف فى نقد الشعر ؛ لأنهم يقولون : شام السيف إذا غمده ، فكأنه يقول لما جاء السيف كان كأنه قد شام الرمح وليس من عادة الرمح أن يشام ولكنه لما عطل السيف الرمح كان كأنه شامه .

(٣) والمراد بالبيض : السيوف ، والخفاف : المرهفة ، والصوارم : القواطع .

(٤) المجاسد : الدم اليابس أو الصبغ الشديد الحمرة . انظر اللسان « جسد » .

وحولها القتْلى مطروحة . وقوله « تدوس بك » : أى تطأ وأنت عليها .

٣١- تَظُنُّ فِرَاخَ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا بِأُمَّاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ

الفُتْخ : العقْبان ، والواحد أفتخ ، وفتخاء ، وهي عتاق الطّير كالبازيّ والعقاب ؛ سميت بذلك للين أجنحتها وانعطافها ، والأمّات : جمع الأمّ ، فيما لا يعقل ، وفيمن يعقل « أمهات »[١] والمراد بالعتاق : الخيل [الكرام] والصلادم : جمع صَلْدم ،[٢] وهو الفرس الصُّلب الشديد .

يقول : لما صهلت الخيل ظنّت فراخُ النّسور أنك زرتْهن بأمهاتهن ؛ لاشتباه أصوات الخيل بها فى بعض الأوقات ، ولذلك قال الاخر :

إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النُّسُور[٣]

وقيل : شبه الخيل بالنسور من جهة السّرعة والضمور .

٣٢- إِذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبطُونِهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ

الصّعيد : وجه الأرض . والأراقم : الحيات .

يقول : إذا زلقت الخيل من رءوس الجبال[٤] لملاستها وقلة استقرار قوائمها عليها ، انسابت فيها على بطونها كما تنساب الحيّات فى الأرض والتّراب .

(١) قال المعرى : الأمات : تستعمل لغير الإنسان ، والامهات : بالهاء تستعمل فى بنى آدم . وقد جاءت الأمهات فى البهائم قال الشاعر :

قوّال معروف وفعلا عقار مثنى أمهات الرباع

ووزن أمات : فعلات ، ووزن أمهات : فعلهات . وقد أظهروا الهاء فى الواحد ، تفسير أبيات المعانى .

(٢) لم يمتنع أن تكون الميم فى « صلدم » زائدة لأنه من الصلد وهو الصلب ووزن صلادم على هذا « فعالم » وإذا كانت الميم أصلية فوزنه « فعالل » تفسير أبيات المعانى عن المعرى .

(٣) هذا صدر بيت عجزه :

. . . . حَزَزْنَا شَرَاسِيفَهَا بالجذَمْ

فى الحماسة رقم ٢٦٠ منسوب إلى جريبة بن الأشيم الفقعسى وغير منسوب فى التبيان ١١١/٢ والواحدى ٥٧٥ .

(٤) يقول الواحدى والتبيان : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال . يصف صعوبة مراقيها فى الجبال .

٣٣–أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ   قَفَاهُ عَلَى الإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ

وروى أيضًا : أفى كل يوم لِلدّمستق مَقْدَم ، أى إقدام .

يقول : الدمستق كل يوم مقبل ، فيقدم على لقائك ثم يهزم من بين يديك ، فيلوم قفاهُ وجهَهُ فيقول : إلى كم تعرّضنى للجراحة ولا تكتفى بما تقدم من الانهزام؟ !

٣٤–أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ   وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمُ

يقول : إن الدّمستق لا يزال يتعرض لك حتى تقتله أو تأسره ، ولو كان له عقل لكفاه ما رأى من شجاعتك وهزمك إياه ، والبهائم أعقل منه ، لأنها تعرف ريح الليث من بعيد فتتباعد عنه .

٣٥–وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ   وَبِالصِّهْرِ حَمْلَاتُ الأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ

الغواشم : جمع غاشمة ، وأصله الظلم ، وهى هاهنا القهر والغلبة .

يقول : لو كان له تمييز أو عقل ، لم يتعرض لك بعد ما رأى من فعلك بابنه ، حيث أسرْته وقتلْتَ أيضًا صهْره وابن صهره [٢٦٠ – ب] .

٣٦–مَضَى يَشْكُرُ الأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَا   لِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ

المعاصم : جمع المعصم ، وهو الذّراع[1] .

يقول : مضى الدّمستق هاربًا ، وهو يشكر أصحابه حيث شغلوا المسلمين عنه ، بأن مكّنوهم من قتلهم ، واستغنت السيوف برءوسهم ومعاصمهم ، فكان سبب نجاته[2] ذلك .

٣٧–وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمُ   عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ

فِيهِمُ : أى فى الأصحاب .

(١) المعصم : موضع السوار من اليد وربما جعلوا المعصم : اليد . والمعنى هنا من قبيل المجاز وإطلاق الجزء على الكل .   (٢) ف : « نجاتهم » .

يقول : كان الدّمستق إذا سمع صليل السيوف فى أصحابه عرف ما تفعله ، وإن لَمْ يكن لها ألسنة . وأخذ هذا المعنى المعرى وشرحه فقال :

وَقَدْ تَنْطِقُ الأَسْيَافُ وَهِيَ صَوَامِتُ وَمَا كُلُّ نُطْقُ الْمُخْبِرِينَ كَلاَمُ[١]

ثم قال من عنده :

كَفَى بِخِطَابِ الْمَشْرَفِيَّةِ مُخْبِرًا بِأَنَّ رءُوسًا قَدْ شُقِقْنَ وَهَامُ[٢]

٣٨–يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لاَ مِنْ جَهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ

يقول : إن الدّمستق يُسرُّ بما سلّم إليك من أصحابه وأمواله ؛ لسلامته منك ، لأن المغنوم إذا نجا منك كان غانمًا .

٣٩–وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ

يقول : لست ملكًا كسائر الملوك فى فعْلك بالدمستق ، حتى يقال : ملك هزم نظيره من الملوك ، ولكن أنت موحِّد وهو مُشْرِك ، فكأنّ التوحيد هزم الشِّرك وقهره ، لمَّا ظفرت على الدمستق وقهرته .

٤٠–تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لاَ رَبِيعَةٌ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لاَ الْعَوَاصِمُ

عدنان : أصل العرب . وربيعة : قبيلة سيف الدولة . والعواصم : حصون بالشام ، وهى دار مملكته .

يقول : إن جميع العرب تتشرف به ، لا قبيلته وحدهم ، وكذلك الدّنيا كلها تفتخر به ، لا العواصم التى هى ممالكه[٣] .

---

(١) شروح سقط الزند ٦٠٧ .

(٢) شروح سقط الزند ٦٠٨ والرواية فيه .

كفى غضاب المشرفيه مخبرا بأن رءوسا قد سقين وهام

(٣) العواصم : جمع عاصم ؛ وهى حصون موانع بين حلب وأنطاكية ، أكثرها فى الجبال وربما دخل فى هذا ثغور المصيصة وطرسوس ، وليست حلب منها وجعل يزيد بن معاوية مدينتها منبج . معجم البلدان . وقال صاحب التبيان . هى من أعمال حلب وتمتد من الفرات إلى حمص .

٤١- لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ

يقول : الحمد لله . الذى أقوله فى شعرى ليس هو حمدى إيّاك ، بل هى مكارمك ووصفتُهَا فى شعرى[1] ، وحَسُنَ بها قولى ، فكأنها دُرّ أعْطَيْتَنِيهِ فنظمته ، فلكَ المعنَى ولىَ اللّفظ ، فالحمد لك .

٤٢- وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى فَلاَ أَنَا مَذْمُومٌ وَلاَ أَنْتَ نادِمُ

يقول : إنك أعطيْتَنِى فى عطاياك الخيْل ، وهى تعدو بى فى الحرْب ، وأقاتل بها بين يديك ، فلست أنا مذموماً لتقصيرى عن طاعتك وترك القتال بين يديك ، ولا أنت نادم على عظم نعمتك علىّ بالخيل وغيرها من النعم .

وقيل : لست مذموماً بهذا الشكر وذكْر عطاياك الكريمة ، ولا أنت نادم على ما فعلت من اتصال شكرى .

٤٣- عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مَسْمَعَيْهِ الْغَمَاغِمُ

الغماغم : الأصوات فى الحرب . والهاء فى « إليها » يرجع إلى « الوغى » إذ الحرب مؤنثة .

يقول : تعدُو بى عطاياك على كل طائِر يطير برجله ، خلاف سائر الطير ، وأراد به الفرس إذا سمع صوت الحرب طار إليها ولا يقف [٢٦١ - ا] .

٤٤- أَلاَ أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَسْتَ مُغْمَدًا وَلاَ فِيكَ مُرْتَابٌ وَلاَ مِنْكَ عَاصِمُ

يقول : لست كسائِر السيوف فى أنها تغمد مرّةً وتصْلت أخرى ، بل أنت مجرّد أبدًا ، تنصر الدولة وتذبّ عنها وتحامى دونها ، ولا يشك أحد فى أنك بهذه الصفة ، ومن طلبته لم يعصمه منك عاصم ولم يمنعه مانع . و « مرتاب » : يجوز أن يكون اسم الفاعل من ارْتابَ ، ويجوز أن يكون مصدراً كالارْتِياب .

(١) مو : من « شعرى . . . . شعرى » ساقط انتقال نظر

٤٥- هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلاَ ... وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلاَمِ أَنَّكَ سَالِمُ

يقول : هنيئًا لهذه الأشياء سلامتك ؛ لأن سلامتها بك ، وبقاؤها ببقاؤك ؛ لأنك تحامى دونها وتذبّ عنها .

٤٦- وَلِمْ لاَ يَقِى الرَّحْمَنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدا بِكَ دَائِمُ ؟

يقول : أنت سيْف ماضٍ ، تنصر الإسلام ودين الله ، وتضرب رءوس أعداء الله تعالى ، فكيف لا يقيك الله تعالى كل مكروه ؟ ولا يدفع عن حدّيك كل محذور . ولمّا جعله سيفًا جعل له حدّيْن . و « ما » فى قوله : « ما وقى » ظرف .

(٢٢٧)

وورد على سيف الدولة فرسان طَرَسُوس[١] وأَذَنَة[٢] والمَصِّيصَة[٣] ، ومعهم رسول ملك الروم ، فى طلب الهدنة[٤] يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت[٥] من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاث مئة .

فقال أبو الطيب يمدحه وأنشدها بحضرتهم وقت دخولهم[٦] :

(١) طرسوس : مدينة بالشام بين أنطاكية وحلب وبينها وبين أذنه ستة فراسخ وبها قبر المأمون العباسى . معجم البلدان .

(٢) أذنة : بلد من الثغور قرب المصيصة .

(٣) المصيصة : على شاطئ جيحان من ثغور الشام وكانت من المناطق التى يرابط بها المسلمون قديمًا . ياقوت .

(٤) ع : « المدية » . (٥) مو : « بقيت » .

(٦) الواحدى ٥٥٦ : « وقال وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب المدنة » . التبيان ٣٩٣/٣ : « وقال يمدحه وقد ورد عليه رسول ملك الروم يطلب الهدنة سنة أربع وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٣٨٠ : « وورد على سيف الدولة فرسان طرسوس والمصيصة . ومعهم رسول ملك الروم . فى طلب الهدنة يوم الأحد لثلاث خلت من المحرم سنة أربع وأربعين فقال أبو الطيب وأنشدها بحضرتهم وقت دخولهم » . العرب الطيب ٤٠٧ .

١- أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الأَنَامِ هُمَامُ وَسَحَّ لَهُ رُسْلُ المُلُوكِ غَمَامُ ؟ !

الهمزة فى « أراع » للاستفهام ، فى معنى التعجب . وراع : أى أفزع . والمفعول : كلَّ الأنام ، والفاعل : همام . و « كذا » أى كما أرى ، وهو فى موضع نصب ؛ لأنه صفة لمصدر محذوف : أى أراع روعًا كذا .

يقول : كيف راع الأنامَ كلَّهم رجلٌ واحد ؟ حتّى تقاطرت إليه رسل الملوك يسألونه الصلح ، كما يتقاطر المطر من الغمام . وقوله « سَحَّ » أى أسح ؟ على الاستفهام .

٢- وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ

يقول : انقادت له الدنيا ، وأطاعه أهلها ، وهو جالس ، وأيّام الدنيا تسعى فى مراده ، وتقوم له قيام الخدم للمخدوم .

٣- إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ

اللِّمام : الزيارة القليلة .

يقول : إذا قصد بلاد الرّوم كفاهم قليلٌ من إيقاعه بهم ، ولكنّه لا يرضى إلا بالسّبى والقتْل وأخْذ الممالك .

٤- فَتًى تَتْبَعُ الأَزْمَانُ فِى النَّاسِ حُكْمَهُ لِكُلِّ زَمَانٍ فِى يَدَيْهِ زِمَامُ

روى : « خَطْوَه » و « حُكْمَه » .

يقول : إن الزّمان يتبع حكمه [و] يتصرف بإرادته ، يذُلُّ مَنْ أذلّه ويعزّ من أعزه فكأن زمام الدهر فى يده[1] ، يقوده كيف شاء . وقوله : « فتًى » خبر ابتداء محذوف ، أى : هو فتًى .

٥- تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ

(١) ق ، شو : « فكأنه إمام ، الدهر فى يده » .

يقول : إذا وصَلت الرّسل إليك سكنت نفوسُها ، ونامت عيونُها لجوارك ، وأجفان الذين يرسلونهم لا تنام خوفًا منك [٢٦١ - ب] .

٦- حِذَارًا لِمُعْرَورِى الْجِيَادِ فُجَاءَةً إِلَى الطَّعْنِ قُبْلاً مَا لَهُنَّ لِجَامُ

اعروْرَيْتُ الفرس : إذا ركبْته عُرْيانًا بلا سرْج . وقُبْلاً : أى متقدمًا إلى أعدائه . وقيل : هو جمع أقْبل وقبْلاء ، وهو الذى أقبلت إحدى عينيه على الأخرى وهو محمود فى الخيل ؛ وإنما تفعل ذلك لعزّة نفسها. « وحذاراً »: مفعول له . والمعْرورِى : هو الفاعل من اعروْرَى . وفجاءة : نصب على الحال ، وكذلك « قُبْلاً » .

يقول : إن أجفان ربّ الرّسل لاتنام حذارًا من مَلِك يركبُ الفرسَ عُرْيانًا لمفاجأته الغزو ، ويصرفه بغير لجام .

٧- تَعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعِنَّةُ شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلاَمُ

« فيه » أى فى الطعن .

يقول : إن هذه الخيل مؤدّبة معوّدةً للحرب ، فتنعطف فى الطعن ولا أعِنّة لها سوى شَعْر أعْرافها ونواصيها ؛ وكذلك تضْرب فى حال الطّعن ، لا بالسِّياط ، بل بالكلام والزّجْر .

٨- وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلاَ الْقَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ

يقول : إنّ الخيل الكرام ، لا تغْنى حتّى يكون فوقها كرام . ومثْله للبحترى :

وَمَا السَّيْفُ إلا مُسْتَعَارٌ لِزِينَةٍ إِذَالَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُه[(١)]

٩- إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا بِهِ كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلاَمُ

يقول : إلى متى تردّ الرُّسُل عما يلتمسونه من الصّلح ؟ فكأن سؤالهم إياك عذل العاذل على جودك ، فأنت تردّهم عما راموه ، كما تردّ مَنْ يعذلك على جودك عن

---

(١) ديوانه ١٦١٢/٣ وفيه : « وما السيف إلا بزّ غادٍ لزينةٍ » ، وبهذه الرواية فى الوساطة ٢٨٨ والموازنة ١٧٥/٢ والواحدى ٥٩٩ والتبيان ١٨٤/٤ .

مرامه . ولا تصغى إلى ملامهم . وشبّههم باللُّوم وشبه ردهم بردّ اللّوم .

١٠–فَإِنْ كُنْتَ لاَ تُعْطِى الذِّمَامَ(١) طَوَاعةً
فَعَوْذُ الْأَعَادِى بِالكِرَامِ ذِمَامُ(٢)

الذِّمام : العهْد . والطَّواعة ، والطَّواعيَة ، والطَّوْع : واحد .

يقول : إن كنت لا تعطيهم الأمان والذّمة بطاعتهم لك ، أو رغبة منك فى ذلك . وقيل : معناه . متبرعًا ، وقد عاذُوا بك والتجأوا إليك ، وعوذهم بك يوجب حفْظهم(٣) .

١١–وَإِنَّ نُفُوسًا أَمَّمَتْكَ مَنِيعَةٌ وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ

يقول مؤكدًا للمعنى الأوّل : قصْدهم إليك ، تحصين نفوسهم ، ورجاؤهم لك ، يصون دماءهم ، فنفوسهم منيعة ودماؤهم حرام .

١٢–إِذَا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ تُسَامُ

الواو فى قوله : « وسيفَك » للعطف . وتسام : أى تكلّف ، وتطلب منك .

يقول : مِنْ عادتك إجارة كلّ ملك خاف مَلِكًا آخر ، وهؤلاء خافوا سيفَك فاستجاروا بك ، والتجأوا إليك ، وكلّفوك إجارتَهم ، فالأوْلى أن تجيرهم .

١٣–لَهُمْ عَنْكَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ وَحَوْلَكَ بِالْكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ

يقول : إذا لَقُوك فى الحرب تفرّقوا عنك ، خوفًا من السيوف الخفاف ، ثم يجتمعون حولك ويزدحمون عليك طلبًا للصلح ، ويرسلون إليك كُتُبًا لطافًا يسألونك فيها العفو . [٢٦٢ – ا] وإنما جعلها لطافًا(٤) ، لأنها كتب مبعوثة على كتمان ، فكل كبير وبِطْريق(٥) يتقرّب إليه بكتاب لطيف ، سرًّا عن صاحبه !

(١) ق ، شو : « الذمام » ترك لها بياض . (٢) ع : « فعوذ الغوادى بالكريم ذمام » .

(٣) فى النسخ : « يوجبهم ، حفظهم » .

(٤) يقول الواحدى : اللطيفة الكلام الذى تلطفوا فيها لمسألتك وتضرعوا إليك .

(٥) البطريق : القائد من قواد الروم .

١٤–تَغُرُّ حَلاَوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ

يقول : إنّ حلاوات النفوس تغر القلوب ، حتى تختار قلوبُ بعض الناس العيشَ والذلّ ، وهو مثل الموت[١] .

١٥–وَشَرُّ الْحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ يَذِلُّ الذِى يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ

الزؤام : السريع .

يقول : العيش فى الذّل أحد الحِمَامَيْن السَّريعين[٢] ، وهو أشرهما[٣] .

١٦–فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بشَفَاعَةٍ وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ

يقول : هذا الصّلح ليس بصلح ، وإنما هو ذلٌّ لهم وعقوبةٌ وغرامةٌ يحملونها لك ؛ لأن الصّلح لا يكون بالشفاعة[٤] وإنما يكون صلحًا إذا استوى فيه الفريقان وأراده الخصمان .

١٧–وَمَنٌّ لِفِرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمُ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لاَ يَكَادُ يُرَامُ

الثّغر : موضع المخافة .

يقول : هذا الصلح ذُلٌّ لهم وغرام ، وتفضُّل لفرسان الثغور من المسلمين عليهم ، حيث ساروا معهم إليك ، وبلّغوهم إلى ما [مالا يكاد][٥] يطلب منك ، فلولا أنهم صحبوا لهم ، لم يقدروا على الوصول إليك .

١٨–كَتَائِبُ جَاءُوا خاضِعِينَ وَأَقْدَمُوا وَلَوْ لم يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا

---

(١) يقول : حب الحياة يغر القلب حتى يختار عيشًا فيه ذل ، أو يختار الهرب من القتل ، وذلك هو القتل فى الحقيقة بل هو شر منه ! والمعنى : أن اختيار العزيز للذل هو الذل . انظر الواحدى والتبيان .

(٢) يشير إلى ميتة الذل وميتة الحتف المحتومة .

(٣) مو : « شرهما » .

(٤) وذلك لأنهم تشفعوا بفرسان الثغور فأرسلوهم إليه ليشفعوا لهم فى المهادنة فشفعهم .

(٥) ما بين المعقوفتين عن الواحدى .

يقول : إنما أقدموا عليك لأنهم جاءوك خاضعين سائِلين[١] ، ولو كانوا محاربين لم يجسروا على الإقدام[٢] ، فيكون المراد بالكتائِب : رسل الروم .

وقيل : أراد بهِ فرسان الثّغور .

كتائِب جاءوا إليك خاضعين متشفّعين للروم ، ولو لم يكن كذلك لجَبُنوا عن الحروب ، وعن الوصول إليك .

١٩–وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ وَعَزُّوا ، وَعَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا

يقول : لمّا وصلوا إليك أمِنوا وعزّوا ، واستراحت خيْلهم ، وأفضلْتَ عليهم حتّى عاموا فى نعمك وإحسانك ، ولم تزل تفعل ذلك بهم فى قديم من الزّمان إذا صَدَرُوا إليك واستذموا[٣] بجوارك . والمراد بهِ الرسل .

وعلى الثانى : أن أهل الثغور عزّوا بك وعاموا فى نداك قديمًا وحديثًا ؛ لأنك أهل ثُغرِ المسلمين .

٢٠–عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ فِي كُلِ غَارَةٍ صَلاَةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلاَمُ

قوله[٤] : « توالى » أصله تَتَوالى ، « منهم » . قيل : [الضمير] يرجع إلى الروم ، ومعناه : قد عمّهم فضلك وإحسانك وبهرهم إقدامك ، وكلّما أغرت عليهم ورأوْا وجهك دعوْا لَكَ وأتْبعوك بالسلام ، لِمَا يَروْا من جَمَالِك وشَجَاعتك ، مع إغارتك عليهم وقتلك إياهم ، وهو مثل قوله :

وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ[٥]

(١) مو : « مسائلين » .

(٢) وهذا هو المراد بقول الشاعر : « لخامو » فخام بجوم خيامة ، أى جبن .

(٣) أى توسلوا بجوارك لأخذ الذمام وهو العهد والأمان والكفالة .

(٤) مو : « قوله » ساقطة .

(٥) فى ديوان المتنبى ٣١٤ وهو :

ومن شرف الإقدام أنك فيهم على القتل مومرق كأنك شاكد

والشاكد : المعطى من غير مسألة .

وقيل : إن الضمير فى « منهم » يعود إلى فرسان الثغور ، أراد صلاتهم وسلامهم عليك يتصل فى كل غارة تكون لك على الروم .

٢١-وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إمَامَهُمْ وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إمَامُ

يقول : كل أحد يقتدى بغيره فى المكارم ، وأنت [٢٦٢ – ب] إمام لأهلها ، فكل كريم يقتدى بك فى المكارم . ويشبه قوله أيضًا :

يَمْشِى الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمُ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِى وَتَبْتَدِعُ[١]

٢٢-وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ

القتام : الغبار وعُنْوان الكتاب : ما يكتب على ظهره .

يقول : ربما كتَبَ إليك ملكُ الروم كتابًا قبل هذه المرة ، فقصدْته بجيشك ، وجعلْته[٢] جواب كتابه ، فصار غباره يدل عليه ، كما يدل العنوان على الكتاب : ممن هو؟ وإلى مَنْ هو؟

٢٣-تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامُ

يقول : هذا الجواب الذى بعثْته هو الجيش تضيق به البيداء من قبل نشره عن [كتائبه][٣] ولم يفض عنه ختمه يعنى : أنه ما [تفرق][٣] أو هو مُجْتَمِعٌ غير منتشر .

٢٤-حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ : جَوَادٌ ، وَرُمْحٌ ذَابِلٌ ، وَحُسَامُ

يقول : حروف هذا الكتاب ثلاثة : فرس جواد ، ورمح ذابل ، وسيف

(١) ديوان المتنبى ٣٠٦ : « يمشى » وفى رواية : « تمشى » الوساطة ٣٥٨ وفى النسخ : « تمشى » والمعنى أن غيره من الملوك يفعل ما كان يفعله غيره من حسن وقبيح وأنت مبتدئ فيما تفعل ، لم يسبق إليه أحد فأفعالك أبكار .

(٢) الضمير فى « جعلته » يعود إلى جيش سيف الدولة .

(٣) ما بين المعقوفات مكانه بياض فى ق ، شو ، ع وغير مقروء فى سائر النسخ والتكملة من الواحدى والتبيان

قاطع[١] ، لما جعل الجيش كتابًا جعل حروفه هذه الثلاثة .

٢٥–أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَالْهَ سَاعَةً لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِزَامُ

يقول : إنك قد أتعبتَ الحرْب ، يعنى أهْلَهَا بكثْرة إنهاضهم لها ، فاتركها ساعة ليستريح الناس ويَغْمدوا سيوفَهم ويَحُلّو حُزُمَ خيلهم ، ويحطُّوا سروجَها .

وقوله : « أَذَا الحَرْبِ » قيل : الهمزة للنداء : أى ياذا الحرب . وقيل : هو إذا يعنى : إذا أتعبت الحرب .

٢٦–وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ فَإِنَّ الَّذِى يَعْمُرْنَ عِنْدَكَ عَامُ

الهُدْنة : الصُلح وعمر الرجل يعمر : إذا طال عمْره .

يقول : أطول أعمار الرّماح بصلحك معهم عام واحد ، ثم تعود إلى قتالهم فتقصر أعمار الرماح بالكسر والحطم ، لأنك لا تصبر على قتالهم[٢] ، فلا تعقد الهدنة إلا سنةً واحدة .

٢٧–وَمَا زِلْتَ تُفْنِى السُّمْرَ وَهِىَ كَثِيرَةٌ وَتُفْنِى بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهُوَ لُهَامُ

جيش لهام : أى كثيرُ يلتهم كلَّ شىءٍ ويبتلعه .

يقول : لم تزل تكسِّر الرماح بالطعن وتفنى بها الجيش[٣] ، أى ذلك عادتك .

٢٨–مَتَى عَاوَدَ الْجالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامُ

الجالون : الذين تركوا بلادهم [هربًا منه][٤] ، الواحد : جالٍ .

يقول : متى عاوَدَ الذين هربوا عن بلادهم من الروم إليها ، عاودت أرضهم

---

(١) الفرس الجواد : أى الكريم . والرمح الذابل : أى اليابس المستقيم . والحسام : السيف القاطع .

(٢) مو : من : « قتالهم . . . . قتالهم » ساقط .

(٣) مو : « بها الجيش » ساقطة .

(٤) ما بين المعقوفتين عن الواحدى .

بالغارة والقتل ، وتكون الرقاب التي ضربتها بسيوفك والهام التي فلقتها بعد ، ساقطة لم تبل .

يصف قرب المدة التي يعاودهم فيها .

وقيل : معناه أنهم متى عاودوا أرضهم وحصلوا فيها ، وعلمت أن هناك رقابًا تضربها ، وهامًا تفلقها ، فإنك تعود إليهم ؛ لأنك إنما تركت غزوك لجلائهم عنها .

٢٩–وَرَبَّوا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبهَا وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ

كعبت الجارية : إذا نتأ ثديها وشبّ الغلام : ارتفع سنّه ، وأُخْرِجَ من الصبى .

يقول : إن هؤلاء الروم يربّون أولادهم لتسبيهم وتأخذهم [٢٦٣ – ا] في أحسن أحوالهم ، وهو إذا كعبت الجارية ، وارتفع سن الغلام ، أى عاقبة أمرهم تعود إلى ذلك .

٣٠–جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا

يقول : إن الكرام جارَوْك(١) في مضمار المجد ، فلمّا انتهوا إلى أقصى الغاية وقفوا ، وجريت أنت وحدك ، لم يُجارِكَ أحد بعد .

وقيل : أراد أنهم جَرَوْا معك إلى المجد في المعركة ، إلى أن اشتد القتال فقاموا ، وجريت أنت .

٣١–فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ

يقول : أنت أنور من الشمس ، وأكمل في الخصال من البدر ، فخفى بنورك نور الشمس ، وانتقص بكمالك كمال البدر .

وقيل : أراد بالشمس والقمر ، ملوك عصره وكرام دهره ، أى أنه أشرق عليهم وطمس معالم أفعالهم ومكارم خصالهم .

---

(١) جاراه مجاراة وجراء : جرى معه . وتجاروا : تناظروا .

(٢٢٨)

وتجمَّعت عامرُ بن صعْصَعة ، وعُقَيْل ، وقشَيْر ، وعجْلان [و] أولاد كعب ابن ربيعة[١] بن عامر ، بمروج سَلَمْيَة ، وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن ضامهم بماء يقال له الزرقاء ، بين خُنَاصِرة[٢] وسوريَة[٣] ، ونمير بن عامر بَديْرِ دينار[٤] من الجزيرة[٥] وتشاكوا ما يلحقهم من سيف الدولة وتوافقوا[٦] على التذامِّ فيما بينهم ، وشغله من كل ناحية والتناصر إن قصد[٧] طائفة منهم ، وبلغه ما عملوا عليه[٨] ، وأقل الفكر فيهم ، فأطغاهم كثرة عُدَدهم وعَدَدهم ، وسوّلت لهم أنفسهم الأباطيل ، واستولى على تدبير كعب عُقَيلها ، وحَسَّنَ ذلك لهم قواد كانوا فى عسكر سيف الدولة[٩] ، فسار إليهم وظفر بهم[١٠] فقال أبو الطيب يذكر ما جرى ويمدحه سنة أربع وأربعين وثلاث مئة[١١] .

١- تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ   مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

(١) فى مقدمة الديوان : « والعجلان مع أولاد كعب بن ربيعة » .

(٢) من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية . معجم البلدان .

(٣) فى النسخ : « وسويدية » والتصويب عن مقدمة الديوان ونخب تاريخية .

(٤) فى النسخ : « بذى دنيا » والتصويب عن الديوان ومعجم البلدان .

(٥) المراد بالجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، منها : الرها ونصيبين وآمد . البدء والتاريخ ٧٥/٤

(٦) ق : « وتوافقوا » ساقطة .

(٧) فى ق ، مو : « فى أن يقصده » والمذكور عن ع .

(٨) زادت مقدمة الديوان : « وتراسلوا به » .

(٩) زادت مقدمة الديوان بعد ذلك تفصيلات دقيقة . ليرجع إليها من أراد ، فقد انفرد بها الديوان ولم تذكر فى كتب التاريخ .

(١٠) من أول الجزء الثالث تقريبا إلى هنا ، تنتهى نسخة تيمور وهى ما أشرنا إليه برمز « مو » .

(١١) الواحدى ٥٥٩ : « وقال يذكر إيقاع سيف الدولة ببنى عقيل وقشير وبالعجلان وكلاب ، لما عاثوا فى نواحى أعماله ، وقصده إياهم ، وإهلاك من أهلكه منهم وعفوه عمن عفى عنه ، بعد تضافرهم وتضامنهم عن لقائه سنة ٣٤٤ » . التبيان ٣١٧/٢ : « وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بقبائل العرب سنة ٣٤٤ » الديوان ٣٨٢ - ٣٨٦ وقد أشرنا إلى المكان الذى ندّ عن مقدمة الشارح . العرف الطيب ٤١١ .

العُذَيْب : اسم ماء لبنى تميم . وبارق[١] : اسم موضع . والمجرّ : يجوز أن يكون موضع الجرّ ، وأن يكون مصدرًا . والمجْرى : بفتح الميم موضع الجرّ ، ومصدر كالجرْى . وبالضم :موضع الأجراء ومصدر كالإجراء ، وقد روى : « مُجرَى السّوابق » بضم الميم وفتحها و « ما » فى قوله : « ما بين العذيب » قيل : اسم فى موضع نصب بتذكرت ، ومَجرّ عوالِينَا : بدل عنه . ومَجْرى : عطف عليه ، ويجوز أن يكون صفة له .

والمعْنى : تذكرت الموضع الذى بين العذَيْب وبارقٍ بعد مفارقتى له[٢] ، وكان ذلك الموضع مجرّ[٣] رماحنا ومجْرى خيلنا : إما لعبًا أو حربًا . وقيل « ما » زائدة و « بين » ظرف و « مجرّ »[٤] بعده نصب بتذكرت : أى لما حصلت بين العذيب وبارق تذكرت هناك جرّ رماحنا وإجراء خيلنا .

٢- وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلاَتِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِى الْمَفَارِقِ

يقول : تذكرت صحبَةَ قومٍ أبطال ، إذا قنصوا صيدًا ذبحوه ببقايا سيوفهم التى كسّروها فى رءوس أعدائِهم .

٣- وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِى الْمَرَافِقِ

توسّدنا الثَّويَّة : أى اتخذناها وسادة ، والثَّوِيَّة : [٢٦٣ - ب] أرض بالكوفة[٥] . والثرى : التراب الرطْب والهاء فى « ثراها » للثَّويَّة وفى « تحته » لِلَّيل ،

(١) يقول صاحب التبيان ، العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة وبين العذيب وبين الكوفة مسيرة يوم ، وهو بطريق مكة بالقرب من القادسية .

(٢) مو : « مفارقته » .

(٣) ق ، شو : « مجرى » .

(٤) مو : « ومجروما بعده » .

(٥) قال الواحدى وصاحب التبيان وياقوت : الثوية : قرب الكوفة . وذكر صاحب التبيان أنها على ثلاثة أميال من الكوفة ، وقال ياقوت : ذكر العلماء أنها كانت سجنًا للنعمان بن المنذر ، وقيل خربية إلى جانب الحيرة .

وقيل : للثّوية ، إذ هو فى معنى الرمل . وليلاً : عطف على ما قبله ، « وتوسدنا الثّوية » جملة من فعل وفاعل فى موضع نصب صفة الليل ، وقوله : « كأنّ ثَرَاها » : فى موضع النصب على الحال .

يقول : تذكرتُ ليلة كنا بالثوية وضعنا رءوسنا على ثَرَاها ، فكان ثراها الملتزق بمرافقنا عنبر لطيبه .

٤- بِلاَدٌ إِذَا زَارَ الْحِسَانَ بِغَيْرِهَا حَصَى تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ

الحسانَ : منصوب بزَار ، والهاء فى « بغيرها » تعود إلى البلاد ، وحصى : فى موضع رفع لأنه فاعل زار . وأراد بالحصى : الفصوص الغرويّة التى تُحْمَلُ من الغَرِىّ[1] : وهو بناء عظيم بظهر الكوفة ، وعنده مشهد علىّ أمير المؤمنين رضى الله عنه .

يقول : إن الثوية بلاد إذا حُمِل حصى هذه البلاد إلى النساء اللّوَاتى هن بغير هذه البلاد ، فإنهن يثقبن هذا الحصى ويجعلنه فى مخانقهن ، لحسنه وصفائه .

وقيل : إن هذه البلاد من بلاد الشام ، والحصى : أراد بهِ الفسيفساء[2] تكون بتلك البلاد . والأوّل هو الأظهر .

٥- سَقَتْنِى بِهَا الْقُطْرُبُّلِىَّ مَلِيحَةٌ
عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ

الكناية فى « بها » للبلاد أو للثوية . وقُطْرُبُّل[3] : قرية من قرى بغداد ، والقطرُبُّلِىّ : الخمر المنسوبة إلى قُطْرُبُّل .

يقول : سقتنى فى هذه البلدة امرأةٌ مليحة ، وكانت الساقية المليحة تعد لى من

(١) الغَرِىّ : بناء عظيم كالصومعة بظهر الكوفة . ياقوت . وفى ق ، ع : « نقاء عظيم » .

(٢) فى النسخ : « القسافس » ولعلها تحريف عما أثبتناه . والفسيفساء : قطع صغار ملونة من الحصباء أو نحوها كالرخام والخرز . اللسان « فسس » .

(٣) قطربل : كانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين . وقد أكثر الشعراء من ذكرها وضبطها ياقوت بفتح الراء المهملة « قطربل »

وصلها مواعيد كاذبة ، تشبه الصدق ؛ لحسن لفظها وطيب كلامها .

وقيل : إنه أراد أنه رآها فى النوم تسقيه الشراب ، وتعده الوصال ، وكان كاذبًا وإن كان فى صورة الحق .

٦- سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ ، وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ

نشقْت الطيب : إذا طلبت رائحتَه .

يقول : قد اجتمعَتْ فى هذه المليحة هذه الأوصاف ، فهى سهاد لأجفان العشاق ، لأنّهم لا ينامون شوقًا إليها ، وشمس للناظرين إليها ؛ من جمالها وحسنها ، وسقم لأبدان العشّاق ؛ لأنهم يذوبون من حبّها وتبلى أجسامهم شوقًا إليها ، ومسْك لناشق ، يعنى أنها طيّبة البدن ، فمن شمَّها وجد فيها رائحة المسك .

وقيل : أراد بها الخمر ؛ لأنه تُسْهِد لشربها ، وشمس ؛ للونها وسقم عند شربها ، ومسْكٌ ؛ لطيب رائحتها .

٧- وَأَغْيَدُ تَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقِ

الأغيد : الناعم الجسم ، الطويل العنق ، مع لين ونعومة(١) . وهو رفع عطف على قوله : « مليحة » . أوْ على قوله : « سهادٌ » . وذكّر قوله « أغيد » ؛ لأنه أراد بهِ شخصًا أغيد .

يقول : هو حسَنُ الخَلْق والخُلُق(٢) ، فالعاقل العفيف يهواه ؛ لحسن خُلُقه وكمال عقله . والفاسق(٣) يهوى جسمه لحسن خَلْقه وملاحة وجهه .

وقيل : معناه سقانى الخمر المليحة الجامعة للصفات الأربع فى البيْت قبله ، غلامٌ أغيد ، صفته كذا وكذا [٢٦٤ - ا] .

٨- أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ بَلَا كُلَّ سَمْعٍ عَنْ سِوَاها(٤) بِعَائِقِ

(١) ع : « وعفة » مكان « ونعومة » .

(٢) ع : زادت بعد ذلك : « عاقل عفيف » .

(٣) الفاسق : الخارج عن الشريعة المقدم على المعصية . (٤) ع : « سواه » .

أديب : رفع لأنه نعت لأغيد ، أو بدل عنه . والمِزْهر : العود [الذى يستعمل فى الغناء][1] وجسّ : أى مس . وَبَلاَ : أى جرّب وامتحن .

يقول : إذا جسّ أوتار العود ، شغل كلَّ سمع عن الإصغاء إلى غيره ؛ لحسن ضربه وجودة غنائه وصوته .

٩- يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ ... وَصُدْغَاهُ فِي خَدَّيْ غُلَامٍ مُرَاهِقِ

يقول : هو أديب يحفظ أيّامَ الناس وأشعارَهم ، ويخبّر بالأخبار القديمة التى كانت بينه وبين أيام عاد ، وهو بعد مراهقٌ حديث السنّ .

١٠- وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقُ

يقول : حسْن الوَجْه لا يكْسب لصاحبه شرفًا ؛ ما لم يكن معه حسن الفعل وكرم الأخلاق .

١١- وَمَا بَلَدُ الإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ ... وَلاَ أَهْلُهُ الأَدْنَوْنَ غَيْرُ الأَصَادِقِ

يقول : ليس بلد الإنسان إلاّ ما يوافقه ، فلا تَلتفتْ إلى وطنك إذا لم يوافقك ، وحسنت فى غيره حالك[2] ، وليس أهل الإنسان وأقاربه الأدنون إلاّ كلّ من يصادقه فى المودة ، فكلّ إنسان يصادقك فهو قريبك .

١٢- وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى ... وَإِنْ كَانَ لاَ يَخْفَى كَلاَمُ الْمُنَافِقِ

جائزة : قيل نافذة[3] ، وقيل : ممكنة .

يقول : دعوى المحبّة من غير معنًى ربما تجوز وتنْفُذُ ، وإن كان كلام المنافق لا يخفى عليك .

(١) ما بين المعقوفتين من التبيان .

(٢) يقول هذا حاثًّا على التغرّب وترك الأوطان ، وأن كل بلد وافقك فهو بلدك ، وكل أهل ودٌّ أصفوك ودهم أهلك .

(٣) أجاز رأيه. وجوزه : أنفذه . اللسان .

وكان جماعة من شيوخ بني كلاب جاءوا وطرحوا أنفسهم على سيف الدولة وتضرعوا إليه . لما قصد لهم فقال : هؤلاء يدَّعون حبك[1] وهذه الدعوى تنفذ منهم وإن كانوا منافقين في ذلك[2] .

وقيل : معناه أن الإنسان يمكنه أن يظهر المودّة بلسانه ، وقلبه على خلافه ، ولكنه لا يقدر أن يخفي نفاقه .

١٣–بِرَأْيِ مَنِ انْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى
وإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ ، وَإِسْخَاطِ خَالِقِ ؟

« مَنْ » استفهام ، وهو في موضع الجرّ بإضافة « رأى » إليه وعقيل[3] : قبيلة . والشَّمَاتَةُ : الفرح ببليّة العدوّ .

يقول : بتدبير مَنْ أظهرت عقيل عِصيَان سيف الدولة ؟ فإنه أوقعها في الهلاك ، وأشمت بها أعداءها ، وأسخط[4] خالقها .

١٤–أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ

يقول : قصدوا عليًا بالأمر الذي[5] يعجز الخلق عن إيقاعه به ؛ لأنهم أرادوا قتله والخروج من طاعته ، وذلك يعجز الناس ولا يقدر عليه أحد ، ولو أرادَ الجيشُ العظيمُ المجتمع الذي تضيق به الأرض لكثرته ، أن يفعلوا ذلك لقُتلوا دونه ، حتى تتسع الأرض ، وأراد بالمتضايق : المجتمع[6] .

---

(١) ق : « فقال يدعون وهذه الدعوى » .

(٢) في مقدمة الديوان ٣٨٣ : « وتلقته مشيخة بني كلاب . . . فطرحوا أنفسهم بين يديه وسألوه قبول تسليمهم إليه وسارت خيلهم معه . . . » إلخ . وانظر أيضا الواحدي يقول : « يعرض في هذا بمشيخة من بني كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين »

(٣) ع : « عقيل » مكانها بياض . وعقيل : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، منهم كان رؤساء الجيش الذين أوقع بهم سيف الدولة .

(٤) ق : « وأسخطت » .

(٥) بعد ذلك في ق : بياض ، وفي ع : « الذي بعيراه كونه » .

(٦) في الواحدي وتابعه التبيان يقول : قصدوك بما يعجز الناس ذلك . وهو العصيان . يعني=

١٥–فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ وَلاَ حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ

يقول : بسطوا أيديهم إلى من يقطعها ! وحملوا رءوسهم إلى من يشقّها .

يعنى : لمّا كان آخر أمرهم ذلك ، كانوا كأنهم بسطوا أيديهم للقطع ورءوسهم [٢٦٤ – ب] للشق[1] .

١٦–لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لاَحِقِ

يقول : كان يتم إقدامهم لو صادفوا من هو مثْلهم ، فلما أقدموا عليك أسرْتهم ، فلولاك لكان يتم ما أرادوه ، وكان يمكنهم الهرب لو هربوا منك ، فلما لاحقهم لم يمكنهم الهرب منه[2]

١٧–وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَغَوْا بِهَا رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ

كعْب : اسم قبيلة[3]

يقول : لمّا كساهم سيفُ الدولة ثياب إنعامه ، وكفروا إحسانَه ، خرّق عنهم تلك الثياب بممزِّق من سنان ، يعنى أنهم لما جحدوا نعمه أزالها عنهم وقتلهم ، وتلك نعمة عليهم .

١٨–وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِى كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِى غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ

البوارق : جمع بارقة ، وهى السّحابة التى فيها برْق ، وهذا مثْل الذى قبْله .

يقول : أنشأ عليهم سحائِب إحسانه وسقاهم غيْث امْتنانه ، فلمّا جحدوا فضْله

= أنه لا يقدر أحد على أن يعصيك ، فإن ذلك يعجز الناس ، ويكثر قتل الجيش الكثير . يقال أوسعته الشيء : أى أكثرت له منه .

(١) ع : « ورءوسهم للشق » مهملة .

(٢) يريد أنهم لم يُؤتَوا من ضعف فى حربهم ولا من تقصير فى هربهم ولكن لم ينفعهم الإقدام ولا الهرب أمامك أنت .

(٣) يريد أولاد كعب بن ربيعة . التبيان .

أمطر عليهم من سحائب غير تلك السحائب، يعنى أتاهم من عسكره فى مثل السحائب البارقة فصب عليهم صواعق الانتقام، وأزال عنهم غيث الإنعام[1]

١٩–وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَازِمٍ
كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ

يقول : إن كان الحِرمان ممّن جرت عادته به لا يوجع المحروم ، كما يوجع إذا كان ممّن جرت عادته بالنِّعم والامتنان .

٢٠–أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ

حشوَ : نصب على الظرف أو الحال ، والهاء فى « بها » للخيل المضْمرة التى يدلّ عليها ذكْر الجيش ، والحملاق : باطن الجفن ، والحمالق : أصلها الحماليق فحذفت الياء ضرورة[2]

يقول : أتاهم سيف الدولة بالخيْل وسط الغُبار والرماح ، وحوافرها تنثر الغبار فيدخل فى عيونها وعيون فرسانها .

٢١–عَوَابِسَ حَلَّى يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ[3]

عوابسَ : [نصب] على الحال أى أتاهم عوابس . وحلَّى : من التَّحْلية . والحُزْم : جمع الحزام ، وأراد بيابس الماء : عَرَقها .

يقول : قصد إليهم بالخيل وقد عبست وجفّ عرقها على حُزمها فابيض فصار كأنه حُلِيّ من فضة ، وأشبهت الحزم على أوساطها المناطق[4] المحلاّة بالفضة .

وقيل أراد به الماء الحقيقى .

---

(١) أى استعار البرق للنعمة والنقمة أيضًا .

(٢) ليقيم الوزن .

(٣) ع « كالمنافق » تحريف والمناطق : جمع منطقة وهى ما يشد به الوسط .

(٤) ق ، شو : « بالمناطق » شبه حزمها وقد ابيضَّ العرق عليها بالمناطق المحلاة بالفضة .

والمعنى : أنه قصدهم فى الشتاء وخاض بها الأنهار فجرى الماء على حُزُمها مثل الحلىّ فى المناطق .

٢٢–فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَاءِ يَرَى(١) خَلْفَ تَدْمُرٍ
طِوَالَ الْعَوَالِى فِى طِوَالِ السَّمَالِقِ

أبو الهيجاء : والد سيف الدولة . وتَدْمُر : مدينة على طرف السّماوة من ناحية الشام . يقال : إنها من بناء سليمان عليه السلام(٢) . والسمالق : جمع السَّمْلق ، وهى الأرض البعيدة الأطراف . وقيل : السمالق : الطرق البيض .

يقول : ليت والده رآه وقد هزم عقيلاً وطردها بالرماح فى هذه النواحى ؛ ليفرح وتقرّ به عينُه .

٢٣–وَسَوْقَ عَلِىٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا قَبَائِلَ لاَ تُعطِى الْقُفِىَّ لِسَائِقِ

[٢٦٥ – ا] القُفِىّ : جمع القَفَا(٣) . واللام فى قوله : « لسائق » زائدة كقوله تعالى : (رَدِفَ لَكُمْ)(٤) وسَوْقَ : عطف على قوله : « طوالَ العوالى »

يقول : وليته رأى سَوْقَ ابنه قبائلَ العرب من مَعَدٍّ وغيرها ، ممن كان لا ينهزم لأحد ولا يوليه قفاه(٥) .

٢٤–قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلاَنِ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِى أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ

هما قبيلتان ، وبَلْعجلان : أراد بنى العجلان ، فحذف النون ، كما قالوا [فى بنى الحارث] بلحارث . وأما إذا أرادوا إدغام النّون فى اللام فلا يمكنهم ، لسكون

(١) ق . شو : « رأى » .

(٢) انظر فى هذا الخبر معجم البلدان .

(٣) وذلك كعصىّ وعصا . ويجمع فى القلة على « أقفاء » كرحى وأرحاء وقد جاء « أقفية » على غير قياس . لأنه جمع ممدود مثل سماء وأسمية .

(٤) سورة النمل ٢٧/٧٢ واللام زيدت للتوكيد .

(٥) ق : « قفا » بدل : « قفاه » .

اللاّم ، فعدلوا إلى الحذف لتعذر الإدغام[١] ، والنون من « بَلْعَجْلاَنِ » مكسورة لأن الاسم مجرور بالإضافة .

وحكى ابن جنى [عنه] أنه[٢] كان يضمه[٣] ذهابًا إلى أن الاسمين صارا اسمًا واحدًا .

والألثغ[٤] : الذى يميل بالراء إلى اللام ، والمعنى : أن هاتين القبيلتين مع كثرتهما قد خفيتا فى جملة القبائل كالرَّاءيْن فى لفظ الألثغ فى خفائهما بغيرهما من الحروف .

٢٥–تُخَلِّيهِمُ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ وَهُمْ خَلُّوا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ

الْفَوارِك : جمع فارك ، وهى التى تُبْغِض . و « غيرَ » فى الموضعين نصب على الحال .

يقول : شتَّتَ سيف الدولة جمْعهم ، حتى خلَّت النساء أزواجهن ، لا للبغض والطلاق[٥] !

٢٦–يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبيْنَهَا بِطَعْنٍ يُسَلِّى حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ

الهاء فى « بينها » للنّسوان .

يقول : إن سيف الدولة كان يفرّق بين الأبطال ونسوانهم بطعن ، لو أصاب العاشق أنساه حَرُّهُ حرارَةَ العشق الذى فى قلبه ، وسلاّه عن العشق .

وقيل : معناه أنه كان يقتل بالطعن الذى إذا حل فى العاشق أنساه عشقه .

---

(١) ذكر ابن جنى أن حذف النون لمشابهته اللام . انظر الواحدى وهامش الديوان ٣٨٨ .

(٢) أنه : أى المتنبى

(٣) وبه رواية الديوان .

(٤) اللثغة : تحول اللسان من حرف إلى حرف آخر كأن يجعل السين ثاء أو الراء غينًا فهو ألثغ وهى لثغاء . انظر اللسان .

(٥) يشير إلى الفرار وأن خيل سيف الدولة غلبتهم على حريمهم وحالت بينهم وبين نسائهم .

٢٧–أَتَى الظُّعْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ   مِنَ الْخَيْلِ إِلاَّ فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ

الظُّعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مادامت فى الهَوْدج . وروى : « أتى الطّعن » بالطاء . والرشاش : ما تطاير من الدّم . الواحدة رشاشة : والعواتق : النساء الأبكار ، الواحدة عاتق .

يقول : إن سيف الدولة ألجأهم إلى رحْلهم والتّوارى فى خدُور العوَاتِق ، واقتحم عليهم بخيْله وسط نسائِهم ، وكانت الخيل تطْعنهم فيطير الدم فى نحور العواتق[١] .

وفى رواية الطاء : طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم ، فهذا معنى إتيان الطعن حتى يَطير رشاشُهُ فى نحور النساء .

٢٨–بِكُلِّ فَلاَةٍ تُنْكِرُ الإِنْسَ أَرْضُهَا   ظَعَائِنُ حُمْرُ الْحَلْيِ حُمْرُ الأَيَانِقِ

المعنى : أنهم فرّوا بنسائِهم إلى كل فلاة لم يطأْها الإنس قبلهم ، وكانت فيها نساء حمر الحلْى : أى أن حليُّهم ذهبٌ ، وأيانقهن[٢] حمرٌ ، يعنى : أنهن نساء ملوك وأرباب نعمة .

وقيل : أراد بقوله . « حمر الحَلَى » أنهن مختضباتٌ بالدماء التى ترششت عليهن من رجالهن[٣] فى نحور العواتق .

٢٩–وَمَلْمُومَةٌ   سَيْفِيَّةٌ   رَبَعِيَّةٌ   تَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ

أى كتيبة مَلْمُومَةٍ : وهى المجتمعة . وسيفيَّةٍ : منسوبة إلى سيف الدولة ؛ لأنهم جنده [٢٦٥–ب] وأصحابه . وقوله : ربعية : منسوبة إلى ربيعة : يعنى هم من

---

(١) خص العواتق ، لأنهن أحق بالصون والحماية .

(٢) الأيانق : جمع ناقة . يقال : ناقة ونوق وأيانق ونياق وأينق . وخص النوق الحمر لأنها نوق الملوك وذوى اليسر .

(٣) ع : « ترششت عليها من رجالها »

بنى ربيعة ليس فيهم غيرهم وإنما هم قومه وبنو عمه . واللقالق : جمع لقلق[١] وهو طائر معروف . وفاعل تَصِيح : هو الحصى . وروى : « يصيح الحصى » أى الململمة تحمله على الصياح . والهاء فى « فيها » للفلاة .

يقول : إن هذه الململمة إذا سارت فى الحصى حكى وقع حوافرها فيه ، صوتَ اللّقالق .

وقيل : معناه أنها قد لبست التجافيف والدروع ، وإذا وقعت حصاة عليهم طنَّتْ فى الحديد والدّروع ، فأشْبهت صياحَ اللقالق . و « ململمة » عطف على قوله « ظعائِن »[٢] يعنى أنهم فروا بظعائِنهم إلى الفلوات ، وسار سيف الدولة فى طلبهم بخيله ، وكان فى كل فلاة ظعائنهم وخيل سيف الدولة تطلبهم . وهذا التشبيه من قول الشاعر :

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِيهَا وَفِيهِمُ صِيَاحَ بَنَاتِ الْماءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعًا[٣]

٣٠- بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةُ بَيْنَ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلاَمِقِ

هذا من صفة الململمة .

يقول : هى بعيدة أطراف القنا من أصوله . يعنى طويلة الرماح فأطرافها بعيدة من أصولها ، وهى قريبة بين البيض : أى مجتمعة مزدحمة . والبيض[٤] : الذى على رءوسها يمسّ بعضها بعضًا بتراحم الخيل . وهى غُبْرُ اليَلاَمق : أى أن الغبار قد علاها . واليلامق : جمع يَلْمَقُ ، وهى جبّة يكثر حشوها وتُضْرَب وتلبس مثل الجوشَنْ . وربّما يجعل فيما بينها دروع .

---

(١) اللقلق : طائر طويل العنق ويكنى عند أهل العراق بأبى خديج ، وربما قالوا « اللغلغ » ويجمع على « اللقالق » وصوته « اللقلقة » وكذلك كل صوت فيه حركة واضطراب ، ويوصف بالفطنة والذكاء .

(٢) فى قوله : ظعائن حمر الحلى حمر الأيانق .

(٣) نسب إلى المثلم بن رباح المرى ضمن شعر له فى الحماسة ١٣١ وهو شاعر جاهلى . المرزبانى ٣٨٦ وفى محاضرات الأدباء ١٦٨/٢ نسب إلى هلال المازنى . شاعر إسلامى وكذا فى شرح البرقوقى ٣٦٥/٤ وغير منسوب فى الوساطة ٤٠٣ وفيها : « أمسين جوعا » والتبيان ١٥٨/٤ وفيه : « فينا وفيهم » .

(٤) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تكون على الرأس .

وقيل : اليَلْمَقُ[1] : القَبَاء ، وإنما مدح بطول الرّماح ؛ لأنّ تمام الفروسية بحسن استعمالها .

وقوله : « غُبْر اليَلاَمِق » كان الوجه « غَبْرَاء اليَلاَمق » كقوله قريبة وبعيدة ، ولكنه حمله على المعنى ؛ لأنّ الكتيبة جماعة ، والأولَيَان محمولة على اللفظ .

وقيل : ردّه إلى كل جزء من الكتيبة ، كما يقال : امرأة واضحة اللّبَاب .

٣١- نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبْتَغِي إلاَّ حُمَاةَ الْحَقَائِقِ

حُماة الْحَقائِق : هم الشجعان الذين يحمون ما يحق حمايته[2] . والهاء فى « نهاها » و « أغناها » للملمومة . وفاعل « تبتغى » ضميرها أيضًا .

يقول : إن سيف الدولة نهى الكتيبة عن الإغارة وأغناهم بجوده عن الاشتغال بالنهب ، فهم لا يلتفتون إلى الأنهاب والأسلاب ، وإنما قصدهم الأبطال والفرسان الحامون للحقائق .

٣٢- تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ

السّوْرة : الوثْبة . وقيل : هى الحرب هاهنا . والمتْرَف : المتنعّم . والسُّرَادق : ما أحاط بالخيمة مثل السور . والهاء فى « توهمها » ضمير الحرب ، وقيل : ضمير السورة . وتذكّره[3] : تفسير لها .

يقول : ظن الأعرابُ أنّك إذا سرتَ خلفهم تعبْت ، وأن سَوْرتَك مثْل سوْرة كلّ متنعّم ، لا يصبر على الحرّ ، فإذا حصل بالبيداء تذكّر لين العيش ، فتركهم وانصرف .

٣٣- فَذَكَّرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةَ غَبَّرَتْ سَمَاوَةُ كَلْبٍ فِي أُنُوفِ الْحَزَائِقِ

---

(١) وقيل اليلمق : الثياب المحشوة من الحرير فوق الدروع . وقيل : هو القباء وأصله بالفارسية « يلمه » . راجع المعرب ٤٠٣ واللسان « لمق » .

(٢) يريد : الشجعان الذين يحمون حريمهم .

(٣) ق ، مو : « والمذكورة » .

فذكرتهم بالماء : الباء فيه زائدة ، أي ذكرتهم الماءَ [٢٦٦ - ا] . والسَّماوة : مفازة بين الشام والعراق ، وأضافها إلى بني كلب لأنَّهم ينزلونها ، وهي أصعب البريّة . وغبَّرت : أي ركب عليها الغبار . والحزائق : الجماعات والواحد حزيق وحزيقة .

يقول : إنهم توهموا أنك لا تصبر على البادية فتنصرف سريعًا ، كما يفعل كل مترف فكذَّبتَ ظنونَهم وطردتَهم ، حتى إذا بلغوا السَّماوة ، وثار غبارُها فدخل في أنوف جماعتهم ، عطشوا فتذكروا الماء من شدة ما لحقهم من العطش .

٣٤- وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبْتَ الْغَلاَفِقِ

يَرُوعون : أي يُفزِعون . وبَدَوْا : أي صاروا أهل البادية وسكنوها . والغلافق : جمع الغَلْفَق وهو الطُّحْلَب ، وقيل : هو ما نبت في الماء مثل الطُّحْلَب[(١)] .

يقول : كانوا يخوِّفون الملوكَ بنزولهم في البادية ، وبأن الملوك لا تصبر على الماء كما لا تصبر الغلافق .

٣٥- فَهَاجُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلاَ مِنْ نُجُومِهِ وَأَبْدَى بُيُوتًا مِنْ أَدَاحِي النَّقَانِقِ

الهاء في « نجومه » يعود إلى لفظ « الفَلاَ » ويجوز « نجومها » فيكون راجعًا إلى المعنى ؛ لأنها جمع الفلاة . و « هاجوك » : أي هيَّجوك . وموضع « أهدى » نصب على الحال . « وأبْدَى بُيوتًا » : أي أدخل في البَدْو بيتًا من النعام ، « فأبْدى » : من البادية . و « أَدَاحِي » : جمع الأُدْحِيَّة ، وهي موضع بيض[(٢)] النعام . و « النَّقَانِق » : جمع نِقْنِق وهو ذكر النعام .

---

(١) الغلفق : خضرة على رأس الماء المزمن وهو الطحلب أو هو نبت ينبت في الماء ورقه عراض . معجم أسماء النبات ٩٣ ، ١١٥ .

(٢) ق ، شو : « بيت » والأدحية أو الأدحوة : موضع بيض النعام وتفريخه . ويقال للنعامة : بنت أدحيَّة .

يقول : هيَّجُوكَ للحرب ، وأنت عالمٌ بالفلوات وأكثر اهتداء من النجوم ، وكنتَ أدخل فى البادية بيتًا من النقانق[١] .

وقيل : إن قوله « أبدى بيوتًا » : أى أظهر بيوتًا ، ومعناه : كنت فيها أظهر بيوتًا من النقانق ؛ لأن بيوتها تكون ظاهرة غير خفية .

٣٦- وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ وَآلَفَ مِنْهَا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ

الودائق : جمع الوديقة ، وهى شدة الحرّ . ويجوز « أمْوَاهها » و « ضِبابها » ردًّا إلى معنى الجمع . والهاء فى « منها » للضباب . « وأصبر » « وآلف » نصب على الحال ، عطفًا على قوله : « أهْدَى فى الْفَلاَ » « ومُقْلَةً » نصب على التمييز.

يقول : كنتَ أصبر فى الفلوات عن الماء من الضِّباب ؛ لأنها تتبلّغ بالنّسيم عن الماء ، وكنتَ آلف للحرّ من الضِّباب ، ومقلتك أكثر إلفًا للحر من مقلة الضّباب[٢] .

٣٧- وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا مُهَلَّبَةَ الْأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ

« الهدير » : صوت الفحل الهائج . « المهلبة »[٣]: مجذوذة الأذناب ، والهُلْب : شعر الذَّنب و « الشَّقَاشِق » : جمع الشَّقْشقة ، وهى ما يُخرجه الفحل[٤] من فمه شبه الرئة ، والفحل إذا هاج شُدَّ ذَنَبُه فيسكن عند ذلك ويُذَلّ ، فالمهلبة : هى المشدودة الأذناب .

وقيل : إن الفحل الهائج إذا نتف ذنبه سكن . فالمهلبة : المنتوفة الأذناب على المعنيين اللَّذَين ذكرناها ، فسكتتْ وخرست شقاشقها : أى انقطع هديرها .

---

(١) لأن النعام يتخذ الحشيش ، ويجعل بعضه على بعض ، ويقصد به أقصى الفلاة فيبيض عليه . الواحدى ٥٦٥ والتبيان ٣٢٨/٣ .

(٢) قالت العرب : « لا أفعله حتى يرد الضب » ؛ وذلك لأن الضب لا يرد الماء . ويقال : إنه يبول فى كل أربعين يوما بولة ، ويغتذى بالنسيم ، ويعيش ببرد الهواء وذلك عند هرمه . انظر حياة الحيوان للدميرى .

(٣) ق ، شو : « المهلبة » ساقطة .

(٤) المراد بالفحل : ذكر الإبل .

قال ابن جني : المعنى كأن فعلهم من طغيانهم كهدير من فحول هاجت ، فانتدب لها فحل أصعب منها فهربت منه وولته أذنابها ، [٢٦٦ – ب] فهلبها : أي أخذ شَعْر أذنابها فنتفها وسكَّن هديرها .

٣٨–فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً وَلَكِنْ كَفَاهَا الْبَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ

فَمَا حَرَمُوا : أي ما منعوا خَيْلَك . نصب لأنها المفعول الأوّل بحرموا . وراحةً : المفعول الثاني والهاء في «كفاها» للخيل وهو المفعول الأول . وقَطْعَ : المفعول الثاني . والبَرّ : فاعل كفاها .

يقول : إنهم ما منعوا خيْلَك بالركض راحةً وماكلّفوها مشقّةً ، لأنها أبدًا لا تخلو من الحرب ، فلولا أنها لم تسر إليهم لغزت بلاد الروم ، وَعَلَتْ الجبالَ الشواهق ، والبَرّ أسهل عليها من الجبال .

٣٩–وَلاَ شَغَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ
عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ

الدّماسق : جمع الدُّمُستق[١] .

يقول : لم تكن رماحك مركوزة في الأرض ، فشغلوها عن الركز في الأرض بالطعن في قلوبهم ، وإنما حولوها عن قلوب الدّماسق إلى قلوبهم . يعني : لا راحة لخيلك ولا راحة لسلاحك[٢] .

٤٠–أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَى
وَيَجْعَلُ أَيْدِي الأُسْدِ أَيْدِي الْخَرَانِقِ

---

(١) الدماسق : جمع دُمُسْتق ، وقد حذفت منه التاء في الجمع وهو رسم اعجمي يتغير جمعه عن تفرده على عادة العرب في الأسماء الأعجميه ، انظر في ذلك التبيان .

(٢) في النسخ : « يعني : في الإراحة لخيلك لاراحة لسلاحك » ولايتفق وسياق الـ

المسْخ : تغيّر الصورة إلى غيرها . والخَرَانق : جمع الخِرْنق ، وهو الأرنب الصغير [١] .

يقول : أمَا خَافُوا سيف الدولة أن يمسخهم كما يمسخ أعداءه ؟ ! ويردّ أيدى الأسودَ منهم إلى أيدى الخَرَانق فى القصر . والذلة والضعف ، يعنى : أن يجعل العزيز ذليلاً .

٤١–وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا
أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ

المارق : الخارج عن الطاعة . والهاء فى « عاينوه » للمسْخ ، وفاعل « أرى » ضمير سيف الدولة .

يقول : أما خافوا مسْخه ؟ ! وقد شاهدوا سيف الدولة كيف مسخ أعاديه من غيرهم ! فكان سبيلهم أن يرتدعوا بغيرهم ، وسيف الدولة إذا مَرَق واحدٌ من طاعته صَرَعه وقتله ، وأَرَى مارقًا غيره مصرعَ الأول ليحذَر منه ويتّعظ به ، ومثله قول أشجع [٢] :

شَدَّ الْخُطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِى لَمْ يُخْطَمِ [٣]

٤٢–تَعَوَّدَ أَلاَّ تَقْضَمُ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلاَئِقِ

العلائِق : المخالى التى يجعل فيها الشَّعِير ، وتعلّق على الدّابة .

قال ابن جنى : سألت المتنبي عن معناه فقال : الفرس إذا علّقت عليه المخلاة

(١) وقيل : هى الإناث من أولاد الأرانب . الواحدى .

(٢) هو : أشجع بن عمر السلمى ، شاعر فحل ، كان معاصرًا لبشار بن برد ولد باليمامة وانتقل إلى الرقة واستقر ببغداد مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقر به من الرشيد فأعجب الرشيد به فأثرى وحسن حاله وعاش إلى ما بعد وفاة الرشيد ورثاه . مات سنة ١٩٥ الأغانى ٣٠/١٧ – ٤٤ والشعر والشعراء ٣٧٣ وخزانة الأدب ١٤٣/١ ومعاهد التنصيص ٦٢/٤ وطبقات ابن المعتز ٢٥١ .

(٣) الوساطة ٣٦٩ وديوان المعانى ١٤٥/١ وزهر الآداب ١٤٢/٤ والواحدى ٥٦٦ وشرح البرقوقى ٨٥/٣ وبغير منسوب فى التبيان ٣٣٠/٢ وفيه « لا يخطمُ » .

طلبت موضعًا مرتفعًا يضعها عليه ، ثم يتناول منها ، فخيل سيف الدولة أبدًا إذا علقت عليها علاتقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم ! لكثرة هاماتهم .

وقد قيل : إن هذا يؤدي إلى أن تكون الخيل هُجْنا قصار الأعناق ؛ لأن الفرس العتيق لا يضع مخلاته على شيء لطول عنقه .

واعتذر عنه فقيل : إن رءوس القتلى قد كثرت حتى غطّت وجه الأرض ، فالفرس لا يضع مخلاته – إن وضعها – إلا على رءوس القتلى ؛ وكثر ذلك حتى صار عادة لها ، ولم يفعل ذلك لأنه كان يحتاج إليه لقصر عنقه [٢٦٧ – ا] .

٤٣–وَلاَ تَرِدُ الْغُدْرَانَ إِلاَّ وَمَاؤُهَا مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ

الشقائق : يقال له الشُّقِر[1] ، وهو اسمه الأصلي ، وإنما سمي الشُّقِر شقائق بمنبته ، والشقائق : جمع شقيقة ، وهي كل أرض مستطيلة تشق بين الرَّمْلين . وقيل لها : شقائق النعمان ؛ لأن النعمان مرّ على شقائق فيها هذا النَّور فأعْجبَه فحماه ، ولم يدع أحدًا يرعى تلك الشقائق ، فأضيفت إليه[2]

يقول : تعودت خيله ألا ترد لشرْب الماء إلا الغدران الممزوجة بالدماء . شبّه خضرة الماء تحت الدم بالريحان تحت الشقائق . وقيل : أراد بالرّيحان الطّحلب ومعناه : أن حمرة الدم تعلو خضرة الطُّحلَب . وأخذ هذا المعنى بعضُ المتأخرين ونقله إلى وصف سيفٍ فقال :

وَيَلُوحُ فِي وَرَقِ النَّجِيعِ فِرِنْده كَالْمَاءِ تَحْتَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ

٤٤–لَوَفْدُ نُمَيْرٍ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الْوَسَائِقِ

الوسائق : جمع الوسيقة ، وهو ما يُطرَد من الوحْشِ عند الصّيد .

---

(١) الشقر : جمع شقرة ، نبت أحمر ينبت في الرمل . النبات ١٣٢ . وذكر أبو حنيفة الدينوري أن بعض العلماء يسمي الشقائق : الشَّقِر ، والواحدة شقرة ولها ريح ذفرة توجد في طعم اللبن .

(٢) ذكر الزبيدي أن النعمان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشقر الأحمر فاستحسنها وأمر أن تحمى فقيل للشقر شقائق النعمان بمنبتها ، لا أنها اسم للشقر . معجم أسماء النبات ٨٣ .

يقول : بنو نمير[١] كانوا أرشد منهم رأيًا حين فرّوا بنسائهم ، وبعثوا وفودَهم إليه يسألونه العفو ، ولم يَقِفُوا لك ، كما فعلت عُقَيل .

٤٥–أَعَدُّوا رِمَاحاً مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ

الغَرْب : الحد .

يقول : جعلوا[٢] خضوعهم إلى سيف الدولة رماحًا لهم ، طعنوا بها الجيش ، وردُّوا بها حدّته عنهم .

٤٦–فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُخَاتِلٍ وَأَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقِ

يقول : لم أر أَرْمَى منك غير مخادع . يعنى أنك لا تخادع أعداءك ، ولا تسرى إليهم سرًّا ، بل تجاهر بالطلب وتواجه بالرّمى[٣] .

٤٧–تُصِيبُ الْمَجَانِيقُ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ الْبَنَادِقِ

قِسِيّ البَنادق : ما يستعمله أهل العراق فى رمى الطيور ويسمونه : الجُلاَهق[٤] . والبنادق : جمع بُنْدقة ، تعمل من الطِّين بقدر البندقة ، وترمى بها الطير . وقيل : حجارة مستديرة كهيئة البندقة يرمى بها .

يقول : إن المجانيق[٥] تعمل بكفك عمل الجلاهق ، فيمكنك أن تصيب بالمِنْجَنيق المواضع اللطيفة الدقيقة التى لا يصيبها غيرك بقوس البنادق .

يعنى : أنه يتوصل بجيشه عند[٦] مجاهرة أعدائه إلى مالا يقدر غيره على التمكن منه بالختل والمخادعة .

---

(١) من قيس عيلان ، تلقوا سيف الدولة حين قصد إلى بنى عامر بن صعصعة وأظهروا له الخضوع فسلموا منه. التبيان ٢/٣٣١

(٢) الضمير هنا يعود إلى نمير . (٣) ع : « بالطل ولو واجهه بالرمى » تحريف .

(٤) فارسى معرب وهو الذى يرمى به الصبيان وهو الطين المدملق يرمى به عن القوس . المعرب ١٤٤ .

(٥) المجانيق : جمع مِنجَنيق وهو ما يرمى به على الحصون فى الحصار .

(٦) ق ، شو : « لجيشه عنه » تحريف .

(٢٢٩)

وقال أبو الطيب هذه القصيدة فى هذه السرية [يسترضيه على قبائل العرب المشار إليها] إلا أنّه لم يذكر[1] المنازل ولا وصف الوقعة ؛ لأنه لم يشهدها ، فشرحها له سيف الدّولة وسأله أن يصفها فقال[2].

١- طِوَالُ قَنًا تُطَاعِنُهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي نَدًى وَوَغًى بِحَارُ

الهاء فى « تطاعنها » لطوال القنا ، وأراد أصحابها .

يقول : إذا طاعنت أصحاب الرماح الطوال قصُرَت تلك الرِّماح فى أيديهم ؛ لأن أيديهم تضعف وترتعد عند لقائك ، فلا تعمل رماحهم فيك ، وكأنها مع طولها قصيرة ، والقليل من عطائك كثير بالإضافة إلى [٢٦٧ – ب] عطايا غيرك ، كالقطرة فى البحر ، وكذلك القليل من حربك كثير بالإضافة إلى حرب غيرك .

٢- وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أَنَاةٌ تَظُنُّ كَرَامَةً وَهِيَ احْتِقَارُ

الأناةُ : الحلم والرِّفق . والتَّأنِّى .

يقول : أنت حليم تتغافل عن المسىء ، فيظنّ المسىءُ وغيرُه أن ذلك لكرامته عليك ، وإنما هو لاحتقارك[3] إياه .

٣- وَأَخْذٌ لِلْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوَّدْهُ نِزَارُ

وأخْذٌ : عطف على قوله : أَنَاةٌ .

---

(١) ع : « لم يذكر » . ساقطة

(٢) الواحدى ٥٦٨ : « وقال يصف إيقاعه بهذه القبائل » . التبيان ٢/١٠٠ : « وقال لما أوقع سيف الدولة ببنى عقيل وقُشَير وبنى العجلان وبنى كلاب حين عاثوا فى عمله ، وخالفوا عليه ، يذكر إجفالهم من بين يديه وظفره بهم ، وله خبر طويل » . الديوان ٣٩١ : « وقال أبو الطيب هذه القصيدة فى هذه السرية لأنه لم يشهدها ، فشرحها له سيف الدولة وسأله أن يصفها فقال » . العرف الطيب ٤٦٨ .

(٣) ق ، شو : « احتقارك » .

يقول : فيكَ أخذٌ لأهلِ الحضر وأهلِ البدو ، سياسةً وشدة لم تتعود العرب مثله . ونزار (يجمع ربيعة ومضر ونحوهما) أكثر العرب ، فلذلك خصّهم بالذّكْر .

٤ – تَشَمَّمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إنْسًا وَتُنْكِرُهُ فَيَعْرُوهَا نِفَارُ

أراد : تَتَشَمَّمُهُ ، فحذف أحد التاءين ، والضمير فى « تَشَمَّمُهُ » يعود إلى الضبط . فيَعْروها : أى يظهر لها ، والهاء فى « يعروها » لنزار .

يقول : تتشمم نزار ضَبْطَه وسياسته كما يتشمم الوحش الإنْسَ فتهرب عند ذلك ؛ لأنها لم تتعود هذه السياسة .

٥– وَمَا انْقَادَتْ لِغَيْرِكَ فِى زَمَانٍ فَتَدْرِى مَا الْمَقَادَةُ وَالصَّغَارُ

المَقَادَةُ : الانقياد . والصَّغَار : الذّل .

يقول : إن نزار لم تنقد لأحد قبلك ، حتّى تعرف ما الصغار والانقياد .

٦– فَأَقْرَحَتْ الْمَقَاوِدُ ذِفْرَيَيْهَا وَصَعَّرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ

الذّفران : الجيدان المكتنفان للنُّقْرة حول القفا ، وقيل : هما العظمان الناشزان خلف الأذنين ، وأراد بهما الذَّفَارى ، فذكّر لما يكون للواحد ؛ لأن لكل واحد ذفرين ، فاكتفى بالواحد عن الجمع . وصعَّر خدها : أى أماله ، وأراد بالخدّ أيضًا : الخدود . وبالْعِذَار[١] : العُذُر . وفاعل أقرحت : المقاود . والهاءات لِنزَار[٢] . والمقاود : جمع مِقْود ، وهو الحبل تقاد به الدابة الصعبة الانقياد .

يقول : مازلْتَ تقودهم[٣] بالعذار والمقود الخشن ، حتّى تقرح ذفرياها وتصعَّر[٤] خدّها من ذلك العذار[٥] .

(١) المراد بالعذار هنا : ما يجعل على خدّ الدابة من الرَّسَن .

(٢) ق ، شو : « والهاء إن النزار » تحريف .

(٣) ع : من « الانقياد . . . تقودهم » ساقط وفى ق : بياض مكان « الانقياد » .

(٤) صعرَ خدها : أى أماله وجذبه إلى جهة لطاعة هذا العذار الذى وضعته على خدهم . الواحدى .

(٥) قال الواحدى : ويروى : « فأفرحت المقاود ذفرييها » بالفاء ، ومعناه أثقلت يقال أفرحه=

٧- وَأَطْمَعَ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهَا وَنَزَّقَهَا احْتِمَالُكَ وَالْوَقَارُ

ولم يصرف « عامر » لأنه جعلها اسماً للقبيلة. والهاء في « عليها » تعود إلى عامر والبُقْيا: اسم من الإبقاء، وهي المُسَامحة.

يقول: لما أبقيت على بني عامر طمِعَتْ فيك، فدعاها ذلك إلى الخفّة والطيش، حتى أقْدمتْ على محاربتك.

٨- وَغَيَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي وَأَعْجَبَهَا التَّلَبُّبُ وَالْمُغَارُ

التَّلَبُّب: التحزّم للقتال ولُبْس الأسْلحة. والمُغار: هو الإغارة على العدوّ.

وقيل: من الإغارة التي هي إحكام الفتْل فيقرب من التلبّب.

يقول: غيَّرها عن الطاعة تراسل بعضهم بعضاً، وشكوى سيف الدولة، فكان يشكو بعضهم بعضاً ما يعاملهم به، وقيل: معناه غيّرها عن الطاعة مراسلة سيف الدولة[1] إياهم متلطفاً، وكذلك شكايته أفعالهم، ظنُّوا أن ذلك عن عجْزه وأعجبها التحزّم للحروب والغارات، وطمعوا في ذلك من سيف الدولة، لما رأوا احتماله.

[٢٦٨ - ا] وقيل: معناه اغترّوا بتحزمهم ولبسهم الأسلحة وكثْرة الإغارة على الأعداء.

٩- جِيَادٌ تَعْجِزُ الأَرْسَانُ عَنْهَا وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ

جِيَادٌ: عطف على قوله: التلبّب والمُغَار، وقيل: هي مبتدأ والخبر محذوف[2]، أي لهم جياد.

يقول: أعجبها خيْل جيادٌ تعجز عنها الأرْسان؛ لكثْرتها فلا يوجد لها أرْسان تكفيها.

= الدين أي أثقله، ولعل ماذكره شارحنا هو الأصوب وإن كان الواحدي قد رواها تالية لما يقول.

(١) ق، شو: من: « سيف الدولة ... سيف الدولة » ساقط انتقال نظر.

(٢) وذكر صاحب التبيان أنها خبر والمبتدأ هو المحذوف.

وقيل : تعجز الأرْسان عن ضَبْطها ؛ لصعوبتها ، وكذلك أعجبها فُرْسان لا تسعهم الأرض لكثرتهم .

١٠- وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَاهَا نُفُوسًا فِي رَدَاهَا تُسْتَشَارُ

نفوساً : خبر كانت . واسمه ضمير القبيلة التي هي بني عامر .

يقول : كانت هذه القبيلة بإقامتهم على عصيانهم سيف الدولة كالمشيرين عليه[1] بقتلهم ، وكان هو يتوقف عن قتلهم ، فكأنّه كان هو كالمستشير في قتله إيّاهم[2] .

١١- وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهَا وَفِي الأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ

غِرارُ السّيف : ما بين حدّه إلى عَيْره[3] الناشز في وسطه . وقيل : هو الحدّ ، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين .

يقول : كنتَ قبل أن يعصوك ، سيفاً لهم قائمه[4] في أيديهم ، وحدّه في أعدائهم ، فلما عصوك انقلب حَدّه فيهم ومثله :

نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا[5]

ومثله لجعفر الحارثي[6] :

(١) في النسخ : « عليهم » .

(٢) قال ابن جني : كنت تتوقف عن إهلاكهم ، جريًا على عادتك في العفو والصفح ، فكانوا بمنزلة من يستشار في إهلاكه ، وكانوا هم بعتوهم وإقامتهم على غيهم ، كأنهم يشيرون عليك أن تقتلهم ، وأقام الردى مقام الإرداء ونقله الواحدي وصاحب التبيان .

(٣) في النسخ : « غيره » تصحيف والصواب ما أثبتناه فالعير : الخط الناشز في السيف طولا . اللسان .

(٤) ع : « قائماً » .

(٥) نسب في الحماسة رقم ٥ لجعفر بن علبة الحارثي وترجمته فيما يأتي وكذلك في تأهيل الغريب ٢٧٥ وغير منسوب في الإبانة ٦٠ وتفسير أبيات المعاني للمعري عند تناوله لهذا البيت .

(٦) جعفر بن عُلْبة بن ربيعه الحارثي ، شاعر مقلّ ، من مخضرمي الدولتين : الأمويه والعباسية ومن شعراء حماسة أبي تمام ، كانت إقامته بنجران ، خزانة الأدب ٣٢٢/٤ معاهد التنصيص ١٢٠/١ عيون الأخبار ١٩٣/١ .

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءَ سَحْبَلٍ (١) وَلِيَ مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ (٢)

١٢- فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ

البديّة والحيار : ماءان . وقيل موضعان . فالحيَار : قريبة من العمارة . والبدية : واغلة فى البرّية ، وبينهما مسيرة ليلة . وكان سيف الدولة بالحيار ، وبنو عامر بالبديّة (٣) .

يقول : كنت سيفًا لهم ، قائمة فى إيديهم ، فلما عصوك صار حدُّه فيهم وقائمه خلف الحيار .

وقيل : معناه أن قائمه كان خلف الحيار وشفرتاه بالبديّة : أى طال السيف إليهم حتى وصل من خلف الحيار إلى البديّة ، وإنما طال بطول باع حامله .

يصف بذلك سرعة وصوله إليهم .

١٣- وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبٌ فَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا

كعْب : مرفوع بالابتداء وخبره محذوف . أى حيْث كعْبٌ كائنةٌ (٤) . وكان سيف الدولة بالحيار ، فسار عنها يقصد البديّة ، فتلقاه مَشْيَخَةُ بنى كلاب فى الطريق ، واستأمنوه ، وقد كانوا مع كعْبٍ يدًا واحدة ، فخالفوهم وساروا مع سيف الدولة ، إلى بنى كعب .

فيقول : كان بنو كلاب مع كعب (٥) ، فخافوا أن يحلّ بهم ما حلّ بكعب من القتل ، فرجعوا إلى الطّاعة .

(١) سحبل : اسم موضع أضيف إلى البطحاء ولا يمتنع أن يكون المكان سمى به لاتساعه . شرح الحماسة ٤٩/١ .

(٢) ع : « ومنه ما ضمت الأنامل » والبيت فى الحماسة رقم ٥ وتأهيل الغريب ٢٧٤ وثمرات الأوراق ٢٧٤ والتبيان ١٠٢/٢ غير منسوب .

(٣) يقول صاحب التبيان : وكان الذين خالفوه ينزلون على هذين الماءين . ويقول الواحدى : وتخبط ابن جنى وابن فورجة فى تفسير البيت ولم يعرفا معناه . ونقل هذا صاحب التبيان .

(٤) وذلك لأن « حيث » لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٥) ق : « كانوا بنو كلاب كعب » .

١٤– تَلَقَّوْا عِزَّ مَوْلاَهُمْ بِذُلٍّ وَسَارَ إِلَى بَنِى كَعْبٍ وَسَارُوا

يقول : ذلّ بنو كلاب لِعِزّ مولاهم (وهو سيف الدولة) وانقادوا له فساروا معه إلى بنى كعب[1] [٢٦٨ – ب] .

١٥– فَأَقْبَلَهَا الْمُرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ ضَوَامِرَ لاَ هِزَالَ وَلاَ شِيَارُ

الهاء فى «أقْبلها» للخيل ، وأضمرها للعلم بها ، وأقْبلها : أى أجَازها وحوّلها نحوها . والمسوَّمَات : أى معلَّمات . والمروج : مروج سلَمْيَة . والهِزَال : جمع هزيل . وشِيَار[2] : جمع شَيِّر[3] ، وهو القرس السّمين الممتلئ من اللحم .

يقول : أقبل بخيله إلى المروج ، وهى مضَمَّرة ليست بهزيلة ولا سمينة ، بل كانت خفيفة اللحم لا من الهزال .

١٦– تُثِيرُ عَلَى سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًّا تَنَاكَرُ تَحْتَهُ لَوْلاَ الشِّعَارُ

تناكر : أى تَتَناكر . وسلَمْيَةَ[4] : موضع . مُسْبَطِرًّا : أى غباراً ساطعًا ممتدًّا .

يقول : أثارت الخيل غباراً بسلَمْيَة حتى ستر الشّمسَ وأظلم النّهارَ لامتداد الغبار ، فأنكر ما تحته[5] ؛ لشدّة الظّلْمة ، وإنما كانوا يتعارفون بالعلامات .

١٧– عَجَاجًا تَعْثُرُ الْعِقْبَانُ فِيهِ كَأَنَّ الْجَوَّ وَعْثٌ أَوْ خَبَارُ

عَجاجًا : بدل من مُسْبَطِرًّا . والوعْث : الأرض السهلة الكثيرة الرّمل . والخَبَار : الأرض السهلة التى فيها حجارة .

---

(١) ق : « إلى كعب » .

(٢) شيار : حسنة المناظر ، سمان .

(٣) شيِّر : وهو الحسن الجميل وهى من الشارة . والشوار : حسن الهيئة . والمعنى أن ضمرها ليس عن هزال . إنما هو عن تضمير وصنعة وقيام عليها فهى مصنوعة مضمرة . الواحدى واللسان .

(٤) موضع بين حلب والفرات وقد مر ذكره فى غير موضع .

(٥) ع : « لامتداد النهار لأنكر بعضهم تحته » تحريف . وعبارة الواحدى والتبيان : « ينكر الجيش تحته بعضهم بعضًا » .

يقول : صار الجو من كثرة الغبار وتكاثفه أرضًا ذات وعث وخَبَار[١] ، حتى إن العِقبان تعثر فيها ولا يمكنها الطَّيران .

١٨-وَظَلَّ الطَّعْنُ فِى الْخَيْلَيْنِ خَلْسًا كَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارُ

الخيلان : خيل سيف الدولة وخيل العدو ، وهم بنو كلاب[٢] . والخَلْس : الاختلاس . يصف الجيْشَ بالحذق فى الطعن .

يقول : لما التقى الخيلان تخالسوا الطَّعْن واختصروا الطَّريق إلى الموْت ، يعنى أنهم اقتصروا على الطَّعن والضَّرب ، فكأنَّهم اختصروا الحرب ، وحذفوا فضولها ، وقرَّبوا القتل على الأعداء ، فهذا اختصار الموت .

وقيل : إن معناه أن الموت كان يقلل من عَدَد جيش العدوّ بسرعة ، لأن الاختصار هو ردّ الكثير إلى القليل .

١٩-فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إِلَى قِتَالٍ أَحَدُّ[٣] سِلاَحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ

لزّهم : أى ألجأهم . والطِّراد : المطاردة .

والمعنى : ألجأهم القتال إلى الهرب . أحَدّ سلاحهم [فيه الفرار] [٤] يدفعون به القتل عن أنفسهم ، كما يدفع السلاح ، لمَّا لمْ يُمكنهم القيام لسيف الدولة .

٢٠-مَضَوْا مُتَسَابِقِى الأَعْضَاءِ فِيهِ لأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ[٥]

الهاء فى «فيه» ضمير الفرار والطِّراد .

يقول : مضوا منهزمين فكانت أعضاؤهم يسبق بعضها بعضاً فى الفرار ، فالرأس يترك جسْمَه ويتقدّم عليه ويتعثّر بأرْجل المنهزمين .

(١) أى أرضًا ذات رمل وحجارة .
(٢) ع ، شو : «العدو بنى كلاب» .
(٣) ق ، ع : «أشَدُّ» .
(٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٥) ع : «لأرجلهم بأرؤسهم عثار» .

أو كانت الرّءوس إذا أبينت تسقط على أرْجُل أصحابها فتعثر بها ، خلاف المعهود ، لأن المعهود أن تتعثر الأرجل لا الرّءوس .

والمعنى : أنهم وَلُّوا وتبعَتْ خيلُ سيف الدولة أدبارهم تضرب أعناقهم وتسقط رءوسهم على أرجلهم ، وهم ينهزمون ، فجعل ذلك سابقاً من أعضائهم فى الفرار .

٢١-يَشُلُّهُمُ بِكلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ

[٢٦٩ - ا] يَشُلُّهم : أى يطردهم . والأقبّ : الضّامر البطن . والنّهد : المشرف العالى .

يقول : يطردهم سيفُ الدّولة بكلِّ فرس ضامرٍ مرْتفع عالى ، لفارسِه خيارٌ على الخَيْل : يعنى يصرفها كيف شاء : إن شاء سبق ، وإن شاء لحق ؛ لجودة فروسيته .

وقيل : أراد بالخيار أنه يختار من يقتلهم ، فكأنّه يقتل القواد والكبار من أصحاب الخيل دون الأرْذال والحشْو .

٢٢-وَكُلُّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ

وكلٌّ : عطف على قوله : بكلِّ أقب . ويعْسِلُ : أى يضطرب . وجَانِبَاه : جانِب الزّج ، وجانب السّنان . وأراد بالكعبين : الكعبين اللّذَيْن فى عامل الرُّمح . قيل : أراد به الكعاب للرمح فعبر عنهما بالتّثْنية[(١)] . والمُمَار : المجْرى من أَمَرْتُ الدّم أى أجْريته ، فهو مُمَار[(٢)] ، ومَارَ ، فهو مائر[(٣)] .

يقول : يطردهم بكل فرس ضامر ، وكل رمح أصم لا تجويف فيه يهتز طرفاه ، وقد سال الدم على كعوبه .

٢٣-يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وِجَارُ

ثعلب الرمح : ما دخل منه فى السّنان . والوِجَار : بيت الثعلب[(٤)] بفتح الواو

(١) وهذا ما ذكره ابن جنى إذ يقول : يجوز أن يريد بالتثنية الجمع ؛ وهو كثير فى الكلام . الواحدى والتبيان . (٢) أمرت الدم : أسلته . ومار الشىء موراً : تحرك وتدافع اللسان .

(٣) ق : « فهو ما يريد » .

(٤) الوجار : بفتح الواو وكسرها بيت الضبع والثعلب ونحوها من الوحش . ولما كان اسم الداخل=

وكسرها . واللَّبة : المنحر .

يقول : هو يطردهم بكلّ رمح إذا التفت المنهزم لينظر هل وراءه أحد ، طعنه فى لبته حتى تصير لبّته لثعلب الرمح[1] بمنزلة الوجار للثعلب الذى هو الحيوان .

٢٤-إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضَّوْءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلاَنِ : لَيْلٌ وَالْغُبَارُ

يقول : إذَا زَال عنهم ضوء النّهار غطّاهم لَيْلان : أحدهما اللّيل المعروف ، والثانى ظلمة الغبار الموصوف .

٢٥-وَإِنْ جُنْحُ الظَّلاَمِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءَ الْمَشْرَفِيَّةُ وَالنَّهَارُ

جُنْح اللّيل وجِنْحه[2] : جانبه . وقيل : سواده. وانْجاب : انكشف .

يقول : إذا انكشف[3] الليل عنهم أضاء لهم نهاران : أحدهما النهار الحقيقى ، والثانى ضوء لمع السّيوف . وقد أتى النابغة بجميع ذلك فى بيت واحد فقال :

تَبْدُوا كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ نوراً بِنُورٍ وإظْلاَمًا بإِظْلاَمِ[4]

٢٦-يُبَكِّى خَلْفَهُمْ دَثْرٌ ، بُكَاهُ رُغَاءٌ أَوْ ثُؤَاجٌ أَوْ يُعَارُ

الرُّغَاء : صوت الإبل . والثُّؤاج : صوت الضّأن . واليُعَار : صوت الماعز . والدَّثْر : المال الكثير .

يقول : يصيح وراءهم مال عظيم من الإبل والضأن والماعز فكأنها تبكى .

٢٧-غَطَا بِالْعُثْرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى تُخَيِّرَتِ الْمَتَالِى وَالْعِشَارُ

= من الرمح فى السنان ثعلب ـ سمى مدخله وجارا ، لتجانس الكلام . الواحدى .

(١) ق : « كثعلب الرمح » . ع : « يصير لبته فى ثعلب الرمح » .

(٢) ع : « وخلخه » .

(٣) ع : من « انكشف . . . انكشف » ساقط انتقال نظر .

(٤) ديوانه ٢٢٢ وديوان المعانى ٢/٦٧ .

غَطَا يغْطو ، وغَطَّى يُغَطِّى بمعنًى[١] . والغُنْثُر[٢] : ماء . والمتالى : جمع متليَّة وهى التى يتلوها ولدها . والعِشَار : الحوامل التى أتى على حملها عشْرة أشهر والواحدة عشراء[٣] .

يقول : لما وصل سيف الدولة إلى هذا الماء أخذ أموال بنى كعب لما هربوا ، وغَطَّى بها البيداء وملأها ، حتى عجز الجيش عن سَوْقها ، فكان أصحابه يختارون نفائِسها وكرائمها وهى المَتَالى والعِشار .

وقيل : إنّ فاعل «غَطَا» هو ضمير الدَّثْر . والمعنى : أن المال غطّى بكثرته [٢٦٩ – ب] البيداء على هذا الماء ، حتى أخذ كرائمه .

٢٨–وَمَرُّوا بِالْجِبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا كِلاَ الْجَيْشَيْنِ مِنْ نَقْعٍ إِزَارُ

الجِبَاة : ماء ، أو موضع . والنَّقْع : الغُبَار .

يقول : انهزموا من سلَمْية ، ومروا بالجبَاة ، وخيْل سيف الدولة خَلْفهم[٤] فأحاط الغبار بهم جميعًا ، فكان العسكَرَان كأنهما فى إزار واحد ، وصار الغبار كالإزار المحيط بهم . ومثله للخنساء[٥] تصف عيرًا يطرد أتانًا :

يَتَعَاوَرَانِ[٦] مِنَ الْغُبَارِ مُلاءَةً بَيْضَاءَ سَاطِعَةً هُمَا نَسَجَاهَا[٧]

---

(١) وهو السَّتر والمواراة .

(٢) الغنثر : ماء هناك لما وصل إليه حاز أموالهم . وهناك رواية « عَثْيَر » بالعين المهملة وهو الغبار . انظر الواحدى .

(٣) ق : « عشرى » .

(٤) ع : « خلفهم » ساقطة وفيها « وأحاط » .

(٥) هى : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ينتهى نسبها إلى مضر . والخنساء لقب غلب عليها ولقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها بأشعر منها . وفدت إلى رسول الله ﷺ مع قومها من بنى سليم فأسلمت وكانت وفاتها فى زمن معاوية نحو سنة خمسين من الهجرة . لها ترجمة فى الأغانى ١٣٦/١٣ والشعر والشعراء ١٩٧ وخزانة الأدب ٢٠٧/١ ومعاهد التنصيص ٣٤٨/١ .

(٦) فى الأصول : « يتغادران » .

(٧) فى ديوان المعانى ١٣١/٢ قال : وقد أحسن عدى بن الرقاع فى وصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار فقال :

=

٢٩–وَجَاءُوا الصَّحْصَحَانَ بِلاَ سُرُوجٍ   وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْخِمَارُ

الصَّحْصَحَان: صحراء هناك. وأراد بالعمامة[1]: العمائم. وبالخِمَار: الخُمر[2].

يقول: انهزموا من الجباة وجاءوا الصَّحْصَحَان، وقد ألقوا سروجَهم لتخُفَّ دوابُّهم، وسقطت عمائمهم عن رءوسهم وخُمُر نسائهم.

٣٠–وَأَرْهِقَتِ الْعَذَارَى مُرْدَفَاتٍ   وَأُوطِئَتِ الأُصَيْبِيَةُ الصِّغَارُ

أُرْهِقَتْ: أى كُلِّفت أمرًا صعبًا. والأُصَيْبِيَة: تصغير صِبْيَة، وهى جمع الصبىّ فى القلّة.

يقول: أردفوا العذارى خلْفَهم وأتعبُوهنّ من شدة الركْض، وأوطئوا إبلَهم وخيلَهم صِبْيَانَهم الصِّغار[3]، لشدّة هربهم[4].

٣١–وَقَدْ نُزِحَ الْعُوَيْرُ فَلاَ عُوَيْرٌ[5]   وَنِهْيَا وَالْبُيَيْضَةُ وَالْجِفَارُ

= يتعاوران من الغبار ملاءة   بيضاء مخملة هما نسجاها

وفى حماسة ابن الشجرى ٢٧٦ : « بيضاء محكمة » لعدى بن الرقاع . وفى مجموعة المعانى ٢٠٣ لعدى بن الرقاع وكذلك فى التبيان ١٣٥/٣ وشرح البرقوق على التلخيص ٣٢٢ ومعاهد التنصيص ١٦٢/٢ وشرح البرقوق ٣١١/٣ وفى وساطة الجرجانى ٣٦٣ وفيها « هدباء سابغة » .وفى زهر الآداب ٦٧/٤ قيل للخنساء : لئن مدحت أخاك فقد هجوت أباك فقالت :

جارى أباه فأقبلا وهما   يتعاوران ملاءة الحُضْر

ثم عقب الحصرى فقال : وقول الخنساء أبدع استعارة وأبلغ عبارة . وقد قال عدى بن الرقاع :

يتعاوران من الغبار ملاءة   غبراء محكمة هما نسجاها

(١) ع : « صحراء هنالك معروفه بالعمامة » .

(٢) يريد أنه وضع المفرد موضع الجمع وهذا جائز .

(٣) يقول الواحدى : إن الصبيان الصغار لم يثبتوا على الخيل والإبل حال الركض فسقطوا ووطئتهم الخيل والإبل . . وترك ذكر الخيل والإبل للعلم بهما ، انظر الواحدى .

(٤) وقال ابن جنى : أوطئوا الخيل الصبية لأنهم لم يقدروا أن يحملوهم لشدة هربهم ، وأردفوا العذارى طلبًا للنجاة وحفظًا لهن . التبيان .

(٥) رواية الديوان والتبيان : « النُّوَير فلا غُوَير » وأما الرواية التى ذكرها فهى رواية ابن جنى والواحدى . ثم قال الواحدى ويروى « العوير » .

هذه كلّها أسماء مياه .

يقول : نزحوا هذه المياه لِمَا أصابهم من شدّة العطش حين مرُّوا بها .

٣٢–وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمُ دَمَارُ

تَدْمُر : مدينة على طرف السّماوة[1] . والمستَغَاث : الموضع الذى يلتجأ إليه . والدَّمَار : الهلاك .

يقول : لمّا لَمْ يجدوا فى هذه المواضع ماء اجتمعوا فى تَدْمُر ليدبِّروا رأيًا ، ولم يكن لهم موضع سواها يلتجئون إليه ، فلما نزلوا بها قصدهم سيف الدولة ، فدمَّرَ عاليهم فيها ، فصار اسمها موافقًا لهلاكهم ودَمَارِهم .

٣٣–أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْى فِيهَا فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْىٍ لاَ يُدَارُ

يقول : اجتمعوا فى تَدْمُر ، ليدبِّروا رأيهم ، فصبَّحهم سيفُ الدوّلة برأى لا يُتَوقَّف فيه ، لأنه لا يَرَى إلاّ ما يكون صواباً فى أول وهلةٍ ،

وقيل : أراد أنه يستبدّ برأيه ، ولا يرجع فيه إلى أحد ، ولا يعرض له ما يعوقه عنه .

٣٤–وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ

حار يحار حيرة[2] : إذا تحيّر . والضمير فى «حاروا» قيل : يعود إلى بنى كعب . وفى «فيه» إلى الجيش .

يقول : صبحهم برأى وجيش عظيم يغطّى الأرضَ كثرةً ، فمتى تحيَّر القومُ المنهزمون بأرضٍ تحيَّرت الأرض فى هذا الجيش ، لكثرته .

وقيل : «حاروا» للجيش و«فيه» لسيف الدولة ، والمعنى : صبّحهم بجيش كلما تحيّر هذا الجيش بأرض : إمّا لأنها تضيق بهم لكثرتهم ، وإمّا لسعتها فلا يهتدون فيها ، وإمّا لخشونتها ، ثم إذا أقبل سيف الدولة وجاء إلى الجيش أقبلت

(١) سبق التعريف بها . (٢) ق ، شو : «حار يحير حيرة» .

[٢٧٠ - ا] الأرض تتحيّر في سيف الدولة ؛ لعظم هيبته .

وقيل : «حاروا» فعل الجيش على المعنى . قيل : و«فيه» يعود إلى لفظ الجيْش . يعني : أن الجيش إذا تحيروا في هذه الأرض أقبلت الأرض تتحير في هذا الجيش لكثرته وزيادته عليها .

٣٥- يَحُفُّ أَغَرُّ لاَ قَوَدٌ عَلَيْهِ وَلاَ دِيَةٌ تُسَاقُ وَلاَ اعْتِذَارُ

يقول : إن هذا الجيش يَحُفُّ أَغَرَ : أي يحيط بهِ من جميع جهاته ، وإذا قَتَل إنساناً لا يُقْتَل بِهِ قَوَدًا[١] ؛ لعزّته ومنعته ، أو لأنّه لا يقتُله إلا بحقّ ، ولا يطالب أيضًا بديتَه[٢] ، ولا يعتذر عما فعله ؛ للوجهين اللّذَين ذكرناهما . وهو من قوله تعالى : (لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[٣]) .

٣٦- تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادِي وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ

المُهْجة : دم القلْب ، وهي النفس أيضاً . والدَّم الجُبَار[٤] : الباطل[٥] .

يقول : كلُّ دمٍ تريق سيُوفُه من دم الأعادي ، ذهب هدرًا لا يدرك له ثأر .

٣٧- فَكَانُوا الأُسْدَ لَيسَ لَهَا مَصَالٌ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ

المصَال : مصدر صَالَ ، والمطار : من طار .

يقول : إنهم كانوا أسودًا في أنفسهم بشجاعتهم وإقدامهم ، وكانت خيلهم كالطيور سُرْعة ، ولكن لمّا رأوْك تحيَّروا وتحيَّرتْ أفراسهم هيبةً لك ، فلم يكن لهم مصال[٦] مع كونهم أسوادا ، ولا لخيلهم مطار[٦] مع كونها في السرعة كالطير .

---

(١) القود : القصاص . اللسان . وفي ع : « قوادا » .

(٢) الدية : المال الذي هو بدل النفس . تعريفات الجرجاني ٩٥ واللسان (ودى) .

(٣) سورة الأنبياء ٢١/٢٣ .

(٤) ع : « الجبار » ساقطة .

(٥) يريد المال الذي لا قود فيه ولا دية .

(٦) ق : « مصالا » و « مطارا » والمصال : السطوة والقوة .

وقيل : المعنى أنهم كانوا قبل ذلك مثل الأسود ، والآن لما غضبْتَ عليهم ليس لهم مصال على [طير] [١] لضعفهم وقلتهم ، وليس لهم أيضا مطار ؛ لأنك قد أهلكتهم بالقتل والأسر . وأراد بالمصال على طيران الأفراس : كالطير لخفتها ، فكأنه قال : ليس لها مصال على غيرهم من الفرسان لضعفهم ، فشبه خيل المخالفين لهم بالطير .

٣٨–إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ

يقول : إن فاتوا رماحك ودخلوا البَرَّ هلكوا من العطش ، وكأنّ العطش رماح القفار ، قتلتهم بها .

٣٩–يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّامًا وَخَلْفًا فَيَخْتَارُونَ ، وَالْمَوْتُ اضطِرَارُ

يقول : قد أحاط بهم الموتُ من قدّامهم وخلْفهم فقدّامهم العطش ، ووراهم الرّماح ، فكانوا بين موتين ، فيختارون أحدَهما ، وإن هذا الموت ليس باختيار ، بل هو اضطرار .

وقيل : معناه يختارون أحد الموتين ، فأما الموت فهو نازل بهم لا محالة ولا محيص لهم عنه ، وإنما يختارون أحد الموتين .

٤٠–إذا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ فَقَتْلاَهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ

الهَادِي : الدليل ، وقيل : هو العارف بالطريق ، [وهو] فى معنى المُهْتَدى . والمنار : العلامات التى تبنى على الطريق ، ليهتدى بها ، والواحدة : منارة .

يقول : إنهم دخلوا السماوة فراراً من سيف الدولة ، وتبعهم فقتلهم فى كل مكان ، وبقيت جثثهم مطروحة على الطرق [٢٧٠ – ب] حتى لو سلك السّماوة من لا يهتدى فيها ، لكانت جُثَثُهم تدله على الطريق ، وتقوم له مقام المنار .

وقيل : أراد أنهم ماتوا عطشًا هناك وبقيت جُثَثُهم دالة للمارّ بها .

---

(١) ع : « مصال عليك » وما بين المعقوفتين عن الواحدى .

٤١–وَلَوْلمْ يُبْقِ لَمْ تَعِش الْبَقَايا وَفى الْمَاضِى لِمنْ بَقِىَ اعْتِبَارُ

يقول : لو لم يعف عنهم سيف الدولة لهلكوا عن آخرهم ، ولم يعش الباق منهم ، ومن بق منهم يعتبر حاله بحال من مضى [1] .

والماضى : هو المقتول ، والباق : الذى بق بعدهم .

٤٢–إذَا لَمْ يُرْعِ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ فَمَنْ يُرْعِى عَلَيْهِم أَوْيَغَارُ ؟!

أرْعَى فلان على فلان : إذا كف عنه ورقّ له .

يقول : إذا لم يرحمهم سيّدهم فمن الذى يرحمهم ويغضب لهم ؟!

٤٣–تُفَرِّقُهُمْ وَإيَّاهُ السَّجَايَا ويَجْمَعُهُمْ وَإيَّاهُ النِّجَارُ

هؤلاء من أصل واحد ، لأنهم جميعًا من نزار ، وسجاياهم متفرقة [2] . والنجار . الأصل .

يقول : خليقة سيف الدولة وخلائقهم [3] مختلفة ؛ لأن خليقة سيف الدولة الكرم والعفو [4] ، وخلائقهم العصيان والنّزق ، فبينهما فرق من هذه الجهة .

٤٤–وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرَكٍ وَعُرْضٍ وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ

الهاء فى « بها » للخيل . وأرَكٍ [5] وَعُرْضٍ : موضعان [6] . والرَّقّتان : مدينتان من ديار بكر .

يقول : لمّا فرغ من بنى كعب ، عطف بخيله على أهل أرَكٍ [5] وعُرْض ،

---

(١) أى فلا يعصيك أبدًا. الواحدى .

(٢) ع : « متفرقة » ساقطة .

(٣) ع : « خليقة سيف الدولة وخلائقهم » ساقطة .

(٤) ع : « أكرم » مكان « الكرم والعفو » .

(٥) ق ، شو : « أراك » .

(٦) قريبان من الفرات . التبيان .

وقُربَ من أهل الرَّقَّتين ، حتى لو شاء أن يزورهما بخيله ، لم يبعد عليه .

وقيل : مال بالخيل على أَرَك وعُرْض ، لطلب بنى كعب .

وقيل : معناه عدل بجيشه على أهل أرك وعرض ، مع بعدهما عن مقصده ؛ لأنه كان قد توجه إلى الرقَّتين[١] وأرك وعُرْض بعيدان عن الرقتين[١] .

٤٥–وَأَجْفَلَ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ وَزَأْرُهُمُ الَّذِى زَأَرُوا خُوَارُ

أجفل : أسرع هاربًا مذعورًا . والزأر والزئير : صوت الأسد . والخوار : صوت الثور .

يعنى : أن بنى نمير فرُّوا من الفرات ، خوفًا منه ، وكانوا قبل ذلك يزأرون كالأُسود ، ويُرعدون بالحرب ، فلما رأوه ذلوا وصار زئيرهم خُوارًا : أى بعد أن كانوا أسودًا فى الشدة صاروا مثل البقر فى الذلة .

٤٦–فَهُمْ حِزَقٌ على الْخَابور صَرْعَى بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمُ خُمَارُ

الحِزَق : جمع حِزْقة ، وهى الجماعة ، والخَابُور : موضع بقرب[٢] الموصل .

يقول : إن بنى نمير فرُّوا من الفرات ، ونزلوا الخابور صرْعَى من الخوف والكلال ، فصاروا كالموتى خوفًا من أن يسْرِى إليهم سيف الدولة ، وهم صرعى كأنهم مخمورون ، ورماحك كانت الشاربة[٣] ، فكيف أصابهم الخُمار[٤] دونها ؟!

وقيل : معناه أنهم بقوا هناك خائفين صرعى خوفًا من الممدوح ، فيهم خُمار : وهو الخوف والتقطّع من الكلال من شرب غيرهم ، وهو ما فعل ببنى كعب من القتل ، فخافوا أن يشربوا كأس الموت مثل ما شرب بنو كعب .

---

(١) فى النسخ « الرقتين » . ويعنى بهذا طلبه لبنى كعب فى كل مكان . الواحدى .

(٢) ع : « موضع بقرب » مكانها بياض وذكر صاحب التبيان أن الخابور من أعمال الرقة قرب الفرات . (٣) ع : « الشارب » .

(٤) وضموا الخاء من خمار لأنه جارٍ مجرى الأدواء كالصُّداع والزُّكام .

٤٧- فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُم بِالصُّبْحِ[1] مَالٌ وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارُ

يقول : هؤلاء كمنوا فى الخابور وحبسوا مالهم ، فلا يجسرون[2] على تسريح مواشيهم بالنهار ، خوفًا من الإغارة ، ولاعلى إيقاد النَّار بالليل ، خوفا من الدلالة [3]

وقيل : معناه ذهب مالُهم ، فلا مالَ يسرح لهم فى الصُّبْح ، وتقوَّضت خيامهم فلا نار لهم توقد بالليل .

٤٨- حِذَارَ فَتًى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ

حِذارَ : نصب لأنه مفعول له .

يقول : فعلوا ذلك خوفًا من فتى ، إن لم يرض عنهم لم ينفعهم الحِذَار .

٤٩- تَبِيتُ وُفُودُهُمْ تَسْرِى إِلَيْهِ وَجَدْوَاهُ الَّذى سَأَلُوا اغْتِفَارُ

يقول : وُفُود هؤلاء يأتون [4] سيف الدولة ، ولا يسألون من العطايا شيئًا إلا العفو عنهم والصفح عن إساءتهم .

٥٠- فَخَلَّفَهُمْ بِرَدِّ الْبِيضِ عَنْهُمْ وَهَامُهُمُ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ

مُعَارُ : من العارية [5] وهو مفعول عار .

يقول : لما ردَّ [6] سيوفه عنهم ، ترك رءوسهم عارية عندهم ؛ لأنها له متى شاء

(١) فى الواحدى والتبيان والديوان : « فى الصبح » .

(٢) ق ، شو : « فلم يجسرون » تحريف « لا » التى فى أول الكلمة .

(٣) يريد خوفا من أن يستدل بها عليهم .

(٤) ع : « وفد هؤلاء يأتون » . ق : « وقد هؤلاء يأتو » . والوفود : جمع وَفْد ، والوفْد : جمع وافد ، ويجمع الوفد : أوفاد ووفود ، والاسم منه الوفادة ، ووفد فلان على الأمير ، وأوفدته : أرسلته والوافد : القادم على أمير أو غيره ، ليطلب منه شيئًا .

(٥) العارية : ما تعطيه غيرك على أن يعيده لك . اللسان « عور » .

(٦) ق : « ردُّوا » .

أخذها منهم ، فكأنهَ لمَّا عفى عنهم أعارهم رءوسهم .

٥١–هُمُ مِمَّنْ أَذَمَّ لَهُمْ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسَبُ النُّضَارُ

أَذَمَّ لهم : أى صيّرهم فى ذمامه[1] والحسب : الشّرف . والنُّضَار : الخالص .

يقول : صيرهم فى ذمامه كرم الأصل وصحّة الحسب .

٥٢–وَأَضْحَى بِالْعَواصِمِ مُسْتَقِرًّا وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ

أى عاد إلى دار مملكته واستقر بها ، ونائله [2] لا يستقر بل يسير فى الآفاق . وينتشر فى البلاد .

٥٣–وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِى كُلِّ أَرْضٍ تُدَارُ عَلَى الْغِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ

يقول : سار ذِكْره فى الآفاق ، يُتحدث فى كل مجلس بفضائله ، ومتى أرادقوم شربَ الْخَمْرِ يغنِّى لهم الُمغنى بفضائله .

وقيل : معناه نُظِمت الأشعارُ بمدحه ، فإذا أراد الناسُ شرْبَ العُقَار [3] غنّى لهم المغنى بهذه الأشعار .

٥٤–تَخِرُّ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ وَتَحْمَدُهُ الأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ

يقول : إنه مَلِكَ رقاب العرب ، وتسجد له قبائلها ، وإن الرماحَ وشفارَ السيوف تحْمِده ؛ لأنه أعْلى قيمتها بكثْرة الاستعمال ، ولأنها تكون باعثة على حمده ؛ لأن من رأى طعنه وضربه بها حمده .

وقيل : عنى أصحابَ السيوف والرِّماح .

٥٥–كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَفِى أَبْصَارِنَا عَنْهُ انْكِسَارُ

---

(١) ق : «زمانه» .

(٢) المراد عطاياه ونداه .

(٣) العقار : من أسماء الخمر ؛ لأنها عاقرت الدنّ ، أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض . وقيل : لأنها عاقرت العقل . وقيل : شبهت بالعُقَار وهو نبت أحمر . انظر التبيان .

الهاء [فى] « فيه » لسيف الدولة ، وفى « عنه » للشعاع ، ويجوز أن يكون له أيضًا .

يقول : له من الهيبة والنّور ما لا يمكننا أن ننظر معه [١] إليه ، كما لا نقدر أن ننظر إلى عين الشمس [٢] ومثله قوله عنترة :

إذَا أبصرتْنِى أعْرَضَت عَنِى كَأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِى تَدُور [٣]

٥٦–فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَذَا عَلِىٌّ وَخَيْلُ اللهَ وَ الأَسَلُ الْحِرَارُ

الحِرار : العطاش ، واحدها : حَرَّى : كَغَضْبَى [٤] وَغِضَاب .

يقول : من أراد الحرب ، ولا يجد محاربًا [٢٧١ – ب] فهذا علىٌّ فليأته ، فقد رأيْتموه وجرَّبْتموه ، وهذه خيلُ الله ؛ لأنّه مجاهد بخيله ، وهذه الرِّماح العطاش إلى الدّماء .

٥٧–يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ بِأَرْضٍ مَـا لِنَـازِلها اسْـتِتَارُ

يقول : إنه يجاهر مَنْ يحاربه ، ويبرز إليه فى البيداء كما جاهر بنى كعب ، ولا يمتنع بِسورٍ .

وقيل : أراد أنه أبدًا يقطع المفاوز إلى الأعادى ولا يمكن لأحد[٥] أن يستتر

---

(١) ع : « معه » ساقطة .

(٢) قال صاحب الواضح فى مشكلات شعر المتنبى معلقا على هذا البيت : قال أبو القاسم . قول المتنبى ليس ينكشف به المعنى ولا ينشرح له الصدر . وهو مما استبشع منه . . . وأما بيت الحماسة :

إذا أبصرتنى أعرضت عنى كأن الشمس من قِبَلِى تدور

فهو فى المعنى مثله وفى اللفظ دونه . الواضح ٥٠ .

(٣) نسب إلى عنترة الأخرس أحد شعراء طيئ وفارس أيضًا . المؤتلف والمختلف ١٥٢ والبيت ضمن شعر له فى الحماسة رقم ٥٣ وعيون الأخبار ١١٠/٣ والوساطة ٣٧٩ وسمط اللآلئ ٤٥٢ ونسبه أبو سعيد العميدى فى الإبانة ١٥٩ إلى نصيح بن منظور الفقعسى ولم ينسب فى التبيان ١١٤/٣ وشرح البرقوقى ٢٩٣/٣ .

(٤) ق : « حرا لغضبان » وفى اللسان : فهو حران وهى حَرَّى .

(٥) ع : « إلى الأعداء ولا يمكن أحدا » .

عنه . والمعنى : يراه الناس بالعين التى رأته بها كعْب .

٥٨-يُوَسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طِلاَبُ الطَّالِبِينَ لاَ الانْتِظَارُ

فاعل « يُوسِّط » « طلابُ » . تقديره : لا انتظاره .

يقول : كل يوم يتوسط المفاوز فى طلب [1] الهاربين إليها من أعدائِه ، والنازلين بها ، لا أنه يهرب إليها [2] ويتحصن بها ، وينتظر من يقصده فيها .

وقيل : معناه أنّه يتوسط الفلوات لطلب المغيرين على الناس من أهل الفساد ، لاَ لاِنْتظار صيد يقع أو فرْصةٍ تنتهز .

٥٩-تَصَاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجاوِبَاتٍ وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ

السِّرار : المسارّة .

يقول : يخرج بخيله إلى المفاوز جاهرًا بها فى طلب الأعداء ، فهى تتجاوب بالصهيل ، ولا يمنعها الصهيلَ بالضرب [3] ، إذ ليس من عادتّها المسارة ، فهو يتركها مع عادتّها .

وقال ابن جنى : معناه كأنَّ بعض خيله يسرُّ إلى بعض شكيَّة [لما] يجشّمها [4] ن الحروب وقطع المفاوز ، فيجاوبها الآخر سرًّا .

قال : ويجوز أن يريد أن خيله مؤدّبةٌ معلمة فتصهل سِرًّا هيبة وإجلالا [5] .

---

(١) ع : « طلب » ساقطة .

(٢) ق : « إليها » مهملة .

(٣) ع : « من الصهيل بالضرب » .

(٤) ق ، شو : « شكاية بجسمها » ع « شكاية نحسبها » والمذكور عن نص الرواية فى الواحدى .

(٥) يقول ابن فورجة معلقًا على رأى ابن جنى : لفظ البيت لا يساعده على أحد القولين فإنه ليس فى البيت ذكر التشاكى ولا المسارة فى الصهيل ، ولكن المعنى : أنها تتصاهل من غير سرار وليس السرار من عادة الخيل ، أى أن سيف الدولة لا يباغت العدو ولا يطلب أن ينكتم قصده العدو لاقتداره وتمكنه والذى يطلب المباغتة والتستّر عن عدوه يضرب فرسه على الصهيل كما قال :

إذا الخيل صاحت صياح النسور حززنا شرا سيفها بالجِذَام

انظر لواحدى والتبيان .

٦٠- بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرتَ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إلاَّ السِّوَارُ

يقول : إنّ بنى كعب يفتخرون بأنك أوقعت بهم ، ويتجمّلون بقصدك إليهم ، وإن أصابتهم الآلآم والعقوبات ، كيدٍ يدميها السّوار ، فإنّ صاحبها لا يشكو الألم الذى ناله من السوار ، لمّا كان السّوار جمال يده وزينته .

٦١- بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلاَلَتِهِ افْتِخَارُ

الهاء [فى] « بها » لليد ، وكذلك فى « فيها » وفى « قطعه » و « جلالته » للسوار . ومعناه هم مثل يد أدماها السّوار ، فهى تتألّم من قطعه وتفتخر بجماله .

٦٢- لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فى نِزَارٍ وَأَدْنَى الشِّرْكِ فى أَصْلٍ جِوَارُ

يقول : لهم عليك حقّ لانتسابك معهم إلى نزار ، وأقلّ القرابة تقوم مقام الجوار ، فكما يجب صيانة حق الجار ، فكذلك حق القريب .

٦٣- لَعَلَّ بَنِيهِمُ لِبَنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرَّحِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ

يقول : اعفُ عنهم ، فلعل أبناءهم يكونون جندًا لبنيك ، كما أنهم جندك ، فكل كبير يكون صغيرًا ويصير رجلا ، وأول ما يكون الخيل : مِهَارًا [1] ثم تكون قرحًا [2] .

٦٤- وَأَنْتَ أَبَرُّ مَنْ لَوْ عُقَّ أَفْنَى وَأَعْفَى مَنْ عُقُوبَتُهُ الْبَوَارُ

يقول : أنت أبرّ [3] كل من مَلَك ، إذا عقهم من تجب عليهم طاعتهم ، لم يرضوا فى عقوبتهم [4] بغير الإهلاك ، وأكثرهم عفوًا وصفحًا ، إذا كان غيرك يُهلك بشدة عقوبته .

(١) المِهار : جمع مهر ، وهو الصغير من الخيل . ويجمع على : إمهار ومهار ومهارة وهى مهرة .

(٢) القرح : جمع قارح : أى الذى استوى وصار له خمس سنوات وسقطت سنه التى تلى الرباعية ونبت مكانها نابه .

(٣) ع : « يقول أنت أبر » ساقطة .

(٤) فى النسخ : « من كل ملك إذا عقهم من يجب عليه طاعتهم لم يرضوا فى عقوبته » .

يعنى : أنك بررتهم وعفوت عنهم ولو أردت لأهلكتهم [٢٧٢ - ا] .

٦٥-وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارٌ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ

يقول : أنت أقدر الملوك الذين يهيجون للانتصار من أعدائهم ، أى متى هجتَ لتنتصر من أعدائك ، كنت أقدر من كل ملك هذه صفته ، وأنت أحلم من كل حليم يحلم عند قدرته[1] .

٦٦-وَمَا فِى سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلاَ فِى ذِلَّةِ الْعِبْدَانِ عَارُ

العِبْدان : جمع عبْد .

يقول : إنك ربُّهم وهم عبيدك ، فلا عيب عليهم فى سطوتك ولا عليهم فى خضوعهم لك .

(٢٣٠)

وقال أيضًا وقد ودّعه إلى الإقطاع [2] الذى أقطعه [3] :

١ - أَيَارَامِيًا يُصْمِى فُؤَادَ مَرَامِهِ تُرَبِّى عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ

يُصْمى : أى يقتل . يقال : رماه فأصماه ، إذا قتله مكانه[4] . والهاء فى

(١) المعنى ، أنت أقدر من يحركه الانتصار . أى إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ما تطلب فأنت أقدر المنتصرين . وأنت أحلم من يحلم اقتدار على عدوه فيصفح ويعفو . وإذا كان الأحلم كان الأعفى والأصفح عن العدو إذا اقتدر عليه . الواحدى والتبيان .

(٢) يقال : إن سيف الدولة أقطعه فى معرة النعمان . وورد ذلك فى إحدى نسخ الديوان وهى رقم ٣٩٧ . وقال ابن العديم فى بغية الطلب ٢٧٩ « كان سيف الدولة أقطعه ضيعة تعرف ببصف من ضياع معرة النعمان القبلية فكان يتردد عليها » .

(٣) الواحدى ٥٧٦ : « وقال يودعه وقد خرج إلى الإقطاع الذى أقطعه إياه » . التبيان ٤/٣ : « وقال يمدحه ويودعه إلى إقطاع له » . الديوان ٣٩٧ : « وقال أيضا يمدحه وقد ودعه إلى الإقطاع الذى أقطعه وحمله على فرس وخلع عليه » العرف الطيب ٤٢٦ .

(٤) فى الحديث : « كلْ ما أصميت ودعْ ما أنميت » أى قتله فى مكانه . انظر أساس البلاغه ٢٨/٢ .

« ريشها » لِلْعِدَى . وفاعل « تربىّ » : « عداه » والهاء فى « سهامه » و « مرامه » و « عداه » : للرامى .

يقول لسيف الدولة : أياراميا يصيب فؤاد مطلبه ، بسهامٍ ريشُها مِنْ أعدائه فكأنّ أعداءه طيرٌ تربّى أجنحتها حتى إذا بلغت أخذها لِريش سهامه [١] وأراد بالسهام : جيشه . وبريش السهام : سلاح أعدائِه ، الذى سلبه من الأعداء وكساه جيشه ، يعنى أنك تغير على الأعداء فتأخذ أسلحتهم وتقتلهم

٢ – أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِى ثِيَابِهِ عَلَى طِرْفِهِ ، مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ

يعنى : أن جميع ما أملكه من عطاياه ، فدارِى التى أسكنها وثيابى ، وفرسى ، من هباتِه ، ومثله قول جحظه [٢] :

فَكَيْفَ لا أَشْكُرُ مَنْ لاَأَرى فى مَنْزِلِى إلاَّ الَّذى جَادَ بِهِ [٣] ؟!

والأصل فيه قول النابغة :

وَإنّ سِلاَحِى إنْ نَظَرْتُ وَشِكَّتِى وَمُهْرِى وَمَا ضَمَّتْ عَلَيْه الأَنَامِلُ.
حِبَاؤُكَ وَالْعِيسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّها هِجانُ الْمَهَا تُرْدِى عَلَيْها الرَّحَائِلُ [٤]

وقال أيضًا جميع ذلك فى نصف بيت :

وَمَا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَانْتَصِحْنِى فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ كُلُّ مَالِى [٥] ؟

---

(١) يقول الواحدى : أعداءه يجمعون الأموال والعُدَدَ له لأنه يأخذها فيتقوى بها على قتالهم فكأنهم يربون الريش لسهامه ، حيث يجمعون المال له ، فالريش مثلٌ لأموالهم والسهام مثلٌ له .

(٢) هو جحظة البرمكى : أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد البرمكى ، من بقايا البرامكة فى بغداد ، كان فى عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة ، فلزمه اللقب ، مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارف بالموسيقى ولم يكن أحد يتقدمه فى صناعة الغناء ، نادم ابن المعتز والمعتمد العباسيين وتوفى سنة ٣٢٦ معجم الأدباء ٣٨٣/١ وابن خلكان ٤١/١ وخاص الخاص ١٣٧ .

(٣) زهر الآداب ١٣٧/٢ .

(٤) ديوانه ١١٨ والوساطة ١٨٩ والواحدى ٥٧٧ والتبيان ٤/٣ وشرح البرقوقى والرواية فيهم :

وإن تلادى إن نظرت وشكّتى ومهرى وما ضمت عليه الأنامل

(٥) ديوانه والواحدى ٥٧٧ والتبيان ٤/٣ وروايتها :

لما أغفلت شكرك فانتصحنى وكيف ومن عطائك جُلّ مالى ؟

٣ – وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا   وَرُومِ العِبِدَّى هَاطِلاتُ غَمَامِهِ

العِبِدَّى والعبود [١] : اسم الجمع بمعنى العبيد .

يقول : عبيدى وسلاحى من مطره الذى مطرتْه لى سحائبه الهاطلة ، وعطاياه الشاملة .

ودلّ بذلك على أن جوده يعم العالم ، ويشمل الأزمان ، ويتناول الأقوام .

٤ – فَتًى يَهَبُ الإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقُرَى   وَمَا فيه [٢] مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ

يقول : هو يملك العباد والبلاد ، ويهب الإقليم [٣] بما فيه من الأموال ، ومن عليه من الفرسان والرجال [٤] .

٥ – وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلْتُهُ مِنْ نَوَالِهِ   جَزَاءً لما خُوِّلْتُهُ مِنْ كَلاَمِهِ

خوّلته : أى ملكته .

يقول : إن أياديه علّمتْنى الشكْر ، ولقنتْنى الثناء والذكر ، فكلامى منه من هذا الوجه ، فلما أثنيت عليه جازانى على ثنائى فخوِّلتُ الإحسان جزاء على ما خوّلْتُ من الكلام .

وقيل : أراد ، أستفيد [٥] منه حسن الكلام [٢٧٢ – ب] فإذا مدحته به جازانى بالنعم العظام .

٦ – فَلاَ زَالَتِ الشَّمْسُ التى فى سَمَائه   مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِى فى لِثَامِهِ

أضاف السَّماء إليه فى قوله : « فى سمائِه » توسعًا ليجانس قوله : « فى لِثَامه »

---

(١) ع : « والعبودا » .

(٢) فى الواحدى والتبيان والديوان : « ومن فيه » .

(٣) الإقليم : جزء من الأرض تجتمع فيه صفات طبيعية أو اجتماعية تجعله وحدةً واحدة . ويذكر صاحب التبيان أن الإقليم : هو البلاد المجتمعة فالعراق إقليم والشام إقليم والغرب إقليم إلخ

(٤) ق : « من الأبطال والرجال » .

(٥) فى النسخ : « تستفيد » .

قلت : إنما أضافها إليه لأنه جعله مالكًا للسماء والأرض (١) .

يقول داعيًا له بدوام البقاء : لازالت شمس السماء مقابلة لوجهك الذى هو كالشمس فى حسن البهاء والسموّ والعلا .

٧ – وَلاَزالَ تَجْتَازُ الْبُدُورَ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ

يقول : لازال أبدا يطلع البدر عليه ، ويرى وجهه أحسَن منه وأكمل بهاءً ومنظرًا .

وقيل : أراد بذلك بدر السماء ينتقص فى كل شهر ، ووجه الممدوح أبدًا غاية التمام ، فيتعجبُ البْدرُ من نقْصانِه كل شهر ، وتمامه أبد الدهر .

(٢٣١)

وقال فى يوم الأربعاء المنتصف من (٢) شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاث مئة (٢) معزيًا لسيف الدولة فى أخته الصغرى (٣) ومسليًا يبقاء الأخت الكبرى (٤) .

١ – إنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِى الرَّزِيَّة فَضْلاً تَكُنْ الأفْضَلَ الأَعَزَّ الأَجَلاَّ

الرَّزِيَّة : المصيبة ، وأصْلها من النّقصان ، يقال : رزى فلان فى ماله وأهله ،

(١) يقول الواحدى : أضاف السماء إليه مبالغة فى المدح كما قال الفرزدق :

لنا قراها والنجوم الطوالع

وقال ابن جنى : أضاف السماء إليه لإشرافها عليه كما قال الآخر :

إذا كوكب الخرقاء لاح بسُحْرةٍ سُهَيْلٌ أذَاعتْ غزْلها فى القرائب

أضاف الكواكب إليها لجدّها فى عملها عند طلوعه . انظر الواحدى ٥٧٧ والتبيان ٤/٤ .

(٢) ع : « من » و « ثلاث مئة » ساقط .

(٣) ع : « لما توفيت أخته الصغرى » وفى إحدى نسخ الديوان أنها توفيت بميافارقين .

(٤) الواحدى ٥٧٧ : « وقال بحلب يعزيه بأخته الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى فى شهر رمضان سنة ٣٤٤ . التبيان ١٢٣/٣ : « وقال يعزيه بأخته الصغرى ويسليه بالكبرى ، وأنشدها فى رمضان سنة أربع وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٣٩٨ : « وقال فى يوم الأربعاء للنصف من رمضان سنة أربع وأربعين معزيًا سيف الدولة لما توفيت أخته الصغرى ومسليًا يبقاء أخته الكبرى » . العرف الطيب ٤٢٧ .

إذا أصيب . وذى : بمعنى الصاحب ، والتاء فى « تكن » للخطاب .

يقول : إن كان صبر صاحب الرزية فضلا له ، فأنت أفضل من كل مصاب ، لأنك أحسن صبرًا على ما يصيبك من كل أحد ، ولأن لك فضائل أخرى ، مع فضل هذه المصيبة ولأن لك صبرًا فى هذه المصيبة وصبرًا فى أمور أُخَر .

٢ – أنتَ يَافَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الأحْـ ـبَاب فَوْق الَّذِى يُعزِّيكَ عَقْلاَ

التعزية : أصلها من النسب[١] ، كأن المعزى يقول للمصاب : اذكر أباك وأجدادك ، فإنهم قد هلكوا وبادوا ، يسليه بهذا القول ، فكأنه ينسبه إليهم . وفوق : الأول نصب ، لأنه نداء مضاف[٢] . والثانى ظرف .

يقول : أنت أرفع قدرًا من أن تحتاج إلى أن يعزيك أحد عن فقد الأحباب ، فكل مَنْ يعزيك ، فأنت أوفر عقلا منه ، وأعرف بأحوال الدهر .

٣ – وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزْ زَاكَ قَالَ الَّذِى قُلْتَ قَبْلاَ

قَبْل : يبْنى على الضم إذا أُريد به الإضافة فقطع عنها ، فإذا لم يرد الإضافة صرف ، ويجعل نكرة ، فلذلك نوِّن هاهنا ، ونصبه على الظرف . تقول : جئتيك قبْلاً وبعدًا .

يقول : إذا عزّاك المعزِّى فإنما اهتدى إلى التعزية بتعليمك ، فيقول لك عند التعزية : ماقلتَهُ له قبل ذلك ، ويرد عليك ما حفظه من كلامك . أخذه من قوله تعالى : (بِضَاعتنا رُدَّتْ إِلَيْنا)[٣] .

٤ – قَدْ بَلَوْتَ الْخُطُوبَ مُرًّا وَحُلْوًا وَسَلَكْتَ الأَيَّامَ[٤] حَزْنًا وسَهْلاَ

يقول : جرّبتَ أحوال الدّهر ، ودخلت فى الأيام . صعبها وسهلها ، فلم يشتبه عليك شىء فى أحوال الدهر .

---

(١) ع : « النسيب » . (٢) عن ابن جنى : « مضاف إلى أن تعزى » الواحدى .

(٣) سورة يوسف ٦٥/١٢ . (٤) ع : « الزمان » بدل : « الأيام » .

٥ – وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْـ ـرِبُ قَولاً ولاَ يُجَدِّدُ فِعْلاَ

[٢٧٣ – ا] يقال : قتلت الشىء علْمًا إذا تيقّنته .

يقول : عرفتَ الزمان بحقيقته ، فلا يأتى الزمان بقول غريب لم تعرفه ، ولا يفعل جديدًا لم تُجرِّبْه .

٦ – أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلاَ وَأَرَاهُ فِى الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلاَ

يقول : وجدتُ الحزن فيك على من تفقد ، حفظًا منك لحرمته ورعاية لصحبته وفى من سواك : خوفًا من ريب الدهر ، وجهْلا بالسبب الموجب للحزن .

وإنما ذكر العقل لأنه يدعو إلى الحفاظ ، ومراعاة الحرمة . وأراد بالعقل [1] : العلم بأحوال الدهر .

٧ – لَكَ إِلْفٌ يَجُرُّهُ وإِذَا مَا كَرُمَ الأَصْلُ كَانَ لِلإِلْفِ أَصْلاَ

الهاء فى « يجرّه » [2] للحزن .

يقول : لك إلف [3] يجرّ هذا الحزن عليك ، وكرم الأصل يعينه على ذلك ، فكأنه أصلى للإلف الذى لك .

يعنى : أنك إنما تحزن لفقد أُحيَّتِكَ [4] لأنك ألوف كريم الأصل ، وليس ذلك بجزع وخوف .

٨ – وَوَفَاءٌ نَبَتٌّ فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلاَ

---

(١) قال الواحدى ، والمراد بالعقل : الاعتبار بمن مضى فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتبارا به وعلما أنه عن قريب سيتبعه على أثره ، وحزن غير العاقل يكون ذعرًا من الموت وهو جهل لأنه لا محالة .

(٢) قال ابن جنى « تجره » بالتاء وقال : تسحبه . وقال الخطيب بالياء : أى يسحب إليك الحزن . التبيان والواحدى .

(٣) الإلف : السكونُ إلى الشىء والغبطة به ، ألفت الشىء إلفا وأُلفا .

(٤) ق : « اختك » .

يقول : لك وفاء نبتَ فيه جرّه إليك . والوفاء عادةٌ لك موروثة عن آبائك وأجدادك ، فلم يزل أهلك أهلاً للوفاء .

٩- إنَّ خيرَ الدُّمُوعِ عيْنًا لَدَمْعٌ بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلاَّ

استهل : أى جرى . وعينًا : نصب على التمييز .

يقول : أكرم الدّموع ما أجرته رعاية[1] الحقوق . وروى « عونًا » بدل قوله : « عينًا »[2] .

١٠-أيْنَ ذِى الرِّقَّةُ الَّتِى لَكَ فِى الْحَرْ بِ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلاَّ

استُكره الحديدُ : أى ضُرِب على كره ، وتكفّ[3] من الدّروع ما لا يُقْدر على قطعه ، وصلَّ الحديدُ : إذا سمعت له صوتًا .

يقول : أين هذه الرّقّة الى حصلت لك الآن عند كونك فى الحرب ، وذلك حين تُجَرِّدُ السيوفَ وتقتل بها الناس .

والمعنى : أن هذه الرقة لو كانت لضعف قلبك للحقتك أيضًا فى الحرب ، ولكنه وفاء ورعاية ، فأنت تستعمل كل واحد منها فى موضعه ، حيث تحمده وتستحسنه العقول ، ولا تضعه فى غير موضعه .

١١-أيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الرُّ ومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُفْلَى

تُفْلى : من فلَيْتُ رأسه ، إذا فتّشته لتخرج منه القمْل .

معناه : يضرب بالسيوف من كل جهة ، كما أن الفالى يعم الرأس .

يقول : أين تركت هذه الرّقة غداة محاربتك الروم فيما كنت تضرب رءوسهم بالسيوف الصوارم .

---

(١) ع : « غاية » .

(٢) روى ابن جنى « عينا » وروى الجماعة غير أبى الفتح ابن جنى « عونا » وبه رواية الواحدى ويروى « عندى » انظر الواحدى .

(٣) ق : « وتكلف » ع : « ويكف » .

١٢–قَاسَمَتْكَ الْمَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسُهُ فِيهِ عَدْلاً

أنث المنون على معنى المنيّة . والهاء فى « فيه » ترجع إلى « الجور » .

يقول : قاسمتك المنون على أختيك ظلمًا وجورًا منها فى هذه المقاسمة ، لأنها ليس لها الحق فى واحدة منهما ، غير أن هذه القسمة جعلت نفسها فى الجور الذى حصل من المنون عدلاً ، لأنها أخذت الصغيرة وتركت الكبيرة .

وقال ابن جنى : يجوز « فيك »[1] : فيكون المعنى[2] : أن المنون جارت فى فعلها ، إلا أنك إذا كنت البقيّة فجورها عدل .

أو يقال : إن هذه القسمة نفسها فى حقك عدل ، وإن كان [٢٧٣ – ب] قاسمها ظالما .

١٣–فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذْنَ بِمَا أَغْـ ـدَرْنَ سَرَّى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَّى

أغدرن : أى تركن . وسرَّى : أى كشف . وسلَّى : من التسلية . وروى « أَغْبَرْنَ » مكان « أَغْدَرْنَ » والفاعل ضمير المنون ، وأراد بها المنايا .

يقول : إذا قِسْتَ ما أخذَتْه المنيةُ بما تركتْه ، كَشَفَ بقاءُ الباقية[3] منهما هذا الحزْن عن قلبك .

١٤–وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى[4]

يقول : إذا قست سهمك بسهم المنيّة علمت أن حظك أكثر ، وأن جدّك أَعْلَى ، لأن الكبْرى خير من الصغْرى .

١٥–وَلَعَمْرِى لَقَدْ شَغَلْتَ الْمَنَايَا بِالْأَعَادِى ، فَكَيْفَ تَطْلُبْنَ شُغْلاً ؟

---

(١) بدل : « فيه » وبها رواية الواحدى والتبيان والديوان .

(٢) ق : « والمعنى » .

(٣) ق : « بقاء البقية » .

(٤) فى التبيان سقط نصّ هذا البيت وأدمج شرحه مع شرح البيت الذى قبله رقم (١٣) .

يقول : شَغَلْتَ المنايا بقبْض أرواح الأعادى ، فكيف تطلب المنايا شغلاً ؟ ! لأن لها شغلاً بالأعداء ، لا تتفرغ عنه إلى شغل آخر[١] .

١٦–وَكَمِ انْتَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْـ ـرِ أَسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقِلاً

انْتَشْتَ : أى دَفَعْتَ ، والانْتِياش : افتعال من النوش[٢] والمُقِلّ : الفقير .

يقول : كم أَنْقَذْتَ كثيرًا من الأسرَى (من أسْر الدّهر) بسيوفك ، ومن الفقر بجودك ، ونائلك ، فأغْنيتَهم بعطاياك ، ورفعتَهم[٣] من الذلّ والصّغار .

١٧–عَدَّهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتْلاً رَآهُ[٤] أَدْرَكَ تَبْلاً

الهاء فى « عدّها » ضمير الحالة : أى عدّ الدهر هذه الحالة الّتى هى إنقاذ الأسير من يده ، ورآه[٤] : أى رأى نفسه ويجوز ذلك فى الرؤية : بمعنى العلم ، وسائر أفعال الشك ، واليقين .

يقول : لما رآك الدهر تنقذ أساراه[٥] حقد عليك ، وعدّ فعلَك نُصْرةً عليه لمن خاصمه[٦] فلمّا صال[٧] مخادعة[٨] ، وأخذ أُختك مسارقةً ، حسب أنّه أدرك ثأره[٩] .

١٨–كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ ، أَنْتَ تُبْلِيـ ـهِ وَتَبْقَى فِى نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى

---

(١) ق : « لا تفرغ عنه إلى شغل آخر » ساقطة .

(٢) يقال : انتاشنى فلان من الهلكة : أنقذنى . التاج « نوش » .

(٣) فى النسخ : « فأغنيته . . . ورفعته » .

(٤) ق : « أراه » . . والضمير فى رآه : كقوله تعالى : (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

(٥) ق : « لما رأى الدهر تنقذ أسارته » تحريفات .

(٦) فى ق ، شو ، ع : « وعد فعلك نصرة لمن خاصمته عليه » .

(٧) صال : وثب واستطال صولا وصولة وصيالا وماكان صئولا . أساس البلاغة .

(٨) وهذا هو معنى : « ختلا » وفى حديث الحسن فى صفة طلاب العلم : « وصنف تعلموه للاستطالة والختل » .

(٩) وهذا هو معنى « التبل » انظر المرجع السابق « تبل » .

يقول : كَذَبَ الدّهرَ ظنه أنه يقدر على أخذ ثأره عندك ، فإنّك تجعل الدهر باليًا ! وتبقى أنت فى نعمة لا تبلى .

وقيل : إنّ قوله « أنت تبليه » دعاء له بطول البقاء فكأنه يقول : أبقاك الله فى نعمة دائمة حتى تبلى الدَّهرَ وتفنيه .

١٩–وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُدَاةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا لِشَخْصِكَ ظِلاًّ

يقول : طلب أعداؤك أن يدركوا ثأرهم عندك –كما طلب الدهر– فلم يقدروا أن يجرحوا[١] ظلّ شخصك ؛ لاتصاله بك .

٢٠–وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضًا مِنْ نُفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكْتَ كُلاًّ

قوله : « بالسعادة » متعلّق بقوله : « فأدْركت كلا » يعنى : أنك رمْت بعضَ أعدائك فأدركت الكلَّ بسعادة جدّك ، وهو متصل بما قبله .

٢١–قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحُكَ عُزْلاَ

الرّامح : صاحب الرمح . والعُزْل : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه .

يقول : قد حاربك الأعداء فعجزوا ، فصار الرمح منهم أعزل[٢] .

٢٢–لَوْ يَكُونُ الَّذِى وَرَدْتَ مِنَ الْفَجْـ ـعَةِ طَعْنًا أَوْرَدْتَهُ الْخَيْلَ قُبْلاَ

القُبْل : جمع أقبل[٣] : وهو مثل الأحول[٤] ، والخيل تفعل ذلك لعزة أنفسها ، وليس بخلْقه .

---

(١) ع : « أن يخرجو » تصحيف .

(٢) المعنى : لما نازلت الأقران وطاعنت الفرسان قارعتْ رمحُك رماحَهم وأنت بشدة قرعك ، وزيادة قوتك ، أطرت رموح الطاعنين لك ، وأسقطتها من أيدى المترّمين بك . فصاروا عزلا بين يديك ، عاجزين عن الإقدام عليك . يشير إلى ما هو عليه من الحذق بالطعن والاقتدار على التصرف فى الحرب .

(٣) وهو الذى يقبل إحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسًا .

(٤) قال الخطيب : هو ضد الحول لأن الحول : أن تخالف إحدى العينين الأخرى .

يقول : لو لقيت مكان هذه المصيبة [طعنًا] وكان مجيئها إليك محاربة ؛ لأوردت خيلك ، ودفعتَ عن نفسك بشجاعتك . والهاء فى « أوْرَدْته » للطعن .

وقيل : معناه لو كنت تلقى بدل هذه المصيبة طعنًا لأوردْته الخيلَ ورددْته بشجاعتك .

٢٣–وَلَكَشَّفْتَ ذَا الْحَنِينِ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَّفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى

الحنين : رقّة الحزن ، وهو أيضًا الصوت الضعيف كالأنين ، وقد يُراد به الاشتياق . وجلَّى : أى كشف ، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين .

يقول : لو لقيت مكانها [حزنًا] لكنت تزيل الحزن عن قلبك بالسيف ، كما كانت عادتك فى الحرب أن تكشف الحروب عن نفسك بالضرب وتجلّيه[1] بالطعن .

وقيل : أراد لو كان بدل هذا الحنين الذى حصل بموت الأخت ، حنين الفرسان يوم الحرب ، لكشفت ذلك بالضرب وخلّصتهم من الغم بالسيف ، ولكن قضاء الله تعالى لا مرد له .

٢٤–خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةُ ثُكْلَا

ثُكْلا : نصب لأنه مفعول ثانٍ « للمسمّاة » التقدير : وإن كانت الخِطْبةُ تسمى ثكلا ، فالخطْبةُ المضمرة : اسم كان . والمسماة : خبره . وفيه ضمير الخطبة وموضعه : رفع ؛ لأنه مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله وثُكْلا : مفعوله الثانى .

يقول : إن هذا الموت يجرى مجرى الخطبة [من الحِمَام] للمرأة ، وإن كانت الناس يسمونه ثكلا .

يعنى : الحمام قد خطب أختَك فلم تقدر على رده .

٢٥–وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْئًا ذَاتُ خِدْرٍ ، أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلَا

---

(١) ع : « وتخليه » تصحيف .

يقول : إنّ المرأة المخدّرة إذا لم تجد لنفسها **كُفْئاً**[١] لها اختارت الموت على الأزواج الذين ليسوا بأكفاءٍ .

٢٦–وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْـ سِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى

يقول : إن الحياة لذيذة[٢] للنفس ، وإن كانت فى ضرّ وبؤس ، ولكنّها لما عدمت الكفءْ صار ذلك سببًا فى اختيار الموت وإن [لم] يكن لها ملال من الحياة ولذّتها .

٢٧–وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ : أُفٍّ فَمَا مَلْـ لَ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضُّعْفَ مَلاَّ

يقول : إذا قال الشيخ الهرم : « أفّ » تضجرًا فإنّه لم يقُلْ ذلك مَلالاً من الحياة ولكنه يقول تضجّرًا من الضّعْف والمرض .

٢٨–آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى

المرء : الشاب[٣] .

يقول : لذة العيش مع الشّباب وصحة الجسم ، وإذا عدم المرء هذَيْن ، فليس له عيش ، بل إذا ولّيَا وَلّى المرء : أى يموت[٤] ويفارق المرءُ بفراقهما .

٢٩–أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدنْـ يَا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلاً !

الدنيا : رفع بِتَهَبُ ، أو بِتَسْتَرِدّ ، على حسب إعمال أحد الفعْلين[٥] .

---

(١) كفء الرجل أو المرأة فى القدر والمنزلة : هو المساوى فى ذلك . معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢/٥٠٣ .

(٢) ع : « إن لذيذ الحياة » .

(٣) ق : « المرء : الشاب » ساقطة .

(٤) ع ، ق : زادتا بعد ذلك : « أى ولى يعيش معها » تحريفات .

(٥) فهى مرفوعة بـ « تسترد » عند الكوفيين ، وبـ « تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثانى عند التنازع .

يقول : عادة الدّنيا أنها تستّرد ما تهب ، فليت أنها لم تهبْ ولم تَجُد !

٣٠- فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمْ ... مَ وَخِلٌّ يُغَادِرُ الْوَجْدَ(١) خِلاّ

[٢٧٤ - ب] يقول : ليت الدّنيا كفت كون فرحة تورث الغم وتعقب ترحة ! وليتّها كفت كون خليل يتْرك الحزن خليلاً ، ويجعله صاحبًا للمرء بعد خليله الذى كانت الدنيا وهبته منه .

٣١- وَهْىَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ وَلاَتحْـ ... ـفَظُ عَهْدًا وَلاَ تُتَمِّمُ وَصْلاً

يقول : الدنيا معشوقة مع كونها غدّارة لا تحفظ عهدًا ، وإن واصلتْ لا يدوم وصلُها .

٣٢- كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا ، عَلَيْهَا ... وبِفَكِّ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تخَلَّى

يقول : كلّ دمعٍ يسيل فإنه يكون من جملة الدنيا [عليها] ولا يتركها إلا أن تُفَكّ يداه قَسْرًا فيُؤخذ عنها بالقهر(٢) ، وذلك يكون عند الموت .

٣٣- شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَلاَ أَدْ ... رِى لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لاَ ؟

يقول : فى هذه الدنيا أخلاق الغانيات . فى قلّة الْوفاء ، وسرعة التقلب ، وكثرة الغدر ، فلعلّ الناس أنّثوها لِشبْهها بالغوانى فى الغدر والانقلاب ! وهذا مثل قوله :

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيهِ الْعُيونِ جُفُونُها(٣)

(١) ع : « الحزن » .

(٢) ق : « يفك يداه بالكسر فيؤخذ عنه فى القهر » تحريفات ومثله فى ع .

(٣) ديوان المتنبى ١٦٤ والمذكور صدر بيت له عجزه :

. . . . من أنها عمل السيوف عوامل

الوساطة ٨٩ واليتيمة ١/١٥٠ والتبيان ٣/٢٥٢ .

٣٤- يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرِّقَ مَحْيًا وَمَمَاتًا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلاًّ

يقول : يا مليك الخلق الذى يقسم بينهم الأحوال ، فمنه ضرّهم ونفْعهم ، وموْتهم وحياتهُم ، وعزهم وذلهم .

٣٥- قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْـ ـتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى

يقول : قلّد اللهُ حسامًا محلّى بالمكرمات دولة أنت سيفُها .

لمّا جعله سيفًا جعل حليه المكارم .

٣٦- فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِيَ بَذْلاً وَبِهِ أَفْنَتِ الأَعَادِيَ قَتْلاَ

المَوَالى : يعنى الأوْلياء هَاهُنَا . والفعل لِلدَّوْلة ، والهاء فى « به » للسيف .

يقول : بهذا السّيف أغنت الدولة أولياءها ، وأفنَتْ أعداءها .

أى أغنت أولياءها ببذل مَالَك ، وأفنت أعداءها بقتالك[١] .

٣٧- وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلاَ

يقول : هذا السّيف إذا اهتز للجود كان غايةً فيه ، وهو البحر ، وفى الحرب كان نصلاً فى مضائِه ونفاذه[٢] .

٣٨- وَإِذَا الأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا وَإِذَا الأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلاَ

يقول : إذا أحدث[٣] أمرًا تظلم له الأرضُ ، كشفه وجلاَّه ، كما تجلو الشمسُ الظّلامَ ، وَإِذَا أصابها قحط ، يقوم جوده مقام الغيث .

٣٩- وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيبَةِ وَالطَّعْـ ـنَةُ تَغْلُوا وَالضَّرْبُ أَغْلَى وأَغْلَى

هذه الأبيات الأربعة[٤] صفة لقوله : قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْتَ[٥] : أى قلّدَها

---

(١) ع : « بقتلك » . (٢) ع : « ولقائه » . (٣) ع : « إذا أخذت » ق : « أخذت » .

(٤) أى الأبيات : رقم ٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩ . (٥) فى البيت رقم : ٣٥ .

الله منك حساماً هذه صفته .

يقول : هو يضرب الكتيبة بسيفه ، حيث لا يقدر أحد منها أن يطعن برمحه[١] . والضَّرْبُ أعْلَى وأغْلَى[٢] : معناه إذا لم يقدر أحد على الدنوّ من العدوّ ، وقِيد الرّمح بالدنو فيه ، فقيد السيف[٣] أصعب وأشدّ[٤] .

ولا يُعْترض على هذا بأن يقال : الأمر بخلاف ذلك ؛ لأنّه ربما لا يمكن المطاعنة لطول الرِّماح ، ويمكن المضاربة بالسيوف لقصرها ، فلا يكون الضرب أعلى وأغلى ؛ لأن المعنى [٢٧٥ - ا] مابينا : أنه إذا لم يمكن الدنوّ مقدار رمح لشدة القتال ، فالدنو مقدار سيف أشد تعذراً[٥] ، أو لأنّه إذا كانت الحال هذه فترتعش الأيدى ، ولا تقلّ السيوف[٦] .

٤٠– أَيُّهَا البَاهِرُ الْعُقُولَ فَمَا يُدْ رَكُ وَصْفًا أَتْعَبْتَ فِكْرِى فَمَهْلاً

يقول : حيّرت العقُولَ بفضْلك ، فلا تحيط الأوْصاف كنه وصفك ، وقد أردْتُ وصْفَك فى الشعر فأتعبتَ فكْرى بمحاسن أوصافِك ، فارفق ولا تكلّفنى من وصفك مالا أطيق . و« وصفًا » : نصب على التمييز ، و« مهلاً » : على المصدر .

٤١– مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَعْيَا هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلاَّ

(١) فى النسخ : « حيث لا يقدر أحد أن يطعن فيها برمحه » .

(٢) أى يضرب الكتيبة بالسيف حين تكون الطعنة غالية عزيزة المنال لصعوبة الموقف واشتداده .

(٣) ع : « وفقيد سيف » .

(٤) قال ابن فورجة : يريد : إذا لم يقدر على الدنو من العدو قِيد رمح ، فالدنو إليه قِيد سيف أصعب . الواحدى .

(٥) قال ابن جنى . يريد : إن كان الطعن صعبًا على الطاعن فهو أيسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه ، أكثر من بعد الضارب ، والرامى أبعد من الطاعن وقد رتبه زهير بقوله :

يطعنهم ما ارتموا حتّى إذا اطّعَنوا ضارب حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

انظر التبيان ١٣٢/٣ وقد نسب صاحب تفسير أبيات المعانى هذ القول للمعرى ويذكر صاحب التفسير أن المعرى قال بعد ذلك : « ولو لم يكن للمتنبى غير هذه القصيدة فى سيف الدولة لكان كثيرًا ، وأين منها قصيدة البحترى التى أولها : « إن سيرى الخليط لما استقلا » تفسير أبيات المعانى .

(٦) ع : « وترتعش الأيدى ولا تعلو السيوف » . وتقل : أى تحمل .

دلّ فى طريقك : أى سلكها ، يقال : دلّ فلانٌ فى طريق إذا عرّف أعلامها ، وتبع الناسُ أثَره فيه .

يقول : مَنْ رام أن يشتبه بك أعجزه ما يرومه ولم يقدر عليه ، ومَنْ سلك طريق فعالك ضَلّ وتحيّر ولم يقدر أن يقتفى آثار سعيك . وفاعل « أعياه » قيل : ضمير التشبه ، وقيل : راجع إلى التعاطى : أى أعياه تعاطيه ، ودلّ عليه : تعاطَى .

٤٢– فَإذَا مَا اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ   قَالَ : لا زُلْتَ أو تَرَى لَكَ مِثْلاَ

يقول : لا نظير لك فى الشّرف ، ولا يكون لك نظير فيما بعد ، فمن أراد أن يدعو لَكَ بالخلود قال : لا زُلْتَ حتى تَرَى لك نظيرًا . وهذا مما لا يكون ، فكأنّه قال : لامُتّ أبدًا .

(٢٣٢)

وورد على سيف الدولة الخبر ، آخر ساعة نهارِ يوْم الثلاثاء لستٍّ خلون من جمادى الأولى[١] سنة أربعٍ وأربعين وثلاث مئة ، بأن الدُّمستْق وجيوش النصرانية قد نزلت ثغر الحدَث ، فى يوم الأحد ، ونصبت مكايدَ الحصون عليه ، وقدّرت نيْلَ فرصة ، لما تداخلها من القلق والانزعاج والوصم فى تمام بنائه على يد سيف الدولة ، لأنّ مَلِكَهم ألزمهم قصْدها ، وأنْجدهم بأصناف الكفر من البُلغَر والروس والصَّقَالبة وغيرهم[٢] ، وأنفذ معهم العُدَد[٣] . فركب سيف الدولة لوقته[٤] نافرًا ، وانتقل إلى موضع غير الموضع الذى كان به ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه فى ليلته ، وسار عن حلب غداة يوم الأربعاء لسبع خلون[٥] فنزل رَعْبَان[٦] ، وأخبار

(١) انفردت ق بقولها « الثانى » بدل : « الأولى » وهو خطأ من الناسخ لأن الثابت تاريخيا أن ذلك كان فى جمادى الأولى . انظر الواحدى والتبيان والديوان والعرف الطيب ٤٣٣ .

(٢) ع : « من » من البلغر . . وغيرهم » مهمل .

(٣) ع : « العدة » .

(٤) ق : « إلى وقته » الديوان : « فركب سيف الدولة نافرا » .

(٥) ع : « لسبع خلون » مهملة .

(٦) رَعْبان : مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات . ياقوت .

الحدث مستعجمة عليه لضبطهم الطرق ، وتقديرهم أن يخفَى عليه خبرُهم[١] ، فلما أسْحَرَ لبِس سلاحه وأمر[٢] أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفًا ، فلما قَرُب من الحدث عادت إليه الطلائع[٣] ، فأخبرته بأنَّ عدو الله تعالى لما أشرفَتْ عليه خيولُ سيف الدولة ، على عقبة يقال لها : العِبْرانى[٤] ، رَحَل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار[٥] [بالخبر] خوفًا من كمين يعترض الرسُل[٦] ، فنزل سيف الدولة بظاهرها ، وذكر خليفته بها أنهم نازلوه[٧] وحاصروه فلم يخله الله تعالى من نصره عليهم ، إلا فى نقوب نقبوها فى فصيل كان قديمًا للمدينة[٨] . وأتتهم طلائعهم[٩] بخبر سيف الدولة فى إشرافه على ثغر رعبان ، فوقعت الصيحة فيهم وظهر الاضطراب [٢٧٥ - ب] فى جمعهم وولَّى كل فريق على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم وأخذوا آلة حربهم[١٠] فأعدّوها فى حصنهم[١١] .

فقال أبو طيب فى ذلك ، ويمدحه :

١- ذِى الْمَعَالِى فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى ‏ ‏ ‏ ‏ هَكَذَا هَكَذَا ، وَإِلاَّ فَلاَ ، لاَ

(١) ع : من « وتقديرهم .. خبرهم » مهملة .

(٢) ق : « وأسر » .

(٣) يريد الجواسيس وبهذا قال صاحب التبيان .

(٤) فى الديوان : « العوانى » وفى التبيان « العبرى » .

(٥) ع : « من البراز » : فى الديوان : « من البداى بالخبر » وكذلك فى التبيان .

(٦) ع : « يغدر بهم » .

(٧) ع : « نازلوها » .

(٨) ع : من « فى فصيل ... للمدينة » ساقط . والفصيل : حائط قصير أقل من الحصن والسور ، اللسان .

(٩) ع : « فأتتهم طلائع » .

(١٠) ع : « حربه » .

(١١) الواحدى ٥٨٣ : « وقال يذكر نهوض سيف الدولة إلى ثغر الحدث ، لما بلغه أن الروم قد أحاطت به فى جمادى الأولى سنة ٣٤٤ » . التبيان ٣ / ١٣٤ : « وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى الثغر فى جمادى الأولى سنة [أربع] وأربعين وثلاث مائة » . الديوان ٤٠١ مثل المقدمة المذكورة وقريب منها فى شرح البيت الأول من القصيدة عند صاحب التبيان . العرف الطيب ٤٣٢ .

ذِي : إشارة إلى المعالى . وتعَالَى : بمعنى : علاَ . وهكذا : إشارة إلى المعالى أيضًا ، وكرره تفخيمًا لأمر سيف الدولة .

يقول : المعالىَ هذه التى يسعى إليها سيفُ الدولة ، ومن أراد أن يعلو إلى المعالى ويسْعى إلى المجد ، فليفْعل كما فعل ، وإلاّ فليترك طلبها . وليَدَعْها لمن هو أقدر منْه ، فإنّه لا معالى دون ذلك .

٢- شرفٌ يَنْطَحُ النّجُومَ بِرَوْقَيْـ ـهِ وَعِزٌّ[1] يُقَلْقِلُ الأَجْبَالاَ

روْقاه : قرناه . والهاء فيه للشّرف . ويقلْقل : أي يحرّك ، هذا تفسير للمعالى .

يقول : للمعالى[2] شرف ينطح النجوم بقرنيه ، وعزٌّ يزعزع الجبال من أماكنها ، مثل شرف سيف الدولة وعزّه .

٣- حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدّ وْلَةِ ابْنُ السُّيوفِ أَعْظَمُ حَالاَ

الحال : يذكر ويؤنث ، ولهذا قال:«عظيم».

يقول : إن كان حال الروم عظيما فسيف الدولة أعظم منهم حالاً .

٤- كُلَّمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَعْجَلَتْهُمْ جِيَادُهُ الإِعْجَالاَ

أعجلت السير : استعجلته . والنّذير : المُنْذر[3] .

يقول : كلّما بعث الرّوم عيْنا[3] يتعرّف لهم خَبَرَ سيف الدولة وينذرهم ، وأعجلوا رسولهم فى مسيره إليهم بأخباره ، أعجلهم سيفُ الدولة بخيْله ، وسار إليهم قبل عوْد الرَّسول إليهم ، وقبْل أن يصل نذيره إليهم .

٥- فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الأَرْضِ مَاتَحْـ ـمِلُ إلاَّ الْحَدِيدَ وَالأَبْطَالاَ

خوارق : نصب على الحال .

---

(١) ق : « ينطح الثريا » . « بروقا وعن » خطأ وتحريف .

(٢) ع : « للمعالى » ق : « المعالى » .

(٣) أراد بالنذير : الجاسوس . وكذلك العين هنا .

يقول : أتتهم خيلُ سيف الدولة تشق الأرض بحوافرها ، لشدة وطئها وقوة جريها ، وليس عليها إلاّ الفرسان والسلاح .

٦- خَافِيَاتِ ٱلْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْـ ـعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعًا وَجِلاَلاَ

يقول : أتتهم الخيلُ قد خَفِيت ألوانُها لِمَا علاَها من الغُبَار ، حتى صار لها مثل البراقع والجِلال ، وخافياتٍ : نصب على الحال .

٧- حَالَفَتْهُ صُدُورُها وَالْعَوَالِي لَيَخُوضُنَّ دُونَهُ ٱلْأَهْوَالاَ

حالفته : أي حلفت له ، والهاء لسيف الدولة ، وكذلك فى « دُونَه » وقوله : « ليخوضُنَّ » المروى عنه بضم الضّاد ، وأجراها مجرى العقلاء ، فلذا أطلق عليها اسم المحالفة[1] ، كقوله تعالى : (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[2] ولو قال لتخوضَن بالتاء وفتح الضاد ، لكان أظهر فى الإعراب .

يقول : حلفت لسيف الدولة هذه الخيل ، والرماح أنها تخوضنّ الأهوال دونه ، وتقاتل الأبطال عنه .

٨- وَلَتَمْضِنَّ[3] حَيْثُ لاَ يَجِدُ الرُّمْـ ـحَ مَدَارًا وَلاَ الْحِصَانُ مَجَالاَ

القياس : « وليمْضُنَّ » عطفًا على قوله : « ليخُوضُنّ » غير أنه ردّه إلى أصل التأنيث ، فأورده بالتاء ، ثم كان القياس على هذا « لَتَمْضِيَنّ » كما يقال : لَتَقُومَنّ هند ، إلاّ أنّ هذا لغة أيضًا[4] .

---

(١) روى صاحب التبيان قال : قال أبو الفتح : طال الكلام بينى وبينه فى قوله : « ليخوضُنّ » . فقال : هو مثل قولى ، وقلنا للسيوف : « هلمن » بضم الميم ، وذلك أنه لما وصفها بالمحالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكورين ... إلخ . فى التبيان ٣ / ١٣٦ .

(٢) سورة يوسف ١٢ / ٤ .

(٣) هذه رواية إحدى نسخ الديوان ويؤيدها شرح البيت وفى سائر التى بأيدينا : « لَيَمْضِنَ » بالياء .

(٤) أى حذف الياء وكان الوجه « ولتَمْضِيَنّ » كما تقول : حلفت هند « لتقومن » ، وهى وإن كانت جماعة الصدور والعوالى فإنه يخبر عنها كما يخبر عن الواحدة ، وحكى الكوفيون حذف الياء فى =

يقول [٢٧٦ - ا] عطفًا على ما تقدم : إنّ خيله ورماحه حالفتْه أنها تمضى حيث لا يقدر الرمح أن يدور فيه لضـــيقه ، ولا يتمكّن الحصان من الجولان عليه . والمدار والمجال : يجوز أن يكونا مصْدرين من . جال يجول مجالاً ، ودار يدور مداراً . ويجوز أن يكونا اسمين لمكان الدَّوران والجَوَلان .

٩- لاَ أَلُومُ ابْنَ لاَوُنٍ مَلِكَ الرُّو م وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالاَ

يقول : لا ألوم مَلِكَ الرّوم على قلقه . لما بنيت من هذه القلعة ، وإن كان ما تمنّاه من هدْمها محالاً .

١٠- أَقْلَقَتْهُ بَنِيَّةٌ بَيْنَ أُذْنَيْـ ـهِ وَبَانٍ بَغَى السَّمَاءَ فَنَالاَ

يقول : لا ألوم ملك الرّوم على قصده لهدْم هذه البنيَّة (التى هى قلعة الحدث) لأنها أقْلقته ، فكأنها مبْنية على مؤخّرِ رأسه بيْن أذنيه ، فلا بد من أن تقلقه لثقلها عليه ، وهذا البانى أيضًا قلْعة وهو الذى طلب السماء فوصل إليها ، فكأنه يقول : كيف يتعذّر على سيف الدولة بناء الحدث وهو قد رام السماء فنالها بعلوّه .

١١- كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنْـ ـىُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذَالاَ

بنى يبنى بنيًا [وبناءً] .

يقول : كُلما أراد مِلك الرّوم هدْم هذه القلْعة ، وسّع سيفُ الدّولة بناءها ، وأحكم حائط سورها ، حتى عمَّ بها رأسَه : مقدّمه مؤخَّره ، فيكون حطّه سببًا لإحكامها ، فيعظم أمرها عليه .

=مثل هذا نحو : حلفت هند لتمضن ولترضن ، لسكونها وسكون النون الأولى بعدها ولم يحرك الياء بالفتح كقوله :

كأن أيديهن بالبقاع القَرِقْ

من أراد زيادة وتفصيلا فليرجع إلى الواحدى ٥٨٣ والتبيان ٣ / ١٣٦ .

١٢– يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ والبُلْـ ـغَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ[١] الآجَالاَ

فيها : أى فى ناحيتها ، والآجال : جمع الأجل .

يقول : إن ملك الرّوم يجمع الأمم لهدم هذه القلعة ، وأنت تجمع آجالهم ومناياهم فتوافيهم بها وتقتلهم .

١٣– وَتُوَافِيهِمُ بِهَا فِي الْقُنَا السُّمْـ[٢] ـرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلاَلاَ

الصِّلال : جمع [صَلَّة] وهى الأرض التى أصابها المطر من بين الأرَضِين [التى لم] تمطر وقيل : هى بقايا المياه[٣] .

يقول : تجمع آجالهم وتوافيهم بها على أطراف الرماح ، فآجالهم تتسابق إليهم ، كما تتسابق العطاش إلى الأرض الممطورة .

والمعنى : أنهم كلما بعثوا إليها الجيش[٤] لهدمها قصد إليه سيف الدولة فأهلكه .

١٤– قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَيْ يُقَصِّرُوه فَطَالاَ

يقول : إنهم قصدوا إليها ؛ ليهدموا سورها ، فقتلهم سيف الدولة ، وتمم بناء سورها ، فكأنّ قصدهم لهدمها سببُ بنائها .

وحكى ابن جنى : إن سبب إتمام بناء الحدث . أن الرومَ لعنوا سيفَ الدّولة ، فاغتاظ من ذلك وأتمه ، فلمّا كانَ لعنهم إياه سببًا لإتمامه ، أجرى عليه لفظ البناء .

١٥– وَاستَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَرْبِ حَتَّى تَرَكُوهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالاَ

استجرُّوا : أى جرُّوا . ومكايد الحرب : آلاتها . والهاء [فى لها][٥] لقلعة الحدث ، وأراد بها : أهلها .

---

(١) ق ، شو : « ويجمع » . (٢) ع : « ق القنا الصم » .

(٣) وقال أبو الهيثم : هى مواقع المطر فيها نبات فالإبل تتبعها وترعاها . اللسان .

(٤) ع : « بجيش » .

(٥) من الواحدى ، والتبيان ، والعرف الطيب ٤٣٤ .

يقول : إنهم جمعوا آلات الحرب ، ومكايد الحصون ، ثم انهزموا وتركوها ، فأخذها أهل الحدث ، واستعانوا بها عليهم ، فصارت وبالاً عليهم .

[٢٧٦ - ب] وقيل : أراد بمكايد الحرب[١] : تدبيرهم فى الحدث فقال : إن تدبيرهم صار وبالاً عليهم[٢] ، لأن أهل الحدث أوقعوا بهم .

١٦- رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لاَ تَحْمَدُ الْفُعْـ ـعَالَ فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالاَ

يقول : إن هذا الفعل[٣] كان منهم محمودًا فى نفسه ؛ لمَا فيه من نفْع المسلمين ، فحمدتَه لذلك ، وإن كان لا تحمدهم[٤] على فعلهم ذلك[٥] .

١٧- وَقِسِيٍّ رُمِيتَ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِى قُلُوبِ الرُّمَاةِ عَنْكَ النِّصَالاَ

يقول : إنهم جاءوا بها ، ثم انهزموا ، فأخذ أصحابك قِسِيَّهم ، فرمَوْا بها من كان يرميهم ، فردَّت نصالهم فى نحورهم .

١٨- أَخَذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْـ ـلَ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِرْسَالاَ

يقول : أخذوا الطُّرق من كل جهة ؛ ليمنعوا الرُّسل الذين يرسلهم أهلُ الحدث إلى سيف الدولة ، فلما انقطعت الرُّسل استراب ، وعلم أن الرّوم حاصروهم ، فركب إليهم ، وكأنّ انقطاع الرّسل عنه قائمًا مقام الإرسال .

وقيل : أراد أنهم وإن اجتهدوا فى قطع الرسل عنه ، فلم يخْفَ الخبر عليه ؛ لأن الناسَ تطلعوا إلى إبطاء[٦] الخبر عنهم ، وعادوا بالخبر إليه .

١٩- وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلاَّ أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلاَ

(١) ق ، شو : « الحروب » .
(٢) الوبال : الشّدة وسوء العاقبة وفى التنزيل العزيز : (فذاقوا وبال أمرهم) .
(٣) الفعل : المراد به حملهم مكايد الحرب وآلاته . لأنهم لو لم يحملوها لما ظفر بها المسلمون .
(٤) المراد : لا تحمد الفعال وهم الروم .
(٥) زادت الأصول بعد ذلك : « لأنهم فعلوا ذلك » تكرار .
(٦) ع : « لما أبطأ » .

كثروا فكانوا كالبحر ، ذى الأمواج ، فكانوا بالإضافة إليك كالسَّراب [1] إلى البحر .

٢٠–مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ ولَكِنَّـ ـنَ الْقِتَالَ الَّذِى كَفَاكَ الْقِتَالاَ

ما : نفى ، ولم يقاتلوك : فى موضع الحال ، أى ما مضوا غير مقاتلين لك ، أى أنهم ما انهزموا من غير قتال ، بل ثبتوا وقاتلوا ، ولكن كان القتال الذى هزمهم هو قتالك معهم قبل ذلك ، وكفاهم الآن قتالهم .

والمعنى : أنهم لمَّا جربوك قبل هذا اليوم ، وشاهدوا إيقاعكَ بهم ، خافوا الآن من الإقدام ، فانصرفوا منهزمين .

٢١–وَالَّذِى قَطَعَ الرِّقَابَ مِنَ الضَّرْ بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الْآمَالاَ

يقول : إن السَّيفَ الّذى قطّع رقابهم حين ضربتهم به قبل ذلك ، قطّع الآن آمالهم أن يقدموا عليك .

٢٢–وَالثَّبَاتُ الَّذِى أَجَادُوا قَدِيمًا عَلَّمَ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالاَ

يقول : إن الروم [2] كانوا ثبتوا فيما مضى من الأيّام ، وجوّدوا الثّبات لك ، فأدَّى ثباتُهم إلى قتلهم واستئصالهم ، فعلَّم هؤلاء ثباتهم من قبْل ، هذا الهرب والانهزام ، لأنهم علِموا أنهم لو ثبتوا لهلكوا [3] .

والإجْفَالُ : الانهزام .

٢٣–نَزَلُوا فِى مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالاَ

يقول لما نزلَ [4] هؤلاء حوْل الحدث ، ورأوا مصارع أعْمامهم وأخْوالهم الذين

---

(١) ق : « كالتراب » . والآل . السراب .

(٢) ق : « إن أهل الروم » وقال ابن جنى : لما أجادوا ثباتهم قديمًا ، وأدّى إلى هلاكهم ، علم من كانت عادته الثبات ، الإسراع فى الهزيمة خوفًا منك . التبيان .

(٣) يريد : أنهم ثبتوا أمامك قديمًا فأهلكتهم ، وذلك الثبات علمهم أن يفروا منك مخافة أن يحل بهم ما حل بالذين سبقوهم .

(٤) فى النسخ : « لما نزلوا هؤلاء » .

قتلهم قبل هذا اليوم ، وأقبلوا يندبونهم ، ويبكون عليهم .

ثم انهزموا خوفًا من أن يحلّ بهم ما حلّ بمن تقدمهم من أقربائهم[1] .

٢٤–تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْهَا م وَتُذْرِى عَلَيْهِمُ الْأَوْصَالاَ

[٢٧٧ – ا] تُذْرِى : أى تسيِّر . والأوْصال : الأعضاء .

يقول : نزلوا فى مصارع الذين قتلهم من الرّوم ، وأوصالهم كانت موجودة بها بعد[2] ، فكانت الرّيح تذرِى عليهم رميمَ أوصالهم ، وتحمل بينهم شعور هامهم .

٢٥–تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا وَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالاَ

فاعل « تنذر » ضمير المَصَارِع ، وإليْها يرجع الضمير فى قوله : « لديها »

وقيل : إن فاعل تنذر : ضمير الريح[3] . والأول أولى .

والمعنى : إن مصارع المقتولين من قبل تنذر أجسام هؤلاء المنهزمين أن يقيموا بها ، وترى هذه المصارع أجسامهم لكل عضو منها مثالاً من أعضاء المقتولين ، فإذا تأمّلوا تلك الأعضاء علموا أنهم إنْ أقاموا بها قُتِلوا ، وصارت أعضاؤهم منقطعة .

٢٦–أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِى الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالاَ

دِرَاكًا : تباعًا . متداركًا . وتقدير البيت : أبصروا الطَّعنَ فى القلوب دراكًا خَيَالا قبل أن يُبْصروا الرِّمَاح .

يقول : إنهم تخيلوا[4] الطَّعْنَ فى قلوبهم ، لمّا رأَوْا مصارع قتْلاهم ، فانهزموا قبل أن يروْا الرِّمَاح عِيَانًا .

(١) هذا زيادة عن نص البيت وهى عادة عرفت عند الشارح .

(٢) يعنى لم يبعد عهد ذلك المكان ، بالقتل فشعور القتلى وأعضاؤهم باقية هناك وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على الروم عند بنائه الحدث وقد وصفها بقوله . « على قدر أهل العزم تأتى العزائم » . القصيدة .

(٣) ويجوز أن يكون الأوصال . أى تنذر الأوصال الجسم . التبيان ٣ / ١٤٠

(٤) الخيال : مايرى على غير حقيقته . وفى ، ع : « تخايلوا » .

٢٧–وَإِذَا حَاوَلَتْ طِعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ الْقَنَا أَمْيَالاَ

الأميال : جمع ميل[١] . وهو ثُلثُ الفرسخ[٢] .

يقول : إن العدوّ إذا أراد مطاعنتك رأى رماحك طِوالاً[٣] ، حتى كأنه يرى كل ذراع منها فى طول الميل ، لما لحقه من الخوف والوَهَل[٤] ، فكأنّه مأخوذ من قول الله تعالى (يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنْ)[٥] .

٢٨–بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا فَتَوَلَّوْا وَفِي الشِّمَالِ شِمَالاَ

قال ابن جنى : هذا مثْل قول الله تعالى : « يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنْ »[٥] ولم يزد على هذا .

والمعنى : أن الرعب قد ملأ قلوبَهم لَمّا عاينوا جيشَك ، فصَوّر لهم أنه قد اتصل بناحية يمين جيشه يمين أخرى ، وكذلك فى ناحية الشمال ، فرأوه[٦] أكثر مما هو ، فكأنهم رأوا الرجُلَ رجلين ، واليمين يمينَيْن والشِّمال شِمالَيْن ، فولّوا أدبارهم منهزمين .

وقيل : المعنى أن الخوف قد تسلط عليهم حتى أعجزهم عن القتال ، فكأنَّ الخوف بسط فى يمين الجيش يمينه [وفى شمال الجيش شماله][٧] . وهو جيش العدو .

٢٩–يَنْفُضُ الرَّوْعَ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِى أَسُيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَغْلاَلاَ

(١) قدر قديما بالذراع ، بأربعة آلاف ذراع . وقدر حديثا : بستين وسبع مئة وألف ياردة . انظر المعجم الوسيط « ميل » .

(٢) والفرسخ : ثلاثة أميال المعجم الوسيط « فرسخ » والمعرب ٢٩٨

(٣) ع : « طويلة » .

(٤) الوهل : الضعف والفزع والجبن .. اللسان .

(٥) سورة آل عمران : ٣ / ١٣ .

(٦) ق : « فرأوا » .

(٧) قريب مما بين المعقوفتين فى الواحدى والتبيان عن رواية ابن جنى .

يقول : إن الخوف ملأ قلوبهم ، وكانت أيديهم ترتعد ، وهى قابضة على السيوف فكأنّها مغلولة .

٣٠-وَوَجُوهًا أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالاَ

وجوهًا : نصب لأنها معطوفة على قوله : « أيديا »[1] لفظًا ، وهى منصوبة بفعل مضمر معنًى ، دلّ عليه « يَنْقُضُ »[2] أى يغير وجوهًا .

يقول : خوْفك يغيّر وجوهًا ، ويردّها من حال الحسن إلى حال القبح ، ولا يلحقك خوف يتغير له وجهك ، فكأنَّ وجهَك سلب وُجوهَهم حسنَها ، وانتقل إلى وجهك جمالُ الوجوه [٢٧٧ – ب] .

٣١-وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالاً ، وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالاَ

يقول : جاءوا[3] ليهدموا الحَدَثَ ، ظَنًّا منهم أنهم يقدرون على ذلك ، فلمّا عاينوك بطل الظن ، وانتقل المراد إلى غيره ، ورضوا من الظفر بالهزيمة .

٣٢-وَإِذَا مَا خَلاَ الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالاَ

الهاء فى « وحده » للجبان[4] .

يقول : الجبان إذا خلا بنفسه أظهر الشجاعة ، وإذا عاين الحرب انثنى[5] عزمه .

٣٣-أَقْسَمُوا لاَ رَأَوْكَ إِلاَّ بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرِّجَالاَ

(١) فى النسخ معطوف على قوله : « ينفض » والتصويب عن الواحدى .
(٢) أى : ينقض أيديا . ويغير وجوها . قال ابن جنى : هو من قوله :
علَفْتها تِبْنًا وماءً باردًا
أى علفتها تبنًا وسقيتها ماءً . انظر التبيان .
(٣) ع : « جاءوا » ساقطة .
(٤) ق : « إلى الجبان »
(٥) ع : « حذار ؟ » .

يقول : حلفوا أنهم لا يرونك إلا بالقلْب وإعمالِ الفكر ، فإن عيونهم قد غرَّتهم ، وأرتهم منك خلاف ما جرّبوه .

٣٤-أَيُّ عَيْنٍ تَأَمَّلَتْكَ فَلاَقَتْكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَآلاَ ؟

يقول : كل عين نظرت إليك تحيرت بجلالك وهيبتك ، ولم يمكنها أن تلاقيك ، والطّرف إذا رنا إليك بقى شاخصًا لا يرجع من النظر إليك[1] . .

٣٥-مَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْـ شَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالاَ

يقول : إنّ ملِك الرّوم لا يشكّ فى أنك تأخذ جيْشَه وتأْسره ، ومع ذلك يبعث الجيوشَ إليك ، أفتراه يبعثها إليك هديّة وعطيةً ؟!

وحكى ابن جنى : أن أبا الطيب كان يرفع « اللَّعين »[2] وينصبه على : أعنى اللعين[3] .

٣٦-مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْ ضِ وَمَرْجَاةَ أَنْ يَصِيدَ الْهِلاَلاَ ؟

ومرْجَاةً[4] : نصب لأنه مفعول معه[5] : أى ماله مع مرْجَاة . وهى مَفْعَلَةٌ من : رجا يرجو .

يقول : من ينصب حبائل فى الأرض ، كيف يطمع أن يصيد الهلالا ؟ ! وهذا

(١) أى العين التى تتأملك لاتجسر على ملاقاتك فى الحرب ، أى لايجسر صاحبها على ذلك لما يرى من هيبتك وأفعالك ، وإذا أثبتت نظرها فيك لم تقدر على الرجوع إلى صاحبها لما يأخذها من الدهش ، أو لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبة . العرف الطيب ٤٣٦ .

(٢) برفع « اللعين » على انه فاعل « يشك » .

(٣) أى النصب على الذّم بإضمار : أعنى أو شتم اللعين . وفى ع : « على التمييز »

(٤) ويروى « مرجاه » بالاضافة وموضعه رفع بالابتداء ، وخبره أن يصيد ، أى صيد الهلال .

(٥) كقولك : مالك وزيدا ، ومالزيد وعمرو وأجاز ابن جنى الخفض : عطفا على « مَنْ » كقولك : مالزيد وعمرو فالواو فى الوجه الأول واو مع وفى الثانى واو الحال وفى الثالث واو العطف . انظر التبيان والواحدى .

مَثَل والمعنى : كيف يطمع ملك الروم في قلعة الحدث[1] ؟! وهي في بُعْد المنال كالنجم والهلال .

٣٧- إنَّ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْـ ـدَبِ والنَّهْرِ مِخْلَطًا مِزْيَالاَ

الأحدب : اسم جبل وعليه قلعة الحدث . والمِخْلَط من الرجال : من يخلط للقتال . والمِزْيال : الذى يفارقه . وقيل : المِخْلط والمِزْيال : الرجل الداهية ، لا يُعْرَف كيفَ يدخل في الأمر ! وكيف يخرج منه !

يقول : دون هذه القلعة رجل بصير بالأمور ، يقابل وقت القتال ، ويزايل وقت الزِّيال ، فهو يحول بين القلعة وبين من يقصدها .

وقيل : المخلط : الذى يخلط بين الجيشين . والمزيال : الذى يميّز بينهما ، وهى صفة الرّجل الشجاع ، والمراد به سيف الدولة .

٣٨- غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالاَ

خالا : نصب على الحال .

يقول : إن سيف الدولة قد غصب هذه القلعة من الملوك ومن الدهر : أى خلّصها من حوادثه ، وبناها وحصّنها ، فهى تلوح فى وجنة الدهر كالخال ، فلا يقدر الدهر على أن يزيلها حتى يزول ، فهى باقية ما بقى الدهر ، لبقاء الخال ببقاء الخد .

٣٩- وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَّرِدِ الْأَكْـ ـعُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالاَ

يقول : منعها [من] حوادث الزمان ، ومن الخوف ، بكل رمْح مطّرد[2] الأكعُب[3] أى مستو ليس فى كعوبه[4] [٢٨٨ - ا] اختلاف واضطراب .

---

(١) فى الواحدى والتبيان والعرف الطيب المعنى كيف يطمع ملك الروم فى قصده سيف الدولة والرأى ما رآه الشارح ويرشح ذلك شرحه للبيت الذى يليه .

(٢) المطرد : المتصل الذى لاعوج فيه .

(٣) الأكعب : جمع كعب وهو العقدة التى تكون بين الأنبوبتين من الرمح .

(٤) ق : « لين فى كعوبه » .

٤٠- فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعَرُوسِ اخْتِيَالاَ وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلاَلاَ

يقول : هذه القلعة تختال فى مشيها ، كما تختال العروس ، وتتثنى دلالاً على الزمان ، لأنها أمِنَتْ أحداثه . وأراد به أهل القلعة .

٤١- فِي خَمِيسٍ مِنَ الأُسُودِ بَئِيسٍ يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَالْأَمْوَالاَ

بئيس : أى شديد .

يقول : تمشي مشيَ العروس ، فى جيش شديد مثل الأسود ، فهى تفترس النُّفوسَ بالقتل ، والأموال بالنهب .

٤٢- وَظُبًا تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلاَلاَ

يقول : إن السيوف[1] التى حولها ، تعرف الحلال من الحرام ، فهى لا تسفك إلاَّ دمًا يحل سفكه : يعنى أنها لا تقتل إلا من حلّ دمُه . وظبًا : عطف على خميس .

٤٣- إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالاَ

الأنيس : الإنْس . والاغتيال : الخديعة .

يقول : نفوس النَّاس مثل السباع يفرسُ[2] بعضُها بعضًا ، إما مجاهرة ، وإما مخادعة ، كما تفعل السباع . وجهرة واغتيالاً : مصدران واقعان موقع الحال .

٤٤- مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلاَبًا وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاَ

الغِلاب : المغالبة .

يقول : من قدر على مراده بالغصْب ، لم يطلبه بالسؤال .

٤٥- كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالاَ

(١) وهو المراد بقوله : وظبًا ، لأن الظبا : جمع ظبة وهى طرف السهم والسيف التبيان .

(٢) يفرس : يقتل . اللسان .

يقول : من يطلب أمرًا يتمنى أن يكون فيه كالأسد فى الشجاعة والقهر .
والرئبال والغضنفر : اسمان للأسد ، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين .
وقيل : إن الرئبال بدل من الغضنفر ، وقيل صفة له .

(٢٣٣)

وفزع[١] الناس لخيل لقيتْ سريَّة سيف الدولة ببلد الروم . فركب وركب[٢] أبو الطيب معه فوجد السريّة قد قتلت بعض الخيل . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته فى ذلك الوقت فأنشد[٣] سيف الدولة متمثلاً قول النابغة :

وَلاَعَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُخَيَّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ ... إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارُبِ[٤]

فقال أبو الطيب مجيبًا له[٥] فى الوقت ارتجالاً[٦] .

١- رَأَيْتُكَ تُوسِعُ الشُّعَرَاءَ نَيْلاً ... حَدِيثَهُمُ الْمُوَلَّدَ وَالْقَدِيمَا

القديم : مَنْ كان فى الجاهلية . والمخضرم : الّذى أدركَ الجاهليةَ والإسلام .

(١) مقدمة الديوان : وقال وقد فزع »
(٢) ع : « وركب » ساقطة .
(٣) مقدمة الديوان « فأنشده » .
(٤) ديوان ٦٠ ومعاهد التنصيص ٢ / ١٠٨ . وفيه « تورثن » والمثل السائر ٢ / ٤٠٣ .
(٥) ع : « فأنسده أبو الطيب ارتجالا » .
(٦) الواحدى ٥٨٩ : وأنشد سيف الدولة متمثلا بقول النابغة :
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
تخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب
فقال أبو الطيب مجيبا له التبيان ٤ / ٥ « وأنشد سيف الدولة متمثلا بقول النابغة :
ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
فقال أبو الطيب مرتجلا . الديوان ٤٠٧ قريب من المقدمة المذكورة العرف الطيب ٤٣٨ .

والإسلامى : من ولد فى الإسلام إلى وقت بشار[١] . والمولَّد : من كان فى وقت بشار ، وهم[٢] إلى يومنا ، فبشّار أبو المولدين وكذلك الحديث .

وقيل : القديم : البدوى[٣] . والمولَّد : الحضرىّ .

يقول : قد عمّ إحسانُك الشعراءَ السّالفَ منهم والباقى ، وحديثَهم وما كان بعده بدل من الشعراء[٤] .

٢– فَتُعْطِى مَنْ بَقَى مَالاً جَسِيمًا وَتُعْطِى مَنْ قَضَى شَرَفًا عَظِيمًا

بَقَى : لغة طائية[٥] .

يقول : تعطى الباقى منهم الأموال الجسيمة ، وتعطى الماضى الشّرف العظيم[٦] وروى « عَمِيمًا » أى ثابتًا .

٣– سَمِعتُكَ مُنْشِدًا بَيْتَىْ زِيَادٍ نَشِيدًا مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمًا[٧]

[٢٧٨ – ب] النشيد : الإنشاد . وزياد : اسم النابغة[٨] ، وأراد بمنشده[٩] : سيف الدولة .

---

(١) سبقت الترجمة له وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت وفاته سنة ١٦٨ هـ . ولد ومات بالبصرة وهو رأس المجددين إذ تتصارع فى شعره العناصر القديمة والجديدة ، فيبدو فى الموضوعات التقليدية بدويًّا جزل الألفاظ تقليدى فى العبارات والصور . وفى الغزل والمجون يبدو حضريًّا رقيقًا سهل الألفاظ .

(٢) ق : من « منْ ولد ... وهم » ساقط ، ع : « فبشار والمولد » إلخ .

(٣) « البدوى » ساقطة من ق .

(٤) فى الأصول : « عن الشعراء » .

(٥) لغة طيئ : بقِى بفتح القاف وفَنى بفتح النون فى بَقِىَ وفَنِىَ بكسرهما . وطيئ تفعل فى المعتل مثل هذا . الواحدى والتبيان .

(٦) بأن : ننشد شعرهم ونتمثل بها استحسانًا لها فيكون ذلك شرفًا لهم .

(٧) ع : سقط نص هذا البيت وبقى شرحه فقط مختلطًا بشرح البيت الذى يليه .

(٨) زياد : اسم الشاعر . والنابغة : لقب غلب عليه .

(٩) أنشد الشعر : قرأه رافعا صوته . اللسان والمنشد : من يؤدى الشعر بحسن إيقاع .

يقول : سمعتك تنشد بيتَى النابغة ، وكان هذا الإنشاد كريمًا مثلك .

٤- فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبَطْتُ بِذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيمَا

الرميم : البالية ، وإنما لم يؤنّثه ، وإن كان صفةً « لأعظمه »[1] ، لأن « الرميم » مصدر فى الأصل . يقال : رمَّ العظْمُ يرِمّ رمًّا ورَمِيمًا ، فلما استعمله صفة لم يؤنثه ، كقولهم : رجل صؤوم وامرأة صؤوم .

يقول : لم أنكر موضع النابغة فى الشعراء ومحله فى الفصحاء ، ولكن غبطت[2] عظامه البالية ، حيث تشرّف بإنشادِكَ شعرَه ، فتمنيت أن أكون مكانه .

(٢٣٤)

وقال أيضًا يمدحه وكان قد اجتاز[3] برأس عين سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة ، وقد أوقع سيفُ الدّولة بعمْرو بْن حابس[4] من بنى أسَد ، وبنِى ضَبَّة ورباح[5] من بنى تمم ، ولم ينشدها إياه[6] ، فلما لقيه دخلت فى جملة مدائحه وهى

(١) قال صاحب التبيان : لأن فعيلا وفعولا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والمفرد والجمع وفى التنزيل العزيز (قال من يحيى العظام وهى رميم) .

(٢) الغبطة : أن نتمنى مثل حال المغبوط لا أن تريد زوالها عنه وإلا فهى الحسد .

(٣) يحكى من ارخو للمتنى وسيف الدولة أن المتنبى اعتزم الخروج من الكوفة إلى الشام سنة ٣٢٠ ومن ثم اتخذ طريقه إلى الموصل ونصيبين ورأس عين واتجه بعد إلى الشام فقبض عليه هناك . وكان مرور المتنبى برأس عين سنة ٣٢١ . وفى تلك السنة حدث حادث كان من جرائه قتل أبو الأغر بن حمدان (ابن عم سيف الدولة) ، وذلك أن بنى ثعلبة اجتمعوا إلى بنى أسد القاصدين إلى أرض الموصل ومن معهم من طيئ فصاروا يدًا واحدة على بنى مالك.ومن معهم من تغلب (قوم بنى حمدان) ، فركب ناصر الدوله بن حمدان (أخو سيف الدولة) فى أهله ورجاله ومعه أبو الأغر للصلح بينهم ، فتكلم أبو الأغر فطعنه رجل من حرب بنى ثعلبة فقتله فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا وتبعهم ناصر الدولة إلى الحديثة قرب الموصل . وقد أوقع بهم سيف الدولة وهجاهم أبو الطيب فى مدحه لسيف الدولة فى القصيدة التى معنا ، ويرى أستاذنا الثبت محمود شاكر أن هذا المدح وذلك الهجاء كانا سببًا فى أن أحفظ عليه هؤلاء القوم من بنى أسد وبنى ضبة فتسببوا فى قتله . انظر فى ذلك المتنبى ٢/ ٩٣ – ٩٦ ، ٢٨٧ .

(٤) فى النسخ ع ، ق : « بعمر وابن حابس » .

(٥) ع : « ورماح » . (٦) ع : « ولم ينشدها له » .

من قوله فى صباه[1] :

١- ذِكَرُ الصِّبَا وَمَرَابِعُ الْآرَامِ ... جَلَبَتْ حِمَامِى قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِى

ذِكَر : جمع ذِكْرَى . وروى « ذِكْرُ الصِّبَا » مصْدر : ذكرت . والمرابع : جمع مرْبع ، وهو المنزل فى أيام الربيع ، وقيل : المرعى[2] . والآرام : جمع ريم[3] ، وهو الظبى الأبيض[4] .

يقول : تذكَّرْتُ منازلَنا فى الربيع ، ومنازلَ مجاورةً ، لِنساءٍ كالظباء البيض جَلَبْنَ علىَّ الموتَ قبل وقته .

وإنما تذْكُر العرب أيامِ الرّبيع ؛ لأنهم يخرجون إلى المراعى فيجتمعون مع أحبابهم ، فإذا جاء الصيف ، رجع كلُّ قومٍ إلى دارهم ، وهاجت صبابة الاشتياق ، وتجرعوا مرارة الافتراق .

٢- دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَىَّ فِى ... عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ

دِمَنٌ : خبر ابتداء محذوف ، أى هذه المرابعُ دِمَنٌ . والدِّمَن : جمع الدِّمْنَة ، وهى ما يُرَى من آثار الدِّيار[5] : من الأَبْوال والأَبْعار .

يقول : لما وقفت فى هذه المرابع ، تذكّرت أحبابى فيها ، فتكاثرت علىَّ الهمومُ كتكاثر اللُّوَّم فى وقوفى فى تلك العَرَصات[6] .

(١) الواحدى ٥٨٩ : « وقال سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة برأس العين وقد أوقع سيف الدوله بعمرو بن حابس من بنى أسد وبنى ضبة . ولم ينشده إياها فلما لقيه دخلت فى جملة مديحه » التبيان ٤/٦ : « وقال فى صباه سنة إحدى وعشرين وثلاثمئه » . الديوان ٤٠٨ قريب مما ذكر هنا العرف الطيب ٤٥٢
ويعرف مما سبق أن ذلك كان قبل اتصاله بالأمير سيف الدولة .

(٢) من روى بالتاء فقال : « مراتع » جمع « مرتع » وهو المرعى . التبيان والعرف الطيب ٤٥٢ .

(٣) ق . شو « أريم » .

(٤) قال الأصمعى : الآرام : الظباء البيض الخالصة البياض . الواحد ريم وهى تسكن الرمال وهذا النوع من الظباء يقال : إنه ضأنها . لأنه أكثرها شحماً ولحما . الدميرى . وأراد بهن النساء .

(٥) ع : « ماتبله من آثار الدار » .

(٦) العرصات : جمع عرصة ، وهى نواحى الدار أو البقعة الواسعة بين الدور أو ساحة الدار .

٣- وَكَأَنَّ كُلُّ سَحَابَةٍ وَقَفَتْ بِهَا تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ

عروة بن حزام : أحد العشّاق[1] ، وصاحبته عفراء .

يقول : عفتْ آثار هذه المرابع بكثرة الأمطار[2] حتى كأنّ كلّ سحابة كان لها بهذه الدّمن حبيب ، فهى إذا وقفت عليْها بكتْ لتذكّره ، كما بكى عروةُ على عفراء ، ومثله لأبى تمام :

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ[3]

وقد شبه غزارة المطر بغزارة دمع عروة على عادته فى قلب التشبيه[4]

٤- وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيقَ كَعَابِها فِيهَا ، وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلاَمِى

الكَعَاب : التى كَعَب ثدْياها .

يقول : إنْ كانت هذه المرابع قد دَرَست ، فطالما خلوت فيها بجاريةٍ كاعب ، أقبّلها وأترشّف ريقَها ، وهى تعاتبنى حتى أفنيْتُ ريقَها بالترشّف ؛ وأفْنَتْ[5] كلامى بالعتاب .

٥- قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً وَيَجُرُّ ذَيْلِي شِرَّةٍ وَعُرَامِ[6]

---

(١) هو : شاعر إسلامى من بنى عذرة أحب ابنة عمه عفراء وقد ربى معها لما مات أبوه وكفله عمه ، طلب أبوها مهرًا معجزًا ، فرحل إلى عم له باليمن وعاد بالمهر ، فإذا هى قد زوجت بأموى فى الشام فلحق بها ، وأكرمه زوجها ، فأقام أياما وودعها وانصرف ، ولكنه مات قبل أن يبلغ بلده ، دفن قرب المدينة ، له ديوان شعر صغير . لكنه رقيق وممتاز . له ترجمته فى الأغانى ومختار الأغانى ٣/ ٦ ق .

(٢) ع : « الأبطال » تحريف .

(٣) ديوانه ٤/٥٨٠ ومعاهد التنصيص ٦٩/٣ والواحدى والتبيان ورواية ق ، ع : « فلا ترق لهن المدامع » .

(٤) ق ، شو : من « وقد شبه ... التشبيه » ساقط .

(٥) ق ، شو « وأفنيت » .

(٦) فى النسخ : « وغرام » والتصويب عن الديوان والواحدى والتبيان .

وروى : « قَدْ كُنْتُ أَهْزَأُ وَأَجُرُّ » والمُجَانَة : المجون . والعُرَام ، والعرامة[1] : خلع العذار .

يخاطب نفسه ويقول : قد كنت تستصغر شأن الفراق ، وتسخر منه فى أيام الوصال وكنت تَجرّ ذيل الشِّرّة[2] والنّشاط ، ولم تشكر ما أنت فيه من النّعمة ، حتّى بليت بالفراق فعرفت مرارة الاشتياق .

٦- لَيْسَ الْقِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ

يقول : هذه الهوادج الّتى على الجمال ليست هى القباب ؛ وإنما هى حياتى رحلت عنى ، وكانت حياتى سالمة فذهبَتْ بما فيها من السلامة .

٧- لَيْتَ الَّذِى خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِى وَعِظَامِى

لِخِفَافِهِنَّ : أى لخفاف[3] الرّكاب .

يقول : ليت الله تعالى لمّا خلق الفراق جَعَل مفاصلى ، وعظامى تحت خفاف الإبل ، حتّى يمشين عليها ؛ لكرامتهن علىّ ، بسبب مَنْ عليها من الجوارى .

وقيل : تمنى ذلك لِيُتْلَف بسببهن ، كى يستريح من الاهْتِمام بفراقهن ، وليتذذ بهذا الموت ، بعد علمه بأن الفراق أشد من الموت .

وقيل : معناه ليت الله تعالى لما خلق الفراق أماتنى قبل أن أبْتَلِى به ، وجعل عظامى حصى تدوسه إبلهم بأخفافها[3] : أى ليتنى متُّ قبل أن أرى الفراق .

٨- مُتَلَاحِظَيْنَ نَسُحُّ مَاءَ شُئُونِنَا حَذَرًا مِنْ الرُّقَبَاءِ فِى الْأَكْمَامِ

[1] العرام : أصله شرس الخلق يقال : صبى عارم ابن العرام أى شرس . انظر التبيان واللسان . وقد ذكر فى ق : « العرام والعرامة » .

[2] الشرة : الحدة والنشاط . اللسان .

[3] أراد « أخفافهن » لأن خف البعير يجمع على أخفاف . أما الخفاف فهى جمع الخف الملبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . العرف الطيب ٤٥٢ .

متلاحظَينَ : نصب على الحال من فعل محذوف[١] : أي وقفنا متلاحظين ، يلحظ بعضُنا بعضًا ، وينظر إليه سرًّا . ونسح : أي نصبّ والشئون : مجارى الدّموع من الناس . وحذرًا : نصب على المفعول له وفي الأكْمَام : متعلق بقوله : نسح . أي نسح في الأكمام .

يقول : وقفنا متلاحظين حال التوديع : نصبّ دموعنا في أكمامنا خوفًا من الرقباء أن يقفوا على أحوالنا .

٩– أَرْوَاحُنَا انْهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الأَقْدَامِ

روى : « انْهَمَلَتْ » « وانْهَلّتْ » .

يقول : إنّ الدّموع هي أرواحنا ، سالت منا وقطرت على أقدامنا ، فكيف عِشْنا بعد خروج الروح من أبداننا ؟!

وجعل الدّموع أرواحًا لأنّ البكاء يُمْرِض ويُتْلف .

وقيل : أراد أن دموعَهُم كانت دمًا ! والدّم إذا كثر خروجه أتلف ومثله لآخر :

وَلَيْسَ الَّذِى يَجْرِى مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَذُوبُ وَتَقْطُرُ[٢]

١٠– لَوْكُنَّ يَوْمَ جَرَيْنَ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامِ

السِّجام : الغزيرة ، وهي جمع ساجم .

يقول : لو كانت دموعنا يوم الفراق على قدر صبرنا . لكانت قليلة كقلة صبرنا .

١١– لَمْ يَتْرُكُوا لِي صَاحِبًا إِلاَّ الأَسَى وَذَمِيلَ ذِعْبِلَةٍ[٣] كَفَحْلِ نَعَامِ

روى : « الأَسَى » و « الأَذَى » والذَّمِيل : ضرب من السير . والذّعلبة : الناقة

(١) يرى الواحدى أن متلاحظَين : حال من فاعل نسح وقدم الحال على العامل فيها .

(٢) الإبانة ١٦٧ نسبه للجهمي وروايته : « ولكنها روحي تذوب فتقطر » . ومعاهد التنصيص ٣٤٤ نسب إلى بشار ، وكذلك في التبيان ٢/ ٢٣٥ وغير منسوب في الوساطة ٣٩٧ والتبيان ٤/ ٨ .

(٣) في الأصول : « ذعبلة » وفي اللسان . الذعبلة : الناقة الخفيفة السريعة . شبهها بالذعبلة وهي النعامة لسرعتها وهي كذلك « ذعبلة » في رواية الديوان . وفي العرف الطيب : « ذعلبة » .

الخفيفة ، وروى بدلها « عرمسة » .

يقول : لم يترك الأحبابُ الرّاحلون(١) صاحبًا لى إلا الحزن ، وناقةً خفيفةً أرحل عليها ، وأقصد الممدوحَ ، وهى فى السّرعة كفحلِ النَّعام [٢٧٩ – ب] .

١٢–وَتَعَذُّرُ ٱلْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا(٢) إِلاَّ إِلَيْكَ ، عَلَىَّ فَرْجَ حَرَامِ

يقول : قلّة الأحرار وتعذّرهم حرّم علىّ أن أركب ظهر هذه الناقة إلا إليك ، فلا أقصد عليها سواك ، كما لا أركبُ فرجًا حرامًا .

١٣–أَنْتَ ٱلْغَرِيبَةُ فِى زَمَانٍ أَهْلُهُ وُلِدَتْ مَكَارِمُهُمْ بِغَيْرِ تَمَامِ

أنت الغريبة : أى الخصلة الغريبة ، أو الحالة الغريبة . وقيل : أدخل الهاء للمبالغة كقولهم : فلان كريمةُ قومه .

يقول : إن أهل هذا الزّمان إذا فعلوا مكرُمَة لم يتمّوها ، وأنت بينهم غريبة ؛ لتمام مكارمك وكمال معالمك .

١٤–أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ عَلَمًا عَلَى ٱلْإِفْضَالِ وَٱلْإِنْعَامِ

يقول : أكثرت بذْل العطاء وبالغت فى الجود والسخاء ، حتى صِرْتَ فى الجود علمًا مشهوراً ومثالاً مضروبًا ، ولم تزل كذلك فى قديم الأيّام .

١٥–صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَأَنَّهُ وَعَدَدْتَ سِنَّ غُلَامِ

يقول : فعلت كبَار الصَّنائع حتى صغَّرتَ كل صنيعة كبيرة ! وجلَّ قدرك عن أن يشْبِه شيء(٣) ، فيُقَال : واللهِ لكأنَّهُ بحر فى جوده ، وبدر فى علوّه ، وبلغت هذا المبلغ وأنت فى سن الغلام الحَدَث ! واللام فى قوله : « لكأنّه » جواب القسم المحذوف لدلالة اللام عليه .

---

(١) ع : « الواطئون » .

(٢) ع : « وتعذر الإحرام حرم ظهرها » .

(٣) ع : « يشبه به شيء » .

١٦-وَرَفَلْتَ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَايَةُ الْإِعْدَامِ

رَفَلَ الرَّجُل : إذا تبختر فى مشيه وجرّ ذيله ؛ فشبّه الثناء بالحُلَل ؛ لما فيه من الزِّينة والجمال ، وإنما عندك الإعدام هو عدم الثناء لا عدم المال ، فلهذا أبيت الحُلل واكتسيت[1] من الثناء الحلل .

١٧-عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَغَى مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ

تُرَى : أى أن ترى بسيف ، أى مع سيف .

يقول : أنت سيف فلا حاجة لك إلى حمل سيف فى الحرب ، وحمله عيب عليك لأنّك أمضى منه .

١٨-إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ! .

أقسم بالبراءة من الإسلام ، إن كان له نظير[2] فى زمانه ، أو سيكون فى مستقبل أيامه ! .

١٩-مَلِكٌ زُهَتْ بِمكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى افْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ

زُهَتْ : أى زُهِيَت ، فأبدل من الكسرة فتحة فصارت الياء ألفًا ، ثم سقطت لسكونها وسكون التّاء الساكنة بعدها ، وهذه لغة طيئ[3] .

يقول : أيامه افتخرت بمكانه فيها على سائر الأيام ؛ لأنه كساها فخرًا وزادها على الأيام شرفًا .

٢٠-وَتَخَالُهُ سَلَبَ الْوَرَى مِنْ حِلْمِهِ أَحْلَامَهُمْ فَهُمُ بِلاَ أَحْلَامِ

من حلمه : أى بحلمه . والأحلام : العقول .

---

(١) ق : «أبيت الحلل» تحريف . «واكتسب» ع : «وتكتسى» .

(٢) ع : «أن ليس له نظير» .

(٣) طيئ تفتح العين فى مثل ذلك فتقول «زُهَى» و «زُهَت» مثل : بَقَى وفَنى .

يقول : إذا رأيت عقله وعقل الناس ، ظننتَ أنه سلبهم عقلهم ورأيهم فلا عقول لهم .

٢١–وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِيٍّ النَّقْضِ وَالإِبْرَامِ

الأوْحدِىّ : منسوب إلى الأوْحد .

يقول : إذا جرّبت [٢٨٠ – ا] عزمه رأيته أوحدًا فى نقضه وإبرامه[١] ، لا نظير له فى أفعاله .

٢٢–وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ

يقول : إذا استمحنْتَ بنانه ، استحقر الدّنيا بأسرها فى قضاء حقك وحرمة سؤالك .

٢٣–مَهْلاً ! أَلاَ للهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرِو حَابِ وَضَبَّةَ الأَغْتَامِ[٢]

ألا لله : تعجب . وما : بمعنى الذى ، وقيل : استفهام ، وأراد عمْرو بن حابس[٣] ، فرخم فى غير النِّداء وهو جائز عند الكوفيين ، ولا يجيزه البصريون[٤] ، والأغتام : جمع الغتم وهو الجاهل الجافى .

---

(١) الإبرام : الفتل فى الحبل والخيط . والنقض : ضده . وأبرم الحكم : أيده .

(٢) فى الواحدى والتبيان والديوان . « الأغتام » وهو الذى فى منطقه عجمة . وفى الأصول : « الأغنام » فى البيت وفى الشرح .

(٣) لقاء . سيف الدولة لهؤلاء الخارجين من بنى أسد ومنهم عمرو بن جابس هذا وبنى ضبة وبنى رباح كان على أثر قتلهم ابن عمه « أبا الأغر ابن حمدان » سنة ٣٢١ . ومدح المتنى لسيف الدوله قد أحفظ عليه بنى أسد وبنى ضبة . ويرى شيخنا الأستاذ شاكر أن هذا هو سبب قتلهم له راجع مقدمة هذه القصيدة وهامشها وانظر المتنبى لشاكر ١/ ٩٤–٩٥ .

(٤) قال ابن جنى : (من البصريين) لا يجوز الترخيم فى غير النداء لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء فى النداء تخفيفًا ، والكوفيون يجيزونه فى غير النداء ، وهذا لا يجوز عندنا . فأما ما رواه الكوفيون من قول الشاعر :

أبا عُرْوَ لا تَبْعد فَكُلّ ابن حرَّة سيدعوه داعى موته فيجيب

فلا يعرفه أصحابنا على هذه الرواية .

يقول : اكفف عن هاتين القبيلتين فقد أوقعت بهم وقعة كبيرة .

٢٤–لَمَّا تَحَكَّمَتِ الأَسِنَّةُ فِيهِمُ جَارَتْ وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي ٱلْأَحْكَامِ

جارت : [أى] عليهم .

يقول : لما جعلت الرِّماح حكمًا بينك وبينهم ، جارت عليهم[1] فى حُكْمها ، وعادتها أن تجور إذا حكمت ، لأنها تقتل الناس .

٢٥–فَتَرَكْتَهُمْ خَلَلَ ٱلْبُيُوتِ[2] كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُءُوسُهُمْ عَلَى ٱلْأَجْسَامِ

يقول : تركتهم وسط البيوت قتلى ، أجسامًا بلا رءوس ، فكأن رءوسهم غضبت على جسومهم ففارقتها .

٢٦–أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءِ قَتَامِ

يعنى : أن الأرض احمرّت بما سال من دمائهم ، وهم مصروعون على الدماء كالحجارة على الأرض ، وكأنّ السّيوفَ كانت تلمع فى الغبار ، كما تلمع النجوم فى السماء .

لمّا جعل الأرضَ دمًا جعل حجارتَها القتْلى ، ولمّا جعل البيضَ نجومًا جعل القتام سماء .

ويجوز فى « أحجار » الرفع على إضمار المبتدأ ، والنصب على إضمار الفعل : أى

= قال صاحب التبيان وهو من الكوفيين : البصريون ينكرون هذه الرواية ويقولون : « أيا عرو » على النداء . وهب أصحابنا إلى جواز ترخيم المضاف ، وأوقعوا الترخيم فى آخر الاسم المضاف إليه ، وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء . وقال والشواهد كثيرة . ثم ذكر عدة شواهد منها قول زهير :

خذوا حظكم يا آل عكرم واحفظوا اواصرنا ، والرحم بالغيب تذكر

أراد يا آل عكرمة ، فحذف للترخيم ، وهو عكرمة بن حفصة بن قيس .

راجع فى ذلك الواحدى ٣٩٣ والتبيان ١١/٤ – ١٢ .

(١) ع : من « حكما .. عليهم » ساقط .

(٢) خلل البيوت : تنبيه على أن غزوهم كان فى خلال دورهم .

أشبهوا أحجاراً ، والرفع أجود .

٢٧–وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِى فُلَانٍ كُنْيَةً حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الأَيْتَامِ

وهذا معطوف على قوله : « أحجار ناس »[١] .

يقول : إنك قتلتهم وفرّقت أوصالهم ! فهناك ذراع كلّ إنسان كان يكْنى أبا فلان ، كأبى زيْد وأبى محمّد وغيره ، فحين قتلته حالت كنيته ، فصار يكْنى أبا الأيتام .

و « كُنْيَةً » نصب على الحال من « أبى فلان » وقيل : على المصدر : أى يكْنى كنية . وقدر انفصال « كلّ أبى فلان » لأن « كلّ » إذا أضيف إلى اسم واحد فى معنى الجمع ، لا يقع بعده إلا النكرة ، فيقال : كلُّ رجل فى الدار ، ولا يقال : كل زيد . غير أنه قدّر الانفصال اضطراراً ، فكأنّه قال : كل أبٍ لفلان ، كما تقول : ربّ واحد أمّه . أى ربّ واحدٍ لأمه .

٢٨–عَهْدِى بِمَعْرَكَةِ الأَمِيرِ وَخَيْلِهِ فِى النَّقْعِ مُحجِمَةً عَنِ الإِحْجَامِ[٢]

يقول : عهدتُ ذلك اليوم خيل الأمير محجمة عن الإحجام : أى مقدّمة فى الغبار إلى الأعداء ؛ لأنها إذا تركت الإحجام فعلت ضده ، وهو الإقدام[٣] .

٢٩–صَلَّى الإِلٰهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَسَقَى ثَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامِ

غَيْرَ مُوَدَّعٍ : نصب على الحال ، دعاء له بالصلاة والرحمة ، ولثرى أبويه بالسقيا ، ثم قال : لا جعل هذا الدعاء منىّ وداعًا لك .

٣٠–وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقِكَ القَمْقَامِ

---

(١) ق ، شو : « نامن » تحريف . (٢) كرر هذا البيت مع شرحه فى ق .

(٣) ذكر صاحب التبيان بعد هذا البيت البيت الآتى ذكره ولم نجده فى الأصول ولا فى الواحدى ولا فى الديوان وإن ذكرته بعض نسخ الديوان الهامشية وهو :

ياسيْفَ دولَةَ هاشمٍ مِنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَالَكَ رَامَ غير مَرَامِ

[٢٨٠ – ب] الهاء فى « عنده » يعود إلى اسم الله تعالى . القَمْقَام : البحر ، والقمقام : السيِّد .

يقول : ألبسك[١] الله الهَيْبَة ، وجمع بينك وبين أخيك السيِّد البحر وهو ناصر الدولة[٢] وكان أميرًا بالموصل .

٣١–فَلَقَدْ رَمَى بَلَدَ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِى رَوْقِ أَرْعَنَ كَالْغِطَمِّ لُهَامِ

رَوْق أرْعن : أى مقدّمة العسكر . والغِطمّ : البحر .

يقول : إن أخاك قصد العدوّ بنفسه فى جيش عظيم كالبحر ، وهو فى أول الخيل .

٣٢–قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَايَا فِيكُمُ فَرَأَتْ لَكُمْ فِى الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ

أى أنتم قوْم تفرَّستْ : أى تأمّلت ، وكان الوجه « فيهم » و « لهم » غير أنه رده إلى المعنى ؛ لأنه أبلغ .

يقول : نظرتِ المنايا فيكم فرأتكم صابرين على الحرب ، وعاينت فيكم صبْر الكرام ، فعدلَتْ عنكم إلى أعدائكم الذين لم يصبروا على الحرب .

٣٣–تَـاللهِ مَـا عَـلِـمَ امْـرُؤٌ لَـوْلاَكُـمُ
كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ ؟ !

---

(١) ع : « كساك » .

(٢) كان ناصر الدولة : الحسن بن عبد الله بن حمدان هو أمير الموصل وديار ربيعة . وكان أول من تولى أمر الموصل من الحمدانيين ، أبو ناصر الدولة (الثانى) وسيف الدولة وهو عبد الله المكنى بأبى الهيجاء ، ولاه عليها المكتفى ، وقتل أبو الهجاء المذكور ببغداد ، وكان ابنه ناصر الدولة نائبًا بالموصل واستمر بها إلى سنة ٣٢٣ فضمن عمه : أبو العلاء بن حمدان مابين ابن أخيه من ديوان الخليفة بمال يحمله ، وسار أبو العلاء الحمدانى إلى الموصل فقتله ابن أخيه ناصر الدولة فلما بلغ الخليفة ذلك أرسل عسكرًا إلى ناصر الدولة مع ابن مقلة الوزير ، فلما وصل إلى الموصل هرب ناصر الدولة ولم يدركه فأقام ابن مقلة بالموصل مدة ثم عاد إلى بغداد فعاد ناصر الدولة إلى الموصل وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح . وضمن الموصل بما يحمله فأجيب إلى ذلك . راجع أبا الفداء ٢/ ٨٣ .

تاللهِ : قسم وتعجّب ، وإنما خصت التاء[١] بهذا الاسم لتضمّنها معنى التعجب ، فمنع التّصرّف ، كما مُنع فعلُ التعجّب .

يقول : علّمْتم السخاوةَ والشجاعةَ ، ولولا أنتم لما علم امروٌ طريقَ السخاء والشجاعة .

(٢٣٥)

وغزا سيفُ الدولة من حلب وأبو الطيّب معه ، وقد أعدّوا الآلات لعبور أَرْسَنَاس فاجتاز بحصن الران[٢] وهو فى يده ، ثم اجتاز ببحيرة سمنين ثم بهنزيط ، وعبرت الروم والأرمن أَرْسَنَاس[٣] وهو نهر عظيم لا يكاد أحد يعبره سباحةً إلا جرَّه وذهب به ، لشدته وشدة جَرْيه[٤] فَسَبَحَت الخيل حتى عبرته[٥] خلفهم إلى تلّ بطْريق[٦] ، وقتل من وجد بها ، وأقام أيامًا على أَرْسَنَاس[٧] وعقد بها سماريات يعبر فيها[٨] .

---

(١) فى النسخ : « إنما خصصت الهاء » أى تختص التاء باسم الله تعالى وتتضمن معنى التعجب . انظر فى ذلك معنى اللبيب لابن هشام ١/ ١١٦ وكشاف الزمخشرى ٣/ ١٢٢ عند تفسير قوله تعالى (وتالله لأكيدن أصنامكم) وكذلك البحر المحيط لأبى حيان ٦/ ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٢) الرّان : حصن من حصون الروم بينه وبين منبج خمسة أيام . انظر شرح البيت ١٦ .

(٣) فى النسخ من : « فاجتاز .. أرسناس » ساقط والتكلة من مقدمة الديوان وانظر شرح البيت رقم ١٧ من القصيدة وانظر ياقوت وقد وصفه بأنه نهر شديد البرودة .

(٤) المقدمة « وشدة بردة » .

(٥) فى النسخ : « عبرتهم » والتصويب عن مقدمة الديوان .

(٦) فى مقدمة الديوان : وتل بطريق مدينة لهم « أى للروم » ويقول ياقوت : بلد كانت بأرض الروم فى الثغور فخربها سيف الدولة بن حمدان . وتزيد مقدمة الديوان بعد ذلك : « وأحرق تل بطريق وقتل من وجد بها » .

(٧) انظر شرح البيت رقم ١٧ و١٩ وهو نهر فى بلاد الروم شديدة البرودة صيفًا وشتاءً . هذا ما ذكره الشاعر نفسه .

(٨) ع : « يغير فيها » مقدمة الديوان : « يعبر السبي فيها » : وانظر شرح البيت رقم ٢١ .

ثم قفل ، فاعترض البطريق[١] فى الدرب[٢] بالجيش ، وارتفع فى ذلك الوقت سحاب عظيم وجاء بمطر غزير[٣] وقع القتال تحت المطر ، ومع البطريق نحو ثلاثة آلاف قوس ، فابتلت أوتار القسىّ ولم تنفع[٤] ، وانهزم أصحابه ، ثم انهزم بعد أن قاتل وأبلى[٥] ، وعلقت به الخيل ، فعجّل الهرب يحمى نفسه حتى سلم[٦] .

فقال أبو الطيب وأنشدها إياه[٧] بآمد ، وكان دخوله إليها منصرفًا من بلاد الروم فى آخر نهار يوم الأحد ، لعشرٍ خلون من صفر سنة خمس وأربعين وثلاث مئة[٨] .

١- الرَّأْىُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ   هُوَ أَوَّلٌ وَهْىَ الْمَحَلُّ الثَّانِى

يقول : إن الرأى والعقل أفضل من الشجاعة ، لأنّ الشجعان يحتاجون أولاً إلى الرأى ثم إلى الشجاعة ، فإذا لم تصدر الشجاعة عن الرّأى فهى التنزّى[٩] وربما أتت عليه . ورُوِى بدل : « الشّجعان » : « الفُرْسان » .

٢- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مُرَّةٍ   بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

مُرّة : أى أبيّة . وروى : « حُرّة » .

يقول : إذا اجتمع الرأى والشّجاعة لنفس واحدة كريمة أبيّة ، بلغت كلّ مكان من المعالى .

---

(١) البطريق : قائد الروم . (٢) ع : « فى الدرب » مهملة .

(٣) ع : « غزير » ساقطة ، ومقدمة الديوان : « وجاء بمطر جود » .

(٤) فى المقدمة : « فلم تنفع » .

(٥) ق ، س : « وأنكى » . (٦) فى المقدمة : « فجعل يحمى نفسه حتى سلم » .

(٧) فى المقدمة : « وأنشدها سيف الدولة » .

(٨) الواحدى ٥٩٤ : « وقال يمدحه وقت منصرفه من بلاد الروم سنة ٣٤٥ . التبيان ٤ /١٧٤ : « وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم » . الديوان ٤١١ /٤١٢ نص المذكور هنا . العرف الطيب ٤٣٩ .

(٩) كلمة مطموسة فى النسخ تبيّنّا بها هذه « ليرى » ولعل ما ذكرناه يؤدى معناها إن لم توافق اجتهادنا . والتنزى : التسرع إلى الشر . اللسان « نزى » .

٣- وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ

يقول : إن الرأى ربّما يغنى عن الشجاعة ، ويوصل صاحبه إلى الإيقاع بالأعداء والنكاية [بهم] قبل أن يقع حرب أو قتال[١] .

٤- لَوْلاَ الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسَانِ

أدنى ضيْغم : من الدناءة[٢] . وأدنى إلى شرف : من الدنو[٣] . والأول اسم كان ، والثانى خبره .

يقول:لولا ما [٢٨١ — ا] خصّ الله تعالى الناس من العقل ، لكان أدنى أسد أقرب إلى الشرف من الإنسان ؛ لما للأسد من فضل البأس والإقدام .

٥- وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِى الْكُمَاةِ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ

قوله : « ودبّرت » أى وَلَمَا دبَّرت .

يقول : لولا العقول لما كان لبعض الناس فضْلٌ على البعْض ، وَمَا كانت الأيدى تصرّف الرّماح ، بل تكون هى المدبّرة للأيدى ؛ لأن لها من المضاء ما ليس للأيدى . فبالعقل صار الإنسان مدبِّرًا لها .

٦- لَوْلاَ سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ

يقول : لولا سيف الدّولة ومضاؤه ، لم يكن للسيوف مضاء حين تسلّ من أغمادها ، بل كانت كالأجفان[٤] فى قلّة الغناء .

---

(١) ق ، شو : « قبل أن يقع حرب ولا قتال » .

(٢) الدناءة : المراد بها هنا الحقارة وهى ضد الشرف .

(٣) الدنو : القرب انظر أساس البلاغة « دنا ودنو » . وقال المعرى فى تفسير أبيات المعانى : « أدنى » فى هذا البيت على معنيين : أما الكلمة الأولى فهى مأخوذة من « الدناءة » وهى ضد الشرف وأصله الهمز ، وأما الكلمة الثانية فهى من « الدنّو » الذى هو ضد البعد .

(٤) الأجفان : جمع جفن والمراد به غمد السيف ، لأنه اسم مشترك بين جفن السيف وجفن العين .

٧- خَاضَ الْحِمَامَ بِهِنَّ حتَّى مَا دُرِى ... أَمِن احْتِقَارِ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ

بهنّ : أى بالسيوف . حتّى ما دُرِى : أى ما دُرِى الحمام . وروى : « حتى ما دُرَى » على لغة طيئ .

يقول : خاض سيف الدولة الموت بسيوفه حتى ما دُرِى الموت ، هل ذاك احتقار منه ، أم نسى كونه فى الحرب ؟ !

٨- وَجَرَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعُلاَ ... أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُل زَمَانِ

وروى : « وسعى »(١) أهْل الزّمان : أى أهل زمانه . وجَرى إلى المعالى فعجز أهل زمانه عن بلوغ شأوه ، كذلك كل أهل زمان قبله وبعده .

٩- تَخِذُوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوت ، وَعِنْدَهُ ... أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الْفِتْيَانِ

تَخِذَتْ واتَّخَذَت بمعنًى .

يقول : إنما قصّروا عن بلوغ مداه ؛ لأنهم اتّخذوا بيوتَهم مجالسَهم ، وهو يجعل مجالسَه سروجَ الخيل ، ومثله لعنترة :

وَتَبِيتُ عَبْلَةُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ ... وَأَبِيتُ فَوْقَ سَرَاة أدْهم مُلْجَم(٢)

١٠- وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى الْهَيْجَاءِ ... غَيْرُ الطَّعْنِ فِى الْمَيْدَانِ

يقول : حَسِب النَّاسُ لعبَهم بالرِّماح فى المْيدان ، أنّه مثل الطّعن فى الحرب عند ملاقاة الأقران ، وليس الأمر كما قدّروا .

١١- قَادَ الْجِيَادَ إلَى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ ... إلاَّ إلَى الْعَادَاتِ وَالأَوْطَانِ

---

(١) وهى رواية الواحدى والتبيان والديوان .

(٢) ديوانه ١٩٨ وروايته : « تمسى وتصبح فوق ظهر حشيّةٍ » وشرح المعلقات للزوزنى وشعراء النصرانية ٨١٠ .

يقول : قاد الخيلَ إلى المطاعنة ، ولم يكن قَوْده لها أول مَرّة ، بل قد سَبَقَ له أمْثالُهَا ، وتعوّدت خيلُه الترَدّد إلى الرّوم ، ومعارك الحرْب ، فكأنه يقودها إلى أوطانها التي تعوَّدت الإقامة[1] بها .

١٢–كُلّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْأَحْزَانِ

هذه الجياد ، وكل ابن فرس سابقة حسن الخلْق ، إذا نظر صاحبه إليه أغار على ما فى قلبه[2] من الحزن بحسنه ، وأزالهُ عن قلْبه .

١٣–إن خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدُعَاؤُهَا يُغْنِى عَنِ الْأَرْسَانِ

يقول : إن أُرْسلت هذه الخيل ، فرابطها آداب الوغى .

يعنى : أنها مؤدّبة بآداب الحرب ، فإذا أرْسلت لم تشرُدْ ، فتحتاج إلى أن تُشَدّ برسَنٍ[3] أو شِكَال ، ولكنها متى دعاها صاحبها أقبلت إليه ، فيغنى دعاؤها عن أرسانٍ تقاد بها .

١٤–فِى جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرْنَ بِالْآذَانِ

الهاء فى « غباره » للجحْفل .

يقول : قاد جيادَه فى جيشٍ عظيم ، قد ثار غبارُه حتى ستَر العيون ، وأطبق الجفون من تكاثفه ، فكأن هذه الخيل تبصرْنَ بالآذان ؛ لأن الغبار لا يُطْبق الآذانَ ، بل تكون [٢٨١ – ب] أبدًا منتصبة .

١٥–يَرْمِى بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظَفَّرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانِى

يقول : يُغير بهذه[4] الخيل كلَّ بلد مَلِكٌ مظفّر ، كل مرام بعيد له قريب ، وكل صعب على غيره ، عليه سهل يسير .

(١) ع : « الإقادة » . (٢) ق ، شو : « صافى قلبه » تحريف .

(٣) الرسن : مايكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف .

(٤) ع : « بعيد هذه » .

١٦– فَكَأَنَّ(١) أَرْجُلَهَا بِتُرْبَةِ مَنْبِجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيهَا بِحِصْنِ الرَّانِ

منبج : مدينة بالشام . والرّان من بلاد الأرمن وبينهما مسيرة خمس [ليال](٢) .

يقول : كأنّ هذه الخيل لخفتها تكون أرجلها بمنبج وأيديها بحصن الرّان ، فلا يتخلّل من مسيرها من منْبج إلى حصْن الرّان(٣) ، إلا مقدار الزّمان الذى تتخلله الخطوة الواحدة .

وقيل : أراد بذلك سعة خطوها ، فكأنّه يقول : إنها تقطع ما بينهما بخطوة واحدة .

١٧– حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسَ سَوَابِحًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ

أَرْسَنَاس : نهر عظيم فى بلاد الروم .

[يقول] سار بها حتّى عبرت هذا النهر سابحةً ، وكانت تنْشرُ عمَائِم الفرسَان فوْقهنّ ؛ لسرعتهنّ فى السباحة ، فتضطرب العمامة لذلك .

وقيل : أراد أن ما يطفو من الماء من جنْبى الفرسِ يعلو إلى أطراف العمائم المسْدلة فينشرها . والأول هو الظاهر .

١٨– يَقْمُصْنَ فِى مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخِصْيَانِ

يَقْمُصْنَ(٤) : أى يثبْن . والمُدى : جمع مُدية وهى السكّين(٥) .

(١) ع ، ق : « وكأن » .

(٢) مابين المعقوفتين بياض فى ق ، ع ، شو والتكلة من رواية ابن جنى . التبيان .

(٣) ع : ساقط من « الران ... الران » انتقال نظر . وذكر البكرى أنه بلد من بلدان الروم .

(٤) قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى : « يقمصن » يعنى الخيل . والقمص : أن يرفع الفرس رجليه ويداه غير مرفوعتين ، والماء البارد إذا سبح فيه السابح من بنى آدم تقلص صفنه ، وهو الجلد الذى يجمع البيضتين ، وإن كان فرسًا تقلص قنْبه .

(٥) ع : « وهى المدى » .

يقول : إن هذا النهر [١] يعمل فى البَدَن ما تعمل السكاكين من شدة بردِه [٢] ! وتقلّصت الخُصَى [٣] وبردت [٤] حتى صارت الفحول مثل الخصيان .

١٩–وَالْمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخَلِّصٌ   تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ

يقول : إن الغبار قد ثار على جانِبَىْ هذا النّهر ، فكأنَّ موج الماء يفرق بينهما ، فمرة يفترقان ومرة يلتقيان فيتصلان من أحد الجانبين إلى الآخر .

وقيل لأبى الطيب : إنك وصفْتَ برد الماء ، وذلك يكون فى الشتاء ، ثم بالغت فى وصف الغبار ، والغبار لا يثور على الوجْه المذكور فى الشتاء ، فبينهما تناقض ، فقال : إنما وصفت ما عاينْتُ . وفى رواية أخرى : إن ماء هذا النهر يكون فى الصّيْف شديد البرْد إلى الغاية [٥] .

وقيل : أراد بالعَجَاجَتَيْن [٦] : ما يثور من الماء على جانِبَىْ الفرس السابح ، فإذا شق الماء افترق جانباه ثم تلاقيا من بعد .

٢٠–رَكَضَ الْأَمِيرُ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابُهُ   وَثَنَى الْأَعِنَّةَ وَهُوَ كَالْعِقْيَانِ

اللُّجَيْن : الفضّة . والعِقْيان : الذّهب . والحَباب : طرائق [٧] الماء .

---

(١) ع : « يقول إن هذا النهر » ساقط .

(٢) يرى الواحدى والتبيان أنه شبه الطرق التى فعلتها الرياح فى ماء هذا النهر بالمدى . والأظهر ما ذكره الشارح .

(٣) الخُصى : بضم الخاء المعجمة أو كسرها جمع خصية والخصية هى : الجلدة التى فيها البيضة .

(٤) ق ، شو : « من برده » .

(٥) ق ، شو : « فى الغاية » . وانظر قريبًا من هذه الرواية عن ابن جنى فى التبيان .

(٦) قال الواحدى : المعنى أن الجيش صار فريقين فى عبور النهر ، فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج والماء بينهما تفترقان وتلتقيان . وقال ابن جنى : عجاجة المسلمين وعجاجة الروم . الواحدى .

(٧) ع : « طريق » والحَبَاب : طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح . اللسان . وقال صاحب التبيان هو مايعلوه « أى النهر » من الحوض وهو شىء يعلو عليه .

يقول : ركض ، وكان الماء فى الصّفاء كالفضّة البيضاء ، وثنى عنانه راجعًا . وقد صار كالذّهب ؛ لما سال إليه من دماء القتْلى ، واحمر بما خالطه من دماء الروم .

٢١–فَتَلَ الْحِبَالَ مِنَ الْغَدَائِرِ فَوْقَهُ[١] وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ

الغدائر : الذّوائب .

يقول : فَتَل من شعور مَنْ قَتل [من] الروم الحبالَ الكثيرة ، وكذلك بنى مما كَسَر من الصُّلْبَان سفناً يعبر بالسَّبْى والأموال عليها .

وأراد : أنه لو أراد أن يفعل لأمكنه ؛ من كثرة ما قتل منهم ، وكَسَر من صلبانهم .

٢٢–وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوَائِمٍ عُقْمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ

[٢٨٢ – ١] العادية : الجارية .

يقول : ملأ هذا النهر[٢] بخيْلٍ تعْدُو بلا قوائم ، يعنى : السفن فهى عقيمة لا تَلِد كسائر الخيول[٣] ، وهى سود الألوان ؛ لأنها مغبّرة ،[٤] فعبر عن السّفن بالخيل ، وأخرجه مخرج اللّغْز .

٢٣–تَأْتِى بِمَا سَبَتِ الْخُيُولُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَابِضُ الْغِزْلَانِ

يقول : هذه السّفن كانت تحمل ما سبتْه الخيولُ من النساء والوِلْدان ، فكأنّهنّ الغزلان والسفن تحتهن[٥] كأنّها مرابض الغزلان .

٢٤–بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحِدْثَانِ

---

(١) ع : « حوله » .

(٢) ق : « هذا ملاء النهر » .

(٣) ق : « كسائر الحيوان » .

(٤) ق : « مقترة » . (٥) ق : « تحتهن كأنها » بياض .

يقول : هذا النّهر بحرٌ يحفظ أهلَه ، ويحصِّن مَنْ حوله من حوادث الدهر ، فلم يقدر أحد على عبوره .

٢٥- فتركْتَهُ وَإذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِى حَمْدَانِ

يقول : جعلْته بعد عبورك به ، إذا ضمن لمعشر أن يمنعهم ، استثناك وقومك ، فيقول : إنى أمنعكم من كلّ أحد ، إلا من بنى حمدان ، فإنى لا أمنعكم منهم .

وأراد أن الرّوم إذا تحصنوا به ، لم يقدر أحد أن يصل إليهم إلا أنت وقومُك .

٢٦- الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِى التِّيجَانِ

يقال : أخفرْته[1] : إذا نقضت عهْدَه ، وهذا صفة بنى حمدان .

يقول : إن دروع الملوك أعطتهم ذمَّةً أنها تمنعهم ، فهم يخفرون بسيوفهم تلك العهود والذِّمم ، ويهتكون بسيوفهم دروعَهم . وذووا التيجان : هم الملوك .

٢٧- مُتَصَعْلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

الصّعلوك : الفقير ، والمتصعلك[2] : من يتكلف ذلك .

يقول : هم يتخلّقون بأخلاق الصّعاليك[3] ، ويتطامنون مع ملْكهم العظيم ، وهم متواضعون[4] مع علوّ قدرهم وعِظَمِ شأنهم .

٢٨- يَتَقَيَّلُونَ ظِلالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ

روى ابنُ جنى : « يَتَقَيَّلُونَ » وحمله على معنى قولهم : فلان يتقيّل[5] أباه :

(١) خفره : أجاره وحماه فهو خافر وخفير ، وأخفره : جعل له خفيرًا ومن معانيها أيضًا : أخفره : نقض عهده وغدر به . التاج « خفر » . (٢) ق : « المتصعلق » .

(٣) يريد لكثرة غزواتهم لايبقى معهم مال ، بل كل ما يغنمونه يخرجونه . التبيان .

(٤) يريد أنهم يتواضعون مع عظم شأنهم والتواضع يحمد عليه من محله مرتفع . تفسير أبيات المعانى .

(٥) م : « يتقبله » .

أى يتشبّه به . قال : ومعناه أن كل واحد منهم يتشبّه بأب كريم ، ويتبعه كما يتْبع الفرسُ ظلَّه ، ويسبق إلى المجْد والكرم ، كالفرس المطهّم الذى إذا رأى الظّليم(١) أهلكه ، وإذا رأى الذئب(٢) شدّه .

قال : ويجوز أن يكون « ويتقيَّلون » من القائلة ، يعنى : يقيّلون فى ظلّ كلّ فرسٍ مطهم ، فوافق فى المعنى روايةِ سائِرِ الناس(٣)

وروى غيره(٤) « يتفيَّئونَ » من الفىْء . والمعنى أنهم يستظلون فى الهواجر بِظلال خيولهم كما يفعله الصعاليك ، ولا يدخلون الخيام كما يفعله المتنعمون .

وقوله : « أجَلِ الظَّليم » : صفه المطهّم ، أى أنه إذا عدا خلْفَ الظليم أدركَهُ أجلُه الذى لا خلاص له منه . وَإذا عدا خلف سِرْحانٍ لحقه ، فكأنّه قيْده ، وهذا من قول امرئ القيس .

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ(٥)

وقيل : يمدحهم بالفروسية والثبات على الخيل فيقول : هم لا يفارقون ظهورها بل يلازمونها ملازمة الظلال [٢٨٢ – ب] ويتقيلون يمينًا وشمالاً كما تَنْقلِب الظلال .

٢٩–خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ المَنَاصِلُ عَنْوَةً وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الأَدْيَانِ

العَنْوة : القهر .

---

(١) الظليم : ذكر النعام . (٢) ق : « الذئب » ساقطة .

(٣) وهذه رواية المعرى فى تفسير أبيات المعانى إذ قال : لماوصفهم بالتصعلك عرض بأن الملوك يتقيلون عن الهاجرة فى القصور والمنازل الباردة ، وأن هؤلاء القوم يتقيلون أن يكونون وقت الهاجرة فى ظلال الخيل .

(٤) ق : «غيره» ساقطة .

(٥) شرح ديوان امرئ القيس ١٥٣ وهذا عجز بيت له صدره .

وقَد أغتدى والطّيْر فى وكناتها . . . .

وشرح المعلقات السبع للزوزنى ٣٢ وحماسة ابن الشجرى ٢٣١ وديوان المعانى ١٠٩/٢ والمستطرف ١٠٤/٢ وزهر الآداب ١/ ١٠ والواحدى ٥٩٧ والتبيان ٢٠٦/٣ .

يقول : سيفك قهر كلَّ سيف ، فانقادت له السيوف قهرًا ، ودينك ذلّ سائر الأدْيان وقهرها .

٣٠–وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِى الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ
والسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الإمْكَانِ

الدّروب : جبال الروم ، وطرقها . والغضاضة : الذل والقهر . والتقدير[١] وعلى الدّروب غضاضة ، وفى الرجوع غضاضة .

وقيل : « على » متعلق بالفعل الذى بعده وهو « نظروا »[٢] أى نظروا على الدروب إلى خليك .

يقول : قهرتهم فى حالة صعبة على المسلمين ، وذلك حيث لم يمكنهم المقام على الدّروب ، ولا الرجوع عنها ، وكان السير ممتنعًا فدخلت عليك الغضاضة لذلك .

٣١–والطُّرْقُ ضَيِّقَةُ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الإِيمَانِ

يقول : إن الطرق كانت قد ضاقت برماح الرّوم ، وكان الكفر مجتمعًا على الإيمان فى تلك الحال ، فأذْلَلْتَ الكفر ونصرت الإسلام .

٣٢–نَظَرُوا إِلَى زُبَرَ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعِقْبَانِ

يقول : نظر الرومُ[٣] إلى قطع الحديد على الخيل[٤] . فكأنّ هذه القطع

---

(١) ق ، شو : « والقهر والتقدير » ساقط وترك مكانه أبيض .

(٢) قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى : « وعلى الدروب » ابتداء كلام لم يتم الا بقوله : « نظروا » إلى آخر البيت ؛ وليس فى شعر أبى الطيب من هذا الجنس شىء ؛ لأنه علق أول كلمة فى البيت بآخر كلمة فى البيت الثالث .

(٣) ق ، شو : « نظروا الروم » .

(٤) زُبَرَ الحديد : قطعه . شبه الذراعين بزبر الحديد ، وشبه خيلهم بالعقبان فكأنها تحمل الزبر على المناكب . هذا ماذكره تفسير أبيات المعانى عن المعرى . ولكن الواحدى يقول : ويجوز أن يريد بزبر الحديد السيوف . ويصعدن : صعودها فى الهواء برفع الأبطال إياها للضرب .

عليها ، بين مناكب العقبان[1] .

شبه الخيل بالعِقْبان فى سرعتها ، والدروع التى على الفرسان والبيض وغيرها كأنها عَلَتْ العِقْبان وصعدت بين مناكبها .

٣٣- وَفَوَارِسٍ يُحْيِى الْحِمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوانِ

يقول : نظروا إلى فوارس يَعُدُّون الموتَ[2] فى الحرب حياة ؛ لبقاء الذِّكْر[3] ، حتى كأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان إذا مات يُنْسَى .

٣٤- مَازِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِى الذُّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ

روى : « فى الذُّرَى » أى رءوس القوم ، أو رءوس الجبال . وروى : « فى الوَغَى » وهى الحرْب . دِرَاكًا : أى تباعًا .

يقول : مازلت تضربهم ضرْبًا فى إثْر ضرب ، متواليًا من دون أن يتخلَّلَهَا ، فكأنك تضربهم بسيفين .

وقيل : مازلت تضربهم ضربةً تعمل عمل ضربتين . يعنى : كأنّ السيف الواحد سيفان ، والهاء فى « فيه » راجع إلى الضرب .

٣٥- خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ

خصَّ السَّيْفُ ، أو الضَّربُ رءوسَهم ووجوههمْ دون أجسامهم ، حتى كأنك أعطيْتَ أجسامَهم أمانك ألا تمسَّها بضرب .

٣٦- فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا يَطَئُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ

روى « يطئون » من الوطء بالرِّجْل[4] . وروى : « يطْوُون » من طويته .

---

(١) العقبان : جمع عقاب وهو من سباع الطير يقع على الذكر والأنثى وتمييزه باسم الإشارة . حياة الحيوان . (٢) ع : « الموت » ساقطة .

(٣) وهو من قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

(٤) وطئ الشىء يطؤه وطئًا : داسه . وهى المرادة هنا .

والحَنِيّة : القوس . والمِرْنان : الكثير الرنّة . وما يرمون عنه : هو القسى التى كانوا يرمون عنها .

يقول : رموا قسيّهم وانهزموا يطئون قسيّهم المطويّة[1] عند الرمى . [٢٨٣ -- ا] .

٣٧– يَغْشَاهُمُ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً بِمُهَنَّدٍ وَمُثَقَّفٍ وَسِنَانِ

قيل : أراد بالمطر : المطر الحقيقىّ . والمعنى : أصابهم المطر النّازل من السحاب ، مفصّلاً بالسّيوف والرّماح ، كما يفصّل العقد بالدرّ والذهب .

يعنى : كما هزمهم السلاح هزمهم أيضًا المطر .

وقال ابن جنى : أراد بالسحاب : جيش سيف الدولة . شبَّهَه بالسحاب لكثافتِهِ ، ولما جعله سحابًا جعل مطره الرّماح والسيوف .

٣٨– حُرِمُوا الَّذِى أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ آمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ

يقول : حُرِمُوا ماكانوا يؤمّلونه من الظّفْر بك ، وانهزموا ، فمن كان منهم محرومًا من أمله الأوّل أدرك أمله الثانى ، من العوْد إلى أهله ، والسلامة من القتل والأسر ، وهذا مثل قولهم : « مَنْ نَجَا بِرَأسِهِ فَقَدْ رَبَح »[2] .

٣٩– وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْوَانِ[3]

يقول : إنّهم جاءوا يطلبون بثأر مَنْ قتلتَ منْهم ، فلمّا وقعت الرّماح فى قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم الذين يطلبون ثأرهم . وهذا من قول الله تعالى

---

(١) ع : « المصونة » . (٢) مجمع الأمثال رقم ٤٠٠٩ .

(٣) قال ابن القطاع : هذا البيت من معانيه الغامضة ، وذلك أنه فى مدح سيف الدولة وظاهره هجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ، وهذا غاية الهجو ، لأن العرب مدحت الرئيس بقتاله عن أصحابه . وبذله مهجته دونهم ! التبيان ٤/ ١٨٣ .

وذلك لأنه أعاد الضمير على سيف الدولة ! ولو أعاده إلى الروم كما فعل شارحنا والواحدى لتغير المعنى إلى ماقاله شيخنا .

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)[١] .

٤٠– هَيْهَاتَ ! عَاقَ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبٌ
كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَانِى

العِواد : الرّجوع ، وهو مصدر عاوَدَ يعاوِدُ معاودَةً وعِوادًا وهى هاهنا من : عَاوَد[٢] . وروى مكانه : « الرجوع » والعانى : الأسير .

المعنى كما قال : « وأَدْرَكَ مِنْهُمْ آمَالَه مَنْ عَادَ بِالْحِرمَان »[٣] فقال : ما أبعد عليهم الرّجوع ! وقد عاقهم عن [ذلك] سيوفُك التى كثرت القتل فيهم ، فكان مَنْ قُتِل منهم أكثر مِمَّن أُسِر .

٤١– وَمُهَذَّبٌ أَمَرَ الْمَنَايَا فِيهِمُ فَأَطَعْنَهُ فى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ

ومهذّبٌ : هو سيف الدولة ، عطف على « قواضبٌ » .

يقول : منعهم عن الرجوع إلى ديارهم رجل مهذّب صفىّ من كل عيب ، أمر الموتَ بِقبض أرواحهم فأطاعه الموتُ فى طاعة اللهِ تعالى ؛ لأن قتلهم طاعةٌ ، وفيه رِضَى اللهِ تعالى .

٤٢– قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ
فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِفَّةَ الْغِرْبَانِ

الهاء فى « فيه » للشجر . والمسفّة : الدّانية من الأرض .

يقول : إن شعورهم سوّدت أشجار الجبال ؛ لأنها متعلقة بها ، فكأن عمومها الأشجار ، غربانٌ دانيةٌ من الأرض ، واقفة على الأشجار .

٤٣– وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِى فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فى الْأَغْصَانِ

---

(١) سورة عبس ٨٠/٣٧ .

(٢) ق : « واحد » . ع : « واعد » . والمعنى . رجع إليه بعد الانصراف عنه .

(٣) أى رجع محروماً من الأخذ بالثأر . راجع البيت ٣٨ .

يقول : جرى دمُهم على الأوراق ، فثمرت به [١] ، فأشبه الدَّمُ عليها ، النّارنْجَ [٢] على الأغصان .

والمعنى : أن الشعور تعلّقت بالشجر فأشبهت الغربان على الأشجار ، والدماء [٣] تطايرت فخضبت ورق الأغصان [٤] .

٤٤– إنَّ السُّيوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ
كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ

يقول : إن السيوف ، إنما تعمل إذا كانت مع الشّجعان الذين قلوبهم فى المضاء كقلوب هذه السيوف عند اجتماع الجيشين .

٤٥– تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءةِ حَدِّهِ   مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ

[٢٨٣ – ب] التّاء : للخطاب ، ومعناه : تلقى أيها السامع السّيف القاطعَ مع جرّاءته فى الحد ، غير عامل ، إذا كان فى يدى الجبان ، حتى كأنّه جبان مثله .

وقيل : التاء ضمير السيوف .

يعنى : أن السيوف التى فى أيدى [٥] أصحاب سيف الدولة ، الذين قلوبهم كقلوبها ، تلْقى سيوفَ الرّوم – مع جراءة [٦] حدّها – غير قاطعة ، فكأنّها جبان مثل أصحابها الحاملين لها ، وجبن السيوف : قلة المضاء [٧] .

٤٦– رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ
قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النِّيرَانِ

(١) ع « فثمرت به » وثمر الشيء : نضج وكمل . اللسان .

(٢) النارنج : فارسي معرب نارنك .

(٣) ع : « وأنها » مكان « والدماء » .

(٤) أي فصار لحمرته كأنه النارنج على الأغصان .

(٥) ع : « يدى » .

(٦) ع : « حرارة » .

(٧) ق : شو « الغناء » .

العِمَاد : عماد البيت ، ويعبَّر به عن الشَّرف ؛ لأن الرَّجُل إذا كان شريفًا ، كان عماد بيته رفيعًا . ومنه يقال فى المدح : هو رفيع العماد ، أى شريف ، كثير الرماد .

والقمم : جمع قمّة ، وهى وسط الرأس[1] .

يقول : إن العرب تشرّفت بك ، وقتلت الملوك ، فجعلُوا هَامَهُم أثافىَّ لقدورهم .

٤٧-أَنْسَابُ فَخْرِهِمُ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِم إِلَى عَدْنَانِ

عدْنان : أبو العرب كلّها .

يقول : العرب تنتسب إليك من حيث الفخْر ، وتنتسب إلى عدْنان من جهة النّسب ، فكما أنّ عدنان أصل نسبها ، فإنَّك أصل فخْرها وشرفها .

٤٨-يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلاكَ بِالإِحْسَانِ

يقول : أنت تعمُّ النَّاس بالقتْل ، فتقتل الأعداء بسيفك ، والأولياء بإحسانك ؛ من حيث الاستعباد ، وأنا من جملة قتلى إحسانك .

٤٩-فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاظِرِى وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِى

يقول : إذا رأيْتُكَ تحيَّر ناظرى دونك ، فلا يمكننى أن أنظر إليك ملْء عينى ؛ لهيبتك[2] ، وكثْرة مآثرك ، وإذا أردتُ مدحك حَارَ فى وصْفك لسانى ، وعجز عن استيفاء مدحك[3] عبارتى وبيانى .

---

(١) قمَّم النجم : توسط السماء ، فتراه على قمة الرأس . اللسان . وقال صاحب التبيان القمة : أعلى الرأس وقال : وقمة كل شىء أعلاه .

(٢) ق : « أن أنظر إليك على هيبتك » .

(٣) ع : « مدحك » ساقطة

(٢٣٦)

وتُحُدِّث بحضرة سيف الدولة : أنّ البطريق[1] أقسم عند مَلِكِهِ أن يعارض سيفَ الدّولة فى الدّرب ، ويجتهد فى لقائه ، وسأله إنجاده ببطارقته وَعُدَدِهِ[2] ، فخيّب اللهُ ظنّه وأتعس جَدَّه .

فقال أبو الطيب وأنشده إيّاها بحلب سنة خمس وأربعين وثلاث مئة[3] . وهى آخر قصيدة قالها عند سيف الدولة .

قال ابن جنى : قلت لأبى الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه : إنه ليس فى جميع شعرك أعلى كلاماً من هذه القصيدة ، فاعْتَرَفَ بذلك وقال : كانت وداعاً[4] .

١ – عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ
مَاذَا يَزِيدُكَ فِى إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ ؟

يقول : عاقبة اليمين على عاقبة الحرب ندامة ؛ لأنّه إذا حلف على لقاء من لا يقاومه انهزم ، وكان انهزامه أشنع ، والملامة فيه أوقع ، فيكون عاقبة اليمين الحِنَث واللوم ، وعاقبة الحرب الانهزام ، وهذا أشد من الانهزام بلا يمين ، والقَسَم لا يزيد شجاعة الإنسان إذا لم يكن فى نفسه شجاعة ، يمكنه بها مقاومة خصمه . و« عَلَى » فى قوله : « عَلَى عُقْبَى الْوَغَى » متعلق بلفظ « اليمين » [٢٨٤ – أ] .

---

(١) البطريق بلغة الروم هو القائد انظر شرح البيت رقم ٧ . وفى القاموس : « القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف » .

(٢) ع : ومقدمة الديوان « ففعل » بدل « وعدده »

(٣) تنتهى مقدمة الديوان عند « ثلاث مئة »

(٤) الواحدى ٥٩٩ : « وقال أيضًا يمدحه ويذكر كذب البطريق فى يمينه (برأس الملك) : أنه يعارض سيف الدولة فى الدرب سنة ٣٤٥ » . التبيان ٤/ ١٥ : « وقال يمدحه سنة خمس وأربعين وثلاث مئة » وهى آخر قصيدة قالها بحضرة سيف الدولة الأمير » . لديوان ٤١٦ قريب من المقدمة المذكورة . العرف الطيب ٤٤٤ .

٢ - وَفِى الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَادَلَّ أَنَّكَ فِى الْمِيعَادِ مُتَّهَمُ

يقول للبطريق : إنّ[1] يمينك يَدل على تهمتك فى نفسك ، فيما تعده من الإقدام ، فلو كنت تصدق فى وعدك لم تحتج إلى اليمين لرفع التهمة .

٣ - آلَى الْفَتَى ابْنُ شُمُشْقِيقٍ فَأَحْنَثَهُ فَتًى مِنَ الضَّرْبِ يُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ

الكلم : جمع كلمة .

يقول : حلف ابن شُمُشْقِيق[2] على الإقدام على سيف الدولة ، فأحنثه سيفُ الدّولة ، وحال بينه وبين مراده ، بضرب يُنْسى عنده الأيْمَان ، فلما ضربه بسيفه نسي يمينَه وفرَّ من بين يديه .

٤ - وَفَاعِلٌ مَااشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلِفٍ
عَلَى الْفِعَالِ ، حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمِ

« وفاعل » : عطف على « فتى » .

يقول : أحنثه فاعل يفعل كل ما اشتهاه ، لا يحتاج فيه إلى اليمين ، بل يغنيه عن اليمين حضور ذلك الفعل الذى أراده ، ويغنيه عنها أيضًا كرمُه ومضاءُ عزمه ، فهو إذا همّ بأمرٍ أمْضاه .

٥ - كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضِّرَابُ بِهَا
يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّأَمُ

السَّأم : الملال .

يقول : كلّ السّيوف إذا طال عليها الضَّرْبُ تكلُّ وتعجز عن القطْع ، إلا سيف الدولة فإنه لا يَمل .

(١) ع : « إن » مهملة فلم تذكر .

(٢) هذا هو اسم البطريق الذى أقسم ليلقين سيف الدولة .

٦ - لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لا تَحَمَّلُهُ
تَحَمَّلَتْهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهِمَمُ

قال ابن جنى : اختار أبو الطيّب فى « تَحَمَّلُهُ » الرفع لأنه [فعل] الحال[١] ، والنصب جائز على معنى إلى أن [لا تحمَّله] .

يقول : لو كلّت خيله وعجزت عن حمله إلى أعدائه لكانت همه وصحة عزائمه تحمله إليهم ليحاربهم .

٧ - أَيْنَ الْبَطَارِقُ وَالْحَلْفُ الَّذِى حَلَفُوا
بِمَفْرِقِ الْمَلْكِ وَالزَّعْمُ الَّذِى زَعَمُوا

البطارق ، والبطاريق : جمع بِطْريق ، وهو القائد للروم . والزعم : أكثر ما يستعمل فى القول من غير علم .

يقول : أين يمينَ قوّاد الملِك حين حلفوا برأسه ، وزعموا أنّهم يثبتون لسيف الدولة ؟ !

٨ - وَلَّى صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِم فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ

فاعل « وَلَّى » ضمير سيف الدولة ومعناه[٢] : فوّض إليه . وصوارمه : مفعوله[٣] الأوّل وإكذاب : المفعول الثانى .

يقول : فوّض إلى سيفه تكذيب قول البطاريق ، فالسّيوف بمنزله الأفواه ، فكأنها تكلّمت فى رءوسهم فقالت لهم : كذبتم فى يمينكم . ووجْه التّشبيه : أن السيوف تَتَقَلْقَلُ فيها فيُسْمع عند وقعها فى العظام ما يُعلَم منه كذبهم ، فينوب ذلك

(١) ع ، ق ، شو : « لأنه للحال » . وما بين المعقفات تكملة عن الرواية التى فى الواحدى عن ابن جنى وفى هامش الديوان عن النسخة البغدادية ، والمراد : من روى « تحملهُ » رفعًا ، وهو المشهور والمختار ، أراد افعل الحال أى حتى هى غير محتملة ، ومن نصب أراد : إلى ألا تحمله .

(٢) ق ، شو : « ومعنى » .

(٣) ق ، شو : « مفعول له » . ع : « مفعول » .

عن⁽¹⁾ قوله لهم : كذبتم .

٩ - نَواطِقٌ مُخْبِرَاتٌ فى جَمَاجِمِهِمْ عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا

يقول : هذه السيوف تنطق فى جماجمهم ، وتخبرهم عن سيف الدولة ما علموا من أحواله ، وما جهلوا من أخباره .

١٠- الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَارٍ أَهْلُهَا إِرَمُ

المحفاة [2] : التى أحفاها الرَّكْض ، يقال : حفى الفرس : إذا رق حافره ، وأحفاه فارسُه . و « وَبَار »[3] من مدائن قوم عاد ، خربت ، وهى بين اليمن وعُمَان[4] ، والعرب تزعم أنها من مساكن الجن . وإرم : قوم عاد .

يقول : إن سيف الدولة هو الذى يرجع الخيل من الغزو ، وقد أحفاها [٢٨٤ – ب] طول السَّير ، حتى نزل فارسها عنها ، فقادها رفقًا بها ، بعد ما خرَّب أرضَ العدو ، وأهلك ، أهلها فترك تلك الأرض خرابًا مثل وَبَار ، وأهلَها هلْكى مثل إرَم[5]

١١-كَتَلٍّ بِطْرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنُهَا بِأَنَّ دَارَكَ قِنَّسْرُونَ وَالأَجَمُ

قِنَّسْرون[6] : بفتح النون الأولى . قال ابن جنى : وكان المتنبى يكسرها .

---

(١) ع : « ذكر منك » مكان « ذلك عن » (٢) ق ، شو : « الحفاة » .

(٣) قال ابن جنى : هى مبنية على الكسر مثل حذامِ وقطامِ ، وربما أعربوها ولم يصرفوها . الواحدى .

(٤) قال ياقوت : وبارِ بوزن قطام : أُرض واسعة بين الشحر إلى صنعاء زهاء ثلاث مئة فرسخ فى مثلها . قيل كانت من محال عاد بين رمال يبرين واليمن . فلما هلكت عاد ورّث الله ديارهم الجن ! فلا يتقاربها أحد من الناس . معجم البلدان .

(٥) لا يريد أن « وبار » أهلها « إرم » بل يريد : أن الديار التى رد عنها خيله كانت كوبار خرابًا ، وأهلها كإرم هلاكًا . المعرى فى تفسير أبيات المعانى والواحدى .

(٦) قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة كانت عامرة فلما غلب الروم على حلب سنة ٣٥١ خاف أهلها ورحلوا عنها وتفرقوا فى البلاد ولم يبق منها إلا خان تنزله القوافل . ياقوت .

والأجَمُ[١] : موضع . وتلّ بِطريق : مدينة خرّبها سيف الدولة[٢] .

يقول : إنه يخرِّبُ أرض العدو ويهلك أهْلها كما خرب تلّ بطريق[٣] التي اغترّ أهلُها ببعدك عنهم وأنّك في قِنّسرين[٤] ، فقد رأوْا أنّك لا تقدر على أن تصل إليهم ، فقصدْتَهم وخرّبت بلادهم .

١٢–وَظَنِّهِمْ أَنَّكَ الْمِصْبَاحُ فِي حَلَبٍ إِذَا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ

وظنِّهم : عطف على قوله : « بأنّ دارَكَ » .

يقول : اغترّوا أيضًا بظنّهم أنك لا تقدر أن تفارق حلب ، خوفًا من أن تضطرب وتستولى عليها الأعداء ، فلا يمكنك العود إليها ، فشبّهه[٥] فيها بالمصباح لأنه ينفى عنها ظُلَم الفتنة ، كما ينفى المصباح ظلمة[٦] الليل .

١٣–وَالشَّمْسَ يَعْنُونَ إِلا أَنَّهُمْ جَهِلُوا وَالْمَوْتَ يَدْعُون إِلا أَنَّهُمْ وَهِمُوا

يقول : جهلوا حيث شبّهوك بالمصباح ، ولم يعلموا أنّك كالشّمس ، يعمُّ نورُها الأرض وتضيء الدنيا وهي بعيدة ، وكذلك أنت تسوس جميع ممالكك وتدبّر أحوال الناس وإن كنت بعيدًا عنهم ، وكذلك أنت كالموت لا كالمصباح ، فغلطوا في تشبيهك بالمصباح ، ولم يعلموا أنك كالموت لا يمتنع منك أحد ولا يبعد عليك متناوله .

١٤ فَلَمْ تُتِمَّ سُرُوجٌ فَتْحَ نَاظِرِهَا إِلا وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ

(١) موضع بالشام قرب حلب . ياقوت « أجم » .
(٢) كانت بأرض الروم في الثغور . ياقوت .
(٣) ق : «كل بطريق » تحريف .
(٤) ع : « قنسرون » .
(٥) ع : « لشبهه » .
(٦) ع : « ظلم » .

سُرُوج : مدينة (١) ، والهاء فى « ناظِرِها » تعود إلى سَروج . وفى « جَفْنَيْه » للناظر .

يقول : كانوا يغترُّون ببعدك منهم فجئتَ إليهم أسْرع من فتح سُرُوج عينْها ، حتّى ازدحم جيشُك فى عينها .

وقيل : أراد بازدحام الجيش فى جفْنَى النَّاظر عبارة عن امتلائِها بالغبار المرتفع من أرجل الخيل .

وقيل : معناه لم تصبح سُرُوج إلاّ وخيلك مزدحمة عليها ، فجعل الصّباح لها بمنزلة فتح الناظر من النَّوْم .

١٥– وَالنَّقْعُ يأْخُذُ حَرَّانًا وَبَقْعَتِهَا وَالشَّمْسُ تُسْفِرُ أَحْيَانًا وتَلْتَثِمُ

النَّقْع : الغبار . وحرَّان : مدينة بالشام (٢) . والبُقْعة : بضم الباء (٣) ، أرض يخالف لَوْنهَا لونَ ما حوْلها .

وذكر أبو العلا المعرى : أنه بفتح الباء وهكذا يروى قال : وهو موضع يقال له بَقْعَة حرّان (٤) ، وهذا أحسن لأنه لو لم يرد مكانًا مخصوصًا لم يكن لذكرها فائدة ، لأن النّقع إذا أخذ حرَّان فقد أخذ بقعتها [وإن لم تذكر] .

يقول : جئتَ إلى سُرُوج وعمّ غبارُ خيلك حرّان وسترها ، وكانت الشمس تارة تظهر ، حين انحسر عنها الغبار ، وتارةً تستتر ، حين تكاثُف الغبار .

١٦– سُحُبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلا أَنَّها (٥) نِقَمُ

حصْن الرّان : من أعمال سيف الدولة .

(١) قال صاحب التبيان سروج : موضع بالقرب من الفرات وهو من أول الشام ، وقال ياقوت : بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، وبهذا لا يبعد عن المعنى الأول .

(٢) على بعد من سروج . الواحدى .

(٣) هذه رواية ابن جنى وجماعة وقال : هى المكان الواسع من الأرض . التبيان .

(٤) والرواية التى يرويها الواحدى . وقال أبو العلاء المعرى : بقعتها بفتح الباء : مكان كالبطحاء يعرف ببقعة حران

(٥) ع : « إلّا أنها » .

يقول : كانت خيلُك تمرّ بحصن الران كالسحاب ، لأنها كانت تمطر النّقم والهلاك ، غير أنها كانت ممسكة عن الأمطار ، وليس الإمساك عن بخل ، ولكن ما فيها كانت نقماً وعقوبات ، فلم تصبّها على حصن الران ؛ لأنّها لم ترد هلاكها وهلاك أهلها .

١٧- جَيْشٌ كأنَّكَ في أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ   فَالأرْضُ لا أَمَمٌ والجَيْشُ لا أَمَمُ[١]

الأمم[٢] : القَصْد ، والقرب . و « تُطَاوِلُه » : فعل الأرض ، والهاء : للجيش .

يقول : إن الجيشَ جيشٌ ممتدّ متباعد الأطراف ، يسير في أرضٍ كذلك ، فالأرض تطاول الجيشَ وتباريه في الطّول ، فلا الأرض متقاربة الطول ، ولا الجيش ، بل كلاهما طويل ممتد .

١٨- إذَا مَضَى[٣] عَلَمٌ مِنْهَا بَدَا عَلَمٌ   وَإِنْ مَضَى عَلَمٌ مِنْهُ بَدَا عَلَمُ

« منها » يعود إلى الأرض . والعَلَمَان : كلّ واحد منهما الجبل . والهاء في « منه » تعود إلى الجيش[٤] . والعلمان[٥] : كل واحد منهما[٦] العَلَم المعروف : الذى هو الرّاية .

يقول : إذا غاب جبلٌ من هذه الأرض بدا جبلٌ آخر ، وإذا مضت رايةٌ من جيْشِك بدت راية أخرى[٧] .

---

(١) ع : « فالجيش لا أمم والأرض لا الأمم » .

(٢) قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى : فكلاهما غير أَمَمٍ . والأمم : الشىء بين الشيئين . يقال : دار بنى فلان أَمَمٌ أى بين القريب والبعيد .

(٣) ق ، شو : « إذا مشى » .

(٤) ع : « الهاء فى منه للجيش » .

(٥) المراد بالعلمان فى الشطر الأول كل واحد منهما جبل . والعلمان فى الشطر الثانى : كل واحد منهما راية ، وكلاهما من العلامة لأنه مؤدٍّ إلى العلم بالشىء .

(٦) ع : « كل واحد منهما » ساقطة .   (٧) ع : « راية كتيبة أخرى » .

١٩–وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَهَا   وَوَسَّمَتْهَا[١] عَلَى آنافِهَا الْحكَمُ[١]

الشزّب : جمع الشّازب ، وهو الفرس الضّامر . وقوله : « أحمت الشِّعْرى شكَائِمَهَا » إنما قال ذلك ؛ لأن طلوع الشِّعرى[٢] يكون فى شدّة الحرّ ، فأضاف الفعل إليها . والشكيمة : رأس[٣] اللّجام . وقوله : « فَوَسّمَتْها » . من السِّمة التى هى الكىّ . والْحكَمُ : جمع حكَمة [وهى ما على أنف] الدابة .

يقول عطفًا على ما قبله : وظهرت خيل ضامرة وقد أحمت شدَّة الحر شكائِمَها ، حتّى صارت كالمكاوى ، فوسمت أنوفَها .

٢٠–حَتَّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيْرَتَهَا   تَنِشُّ بِالْماءِ فِى أَشْدَاقِهَا الُّلجُمُ

تَنِشّ : من النشِيش ، وهو صوْت القَلْى ، وصوت الحديد المحمى ، إذا أُلقِى[٤] فى الماء . وفاعل تنش : اللجم .

يقول : وردت خيلُك بحيرة سِمْنين[٥] ، وقد حميت شكائِمهُا من شدّة الحرّ ، فلمّا شربَتْ الماء ، جعلت[٦] لجمها تَنِشّ فى الماء نَشيش الحديد المحمّى إذا أُلقى فى الماء .

٢١–وَأَصْبَحَتْ بِقُرَى هِنْزِيطَ جَائِلَةً   تَرْعَى الظُّبَا فى خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ

فاعل « تَرْعَى » ضمير الخيل : أى أنهار راعية السُّيوفَ ، مسبِّبة لها فى المرعى[٧] .

(١) ع : « فوسمتها » و« الحلم » بدل : « الحكم » .
(٢) الشِّعْرى : نجم يطلع فى فصل الصيف وفيه يكون شدة الحر .
(٣) ق : « فارس » .   (٤) ق : « لقلى » .
(٥) سُمنين : بضم السين ، وكثيرا ما يروى بالفتح ، ونون مكسورة وآخره نون أخرى : بلد من ثغور الروم . معجم البلدان .
(٦) ع : « جعل » .
(٧) ع : « مبنية لها فى الرعى » تحريف .

يقول : أصبحت الخيل جائلة فى قرى هِنزيط[١] ، تُغير وتقتل ، وأرسلت السيوفَ ترعى فى منْبِت خصيب ، وهى الرُّءوس : خصيبة بالشّعور .

وقيل : إنّ فاعل « تَرْعَى » « الظُّبَا »[٢] أى كانت الظُّبا ترعى فى رءوسهم الخصيبة من الشّعور .

٢٢–فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ   تَحْتَ التُّرَابِ وَلا بَازًا لَهُ قَدَمُ

الخُلْد : فأرةٌ عمْيَاء[٣] « فما تركن » : أى الغارة والسيوف . و « بها » أى بقُرى هِنْزيط .

يقول : لم تترك الخيلُ والسيوفُ بقرى هنزيط شيخًا متواريا من الأعداء منجَحرا[٤] كالخُلد فى بطن الأرض إلا أنه ذو بصر ، ولا شابا خفيفًا توغل[٥] فى الجبال وتحصّن بها كالباز ، إلا أنّ [٢٨٥ – ب] طيرانَه بقدم .

شبّه المتوارين فى البرارى بخلد ذى بصر ، والمتحصنين[٦] بالجبال بباز ذى قدم ، إزاله للتوهّم أنه خلدٌ حقيقى ، أو بازٌ حقيقىّ ، وبيانًا أنه قصد به التشبيه والاستعارة[٧] .

٢٣–وَلا هِزَبْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ   وَلا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَشَمُ

اللِّبَد : جمع لبدة الأسد ، وهى ما تلبّد على كتفه من وبَرِهِ . والمهاة : البقرة

---

(١) هِنْزيط : بالكسر فالسكون . ثغر من ثغور الروم .

(٢) الظُّبا : جمع ظبة ، وهى ظبة السيف . أى حده .

(٣) لا يدرِك إلا بالشَّم ، ولما لم يكن له بصر عوضه الله حدة السمع فيدرك الوطء الخفى من مسافة بعيدة ، فإذا أحس بذلك جعل يحفر فى الأرض . الدميرى .

(٤) فى النسخ « متحجرًا » والتصويب من الواضح ٧٣ .

(٥) ق : « توفل » . ع : « توقل » .   (٦) ع : من « المتوارين .. المتحصنين » . ساقط

(٧) عبارة المعرى فى تفسير أبيات المعانى : ما تركن فى هذه الناحية خلدا أى رجلا قد دخل فى مغارة كما يدخل الخد فى الأرض ، إلا أن هذا الخلد يبصر ، وهو يشابه الخلد فى اختفائه ويخالفه فى نظره ، ولا باز له قدم ، يعنى رجلا مثل الباز يكون فى أعالى الجبال إلا أنه له قدم .

الوحشية . والحشم : حاشية الرجل .

يقول : ما تركت بها شجاعًا أيضا مثل الأسد ، عليه – مكان لبدته – درع ، ولا امرأة كالمهاة ولها من أمثالها خدم .

٢٤– تَرْمِى عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنُ الأَرْضِ وَالْغِيطَانُ وَالأَكَمُ

الباء في « بهم » متعلّق « بترمى » بهم : أى بالأعداء .

يقول : إن الأرض ترمى بالأعداء على شفار السّيوف ، وكلّ موضع استتروا فيه وهربوا إليه استخرجتهم الخيل وقتلتهم ، فلم تكتُمهم مكامِن الأرض[1] ، ولا واراهم الغيطان[2] ، ولا حصَّنَتْهم الآكام[3] .

٢٥– وَجَاوَزُوا أَرْسَنَاسًا مُعْتَصِمِينَ بِهِ وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مَالَيْسَ يَنْعَصِمُ ؟!

أَرْسَنَاس : نهر عظيم . معصمين به : أى ممتنعين به .

يقول : لمّا عبروا أرسناس ظنّوا أنه يحول بينك وبينهم ، وكيف يعصمهم منك وهو لم يمكنه أن يعصم نفسه منك ؟! لأنك عبرته بخيلك ، فلم يقدر على الامتناع عليك .

٢٦– وَمَا يَصُدُّكَ[4] عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ

الشَّمَم : الارتفاع .

يقول : لا يمنعك عن بحر الأعداء سِعَته ، ولا يردّك عن جبلهم ارتفاعه .

٢٧– ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلِفُوا قُدْمًا فَقَدْ سَلِمُوا

---

(١) مكامن الأرض : الخفيات منها .

(٢) الغيطان : جمع غائط . وهو المطمئن الواسع من الأرض .

(٣) الأكم : جمع أكمة . وجمع الأكم : إكام . كجبل وجبال . وجمع الإكام : أكم ككتاب وكتب وجمع الأكم : آكام كعنق وأعناق .

(٤) ع : « ولا يصدك » .

حاملةً : نصب على الحال . وقومًا : نصب بحاملة . أى يحمل قومًا صفتهم ما بعده .

يقول : ضربت أرسناس بصدور الخيل وكانت تحمل من أصحابك قومًا يعدّون التّلف فى الحرْب سلامة[1] ، فيسرون بهِ كما يسرون بالسلامة .

٢٨–تَجَفَّلَ الْمَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمْ
كَمَا تَجفَّلُ تَحْتَ الْغَارَةِ النَّعَمُ

تجفَّلَ : أى أسرع فى الذّهاب .

يقول : إن الموج كان يتفرق يمينًا وشمالاً عن صدور الخيل بالسرعة ، كما تتفرق الإبل عند الإغارة عليها .

٢٩–عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِى بَلَدٍ
سُكَّانُهُ رِمَمٌ ، مَسْكُونُهَا حُمَمُ

يقول : عبرْتَ هذا النّهر ، وأنت تتقدم الجيش ، وتقدّمتهم أيضًا فى بلد أحرقْته حتّى صار كالفحم ، وصار أهلها رمما[2] .

٣٠–وَفِى أَكُفِّهِمُ النَّارُ الَّتِى عُبِدَتْ
قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرِمُ

يقول : عبرْتَ هذا النّهر بخيلك ، وفى أيديهم[3] السيوف المجرّدة ، وشبّهها بالنار لبريقها ، ولمّا جعلها ناراً جعلها معبودًا[4] من قبْل المجوس الذين يعبدون النار .

---

(١) ق : « يعدون التلف فى الحرب قدمًا سلامه » . ع : « يعدون التلف فى الحرب أقدامًا سلامة » .

(٢) ع : « رمم » . (٣) ع : « الناس » .

(٤) الضمير يعود إلى قوم سيف الدولة الذين ذكرهم فى قوله : « حاملة قوما » والتقدير أو فى أكف القوم .

يعنى : أن المجوس[١] دانوا لها وخضعوا لشعارها من أوّل الدهر إلى يومنا هذا .

و « قبل » : تم الكلام عند قوله : [٢٨٦ - ١] « وَفِى أَكُفِّهِم النَّارُ الَّتِى عُبِدَت » ثم قال : « قَبْلَ المجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرِمُ » .

يعنى : أن السيوف مضطرمة متألقة قبل زمان المجوس إلى زماننا هذا . فكأنه يقول : إن السيوف كالنِّيران الحقيقية ، وهى النيران المعبودة . ثم بين أن اضطرامها تقدم زمانَ المجوس ، يعنى : أن سيوفه عتيقة .

٣١- هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَرًا صَغُرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَرًا عَظُمُوا

يقول : هذه النّار هندية : أى سيوف مطبوعة بالهنْد ، فهى تصغّر المقتول وتعظّم القاتل[٢] ، ويدرك بها العزَّ والشرف .

٣٢- قَاسَمْتَهَا تَلَّ بِطْرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَبْطَالُهَا وَلَكَ الأَطْفَالُ وَالْحُرَمُ

يقول قَسَّمْتَ أهل هذه البلد بينْك وبين سيوفك ، فأعطيتَها الأبطال ، وأخذت لنفسك النساء والأطفال .

٣٣- تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ التَّيَّارِ مُقْرَبَةٌ عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثَمُ

التَّيار : الموج . والمقْربة[٣] : هاهنا ، هى السّفن . والرّثم : بياض فى شفَةِ الفرس العليا . والضمير فى « بهم » يعود إلى أصحاب الخيل وإلى السبى .

يقول : سبيْتَ الأطفال والحُرَم ، وشحنت بهم السّفن ، وعبرت بهم[٤] النهر .

---

(١) قال الخطيب التبريزى : وعبادتهم (أى قوم سيف الدولة) السيوف : اشتمالهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والنصارى بالصلب . التبيان وفى ق ، ع : « لشفارها » بدل : « لشعارها » .

(٢) ع : « قتال القاتل » .

(٣) المقْربة فى الأصل : الخيل المدناة من البيوت لكرمها وإعدادها للغارة .

(٤) فى النسخ : « وعبّرتهم » .

وشبّه السفن فى النّهر بالخيل المقْربة ، وشبّه زبَد الماء على مقادِيم السفن بالرّثم ، وجحافل الخيل : أراد بها الخيل نفسها[١] .

٣٤- دُهْمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابُ أَبْطُنِهَا مكْدُودَةٌ وَبِقَوْمٍ لاَ بِهَا الأَلَمُ

يقول : إن هذه الخيل دُهْم . يعنى : أن السفن مطليّة بالقار ، وفوارسها يركبون بطُونها ، بخلاف[٢] الخيل التى يركب ظهورها ، وهى مكدودة فى السّير ، ولكن ليس بها ألم الكد ، وإنما يلحق الكدّ والتّعب قومًا آخرين ، وهم الملاحون .

٣٥- مِنَ الْجِيَادِ الَّتِى كِدْتَ الْعَدُوَّ بِهَا وَمَالَهَا خِلَقٌ مِنْهَا وَلا شِيَمُ

يقول : هذه السفن ، هى بعض خيلك التى تكيد بها عدوّك ، ولكنّها لا تشبهها فى الخلْقة ولا فى الطّبع .

٣٦- نِتَاجُ رَأْيِكَ فِى وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلَفْظِ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهِمُ

يقول : هذه السّفن كانت نتيجة رأيك لمّا أردت أن تعبر النهر بالسّبْى ، أنشأتها فى أسرع وقت ، وكانت المدة فى اتخاذها ، فى القِصَر كمدّة فهم السامع كلمة نطق بها الناطق .

٣٧- وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِى لَجَبٍ أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمُوا

فى لَجَبٍ : أى فى اختلاطِ أصوات . وروى : « فى لَجِبٍ » : أى فى جيش ذا لجب .

يقول : كانوا يتمنّون لقاءك حين كانوا على الدّرب ، فلما عاينوك عَمُوا : أى ماتوا ، فزالت أبصارهم .

---

(١) لأن الجحافل : جمع جحفلة ، وهى لذى الحافر كالشفة للإنسان .

(٢) « خلاف »

وقيل : تحيّروا لما نظروا إليك فلم يملكوا أبصارهم .

وقيل : « عموا » عن الرأى ؛ لما لحقهم من الخذلان .

٣٨–صَدَمْتَهمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ

وروى « صبّحتهم » بدل « صدمْتهم » والغَمَمُ : كثرة الشَّعْر على الناصية والقفا ، شبه الجيش بفرس ، وشبه سيف الدولة بغرته ، والرماح بشعر ناصيته ، وإنما شبهه بالغرة لتقدمه [٢٨٦ – ب] على الجيش ، أو لأنه كان يزين الجيش كما تزين الفرسَ غرَّتهُ

٣٩–فَكَانَ أَثْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومَهمُ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

يقول : كانت جسومهم أثبت شىء منهم ؛ لأنها إذا سقطت عن الدواب ثبتت مكانها ، والأرواح كانت تطير ولا تستقر .

٤٠–وَالأَعْوَجِيَّة مِلءُ الطُّرق خَلْفَهُمُ وَالْمَشْرِفِيَّةُ[1] مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمُ

الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج ، وهو فرس كريم [2] كان لكندة ، فأخذه بنو سليم فى بعض أيامهم ، فصار إلى بنى هلال .

يقول : انهزموا وتبعتهم خيلك وكانت تملأ الطرق ، لانبساطها على وجه الأرض . ولما كانت السيوف تعلوا فى الجو ، جعلها ملء النَّهار [3] لأنه ما بين السماء والأرض ولأن النهار من الشمس والشمس تعلو .

٤١–إِذَا تَوافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدةً تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِي الْجوِّ تَصْطَدِمُ

يقول : إذا اتّفقت الضَّربَات فى الصعود إلى الرءوس : أى وقعت فى وقت واحد ، توافقت الرءوس فى انحدارها ، ويصطدم بعضها ببعض ، وإنما قال :

(١) فى النسخ « والأشرفية » .

(٢) يقول صاحب التبيان : ماكان فى فحول العرب أكثر ذِكرًا منه وكانوا يفخرون به .

(٣) يريد : ملء الفضاء الذى يشرف عليه النهار فهى تنصب عليهم من كل جانب .

« صاعدة » لأن الحذَّاق يضربون السيوف من تحت إلى فوق « وصاعدة » نصب على الحال .

٤٢- وَأَسْلَمَ ابن شُمُشْقِيقٍ[١] أَلِيَّتَهُ أَلَّا انْثَنَى فَهُوَ يَنْأَى وَهِيَ تَبْتَسِمُ

يقول : انهزم وترك يمينه التى حلف[٢] ، ألَّا انثنى عنك ، فكان يُبْعد هو فى الهرب ويمينه [٣] تبسم من عمله بها .

٤٣- لاَ يَأْمَلُ[٤] النَّفَسَ الأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ

يقول : هو يتوقَّع القتل ، ولا يطمع فى أن يبقى ، وهو النفس الأقصى ، فيسرق النفس الأدْنى : أى الأقرب منه[٥] ويعده غنيمة ، ولا يأمل أن يتنفس نفساً بعده .

٤٤- تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةٌ صَوْبُ الأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيَمُ

السابغة : الدِّرع ، وهى فاعلة « تَرُدّ » والهاء فى « عنْه » للبطريق .

يقول : إن الخيل كانت فى إثره تطعن ظهره وهو منهزم ، ولكن ردّ عنه رماح الفرسان درعُه المحكمة ، مع أن وقع الأسنّة عليها فى الكثرة كوقع المطر [٦] .

٤٥- تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ

فيها : أى فى السابغة .

يقول : إنها درع حصينة ، فكانت الرِّماح تخط عليها خطًّا ولا تَنْفُذُهَا ، كما يخط القلم على الألواح ولا ينْفُذها .

(١) ق : « سمشقيق » وهو أحد بطارقة الروم وقد آلى أن يثبت ولا يفر ، فهرب وترك « أليته » أى يمينه التى أقسم بها .

(٢) المراد : حلفه أو قسمه . (٣) ع : « وحلف يمينه » .

(٤) النسخ : « لا يأمن » والمذكور عن الواحدى والتبيان والديوان والعرف الطيب وشرح البيت .

(٥) ع : « فيسرق نفسه الأقرب منه » .

(٦) ذكر الواحدى وتابعه التبيان أن الدروع السابغة قد تلطخت بالدماء التى تمطرها عليها الأسنّة.

٤٦-فَلاَسَقَى الْغَيْثُ مَا وَاراهُ مِنْ شَجَرٍ
لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَى⁽¹⁾ شَخْصَهُ الرَّخَمُ

روى : « لَوارَى » و« لَوارت » و « جِسْمَه » و « شَخْصَه » وروى « الرَّجَم » أى القبر والحجارة . و «ما » فى موضع نصب ، لأنه مفعول « سقى » .

يعنى : أنه لولا دخوله فيما بين الأشجار . وتواريه ، لكان يقتل ، وَلَكانت الرَّخم [2] تأكله وتوارى شخصه ، أو يواريه قبْره فلا سقى الله هذا الشجر .

٤٧-أَلْهَى الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ شُرْبُ الْمُدَامَةِ والأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ

المالك : أى أهل الممالك ، فحذف المضاف .

يقول : شُغل الملوك عن هذا العزّ الذى رجعتَ به ، شُرْبُهم المُدامَ ، واشتغالهم بسماع اللهو ، وأصوات أوتار البَرْبَطَ [3] والعود والنغم ، وهى [٢٨٧ - ا] الأصوات الطيبة .

٤٨-مُقَلَّدًا فوق شُكْرِ اللهِ ذَا شُطَبٍ لاَ تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ

مقلدًا : نصب على الحال ، أى قفلْت مقلدًا . وشُطَب السيف : طرائقه .

يقول : قفلْت من الغزو ، وأنت مقلَّدًا سيفًا ذا شطب ، فوق شكر الله تعالى على ما أولاك من الظفر وكساك من النصر ، فجعلت الشكر دِثارًا والسيف شعارًا .

ثم قال : إن النعم لا تستدام [4] بشيء أمضى من شكر الله تعالى ، ومن السيف

---

(١) ق « لوارت » .

(٢) الرخم : جمع رخمة ، طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة ، ومن طبع هذا الطائر أنه لا يرضى من الجبال إلا بالموحش منها وتأكل العذرة . حياة الحيوان .

(٣) البربط : العود ، معرب بربت وأصل معناه صدر الأوز لأنه يشبهه . انظر القاموس . وفى ق « البرط » .

(٤) يريد أن قوله : « لا تستدام » استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب ، لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لا توصف بالجملة ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، فجرى مجرى قولك : مررت بزيد ، وجاءنى رجلان عاقلان ، أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة . التبيان .

القاطع ؛ لأن الشكر يحرس النعم من الزوال ويحفظها من حوادث الأيام والانتقال والسيف يذبّ عنها كيد الحسادّ فتدوم النعم .

٤٩-أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَها فَلَو دَعَوْتَ بِلاَ ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ

يقول : دماء الروم تُطيعُك ، فلو دعوتها بلاسيف لاجابتك .

يعنى : أنك قدرت على سفك دمائهم على أىّ وجهٍ أردت .

٥٠-يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمُ مَوتٌ وَلاَ هَرَمُ

يقول : القتل يسبق إلى الرّوم كل حادثة ، فيميتهم القتلُ قبل أن يصيبهم شيبٌ ولا هرم ، ولا شيء من حوادث الأيام .

٥١-نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِه نَفْسٌ يُفَرِّحُ نَفْساً غَيْرَهَا الْحُلُمُ

يقول : نفى عن عينه النوم نفسه النفيسة ، وهمتهُ العالية ، وكل نفسٍ غيرها تُسَرُّ بالأحلام الكاذبة [1] .

٥٢-الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِى الَّذِى شَهِدتْ قِيَامَهُ وهُدَاهُ الْعُرْبُ والْعَجَمُ

يقول : هو قائم بشرائط المُلْك ومدبِّر لأمْر رعيته ، وهادٍ إلى معالم الدين ، وقد حضرت ذلك منه ، وعلمته سائر[2] العرب والعجَم .

٥٣-ابْنُ[3] المُعَفِّرِ فِى نَجْدٍ فَوارِسَهَا بِسيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ

يقول : هو ابن الذى قتل فرسانَ نجد ، وعفَّرهم بالتُّراب ، وهو قد مَلك الكوفة والحجاز واستولى عليهما[4] وكوفان : هى الكوفة ونواحيها . والحرم : مكة

(١) ع : زادت ع بعد ذلك « سوى نفسه » . (٢) ع : « سائر » مهملة .

(٣) ق : « أبين » تحريف ، ع : « وأين » تحريف .

(٤) ق ، شو : « عليها » .

والمدينة . وأراد بما ذكر محاربة أبي الهيجاء[١] (والد سيف الدولة) للقرامطة[٢] أصحاب الأحساء والبحرين .

وروى : « وابن المعقر» بالقاف وهو المقطع ، من عقرت الدابة .

٥٤- لاَتَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيته إنَّ الكرامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا

يخاطب نفسه أو صاحبه يقول : لا تطلب أحدًا كريما بعد رؤيته[٣] فإن الكرام ختموا بأسخاهم ، وهو سيف الدولة .

٥٥- وَلاَتُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِه قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

الهاء في « شاعره » لسيف الدولة ، و « أُحْمِدَ الصَّمَمَ » أي وجد محمودًا .

يقول : لا تفكر في شعر [بعد] شاعرِ سيف الدولة ، وعنى به نفسه ، فإن الشعراء قد ختموا به كما ختم الكرام بسيف الدولة ، وهو خاتم الكرام وأنا خاتم الشعراء ، وقد أُفْسِد الشِّعر حتى صار الصَّمَمَ محمودًا ، لأن الإنسان إذا سمع شعر

---

(١) أبو الهيجاء : هو عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة وأمير الموصل ، يكنى بأبي الهيجاء يعنى أبا الحرب ولاه المكتفى وقتل ببغداد . أبو الفداء ٢ /٨٣ .

(٢) القرامطة : أصحاب دعوة انتشرت في البلاد الإسلامية في القرن الثالث الهجرى بزعامة أحد الإسماعليين . زعزعت العالم الإسلامى ثم انتهى أمرها حينما اصطدمت بالحملات الصليبية . ففي سنة ٣١٢ أخذ أبو طاهر القرمطى الحجاج واستولى منهم على أموالهم ، وهلك أكثرهم بالجوع والعطش وفى السنة المذكورة سار إلى الكوفة ودخلها بالسيف وقتل بعض مَنْ فيها وحمل منها شيئا كثيرا وأقام ستة أيام يدخل الكوفة نهارًا ويخرج منها إلى عسكره ليلا وحمل منها ما قدر على حمله ووقع الجفل فى بغداد خوف القرامطة بعد أن هزموا عسكر الخليفة ونهبوا غالب البلاد الفراتية ثم عادوا إلى هَجَر بالغنائم .

وفى سنة ٣١٧ وافى أبو طاهر القرمطى مكة يوم التروية . وكان الحجاج قد وصلوا إلى مكة سالمين فنهب أبو طاهر أموال الحجاج وقتلهم حتى فى المسجد الحرام وداخل الكعبة ، وقلع الحجر الأسود من الركن ونقله إلى هجر . وقتل أمير مكة ابن محلب وأصحابه وخلع باب البيت وطرح القتلى ببئر زمزم ودفن الباقين فى المسجد وحيث قتلوا ! ! ! وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه . راجع فى هذه الحوادث ، وأصل القرامطة أبو الفداء ٢ /٥٥-٥٦ ، ٧٢ - ٧٤ .

(٣) ع : « لا يطلب أحد رؤية سيف الدولة كريما » . ق : « لا تطلب أحدا بعد رؤيته كريما »

أَهْل هذا العصر ، تمنى أن يكون أصم لا يسمع لفساده واختلاله .

بذَا آخرِ مدائحه[١] فى سيف الدَّوْلة ، وما قالَه فيهِ بحلَب .

(٢٣٧)

ثم مدَحه بمصرْ بهذه الدالية[٢] [٢٧٨ – ب] .

١ – فَارَقْتُكُم فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمُ قَبْلَ الْفِراقِ أَذًى بَعْدَ الْفِرَاقَ يَدُ

يقول معرِّضًا بسيف الدولة : كانت منكم أَحْوال أكرهها ، فأَعُدُّها قبل الفراق أذى ، فكنت أتأذَّى ، فلما فارقتكم صارت تلك الإساءة والأذى نعمة إلىّ وإحسانًا ، من حيث إنى إذا تذكرتها أزالت عنِّى الشوق[٣] .

وقيل : إن معناه ، شكرتكم قبل أن أجرب غيركم ، فعلمت أن ماظننته أذًى كان نعمة .

٢ – إِذَا تَذَكَّرْتَ مَابَيْنِى وَبيْنَكُمُ أَعَانَ قَلْبِى عَلَى الشَّوْقِ الَّذى أَجِدُ

يقول : كلما اشتد حزنى على مفارقتكم ، وغلب علىَّ الاشتياق إليكم ، تذكرت ما كنتم تعاملوننى به من الإساءة ، فأتسلّى وتطيب نفسى لفراقكم ، فيكون الأذى من هذه الجهة نعمة ويدًا .

وعلى الثانى : إذا تذكرت مابيننا من الأحوال زادنى الشوق والحزن على الفراق .

---

(١) ع : « هذه غر مدائحه . . . . » إلخ . التبيان ٤ /٢٦ : « وهذه القصيدة آخر ما قال فيه » .

(٢) الواحدى ٦٠٦ : « وقال أيضا . وقيل : إنه أراده به » . التبيان ١ /٢٩٣ : « وقال فيه وهو بمصر» . الديوان ٤٢٢ : « وقال فيه بمصر » العرف الطيب ٥٥٦ .

(٣) ع : « إذا ذكرت لى أزالت عن قلبى الشوق » .

(٢٣٨)

وتُوفِّيتْ أختُ سيفِ الدَّولةِ الكُبرى ، بميَّا فارقين (من ديار بكْر) لثلاث بقين من جمادى الآخرة من سنة اثْنَتين وخمسين وثلاث مئة ، وورد الخبر إلى العراق فقال أبو الطيب يرثيها في شعبان [1] . وأَمْلاَها لثلاثٍ خلوْنَ من شهرِ ربيع الأوَّل سنة ثلاثٍ وخمْسين وثلاث مئة[2] :

١ – يَاأُخْتَ خَيْرِ أَخٍ ، يَابِنْتَ خَيْرِ أَبٍ،
كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

كنَّيتُ الشيء وكنَيت عنه : إذا تركت التصريح به ، وعبرت بلفظ آخر يؤدى معناه . ونصب «كناية» على المصدر .

المعنى[3] : أراد أن يقول : يا أخت سيف الدولة ، ويابنت أبي الهيجاء ، فكنَّى بذلك عن قوله : « يا أخت خير أخ يابنت خير أب » وأراد التصريح باسمها فعبر عنه بهذه العبارة ، ثم قال : «كناية بِهِمَا » . /

يعني : إذا قلت ذلك عُلِم أن نسبها أشرف النسب ، والغرض انتسابها إليهما لايخصُّ الأب وحده ، وجعل كونها أختًا له : نسبًا لها [4] وهذا تعظيم شأن سيف الدولة .

---

(١) هنا تنتهي مقدمة الديوان ثم يذكر المحقق في الهامش نقلا عن إحدى نسخه : « وصلت هاتان القصيدتان إلينا في سنة ثلاث وخمسين » فيعلق المحقق قائلا : « وأحسب هذا من كلام علي بن حمزة البصري » . راوي الديوان عن المتنبي .

(٢) المذكور عن ع ، الفسر ٢٠٦/١ : « وقال يرثي أخت سيف الدولة ، وتوفيت بميافارقين ، وورد الخبر إلى العراق سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة » . الواحدي ٦٠٧ : « وقال يرثي أخت سيف الدولة الكبرى ويعزيه بها وتوفيت بميافارقين » . التبيان ٨٦/١ : « وقال يرثي أخت سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة » . الديوان ٤٢٢ نص ماهو مذكور إلى إشارتنا . لعرف الطيب ٤٦١ .

(٣) ق : « المعنى » مهملة . (٤) ع « له » .

٢ - أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمِى مُؤَبَّنةً[١] وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَب

روى : « أن تسمى » و « أن تدعى » [٢] وهما متقاربان . يقال : أسميْته بكذا وسميْته به ، وقد جمع بينهما فى البيت . والتّأبين : مدح الميت . ومؤبنة : نصب على الحال .

يقول : أجلّ قدرك أن أذكرَ[٣] اسمك فى مرثيتك ، ولكنى إذا وصفت [٤] ما فيك من المحاسن والمناقب ، عرفتْك العرب ، لأن ذلك لايوجد فى غيرك .

وقيل أراد : أنى أصفك بقولى يا أخت خير أخ ، يابنْت خير أبٍ ، وهذه صفة يقع بها التّمييز بينك وبين سائر النساء ؛ لأنّ هذه الصفة ليست إلاّ لك خاصة . وإنما أعرض عن تسميتها ؛ لأن تسمية النساء من قلّة المروءة ما وجد إلى تعريفها[٥] - بغير التسمية - سبيلا ، أو لأَجْل أن سيف الدولة ربما لحقته الغيرة إذا سمع التّصريح باسمها ، أو لأجل أنه أراد أن يُعِدّ محاسنها ، والتعريف بالأوصاف المحمودة أجلُّ من ذكر اللقب المحض الذى لامدح تحته . ومثله لأبى نواس [٦] :

فهِى إذَا سُمِّيتْ فَقَدْ وُصِفَتْ فَيَجْمَعُ الاسْمُ مَعْنَيَيْن مَعَا [٧]

وأبو الطيب - رحمة الله - قلّده[٨] [٢٨٨ - أ] .

---

(١) فى الديوان : « مؤنثة » بدل : « مؤبنة » .

(٢) ق ، شو : « وروى أن تدعى » .

(٣) ع : « أن أذل » تحريف .

(٤) ع : « إذا وصفت » ساقطة .

(٥) ق : « إلا إذا ماوجيد إلى تعرفها » تحريفات .

(٦) هو : أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمى ، الشاعر المشهور ، كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خراسان ونسبته إليه ، ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة ثم صار إلى بغداد وتوفى سنة ١٩٨ . له ترجمة فى معاهد التنصيص ١ /٨٣ وخزانة البغدادى ١ /١٦٨ وابن خلكان ١ /٢٤٠ .

(٧) ديوانه ٢٦٣ وفيه : « فيجمع اللفظ » والوساطة ٣٢٠ والواحدى والتبيان وروايته : « فهى إذا أنميت » .

(٨) ع : « وأبو الطيب قدقلبه » .

٣ - لاَيَمْلِكَ الطَّرِبُ الْمَحزُونُ مَنْطِقَهُ وَدمْعَهُ وَهُمَا فى قَبْضَةِ الطَّرَبِ

الطَّرَب : خفّة تصيب الإنسان من فرط الفرح ، أو الجزع . والطَّرِب : اسم فاعل منه .

يقول : الرجل الذى غلب الحزن على قلبه لايملك منطقَه ودمعَه ؛ لأنهما فى قبضة الطَّرب ، فهو مغلوب لا فعل له فى ذلك .

٤ - غَدَرْتَ يَامَوتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِن لَجَبِ ؟!

أَلَّلجَب[1] : الصوت فى الحرب .

يقول : ياموت غدرت بهذه المتوفاة : بعد أن كنت تصل بها إلى إفناء الأعداء : الذين هم الكفار ، وإلى إسكات لجبهم[2] ، لأنها تجهز الجيش ، وتنفق فى سبيل الله تعالى .

وقيل : إن المعنى أنك أفنيت بإفنائها كثيرًا من النّاس ، وأسكتّ أصواتهم ، لأنهم ماتوا بموتها ، لأن حياتهم كانت بها . وهذا مثل قول الآخر :

ولكنّ الرَّزِيَّة فَقْدُ حَىٍّ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ[3]

(١) قال ابن جني . اللجب : صوت الحرب وصوت البحر وكل صوت عالٍ مختلط فهو لجب . الفسر ١/٢٠٨ .

(٢) ع : « وإلى سكان جيهم » تحريف .

(٣) الوساطة ٣٨١ غير منسوب والبرقوقى ١/٢٧ وفيه : « فقد شخص » . وقد ذكر الواحدى والتبيان الشطر الأخير منه فى أحد بيتين نسباهما إلى ابن المقفع وهما :

وأنت تموت وحدك ليس يدرى بموتك لا الصغير ولا الكبير
وتقتلنى فتقتبل بى كريمًا يموت بموته بشر كثير

وقد ورد فى المجلد الأول من هذا الشرح أحد بيتين غير منسوبين هما :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حيٍّ يموت بموته بشر كثير

وفى أمالى القالى ١/٢٧٢ : « فقد قرم » . قال أبو على وأنشد فيهما بعض أصحابنا وقال فى =

ومثله قول الآخر :

فَمَا كَانَ قَيسٌ هُلْكُهُ هَلْكُ آدم وَلكِنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا (١)

٥ – وَكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فِى مُنَازَلَةٍ
وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ تَخِبِ (٢)

يقول : ياموت كم صحبْتَ أخاها فى الحروب ؟! وكم سألته أن يمكنك من تناول الأبطال فلم يبخل ؟! هو بما سألت ، ولم تعد خائبًا فى سؤالك عنه (٢) ، ثم غدرته ونقضت ما كان بينكما من المواصلة .

٦ – طَوَى الْجزِيرةَ حَتَى جَاءنِى خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيه بِآمَالِى إِلَى الْكَذِبِ

خبرٌ : مرفوع بجاءنى . وفى « طوى » ضمير على شريطة التفسير (٣) . وفى قول الكوفيين مرفوع بالفعل الأوّل (٤) « وجاءنى » مسند إلى ضميره (٥) : أى حتى جانى هو . والجزيرة : مدينة معروفة على شط دجلة بين الموصل ومِيّا فارِقين .

= البيت الأول : « هلك مال » وقال فى البيت الثانى « وهلك ميت وخلق كثير » ، وفى التبيان ١ /٢٧ منسوبان للمرقش ورواية البيت الثانى « فقد شخص » .

(١) فى مواسم الأدب ١٥٠ قال الأصمعى : أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطبيب :
فما كان قيس . . . . البيت .

ونسب إلى عبدة بن الطبيب أيضًا فى خاص الخاص ١٠٤ والحماسة ٢٦٣ والمستطرف ١ /٧٦ والأغانى ١٨ /١٦٣ والمحاسن والمساوئ ٢ /٣٥ ومعاهد التنصيص ١ /١٠٢ وغير منسوب فى تأهيل الغريب ٣٠٩ وفى محاضرات الأدباء ٢ /٥٢٧ : « ولم يك قيس » . وقد نسبه إلى هشام أخو ذى الرمة .

وعبدة بن الطبيب شاعر مقل مجيد أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وله ترجمة فى الأغانى فى ١٨/١٦٣ – ١٦٤ .

(٢) ق ، شو : « فلم تبخل ولم نجب » ، وفى شرحها : « فلم يبخل هو بما سألته ولم تجب أنت عما سألته » .

(٣) ق ، شو : « ضمير شرط التفسير » . يريد أن هذا عند البصريين كما ذكر ابن جنى فى الفسر ١ /٢٠٩ . (٤) وهو : « طوى » .

(٥) وذلك لأن الكوفيين يعملون الفعلين . انظر التبيان ١ /٨٧ والفسر ١ /٢٠٩ .

يقول : جاءنى خبر موتها من الشام وقطع الجزيرة حتى وصل إلىّ ، فلما سمعته التجأت إلى التعلّل بالآمال الكاذبة فقلت : لعلّه يكون كذبًا ، فلم ينفعنى ذلك .

٧ - حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِى صِدْقُهُ أَملاً
شَرِقْتُ بِالدَّمعِ حَتَّى كَاد يَشْرَقُ بِى

يقول : فلما تحقّقتُ صدقه ، ولم يبق فيه موضع أمل بكيت جزعًا ، حتى سار دمعى وجرى فى حلقى وشرقت ، ثم زاد وفاض ، حتى غمرنى ، فصرت فى وسطه كالجرعة من الماء فى الحلق .

٨ - تَعثَّرتْ بِهِ فى الأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا
والْبُرْدُ فى الطُّرْقِ وَالأَقلامُ فى الكُتُبِ

حذف الياء من « به » ضرورة ، واكتفى بالكسرة عنها [١] . وروى : « تعثرت بك » فيكون عدولا عن الغائبة [٢] إلى مخاطبة الخَبَر ، والهاء فى « به » تعود إلى الخبر .

يقول : لعظم هذا الخبر تعثرت الألسنُ فى الأفواه ، فلم تقدر على أن تنطق به إذا أرادت الإخبار عنه ، وكذلك البُرْد [٣] الذى تحملت هذا الخبر تعثرت فى الطرق ، وتعثرت الأقلام فى الكتب ، فلم تقدر أن تكتب [٤] هذا الخبر .

---

(١) قال ابن جنى ومثله من أبيات الكتاب ١ /١٢ « للأعشى » .

وماله من مجد تليد وماله من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا

ثم قال : وقد جاء عنهم حذف ما بعد الهاء المثبة وتسكينها .

وقرأ أبو عمرو : « ولا يؤدِّه إليك » بسكون الهاء . انظر الفسر ١ /٢١٠ والواحدى ٦٠٨ .

(٢) ع : « المغايبة » .

(٣) البُرْد : جمع بريد ، وأصلها « بُرُد » بضم الراء وقوم يسكنونها حملا على : كُتْب ورسْل . وهى أعلام تنصب فى الطريق ، فإذا وصل إليها الراكب ، نزل وسلم ما معه من الكتب إلى غيره ، ونزل فيبرد ما به من التعب والحرّ فى ذلك الموضع ، وينام فيه ، والنوم يسمى بَرْدا ، فسمى ما بين الموضعين بريدًا وقيل للدابة بريد ، لأنها يستعان بها فيه ، والبريد للملوك خاصة . التبيان .

(٤) ع : « على أن تكتب » .

٩ - كأنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمْلأْ مَوَاكِبُهَا ديَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ

لمّا لم يصرح باسمها كنى عنه ، وذكر وزْنه من الفعل وكان اسمها « خَوْلَة » وديار بكر : ما بين [٢٨٨ – ب] الشام والعراق .

يقول : إنها ملأت ديار بكر بجيوشها ، ووهبت الأموال ، وخلعت ، ثم زال ذلك كله بموتها ، فكأنها لم تفعل شيئًا من ذلك .

١٠–وَلَمْ تَرُدَّ حياةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ

يقول : كأنها لم تردَّ حياةً على رجل بعد ما ولَّت عنه حياته . يعنى : رجلاً أشرف على الهلاك ، فأزالت عنه هلاكه ، فكأنها ردت إليه حياته ، وكأنها لم تغث ملهوفًا يقول : ياوَيْلاه وياحرْباه [١] !

يعنى : أنها كانت تفعل ذلك ، فبطل ذلك بموتها .

١١–أرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فى حَلَبِ ؟!

يقول : لمّا أُخْبِرتُ بموتها طال علىّ اللّيل وأنا بالعراق [٢] لمَا دخَل علىّ من الأسف ، فكيف حال أخيها وهو فى حلب ؟ ! يعنى : إذا كانت هذه حالى فى طول الليل فليله أطول .

١٢–يَظُنُّ أنّ فُؤَادِى غَيْرُ مُلْتَهِبٍ وأَنَّ دَمْعَ جُفُونِى غَيْرُ مُنْسَكِبِ

أى : أيظن [٣] سيف الدولة أنّ فؤادى غير محترق بالحزن ، وأن دمعى غير سائل على فقدها ؟!

(١) أى يراد به لفظه الذى نطق به . انظر الفسر ١ /٢١١ .

(٢) روى ابن جنى قال : قال الأصمعى : سمى العراق لتسفله عن الأرضين ، وهو جمع كأن واحده عنده عرق ، وقال : الفرس تسميه : « إيران شهر » أى أسفل الأرضين . قال ابن الأعرابى والعراق : ذكر فلذلك قال : طويل ولم يقل طويلة . انظر الفسر ١ /٢١٢ .

(٣) أى حذف همزة الاستفهام ومثله كثير . وفى ع : يظن : أى أيظن يعنى أيظن سيف الدولة .

١٣–بَلَى وَحُرْمَةِ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً   لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ والقُصَّادِ وَالأَدَبِ

يقولُ : ليس الأمر كما يَظُنّ أنى لم أتأسف على فقدها ، بل تأسّفت على فقدها [1] ثم حلف بحرمتها فقال : وحرْمة هذه المرأة التى كانت مراعية لحرمة المجْد وحقوق القصّاد ، وحقّ الأدب ، أن فؤادى ملتهب ودمعى منسكبٌ لعموم هذه المصيبة القريبَ والبعيدَ .

١٤–وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْروثٍ خَلائِقُهَا   وَإنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّشَبِ

النَّشب : المال [2] و«مَنْ» فى موضع الخبر، عطفًا على قوله : «مَنْ كَانتْ».

يقول : وحرمة من مضت ، وخلائقها غير موروثة ؛ لأنها لا توجد [3] إلا فيها ، وإن مضت هى موروثة المال ، وأضاف النّشب إلى اليد ، لأن الكسب والتصرف فى الغالب يقع بها . يعنى إن لّم تورث خلائقها فقد ورث مالها . وقد روى : « مردودة [4] النّشَبِ » .

يعنى [5] : أن سماحتَها التى ورثتها عن آبائها ردّت عليها حياتها ، حسْنُ الذّكْر كما قال :

رَدّتْ صَنائِعُه إلَيْه حَيَاتَهُ [6]

و « غير موروثة » نصب على الحال .

---

(١) ع : « عليها » .

(٢) قال ابن جنى النشب : المال ، اسم جامع للصامت والناطق . الفسر ١ /٢١٣ أى المال جميعه .

(٣) ع : « لم توجد » .   (٤) ق : « موروثة » .

(٥) ع : « فيكون المعنى » .

(٦) هذا صدر بيت عجزه .

فكأنه من نشرها منشور

وقد نسب فى الحماسة ٣٢٧ إلى التيمى ونسب إلى منصور النمرى وفى مجموعة المعانى ١١٩ للتيمى وشرح البرقوقى ٢ /٨٢ لمنصور النمرى ونسب فى الإبانة ٣٦ لأبى القواق الأسدى وفى أمالى اليريدى « المقدمة ط الهند » والتبيان ٢ /١٣٢ وغير منسوب فى ديوان المعانى ٢ /١٧٤ وتأهيل الغريب ٣١١ وعيون الأخبار ٣ /٦٧ والوساطة ٣٤٠ .

١٥–وَهَمُّهَا فِي العُلاَ وَالْمُلْكِ نَاشِئَةً   وَهَمُّ أَتْرابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِب

الأتراب : جمع تِرب وهو اللِّدَة وأكثر ما يكون للمؤنث [1] .

يقول : كان همّها اكتساب المعالى وهى ناشئة حديثة السن ، وهمّ أمثالها ومَنْ كانت فى سنها : اللهو واللعب . يعنى : وحُرمة من كانت كذلك .

١٦–يَعْلَمْنَ حِينَ تُحَيَّا حُسْنَ مَبْسَمِهَا [2]   وَلَيْسَ يَعْلَمُ إلاَّ اللهُ بِالشَّنَبِ

المَبْسم : الثغر . والشنب : بَرْدُ الريق ، وقيل أراد بالشنب هاهنا : الكناية عن المال .

والمعنى : أن أترابها يعلمن حُسْن مبسمها حين يجئنه ؛ لأنها كانت تستعمل البِشْر إذا حُيِّيتَ [3] ، وذلك عنوان العطية ، فهن يعرفن هذا القدر والله يعلم ما يتبع التبسم من المال ، فكنىّ عن [٢٨٩ – ا] ذلك بالشنب حيث ذكر المبْسم .

وقيل : أراد بالشنب المعنى الحقيقىّ . يعنى : أنهنّ يعرفن حسْن المبسم فقط ، وأما طيب ريقها وبرْده فلا يعلمه [4] أحدٌ إلا الله تعالى ، ولا تعلمه النساء فضلا عن الرجال ومثله قول جميل [5] :

---

(١) ق ، شو : من « وهو . . . للمؤنث » مكانه بياض فى النسختين .

(٢) يقول ابن جنى : « وكان أبو الطيب يتجاسر فى ألفاظه جدا ، ألا تراه يقول لفاتك بمدحه :
وقدْ يلَقّبُه الْمجنُون حَاسِدُهُ

أفلا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه ، وتلقاه وسلم أحسن سلامة ، ولولا جوده طبعه وصحة صنعته ماتعرض لمثل هذا ، وكذلك ذكره : مبسمها وحسنه وشنبه ومفرقها فى البيت الذى يتلوه ، ومن ذا الذى كان يجسر على تلقّى سيف الدولة بذكر هذا من أخته ، وآل حمدان أهل الأنفة والإباء وذوو الحمية والامتعاض؟ انظر الفسر ٢١٥/١ والواحدى عند شرحه للبيت .

(٣) ع : عبارتها « يعلمن حين جئنها حسن مبسمها لأنها كانت . . . حين حييت » .

(٤) ع : « وإنما طيب . . . لا يعلمه » .

(٥) هو جميل بن عبد الله العذرى ، كان يهوى بثينة بنت حبأ بن ثعلبة ابنة خالته وهو شاعر فصيح جامع للشعر والرواية وكان راوية هدبة بن الخشرم وكان هدبة شاعرا راوية الحطيئة ، وكان الحطيئة شاعرا راوية زهير ولبنه وآخر من اجتمع له الشعر والرواية كثير راوية جميل .

لاَ وَالذِي تَسْجدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ ثَوبِها خَبَرُ
وَلاَ بِفِيهَا وَلاهَمَمْتُ بِهِ مَا كَانَ إلاَّ الْحَدِيثُ والنَّظَرُ (١)

ومثله لبشار :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إلا شَهادَةُ أطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ (٢)

ولغيره :

يُخَبِّرُنِي الْمِسْوَاكُ عَنْ طِيبِ ثَغْرِهَا وَلَيْسَ بِهَا إلا السُّؤالُ بِذِي خَبَرَ

١٧–مَسَرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُهَا وَحَسْرَةٌ فى قُلُوب الْبَيْضِ وَالْيَلَبِ

اليَلب : ترسة تعمل من جلود الإبل ، وقيل جلود تضْفَر(٣) ويضم بعضها إلى بعض وتلبس على الرأس مثل البيْضة ، وقيل ، تلبس إذا لم يكن لهم درع وقيل تحت الجواشن(٤) ، وقيل تحت البيض (٥) .

يقول : إن الطيب يَسر بحصوله فى مفْرقها ؛ لأنها كانت تستعمل الطيب ، والبيضَ واليَلَب يتحسران عليها ويحسدان الطيب ، لأنها لا تلبسها لكونها امرأة .

١٨–إذَا رَأَى وَرآهَا رَأْسَ لاَبِسِهِ رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى منْه فِي الرُّتب

---

(١) ديوانه ٥٤ ط بيروت وروايته : « ولا بفيها » أورد صاحب التبيان البيتين غير منسوبين وروايته : « ولا بفيها ولا هممت به » ١ /٩٠ .

(٢) ديوانه ٤ /١٥٣ وديوان المعانى ١ /٢٤١ والأغانى ١٨ /١٩٢ والوساطة ٢٣٦ وطبقات ابن المعتز ٣١ ومحاضرات الأدباء ٢ /٣٩٩ وحماسة ابن الشجرى ١٩٣ والمستطرف ٢ /٢٢٤ وزهر الآداب ١ /٢٠٦ ومعاهد التنصيص ٤ /٣١ .

(٣) ق ، شو : « تجدل » بدل « تضفر » .

(٤) ع : من « وقيل تلبس تحت الجواشن » ساقطة . وقال ابن جنى : « تلبس مثل الجوشن » . الفسر ١ /٢١٦ وقال الواحدى : سيور تجعل تحت البيض وربما لبسوها إذا لم يكن لهمَ دروع . وقال صاحب التبيان : هى الدروع اليمانية .

(٥) قال ابن جنى : « تحت البيض أوكالبيض وهذا ما أراده فى البيت . قال عمرو بن كلثوم :

علينا البيض واليلب اليمانى وأسياف يقمن وينحنينا

الفسر ١ /٢١٦ .

التقدير والمعنى : إذا رأى البَيْضُ رأسَ مَنْ يلبس البيضَ ، ورأى هذه المرأة ، علم أن المقانع أعلى منزلة من البيض ؛ لأنها على رأسها ، وهى أشرف من الرجال الذين يلبسون البيض واليلب .

١٩- فَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثى فَقَدْ خُلِقَتْ كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى الْعَقْلِ والحَسَبِ

الحسب : ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه ، وقيل : هو كرم الخلق [1] .

يقول : إنها وإن كانت أنثى ، فعقلها وحسبها مثل الذكور وحسبهم [2] .

٢٠- وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ [3] عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِى الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِى الْعِنَبِ

تغلب : قبيلة ؛ فلهذا أنثها فوصفها بالغلباء[3] وهى تأنيث الأغلب [3] والعنصر :الأصل .

يقول : هى وإن كانت من تغْلب ، ففيها من معانى الكمال وأنواع الخصال ماليس فى تغلب ، كما أن الخمر وإن كانت من العنب ، ففيها معانٍ ليست فيه : من التفريح ، والتصحيح للأبدان وطيب الرائحة ، وغير ذلك . ومثله قوله فى سيف الدولة [4] :

وَإِنْ تَفُقْ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

وكقوله فى نفسه :

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ فِى الْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَام

٢١- فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ

---

(١) هذا هو ماعند أهل اللغة كما قال ابن جنى . انظر الفسر ١/٢١٧ .

(٢) ع : « ففضلها وحسبها مثل حسب الذكور وفضلهم » .

(٣) ع : « العلياء ، بالعلياء ، الأعلى » .

(٤) ع ، ق ، شو : ومثله وزادتا ق وشو : « لغيره » .

فإن المسك بعض دم الغزال ولكن معدن الذهب الرغام

ولكن الشطر الأول من قصيدة للمتنبى. انظر التبيان ٣/٢٠ والشطر الثانى من قصيدة أخرى . انظر التبيان ٤/٧٠ والتصويب الذى ذكرناه عن ابن جنى فى الفسر ١/٢١٨ والواحدى ٩٠٩ .

يقول : كانت كالشمس[١] فليتها بقيت ولم تغب ، وليت الشّمس التى تطلع كل يوم غابت وفقدت .

٢٢-وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاءُ عَيْنِ الَّتِي زَالَتْ[٢] وَلَمْ تَؤُبِ

العين الأولى : قرص[٣] الشّمس ، والثانية : عين المرأة المرثية[٤] .

وقيل : أراد بالعيْن نفس المرثية .

يقول : ليت عين الشمس التى تعود كل يوم بعد غروبها فداء عين هذه المرأة ، أو فداء نفسها التى زالت بالموت ولم ترجع .

٢٣-فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشْبِهُهَا وَلاَ تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضُبُ

[٢٨٩ — ب] يقول : ليس لها شبيه فى النساء اللاتى يتقلدن بالحلىّ ، ولا فى الرجال الذين يتقلدون بالسيوف . والقضيب : السيف اللطيف الدقيق .

٢٤-وَلاَ ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا إِلاَّ بَكَيْتُ وَلاَ وُدٌّ بِلاَ سَبَبِ[٥]

يقول : ولم أذْكر جميل صنائعها إلا بكيت ، وليسَ ودّى لها بلا سبب ، بل أودّها لإحسانها إلىّ ، وكلّ أحد إذا ودَّ غيرَه فإنما يودّه بسبب[٦] .

---

(١) ع : « كالشمس » البيت . ق : «كانت الشمس » .

(٢) فى النسخ : « غابت » . وفى الواحدى والفسر والتبيان والديوان وشرح البيت : « زالت » .

(٣) فى النسخ : « فرصة » . (٤) ع : « عين المرثية » .

(٥) يذكر الواحدى أن ابن جنى روى : « بلا ودّ ولا سبب » وبالرجوع إلى الفسر ١ /٢١٩ لم أجد هذه الرواية ولعله ذكرها فى كتاب آخر .

وفى هذا المكان من الفسر يقول المعلق عليه : « هذا بيت خبيث ويحمل بلية لو حملت عليه ، وما أحوجه أن يذكر السبب فيثبته ! ولم يفعل» انظر الفسر ١ /٢١٩ .

(٦) انفرد الأستاذ محمود شاكر (من المحْدَثين) باستنباطه من هذه القصيدة — وغيرها — من شعر المتنبى أنه كانت هناك علاقة حب وهيام بين أخت سيف الدولة « خولة » والمتنبى ويقول : « ولانشك نحن من قبل ماجمعناه عندنا من الدلائل فى هذا الأمر المتعلق بحب أبى الطيب وخولة أخت سيف الدولة فى أن سيف الدولة كان على علم بماكان بينهما من المحبة الغالية على أمرهما » . انظر فى ذلك المتنبى ١ / ٢٣٠ — ٢٥٠

٢٥–قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَتِهَا   فَمَا قَنِعْتِ لَهَا يَاأَرْضُ بِالْحُجُبِ

يقول : كانت محجوبة لا تصل إليها العيون ، فلمْ ترضِ بهذه الحجب ، حتى حجبتها بنفسك .

٢٦–وَلاَ رَأَيْتِ عُيُونَ الإِنْسِ تُدْرِكُهَا
فَهَلْ حَسَدْتِ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ؟!

يقول مخاطباً للأرض : ما رأيت أحدًا من الإنس يراها ، فهل حسدْتِ الكواكب على رؤيتها حتى حجبتها بنفسك عن إدراك الكواكب لها ؟!

٢٧–وَهَلْ سَمِعْتِ سَلاَمًا لِى أَلَمَّ بِهَا ؟   فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ

يقول للأرض : أطلتُ عليها السّلام ، وأنا بعيد منها ، فهل سمعت سلامى وصل إليها وهى فى بطنك ؟

٢٨–وَكَيْفَ تَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِى دُفِنَتْ   وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيَبُ ؟

الغَيَب : جمع غائِب .

يقول مستبعدًا لوصول سلامه إليها : كيف يصل سلامى من المكان البعيد إلى مَنْ دفن فى التراب ؟ وهو يقصّر عن الأحياء الغيب ! فالميّت أحْرى ألا يصل إليه السلام . وقيل : أراد بالحىّ سيف الدولة(١) .

٢٩–يَاأَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا   وَقُلْ لِصَاحِبِهِ : يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ

الهاء فى « بها » للمرأة المرثية ، وفى « صاحبه » [تعود على] : « أوْلى القلوب »(٢) .

(١) قال ابن جنى : يعرض بسيف الدولة أنه يقصر سلامه دونه . الفسر ١ /٢٢٠ .
وأنكر ابن فورجة هذا التعريض وقال : هو على عمومه يريد أن السلام يقصر عن الحى الغائب ، فكيف عن الميت . وليس فى الكلام سيف الدولة . الواحدى .

(٢) فى النسخ : « وفى صاحبه الأولى القلوب » والتصويب عن ابن جنى فى الفسر ١ /٢٢٠ .

يقول : يا أحسن الصبر زرْ قلب سيف الدولة ، فإنه أوْلى القلوب بأخته ، وأقربهم منها ، وقل لصاحب ذلك القلب : يا أنفع السّحب ؛ لأنّ عطاياه مهنئة[١] ، بلا مَنٍّ ولا كدر ، كالسحاب بلا صاعقة .

٣٠–وَأَكْرَمَ النَّاسِ لاَ مُسْتَثْنِيًا أَحَدًا مِنَ الْكِرَامِ ، سِوَى آبائِكَ النُّجُبِ

النُّجب : جمع نجيب ، وهو الكريم[٢] . ومستثنياً : نصب على الحال . أى قل غير مستثنٍ[٣] .

يقول : وقل لصاحبه يا أكرم النّاس كلّهم ، من غير أن تستثنى أحدًا من الكرام ، سوى آبائِه الكرام الذين هو ينسب إليهم .

٣١–قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ

المعنى : يا أحسن الصبر زُرْ أوْلَى القلوب به[٤] وقل لصاحبه : قد كان قاسمك الدَّهْرُ أختيْك فأخذ لنفسه الصُّغْرى وترك لك الكُبْرى ، فكانت كالذّهب فَدَى به الدُّر . شبّه الصّغيرة[٥] بالذّهب ، والكبيرة بالدّرّ فى النّفاسة .

٣٢–وَعَادَ فِى طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنّا لَنَغْفُلُ وَالأَيَّامُ فِى الطَّلَبِ

يقول : قد ترك لك الدَّهْرُ الكبرْى منهما ، فعاد تاركُهَا فى طلب المتْروكة . وهذا مثْل قول الآخر :

---

(١) فى الأصول : « مهنأة » .

(٢) ذكر ابن جنى أن النجيب : هو الكريم من الناس والخيل والإبل . الفسر ١ /٢٢١ .

(٣) يقول المعلق على شرح ابن جنى : فضل أخته على « تغلب » كلها فى البيت الذى ذكر فيه الخَمْر :

٢٠ – وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب

وتغلب آباؤها ، واستثناهم فى تفضيل سيف الدولة ، فإن كان تعمد هذا فهو غرضه ، وإن كان غالطا فهو أقبح من صناعة الشعر . الفسر ١ /٢٢١ .

(٤) ع : « ما أحسن الصبر وأولى القلوب به » .

(٥) ق : « الصغرى » .

وَقَاسَمَنِى دَهْرِى بَنِىَّ بِشَطْرِهِمُ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ فِى شَطْرِى[١]

[٢٩٠ – ا] وقوله : «إنا لنغفل» مثّل معناه : إنّا غافلون عن حوادث الدّهر ، وهو فى طلبنا ، حتّى يأتينا فجأة ، ومثْله للنّمِر بن تولب[٢] :

تَدَارَكَ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْده حَوَادِثَ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ

٣٣–مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهما كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوِرْدِ وَالْقَرَبِ

تقرب الليلة ، ترد الماء فى صبيحتها[٣] .

المعنى : إن الوقت بينهما كان قريباً حتّى كأنَّ الصغيرة ماتت عشية ، والكبْرى ماتت فى صبيحة[٣] تلك العشية ، وكأنّ ما بينهما قدر ما بيْن القَرَب والورْد من الوقت[٤] .

٣٤–جَزَاكَ رَبُّكَ بِالأَحْزَانِ مَغْفِرَةً فَحُزْنُ كُلُّ أَخِى حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ

يقول : جزاك الله تعالى مغفرة بهذا الحزْن الّذِى أصابك ، فهو نوع من الذّنب .

---

(١) نسبه المرزوقى فى الحماسة رقم ٣٨٠ للعتبى « توفى سنة ٢٢٨ » وأورد الشطر الأول غير منسوب فى رقم ٢٩١ . ويروى المرزوقى أن هناك رواية : « فلما تقصى » بالصاد المهملة . ويقول : ومن الظاهر أن « تقصى » أحسن من « تقضى » فى اللفظ وأبلغ فى المعنى ومعنى تقصى شطره بلغ أقصاه واستوفاه . انظر شرح الحماسة ١٠٧٢ وفى زهر الآداب ٣ /٢١٢ للعتبى وروايته .

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا فلما توفى شطره مال فى شطرى

وغير منسوب فى عيون الأخبار ٣ /٥٩ وروايته كرواية زهر الآداب . والوساطة ٣٤١ والتبيان ١ /٩٣ والواحدى ٩١١ وشرح البرقوقى ١ /١٠٨ .

(٢) شاعر مخضرم عاش عمرًا طويلا فى الجاهلية وأدرك الإسلام وهو كبير السن ووفد على النبى ﷺ . فأسلم . الإصابة ترجمة رقم ٨٨٠٤ وخزانة الأدب ١ /١٥٦ والشعر والشعراء ١٠٥ وسمط اللآلئ ٢٨٥ وطبقات ابن سلام ١٣٤ – ١٣٧ .

(٣) ق ، شو : « صبحتها ، صبحة » .

(٤) قال ابن جنى : القرب : الليلة التى يصبح فيها الماء . وروى عن الأصمعى أنه قال : سألت أعرابيًّا ما القَرَب ؟ فقال : « سير الليل لورد الغد » . فقلت : ما الطلق ؟ قال : « سير اليوم لورد الغد » الفسر ١ /٢٢٢ .

قال الله تعالى : (لكيلا تأْسَوْا علَى مَا فَاتكُمْ)(١) و : (لِكَيْلاَ تَحزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ ما أَصَابَكُمْ)(٢) والحُزْن : أخو الغضب ؛ لأنهما من أصل واحد ، وإنما يفترقان من جهة الرُّتْبة ، فالحزن : هو سخط فعْل مَنْ هوَ فوْقك ، والغضب : سخط فعل مَنْ هُوَ دونك ؛ لأنه غَضِبَ(٣) لمَّا نال منه الدهر .

٣٥–وَأَنْتم نَفَرٌ (٤) تَسْخُو نُفُوسكُمُ بمَا يَهَبْنَ وَلاَ يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ

يقول بيانًا لقوله : « إن الحزن أخو الغضب » : إن حُزْنك إنما هو غضب على الدهر وأنفة (٥) من أن الدهر قدر على غضبك على أختك ، لأنك وقومك تسخون بالمال عند السؤال ، ولا تعطون عند المقابلة والاستيلاء (٦) .

٣٦–حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمُ (٧) مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ

يقول فضْلكم على سائر الملوك ، فضْل الرماح على ماسواها من القصب (٨) .

٣٧–فَلاَ تَنَلْكَ اللَّيَالِى إِنَّ أَيْدِيَهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ

النبع : شجر صُلب تتخذ منه القسىّ ، ومنبته فى رءوس الجبال ، وما ينبت فى سفح الجبال فهو : الشّريان (٩) وما كان فى الحضيض فهو : الشَّوْحط وجميعها

(١) سورة الحديد ٥٧/ ٢٣ . (٢) سورة آل عمران ٣ /١٥٣ .

(٣) الإنسان إذا حزن على مصيبة تصيبه فكأنه يغضب على القدر المقدور والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٤) ع : « معشر » وهى رواية ابن جنى فى الفسر .

(٥) شو : « وأنفة » . ق : ترك مكانها بياض . و ع : « أنفة » ساقطة .

(٦) المعنى : أنكم تعطون على المسألة وتأبون على المعازة والغلبة . الفسر ١ /٢٢٤ .

(٧) ع : « قاطبة » . مكان : « كلهم » .

(٨) ع : زادت بعد ذلك : « وقاطبة : نصب على الحال » .

(٩) الشّريان : واحدته شريانة ، شجر من عضاة الجبال تعمل منه القسى . وقال المبرد : النبع والشوحط والشريان : شجر واحد ، لكن تختلف أسماؤها وتكرم بمنابتها فما كان منها فى قمة الجبل فهو النبع وماكان منها فى سفحه فالشريان . معجم أسماء النبات ٨١ . وفى ق ، شو : « السريان » تصحيف .

شجرتها واحدة[١] واختلفت أسماؤها لاختلاف منابتها والغَرب : شجر ضعيف يشبه شجر الخلاف [٢] .

يقول : لا أصابتك حوادث الدهر ، فإن أحداً لا يقدر على دفعها ، فمتى شاءت الليالى قهرت القوىَّ بالضعيف ، والعزيز بالذليل ، والأصيل بالدخيل ، وضرب النبع والغَرب مثلا .

٣٨–وَلاَ يُعِنُّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ [٣]

الخرب : ذكر الحبارى [٤] وجمعه خِرْبان [٥] .

يقول : لا أعانت الليالى عدوًّا لك مقهورا فى يدك ، ذليلا فى جنبك ؛ فإنها إن أعانته عليك قهرك ، وإن كان أضعف منك شوكةً فإنها [٦] لو أرادت أن تصيد الصقر – مع قوته[٧] – بالخرب – مع ضعفه – لامكنها ذلك . وروى : « ولا يعز عدوٌّ » أى لا عز عدوك وروى : « ولا يعز عدوًّا » أى[٨] الليالى لا أعزّت عدوًّا .

٣٩–وَإنه سَرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ ، فَجَعْنَ بِهِ وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ

يقول : إن الليالى تجمع بين المسرة والمصيبة ، وهما ضدان وهذا من العجب !

وقيل : العجب أنها سرتك بحياة المرثية مَسَرَّةً عظيمة ، وفجعتك بموتها فجيعة عظيمة .

---

(١) ع : « وجميعًا شجرة واحدة » .

(٢) يقول أحد علماء النبات : ويقال للخلاف : الغرب . انظر هامش (١) ص ٥٣ من معجم أسماء النبات . (٧) ع : « ولا يعز » رواية .

(٣) ع : « بالحرب » . (٤) من شأنها أنها تصاد ولا تصيد . الدميرى .

(٥) وفى الأمثال : ما رأينا صقرًا يرصده خرب . الدميرى .

(٦) ع : « لأنها » .

(٧) ق : « مع قوته » مهملة .

(٨) ق ، شو : من « أى لا عز . . . أى الليالى » ساقط انتقال نظر .

وقيل : إنها سرّتْ من غير علة ، وفجعت من غير علة [٢٩٠ – ب] .

٤٠–وَرُبَّمَا احْتَسَبَ الإِنْسانُ غَايَتَهَا وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسِبِ

غَايَتَها : أى غاية الليالى .

يقول : ربما حسب الإنسان لنفسه غاية أحداث الليالى ، وأن يعيش دهرًا طويلا فتفاجئه الليالى بما لم يكن فى حسابه .

٤١–وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْها لُبَانَتَهُ وَلاَ انْتَهَى أَرَبٌ إلاَّ إِلَى أَرَبِ

اللبانة[1] : الحاجة وكذلك الأَرَب والإِرْبة . وقيل الأَرَب : الغرض .

يعنى : أن الإنسان مادام فى الدنيا لايقضى منها وطره ، وإن عاش دهرًا طويلا ، لأن ورآء كل حاجة حاجة أخرى ، وهو كقول الآخر :

تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَابَقِى[2]

٤٢–تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لا اتِّفَاقَ لَهُمْ إلا علىَ شَجَبٍ ، وَالْخُلْفُ فى الشَّجَبِ

الشَّجَبُ : الهلاك ، وهو شَجِب وشَاجب[3] : أى هالك .

يقول : إن الناس اختلفوا فى كل شىء ، حتى لا يوجد منهم اتفاق إلا فى الموت ، فإنهم اتفقوا على كونه ومع ذلك اختلفوا فيه[4] .

---

(١) اللُّبانة : الحاجة ، وأصله أن الرجل منهم كان يطلب اللبن من غيره فيقولون : أعطاه لبانته : أى شيئًا من لبن ، ثم كثر حتى صار كل حاجة . التبيان .

(٢) الفسر ١ /٢٢٦ والواحدى والتبيان غير منسوب . ونسب إلى الصلتان العبدى فى الحماسة ٤٥٣ وفيها : « ويبقى » وعيون الأخبار ٣ /١٣٢ .

(٣) انظر الفسر ١ /٢٢٧ .

(٤) ق ، شو : « فيه » مهملة .

والاختلاف فيه قال قوم : هل تموت النفس بموت الجسم أم تبقى حية ؟ لقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه) . وقال قوم : هل نبعث إذا متنا ، وقال قوم : إن دخلنا النار أقمنا فيها سبعة أيام بقدر عمر الدنيا . والناس قد أجمعوا على الموت بغير خلاف ولكن الخلاف فيه كثير . وقد بينه الشاعر فيما بعده . انظر التبيان .

٤٣– فَقِيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً
وَقِيلَ : تَشْرَكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِى الْعَطَبِ

هذا تفسير للخلاف فى الموت .

يعنى : أن الناس مع اتفاقهم على أنه كائن ، اختلفوا فيه أيضًا ، فقال قوم : إن الجسم يموت والنفس تبقى حية ، وهو قول الفلاسفة . وقال آخرون : تموت النفس مع الجسم ، وهذا قول أهل الحق . والله أعلم بالحق[1] .

٤٤– وَمَنْ تَفَكَّرَ فِى الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

يقول : من تفكر فى أحوال الدنيا وتقلبها بأهلها ، وفى حال نفسه فيها ، وأراد الوقوف على حقيقة الأمر ، أتعب فكره وانقطع عاجزًا لم يحصل له علم بأحوالها ولم يقف على حقيقة أمرها .

(٢٣٩)

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد أنفذ إلى أبى الطيب بعد مجيئه من مصر – وهو بالعراق – هديَّة مرَّةً بعد مرةٍ ، ومالاً ، وذلك فى شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة[2] :

١ – مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَا رَسُولُ ؟! أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتْبُولُ

جَوٍ : أى حزين ، والجوى : الحزن . والمتبول : المستهام فى الهوى ، كأنه

---

(١) ع : « والله أعلم بالحق » مهملة .

(٢) ع : « وأنفذ سيف الدولة إلى أبى الطيب بالعراق هدية ، مرة بعد مرة ، فقال يمدحه فى شوال سنة ٣٥٢ » . الواحدى ٦١٣ : « وقال أيضًا يمدحه وقد بعث إليه هدية إلى العراق ومالا ، دفعة بعد دفعة فى شوال سنة ٣٥١ » . التبيان ٣/١٤٨ : « وقال يمدحه ويشكره على هدية بعثها إليه ، وكتب إليه سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة من الكوفة إلى حلب » . الديوان ٤٢٦ يتفق فى النص مع النسخة ع . العرف الطيب ٤٥٦ .

أصيب بنبل ، اتهم رسوله بمشاركته إياه فى حبه .

يقول : يارسول ما لكلّ واحدٍ منّا حزين بحب هذه الجارية ؟ ولِمَ أنا العاشق وقلبك المستهام المحزون !

٢ - كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّى وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ

يقول : كلما عاد رسولى من عنْدها وجدتُ فيه الحسَد علىّ ، والغيرة من مراسلتى ومواصلتى ، وخان فيما يؤدّيه من المراسَلَة .

٣ - أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا ها ، وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ

الكناية فى « قلوبَهن » للعقول وخان فعلها أيضًا ، والتقدير : وخانت العقول قلوبهن ، ونسب القلوب إلى العقول ؛ لأنها محلّها .

يقول : إن عيْنيها أفسدت ما بيننا من الأمانات ، فكل [١] من ينظر إلى عيْنيها عشقَها وغلبه الهوى على حفظ الأمانات فخان فيما يؤدّيه [٢] من الرسالات ، وخانت العقولُ قلوبَ أصحابها ، من حيث لم تصوّر للقلوب وجوب حفظ الأمانة وحسَّنَت للقلوب الغدر [٢٩١ - ا] والخيانة .

٤ - تَشْتَكِى مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ [٣] الشَّوْ قِ إِلَيْهَا والشَّوقُ حَيْثُ النُّحُولُ

يقول : تشتكى المحبوبة من الشوق مثْلمَا اشتكيت ، ثم عرّض بتكذيبها فى شكواها فقال : « والشوق حيث النّحول » : أى لو كانت تشتاق كما زعمت لنحلتْ كما نحلتُ ؛ لأن النحول لا يفارق الاشتياق ، فلما لم تنحل دلّ ذلك [٤] على خلاف ماتدّعيه .

---

(١) ع : « فكان » .

(٢) ق ، شو : « على حفظ الأمانات فيما يؤديه » . ع : « على حفظ فخان فيما يؤديه » .

(٣) التبيان والديوان : « من طرب الشوق » . وقال صاحب التبيان : روايتنا « طرب الشوق » عن شيخى .

(٤) ع : « ذلك » مهملة .

٥ - وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ

يقول : إذا خالط الهوى قلبَ صبٍّ ، ظهرت عليه أماراته ، فكل عين رأته استدلّت بهذه الأمارات على ما فى قلبه من ألم الشّوق .

٦ - زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَادَا مَ فَحسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ

مَادام : أى ما ثبت . و« تحول » : أى تنتقل وتزول [١] .

يقول : متِّعينا بالنظر إلى حسْن وجْهكِ ، مادام الْحسن معك ، فإنه يزول ولايدوم .

٧ - وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِى هذِهِ الدُّنْـ ـيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ [٢] فِيهَا قَلِيلُ

يقول : صلينا مادمنا فى الدنيا ، فإنها دار زوال ، والمقام فيها قليل ، فى قريب تزول .

٨ - مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَا شَاقَه القُطَّا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ

القُطَّان : المقيمون والحمول : الأحمال .

يقول : مَنْ رأى الدّنيا بعين الدنيا ، كما هى عليه ، تمنّى المقام فيها ، كما يتمنى العاشق المقام مع أحمال المعشوق .

وقيل : معناه أن الناس فى الدنيا على سفر ، فمن نظر إلى الدنيا ووقف على حقيقتها علم أن المقيم فيها كالراحل عنها ، فكما يجزع لفراق أصحاب الحمول ويشتاق للمحتملين ، كذلك [٣] أيضًا يجزع للمقيمين ، ويشتاق إليهم ، فإنهم عن قريب راحلون ومثله :

---

(١) لأن الشبيبة يعقبها الكبر ، والإقبال يعقبه التغير والهرم .

(٢) المقام : يجوز فيها فتح الميم وضمها فإذا جعلتها من قام يقوم فمفتوح الميم وإذا جعلتها من أقام يقيم فهى مضمومة الميم . وكلاهما بمعنى : الإقامة . وقد يكون بمعنى موضع القيام .

(٣) ع : « لذلك » .

وَفَارَقْتُهُم وَالدَّهْرُ هام لِفُرْقَةٍ [١] أَوَاخِرُهُ دَارُ الْبِلَى وَأَوَائِلُهْ [٢]

٩ – إنْ تَرِيْنى أَدُمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولُ

أَدُمَ يأْدُمُ : أى مال لونه إلى الأُدْمة . وهى حمرة تضرب إلى السواد .

يقول : إن كانت الأسفار لوّحت وجهى ، فليس ذلك بعيْب ، وإن كان عَيْبًا فى سواى ، بل هو وصف محمود ؛ لدلالته على طلبى لِمَعالى الأمور ، كما أن الذبُول محمود فى القناة ، وإن كان مذمومًا فى غيرها .

١٠–صَحِبَتْنِى عَلَى الْفَلاَةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ

أراد « بالفتاة » الشمس ؛ لأن الدهر لا يؤثر فيها ، فكأنّها كلَّ يومٍ جديد .

يقول : صحبتنى فى الفلاة الشمس التى عادتها أن تغير الألوان ، فغيّرتْ لونى وأورثتنى الأُدْمة .

يعنى : أن الذى غير لونى طول الأسفار وملازمة القفار .

١١–سَتَرَتْكَ الْحِجَالُ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكَ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ [٣]

اللَّمَى : سُمْرةٌ تعلو الشَّفة .

يقول لمحبوبته : إنّ الشمس لم تغير لونَك ؛ لأنَ الحجال [٤] سترتك عنها [٥] وإن على شفتك سمرة تشبة لونى . [٦] فكأنَّ الشمس قبلت شفتك ، فهذه السمرة فيها من تقبيل الشمس إياك . [٧] [٢٩١ – ب] .

---

(١) ق ، شو : « والدهر دام لفراقه » . ع : « والدهر فرقة » .

(٢) التبيان ٣ /١٥٠ وقد نسبه لعبدة ابن أيوب وروايته :

وَفَارقتهم والدهر موقف فرقةٍ عَوَاقِبه دار البلى وأوائلُهْ

(٣) ع : « تقليل » تحريف .

(٤) الحجال : جمع حجلة ، وهو بيت يزين بالثياب والستور وهو بيت العروس . التبيان .

(٥) فى النسخ : « لأن الحجال عنها سترتك منها » .

(٦) لأنه قال قبل ذلك : « صحبتنى على الفلاة فتاة » وأراد بها الشمس التى غيرت لونه كما سبق .

(٧) ق ، شو : بعد ذلك « وفرحة ببرد ثناياك » .

١٢–مِثْلُهَا أَنْتِ لَوَّحْتِنِي وأَسْقَمْـ ـتِ وَزَادَتْ أَبْهاكُمَا الْعُطْبُولُ

لَوَّحْتُ الشيء بالنار : إذا [غيرته وسفعت وجهه][1] والعطبول : الناعمة الجسم الطويلة العنق .

يقول : أنتِ مثل الشمس حسنًا وإساءة ، فَهِيَ لَوَّحَتْنِي وأنْتِ أسقَمْتِنِي ، وكلاكما دلَّت بالبهاء ، وأبهاكُمَا[2] زادت فى الإساءة والتأثير ، وهى العُطبول .

يعنى : كما زادتْ عليها فى البَهاء والنعومة ، زادتْ فى الإساءة إلىّ والتحوّل .

١٣–نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَطَوِيلٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُول[3] ؟

أدْرَى : أفعل التفضيل من دَرَيت .

يقول : نحن أعلم بطريقنا هل هو طويل على الحقيقة ، أم[4] يطوله الشوق إلى المقصود ، أو العوائق من رغبتى[5] إلى غير المقصود ، من الملوك ومن المرض وغير ذلك ، وإن كنا نسأل عن الطريق ونستخبر الركبان عن المسافة بينى وبينه .

١٤–وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَال اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنَ رَدِّهِ تَعْلِيلُ

يقول : أنَا أسأل عن حال الطريق مع علمى[6] بها ؛ اشتياقًا إلى المقصود ، وكثير من السؤال يكون من فَرطِ الاشتياقِ ، لاعن جهلٍ وطلب معرفة . وقوله : « وكثير من رَدِّه تعليل » : أى ربّما ردّ فى جواب السائل ما ليس بالجواب ، وإنما هو تعليل وتطييب لنفس السائل ، كقولك لمن سألك عن مكان : قد بلغتَه ولم يبق إلا يسير . والهاء فى « ردِّه » للسؤال : أى وكثيرٌ من ردّ جوابه ، ثم حذف المضاف .

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى النسخ والمذكور عن القاموس « لوح » .

(٢) ع : « وكلاكما ذات البهاء فأبهاكما . . . » إلخ .

(٣) يقول الواحدى : هذه رواية ابن جنى : يقول : أطويل هو فى الحقيقة أم يطوله الشوق إلى المقصود . والصحيح رواية غيره : « أقصير طريقنا أم يطول » .

(٤) ع : « أو » .

(٥) « رغبتى » مكانها بياض فى ق ، ش وكتبت فى ع دون نقط « عبى » .

(٦) ع : « علم » .

١٥–لاَ أَقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا بَ وَلاَ يُمكِنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ

« لا أقمنا » جواب قسم محذوف : أي والله لا أقمنا على مكانٍ وإن طاب ذلك المكان . وإنّ المكان لا يمكنه الرَّحيلُ مَعَنا إلى سيف الدولة .

يُطْمع سيفَ الدولة بالرجوع إليه[1] .

يقول : والله لا أقمتُ ببلدٍ وإن طاب لى ، إلا أن يرحل معى إليك ، فكما أنه لا يمكنه الرَّحيل كذلك لا أقيم عليه ، والواو للحال ، كأنه قال : لا أقمنا على مكان غير متمكن من الرحيل معنا .

وقيل : « لا أقمنا » : بمعنى الدعاء كقولك : لا يفضض الله فاك .

١٦–كُلَّمَا رَحَّبَتْ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا : حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتَ السَّبِيلُ

يقول : كلما نزلنا روضة فرحَّبَتْ بنا[2] كى ننزل عليها ، أى أظهرت لنا حسنَها وخضْرتَها وطيب مكانها ، فجعل ذلك بمنزلة البشْر منها ، والترحيب للمقام فنقول لها[3] : حَلَبٌ قصْدنا ، وأنت طريقنا إليها .

وقيل : أراد رحّب بنا أهل الأرض .

١٧–فِيكِ . مَرْعَى جِيادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْها وَجِيفُنَا والذَّمِيلُ

الوجيف ، والذَّميل : كلاهما سير سريع .

يقول : وقلنا للرَّوْض : وأنت طريقنا ومرْعَى خيلنا وإبلنا ، ومسيرنا إلى حلب ، وأنَّث الرّوض ؛ لأنها جماعة الروضة .

١٨–وَالْمُسَمَّوْنَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالأَمِيرُ الَّذِى بِهَا الْمَأْمُولُ

يقول : الأمراء من حيث الاسم فى الدنيا كثير ، والأمير الذى بها : أى بحلب ،

---

(١) ع : « بالعودة إليه » .

(٢) ع : « روضنا فرحت بنا » .

(٣) ع : « والترحيب للقادم فيقولها » .

هو الذى يرجى فضله ويؤمل نائله [(١)] [٢٩٢ – ا] .

١٩–الَّذِى زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا   وَنَدَاهُ مُقَابِلِى لاَ يَزُولُ [(٢)]

يقول : الأمير المأمول الذى بعدتُ عنه ، وسافرت شرقًا وغربًا ، وعطاؤه مقابل لى حيثما كنت فهو لايفارقنى [(٣)] .

٢٠–وَمعى أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّى   كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوجْهِى كَفيلُ

أى كل ناحية وجهَةٍ من الأرْض .

يقول : نداه معى أينما توجّهت ، حتى كأن كل مكان كفيل [(٤)] له بوجْهِى ، حتى يوصّلنى إليه .

٢١–وَإِذَا [(٥)] الْعَذْلُ فى النَّدَى زَادَ سَمْعًا   فَفِدَاهُ الْعَـذُولُ وَالْمَعْـذُولُ

يقول : إذا سمع العذل أحد فى الجود [(٦)] ، سمع عذله أو لم يسمعه ، فَفَدى الله سيف الدولة كل عاذل ، فإنه لا يصغى إلى عذل عاذل .

٢٢–وَمَوَالٍ تُحيِيهِمُ مِنْ يَدَيْهِ   نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ

وَمَوَالٍ : عطف على قوله : « فَفِداهُ العذُول والمعْذُول : يعنى جعل الله أصحابه وعبيده فداءً له ، فإنهم إنما يعيشون بنعمه . وقوله : « غَيْرهُم بهَا مقْتول » : معناه

(١) ع : « مأموله » .

(٢) فى الواحدى والديوان والتبيان : « ما يزول » .

(٣) ق ، شو : « بحال أبدًا » زيادة .

وإنما قال ذلك لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية بعد خروجه من مصر وووروده العراق .

(٤) الكفيل : الضامن .

(٥) الواحدى والتبيان والديوان « فإذا » .

(٦) فى النسخ «إذا سمع العذل إلى سمع أحد فى الجود» .

قال الواحدى يريد : إذا عذل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه ففداه هذا الممدوح السمحاء ولعاذلون . هذا إشارة إلى أنه لا يسمع العذل وغيره يسمع .

أنه يهبهم المال والخيل ، ويعطيهم الأسلحة فيقتلون بها أعداءهم .

وقيل : معناه يقتل أعداءه [1] فيغنم أموالهم ، ويهبها أولياءه [2] فيحييهم بها .

٢٣- فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ وَدِلَاصٌ زَغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ

الدلاص : الدرع البراقة [3] . والزَّغْف : اللينة اللمس ، وهذا بدل من قوله : « نعم » التي تقدم ذكرها وتفسيرها [4] .

٢٤- كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوٍّ قَالَ : تِلْكَ الْغُيُوثُ ، هَذِي السُّيُولُ

يقول : كلما صبَّحتْ نِعمهُ التي هي : الخيْل والسلاح والمَوالي والأصحاب ديار عَدُوٌّ قال العدوّ : هذه السيول من تلك الغيوث ، وأراد بالغيوث : سيف الدولة وبالسيول : مواليه وسلاحه .

يعني : أنهم إنما قدروا على أعدائهم بسيف الدولة ، كما أن السيل يكون من المطر .

وقيل : الغيوث : هي عطايا سيف الدولة . والسيول : ما وهبه لأبي الطيب . والمعنى : أنه وهبني هذه الأشياء فتي قصدت بهذه الأجناس ديارَ العدوّ قال العدو : تلك العطايا التي هي كالأمطار تتولد منها هذه السيول .

٢٥- دَهِمَتْهُ تُطَايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ

النَّسيل : الوبر الساقط عن البعير . والهاء في « دَهِمَتْه » للعدوّ .

يقول : دهمت العدوَّ خيلُ سيف الدولة ومواليه فجأة ، فكانت تضربه فتُطَاير حلق الدرع عنه ، كما يسقط الوبر عن البعير ، فلا تغنيه الدّرع .

٢٦- تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ

---

(١) ع : « أعداءه » ساقطة .

(٢) ع : « من أوليائه » .

(٣) ف : « البراقة » تحريف .

(٤) ق ، شو : « بدل من النعم التي تقدم ذكرها » .

الرعيل : القطعة من الخيل المتقدمة .

يقول : خيله تصطاد خيولَ الأعداء اصطياد الوحش ، والرعيل من خيله ، يأسر الجيش العظيم من عسكر الأعداء [١] .

٢٧–وإذَا الْحرْبُ أعرَضَتْ زَعمَ الْهَوْ لُ لِعَيْنَيْهِ أنَّهُ تَهْوِيلُ

الهَوْل : الخوف العظيم ، وكل أمر عظيم ، والتهويل : مالا حقيقة له . وأعرضَتْ : أي قربتْ وظهرت .

يقول : إذا عرضت لسيف الدولة الحرب [٢٩٢ – ب] لم يعبأ بهولها ، بل يستحقرها ، فكأن الهول يقول : ليس لى حقيقة ، فلا تبالى بى ؛ لأنى تَهْويل ولست بِهَوْل .

٢٨–فإذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ

يقول : أحوال الزمان منوطةٌ به ، فاستقامة الزمان وصحّته باستقامة أمره ، وصحته وعلته ، باعتلاله [٢] .

٢٩–وَإذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مكَانٍ فِيهِ مِنْ نَثَاهُ[٣] وَجْهٌ جَمِيلُ

النَّثاء : فى الخير والشر [٤] والثناء : فى الخير خاصة .

يقول : إذا غاب وجهُه عن مكانٍ ، ناب عنه ذكره الجميل فيه مناب وجهه .

٣٠–لَيسَ إلاَّكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ سَيْفُهُ دُون عِرْضِهِ مَسْلُولُ

---

(١) يريد أن القليل من جيشه يأسر الكثير من عدوه ، والقطعة من خيله تأسر الخميس الذين هم خمس كتائب : القلب والجناحان والمقدمة والساقة فتقتنصها مقتدرة عليها .

(٢) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : « نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع » الواحدى .

(٣) ع : « ثناه » .

(٤) نثوت الحديث نثوًا : ذكرته ونشرته . أساس البلاغة . وانظر الواحدى .

الأَوْلى أن يقول : « إلا إيَّاك » لكن هذا جائز [١] .

يقول : ليس أحد من الملوك يذب عن عرضه بسيفه غيرك ياسيف الدولة [٢] .

٣١- كَيْفَ لاَيَأمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيولُ ؟ !

كيف لايأمن من الملوك [٣] العراقُ ومصرُ ؟ ! وأنت تذبّ عنهم بسراياك [٤] التى تبعثها إلى الروم ، وقتالك لهم .

٣٢- لَوْ تَخَرَّمْتَ [٥] عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِى رَبَطَ السِّدْرُ خَيلَهُمْ والنَّخِيلُ

« السِّدرُ » : رفع لأن فاعل « ربط » و « النخيل » معطوف عليه ومعناه أمْسَكَ السِّدر خيلَهم إذا ربطت إليه وتخرَّمْتَ [٦] بمعنى عدلْتَ .

يقول : لو عدلْتَ عن طريق الأعادى (الذين هم الروم) وخلّيت طريقهم ، لدخلوا العراقَ ومصرَ ، ولربطوا [٧] خيلهم فى السدر والنخيل [٨] ، وإنما خصها لأنهما ليسا فى ديار الروم .

(١) وذلك حيث وقع الضمير المتصل بعد إلا شذوذًا ، والقياس وقوعه بعدها منفصلا نحو : ليس إلا إياك ياعلى همام . فجيء بإياك مكان الكاف . انظر الأشمونى ١ /٨٨ . وأوضح المسالك ١ /٦٨ والنحو الوافى ١ /٢٤٥ . (٢) ق ، شو : « ياسيف الدولة » مهملة .

(٣) ع : « كيف لا يأمن من الملوك » ويقصد ملوك الروم ، وذلك لأنه فى وجه العدوّ يدفعهم عن بلاد المسلمين . (٤) سراياك : جمع سرية ، وقيل : هى ما بين خمس وتسعين إلى ثلاث مئة .

(٥) ع والواحدى والتبيان والديوان : « تحرفت » بدل : « تخرمت » وهما بمعنًى . وفى التبيأن وباقى النسخ وكتب اللغة وشرح البيت ترشح الرواية التى ذكرناه . انظر اللسان « خرم » ويقال : ماخرم الدليل عن الطريق : أى ماعدل عنه

(٦) ع : « إذ دخلوا . . . وربطوا » قال الواحدى : يريد الغض ممن بالعراق ومصر من الملوك والرفع من فضل سيف الدولة .

(٧) قال المعرى : وكأنه قلب المعنى فجعل السدر والنخيل يربطون خيول الأعداء كما تقول : ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه . وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تــركـوا جــارَهــم يــأكــلــه ضَبُعُ الوادى ويرميه الشَّجَرْ

هكذا ورد منسوبًا إلى المعرى فى تفسير أبيات المعانى وقد نسبه صاحب التبيان إلى ابن جنى !
(٨) فى التبيان « تختص كثرتها بالعراق ومصر » .

٣٣–وَدَرَى مَنْ أعزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ

« فيهما » أى فى العراق ومصر.

يقول : لو انحرفْتَ عن طريق الروم ، لعلم من صار عزيزًا بالعراق ومصر بدفعك عنه أنه الحقير الذليل ، وأنَّ عزه بمدافعتك عنه وهذا تعريض بالخليفة وكافور (١) .

٣٤–أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ ؟

طول : نصب على الظرف .

يقول : أنت طول عمرك تغزو الروم ، فمتى ترجع إلى قوم آخرين (٢) أو متى تستريح من التعب ؟!

٣٥–وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلَى أَىِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ ؟

يقول : سوى الرّوم (٣) روم أُخَر من البوادى والأعراب ، فإنهم بمنزلة الروم ، فعلى أيهما تميل ، لأنك قد تمل من الحرب والقتال .

وقيل : إنما عنى بذلك عضد الدولة (٤) يحرضه على المجىء إلى العراق ومقاتلته إذ [كان] بينهما عداوة .

(١) يقول الواحدى وتابعه صاحب التبيان : ويعنى كافورًا وآل بويه .

(٢) كان سيف الدولة وعده أن يقفل من غزو الروم ويغزو العراق ليزيل عنها سلطان الموالى والأعاجم من بنى بويه . انظر المتنبى . ١ / ٢٢٠ .

(٣) ع : « بلد الروم » . و « يحرضه » ساقطة .

(٤) قال الواحدى : « يعنى آل بويه . وعضد الدولة . هو فنا خسرو الملقب عضد الدولة بن الحسين الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمى أبو شجاع أحد المتقلبين على الملك فى عهد الدولة العباسية بالعراق ابن خلكان ١/٤١٦ .

٣٦- قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهمْ عَنْ مَسَاعِيـ ـكَ وَقَامَتْ بِها[1] القَنَا وَالنُّصُولُ

يقول : عجز النّاسُ أن يسعوا مثل سعيك ، فقامت بمساعيك الرّماح والسيوف فهي تُعينُكَ على مساعيك .

٣٧- مَا الَّذِى عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا كَالَّذِى عِنْدَه تُدَارُ الشَّمُولُ

« ما » للنّفى .

يقول : ليس المَلِك الذى تدار عنده المنايا ويشتغل بالحروب والقتال ، كالمَلِك الذى تدار[2] عنده الخمر ويشتغل باللهو واللعب والشرب ، عن الاجتهاد فى الحرب والقتال .

٣٨ لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِى بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ

[٢٩٣ - ا] يقول : لا أرضى بأن تبعث إلىَّ الهدايا وأنا متأخرٌ عنك ، وزمانى يبخل علىّ برؤيتك ويمنعنى مشاهدتك .

٣٩- نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا مَرْتَعِى مُخْصِبٌ وَجِسْمِى نَحِيلُ[3]

يقول : كدّر بُعْدى عنك ما تبعثه إلىّ من العطايا ، فَرَبْعى خصيب بعطاياك وجسمى نحيل[3] لِلَوْعَة الشوق إلى لقْياك .

٤٠- إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَاىَ دَارًا وَأَتانِى نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ

تَبَوَّأْتُ : أى سكنْت .

---

(١) المذكور كما فى الواحدى والتبيان والديوان : « بها » . وفى ق وع : « بك » .

(٢) ق ، شو : « تدار » مهلة .

(٣) فى الواحدى والتبيان والديوان : « هزيل » .

يقول : عطاياك تصل إلىَّ بكلّ مكان توجهت إليه فلو خرجْتُ من الدنيا وسكنت داراً غيرها ثم وصل إلىّ البِرّ والنّيل لكنت أنت المعطى لذلك البر (١) .

٤١–مِنْ عَبِيدِى–إنْ عِشْتَ لِى–أَلْفُ كَافُو رٍ وَلِى مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ ونيلُ

الريف : ما أحدق بسواد العراق وأشرف عليه من نجد ، والريف(٢) أيضا(٣) رُستَاق (٤) مصر وقراها – وهو المراد هاهنا – وهو ما كان تحت النيل ، وما كان فوقه الصعيد ، والنيل : نهر مصر ، وهو أيضًا نهر بالعراق(٥) جاء (٦) من الفرات ، ويَسْقِى سوادَ الكوفة (٧) .

يقول : إن عشتَ لى أعطيتنى من المال ما أشترى به من المماليك ، وأسمىّ (٨) ألفًا منهم كافوراً ، وحصل لى من جهتك ريف ونيل : أى تملك مصر كلها و تهب لى ما على النيل من ريفه .

٤٢–مَا أُبَالِى إذَا اتَّقَتْكَ الْمَنَايَا (٩) مَنْ دَهَتْه حُبُولُها وَالخُبُولُ (١٠)

الحبول : الدواهى والخبول : الفساد (١١) .

يقول : إذا سلمتَ من المنايا فلا أبالى بمن أصابته المنايا ، فإنك عِوَض عن كل هالك .

---

(١) ع « لكنت المعطى لذلك النيل » .

(٢) الريف : معناه فى اللغة أرض فيها زرع وخصب ويطلق على ما عدا المدن من القرى والكفور .

(٣) ق . شو « وهو أيضًا » .

(٤) معرب الجواليقى ٢٠٦ والرستاق والرزداق : موضع فيه مزدرع وقرى .

(٥) النيل أيضًا نهر يتخلج من الفرات . حفره الحجاج بن يوسف وسماه نيل مصر ، يخترق بليدة فى سواد الكوفة تسمى باسمه . مراصد الإطلاع .

(٦) ق : « حار » .

(٧) ق . شو : « الكوفة » مكانها بياض .

(٨) ق . شو : « وسمى » .

(٩) فى الواحدى والتبيان والديوان : « الرزايا » .

(١٠) ع : « خبولها والحبول »

(١١) الحبول : جمع « الحِبْل » بكسر الحاء ، وهو الداهية . والخبول : جمع « الخَبْل » بسكون الباء . وهو الفساد .

(٢٤٠)

وَوَرد المستنفرون[١] من الثغور على سيف الدولة ، يذكرون إحاطة الدُّمستُق وجيوش النصرانية بطَرَسوس[٢] واستسلام[٣] أهلها إن لم يغاثوا ، أو يبادَروا ، وكان فى بقية علّةٍ عرضت له ، فبرز للوقت وسار ، وكان الدّمستق قد شحن الدّرب الذى يلى الثغور والشام بالرجال ، فلمّا اتّصل بالدمستق خبره أفرج عن منازلة طَرَسوس ، وولى على عقبه قافلاً إلى بلده ولم يظفر بشىء ، وبلغ الخبر أبا الطيب وكتب إليه سيف الدولة كتاباً[٤] يستدعيه فأجابه فى شوال . سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة[٥] .

١ - فَهِمتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ . فَسَمْعًا لأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبْ

« سمعاً » : نصب على المصدر ، وكذلك فى البيت الذى يليه ، وهو قوله : « طوعًا وابتهاجًا »[٦] وأبرّ الكتب : أى أصدقها . وقيل : أبلغ الكتب وأصدقها فى البرّ بالمكتوب إليه .

٢ - وَطَوْعًا لَهُ وَابْتِهَاجًا بِهِ وإنْ قصَّرَ الْفِعْلُ عمَّا وَجَبْ

الابتهاج : الفرح ، والهاء فى « بِهِ » و « لَهَ » للكتاب ، ويجوز أن يكون ضمير

(١) ع : « المسافرون » .
(٢) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . وبها قبر المأمون . مراصد .
(٣) ع : « واستسلم » تحريف .
(٤) « كتابا » مهملة فى ع والديوان .
(٥) الفسر ١ /٢٢٨ الواحدى ٦١٨ : « وكتب إليه سيف الدولة يستدعيه فأجابه بهذه القصيدة فى شوال سنة ٣٥٣ » . التبيان ١ /٩٦ : « وكتب إليه سيف الدولة يستدعيه . فقال » . الديوان ٤٣٠ نص المقدمة المذكورة . العرف الطيب ٤٦٦ .
(٦) أى مصادر دلت على أفعالها . فكأنه قال : سمعت أمرك سمعًا . وأطعت طاعة . وابتهجت بكتابك ابتهاجًا .

الأمير : أى سميع [١] مطيع لأمرك ، وإن كنت مقصرًا عن واجب حقك .

وقيل : معناه أنا[٢] مطيع لك ، وإن كنتَ مقصِّرًا فى حقّى .

٣ – وَمَا عَاقَنِى غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ   وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرْقُ الْكَذِبْ

ماعاقنى[٣] : أى ما منعنى .

يقول : مامنعنى من خدمتك وقصدى إليك إلاّ ما سعى بى إليك السُّعاة من السِّعايات ، وأنواع الوشايات ، فكانوا يغرونك بى وبالإساءة إلىّ ، « والوشاياتُ طُرْق الكَذِب » [٢٩٣ – ب] يعنى إنهم إذا وشوا كذبوا ، وزادوا ، فالوشايات لابد لها من الكذب والزيادة .

٤ – وَتَكْثِيرُ قَوْمٍ وَتَقْلِيلُهمْ   وَتقْرِيبُهُمْ بَيْنَنَا وَالْخَبَبْ

التَّقْريب : ضَرب من سيْر الفرس ، والخَبَبُ : السير السريع ، وعنى بها ها هنا السعاية .

يقول : إنّما منعنى من خدمتك قول الوشاة ، وتكثيرهم قولهم مرة ، وتقليلهم أخرى ، وتقريبهم [٤] وتخبّبهم فى الإفساد بينى وبينك . يعنى : أنهم يستعملون كيدهم من كل وجه .

٥ – وَقَدْ كان يَنصرهُمْ سَمعهُ   وَينصرنى قَلْبهُ وَالْحَسَبْ

يقول : إنه كان يسمع من الوشاة ما يقولون ، وهذا ينصرهم ، ولكن كان قلبه وكرمه معى ، لأنه لم يصدّقهم على قولهم ، فهذا كان نصرة لى .

٦ – وَمَا قُلْتُ [٥] لِلْبَدْرِ أَنتَ اللُّجَيْنُ   وَلاَ قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهبْ

---

(١) ع : « يقول سمع » .

(٢) ع : « وأنا » .

(٣) ق ، شو : « ما عاقنى » ساقطة .

(٤) ع : « تقريبهم » مهملة .   (٥) ع : « ولاقلت » .

يقول : لم أنقُص من مدحك شيئًا ، كما يُنقص من البْدر إذا شُبّه بالفضّة ، والشمس إذا شبّهت بالذهب ، حتّى تغريهم بى [(١)] وتغضب علىّ .

٧ – فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الأَنَاةِ وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطِيءُ الْغَضَبْ

يقول : ما قلت له ما يوجب نقصًا له [(٢)] حتّى يقلق ويضطرب مع حلمه وأناتِه ومعنى قوله : « البعيد الأناة » هو تمام الحلم وغاية الرفق [(٣)] ، كما يقال : « بعيد الغور » أى ما قلت شيئًا ينكره ، حتّى يغضب البطىء الغضب ، وأراد بالبعيد الأناة والبطىء الغضب : سيف الدولة [(٤)] .

٨ – وَمَا لاَقَنِى بَلَدٌ بَعْدَكُمْ وَلا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَاىَ رَبْ

ما لاقنى : أى حبسنى . يقال : دخلت المدينة فما لاقتنى ، أى : ما أعجبتنى وما حبستنى [(٥)] . ويقال : لَاقنى وألاقنى ، ومنه قولهم : « لِقْتُ الدَّواة وَلُقْتُها » بكسر اللام وضمّها : إذا حرّكتَها ليعلق بها المداد ، ويقال للكرْسُفة [(٦)] الليقة . وقوله : « من رَبّ نُعْماى رَبْ » فى موضع النّصب ، وكان من حقه أن يقول : « ربًّا » لأن المنصوب المنون إذا وقف عليه أبدل التنوين ألفًا [(٧)] ، ولكنّه أجراه مجرى المرْفوع والمجرور فى إسقاط التنوين فى

(١) ع : « حتّى تتغير منى » .

(٢) ع : « ونقصًا له » .

(٣) ع : « وثابت الرفق » .

(٤) لام التعريف فى قوله : « البعيد » يجوز أن تكون للجنس ، فيكون المعنى : يقلق منه كل حلم : سيف الدولة وغيره . ويجوز أن تكون للعهد – وهى المرادة هنا – فيكون البعيد الأناة سيف الدولة .

(٥) ق ، شو : « ومالاقنى : أى حبنى ... فمالاقنى أى ماأعجبنى فما حبستنى » .

وقال ابن جنى . لاقنى : أمسكنى وحبسنى ، ويقال لاقنى وألاقنى : أى حبسنى . ويقال : دخلت المدينة فما لاقنى أى ماأعجبتنى ؛ لأنه إذا أعجبته تلبث بها وتحبس عليها . الفسر ١ / ٢٣١ .

(٦) ق : « للكرسنة » تحريف . والكرسفة : القطنة وهى الليقة أو الشاشة التى يعلق بها المداد فى الدواة .

(٧) ع : « من التنوين ألفا » .

الوقف ، ومثل هذا جائز في القافية ، وخفَّفَ الباء أيضًا ؛ لأن الحرف المشدّد إذا وقع حرف الروىّ خُفِّفَ .

يقول : ما حبسني[١] بلد منذ فارقتكم ، ولا وجدت من جميع الملوك عوضًا عنكم . وخاطبه بخطاب الجمع : تعظيمًا له وتفخيمًا لقدره[٢] .

٩ – وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعدَ الْجَوَا دِأَنْكَرَ أَظْلاَفَهُ وَالْغَبَبْ

غَبَبُ الثَّور وغَبغَبه : ما تدلّى تحت حلقه[٣] .

يعني : لو اعتضْتُ منه[٤] ملكًا غَيْره ، كنت مثل : مَنْ ترك الفَرس الجواد وركب الثور ، ومثله قول خداش بن زهير[٥] :

وَلاَ أَكُونُ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَته[٦] عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى صَهْوَةَ الْفَرَسِ[٧]

١٠–وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلاَدِ فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ ، بِمَنْ فِي حَلَبْ

التقدير : ما قِسْت كلّ ملوك البلاد بمنْ في حلب .

المعنى : أنا لا أقيس به جميع الملوك ، فكيف [٢٩٤ – ا] أقيس به بعضهم؟!

١١–وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيتهمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشَبْ

الخشب : جمع خشبة[٨] .

---

(١) ق : « ماحبيني » . انظر الهامش رقم (٥) . في الصفحة السابقة .

(٢) ع : « لقدره » مهملة .

(٣) ع : « الغبب والغبغب : ما تدلى تحت حلقه » .

(٤) ق : « يعني لو اعتضدت منه » .

(٥) شاعر جاهلي من أشراف بني عامر وشجعانهم . يغلب على شعره . الفخر والحماسة . الشعر والشعراء ٢٤٦ وفي طبقات فحول الشعراء ١١٩ . قال أبو عمرو بن العلاء : خداش أشعر من لبيد وأبى الناس إلا تفوق لبيد .

(٦) في النسخ : « رسالته » والمذكور من سائر المراجع المذكورة .

(٧) الوساطة ٣٧٧ والواحدى ٦١٦ والتبيان ٩٨/١ وشرح البرقوقى ١ /١١٣ و ٣ /١٣٤ وفيه : « منسج الفرس » .

(٨) ق ، شو : « الخشب : جمع خشبة » ساقط .

يقول : كيف أقيس به غيره من الملوك ؛ وهم إلى جنبه كالخشب من الحديد[١] ؟! ولو سمّيتهم باسم سيف الدولة ، لكان[٢] هو سيفًا حديدًا ، وكانوا هم سيوف خشب[٣] .

١٢- أَفِى الرَّأْىِ يُشبهُ ، أَمْ فِى السَّخَا ءِ أَمْ فى الشَّجَاعَةِ ، أَمْ فى الأَدَبْ ؟

يقول : فى أى شىء من مناقبه يشبهونه[٤] فى رأيه ؟ أم فى سخائه ؟ أم فى شجاعته ؟ أم فى أدبه !

يعنى : أنه أفضل منهم فى هذه الأوصاف .

١٣- مُبَارَكُ الاِسْمِ ، أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الْجِرِشّى ، شَرِيفُ النَّسَبْ

الجِرشّى : النّفس .

يقول : هو مبارك الاسم ، لأن اسمه علىٌّ والعلوّ محبوب مبارك[٥] . وقوله : « أغرَ اللّقب » : أى مشهورُ اللّقب ، لأنه إذا قيل سيف الدولة عرف فى الآفاق ، وهو كريم النفس ، شريف النسب ؛ لأنه من العرب وآباؤه الأمراء[٦] .

١٤- أَخُو الْحَرْبِ ، يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى قَنَاهُ ، وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ

يُخْدِم : من قولك أَخْدَمْتُ الرجلَ ، إذا أعطيته خادمًا يخدمه . وفاعل سبى : قناه ، وأسند الفعل إليه ، لأنه يستعان به على السّبى .

يقول : هو أخو الحرب أى عارف بها ، كما يعرف الأخ أخاه ، أو يحبها كما

(١) من ع : « من الحديد » . (٢) من ع : « باسم السيف لكان » إلخ .

(٣) يقول الواحدى : والمعنى أن مدحى له حقيقة ومدحى لهم مجازا .

(٤) ق ، شو : « فى أى شىء يشبهونه من مناقبه » .

(٥) هذا ما ذكره ابن جنى فى الفسر ١ /٢٣٤ وقال الواحدى وتابعه صاحب التبيان : وهو اسم مبارك يتبرك به لمكان علىّ عليه السلام . . . إلخ .

(٦) ع : « وآباؤه الآباء » .

يحب الأخ أخاه ، أو ملازم لها ونشأ معها[١] كما ينشأ الأخ مع أخيه ، وهو يسبى الجوارى والغلمان ، ثم يهبها لأصحابه ، ويخلع عليهم ممَّا سلب من أعدائه[٢] .

١٥– إذَا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ فَتًى لاَ يُسَرُّ بِمَا لاَ يَهَبْ

يقول : إذا حاز المالَ وجمعه واستفاده ، فإنما يحوز للهبة ، وهو الفتى الذى لا يُسرُّ بما لا يَهَبْ[٣] .

١٦– وَإِنِّى لأُتْبِعُ تَذْكَارَهُ صَلاَةَ الإِلهِ وَسَقْىَ السُّحُبْ

يقول : إذا ذَكَرَهُ عقَّبَ[٤] ذِكْرَه بالصّلاة والدّعا بالسقيا ، فيقول : صلّى الله عليه وسقّى ديارَه وربوعه[٥] .

١٧– وأُثْنِى عَلَيْهِ بِآلاَئِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبْ

يقول : إنما أشكر نعمه إذا ذكرْتهُ ، وأمدحه بمآثره وأقْربُ منه بالمحبّة والموالاة سواء كان قريبا منّى أو بعيداً .

١٨– وَإِنْ فَارَقَتْنِىَ أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُدْرَانِها مَا نَضَبْ

الهاء فى « غدْرانها » للأمطار .

(١) ع : « ملازم نشأ معها » .

(٢) ع : « مما سلب أعداءه » والمذكور يوافق رواية الفسر .

(٣) أى هو الفتى الذى لا يسر بما لا يهب . ابن جنى . (٤) فى النسخ : « عقيب » .

(٥) ع : « صلعم ، ورباعه » .

قال الخطيب : يقول أدعو الله بالصلاة والسقيا ، والناس يقصرون الصلاة على الأنبياء . والشعراء يعظمون الممدوح غاية ما يقدرون عليه كقول ابن الرقاع :

صلّى الإلهُ على امرئ ودَّعْتُه وأتمّ نعْمَتَه علَيْه وزَادَهَا

وكقولِ الراعى :

صلى على عزّة الرحمن وابنتها ليلى ، وصلى على جاراتها الأُخَرِ

التبيان ١ /٩٩ – ١٠٠ .

يقول : إن برّه وإن كان قد انقطع فبقيّتها[١] عندى لم تنفذ .

١٩-أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لاَ خَلْقِهِ وَيَاذَا الْمَكَارِمِ لاَ ذَا الشُّطَبْ

يجوز : « ياسيف ربّه » باختلاس[٢] كسرة الهاء ، وياسيف ربّك[٣] .

يقول : أنت سيفُ الله لا سيف الخلق ، وأن تسمى : ذا المكارم أولى من أن تسمى : ذا الشُّطَب . وهى الطرائق الّتى فى السّيف .

٢٠-وَأَبْعَدَ ذِى هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِى رُتْبَةٍ بِالرُّتَبْ

أراد : يا أبْعَد ذوى الهمم[٤] وأعرف ذوى الرّتب ، وأقام الواحد مقام الجماعة[٥] . و« همّةً » : نصب على التمييز .

يقول : يا من همّته أبعد من همة كل صاحب همّة ، ويا من هو أعلم بالرّتب من كلّ مَنْ [٢٩٤ - ب] له رتْبة ومنزلة .

٢١-وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً[٦] وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ

يقول : يا مَنْ هو أحْذَق الناس بالطعن والضّرب[٧] .

والمعنى : أنت أعرف الحاملين للرّمح بالطّعن ، وأضرب الضّاربين بالسيوف وأقام الواحد مقام الجمع .

٢٢-بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضُبْ

(١) ع : « فبقيتها » ساقطة (٢) ق ، شو : « بين » مكان « باختلاس » .

(٣) قال ابن جنى : يجوز « ياسيف ربك » و « ياسيف ربه » فمن قاله بالهاء أجراه على الغيبة ، ومن قاله بالكاف أجراه على لفظ الخطاب . ومثله من كلامهم : « ياتميم كلكم ، وكلّهم » . الفسر ١ /٢٣٦ .

(٤) ق ، شو : « ذى الهموم » . ع : « ذى الهمم » والتصويب من الفسر والواحدى .

(٥) وذلك كما تقول : هذا أول فارس مقبل أى أول الفرسان . الفسر ١ /٢٣٧ .

(٦) خطية : قناة منسوبة إلى الخط ، وهى جزيرة ترفأ إليها السفن الّتى فيها القنى لتقف هنالك . الفسر ١/ ٢٣٧ .

(٧) ع : « ياأحذق الناس بالطعن وأحذقهم بالضرب » .

يقول : ناداك أهل الثغور بهذا اللفظ ، وهو ما تقدم من قوله : « ياسيف ربك » وما بعده . حين أتى[١] الدمستق على ثغورهم ، فلبّيتهم وأجبتهم وخلّصتهم[٢] بعد ما صارت رءوسهم تحت سيوف الرّوم .

٢٣–وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَعَيْنٌ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ

غارت العين : إذا دخلت فى الرأس . ووجب القلب : إذا خفق .

يقول : أعنتهم بعد أن انقطع[٣] رجاؤهم من الحياة وأشرفوا على الهلاك .

٢٤–وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْوُشا ةِ[٤] : إنّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ

« الوصِبْ » : ناحل الجسم ، وقيلْ : هو الذى يجد الألمْ .

يقول : اغترّ الدُّمستق بخبر علّتك ، وقدّر أنك لا تقدر على نصرة أهل الثّغور وصيانتهم[٥]

٢٥–وَقَدْ عَلِمَتْ خيلُهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِب

الهاء فى « خيله » قيل للدّمستُق .

والمعنى : أنها تعلم أن سيف الدولة مع علته ، لو همّ بالرّكوب لركب ؛ لما شاهدت منه فيما مضى من الحروب .

وقيل : أراد به أن خيل سيف الدولة علِمَت ذلك .

٢٦–أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ العُسُبْ

السبيب : شعر العُرْف والذّنب . والعُسُب : جمع العَسيب ، وهو العظم الذى

---

(١) ع : « جاء » .

(٢) ع : « وأجبت » بدل « وأجبتهم » ، و« خلصتهم » مهملة .

(٣) ع : « ما انقطع » .

(٤) فى الواحدى والتبيان والديوان : « العداة » بدل : « الوشاة » .

(٥) ع : « وصيانتهم » مهملة .

ينبت عليه الذنب ، ويستحب فى الفرس طول شعر ذَنَبه ، وقصر عسيبه .

يقول : أتى الدَمستُق أهلَ الثّغور بخيلٍ ، موضعها من الأرض أوسع من أرضهم ، ونصب « طوالَ » و « قصارَ » على الحال .

٢٧–تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِبْ

يقول : كانت الجبال الشّواهق تغيبُ فى جيش الدّمستق لِكثرته[1] ، فإن ظهرت الجبال ولم تغب تبدو صغاراً .

٢٨–وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوِّهِ إِذَا لَمْ تُخَطِّ الْقَنَا أَوْ تَثِبْ

الهاء فى « جوه »[2] للجيش و « إذا لم تُخَطّ القنا » هو من تخطّيتُ القومَ : إذا جاوزتهم ، وهو فعل الريح ، و « تثب » عطف عليه و « القنا » فى موضع النّصب ، لأنه مفعول قوله : « إذا لم تخطّ » .

يقول : لا تقْدِر الرّيح أن تنفذ فى جوّ هذا الجيش[3] إلا أن تخطّت القَنَا وجاوزته ، أوْ وَثَبَتْ من فوْقه ، وإلاَّ لم يمكنها أن تنفذ فى جوّه .

٢٩–فَغَرَّقَ مُدْنَهُمُ بِالْجُيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبْ

يقول : إن الدّمستق ملأ مدنَ الثغور بخيْله[4] ، حتى غرقَت فى جيوشه ، وأخفى أصوات أهل المُدن بلجَب[5] جيوشه .

٣٠–فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِبًا قَتْلَهُمْ وَأَخْبِثْ بِهِ تارِكًا مَا طَلَبْ

(١) ع : « لكثرتهم » .

(٢) الجو : الهواء . ابن جنى فى الفسر ١/٢٤٠ .

(٣) وذلك لكثرة رماحه وتضايق ما بينها . فالهواء قد غص بها ولا تجد الريح سبيلا إلا أن تتخطى أو تثب .

(٤) ع : « ملأ مدنهم ثغور حجيلة » تحريفات .

(٥) اللجب : صوت الجيش . الفسر ١/٢٤٠ .

أي ما أخبثه في الحالين ؟ !

يقول : ما أخبثه حين [٢٩٥ - ا] جاء يقاتل المسلمين ، وما أخبثه حين هرب وانقاد للعار والضيم ، فهو فى كلا الحالين خبيث و « طالبا » و « تاركًا » نصب على الحال .

٣١- نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ وَجِئْتَ فَقَاتَلْهُمْ بِالْهَرَبْ

يقول : لمّا بعدْتَ عن أهل الثغور ، قصدَهم الدّمستق ولقيتهم ، فلما جئت هرب وتركهم ، فكان هذا قتاله .

٣٢- وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمّا ذَهَبْ

وكانوا : أي أهل الثغور .

يقول : كان أهل الثغور فخرًا للدمستق لما أتى [1] لأنه كاد يقهرهم [2] ولمّا ذهب كنت له العذر ، لأن مثله لا يقاومك .

٣٣- سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمُ وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ

الغوْث : مصدر أغاثهُ إذا أنقذه .

يقول : سبقْتَ إليهم قبل وصول هلاكهم إليهم ، فأغثتهم قبل أن يهلكوا . والغوث إنما ينفع قبل الهلاك ، وأما بعده فلا فائدة فيه .

٣٤- فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّدَا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ [3]

يقول : لمّا أغثتَ أهلَ الثّغور سجدُوا للهِ تعالى شكرا ، وبقوا على الإسلام ، ولو لم تنصرهم لألجأهم الكُفّار أن يسجدوا للصُّلُب .

٣٥- وَكَمْ ذُدْتَ عَنْهُمْ رَدًى بِالرَّدَى وَكَشَّفْتَ مِنْ كُرَبٍ بِالْكُرَبْ

(١) ع : « لما أتى » مهملة .

(٢) ع : « لأنه كاد يقهر » . (٣) ع : « لخروا للصلب » .

يقول : كم مرّةٍ دفعت الهلاكَ عن أهل الإسلام ، بإهْلاك أعدائِهم ؟ ! وكشفت الغَمّ عنهم بالغَم[١] الذى أوقعت فيه أعداءهم .

٣٦-وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدْ[٢] يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبْ

المعْتَصِب : المتوَّج .

يقول : إن النّاس زعمُوا أنّ الدُّمستق إذا عادَ إلى الثّغور عاد معه مَلِكُهم الأعْظم ، صاحب التاج .

ومتى قيل : لِمَ قال : « يعد معه الملِكُ المعتصِبْ » والعودُ إنما يكون بعد البدْء ، والملِكُ لم يكن قصدهم قبل ذلك ؟

قيل له : قد جاء العوْد فى معنى الابتداء كما قال الله تعالى : (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا)[٣] .

وقيل : إن هذا الاعتراض غير متوجّه ؛ لأن قوله : « يعد معه » فعْل الدّمستق ، و « معه الملك المعتصِب » فى موضع نصب على الحال : أى يعد ومعه الملك[٤] وهذه الواو ، تحذف إذا كان فى الحال ضمير يرجع إلى صاحبها و « الملك » على هذا يرفع بالابتداء ، وعلى الوجه الأوّل يرتفع لفعله .

وقلت : « إن يعد » فى معنى الابتداء ، وحسن ذكره ها هنا لتعلّقه بالأوّل ، فيكون قد أجرى عليه لفظًا[٥] يتعلق به ، إذ لا شك أن العوْد الأوّل على حقيقته ، فلمّا تعلق الثّانى به أُجْرِى مجْراه ، كقوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)[٦] .

---

(١) ع : « وكشفت الغمر عنهم بالغمر » . والكَرْبُ : الحزن والغم يأخذ بالنفس . ويجمع على كُرَب وكروب . اللسان .

(٢) ق ، شو : « إن يعد » مكانها بياض فى النسختين .

(٣) سورة الأعراف ٧/٨٨

(٤) ع : « أى إن يعد يعد ومعه الملك » .

(٥) ق ، شو : « لفظها » .

(٦) سورة الشورى ٤٢/٤٠ .

٣٧– وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبْ

يقول : زعموا أن الدُّمستق والملك يرجعان ويطلبان النّصرة ممَّنْ يعبدانه ، وهو المسيح[١] عليه السلام ، وفى اعتقادهما أنه قد صلب ، فكيف يقدر أن يدفع[٢] عنهم القتل ، وهو لم يقدر على أن يدفعه عن نفسه ! يتعجّب من عقول النّصارى وفساد اعتقادهم[٣] .

٣٨– وَيَدْفَعُ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لَلرِّجَالِ لِهَذَا الْعَجَبْ !

اللام الأولى[٤] مفتوحة ؛ لأنها لام الاستغاثة للمدعو ، والثانية مكسورة[٥] لأنها لام المتعجب [منه] المدعو إليه .

[٢٩٥ – ب] والمعنى : أنه يتعجب من قول النّصارى . أى كيف[٦] يدفع عنهما ما ناله من القتل فى اعتقادهما ! فلو قدر لدفع عن نفسه !

٣٩– أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِيـ ـنَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ

كأنه كان قد انضم طائفة من المسلمين إلى الروم[٧] ! فقال : أراهم معهم ولا أدرى لأىّ علّةٍ ؟ ! أعجزوا عن قتالهم ؟ أو[٨] خافوا منهم !

وقيل : المعنى أن المسلمين قد وافقوا النصارى وصدّقوهم فى زعْمهم أن المسيح ينصرهم[٩] وذلك إما لعجزٍ عنهم أو لخوفٍ منهم[١٠] .

---

(١) ع : « عيسى » . (٢) ع : « على أن يدفعه » .

(٣) ق : « واعتقادهم » بإسقاط « فساد » .

(٤) ق : « باللّرجال » .

(٥) ق : « لهذا » .

(٦) فى النسخ : « إنه كيف » إلخ ، والمذكور عن ابن جنى فى الفسر ١/ ٢٤٣ .

(٧) ع : « إلى جيش الروم » .

(٨) ق : « إذ » .

(٩) ع : « إن المشركين قد صدقوا قول النصارى فى زعمهم أن المسيح عليه السّلام ينصرهم » .

(١٠) ق : « أو خوف » .

٤٠- وَأَنْتَ مَعَ اللهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبْ

يقول : أنت مع أمر الله وطاعته ، قليل النوم ، لحفظ الثّغور كثير التعب[١] ، لإدامة الحرب .

وقيل : إن المسلمين قد وافقوا النصارى على قولهم وأنت متوكّل على الله ، مستنصر به ، غير مائِل إلى قول النّصارى فى استنصار[٢] المسيح عليه السلام .

٤١- كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِابْنٍ وَأَبْ

يقول : أنت تفرَّدْتَ بتحمّل المشاق فى مجاهدة الكفّار ، حتى كأنك متفرّد بالتّوحيد ، وسائِر الناس اعتقدوا النصرانية .

٤٢- فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَاظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ كَئِبْ

يقول : ليت سيوفك بعد ظهورك على الأعداء ، تقتل كلّ حاسد حزين والتقدير على هذا البيت : سيوفك إذا ما ظهرت على الأعداء فى حاسد كَئِبَ[٣] .

وقيل : معناه ليت بسيوفك تقتلُ كل حاسدٍ يحزن لظفرك بالأعداء .

٤٣- وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جِسْمِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبْ

يقول : ليت علّتك هذه فى جسم حاسِدك ، وليتك تجزى كلّ إنسان بحسب قدْره فى بغضه وحبه .

يعنى : لو فعلت ذلك لكنتَ أحسن حالا من سائِر الناس[٤] ، ولو جزيتَ

(١) ع : « التعجب » .

(٢) ق : « على استنصار » .

(٣) فى الأصول : « كئيب » .

يقول ابن جنى . كئب يكأب كآبة فهو كئيب : إذا حزن ؛ ويقال : إن الانكسار هو الكآبة وسوء الهيئة فى الوجه خاصة . الفسر ٢٤٤/١ .

(٤) أى لو جزيت ببغض وحب لوصلت منك ، لإفراط محبّى لك ، إلى أضعاف ما وصلت إليه . ابن جنى ٢٤٤/١ والواحدى والتبيان . وقد بين ذلك فى البيت الذى يليه .

الأعداء ببغضك لما أبقيت أحداً .

٤٤-فَلَوْ كُنْتَ تَجزِى بهِ نِلْتُ منْ ـــكَ أضْعَفَ حَظٌّ بأقْوَى سَبَبْ

يقول : لو كنت تَجْزِى كلّ أحدٍ ببغضٍ وحبٍّ ، لنلتُ ما أتمنّاهُ مِنْ قتلِ مَنْ كادنى على محبتى لك .

(٢٤١)

وقال أيضا يمدح سيف الدولة(١) :

١- سَيْفُ الإلَهِ عَلَى أَعلَى مُقَلَّدَةِ(٢) وَمَوْضِعُ الْعِزِّ مِنْهُ فَوْقَ مَقْعَدَه

المصراع الثانى قيل : لم يتمّمه أبو الطيب !

وقيل : بل تمَّمَه ولم يُرْوَ عنه إتمامه .

---

(١) فى النسخ : « وقال أيضا يمدحه » . الواحدى ٦٢٣ عقب شرحه للبيت :

٤٤ — فلو كنت تجزى به نلت مِنْـــك أضعف حظ بأقوى سبب

يقول : هذا آخر ما قاله فى الأمير سيف الدولة . ثم خرج من عنده مغاضبا إلى مصر . ومدح الأسود كافوراً الأخشيدى . وقد ذكر الأبيات المذكورة هنا : « سيف الصدر على أعلى مقلده » فى صفحة ٣٤٧ أى بعد هجائه لإسحاق ابن كيغلغ وقبل مدح أبى العشائر يقول : « وقال فى قصيدة قالها وهو صبى » .

وفى شرح ابن جنى المخطوطة رقم ٢٣ أدب دار الكتب المصرية : « وقال أيضا فى صباه » ثم ذكر الأبيات الثمانية مع بعض الفروق اللفظية التى تكون بين نسخة وأخرى وفى التبيان ٢ /٨٠ ذكرها قائلا : « وقال فى صباه » . وفى رواية هذه الأبيات تقديم وتأخير بل وزيادة ونقص فى سائر المصادر .

وفى الديوان ٥٣٥ ذكر لهذه الأبيات وإن عدها المحقق من زيادات الديوان وعدد أبياته التى ذكرها ٦ أبيات . وفى العرف الطيب ص ٧ .

(٢) الواحدى والتبيان وزيادات الديوان وشرح ابن جنى : « سيف الصدود على أعلى مقلده » ولم يحفظ المصراع الثانى وتكلف الناس له زيادة فقال بعضهم :

بِكَفِّ أهْيَفَ ذِى مَطْلٍ بِمَوْعِدِه

وقال الآخر :

« يَفْرِى طُلَى وَامِقِيه فى تجرّده » إلخ

زَاد صاحب التبيان قول ابن القطاع : « أول هذه القصيدة :

وشَادِنٍ روح مَنْ يَهْوَاهُ فِى يَدِهِ سَيْفُ الصُّدُودِ على أعْلَى مقلّده=

وقيل إن تمامه قوله : « ومَوْضِع العزّ منه فَوْقَ مقْعده » .

وقيل : إن هذه اللّفظة « فَوْقَ مَقْعَدِهِ » لم يعترف بها المتنبي . وقيل : إنه قال : « ألقيتها فلا تنسبوها إليّ » .

والمعنى : سيفُ الله على أرفع رجل قُلِّد السّيف . وموضع الشّرف من هذا السيف هو السماء ، لا موضع الذي يرى أنه مقعداً ، أو الموضع الذي قعده .

٢- مَا اهتَزَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ يُسيِّره إلاّ اتّقَاه[١] بِتُرْسٍ مِنْ مُخلَّدِهِ[٢]

المخلَّد : موضع الخُلْد ، وهو القرط[٣] .

يقول ما تحرّك السيف على عضو عدوٌّ ، يريدُ أن يرمى به إلاّ اتّقاه[٤] ذلك الجسم بأكثر من مطلوبه ، وهو أن يترّس َ[٥] موضع القرط من موخّر عنقه .

٣- ذَمَّ الإلٰه إلَيْه مِنْ مَحبَّتِهِ مَا ذَمَّ فى بَدْرٍ مِنْ حَمْد حَامِدِهِ[٦]

---

* وفى الديوان ٥٣٥ :

سَيْفُ الصُّدودِ عَلَى أعْلَى مُقَلَّدِهِ ما اهتزَّ عَلَى غُصْنٍ بمحْتِدِه

وروى أبو القاسم الأصفهانى فى الواضح ٤٧ قال : قال أبو الفتح (ابن جنى) فى الفسر الكبير : المصراع الثانى من هذا البيت ساقط ولم أقرأه فى ديوانه قال أبو القاسم (الأصفهانى) أنشدنى الدهم من الرواة بديار ربيعة ومضر والشام وشيراز مصراع البيت وهو .

سيف الصدود على أعلى مقلده ولحظة منه أدنى من مجرده

(١) ق ، شو : « التقاه » بدل : « اتقاه » وفى العرف الطيب : « ليبتره » مكان « يسيره »

(٢) فى الواحدى والتبيان وفى نسخة ابن جنى فى هامش الديوان :

ما اهتز منه على غصن ليبتره إلا اتقاه بترس من تجلده

(٣) اللسان « خلد » .

(٤) ق ، شو : « التقاه » بدل : « اتقاه » .

(٥) ق : « ترس » .

(٦) رواية هذا البيت فى الواحدى والتبيان وشرح ابن جنى :

ذمّ الزمان إليه من أحبته ماذم من بدره فى حَمْد أحْمَده

وفى الديوان :

ذم الإله إليه من أحبته ماذم من بدره فى حمد أحمده

يقول : ذمّ الله تعالى إلى سيف الدولة من أحبابه ، جزَعَهم وذلَّهم فى هذه الحرب الّتى صَبَر فيها سيف الدولة دونَهم ، مثل ما ذَم جلّ جلاله مَنْ حَمِدَهُ النّبى ﷺ من بعض أصحابه وأحبته فى يوم بدر[١] ، لما ذلوا[٢] وفزعوا بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ ﴾[٣] .

٤- شَمْسٌ ، إذَا الشَّمْسُ لاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ مِنْها فِي تَرَدُّدِهِ

يقول : هو كالشمس فإذا قابلته الشمس وهو على فرس ردّ شعاعَها إلى نفسها كَثْرَة[٤] جولان هذا الفارس .

والمعنى : أنه إذا ركب بجيشه حجب بالغبار نورَ الشمس[٥] .

٥- لَمْ يَقْبُحُ الْحُسْنُ إلاّ عِنْدَ طَلْعَتِهِ كَالْعَبْدِ يَقْبَحُ إلاّ عِنْدَ سَيِّدِهِ[٦]

يقول : إن الحسْنَ إذَا رؤى بحضرته يفتضح بحسْنه[٧] ، ويقبح لكمال جماله[٨] كالعبد لا يقْبَح إلا عند سيده . وحذف « لا » من قوله : « كالعبد يقبح »[٩]

---

(١) وهنا يختلف الشراح تمامًا لاختلافهم فى رواية البيت وغير ذلك . ويرمى بعضهم بعضا بالتهوس ولعلك ناظر معى قول الواحدى ٣٤٧ والتبيان ٢ /٨٠ والعرف الطيب ٧ .

(٢) ق : « ولَو » .

(٣) سورة آل عمران ٣ /١٢٣ : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) .

(٤) ع : « لكثرة » .

(٥) قال ابن جنى ونقله الواحدى والتبيان المعنى : إذا رأته الشمس وهو يجول فى ميدانه على فرس مترددًا ، تردد نوره فى جسم الشمس ، لأنه أضوأ منها . فالشمس تستفيد منه النور . انظر التبيان ٢ /٨١ .

(٦) فى الديوان : « لن يقبح الحسن . . . والعبد يقبح » البيت . فى الواحدى والتبيان : « إن يقبح الحسن . . . فالعبد يقبح » البيت .

(٧) الضمير فى : « بحسنه » يرجع إلى الممدوح .

(٨) ع : « وجهه » .

(٩) المعنى عند الواحدى وصاحب التبيان : الحسْن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعته ، كالعبد لا يحسن عند كل أحد إلا عند مولاه . فكأنه مولى الحسْن .

٦- قَالَتْ عَنِ السَّيْرِ[1] طِبْ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لاَ يَصْدُرُ الْعَبْدُ[2] إلاَّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ

أى قالت العاذلة أو المحبوبة أو غيرهما ، ممن يشفق[3] عليه : كفاك ما سِرْت من الدنيا فأقم ، فقلتُ لها : إنّى ما سرت بعدُ إلى مَنْ هو المقصود ، ولا وردْتُ موردى ، فكيف أصدر ؟ لأنّ الصَّدَر بعد الورود ، يحسن ويكمل[4] .

٧- نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِى سِنِّ أَمْرَدِهِ[5]

يقول : نفسه من كبرها وعظمها تصغِّر نفسَ الدّهر ، والضمير فى « الكهل » يعود إلى النفس والضمير فى « الأمْرد » يعود إلى الدهر[6]

٨- لَمْ أَعْرِفِ الْجُودَ[7] إلا مُذ عَرَفْتُ فَتًى
لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إلاَّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ

يريد : منذ وقت مولده ، فحذف للعلم به .

والمعنى : أن الجود يدور معه ، ولم يكن قبل مولده جود فلما ولد هو وُجِد الجود .

---

(١) الواحدى والتبيان والديوان : « عن الرفد » .

(٢) الواحدى والتبيان : « الحر » الديوان : « الحب » .

(٣) ع : « من المشفقات » .

(٤) والمعنى عند الواحدى والتبيان : قالت العاذلة : لا تطلب العطاء فإنه غير مبذول فقلت لها : إن الحر إذا قصد أمرًا لم ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه . أى لابد لى من بلوغ ما أطلبه . ومعنى « طبْ نفسًا » أى دعه ولا تطلبه .

(٥) هذا البيت لم يذكر فى الديوان ومؤخر عن الذى يليه فى الواحدى والتبيان .

(٦) ع : « الضمير فى الكهل والأمرد يعود إلى الدهر » وهو كذلك فى التبيان .

(٧) فى الواحدى والتبيان : « لم أعرف الخير » وفى الديوان : « لم أعرف الخيل » .

(٢٤٢)

وقال أيضًا فيه بديهًا[١] :

١- يَاسَيْفَ دَوْلَةِ ذِى الْجَلَالِ وَمَنْ لَهُ ... خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَالْعِبَادِ[٢] سَمِىُّ

إن عنى بذى الجلال ، اللهَ تعالى فهو فى هذا الموضع قبيح ، لأنه لا يقال : دولة الله تعالى .

وإن عنى به الخليفةَ فهو أشنع ، لأن هذا الوصف لا يطلق على غير الله تعالى .

يقول : ياسيف دولة[٣] من هو كذلك ، ياسمىّ[٤] خير البريّة وهو أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب[٥] كرم الله وجهه .

٢- انْظُرْ إِلَى صِفِّينَ حِينَ أَتَيْتَهَا ... فَانْصَاعَ عَنْهَا الجَحْفَلُ الْغَرْبِىُّ[٦]

انصاع : تفرق .

---

(١) فى ذيل الواحدى ذكرت هذه القطعة فى زياداته ص ٨٥٥ ولم تذكر فى التبيان . الديوان ٥٢٥ من زيادات الديوان : « وقال فيه وهو فى حرب صفين وجاءه وفى يده حربة فقال : قل شيئًا وإلا قتلتك فقال أبو الطيب بديهًا » . وروى الثعالبى فى يتيمة الدهر هذه الأبيات لما افتتح سيف الدولة الشام . وهزم عسكر الإخشيد محمد بن طغج عن صفين . العرف الطيب ٦٣٨ .

(٢) واحدى : « والأنام » وفى العرف الطيب ٦٣٨ : « خير الخلائف والأنام » . ويقول الشارح أراد : « بخير الخلائف » على بن أبى طالب .

(٣) ع : « ياسيف الدولة » .

(٤) ع : « يامن هو سمى » .

(٥) ع : « ابن أبى طالب » مهملة .

(٦) رواية البيت فى الواحدى :

انظر إلى صفين حين دخلتها ... فانحاز عنها العسكر الغربىّ

فى الديوان : نص الرواية المذكورة . العرف الطيب ٦٣٩ :

أو ما ترى صفين كيف أتيتها ... فانجاب عنها العسكر الغربىّ

ويريد بالعسكر الغربى : عسكر الأخشيد لأنه كان من جهة الغرب .

يقول : انكشف[١] عنك العسكر من الغرْب فانهزموا . فشبّه المعركة بصفّين .

٣- فكأنّه جَيْشُ ابْنِ حَرْبٍ رُعْتَهُ حتّى كأنَّكَ يَا عَلِيُّ ، عَلِيُّ[٢]

العسكر الغربي : جيش الإخشيد[٣] فهزمته حتّى كأنك يا عليّ ، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه[٤] .

(١) ق : « انكشف » .

(٢) في الواحدي والديوان : « جيش ابن هند » . ويريد بابن حرب أو ابن هند : معاوية ابن أبي سفيان . ويشير إلى واقعة صفين التي كانت بين علي ومعاوية .

(٣) في النسخ بياض بمقدار كلمة بعد « جيش » .

(٤) ق ، ش : « أمير المؤمنين رضي الله عنه » لم تذكر .

رقم الإيداع		١٩٩٢ / ٩٩٢١
الترقيم الدولى	977 – 02 – 3902 – X	ISBN

١ / ٩١ / ٣١٧
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

Dhakhā'ir AL'Arab

65

Shārh Diwān

Abi At-Taib Àl Moutanâb̄i

Par

Aboul Al'ā Al Maāri
(363 – 449)
«Mou'giz Ahmad»

Vol. III

Edition Critique

Par

Dr. Abdul Magid Diab

DAR AL-MAAREF